اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي

سجل لأعمال

- مجامع اللغة العربية
- المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العلمية
- الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب
- رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية

العدد الثالث

يصدرها:
المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة
الدول العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لسنا فى حاجة الى بيان الدور الذى لعبته اللغة العربية فى العصر الجاهلى كأداة للتخاطب وكمصهر لصقل التعابير عن أدق الاحساسات وأرق العواطف اذ يكفى أن نراجع موسوعات اللغة لنلمس ذلك الثراء الذى عز نظيره فى معظم لغات العالم ولعل من مظاهر هذا الثراء تدرس حق الدرس الى الآن وتنطوى على كنوز تكشف من القوة الى الضعف من خلال شتى الاعتبارات وكذلك تدرج الاسماء لنفس المسميات فى مئات التعابير تبعا لادق مجالى الميز ولا تزال هذه الموسوعات اللغوية لم تدرس حق الدرس الى الآن وتنطوى على كنوز تكشف المجامع اللغوية مع الايام عن مدى ارتباطها بالمعانى الجديدة واتساقها مع مولدات الفكر الحديث .

على أن فى مصنفات الفنون والعلوم الرياضية والادبية والفلسفية والقانونية ذخيرة لغوية كانت هى القوام الاساسى للتفاهم بين العلماء والتعبير عن أعمق النظريات الفنية يوم كانت الحضارة العربية فى عنفوان ازدهارها ويكفى أن تتصفح كتابا علميا أو فلسفيا لتدرك مدى هذه القوة وتلك السعة الخارقة . ففى العربية اذن «مقدرات» شاسعة لا يتوقف حسن استغلالها الا على مدى ضلاعتنا فى فقه اللغة .

والكل يعلم أنه منذ أواخر القرن الهجرى الاول انبثقت حركة فكرية واسعة أذكت جامعات الشرق» ولم تستفد من هذه الحركة – كما يقول مؤلف «المعجزة العربية» – السريانية ولا الفارسية ولا اليونانية وانما استفاد منها شعب عاش لحد ذلك التاريخ خارج حدود العالم المتمدن ولم يكن فى الظاهر ما يحدوه الى الاضطلاع بالدور الخطير الذى قام به مع ذلك فى تاريخ الحضارة وهذا الشعب هو الشعب العربى .»

كانت العربية لغة أدب وشعر منذ أعرق عصور الجاهلية ولكن سرعة انتشارها ترجع فى نظر م. فنتيجو مؤلف «المعجزة العربية» – الى الثمار المادية والروحية التى جنتها من الاسلام أكثر منها الى القرار الذى اتخذه الامويون بجعل العربية اجبارية فى الوثائق الرسمية وخلال القرن الثانى الهجرى بدأ انحلال مراكز الثقافة اليونانية فى الشرق الادنى » وتمخض هذا الانحلال عن «أكبر فوضى فى اللغات والاديان» فقد بدأت شعوب عريقة فى الحضارة كالمصريين والهنود تتحلل من تراثها الخاص لتعتنق على اثر احتكاكها بالعرب «معتقداتهم واعرافهم وعوائدهم» .

ومنذ ذلك العهد ظهرت شعوب أخرى خلفت العرب فى النواحى التى احتلتها «ولكن نفوذ اتباع محمد ظل لازبا لم يتغير» كما يقول جورج ريفوار ففى جميع نواحى افريقيا وآسيا التى دخلوها من المغرب الى الهند تغلغل ذلك النفوذ فى الاعماق الى الابد ولم يستطع فاتحون جدد استقصاء دين العرب ولغتهم» وقد اكد م. فنتيجو أن العربية أمست فى فارس اللغة الرسمية واتخذها الشعراء أنفسهم أداة لصياغة القريض فى حين ظلت اللهجة البهلوية مستعملة فى الجبل وقد استمر نفوذ العربية فى القرون التالية بل صارت العنصر الجوهرى فى الاوردية التى هى لغة الثقافة عند الهندوس والتى يعتبر نصف مفرداتها تقريبا من أصل عربى واذا كان شعراء مثل الفردوسى صاحب الشاهنامة الذى هو عند

الفرس بمثابة هو ميروس عند الاغريق والذى كان متضلعا فى العربية «عادوا يقرضون الشعر منذ القرن العاشر الميلادى بالفارسية» فان معظم المصنفات العلمية ظلت تحرر بالعربية مثل موسوعة الرازى الطبية وغالب مؤلفات ابن سينا .

وقد اوضح كوستاف لوبون فى كتابه «حضارة العرب» (الطبعة الفرنسية ص 473) أن العربية أصبحت اللغة العالمية فى جميع الاقطار التى دخلها العرب حيث خلفت تماما اللهجات التى كانت مستعملة فى تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية ... ووقع نفس الحادث كذلك فى فارس مدة طويلة ورغم انبعاث الفارسية بقيت العربية لغة جميع المثقفين وقد أكد جوستاف أيضا (ص 174) بان الفرس يدرسون اليوم (أى أواخر القرن التاسع عشر) العلوم والدينيات والتاريخ فى مصنفات عربية .

هذا وقد عربت أهم المصنفات اليونانية فى عهد الخلفاء العباسيين حيث انكب العرب على دراسة الآداب الاجنبية بحماس «فاق الحماس الذى أظهرته أوربا فى عهد الانبعاث» وقد خضعت اللغة العربية لمقتضيات الاصلاح الجديد فانتشرت فى مجموع انحاء آسيا واستأصلت نهائيا اللهجات القديمة (جورج ريفوار فى كتابه «وجوه الاسلام») وقد قضت العربية حتى على اللاتينية لا سيما فى شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا والاندلس) حيث ندد الكاتب المسيحى الفارو وهو من رجال القرن التاسع الميلادى بجهل مواطنيه باللاتينية فقال : «ان المسيحيين يتملون بقراءة القصائد وروائع الخيال العربية ويدرسون مصنفات علماء الكلام المسلمين لا بقصد تفنيدها بل من أجل التمرن على الاسلوب الصحيح الانيق فى العربية وجميع الفتيان المسيحيين المبرزين لا يعرفون سوى اللغة العربية والادب العربى فهم يقرأون الكتب العربية ويدرسونها بكامل الحرارة ويتهافتون على اقتناء المكاتب الضخمة مهما كلفهم ذلك من ثمن ويعلنون على الملأ حيثما وجدوا ان الادب العربى شيء بديع ... ما أعظم الالم ! لقد نسى المسيحيون حتى لغتهم الدينية ولا تكاد تجد واحدا بين الالف يحسن تحرير رسالة باللاتينية الى صديق له . أما باللغة العربية فانك تجد افواجا من الناس يحذقون التعبير بهذه اللغة بكامل الاناقة بل انهم يقرضون من الشعر ما يفوق من الوجهة الفنية إشعار العرب أنفسهم وقد نقل الاستاذ ليفى بروفنصل مقتطفات من كتاب الفارو فى كتابه حول «حضارة العرب فى اسبانيا» .

وقد أكد المؤرخ دوزى فى كتابه « تاريخ مسلمى اسبانيا » (ج 1 ص 317) أن أهل الذوق من الاسبان بهرتهم نصاعة الادب العربى واحتقروا البلاغة اللاتينية وصاروا يكتبون بلغة العرب الفاتحين » .

وقد نقل دوزى عن صاحب كتاب «الوسى موزار أبيس دوطوليد» ان العربية ظلت أداة الثقافة والفكر فى اسبانيا الى عام 1570 ففى ناحية بلنسية استعملت بعض القرى الاسبانية العربية كلغة لها الى أوائل القرن التاسع عشر وقد جمع أحد أساتذة كلية مدريد 1151 عقدا فى موضوع البيوع محررا بالعربية كنموذج للعقود التى كان الاسبان يستعملونها فى الاندلس » .

ولم يفت المؤرخ «فياردو» الذى كتب منذ نحو القرن تاريخ العرب فى اسبانيا أن ينوه بثراء اللغة العربية الخارق وشاعرية العرب الفياضة حتى ان معظم سكان شلب – وهى اليوم جنة البرتغال – كانوا شعراء فى نظر القزوينى بل يؤكد دوزى انهم كلهم كانوا شعراء .

ان اللغة العربية التى بلغت مبلغا كبيرا من المرونة والثروة فى العهد الجاهلى أدركت فى القرن الرابع الهجرى اى فى عنفوان العصر العباسى أوج كمالها وقد وصف زكى مبارك روعة النثر الفنى العربى فى هذا القرن ووصف فيكتور ببرار اللغة العربية فى ذلك العصر بانها أغنى وأبسط وأقوى وأرق وأمتن وأكثر اللهجات الانسانية مرونة وروعة فهى كنز يزخر بالمفاتن ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب رائع التصوير » وأعجب ما فى الامر – وهو شيء لا نظير له عند الشعوب الاخرى – أن البدو كانوا هم سدنة هذه الذخائر «وجهابذة النثر العربى جبلة وطبعا» ومنهم استمد كل الشعراء ثراءهم اللغوى وعبقريتهم فى القريض .

ان نفوذ اللغة العربية أصبح بعيد المدى حتى ان جانبا من اوربا الجنوبية أيقن بأن العربية هى «الاداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب » كما يقول جورج ريفوار الذى أوضح أيضا ان رجال الكنيسة اضطروا الى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها فى الكنائس الاسبانية وان «جان سيفيل» وجد نفسه مضطرا الى أن يحرر بالعربية معارض الكتب المقدسة ليفهمها

الناس . (1)

أما فى فرنسا فقد أكد جوستاف لوبون فى حضارة العرب (ص 174) انللعربية اثارة مهمة فىفرنسا نفسها وقد لاحظ المؤرخ «سديو» عن حق ان لهجة ناحيتــي اوفيرنى وليموزان زاخرة بالالفاظ العربية وان الاعلام تتسم فى كل مكان بالطابع العربى .

وكان من الطبيعى ان يزود العرب الذين كانوا قادة المتوسط منذ القرن الثامن الميلادى ــ كلا من فرنسا وايطاليا بمعظم مصطلحاتها البحرية على أنهــا تركت اثرها فى مصطلحات الجيش والادارة والصيد والعلوم وغيرهـا .

وقد لوحظ نفس التأثير فى صقلية حيث كان الملك روجير النرمندى يتسربل بالازياء الشرقية ويرقم جبته الرسمية بالحروف العربية وكان كل من خاتمه ونقوده يحمل الكتابة العربية والنرماندية وقد كان اميرال صقلية متضلعا فى العربية وبالجملة «فقد صارت العربية ــ كما يقول الاستاذ فنتيجو ــ لغة دولية للتجارة والعلوم» .

أما نسبة هذا التأثير فقد ذكــر بعض الباحثين ان المفردات العربية التى دخلت الى الاسبانية تقدر بربــع محتويات القاموس الاسبانى بينما دخلت الى البرتغالية ثلاثة آلاف كلمة عربية وقد صنف الاب ساسا باتيستا الذى ولد فى دمشق من أبوين عربيين قاموسا عام 1789 جمع فيه الكلمات التى اقتبسها البرتغال مــن العربية وهذا القاموس يقع فى مائة وستين صحيفة كما ألــف دوزى وانجلمان قاموسا للكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية وتوجد فى مكتبة الاسكوريال معاجم عربية يونانية وعربية لاتينية وعربية اسبانية صنفهــا علماء مسلمون (حضارة العرب ص 166ــ474) وقد كان للمغرب حظه فى هذا التأثير اللغوى على الاندلس الذى استمر حكمه لها نحوا من ثلاثة قرون أما البرتغالبــون الذين عاشوا فى المغرب فقد ذكر شافروبير فى كتابــه عن تاريخ المغرب (ص 273) ان الجالية التى كــانت بالمغرب فى القرن السادس عشر كانت تتراسل بعربية حشوها تعابير مغربية وتكتب مــراسلاتها بالحــروف العــربية .

وهناك لغات أخرى كالمالطية اقتبست معظم مفرداتها من العربية وقد أمكن استماعنا فى السنوات الاخــيرة لخطاب فاهت به شخصية مالطية رسمية لم يعسر فهمه على المستمعين لاسيما وان اللهجة المالطية تتجانس مع لهجات المغرب العربى ومعلوم أن الكثير مــن اللهجات تتقارب فى العالم العربى نظرا لانتسابها جميعا الى اللغة البونيفية كما يتجلى ذلك من دراسة الكتابات التى عثر عليها فى البرازيل (2) وقــد أكد جوستاف لوبــون (ص 472) «ان العربية من اكثر اللغــات انسجاما فهى وان كانت تحتوى على عدة لهجات كالشامية والحجازية والمصرية والجزائرية غير أن هذه اللهجات لا تختلــف فيما بينها الا بفوارق جد طفيفة بينما نلاحظ أن سكان قرية فى شمال فرنسا لا يفهمون كلمة مــن اللهجــات المستعملة فى قرى الجنوب نرى سكان شمالى المغــرب الاقصى يتفاهمون بسهولة مع سكــان مصر والحجاز » وقد قال الرحالة بوركارد بأن كل من عرف احدى هذه اللهجات فهم سائرها بدون عناء» .

وقد استكشفت فى صقلية لوحــة مسيحية محررة بالعربية ومؤرخة بالتاريخ الهجرى بعد انتهاء الاحتلال العربى بستين سنة .

واللغة الاغريقية نفسها اقتبست الشىء الكثير مــن العربية غير ان المقتبسات اتخذت شكلية يعسر معهــا ارجاعها الى الاصل العربى .

ومعلوم ان الجامعة الاوربية كانت عاملا مهمــا فى ذيوع اللغــة العربية الــتى أصبحت فى العصــور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون بل أصبحت لغة دولية للحضارة ففى عام 1207 م. لوحظ وجود معهد فى جنــوب أوربا لتعليم اللغة العربية ثــم نظم المجمع المسيحى العالمى بعد ذلــك تعليمها فــى اوربا وذلك باحداث كراسى فى كبــريات الجامعــات الغربية وفى القرن السابع عشر اهتمت اوربا الشمالية والشرقية اهتماما خاصا بتدريس اللغة العربية ونشرها ففى 1636 قررت حكومة السويد تعليــم العربيــة فى بلادها ومنذ ذلك انصرفت السويد الى طبــع ونشر المصنفات الاسلامية وبدأت روسيا تعتنــى بالدراسات

---

(1) منذ القرن العاشر الميلادى تبنى اليهود لغــة الفاتحين العرب كلغة علمية فى افريقيا وغيرها ويجدر أن نذكر الحبر يهودا بن قريش لما يمتاز به كتابه فىفقه اللغة المقارن والذى وجهه فى ذلك العهد الى بيعــة فاس (كودار ص 454) .

(2) راجع بحثــا فى العدد الثــانى مــن مجلــة « اللسان العربى » .

الشرقية والعربية على الخصوص فى عهد البطرس الاكبر الذى وجه الى الشرق خمسة من الطلبة الروسيين وفى عام 1769 قررت الملكة كاترينا اجبارية اللغة العربية وفى عام 1816 أحدث قسم اللغات السامية فى جامعة بتروكراد .

وقد اتجه اقتباس اوربا من العربية نحو الميدان العلمى فدخلت الى اللغات الاوربية كثير من المصطلحات العربية مثل الكحول والاكسير والجبر واللوغريتم وقد استمد الاسبان – حسب ليفى بروفنصال – معظم أسماء الرياحين والازهار من العربية ومن جبال البرانس انتقلت مصطلحات العلوم الطبيعية الى فرنسا مثل البرقوق والياسمين والقطن والزعفران ومجموعة مصطلحات الرى تقريبا هى كذلك من أصل عربى كما تحمل الحلى فى اسبانيا أسماء عربية ويتجلى نفس التأثير فى الهندسة المعمارية وبالجملة فقد استمدت اسبانيا وبواسطتها أمريكا اللاتينية من اللغة العربية الشىء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا .

وقد لاحظ عالم ايطالى كبير أن معظم التعابير العربية التى تغلغلت بكيفية مدهشة فى لغة روما لم تنتقل عن طريق التوسع الاستعمارى ولكن بفضل اشعاع الاسلام الثقافى .

بل ان الاصلاح الخاص بالكنيسة تأثر الى حد بعيد بالطابع العربى فقد اعترف البارون كارادوفو مؤلف «مفكرو الاسلام» وهو مسيحى متحمس بأن الاسلام علم المسيحية منهاجا فى التفكير الفلسفى هو ثمرة عبقرية أبنائه الطبيعية وأن مفكرى الاسلام نظموا لغة الفلسفة الكلامية التى استعملتها المسيحية فاستطاعت بذلك استكمال عقيدتها جوهرا وتعبيرا وهذه ظاهرة لاسيما اذا اعتبرنا – مع مؤلف «وجوه الاسلام» – مدى مساهمة الفلسفة الاسلامية فى تكوين علم الكلام خلال القرون الوسطى والدور الذى قام به فى ذلك كل من ابن سينا وابن رشد وما كان لهما من تأثير على أشهر مفكرى المسيحية .

واذا كان قد قدر للعرب أن يقوموا بدور ما فى عصر الجاهلية فانما كان ذلك عن طريق اللغة التى كانت أنصع عنصر فى حياة العرب وقد دعا فولفنسن فى كتابه «تاريخ اللغات السامية» المشارقة المتكلمين بلغة الضاد الى درس فقه اللغات السامية للاقتناع بعظمة أجدادهم وبالدور الذى قاموا به فى حضارة العالم القديم» ثم أكد ان المستشرقين الذين نددوا بالعروبة وبالاشعاع العربى لم يهدفوا الا لغايات دينية واستعمارية .

وقد عبر الاستاذ ماسينيون عن نفس الفكرة قائلا : ان المنهاج العلمى قد انطلق اول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية فى الحضارة الاوربية .»

ثم قال : «ان العربية استطاعت بقيمتها الجدلية والنفسية والصوفية أن تضفى سربال الفتوة على التفكير الغربى كما انعشت «ألف ليلة وليلة» فى القرن السابع عشر الميلادى ذهنية أوربا التى اتخمتها أساطير الاغريق والرومان » .

ثم يواصل ماسينيون وصفه الرائع قائلا : ان اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر فى الميدان الدولى وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا لهو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم فى المستقبل .

مدير المجلة

عبد العزيز بنعبد الله

دراسات وأبحاث لغوية

فعالية اللغة العربية

للأستاذ علال الفاسي

قضية العربية فى المغرب قضية مزمنة والحق يقال ، فهى ليست بنت اليوم ولا ناشئة فقط عن أثر الاستعمار فى وطننا ، ولكنها فى اصلها ناشئة عن تقصير أجدادنا العرب فى إكمال مهمة التعريب فى المغرب من جهة ، وعن الركود الذى أصاب المغرب وسائر العالم الاسلامى من جهة أخرى . وقد وجد الاستعمار فى هذين المظهرين لتخلفنا اللغوى والاجتماعى وسيلة حاول أن يستغلها ليجهز على وجودنا كأمة متحدة بل على وجودنا ككائن حى ويجعل منا امتدادا لوجوده بما يكونه من عناصر اللغة والفكر الذى هو محتواها .

وحينما حل عهد الاستقلال شعر المخلصون من أبناء الوطن بضرورة العمل على تقوية الكيان الوطنى ، وتدعيم الوجود الذاتى الحر ، وكان أول ما فكروا فيه مسألة اللغة التى برزت فى شكل الحاجة الى المغربة والى التعريب .

وطبعا فان كل عمل صالح لا يعدم صعوبات من نفسه والمعارضين من ذوى المصالح أو المستفيدين من الوضع الذى خلفه الاستعمار ، وهكذا فشل القائمون على العمل ، بينما أخذت الجهود المغربية جوانب متوازية لتحقيق الهدف المنشود .

وسأتحدث فى غضون عرض المشكلة اللغوية وطرق اصلاحها عن المجهود المبذول فى سبيل تحقيق التعريب وتسهيل طرقه . وقبل ذلك أحب أن أؤكد ـ وان كان الموضوع غير محتاج الى تأكيد ـ ان اللغة هى حياة الامة وعنوان وجودها ، وأن كل أمة لا يمكن أن تتحقق من ذاتيتها الا فى لسانها القومى المعبر عن تفكيرها التلقائى ، ولقد صدق «جوستاف لوبون» حينما قال : (اذا استعبدت أمة ففى يدها مفتاح سجنها ما احتفظت بلغتها) . واننى لارجو أن يتحد رجالنا على خدمة اللغة العربية وتمهيد الطرق لنموها وتطورها ، حتى يضمنوا للمغرب وللاسلام فيه ، حياة عربية موحدة ، تستكمل ما بدأه أجدادنا من غرس ناجح للعروبة فى هذه الارض الحبيبة ، وبذلك تكمل وحدتنا اللغوية ، التى هى ضرورة لنا ولوحدة العالم العربى كله .

مشاكل العربية فى المغرب
وطريقة علاجها

قلت ان مشكلة العربية فى بلادنا مزمنة ، واعنى بذلك ان التعريب الذى بدأه أجدادنا لم يتم فى هذا الوطن ، فما يزال قسم من جبال المغرب لا يتكلم العربية ولا يتقن الكلام بها ، وهذا على العكس مما انتهى اليه الامر فى كل من تونس وليبيا والبلاد المشرقية ، وليس معنى هذا انى أدعو لمحو كل لهجة وطنية ، فذلك ما ليس ضروريا ، وانما أعنى انتشار اللغة الوطنية والدينية والادارية والتجارية فى جميع أوساط البلاد على أساس أنها لغة الاتصال بين مختلف ذوى اللهجات المحلية . وليس من المعقول ان يظل المواطنون فى جهة ما ، بحاجة الى من يخاطبهم بلغة غير لغة الدولة وأدهى

من ذلك أن نحتاج أحيانا الى أن نوجه اليهم الكلام بلغة من لغات المستعمرين الذين استعبدوا بلادنا وأرادوا أن تكون لغتهم هي لغة الربط بين مختلف العناصر القومية .

انني أوجه قبل كل شيء اللوم على أجدادنا من رجال العرب الذين حملوا رسالة الاسلام والعربية لهذا الوطن، فانهم عوضا عن أن ينكبوا على العمل لاكمال مهمتهم التاريخية المقدسة ، شغلوا أنفسهم بالتطاحن على الغنائم وعلى مقاعد الحكم . وخلفوا في وطننا مشاكل اجتماعية لا يمكننا أن نتجاهل مصدرها اذا كنا نريد أن نبحث عن الداء ونلتمس له الدواء .

لقد وصل آباؤنا الى المغرب ليؤدوا رسالة الاسلام كاملة ولكنهم سرعان ما اتصلوا بالجبال المغربية ، فاخذ الحاكمون منهم يتملقون الجمهور ويبذلون أقصى الجهد لرضاته في سبيل الاستعانة به على خصومهم السياسيين ـ واشتغل الاشراف وذرية الصالحين منهم بتكوين ارستوقراطية خاصة لا تعنى بغير الاستغلال للشعب والإستفادة منه باسم الصلاح الموروث والسلالة المقدسة . وهكذا لم يواصل الابناء ما عمل له الآباء من نشر للدين وللغة القرآن في هذه الربوع ، ولولا طائفة من رجال العلم الذين وفوا للميراث النبوي الذي ورثوه ، ولولا هذه المعاهد والزوايا التي كان يؤسسها أولئك المخلصون ، ولولا الجهود التي بذلتها الدولتان البربريتان المرابطية والموحدية في خدمة العربية ، لكان الامر اخطر مما هو عليه الآن . ولدخلت العربية في خبر كان في المغرب .

وقد زاد في الطين بلة ، الاضطراب الذي صاحب المغرب في تاريخه كله والذي انتهى الى تباعد الاتصال الفردي بين مختلف الاقاليم المغربية ثم انعزال بعض الجبال التي وان احتفظت بارتباطها السياسي بالدولة فقد عاشت اجيالا حياة خاصة بها تتطور في دائرة العزلة وتنسى ما عرفته من العربية التي لا يبقى لها وجود في غير المسجد والكتاب القرآني وعلى ألسنة بعض الفقهاء . (وبعض المشارطين) .

فاذا أضفنا الى هذا وذاك ، تلك العلة التي صاحبت الثقافة العربية في كل انحاء العالم ، وهي انها تطورت في دائرة ضيقة من العلماء واللغويين والمفكرين . وبمعزل عن عامة الشعب ، الامر الذي ادى الى خلق ازدواج لغوي بين لغة الكتابة ولغة الحديث ، عرفنا حقيقة الازمان الذي اشرت اليه في مرضنا اللغوي ، وعرفنا كيف يجب أن نواجه المشكل على حقيقته لاصلاحه .

ثم هاجم الاستعمار التركي سائر بلاد العرب ما عدا المغرب . فاضعف ذلك العربية في مراكز ازدهارها في بغداد والقاهرة ودمشق ، في الوقت الذي أفل فيه نجم الاسلام والعربية في الاندلس ، وبقي المغرب لنفسه يقاوم تيار العجمة الذي يهاجمه من الداخل ومن الخارج، ومن الحق أنه قد انتصر عليه أو أوقفه على الاقل في أضيق حدوده . ولكنه لم يستطع أن يقوم بالمهمة على الوجه الذي كان من الممكن أن يقوم بها لو استمرت الاندلس في تقدمها ومراكز الشرق العربي في تفتحها، ومع ذلك فان صناعة الانشاء انحصرت في المغرب في القرن الماضي حسبما شهد بذلك بيرم التونسي الرحالة الذي جاب الآفاق ودرس المجتمعات العربية المختلفة .

وكانت لنكبة الاندلس آثارها المسترسلة على بلادنا فان الاسبانيين لم يقتصروا على حدود الاندلس الطبيعية ولكنهم تطلعوا الى التغلغل في بلادنا حيث بدأوا يقصون من أطراف أرضنا ، وهكذا نزلوا الى سبتة والى مليلية والى مراكز في الريف وفي الصحراء المغربية ، حيث أصبحت العربية في هذا الوسط المغربي مجرد لهجة عائلية في احياء عمالية مستعبدة .

ثم هجم الاستعمار الفرنسي على وطننا فيما هجم عليه من بلاد العرب ، ووجد نقط الضعف السابقة فحاول الاستفادة منها للقضاء على العربية وفرنسة البلاد .

ان الإستعمار اللغوي والثقافي ، طابع بارز في أساليب الاستعمار الغربي الحديثة أتبعها في كل الاوطان التي نكبت به ، وقد حاول المستعمرون دائما ان يجعلوا من شعوب المستعمرات أمما وأفرادا على صورة المستعمر وغراره ، فكانت لغة الفاتح هي المستعملة وحدها او مع اللهجات المحلية في كل مرافق الدولة وفي التعليم وفي المعابد احيانا ، وفي السياسة والتجارة بالاحرى ، وكان ابراز الاختلاف بين الطوائف المتساكنة في وطن ما ومحاولة تدخل المستعمر للربط

فيما بينها بحكمه وسياسته ولغته ، من الوسائل الفعالة في السيطرة على الشعوب والهيمنة على مصيرها.

وبهذه الروح بدأ المستعمرون الفرنسيون والاسبانيون عملهم في المغرب . فكانت الفرنسية والاسبانية لغة التعليم الاساسية في كل المدارس التي تخرج الموظفين والمساعدين للدولة .

وكانت الادارات الحاكمة كلها لا تتكلم الا الفرنسية وهي العالم الذي يجد فيه العربي الحاجة الى ترجمان حسب تعبير الشاعر العربي .

ولن ننسى أبدا أننا كنا نضطر دائما الى التقدم للترجمان الحر الذي يجلس على الطاولة في مباح ادارة البريد ليكتب لنا عنوان رسائلنا الى اخواننا داخل المغرب أو خارجه بالحروف اللاتينية مقابل بعض الفلوس التي نعطيها له والتي سماها بعض الظرفاء آنذاك بضريبة الجهل باللغة الاجنبية .

وكان المستعمرون الى جانب ذلك يبثون في أذهان النخبة من رجالنا وطلبتنا ان الفرنسية مثلا ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها . لان العربية لا تتسع لدراسة العلوم وللتعبير عن الافكار ، وليس لها ما للفرنسية من المرونة ومن القدرة على الاداء ، ولكثرة ما قيل هذا الكلام وكرر ، ولكثرة ما حيل بين المثقفين من اخواننا وبين لغتهم الاصلية ، ولكثرة ما فسر لهم الجهل الذي يشعرون به بالعربية بنقص في اللغة نفسها ، اصبحت فئة من النخبة المغربية التي تحمل شهادات عليا . تومن بتلك الاغلوطة المندسة ، حتى كتب الشرايبي في كتاب له بالفرنسية ان العربية لا يمكن أن تكون لغة المخاطبة للمغاربة ، لانهم لا يفهمون العامية فأحرى الفصحى التي تضيق عن التعبير عن الافكار والمقاصد ، وهذا ما جعل قسما من المعلمين يناقشوننا في أيام دعوتنا الاولى للتعريب بعد الاستقلال . بعجز العربية عن اداء المهمة التي تقوم بها الفرنسية .

وقد زاد المستعمرون بعد الاستقلال دعاية أخرى ، وهي تخويف المعلمين المغاربة الذين يعلمون الفرنسية في المدارس المغربية من ضياع مستقبلهم فيما لو أصبحت العربية لغة التعليم في جميع مواد الدراسة المغربية ، وهو وان كان تخويفا في غير محله . فانه قد اثر في بعض اخواننا الذين لم يتأخروا عن مجادلتنا بهذه الحجة في كثير من المناسبات ، أذكر منها مناسبة المحاضرة التي القيتها بنادي الامل في الدار البيضاء منذ بضعة أعوام .

على أن المستعمر لم يقف عمله لهدم العربية عند فرنسة التعليم والادارة ووسائل النشاط العام ، ولا عند الدعايات المختلفة والتي تلبس لكل ساعة لبوسها ولكنه تجاوز ذلك الى محاولته الاجرامية لخلق مجتمع بعيد عن العربية وعن الاسلام . وذلك حينما وضع خطوط السياسة البربرية التي تبلورت في الظهير البربري المؤرخ بـ 16 ماي 1930 والقرارات والمنشورات التي أعقبت تنفيذه .

ولقد شرحت في رسالة خاصة مطبوعة بمصر ، عناصر السياسة البربرية ومظاهر تطبيقها ، وتتلخص في نقط ثلاث :

1 ـ مقاومة الاسلام وتمسيح البربر .

2 ـ مقاومة الشريعة الاسلامية عن طريق احياء الاعراف المحلية والاتجاه نحو القانون الفرنسي والمحاكم الفرنسية .

3 ـ مقاومة اللغة العربية ، والحيلولة دون البربر وتعلمها والكلام بها .

فأما ما يرجع للنقطة الاولى ، فقد تجلت في تشجيع الكنيسة على عملها التبشيري الذي كانت تقوم بتوجيهه الاسقفية العامة في الرباط ونجد خبرها مفصلا في مجموعة مجلة المغرب الكاثوليكي التي كانت تصدر في العاصمة ، وفي محاولة الزام الشباب البربري الاتصال بالرهبان ولبس القبعة وغير ذلك من المظاهر الصبيانية التي كان يدفع اليها حلم الاب فوكو المتجبر . ومن أعظم مظاهره ـ وهو الذي يهمنا هنا ـ منع السلطة للعلماء وشيوخ الطرق المخلصين من القاء الدروس الدينية في المساجد وفي القبائل التي تدخل في اطار الظهير البربري ومن التجول فيها والاتصال بأفرادها واقفال العديد من المساجد والكتاتيب القرآنية وتشريد أئمتها والمشارطين فيها .

وأما مقاومة الشريعة فتتجلى طبعا في اقفال المحاكم الشرعية واحلال المحاكم العرفية محلها ، مع وضع هذه المحاكم تحت اشراف الحاكم الفرنسي الذي يقوم بوظيفة وكيل الدولة والترجمان الذي يقوم بوظيفة

كـــاتب الضبط واستعمال الفرنسية وحـــدها وهي اللهجة المحلية في كل أشغال المجلس العرفي ، وكتابة العقود في الزواج والطلاق والميـــراث وغيره بغـــير العربية .

أمـا البرنامج المتبـع في محـاربـــة العربيـــة في القبائل العرفية ، فهو محو العربية من برنامج التعليم مطلقا وتكوين المدرسة البربرية الفرنسية في جميـــع سلمها الابتدائي والثانوي ، وعدم استعمال العربية في أي اتصال مع البربر ، ومقاومة العطارين والمتجولين لئلا ينقلوا العربية الى الجبال ، ومراقبة الناس في الشوارع وفي كل مكان حتى لا يتكلمـــوا العربية مـــع أخذهم بالعقاب اذا فعلوا ، ووضـع النحـو والمعاجم للهجات المحلية وكتابتها بالحروف اللاتينية ، الى غير ذلك مـن التدابير التي اتخذها المستعمرون للتفرقة بين مواطنينا عن طريق محو الاسلام والقضاء على العربية .

ومن حسن الحظ أن الفرنسيين لـــم يستطيعوا ان ينجحوا موقتا وبطريق القوة ، الا فيما يرجع لاقـــرار المحاكم العرفية .

أما فيما يرجع للغة العربية والدين الاسلامي ، فقد قاوم الشعب في الجبال وفي الوهـــاد حتى انتصر على المستعمرين ، وانقلبت مجهوداتهم ضدا عليهم ، فاخواننا الامازيـــغ أشد تمسكا بالـــدين المحمدي وبالعـــربية والشريعة الاسلامية اليوم من كل شعب عداهم ، وذلك ما يجب أن يعد من مفاخرهم ومن مفاخر الامة الاسلامية كلهـــا .

لقد انتصرت العربية في الجبال ، وذلك بانتشارها رغم السدود الموضوعة في وجهها أيام الاستعمار ، وقد لاحظ الفرنسيون أنفسهم انتشار العربية من جهتين ، أولا عن طريق وفرة عدد المتكلمين بها الذي كاد يعـــم كل القبائل والقرى ، وثانيا ، عن طريق تسرب العديد من كلماتها في اللهجات البربرية التي أصبحت تفوق نصف الكلمات التي يشتمل عليها معجـم المفردات المستعملة في الحديث البربري .

لقد قاومنا السياسة البـربرية بكـــل مظاهرها ، وتسربنا في أشد أوقـــات الاستعمار الى المدارس التي أسسها المستعمر لتكـــون صرح بنـــاية الاستعمار ، فجعلنا منها والحمد لله قلاعا للعربية وللاسلام ، وانني لاحيي بهذه المناسبة اولئك الاخوان حواريي العـــروبة الاولين من طلبة معهد آزرو ، الذين عملوا هنا على مقاومة كيد المستعمر والمحافظة للبلاد على وحدتها وكيانها .

وكم أجدني سعيدا ومملوءا بالعزة والنخوة ، كلمـا زرت مدينة أزرو واجتمعت الى طلبة ثانويتها فوجدتهم جميعا يتحدثون بالفصحى ويناقشون بهـا في كـــل الموضوعات التي تهم بـلادنا ، وقلت : هـذه المدرسة التي أرادها الفرنسيون لتكون رمز نجـــاح سياستهم المفرقة أصبحت بفضل شهامة اخواننا الامازيغ رمـــز وحدة البلاد وتعلقها كلها بالعربية وبالاسلام .

لنتصور – لا قدر الله – ان المستعمرين نجحـــوا في تنفيذ خططهم الجهنمية ضد العروبة والدين المحمدي وتصوروا أن هذا البرنامج كان يحتـوي في جملة مـــا يحتوي عليه ، على توسيع منطقة هذه السياسة حـتى تشمل المغرب كله ، وذلك عن طريـق اصدار قرارات وزارية متواصلة تدخل في كل مناسبة الاقليـم الفلاني أو القبيلة الفلانية في عداد الاقاليم او القبائـــل ذات العرف البربري . لنتصور ذلك كله . ولنحمد الله على أننا قد نجحنـــا في مقاومة مجهوداتهـم ، ولنستبشر خيرا بمستقبل العربية في بلادنا ان شاء الله .

الميراث الاستعماري

لقد حصلنا على الاستقلال لهذا الجزء المهم من وطننا ، ولكننا ورثنا عن الاستعمار في هـذا الميـــدان مخلفات لا تقل أهمية عن المخلفات الخطيرة التي نكافحها ونكاد نقضي عليها .

فهناك المناطق غير المحررة ، ومن جملتها فيما يهمنا الآن سبتة ومليلية والجـزر الجعفرية ووادي الذهب . وقد وقعت الهيمنة اللغوية من طرف المستعمرين على هذه الجهات ، ولا يمكن ردها لحظيرة العروبة قبل أن تعود الى حظيرة الوطن ، ولكن والحق يقال ، كان من الممكن للدولة أن تبذل جهودا لنشر الثقـافة العربيـــة الاسلامية لمواطنينا في هذه المناطق ، عـن طريق فتـح مدارس ومعاهد مغربية بها ، ولو على أساس التبادل الثقافي الذي تنظمه اتفاقيات بيننـــا وبين الاسبان ، وكذلك تشجيع مجموعة من ابناء هذه المناطق المغربية المستعبدة على اتمام دروسهم في احـــدى المعـــاهد او الجامعات المغربية في القسم المحرر من وطننا .

والاخذ بطريقة التعاون الثقافى لا يمس أبدا موقفنا السياسى من هذه الاجزاء المغتصبة ، ولكن يساعد على الاحتفاظ بالروح القوميـــة فى وسط اخواننا ريثما يجعل الله لهم ولنا من الاستعمار مخرجا .

وهنالك قضيـــة شنقيط او موريطانيا المعروفـــة بفصاحة أبنائها وعلـــو كعبهم فى الادب العربى وفى الشعر ، وقد اقتطعها الاستعمار من المغرب ، واتبع فيها سياسة ادماج زمنا ما ، ثم قـــرر أخيرا أن يجعـــل دستورها ينص على أن الفرنسية هى لغتها الرسمية ، وبذلك وضع خطة لفرنستها النهائية باسم دستـــور واستقلال مزعومـــين لجمهورية اسلاميـــة مصطنعة . وواجب المغرب اذن للمحافظة على عروبة اقليم من أعز أقاليمه هو الكفاح المستمر لتحـــرير شنقيط وعودتها لحظيرة الوطن حيث يشملها ما يشمله من بعث واصلاح فى جميع الميادين .

وهنالك برنامج التعليم وسياسته التى كانت ترمى لفرنسة البلاد والقضاء على كيانها . وقد كان طبعا أن تبدأ الدولة بمجرد اعلان الاستقلال بالعمل على تحويل تلك السياسة وذلك البرنامج والاستعاضة عنها ببرنامج عربى وسياسة مغربية محض . وليس مـــن الممكن أن نتجاهل المجهودات التى بذلتها وزارات التربية والتعليم المتعاقبة لانجاز الرغبة الشعبية التى يشعر بالحاجـــة اليها الجميع . كما أنه ليس من الممكـــن أن نتجاهل الصعوبات التى تواجه عادة كل عمل ايجابى فى هذا القبيـــل .

فالخطط الاستعمارية مـــن التغلغل فى كيـــاننا ومن الاشتباك بمجارى الحياة والاعمال الحكومية ، الى الحد الذى تجعل كل اصلاح فى جانب مرتبطا بما يمكن أن يكون عليه الامر فى الجوانب الاخرى ، فما كـــان التعريب ليتم ومغربة الادارة ما لم يقع البت فيهما كما أن المغربة ما كانت لتتم الا اذا وجـــد التقنيون باللغـــة العربية ، وهذا ما لا يمكن أن يقـــع الا باصلاح نيابة التعليم وتكوين الاطارات بالعربية ، الامر الذى لا يمكن بدوره أن يتم الا اذا تقرر تعليم العلوم بالعربية فى كل درجات سلم التعليم، وهو ما لايتحقق الا بتخريج المعلمين والاساتذة بالعربية الامر الذى يستوجب تعريب التعليم العالى ، وهل يتـــم ذلك دون تكـــوين تعليم أساسى لتلامذتنا بالعربية ، وهل يقع تعريب الابتدائى وحـــده دون تعريب الثانوى ؟ وهل ينجز هذا كلـــه دون أن تقرر وزارة المالية ضرورة اعطـــاء التعليم وتعريبـــه الاولوية فى برامجها . وهل يمكن ذلـــك دون أن يقبل المشرفون على التعليم ضرورة المساهمة مـــع التخطيط الاقتصادى العام وادخال اعتبار الانتـــاج فى برامـــج التعليم ، وكل ذلك يستوجب اعتبارات لا حـــد لهـــا لمسائل توحيد التعليم وتنسيقه ، وتوزيـــع أقسامه . ووسائل تحويل التعليم الاصلى ، وما يكتنف ذلك كله من نقط يحوم حولها الجدل ويكثر فيها التأويل .

لقد واجه التعليم فى المغرب مشاكل لا يهمنا منهـــا الا الروح التى ملكت تفكير القائمين عليه . وهى : هـــل يجب البداية بتعميم التعليم ، أم باصلاحه ، وبعبارة أخرى هل يمكن تعميم التعليم واصلاحه دفعة واحـــدة أم لا يمكن ذلـــك . فاندفعت الحكـــومة اولا الى التعميم ثم أخذت تسير فى التعميم وفى الاصلاح ، وكان النظر فى أمر التعريب لا يعدو تجارب أولية ، فقد قرر تعريب بعض السنوات المدرسية . ثم وجدت الصعوبات أثناء الدخول للثانوى اذ احتاج التلامذة الى أخذ وقت لتصحيح ما عربوه حتى يسايروا الدروس الثـــانوية ، وتنبـــه المسؤولون بعد الى أن العقدة كامنة فى ايجـــاد المعلمين بالعربية ، وذلك ما سارت فيـــه الحكومة الآن سيرا حثيثا اذا واصلته فسيؤدى لا محـــالة الى النتيجـــة المطلوبة .

وانه لمن الواجب علينا أن نعترف بما بذلته وزارات التربية والتعليم المتعاقبة من جهود لتعريب التعليم أو تكوين أسس سياسة صحيحـــة للتعريب ، منوهـــين بما قامت به من أبحاث وذللت من صعوبات قد يستهين بها غيرنا ، أما نحن فنقدرها قدرها ولا نالوا جهدا فـــى التعريف بها . كما أن من الانصاف أن نبين ملاحظاتنا على المسؤولين فى هذه الوزارات بروح لا يقصد منهـــا غير المساهمة فى البناء والارشاد لوسائله .

فمن الحق ان نعترف بأن التعليـــم الابتدائى الاهلى كان فى شمال المغرب معربا اى ان مـــواد التعليـــم الابتدائى فى التعليم الاسلامى كان باللغـــة العربية ، وقد فهم المسؤولون توحيد مناطق المغرب فى التشريع وفى التوجيه على غير حقيقته . فعوضا مـــن أن يحتفظوا فى مدارس الشمـــال بالعربية وحدها فى الابتدائى . ريثما يتاح لهم تعريب التعليم فى جميع أجزاء البلاد ،

وفى جميع درجاته - أضافوا الفرنسية او الاسبانية الى العربية فى مدارس الطور الاول ونفس الساعات التى لها فى جنوب المغرب . وكان من الواجب أن تؤسس مجموعة مدرسية عصرية على غرار مدارس محمد الخامس أساس التعليم بها العربية ، ثم يعمل على تكثير عددها فى جميع انحاء المملكة بقدر ما تهيئه من معلمين ويرد الى مناهجها شيئا فشيئا ما كان موجودا من المدارس العربية الفرنسية او الفرنسية المحض ، ولكننا ذهبنا بعكس ذلك نعمم التعليم الفرنسى العربى فى عموم المغرب ، وننقل الفرنسية والاسبانية بسرعة الى شواهق جبالنا التى يجب أن نبذل كل جهد لنشر العربية فيها .

انه مهما تكن الجهود التى نبذلها للتعريب والتى تتحدث عنها ، فليس من الضرورى أن نواصل فتح المدارس باللسان الاجنبى ، ويجب أن نحل مشكلة المعلمين بالعربية بجميع الوسائل الممكنة .

ولاكون اكثر وضوحا ، أحب ان أزيد فى البيان فأقول : ان للتعريب جوانب عديدة يتناولها الباحثون اليوم عندنا ، ولكن هنالك جانبا لا يتنبه اليه الا القليل، وهو حماية طائفة من الاطفال الذين أسعدهم الحظ فلم يستعجموا من اول يوم وتلقينهم الدروس الاولى بالعربية وتوقيف الاسبانية والفرنسية عند الحد الذى وصل اليه الاستعمار ، ان فى ذلك الخطوة الاولى للتعريب الحقيقى لمجتمعنا .

وانى لاعلم ان هنالك مفكرين يثيرون هنا قضية تعدد اللغات فى التعليم الابتدائى واحرى ما يفرضه ، وسيعرضون علينا كل الحجج والادلة التى قيلت فى صحف الفرنسيين والانكليز والجمعيات التى أسست لفائدة التثنية اللغوية فى التعليم ولكننى أقول لهؤلاء جميعا . مهلا على رسلكم فان القضية التى يدافع عنها الفرنسيون ليست الا جانبا من جوانب الوحدة الاوربية التى يعمل لها جمهور قوى بدافع عوامل اقتصادية وسياسية لا وجود لها لدينا . ومهلا على رسلكم ايضا فاننى لا أريد أن أنقص من قيمة تعلم اللغات وآثارها على التقارب الانسانى والثقافى وعلى توسيع افق المعرفة عند الانسان ولكننا الآن فى مرحلة تدعونا الى الحذر والى العمل بجد لندافع عن وجودنا ، وان التجربة بينت أن الفرنسية او الاسبانية حينما تدخل للمدرسة الابتدائية مع العربية وبنفس الدرجات التى دخلت بها فى مدارسنا تصبح غولا تأكل العربية وتقتل الذوق العربى فى نفس التعليم ، وانى لا اجهل أن العربية فى طورها الحاضر لم تساير بعد فى اساليب تعلمها وتعليمها الطرق التى تعلم فيها تلك اللغات الاجنبية ، وذلك ما يوجب علينا أن نفسح للعربية المجال حتى تقف على قدميها ونفسح لابنائنا المجال حتى يخرجوا من الابتدائى وهم قادرون على حماية انفسهم وافكارهم الحماية اللغوية التى هى عنوان دوام الشخصية .

واذن فالواجب على الدولة ، أن تضع الى جانب المدارس العادية الآن ، تخطيطا لتأسيس مدارس عربية ليس لها من اللغات الا ما يمكن أن يكون فى مثيلاتها من المدارس فى البلاد التى تعنى بنفسها وبمقوماتها ثم تعمل على أن تجعل من هذه المدارس نقط الزيت التى تعم كل البلاد . وليس من المعقول أن ندع هذا النوع من التعليم لبعض المتطوعين من مؤسسى المدارس الحرة الاصلية ، أو الكتاتيب المجددة . وان كنا نقدر أهمية الدور الذى قامت وتقوم به هذه المدارس فى المحافظة على العربية وننوه تنويها عاطرا بالمساعدة التى تلقاها من ميزانية وزارة التربية الوطنية والتى لولاها لما استطاعت مواصلة أداء رسالتها على الوجه المرغوب فيه .

وما دمنا نتكلم على هذا الجانب من جوانب التعريب فيجب أن نتنبه الى ضرورة العمل على نشر العربية بكل الوسائل المثيرة والتى تدخل فى اطار التربية الاساسية ولا سيما فى الجبال البربرية ، وانى لاقترح على وزارة الانباء ، أن تنظم فى الاذاعة المغربية برنامجا يوميا لتعليم لغة الكلام العربية عن طريق الاثير لاسيما وان آلات الاستماع اليوم موزعة بكثرة فى كل البوادى ، فاذا أعطى قسم لتعليم لغة الكلام العربية ضمن الاذاعة فسيكون له اقبال كبير من اخواننا الذين يهمهم أن يتقنوا العربية فى الجبال .

على أن الاذاعة تستطيع أن تقوم بدور فعال فى تحسين لغة الكلام ، وفى اذاعة المفردات التقنية ، وكذلك التمثيل والسينما وغيرها من وسائل الدعاية التى سهلت الاتصال بين الناس .

وأيضا فان العناية بالمعاهد الدينية والمساجد ، وتكوين المرشدين الاسلاميين الفصحاء ، ومساعدتهم

على القيام بمهمتهم داخل الاراضي المغربية لن يخدم الدين والخلق فقط ، ولكنه سينشر العربية ويعين على تعمق الجمهور لفهم مفرداتها ، انه ليس هنالك شيء ألصق بحياة الفرد وسلوكه كالدين الذى يتغلغل فى الفكر ويفرغه اللسان وتعمل به الجوارح . والعلماء والائمة المرشدون هم التراجمة الذين ينقلون فحوى ذلك وقالبه للفرد وللمجتمع .

مجهودنا بعد الاستقلال

لقد ورثنا بعد الحماية جهازا اداريا ضخما كان جل رجاله من الفرنسيين وكانت لغته هى الفرنسية وحدها، ولا تستعمل العربية الا فى حاجة تفهيم الاهالى بعض المسائل او ابلاغهم بعض الاوامر . ولقد بدأنا مغربة الادارة عن طريق حشد المثقفين وانصافهم من اخواننا وجلهم والحق يقال ممن درسوا الفرنسية ولم يتقنوا العربية الا قليلا ، ولكن المغربة لم تستطع ان تتم كلها لان اطاراتنا الفنية ضعيفة ، الامر الذى فرض علينا الاحتفاظ بقسط لا بأس به من الاجانب فى انتظار تكويننا السريع او البطيء . وقد خيل الى المسؤولين منا زمنا ، أن هذا التكوين يجب أن يكون بالفرنسية والفرنسية وحدها ، نظرا للفائدة المتوخاة لانه ما دمنا محتاجين الى عديد من الفنيين الاجانب وما دام هؤلاء فى ادارتنا فليس من المعقول أن نأتيهم بموظفين فنيين مغاربة متعلمين بغير الفرنسية او لا يعرفون الفرنسية، وهذا الخطأ فى التقدير ضيع علينا وقتا كان يجب أن نوزع فيه اخواننا على كل الجامعات وبكل اللغات . وفى انتظار وجودهم يجب أن ننفذ اسس التعريب التى لا بد منها ، حتى يدخلوا على أساس العمل بلغتهم واذا كان لا يزال هنالك اجانب فمن المستحسن أن يشجعوا على تعلم العربية ، او عند الضرورة تستعمل الترجمة فى أضيق حدودها .

واذن فالقضية قضية اقتدار الموظفين المغاربة الموجودين والذين سيوجدون ، على القيام بوظيفتهم باللغة العربية ، ولو كانوا قد درسوا فروع اختصاصهم بمختلف اللغات الاجنبية .

هذه ، الى جانب مجهود وزارة التربية هى نقطة البداية التي قامت بتنفيذها وزارة الوظيفة العمومية والاصلاح الادارى . وهى تكرة طالما راجت فى كتاباتنا وفى مناقشاتنا والتى دخلت ضمن برنامجنا . والمرحلة الاولى فى هذه الخطة حسب ما جاء فى مقدمة كتاب المراسلات الادارية الذى نشرته الوزارة وهى أن تقترح الوزارة على موظفى مختلف الادارات من مواطنين ومواطنات ان يعملوا على تسخير اللغة العربية واستعمالها كوسيلة واحدة فيما ينجزونه من اعمال ، فارضة على نفسها كذلك أن تعمل جادة فى رفع مستوى تكوين اولئك الموظفين حتى لا تبقى لغة التخاطب بينهم وبين المواطنين الذين يطرقون أبواب مكاتبهم الادارية فحسب ، بل لتصبح وحدها — من غير اى منافس — لغة المراسلة ولغة الاتصالات الادارية .

وقد أرادت الوزارة قبل كل شيء أن تحرر موظفيها من مركب النقص الذى يشعرون به نحو لغة بلادهم ونحو أنفسهم ، ونظمت فى سبيل ذلك مئات المراكز التعليمية لموظفى الاطارات الوسطى والثانوية ، وفرضت النجاح فيها كشرط لكل تقدم فى الاطار ، وستفرض ذلك نفسه على موظفى الاطارات العليا . ان هذه الخطوة الجريئة متى بلغت مداها ستساعد على تعريب الادارة فى أقرب وقت ممكن ، وستسهل على المتخرجين بالعربية او المتقنين للعربية العمل فى جو عربى لا تسد عليه العجمة باب التفتح والنمو .

ومن الانصاف أن نقول ان هذه الخطوة تفقد قيمتها اذا لم تتم الوزارة ما وعدت به من خطوات أخرى فى سبيل تعريب الادارة المغربية والقائمين عليها ولا سيما فى سبيل تعريب المسؤولين الكبار الذين يفكرون ويكتبون بالفرنسية ، فمن العار أن تظل المشروعات التى تعرض على الدولة تكتب بالفرنسية ثم تنقل بعد ذلك الى العربية ، واسلوبها الفرنسى باد فى اللغة وفى الفكر .

وكان يقف أمامنا القضاء العصرى بجميع جهازه . ذلك القضاء الذى ورثناه عن الاستعمار بقداسته واجراءاته ولغته وبقضاته الاجانب ايضا ، ومن حسن الحظ ان القانون الذى صادق عليه البرلمان أخيرا قضى بتعريب القضاء فى جميع درجاته فانتهت بذلك خرافة الضرورة الفنية فى هذا الجانب من نشاطنا القومى .

ومن حسن الحظ ايضا أن القسم العربى لكليتي الحقوق والآداب والمدرسة الادارية العربية بدأت تعد الكثير من

حملة شهاداتها بالعربية المحض أوالمختلطة ، ولكن هؤلاء انفسهم يظلون فى اثناء ممارستهم للعمل بحاجة الى جو عربى لا بد أن يساهموا فى خلقه ، ولا بد ان تكـون نية الحكومة متجهة بصفة جدية الى وجوده ، فالقوانين المغربية اليوم لم تجمع كلها ، ولم يعرب ما هو موجود منها . مع أن ذلك فى مقدمة الخطوات التى يجب أن يعمل لها المجاهدون فى سبيل التعريب بالمغرب .

مشاكل اللغـــة العربية

والآن لنعرض الى جانب آخر من جوانب العمل على ضمان مستقبل زاهر للعربية فى بلادنا وفى كل البلاد ، وهذا الجانب مهم جدا لانه يتعلـق بحيـــوية العربية ومقدرتها على التطـور ومسايرة روح العصر ، دون أن تنقطع الصلة بالماضى او تخرج عن روح الفلسفة اللغوية التى سايرتها دائما .

واذا نظرنا الى لغة العرب اليوم ، نجـــد من جهـــة العامية التى تتحدث بها كل بلـد أو اقليـم من أقـاليم العرب ، واللغة الفصحى القديمة التى تدرسها ثلة من المثقفين وتحتاج فى تفهمها الى حل المفردات ثم تجميـع المعنى المقصود ، من جهة ثانية ، وبينهما هذه الفصحى الحديثة التى هى لغة الكتابة والتحرير والخطابة ، التى هى فى الواقع محاولة ترمـــى الى المحافظة على اللغـة القديمة ورفع مستوى العامية اليها او كانها صلح ما بين العامية والفصحى .

وقد استطاعت اللغة العربية العصرية أن تحـافظ على الطابع العربى فى النحو وفى الاساليب البلاغية ، وبذلك يمكن ان يقال بهذا الاعتبار انها امتداد الفصحى القديمة فى شكل حديث او تعبير عربى عـــن أسلوب الحياة الجديدة ، ولكن هـــذه الفصحى الحديثة ليست تلقائية بالمعنى الذى يجب ان تكون عليه اللغة الذاتية ، ان فيها ولا شك نوعا من الاصطناع الذى أحـوج اليه الدرس والتعمق واكتناه أسرار اللغة ، وأحيانا التعبير عن الفكر الذى يفكر بلغة أخرى ، ومع ذلك فاذا نحن قارنا علاقة العربية الحديثة بلغة القرآن نجـــد الصلة متينة ومستمرة بعكس ما جـــرى للعبرية الحديثة التي ابتعدت كثيرا عن لغة التوراة ، لأن أدباء العربية والمعنيين بشؤونها اللغوية هم قبل كل شيء رجـــال العربيـة رجال اللغة ولا أسرارها .

ولغتها بعكس الواضعين للعبرية الحديثة فلم يكونوا من

والمسألة اليوم ، هى كيف يرتفع مستـــوى العربية الجديدة ويسع إفق دلالاتها حتى يشمل كـــل جوانب الحياة والنشاط العصرية مع المحافظة لها على هذه الصلة المتينة بالضاد القديمة وبالبيان القـرآنى المعجز ؟ ثـم كيف يمكن العمل لتصبح اللغة الفصحى الحديثة لغـه الخطاب والمعاملة فى الوقت الذى هى فيه لغة الكتابة والخطابة والتاليف .؟

وهذا ما يشغل المصلحين الذين يعنون بمصير اللغة العربية فى بلادنا وفى سائر بلاد العرب ، وقد أسست وزارة التربية الوطنيةمعهدا للتعريب (1) ليقوم بالبحث والدراسة لحل مشاكله وهـــو فى اتصال مستمر مـع المجهودات العربية فى البلدان الاخرى عن طريق المكتب الدائـم لمؤتمر التعريب وقد عقـد هذا المكتب عـــدة مؤتمرات للتعريب فى الرباط وأقرت مناهج عملـه فى اطار الجامعة العربية .

وقد قسم معهد التعريب ميادين العمل لصالح العربية الى قسمين : قسم داخلى للغة وقسم خارجى عن اللغة .

وسنجارى هذا التقسيم فيما نتناوله من بحث فـــى هذا الحديث .

القسم الداخلى

أ ــ الكتابة ، لقد شعر العرب منذ بداية النهضـــة الحديثة بالنقص الذى يجدونه فى الكتابة العربية التى تحتاج الى الشكل ، ولا يمكن قراءتها قراءة صحيحة الا به ، ولا يمكن للكاتب أن يشكل كتابته الا اذا كـــان عارفا بالنحو وقواعده ، بينما نجد اللغات الاجنبية اليوم يتقن اربابها القراءة والكتابة على الوجه الصحيح ولو لم يتبحروا فى معرفة اللغة ولم يتقنوا نحوها ، حتى انه يمكن للاجنبى الذى لا يعرف لغة ما من اللغات الراقية أن يتعلم القراءة فى مدة بسيطة ولو كان لا يفهم مـــا يقرأ ، هذه هى المشكلة مجملة ، وان تفصيلها يحتـــاج الى وقت لا يتم فى ظروف هذه الفصول .

الطبــاعـة

ومثل ما تقدم يقال فى الطباعة باللغة العربية وفى الآلة الكاتبة وكل اخراج عربى عن طريق الآلة .

وتطرح قضية الطباعة العربية مشكلتين أساسيتين :

---

(1) أحيل هذا المعهد الى مركـــز وطنى للتعـريب ليشمل نشاطه كل مرافق الدولة فى حقل التعريب .

1 - كيف يمكن للعربى أن يقرأ ليفهم ، لا أن يفهم ليقرأ .؟

2 - كيف يمكن ذلك وآلات العالم العيارية لا تحتوى على اكثر من 90 حرفا ، بينما شكل أبسط نص عربى يقتضى 475 حرفا ؟

فما هى طرق التغلب اذن على هذه الصعوبات ؟

لقد حاول الكماليون ان يتغلبوا على ذلك فى اللغة التركية بالغاء الحروف العربية واحلال الحروف اللاتينية محلها ، أليس من الممكن ان نعمل مثلهم فنتخلى عن الكتابة العربية ونعوضها بحروف لاتينية تبدأ من اليسار وتضع الحركات بجانب الحروف ؟ ذلك ما دعا اليه المبشرون والمستشرقون وبعض ذوى النيات الحسنة من العرب الذين لم يتسع أفق تفكيرهم للبحث عن تحسين الكتابة العربية بنفس الروح التى خلق بها أسلافنا هذه الحروف ثم نقطوها ثم شكلوها وسهلوا الى حد ما طريقة استعمالها .

وقد دعا عبد العزيز فهمى الى لاتينية الكتابة العربية جهرا فى أروقة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ولكن الاغلبية الساحقة من العرب رفضوا النظر فى هذا الاقتراح مقتنعين بأن تطبيقه سيضيع روح اللغة العربية ويفوت على العرب الاستفادة من تراثهم الضخم الذى تمتلىء به رفوف الخزائن الخاصة والعامة فى كل العالم ، وقد اعترف الاستاذ ماسينيون بأنه كان فكر على اثر ثورة كمال أتاتورك والغائه للحروف العربية فى تركيا أن من المناسب أن يصلح الايرانيون والعرب كتابتهم بطريق الاقتباس من الحروف اللاتينية ولكنه عاد فوجد أن لاتينية حروف الهجاء العربى يهدم أساس النحو العربي الذى هو الاعراب ويضيع على العربية سرها ، لان هذه اللغة السامية الخالصة لغة الشهادة يجب أن يحافظ عليها كما هى لتؤثر على تكوين عام حقيقى للغة العالمية المقبلة ، وترك الهجائية العربية يؤدى الى ضعف الخط العربى الذى هو فى الاسلام المجرد ، والذى يعيش اليوم من بغداد الى المغرب .

وهكذا فلم يعد محل للبحث عن لاتينية العربية وانما أخذ الباحثون يعملون على ايجاد اصلاح للكتابة العربية ، وللطباعة العربية يهمنا منه هنا الاصلاح المغربى الذى عرضه الاستاذ احمد الاخضر والذى كان نتيجة مجهود دام سبعة أعوام ، والذى اعتمدته فيما يظهر وزارة التربية الوطنية ، وإن كانت آثاره لم تظهر فى التطبيق بعد . ويقوم على أساس ضمان الحاجة العصرية دون المساس بسنة الكتابة العربية . وطريقة الاخضر هى أن الحروف العربية تنقسم الى ثلاثة عناصر : الحرف ، والصلة ، والالحاق ، وهذا الاخير انحصر فى ثلاثة انواع اى ثلاث مجموعات من الحروف :

الواحد : للباء والتاء والثاء والفاء والقاف والكاف واللام .

والآخر للجيم والحاء والخاء والراء والزاى والميم .

والثالثة للسين والشين والصاد والضاد والنون .

وهكذا نزل عدد الحروف الى تسعين حرفا بما معها من الحركات والعلامات الخطية ، والنقط والارقام والحروف ذات النقط الثلاث (ج ب ف) v p g وهكذا توصل المغرب الى حل مشكلة الكتابة فأصبح القارىء يجد نصوصا مشكولة مضبوطة حتى يتعود على النطق الصحيح للكلم العربية .

وسيمكن حل مشكلة آلة الطباعة ، اذا أمكن صنع آلة تحمل بالعربة ، وانخفض ثمن طابعة اللينوتيب وأصبحت كتابة العربية وقراءتها سهلة التناول ، سواء بالخط او بالطباعة .

ومنذ سنة 1958 ، إشترت وزارة التربية الوطنية من السيد الاخضر حقوق استعمال طريقته ، وستجعلها واجبة فى الكتب المدرسية اولا ، ثم بعد ذلك يمكن أن تصبح اجبارية فى الادارة وغيرها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ.
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ • مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ • إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ • إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ •

المصطلحات

أما فيما يخص المصطلحات والنحو فقد أسست وزارة التربية معهدا للنظر فى النهوض بها ، وذلك عن طريق وتجريد التراث العربى لاستخراج الالفاظ العربية التى تعنى بمسائل الحضارة، ، وهو عمل جليل وشاق لما يستوجبه من مطالعات وحفريات فى بطون الكتب والمعاجم المبعثرة .

وهذه البداية التى بدأ بها المعهد علمية بكل معنى الكلمة ، لانه يجب قبل كل شيء أن نعرف ما عندنا مما نحن محرومون منه ، ومتى تم الاستقصاء وخرجنا باحصاء شامل ، عرفنا ما ليس موجودا فى العربية من الكلمات الدالة على مدلولات لها فى لغات العجم اسم او أكثر ، وحينئذ ننتقل الى وسيلة سد الفراغ عن الطرق المستعملة عند الاجانب من تعريب ونحت واشتقاق أو رد العامى للاصل أو اتباع ما استعملته العامة مما ليس له أصل .

لقد سبق المغرب الشعوب العربية للعناية بهذا الموضوع وبحثه ، اذ لم يسبق لبلد عربى قبل المغرب أن اهتم بأمر تجريد التراث لاستخلاص عيوبه ، وانما يقع ذلك عرضا فى اثناء البحث للمعانى عن انسحابها والمدلولات على الكلمة الدالة عليها .

وهذا الجانب هو قسم المصطلحات العام ، اى الذى يتناول البحث فى معجم الحياة اليومية وما يعبر به كل فرد وكل شعب عن الاشياء المحتاج اليها من لباس وأثاث منزل وأدوات عمل ومرافق وتعابير جديدة او مدركات عصرية .

وقد لاحظ المعهد ان المغربى يجد فى اللغة الاجنبية ما يرضيه ولا يجد فى لغته ما يلبى رغبته ، وحينئذ يحار بين استعمال اللغة الاجنبية او اللغة العامية مخنطا بينهما . مع أن هنالك فى العربية ميدانا للعثور على الكلمات الصالحة لتأدية أفكاره . ولكن اللغة جزء لا يتجزأ او كائن حى واحد فان اعتنى به عاش وان ترك ضعف او مات .

ازدواج اللغة

وهذا الوضع الذى يثيره البحث فى معهد المصطلحات والنحو المغربى ، ينتقل بنا الى البحث فيما سماه بعض الباحثين العرب بالازدواج فى اللغة .ويعنى به هذا التعدد الذى أشرنا الى وجوده فى كل بلاد العرب ، وهو اللغة الفصحى واللغة العامية . ولتمييز الاولى عن الثانية طريقة النطق ، ثم طريقة تركيب الجمل ، الى جانب الإختلاف فى المعجم احيانا . وقد اوضح جورج زيدان فضل القرآن الكريم على بقاء وحدة اللغة العربية بين أقطار العرب ، اذ لولاه لاصبح اختلاف اللهجات الاقليمية التى تتطور كلماتها بحسب الاقليم الذى تنشأ فيه اختلافا عميقا فى اللغة مثل الاختلاف الذى أصاب لغات الغرب المشتقة من اللاتينية مثلا .

على أن وجود اللغتين يؤدى حتما الى وجود تفكيرين لأن اللغة هى قوالب الافكار . فكما أن هنالك لغة عامية يلزم أن يكون هنالك تفكير عامى او شعبى كما يلزم أن يكون بجانب اللغة الفصحى التى هى للخاصة تفكير خاص بطبقة راقية ، وخطورة المسألة فى وقوف التفكير الشعبى عند محاولة الكلام بالفصحى والتفكير بها .

ثم ان العامية فى كل اقليم تؤثر على أساليب الكاتبين بالفصحى ، فيؤثر كل كاتب الكلمات او الاسلوب الذى يوجهه فيه عقله الباطن لانه يتذوق

أكثر من كل كلمة او أسلوب آخر . وهذا مـــا يجعل اخواننا العرب لا يقدرون الترسل المغربى أو الاستعمال المغربى لبعض الكلمات او الجمل ، بينما نجد نحـــن غرابة فى بعض أساليب او كلمات الكتـــاب اللبنانيين ونفاضل بينهم وبين الشاميين او المصريين على قدر مـا يقتربون منا او يبتعدون ، وقد وصل الامر الى حد ان مؤلف الروائع حكم على المغاربة بالعجمة مطلقا لانه لـــم يستطع ان يعلل المغايرة التى فى اسلوب ابـن خلدون لاسلوب السيد الفاضل ، مع أن الفيلسوف المغربـى يرجع الفضل فى توجيه الانشاء العربى هذه الوجهـــة التى تلقفها المحدثون وحسنوها ، ولولاه لبقيت العربية غارقة فى طرائف السجع المتكلف والتراكيب الجوفـاء التى يصدق عليها تعبير المعرى : أسمع جعجعة ولا أرى طحنـــا .

وقد انصف الاستاذ الزيات فى كتابه (دفاع عـــن البلاغة) حين قال وهو يعرض التطـور الـــذى اصاب العربية : وآثر النابغون مـــن خريجى المدارس المدنية الحديثة الذين وقفـــوا على آداب الفـــرنجة الطريقـة الخلدونية على الطريقة الفاضلية لجريانها مـع الطبـع وملاءمتها لروح العصر ومشابهتها لاساليب الغـــرب فظهرت مهذبة عذبة فيما كتب قاسم أمين وفتحى زغلول ولطفى السيد ومن جرى مجراهم الخ .

وكما ان للعامية نفوذا على الفكر اللغوى العربى فلها نفوذ على النطق إيضا حيث نجد اخـــواننا المصريين ينطقون الجيم جيما معقودة بينما صحراء المغرب وصعيد مصر ينطق القاف معقودة . واذا كانت هذه تتفق مـع استعمال بعض العرب الذين قال شاعرهم :

حج الحجيج وناقتى معقولة   يارب يامولاى فك عقالها

فان الجيم المعقودة عامية محض ، كما أن من العامية نطق القاف آفا وعدم التفرقة بين الشين والسين ، او الجيم والزاى .

ومن الملاحظ أن هذه العثرات فى العامية تتطـــور وتنتقل من حرف الى آخر .

فقد كان المعروف فى فاس هـو الخلط بين السين والشين . ولكن هذه الآفة ذهبت لتحل محلها آفة أقبح منها وهى نطق الهمزة قافا فيقـــال القمير عوضا عـــن الأمير والقرقان عوضا عن القرآن .

فاذا أضيف الى هذا الاختلاف الموجود فى الكتـابة وفى الارقام وفى الشهور الاعجمية مـا بـــين المشرق العربى والمغرب العربى عرفت أضرار الازدواج على وحدة اللغة وما تحدثه من اقليمية فى الفكر وفى الاتجاه .

فما هى الوسيلة اذن لتكوين نغـــة عربية موحـدة وسليمـة .؟

لقد كانت المدارس الفرنسية فى الشرق فى مقدمة من حمل الدعوة للاستغناء عن العربية الفصحى وكتابتها والاستعاضة عنها بالعامية وبالحروف اللاتينية ، وقد سبق أن نقلنا تراجع المسيو ماسينيون عن هذه الفكرة مع انه حمل رايتها زمنا ، ومن جملـــة المحاولات التى خرجت من المدارس الفرنسية فى لبنان ، الكتاب الذى نشرته المطبعة اليسوعية وألفه الأب رفائل نخله باللغة الفرنسية مع كتابة النصوص العربية بالحروف اللاتينية وغايته وضع قواعد ثابتة للهجة العامية فى لبنان .

وكذلك الكتاب الذى أخرجته المطبعة اليسوعية أيضا من تاليف الاب لاى اليسوعى وسماه التحفة العامية فى قصة فنيانوس وهى رواية باللغة العامية وتمثل ناحية هامة من حياة اللبنانيين (1)

ولقد أثار هنرى بيريس وضع الادب الشعبى العربى ودعا ايضا الى الإستعاضة بالعامية عن الفصحى وكـان الدكتور هيكل فى مقدمة الذين تأثروا أول عهده بهـذه الدعوة فدعا الى كتابة القصص والتمثيليات باللغة العامية ومن سوء الحظ أن قلـــة تشجيع الحكومات للتمثيـــل والسينما وعدم الاهتمام بتوجيههما الوجهـة الصحيحة حمل القائمين عليهما أن ينزلـــوا الى مستوى الرجـل العادى فيكتبوا له بالعامية ويستعملوا كل ما يمكن من تملق للغرائز وللاهواء . حتى أدى الامـــر الى اعتقـاد الكثيرين من اخواننا العرب بأن الشعب لا يفهم الفصحى او لا يتذوق مغازيها او انها هى غير صالحة للاعراب عن النكتة المقبولة والفكرة الشعبية المطلوبة . والـواقع أن القضية قضية اتقان وابداع فى الفن ، فقد شاهدنا عدة

---

(1) كتاب التبشير والاستعمار ص 221 تاليـــف مصطفى الخالدى وعمر فروخ .

روايات مما كتبه رجال الطليعة كنجيب حداد ومطران وزيدان ومصطفى كامل وعبد الله نديم باللغة الفصحى تمثل فى بلادنا وفى الشرق فيقبل عليها جمهورنا أكثر مما يقبل اليوم على القصص العامية على الرغم مما فى هذه من تهريج وتملق للغرائز .

وقد دعا الاب نخلة اللبنانى الى ما اختار تسميته بالادب الشفوى اى غير المكتوب ويعنى به أدب العامية . وعوضا عن ان ينبه الى مجرد الاهتمام باستخلاص الروح الشعبية من أمثال العامية وأغانيها ونكاتها التلقائية فقد أحب ان يسميه أدبا مع أن الادب لا تكفى فيه التلقائية بل لا بد من الفكر والمعرفة وهو ما يخرج عن نطاق العامة والعامية .

ويلاحظ فانسان مونطى ، ان المناقشة بين أنصار العامية والفصحى قد انبعثت من جديد على اثر مجهود الديموقراطيات الشعبية لرفع مستوى الفولكلور وما أحدثه من تاثير على شاطىء النيل اذ أصبح من بين الكتاب اليساريين انصار الادب العامى ويقول مونطى : ان للمسلمين فى روسيا اليوم 17 لغة (وطنية) ليست فى الحقيقة الا تجسيما كتابيا للهجات المتكلم بها . وقد الغيت اللغة العربية من الداغستان مع انها كانت لغته الثقافية حتى سنة 1914 ، وقد أراد ستالين حسب تعبيره الشهير فى 18 ماى 1925 تأسيس ثقافة ذات شكل وطنى على أن تكون ذات محتوى اشتراكى . (1)

وقد بحث أخيرا سلطانوف مسألة تكييف اللغة القومية فى البلاد العربية ولا سيما فى مصر سنة 1955 فدعا الى استعمال العامية فى كل ميدان لم تدخله بعد (المقال والخطابة السياسية والمآسى) (2)

ودعوة سلطانوف هذه ، أخطر من الدعوات السابقة لانها لا تريد رفع مستوى العامية للاحتفاظ بما فيها من معان شعبية ، ولكن يراد بها فصل الجمهور عن الفصحى ومحتواها واعطاء العامية محتوى خاصا وجديدا . وهو أشبه بالاصلاح الذى قام به الامام الجزولى فى المغرب لادخال التصوف والطرقية فى صميم الشعب فى عصره وهو ما يقوم به فريق من المبشرين المسيحيين فى

الكونغو والجابون ، حيث يقيمون حفلات شعبية باللهجات المحلية الغاية منها نشر الروح الكاثوليكية فى عادات وحياة السود .

على أن هذه الدعوة لم تجد قبولا من الشيوعيين أنفسهم فقد احتج الصينيون ضدا عليها بالصيغة الآتية : (ان حجج الذين يدعون لاستعمال اللهجات هى ما ياتى : حيث اننا نكتب حوادث لفئة ما ، ويستعمل الناس فيها نوعا من القول ، فيلزم من ذلك أن لن تكون له قوة التعبير الا اذا كتبت وامكنها الاعراب عن الاحساس بالحقيقة ، وقد كتب لاوشو أمن المجاز ؟ ان أحدا لا يفهم . واذا لم يفهمه أحد فهل يمكن الحديث عن المجاز . ان الاختيار او العبث بأخذ العامى يحكم بالنقص من قيمته لانه يلزم العرب أن يخلقوا أدبا جهويا) (3)

ويقول مؤلفا كتاب (التبشير والاستعمار) (4) ما يلى :

« وبعد أن قامت فكرة (الكتابة فى العامية بالحرف اللاتينى ، رجعت من جديد وتحت ستار «تسهيل اللغة» الى الاستيقاظ ، وآخر ما ظهر فى هذا الباب (تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقى جديد) تأليف الدكتور أنيس فريحة ، ولكن يبدو ان الدكتور أنيس فريحة يريد أمرا آخر . يريد أن يجعل من اللغة العربية الفصحى والحرف العربى مشكلتين يستحيل حلهما ، ولذلك هو يرى أن ينتقل العرب الى الكتابة العامية بالحرف اللاتينى ، انه يبسط رأيه هذا على منحنى كبير وشىء من التهكم كان يجب أن يترفع عنه من يدعو الى أساس منطقى جديد : انه يقول :

« يطالب مثلا بعض متبنى الحرف اللاتينى تسهيلا للقراءة وتخفيضا لنفقات الطباعة . ونحن من المومنين بهذه النظرية ، ولا نرى حلا للكتابة الا بتبنى الحرف اللاتينى وضبط الكلمات فيه مرة واحدة ... واما الذين لا يرون مشكلة فى الامر ، وهم من لم يمارسوا التعليم فيقولون : هؤلاء جماعة خارجون على العروبة وعلى الاسلام . ويطالب بعض الناس بتيسير قواعد العربية لتقرب من العامية أو لرفع العامية لتقرب من الفصحى فيتساءل البعض الآخر وهل العربية معقدة لنبسطها او

(1) مونطى ، كتابه عن مسلمى روسيا ص 83

(1) مونطى «العربية العصرية» ص 79

(2) مونطى ، العربية العصرية ص 78

(2) التبشير والاستعمار ص 223

سهلة لنيسرها ؟ انما أنتم جماعة خارجون على العروبة وعلى الاسلام .

« ولما ذا يثور الناس كلما طالبنا بالتيسير ؟ لما ذا يتهموننا بالخروج ؟ الامر بسيط لا يدركون ان هنالك مشكلة ، ولما ذا لا يدركون : الامر بسيط الجهل ، الجهل عدو العرب الاكبر» .

وعقب خالدى وفروخ على كلام فريحة ان الدعوة الى العامية والى الحرف اللاتينى معناها :

1 – خلق مشكلة لا حل مشكلة .

2 – قطع حاضر العرب ومستقبلهم بماضيهم .

3 – تنفيذ لمآرب تبشيرية استعمارية لأن الأمر بدأ بذلك ، ولا يمكن أن يكون سبب هذه الدعوة الآن غير سببها بالأمس .

4 – ان كثيرا من كتاب الدكتور فريحة لا صلة له بتبسيط العربية على الاطلاق ، كجدول ضمائر الاشارة مثلا ، ان الدكتور فريحة يقترح لاسماء الاشارة (ص 33 – 34) عددا أكبر من العدد الذى تثبته كتب النحو المدرسية . ان الدكتور فريحة يريد أن يبرز أشكالا كثيرة لضمائر الاشارة كما يسميها هو لكى يحسم مشاكل اللغة العربية الفصحى ومشاكل الكتابة بالحرف العربى توصلا الى الدفاع عن رأيه فى اتخاذ العامية لغة كتابة واحلال الحرف اللاتينى محل الحرف العربى فى الكتابة العربية . (2)

ومن الذين ردوا على هذه الدعاية التبشيرية طه حسين فقال :

« أحب أن ألفت نظر أدبائنا الذين يطالبون بالاتجاه الى اللهجات العامية الى شىء خطير ما أرى انهم قد فكروا فيه فأحسنوا التفكير . وهو أن العالم العربى الآن وكثيرا من أهل العالم الشرقى كله يفهم العربية الفصحى ويتخذها وسيلة للتعبير عن ذات نفسه ، وللتواصل الصحيح اللغوى بين أقطاره المتباعدة ، فلنحذر ان نشجع الكتابة باللهجات العامية فيمضى كل قطر فى لهجته . وتمضى هذه اللهجات فى التباعد والتبادر ، ويأتى يوم يحتاج فيه المصرى الى أن يترجم الى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق الى مثل ما يحتاج اليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية الى لهجاتهم ، كما يترجم الفرنسيون عن الايطاليين والاسبانيين وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسيين .

ولنسأل انفسنا آخر الامر ايهما خير أن تكون للعالم العربى كلمة واحدة وهى اللغة الفصحى يفهمها أهل مراكش كما يفهمها أهل العراق ، أم تكون لهذا العالم لغات بعدد الاقطار التى تأتلف منها ، وان يترجم بعضه عن بعض ، كما يترجم بعض الاوربيين عن بعض ،أما أنا فاوثر وحدة اللغة . واثق الثقة كلها بان لها النصر آخر الامر وأرى غير متردد أن وحدة اللغة هذه خليقة بان يجاهد فى سبيلها المومنون بها وبأن يضحوا فى سبيلها بكل ما يملكون » . (3)

ولنسأل أنفسنا نحن مع طه ، لو لم يكن انتاج العرب فى المشرق فى الحقبة الاخيرة حيث كنا لا نزال تحت ضغط الاستعمار الذى يمنعنا من كل حرية فى النشر وفى الحركة ، ما ذا كان سيصبح عليه مصير اتجاهنا ؟ ماذا سيصير لو تركنا الثقافة الاسبانية أو الفرنسية وحدها ؟

واذن فالمعركة قائمة مع الذين يشايعون المستعمرين فى الدعوة الى التخلى عن الفصحى واستعمال اللغة الاقليمية العامية . واذا كان سببها الاصيل هو ما يرمى اليه المستعمر من تفرقة وفصل بين العرب وبين تراثهم فان الذين انتحلوا رأيه من العرب لم يأخذوه عن خيانة أو رغبة فى خدمة الاجنبى ، كلا بل هنالك أسباب أخرى فى مقدمتها الحتمية التى جعلتهم ييأسون من لغتهم ويعتقدون أنه لا سبيل الى التقدم الا عن طريق اطراحها وخلق لغة جديدة لا نسب لها ، ثم التقليد الاعمى لكل ما وقع عليه التطور فى الغرب ، فهنالك اللاتينية التى كانت لغة المجموعة الاوربية الغربية بما فيها انكلترا قد

---

(1) تبسيط قواعد العربية ص 77 .

(2) التبشير والاستعمار ص 224 .

(3) طه حسين مجلة الحصاد عدد 1 ص 26 .

أصبحت مصدرا تاريخيا للغات الحية الراقية فى الغرب كالفرنسيــة والايطـالية والاسبـانية والبـرتغـالية ، بينما لم تكن هذه الا وحدات من لهجات وجدها العرب يوم فتحوا اسبانيا وبلاد الغال ، وقد تغلبت فى فرنسا مثلا لغة جزيرة فرنسا وهى المنطقة التى فيها باريز.

ولكنهم حين يقارنون بين العرب وبين اوربا فى عهدها اللاتينى ، وبين عهد هذا اليوم والعهد الذى يريــدونه لبلادنا غدا ، انهم حين يفعلون ذلك لا يتعمقــون فى دراسة الواقع فى بلاد اوربة نفسها . فهــل استطاعت قومية اللغة او اللغة القومية الخاصة ان تمنع من قيام لهجات اقليمية تفرض عليها اللغة الوطنية فرضا بحكم مواد الدستور ؟ هذه واحدة والثانية هل سلمت اللغـة الوطنية نفسها فى كل البلاد من وجود عامية تقــل او تكثر الفوارق بينها وبين الوطنية اى الفصحى بحسب البلاد والمجتمعات ، وهذه ثانية واما الثالثة فهى هــل استغنت اوربا فى مرحلتها الحاضرة عن لغة موحدة بين دولها ؟ وهل لم تشعر اليوم بخسارة التجــربة التى قامت بها فى عهود الوطنية الضيقة .؟

فاذا نظرنا الى فرنسا نجد ان بها عدة لغات اقليمية لم يستطع اختيار اللغة الوطنية أن يقضى عليها ، فثم لغة الباسك التى يتكلم بها قبائل الواسكون القاطنون فى البلاد من أقدم العصــور وهم الذين سمــوا اسبانيا بفسكونية . وهذه القبائل يقطن عشرات الآلاف منهــا فرنسا ونحو المليون ما يــزال فى شمال اسبــانيا ، وهناك اللغة البروفنسالية وبها عدة لهجات (باتو) وهى لسان سكان القرى فى العمالات الجنوبية وفى ضواحى مرسيليا ، واللغة البروطانية وهى بقية من لغة السلت ويتكلم بها أزيد من مليــونى فرنسى غربى فرنسا . وثمة لغة الفلامند ويتكلم بها مئات الآلاف مــن سكان الشمال ، ومثل ذلك يقال عن اسبانيا والبرتغال وجل اقطار العالم . ويصل الفرق فى هذه البلاد الى حد أن سكان القرى البعيدة لا تستطيع ان تفهم اللغة الوطنية التى يتكلم بها الباريسيون وعامة الفرنسيين الا بحكــم الدراسة والتعليم . اذ اللغة الأم بالنسبة اليهــم هى اللغة المحلية التى تخاطبهم بها أمهاتهم ويسمعونها فــى حياتهم الخاصة . وحينما وقع تدوين اللغــة الوطنية اقتصر عليها كلغة رسمية ولــم يسمح لواحدة مــن اللهجات الاخرى بالتدوين ولا اذن للاقاليم حتى باصدار جريدة بلغتهم الخاصة . بل انهم محوا ما كان مكتوبـا بلغة الباسك تعصبا منهم للغة القــومية ومحافظة على كيانها .

واللغة الفرنسية نفسها على الرغم من كونها أصبحت قومية ورسمية فى كل فرنسا لم تسلم من وجود الفرق بين لغة الكلام الذى يتحدث به عامة الشعب وبين لغـة الادب والكتابة ، وذلك مظهر عام لكل اللغات تقريبا . وقد بين بلومفيولد ان لكل لغة ثلاث مستويات عـال ومتوسط وشعبى . (1)

ويقول كمال الحاج (2) : « ومن هنا تنبه الكثيرون من علماء اللغة المتبصرين فى أمــور الفلسفة أيضا الى هذه الازدواجية فى نفس الانسان . الامر الذى يحتـم على كل لغة بشرية ثنائية العامية والفصحى ، لا شـك فى أن هذه الثنائية على درجات ولكنها كائنة فى لغـات البشر كلهم ، لذا يقول منديس ما يلى :

ينحصر الفرق الاساسى بين اللغة العاطفية واللغة المنطقية ، فى تكوين الجملة ، هذا الفرق يبين تمـاما عندما تقارن اللغة المكتوبة باللغـة المحكية هــاتـان اللغتان المكتوبة والمحكيــة ، تبتعدان فــى الفرنسية احداهما عن الاخرى ، الى حد ان الفرنسيين لا يتكلمون اطلاقا كما يكتبون ، ولا يكتبون كما يتكلمون ، الا نادرا لكل حالة اختلاف فى ترتيب الكلمات الى جانب اختلاف المفردات ، ان الترتيب المنطقى الذى تسلك فيه كلمات الجملة المكتوبة يتعطل دائما فى الجملة المحكية قليـلا أو كثيرا ، فمن اللغة المكتوبة مثل هذه الجمل :

Il faut venir vite, quant à moi je n'ai pas le temps de penser à cette affaire.
Cette mère déteste son enfant.

تتخذ هذه الجمل معظم الاحايين – فى اللغة المحكية صيغة مختلفة كل الاختلاف فيقال :

Venez vite. Du temps, voyons est-ce que j'en ai, moi, pour penser à cette affaire-là. Son enfant ! mais elle le déteste, cette mère (1)

وينقل جوستاف لوبون من كلام بركهارد مـا يلى : « وتجد اختلافا كبيرا . لا ريب فى لهجات اللغــة

(1) مونيطى ، العربية العصرية ص 82 . (2) كمال الحاج ، فلسفة اللغة ص 238 .

العربية العامية اكثر مما فى اية لغة أخرى على مايحتمل، ولكن لا يصعب عليك ان تفهمها جميعها اذا ما تعلمت احداها ، وذلك على الرغم من اتساع البلدان التى يتكلم أهلوها بها وهى الواقعة بين مدينة الصويرة ومدينة مسقط . وقد يكون لاختلاف طبيعة البلدان تأثير فى اختلاف تلك اللهجات التى هى عذبة فى أودية مصر والعراق الدنيا ، وجافة فى بلاد البربر وسورية واعظم فرق كما أعلم ، هو ما بين لهجة المغاربة فى مراكش ولهجة الاعراب فى مكة والحجاز . ولكن هذا الفرق بين تينك اللهجتين لا يزيد على اختلاف لهجة فلاحى سوراب (جنوب المانيا) عن لهجة فلاحى سكسونية (شمال المانيا) . (2)

وقد بين فيراميل ان اللغة الباريسية تقترب فيها لغة القول من لغة الكتابة الى حد لا يمكن معه ادعاء الازدواج مثل ما هو فى اللغات الاخرى .

واذن فليس من الضرورى أن يكون هنالك ازدواج بكل معنى الكلمة ، كما ان وجوده لا يستدعى اهمال اللغة الفصحى واحلال العامية محلها ، لان هذه لو حلت محلها لاستدعت فى الغالب تكوين لغة عامية فصحى وأخرى عامية .

على أننا اذا نظرنا فى الاغانى الشعبية وخاصة فى الزجل نجد نوع افتراق بين لغة النظم وبين الكلام العادى الذى يتخاطب به الناس ، الامر الذى يبين أن العقل متى تدخل فى القول جدده ورصفه وخرج به عن لغة الكلام المعتاد .

وفيما يخص المسألة الثالثة ، نجد اوربا الان بعد أن تخطت مرحلة الوطنية الضيقة تشعر بحاجة الى اعادة الوحدة الاوربية لما كانت عليه فى الماضى ، وهى تبحث فيما تبحث مسألة تكوين لغة موحدة يتعلمها الابناء الاوربيون بجانب لغتهم القومية حتى يمكن التخاطب بها بين أبناء أوربا جميعا ، وذلك ما قام به الروسيون فى الاتحاد السوفياتى حيث جعلوا لغتهم الموحدة لمختلف القوميات السوفياتية . ولو انهم كانوا احتفظوا باللاتينية كما كانت عليه قبل عهد القوميات لوجدوها الان سببا فى نجاح وحدتهم وعاملا قويا فى اثبات كيانهم .

ولقد حاول بعض الاجتماعيين ومن بينهم هانوتو أن يؤكدوا عدم حاجة المجموعة البشرية الى لغة واحدة لكى تتحد ، معطيا الاتحاد السويسرى كدليل على ذلك . واذا كان هذا صحيحا من الناحية القانونية ، فان المعنويات تظل مفككة . والاتحاد السويسرى لو أنه أصيب بأزمة خارجة عنه ، وزالت عنه الحماية الدولية التى تقضى بها المحافظة على التوازن بين دول الغرب الكبرى ، لو وقع ذلك وعملت كل دولة مجاورة لاحدى الوحدات السويسرية على جرها اليها لما وجدت صعوبة فى أن تندمج تلك الوحدة مع البلاد التى ترتبط واياها برباط اللغة والدين . ولقد وقعت على اثر مأساة الكونغو رجة فى بلجيكا عرضت وحدتها للافتراق ، اذ تكونت فى كل من والونى والفلامنك حركة محلية هددت بتكوين حكم ذاتى خاص .

فاللغة اذن شيء ضرورى كعامل ربط وتوحيد بين العناصر التى تتكون منها الامة أو الامم التى يتكون منها الاتحاد ، وذلك ما عناه جوليان بانـدا فى مقاله عن الروح الاوربية اذ يقول :

اذا كنا نعمل على أن نزود الغرب بوحدة روحية ، علينا أن نجند الحملات فى سبيل انشاء لغة غربية ، أعنى لغة تضاف الى لغات مختلف القوميات الغربية ، بدون ان تحدث التخريب فى هذه اللغات . يكون مثلها مثل الفرنسية التى أضيفت الى البيكاردية والبروفنسالية ... ومثل الانكليزية التى أضيفت الى الغالية والايكوسية ، هذه اللغة يتلقنها الاولاد جنبا الى جنب مع لغة بلادهم . مثلهم مثل اولاد عائلات مثقفات كثيرة فى الغرب ، يتعلمون الافرنسية لمدة طويلة بالاضافة الى لغتهم القومية . (1) وهكذا نرى أن اوربة التى يريد القوم أن يقتفوا اثر افتراقها ويطالبوا بأن تكون العربية لاتينية والعامية لغة كل اقليم من أقاليمهم ، رجعت الى نفسها تبحث عن وسيلة تنقذها من الفرقة وتجمع شملها فلم يتم لها ذلك بغير البحث عن لغة

---

(1) فاندريز — اللسان ص 171.

(2) جوستاف لوبون ، حضارة العرب ترجمة زعيتر ص 532 . ونقل ذلك كله الحاج ص 239 من فلسفة اللغة ،

الربط التى تصل بين وحداتها وتكــون هى غايتها . لا ادرى كيف يفكر بعض العرب بعد ما شاهدوا هــذه التجارب الاجنبية بالتخلي عن الفصحى وتكوين اللغــة الاقليمية الخاصة ؟ مع أن المجهود الذى نبذله لتعميم الفصحى وتوحيد التعليم بها أقل بكثير مما يتطلبه خلق لغة جديدة من ألفها الى يائها ، ان كل ما يتطلبه منــا الحال ، هو اصلاح فى الاساليب وعدم شغل أطفــالنا باللغة الاجنبية قبل أن يكتمل وعيهم بلغة الام .

ثنائية اللغة

وهذا ما يدور بنا عودا على بدء . للحديث عن ثنائية اللغة ، أو على التحقيق عن العناية التى نوليها فى كـل مراحل تعليمنا للغة الاجنبية . ولست فى حــاجة الى تكرير ما قلته فى صدر هــذه المحاضرة مــن ضرورة احتكار الوقت فى التعليــم الابتدائى للغـــة العربية ، واعطاء القسط المعقول للغة او اكثر من اللغات الاجنبية فى التعليم الثانوى او العالى ، مثلما هو الواقع فى جميع البلدان الاجنبية . وان من يتجول فى الدول الراقية مثل انكلترا او امريكا وروسيا واسبانيا يشعر تمــاما بان الاغلبية الساحقة فى هذه الامم لا تفكر فى اتقان غــير اللغة الام ولا تشغل نفسها بغيرها ، بل انهــا جميعا تفرض عليك أنت الذى تقدم لبلادها أن تخاطبها بلغتها، أما نحن فاننا بعكس ذلك نعتبر ضعفا فى ثقافتنا وفى وجودنا أن لا نعرف لغة المحتلين لنا . لقد عمل الاجنبى لذلك مدة طويلة اذ كان يقصر كل الوظائف على مــن يتقن هذه اللغة . أما اليوم فمن الخذلان أن نظل حيث وضعنا الاجنبى .

لقد لاحظ أحد خبراء التعليم اللبنانى السيد تيصر نصر ان ثنائية اللغة تكون عند الطفل انحطاطا نفسيا. ويقول مونطى : الواقع ان المجهود الذى يطلبه اللسان الثانى ينقص جدا من استعداد الطفل العقلى الذى كان يجب أن يقتصر على دراسة اللسان الاول . ويقول لوزيه أحد علماء النفس الفرنسيين (ان نمــو الطفــل العقلى لا يتضاعف ، ولكن ينزل الى النصف ، وبما أنــه غير قادر على التفرقة بين اللغتين ، يحفظ الاثنــين دون أن يتحلى بعبقرية لغته الخاصة .

ولكن التجربة الاستعمارية أكثر من ذلــك ، اذ انها أدت الى انحطاط العربية والاكتفــاء باللسان الاجنبى حتى وجد مثل الشرايبى الذى كــان يطالب بمخاطبة الشعب بالفرنسية فى المغرب وعديد مــن اللبنانيــين الذين آثروا الكتابة بالفرنسية او الانكليزية غير عابئين بمن ينتقدهم من أبناء وطنهم . ومثل محمد عكون الذى يطالب فى اثناء الكفاح القومى فى الجزائر بثلاثية لغوية فى الشمال الافريقى ، العربيــة والفرنسية واللاتينية ويأسى لتاريخنا الثقافى بزعمه . (2)

فتقهقر اللغة العربية ازاء لغة المستعمرين شىء طبيعى ما دام كل وجوه النشاط الانسانى مقصورا على اللغــة الاجنبية وما دامت العربية تعــامل معاملة الايتام فى مأدبة اللئام ، وذلك ما اعترف به وليام مرسى فى هذه الفقرة التى نقلها عنه مونطى فى كتاب العربية العصرية. والتى يعبر بها عما يشعر به من حال المغرب العربى : انه ليس عمليا ولا منطقيا وقليلا ما يقع ، أن يبقى لسانا تعبير عن حضارة متعايشين وقتا طويلا فى بلد واحد ، فاذا كان المتزاحمان يملكان حرمة واحدة ويعبران عــن شىء واحد بصفة محسوسة ، ويعرب عنه جيدا الواحد والآخر ، فقد تساعد أسباب عاطفية على اطالة تضييــع هذه القوى . أما اذا كانت احدى اللغتين لسان الحاكمين، وهو الذى يفتح الباب للدخول الى حظيرة حضارة عصرية كبرى ، فمن الواضح أن تقترب التعبيرات المكتوبة مع التعبيرات المحكية للفكر الى أقصى ما يمكن، بينما يبقى الآخر لغة المحكومين يعبر فى وسط كتابة عن مثالية من العصور الوسطى، ويختلف حين يكتب عنه حين يعبر. فان وضع اللغتين يصبح حينئذ غــير متساو . فيستطيع الاول ان يرجع الثانى القهقرى) ويبنى على ذلك « جان ليسرف » ان تقهقر العربية ازاء لغة أو أكثر من اللغات الاجنبية يعنى تقهقر الفكرة الوطنية . وفكرة الوطــن العربى تمثل بــدون شك فكــرة القــوة بــل أقــول فكرة شديدة ، ويترتب على ذلك أيضا تقهقر بالنسبة الى التقـــدم العصرى للجماعة ، فيكون ذلــك حــلا ارستوقراطيا بكل معنى الكلمة لان اللغات الاجنبية من

(1) تعريب كمال الحاج .
(2) انظر جريدة العمل التونسى بالفرنسية الصادرة فى 6 يناير 1958 .

المستفخرات (لوكس) الـــتي لا يستطيع الجمهور أن يؤدي ثمنها ، (3)

تلك شهادات قيمة من شخصيات فرنسية ذات تجربة استعمارية خطيرة .

أما تجربتنا نحن فهي أخطر من هذا . انها ضعف في المقدرة القومية على الانتاج مطلقا . ان من ينظر الى حالة الثقافة في المغرب العربي يشعر بمقدار النقص الـــذي يعانيه حملة الشهادات العليا في وطننا . فاذا استثنينا قلة يسيرة من الذين يكتبون ويؤلفـــون بالفرنسية او الاسبانية وعددهم في تونس والجزائر والمغرب يعد على الاصابع ، وانتاجهم لا يتجاوز طـــور المحـــاولات التي يشجعها الاستعمار ويفخر بهـــا ، اذا استثنينا اولئـك ما ذا نجد ؟ فراغا كاملا في الانتاج ، مع أن عدد المثقفين الحاملين للشهادات العالية مـــن أرقى الجامعات فـــي فرنسا وغيرها يعد بالآلاف ، فلو قارناهم بمثل عددهم من أبناء فرنسا ، لوجدنا الآخرين اكثر انتاجا وأقوى تفوقا في ميادين العمل والتنظيم . ولو قارناهم بمن هم مثلهم في درجة الشهادات من اخواننا في مصر مثـــلا ولكنهم درسوا في الابتدائي والثانوي على الاقل باللغة العربية لوجدنا هؤلاء ينتجون اكثر من الأولين . هـــذه حقيقة مرة نلمسها في مجتمعنا ، ولا يمكن أن نعللهـــا بعلة غير كون الانسان لا يستطيع أن يملك زمام اللغة الاجنبية الى الدرجة التي تملك عليه أفكاره وقلبه وحتى عقله الباطن . وهو يعيش في بيئة أخـــرى غير بيئـــة تلك اللغة ويحلم بآمال وأمثلة عليا غير التي تقدمها له تلك اللغة .

ان اللغة ليست وسيلة من وسائل التعبير ، ولكنهـــا غـــايـــة .

لأن الكلمة ، هي مصدر الالهام ، وهي اذا لم تخرج ممتزجة بالروح التي تصنعها فلن تكـــون الا كلمة لا محتوى لها وصدى لطبل أجوف يـــرن في الفضاء ثـــم يغيب في العدم المحض الذى ليس له ثبات .

واللغة الاجنبية تأخذ الانسان ، ولكنها لا تستطيع أن تعطيه نفسها فهو يظل مأسورا بيد من لا يرغب فيه ولا يمتزج بوجوده . انه يظل في عالم المقعدين الذيـــن يأنسون من نفسهم القوة على النهوض فلا تعينهم الآلة . لا يجدون الآلة التي هي لغتهـــم الاصلية ، ولا تقـــوم الآلة العوض الا بما تقوم الارجل الصناعية في النهوض بذات المشلول .

اننا سنظل بدون ثقافة ما دمنا لا نتعلم ونتثقـــف باللغة الام .

ومع العربية سنصبح المثقفين المنتجين كمـــا كـــان أجدادنا الاولون .

لقد وسعت العربية كل هذه الكتب التي تمتلىء بها خزائن الشرق والغرب ولقد كان المغاربة في مقدمـــة المؤلفين والكاتبين ، يوم لم تكن لغـــة درس وعلم غـــير لغة الضاد .

أما اليوم فاننـــا ذلك المجتمع غـــير المنتج ، لاننا مستعجمون وعواطفنا عربية .

العـــلاج

ونعود الى السؤال ما هو العلاج اذن ؟

لا شك أنه قبل كل شيء في المحافظة على الفصحى ، ولكن ما هي الفصحى عند التدقيق ؟ يقول البعض ان الفصاحة لا تعني الكلمة واصلها وتطورات استعمالها ، وانما تعني الجملة وموقعها من الاعراب اى حال أواخر الكلم . يقول كمال الحاج :

« وعلى ضوء هذا التعريب للفصحى المبني على النحو ... أى الاعراب ... تصبح كل كلمة قابلة لان تصيـــر فصيحة بشرط ان ندخل في جملة مفيدة ، هي عامية اذا استعملت في ترتيب يقوم على الكلمة ، وهي فصيحة اذا استعملت في ترتيب يقوم على الجملـــة وارتبطت بسابقات لها ولاحقات بحيث تنشأ الوحدة الاعرابية او النحوية .. ان كلمة «صاج» في خاص مبنـــاها ليست عامية ولا فصحى . هي عامية في «الصاج عالنار» وهي فصحى في «الصاج على النار» (4) ويقول بعد ذلك : لنفرض أن هذه المقاييس النحوية قـــد الغيت من لغـــة العرب أتستطيع أن تتصور ممكنا بعد ذلك حدوث فهم للكلمات ؟ اللغة ليست حروفا بمعزل عن الالفاظ ولا ألفاظا بمعزل عن الجمل ، ولا جملا بمعزل عن البيان . اللغة هي كل هذا دفعة .. فاذا قضينا على الروابط وعلى العوامل أى على المقاييس النحوية .. ما ذا سيبقى مـــن

(3) مونطي ، العربية العصرية ص 87 .

(4) كمال الحاج ، فلسفة اللغة ص 236 .

اللغة ؟ لا شيء ، ندور اذ ذاك في ظلام بهيم . يقـول الامام عبد القادر الجرجاني بصدد النحو ما يلي :

ان الالفاظ مغلقة على معانيها ، حتى يكون الاعـراب هو الذي يفتحها ، وان الاغراض كامنة فيها ، حتى يكون هو المستخرج لها . وانه المعيار الذى لا يتبيـن نقصان كلام ورجحانه . حتى يعرض ، والمقياس الذى لا يعرف صحيح من سقيم ، حتى يرجع اليه ، ولا ينكر ذلك الا من ينكر حسه ، والا من غـالط في الحقائق نفسه . واذا كان الامر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون به، وزهد فيه ، ولم ير ان يستسقيه من مصبه ويأخذه من معـدنه ؟ (I)

وعلى هذا فالنحو وحده هو اللغة . أمـا الكلمات فشيء ثانوى ، يمكن أن تكون عرفية مـن حيثما كانت اذا وضعت فى جملة نحوية سليمة . اننا لا نوافق على هذا الادعاء ، لاننا لو أخذنا أية كلمة عامية ووضعناها فى وسط الجملة العربية دون أن تتوفر لديها صيغتها العربية ، اى دون أن تكون أصيلة او مندرجة تحت أصل من أصول التعريب التى لا بد من مراعاتها فى اقتباس الكلمات وانتحالها ، لن تكون الجملة نفسها التى فيها هذه الكلمة عربية ولو كان فيها نحو واعراب .

لقد أخذ بعض الظرفاء من أصحابنا نفسه بالاستهزاء ببعض الـذين لا يبـالون بالكلمـات الصحيحة فى إستعمالهم من غيرها ونظم بيتا غزليا قال فيه :

«زدمتم» على قلبى (بسباط) هجركـم
فكـاد من «الفقصا» أن «يتطرطق»

فهل ستصبح «زدمتم» العامية فصحى بمجرد اعرابها والنطق بها (زدمتم) ؟ وكذلك «السباط» ما دام لم يقبل من اول الامر فى اللغة . وكلمة «الفقصى» أى الحزن ، والتطرطق ، اى الانفلاق هل تدخل هى نفسهـا بمجرد هذا التركيب فى المعجم العربى ؟ الواقع ان الكلمة هي الاصل فى اللغة فى البدء كانت الكلمة ومنها جـاءت الجملة ، ووقع الاصلاح ليبقى الكلام على وتيرة واحدة ، فكـان النحو .

هذا من جهة . ومن جهة أخرى فان فى لغات العرب القديمة من لا يعرب ومن يختلف فى تراكيبه وقواعده عن اللغة المضرية التى قـدر لها البقاء وقد امتـازت اللغة الحميرية بعدة فوارق منها عـدم التزام الاعراب دائما، وقد حفظ لنا هذا المركب الحميرى : (ليس منأمبر أمصيام فى أمسفر) أى (ليس من البر الصيام فى السفر) ومع ذلك اعتبرت الحميرية من اللهجات العربية الفصحى وان لم تكن من المضرية . وليس من السهل معرفة كامل الفوارق التى بين الحميرية والمضرية وفى ذلك يقـول ابن خلدون فى المقدمة : (ولقد كان اللسان المضرى مع اللسان الحميرى بمثابة ما هو اللسان المضرى مع لغة العرب لهذا العهد ـ وهى التى بدون اعراب فقـد منها دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول وعـوض عنها بالتقديم والتأخير وبقرائن تـدل على خصوصيات المقاصد ـ وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميرى وتصاريف كلمـاته وتشهد بذلـك الانقـال الموجودة لدينا خلافا لمن يحمله القصور على أنهـا لغة واحدة ويلتمس اجراء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها ، كما يزعم بعضهم فى اشتقاق القيل فى اللسان الحميرى انه من القول وكثير من اشباه هـذا وليس ذلك بصحيح . ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر فى الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هى لغة العرب لعهدنا مـع مضر ، الا ان العناية بلسان مضر من أجل الشريعة اى القرآن والسنة حمل ذلك على الاستنباط والاستقراء ، ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربى لهذا العهد واستقرينا أحكـامه نعتاض عن الحركات الاعرابية فى دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصها . ولعلها تكون فى أواخره على غير المنهاج الاول فى لغة مضر » هـ

فهل كان ابن خلدون يريد الاستعاضة عن الفصحى بالعامية ؟ كلا ، وانما كـان يريد العنـاية بالعامية واستقراء حالها فربما يكتشف فيها من قواعد العربية ما لا يفرض الاعراب على طريقة مضر ، وما يتفق مـع اللهجات العربية الاخرى . وطبعا فان ابن خلدون لايقبل هذا الا وهـو يعطى الاهمية الاولى للكلمات العربيـة

(I) الجرجاني ، دلائل الاعجاز ص 26 ، القـاهرة 1331 هـ .

الصحيحة ، التى يجب النطق بها كما كان العرب الاولون ينطقون . ولا باس من التسامح فى الوقف على أواخر الكلمة ، أو الإبقاء على ما يتفق مع استعمال بعض القبائل العربية فى أيام السليقة الاولى ، فبنو تميم كانوا ينطقون بحرف المضارعة الاول للمتكلم مكسورا فيقولون فى نجتنى ، مضارع اجتنى ، نجتنى بكسر النون الاولى ولن يغير فى فصاحة متكلم بالفصحى أن يتبع طريقة من مثل هذه الطرق العربية .

والامر كما قال الشيخ عبد القادر المغربى : ان احياء اللغة الفصحى بيننا لا يمكن حصوله بمراعاة قواعد النحو فقط ولا بالتزام حركات الاعراب فى أواخر الكلمات التى نتكلم بها فى كلامنا الدارج ، فان هذا ليس بالميسور ولا المستطاع للجمهور وانما المستطاع هو تطهير كلامنا من الكلمات العامية المبتذلة واستعمال كلمات فصيحة مكانها . فان هذا هو المستطاع وكذلك من المستطاع لنا أن ننطق بالكلمات الفصيحة على الشكل الذى كان ينطق به الفصحاء اى دون تحريف او تحويل فى حركات الكلمة وسكناتها وتشديدها والخروج بها من قواعد الصرف وقوانين اللغة . (1)

والحل اذن هو فى المحافظة على اللغة الفصحى ، مع العمل على رفع مستوى العامية ليلا يبقى هنالك غير الفارق المعتاد فى اللغات الراقية بين لغة الكتابة والخطابة وبين لغة الحديث العادى .

ويلزم لذلك ، الى جانب المجهودات التى تتخذ لتوسيع الفصحى وتيسير أساليب تعليمها ، القيام بتنفيذ المقترح الذى وضعه معهد التعريب المغربى ، وهو استقراء المفردات العامية واستخراج ما يتفق مع الفصحى ، وهذا يستوجب عمليتين فرعيتين .

الاولى ـ تهذيب النطق بالكلمات العامية التى ماتزال محتفظة بشكلها الفصيح فيما لو كتبت ، حتى يصبح استعمالها متفقا مع الاستعمال الفصيح . وهذا موضوع ألف فيه او كتب عنه عديد من القدماء والمحدثين . كالسيوطى وثعلب وابن قتيبة واليازجى وعبد القادر المغربى وغيرهم .

والثانية ـ رد العامى الى الاصل ، اى البحث عن الكلمات العامية وهل هى عربية انحرفت فترد الى أصلها العربى وتهذب وتشاع وذلك كقولنا ، بابتو أصلها بابته بمعنى كان من حقه . وهى عربية فصيحة ، أو هى جارية على أصل الاشتقاق العربى وان لم يسمع استعمالها عند العرب وذلك كالعروبى فى نوع من الشعر الغنائى يستعمل فى مراسلة المتحابين ، وهو نسبة للعروبة اى المرأة حسنة التفل المحبة لزوجها . او هى كلمة دخيلة ومن اى لغة دخلت ، فينظر فى أمر قبولها معربة اذا كنا فى حاجة اليها كالتلفون ، او ترفض ويدعى الى استعمال ما هو عربى مكانها . وذلك كالبستيون للحصن العسكرى . أو هى من الموضوعات الشعبية لمسميات حديثة فتوثر فى نظرنا على غيرها وذلك كقولهم الحصار فى محل (الدمان) للسيارة ، وهى أفضل من الفرملة والفراميل الجوية مثلا .

علال الفاسى

---

(1) عبد القادر المغربى ، عثرات اللسان فى اللغة ، ص 6 .

الترجمة من العربية الى العربية

بقلم الدكتور عبد الرحيم بدر

قد تكون اهم المواضيع التى تشغل اللغويين العرب فى الآونة الحالية مشكلة ايجـاد التعابير والمصطلحات المناسبة للمكتشفات الحضارية فى العصر الحديث سواء تلك التى تتعلق بالآلة والعلم أم تلـك التى تشير الى مظهر فكرى . وهذه ظاهرة محمودة بلا ريب . فنجد من المجهودات الفردية ومن مجهودات المجـامع اللغوية والعلمية ما هو جدير بكل تقدير .

غير اننا يجب ان ننظر الى المشكلة نفسها من وجهة نظر أخرى ، سببية فى تفسيرها موضوعية فى ذاتهـا لا تتعارض مع النظرة التى ينظر بهـا اليها اللغويون . ان التعبير الفنى الدقيق يخلق ولا يترجـم . وخالق التعبير عادة هو مكتشف الشىء الذى يدل عليه ذلك التعبير . والامة المتقدمـة السباقة المكتشفة هى التى تملى لغتها على العالم بكثرة التعابير التى تضعها لكثـرة المكتشفات .

وقد نجد فى اللغة العربية تعابير كثـيرة تدل على افكار أو ادوات اكتشفها آخرون فالوجودية ترجمـة فى رايى دقيقة لكلمة Existentialisme والسيارة ترجمـة اصبحت لكثرة استعمالها دقيقة لكلمة Automobile ولكننا اذا تعمقنا قليلا نجد اننا فى حيرة شديدة من امر اشياء لا نجد التعبير العربى الصحيح لها . فمـا هى الكلمة العربية للكلمات الآتية Sadism ونجد مـن يترجمونها بالسادية ، والهيليوكوبتر Heliocopter وما الى ذلك من الأسماء الآلية أو الفكرية التى نجد اننا نضل فيها سواء السبيل .

والواقع ان ازدهار الحضارة وتقدم العلـم النظرى والتجريبى فى أمة من الأمم هو الذى يملى بنفسه وجود تعابير مناسبة صالحة . ولن تجد الأمم المتقدمة غضاضة فى أن تستعمل تعبيرا اكتشفه غيرها ، فنرى الفلاسفة والعلماء فيها اخذوا التعبير وادخلوه فى لغتهم كما هو ، وراحوا يوسعونه بحثا وكتـابة وتنقيبا . ولـن يجد المكتشف نفسه عارا فى أن يستعمل مقاطـع الكلمات اليونانية واللاتينية لايجاد الكلمة المناسبة لاكتشافه . وكلنا يعرف ان كلمات مثل : Telephone, Telegram Gramaphone, Télescope, Microscope, Spectroscope, Télépathy, هى كلمات تتالف من مقاطع من تينك اللغتين .

وسوف تمر كل كلمة مكتشفة فى مراحل تطوريـة تتشكل فى آخرها فى قالب نهائى فملايين القراء مـن آلاف الجامعات والمعاهد ينتظرون الكلمة لكى يدرسوها .

وهكذا فان كثرة الكتابة وكثرة مزاولة الكلمـة هى التى ستؤدى بطبيعة الحـال الى وضعها فى القـالب المقبـول .

والتعبير اذن هو وليد الصناعة والعلم وحرية الفكر .

وقد مرت قرون العصور الوسطى التى كـان العرب فيها يحملون مشعل الحضارة وحدهم على الكرة الأرضية كانوا هم الذين يزاولون الكلمة وهـم الذين يخلقون

التعبير . وفى مقالنا هذا ، على علم الفلك ، نجد ان العرب قد ختموا السماء بالأصابع الخمسة وطبعوا على النجوم أسماء عربية ليست باقية فى عصرنا الحالى وحسب ، عصر الحضارة الغربية ، بل سيظل اسمها كذلك ما دامت هناك حضارات على سطح هذا الكوكب . وسوف نجد فيما يلى من المقال بان العرب لكثرة مزاولتهم هذا العلم راحوا يطلقون اسمين على بعض النجوم ولم يعودوا يكتفون باسم واحد .

والسبب فى ذلك لا يرجع الى كون اللغة العربية مطواعة لينة يستطيع المرء ان ينحت ويقلب وينحو ويصرف منها ما يشاء ، فهذا امر فى رايى مفروغ منه فى اللغة العربية بالذات . وفى جميع اللغات ، اذا وجدت الحاجة واذا كثر الاستعمال . فاى لغة من اللغات تقف حجر عثرة فى سبيل اكتشاف جديد أو فكرة جديدة قام ابناؤها بخلقها . فعندما كان العرب يخلقون الحضارة لم يترددوا ان يطلقوا على بعض النجوم اسمين . ولكننا عندما اصبحنا نتلقف فتات الحضارة من الغرب اخذنا نجد الصعوبة فى ايجاد اسم للكلمة الأجنبية Table فالمائدة او المنضدة لا تكفيان فى رايى لتفسير هذه الكلمة . فالمائدة تدل على ان طعاما يوضع عليها ، وما ذا سيكون اسمها اذا لم يوضع عليها طعام البتة والمنضدة اذا ما نضد عليها شىء ، وما ذا لم تكن معدة للتنضيد ؟ ما ذا سيكون اسمها اذا كانت معدة للاجتماعات فقط . ان الطاولة ليست كلمة عربية ولا توجد فى المعاجم فما هو راى علماء اللغة العربية فى هذه الكلمة ؟ المهم فى الأمر أنها اصبحت مستعملة لدرجة لا يكاد يعرف المرء فيما اذا كانت اعجمية او عربية .

ان التعابير والمصطلحات تاتى وجدها اذا ما كانت هناك فى الأمة حاجة اليها واذا ماكانت تكثر استعمالها . وقد كان العرب فى القرون الوسطى سادة الحضارة وكان بهم حاجة ماسة الى اسماء فى مختلف ظواهر العلم والفكر ، ولهذا نجد الأسماء وافرة فى الفلك على الاقل ، الذى هو موضوع بحثنا فى هذا المقال . وقد جاءت الحضارة الغربية بعد العرب واخذت العلوم عنهم ولم يكن امامها الا أن تبقى على اسماء ما وجدته من مسميات لأشياء . وحفظ لنا الغرب اسماء النجوم ، عربية خالصة الا النزر اليسير .

ومن المضحك المبكى حقا ان عصر الانحطاط الذى مررنا به ، قاد بعض المترجمين الى اخطاء غريبة مستهجنة . وسنرى فيما يلى ، نموذجا لكلمة من اسماء النجوم ، عربية الأصل واللفظ والمعنى اخذها الغرب وحفظ لنا معناها العربى ، وانما صار ينطقها بلغته . فجاء المترجمون فى المعاجم ، وترجموها بدورهم الى اللغة العربية مرة أخرى ، واذا بها كلمة جديدة . وهذا النجم بالذات هو احد نجوم الدب الأكبر ، كما سيرى القارىء فيما يلى من بحث . واسمه العربى الاصيل هو (المعرق) فنقله الغرب بحذف العين لعدم وجودها فى لغته ، وحفظ لنا معناه . وجاء المترجمون المتاخرون ، ونقلوه فى المعاجم «مراق» . وهكذا ، نجد ان الكلمة العربية القحة عندما هجرها اهلها فى فترة من فترات الخمول العابر ، وكانوا قد فقدوا الأصل فى هذه الفترة ، وارادوا أن يسترجعوها ترجموها مرة ثانية ، فاذا هى كلمة جافة خاوية خالية من الحياة ، يستشيط الفلكى العربى القديم غضبا فيما لو أتيحت له الفرصة وعاد ليرى لغته وكيف جار عليها الزمن وما ذا فعلت بها الأيام .

الحضارة هى التى تخلق الكلمة . والنشاط الفكرى هو الذى يخلق التعبير . وأمامنا فى العصر الحالى أمل واسع عريض وبوادر نهضة عارمة كاسحة كلها تبشر بالخير وتدعو الى التفاؤل . والله ولى العاملين .

* * *

منذ أن بدأت دراسة الفلك هاويا ، وأخذت أبحث عن مواقع النجوم وأعرف أسماءها كانت اللغة التى أعتمد عليها فى هذا الموضوع لغة أجنبية ـ وهى بالذات ، الانجليزية . وقد عرفت أن للنجوم أسماء أعلام لا تتغير من لغة الى لغة ، كأسماء الأعلام من الأشخاص والبلدان . وكنت أدرك أن أصل هذه الأسماء ليس من اللغة الانجليزية فى شىء ، وان بعضها عربى لا شك فيه . ولكن هالنى ان اقرأ فى الأطالس الفلكية معانى أسماء النجوم وأصولها ، واذا بالاغلبية الساحقة منها عربى أصيل بل ان النجوم التى لا تحمل الأسماء العربية يمكن أن يعدها المرء على أصابع اليدين . ومنذ ذلك الحين أخذت أكتب فى مجلات ذائعة داعيا الى هذه الحقيقة الغريبة على المثقف العربى العادى وعلى المبتدئين فى دراسة الفلك من هواة أو محترفين ، والتى أرجح

أن لا يعرفها الا المتبحرون فى هذا العلم . وقد نشرت فى مجلة (العلوم) اللبنانية سلسلة مقالات على شكل أطلس للسماء أشرح فيه مواقع النجوم وأبين أسماءها (العلوم ابتداء من عدد يوليو 1963 الى عدد مايو 1964) ولم تكن الخرائط العديدة التى رسمتها الا لتزين المقال وتجعله شبه مرجع لمن يريد أن يدرس النجوم ، أما القصد الأساسى فهو لفت انتباه الباحثين الى هذه الحقيقة الجديدة بالنسبة لى على الأقل .

ولست أدعى أننى أوفيت هذا الموضوع حقه فى ذلك الأطلس . فايفاء الموضوع حقه يحتاج الى مراجع عديدة عربية الأصل بالاضافة الى المراجع الأجنبية المتوفرة بكثرة فى هذه الأيام . انما سيجد المثقف العربى أمام عينيه حروفا أجنبية لها دلالة على أسماء النجوم ، هى الحروف التى يستعملها العالم المتمدن فى الآونة الحالية فى بحوثه الفلكية وهذه الحروف — كما سيجد بالتأكيد — تشير الى اسم عربى أطلقه الفلكيون العرب الأقدمون على النجم المقصود . وليس على الباحث فى هذا الموضوع الا أن يترجم هذه الأسماء الى العربية أى أن يترجم من العربية الى العربية .

ودراسة علم الفلك ومحاولة تعريبه أوتعريب الأسماء فيه ومعرفة أصولها العربية سوف تعترضها بعض الصعوبات . واذا شئنا أن نبحث هذه الصعوبات بحثا منظما ، فمن رأيى أن نقسمها الى موضوعين رئيسيين ، حتى يتسنى لنا أن نستوعب الموضوع استيعابا سهلا على قدر المستطاع . أول هذين الموضوعين عن أسماء المجموعات النجمية وثانيهما عن أسماء النجوم نفسها .

المجموعات النجمية

النجوم منتشرة فى القبة الفلكية فى وفرة مذهلة . والقبة الفلكية تدور حول الأرض (أو على الأصح نرى نحن انها تدور حول الأرض) دورة واحدة كل يوم . ولكى نكون أكثر دقة نقول ان دورة القبة الفلكية حول الأرض تستغرق ثلاثا وعشرين ساعة وستا وخمسين دقيقة . أى ان هذه الدورة تستغرق وقتا أقل من اليوم العادى بأربع دقائق . وهذا الفرق هو الذى يجعلنا نرى تغير النجوم فى مختلف أوقات السنة حسب الفصول .

على أية حال ، فان النجوم فى السماء على كثرتها تدور وتغير مواضعها . ومن الصعب بناء على ذلك أن نعرف نجما معينا الا اذا وجدنا طريقة سهلة لتحديد مواقعها . وقد لجأ الفلكيون الأقدمون منذ عهد بابل وتبعهم من جاء بعدهم من الفلكيين حتى هذه الساعة الى الطريقة البديهية فى حالة كهذه . فالنجوم تختلف فى شدة اللمعان الواحدة عن الأخرى ، هناك ما هو متوهج شديد البريق وهناك ما هو أقل توهجا وهكذا . حتى نجد نجوما خافتة الضوء لا يراها الا من وهبهم الله حدة البصر ، وهناك ما وراء ذلك نجوم أكثر لا تستطيع العين المجردة ان تراها لضعف ما يصل الينا من ضوئها ويجد المرء غالبا اذا ما نظر الى السماء أن بضعة نجوم براقة تتجمع فى ناحية وتعطى شكلا معينا . وقد استطاع المنجمون قبل الفلكيين أن يستنتجوا من هذه الأشكال التى تصنعها النجوم بمجاورتها لبعضها البعض صورا معينة انطبعت فى مخيلتهم . فأصبح عندنا فى السماء بفضل استنتاجاتهم هذه الدب الأكبر والدب الأصغر والكلب الأكبر والكلب الأصغر والأسد وغيرها العديد من الحيوانات ، والعقرب والحية والسرطان والتنين وغيرها من الزواحف والحشرات والمرأة المسلسلة وذات الكرسى والصياد والحاوى وغيرها من بنى الانسان والدلو والقوس والاكليل من الأشياء . وهكذا ، وهكذا ، المهم ان كل بضعة نجوم لامعة فى السماء تعطى شكلا معينا سموها مجموعة باسم ذلك الشكل .

وأسماء المجموعات التى أذكرها هذه . إنما هى الأسماء الشائعة فى الآونة الحالية لهذه المجموعات أو انها هى الترجمة لما افهمه من معناها فى اللغة الأجنبية. أما الاسم الحقيقى الذى أطلقه العرب على كل مجموعة فهذا ما لم أجد مصادر تدلنى عليه . والواقع أن المجموعات الاثنتى عشرة التى تقع على خط الزوال، والتى يسمونها البروج نظرا لتداول أسمائها فى التنجيم هى التى نعرف بالتأكيد ما ذا كان يسميها العرب ، وذلك لانتشار الكتب القديمة التى تعتبر أن البروج لها أثر على مصير الانسان وحظه فى الحياة . وأسماء هذه المجموعات الاثنتى عشرة أصبحت شائعة جدا فى الآونة الحالية لأن المجلات الحديثة لم تجد ما تثقف به الناس فلجأت الى نشر قوائم أسبوعية أو شهرية بأسماء هذه البروج ووضع نصيب الانسان المقدر له مقابل برجه الذى ولد فيه . وقد وجدت كثيرا من الناس يعتقدون بصحة نبؤة البروج ، ولكن لم أجد واحدا منهم يعرف

موضع برجه من السماء .

على أية حال ، فمجموعات النجوم فى السماء تحمل الآن أسماء حديثة قد يكون العرب سموا بعضا منها ، فلست أظن أن أمة من الأمم قد انفردت وحدها بوضع هذه الاسماء . فمما لا شك فيه أن البابليين هم الذين ابتدأوا بوضع أسمائها ، ومما لا شك فيه أيضا أن الاغريق قد تركوا أسماء تدل عليهم وعلى أساطيرهم الطريفة — مثل ذات الكرسى ، وسيفيوس ، والجبار ، والفرس ، فهذه كلها من الميثيولوجية الاغريقية ، ولكن مما لا ريب فيه أن الذى وضع علم النجوم على أسسه القويمة ورتب المجموعات وسمى الأشياء بأسمائها ، هم الفلكيون العرب .

وهناك من المجموعات ما أطلقت عليها أسماء لا تحتمل الجدال أو الشك ، اما لوضوح شكل المجموعة من ناحية ، أو لأن أسماء النجوم فيها تدل على ذلك . ومن هذه المجموعات — العقرب والحوت والحمل والصياد والأسد والتنين والراعى وهرقل والحاوى والحية والقوس والعقاب والاوزة والحصان المجنح والجدى وقد لا تكون بعض الأسماء بهذه الشكل تماما أيام العرب ، وانما هى بنفس المعنى . فلا أستطيع أن أؤكد مثلا بأن مجموعة الحاوى كان العرب يسمونها بهذا الاسم بالذات ، فمن المحتمل أن يكون اسمها عندهم حامل الحية ، أو الرقاعى أو ما ماثل ذلك . لكننا من شكل المجموعة ومن أسماء نجومها العربية التى لا يزال علم الفلك الحديث يحفظها الى الآن نرجح أن يكون هذا هو الاسم الأصيل لها عند العرب .

ولكى يأخذ القارىء فكرة واضحة عن هذا الكلام نورد الأمثلة التالية :

مجموعة العقرب : Scorpius - Scorpion

أ — العقرب Antares قلب العقرب

ب — العقرب Graffias

د — العقرب Dschubba قد تكون (الجبهة)

ج — العقرب Sargas قد تكون (السارقة)

ح — العقرب Shaula شولة العرب ، وهى ما ترفعه بذنبها .

م — العقرب Jabbah

يقول اطلس فلكى انجليزى ان معناها العربى (قمة الجبهة)

ص — العقرب Alniyat النياط . واضحة المعنى والمبنى

ر — العقرب Lesuth لسعة

نجد من هذه المجموعة من النجوم أن النجم الوحيد الذى لم يحافظ على اسمه العربى هو أكبر نجوم المجموعة المسمى Antares ومعناه بالأفرنجية منافس المريخ أما باقى الأسماء ، فهناك النجم (ب العقرب) الذى لا أجد ترجمة تدلنى على اسمه ولا أكاد أعرف فيما اذا كان عربيا أو غير عربى وفيما عدا ذلك فالأسماء العربية ظاهرة واضحة . ومع أن هناك التباسا بين معانى أسماء (د) العقرب و (م) العقرب .

المهم فى الأمر أن اسم هذه المجموعة ليس موضع جدل .

مثل آخر — مجموعة الصياد Orion - Mighty - Hunter

أ — الصياد: (Betelgeuse) بيت الجوزاء حول تسمية هذا النجم سيأتى حديث

ب — الصياد Rigel (رجل) أى قدم الصياد

ج — الصياد Bellatrix لا يبدو أن الاسم عربى

د — الصياد Mintaka منطقة ، أى ما يتمنطق به .

هـ — الصياد Alnilam, Alnitan النظام بمعنى العقد المرصع بالجواهر .

و — الصياد Alnitak النطاق

ى — الصياد Saiph سيف

ك — الصياد . Meissa

ترجمها قاموس النهضة (الهقعة) . ولكن قد يكون أصل الكلمة من فعل ماس يميس مائسة ، لا سيما وأن النجم المسمى هو الموجود فى رأس الصياد الأكبر فى موضع يمكن أن يكون فيه غطاء للراس . وليس من المستبعد أن يكون لهذا النجم اسمان عند العرب أحدهما الهقعة والآخر مائسة ، وحول ازدواج التسمية سوف يرد حديث ان شاء الله .

ومن البروج ما يراها القارىء فى الصيف الى الجنوب وتروى الخرافات أن العقرب لدغت الصياد فقتلته ، ولهذا السبب لن تظهر هاتان المجموعتان فى وقت واحد

ومن يحدق فى العقرب قليلا فى ليلة صافية لن يلــوم الفلكيين الأقدمين على هذه التسمية .

ولو حاولنا أن نذكر أسماء النجــوم فى المجموعات الأخرى التى ضربناها مثلا على المحافظة على أسمائهــا العربية لوجدنا أن التسميه تدلنا على أن العرب بالفعل قد قصدوا التسمية الدارجة حاليا عليها .

لكننا نجد أيضا مجموعات نحتار فيما اذا كان العرب قد أطلقوا الاسم الدارج حاليا عليها . وهذه عادة هــى المجموعات التى قد يستدل انسان من شكلها على شيء معين ويستدل انسان آخر على شكل معين آخر . أى ان الشكل ليس واضحا تماما للشيء الــذى سميت به . ومن المجموعات ــ الكلب الأكبر ، والتوأمان (أو ما يسمى فى البروج (الجــوزاء) والسرطان ، والدب الأصغر والعذراء (وقد سماها العــرب السنبلة) ، والميزان ، والقيثارة ، والدلو ، وغير ذلك من المجموعات .

ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك

مجموعة الدلــو Aquarius - The Water Carrier

وتسمى بالافرنجية حامل الماء . وهى أحد البروج ونجومها ضعيفة الاضاءة ، ولهذا لن نطلب مــن القارئ أن يحاول رؤيتها بنفسه اذا لم يستعن بمراجع أخرى .

أ ــ الدلــو Sadel Melik سعد الملك

ب ــ الدلــو Sadal Suud سعد السعود

ج ــ الدلــو Sadachbia سعد قبيــح

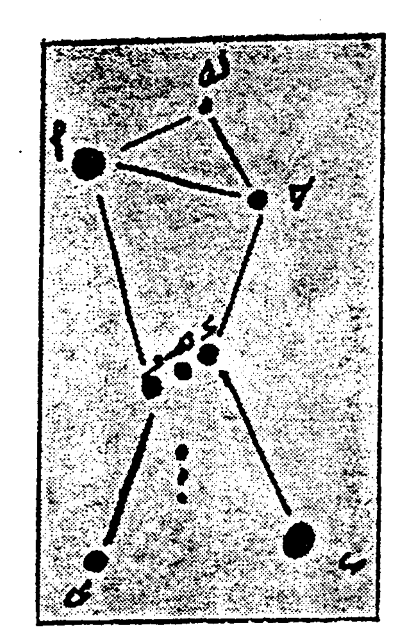
د ــ الدلــو Skat,Scheat ومعناها كمــا تقول بعض المصادر الانجليزية أمنية من تمنى .

هـ ــ الدلــو Al Bali البالع

و ــ الدلــو Ancha عنقة ؟ معناها حوض وهو الجزء التشريحى الذى يصل الجذع بالطرفين السفليين فــى الحيوان والانسان .

ز ــ الدلــو Situla سطول جمع سطل

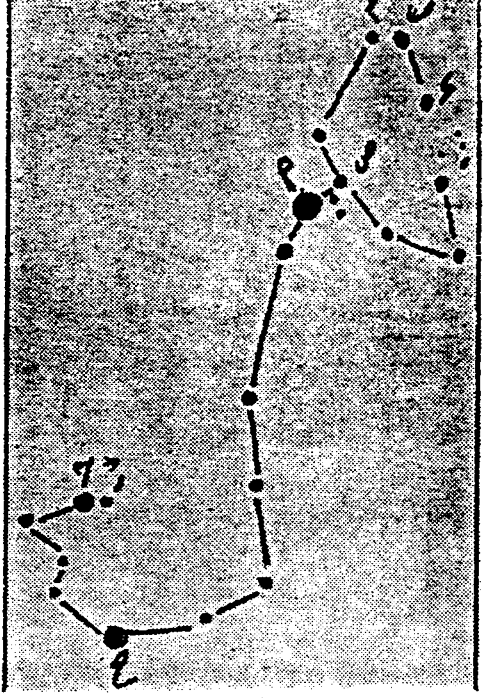
نرى أن أسماء هذه المجموعة لا تدلنا على الدلو أو ما ماثل ذلك من الأوعية التى تستعمل فى نقل الماء عــدا نجم واحد وهو الأخير ولكننا نجد أن الاسم فى البروج لا يزال (الدلو) فهل سمى الفلكيون العرب هذه النجوم دون أن ينظروا الى التنجيم والمنجمين بعين الاعتبار ، أم ان هذا البرج من بروج السعد والتفاؤل ولهــذا غلبت على نجومه أسماء الاستبشار أم ان هــذه المجموعة لهــا اسم آخر كثير من النجوم ؟ أسئلة تستحق أن يجــاب عليهــا .



مجموعة الصياد

الخطوط الواصلة ما بين النجوم ما هى الا لكى تدل القارئ بالتقريب على الشكل الذى تصــوره الفلكيون الأقدمون للمجموعة .

يستطيع القارئ أن يرى الصياد فى منتصف الشتاء فى أواسط السماء .



مجموعة العقرب

مثل آخر ـ مجموعة الدب الاصغر
Usra Minor - The Little Bear

أ ـ الدب الأصغر	Polaris	النجم القطبي
ب ـ الدب الأصغر	Kochab	كـوكب
ج ـ الدب الأصغر	Pherkad	فرقـد

واذا سمعت أيها القارئ بالفرقدين أثنـاء قراءتك الشعر العربي فالمقصود بهما النجمان (ب) و (ج) من الدب الأصغر ، أي كوكب وفرقد .

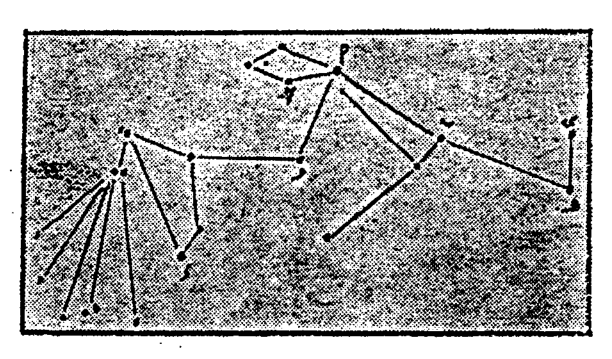
على أية حال ففي هذه المجموعة تتوارد أسئلة عديدة . ان النجم القطبي كان بغير هذا الاسم بلا ريب عند الفلكيين العرب . فلم يكن الفلكيون في تلك الآونة قد عرفوا أن الأرض كرة تدور حـول محـور ينتهي بالقطبين الشمالي والجنوبي ، وأن النجم القطبي موجود في البقعة التي يشير اليها القطب الشمالي . اني لأعتقد أن دارسي الفلك يفهمون أساس هذه التسمية بناء على مفاهيمهم الجغرافية الأخرى . والعـرب في القـرون الوسطى لم يعرفوا هذه المفاهيم . وقد يكونون هم الذين سموا النجم القطبي بهذا الاسم بناء على مفاهيم أخرى . وذلك ان القبة الفلكية تبدو لنا وكأنها تدور حول نقطة في السماء هي النجم القطبي . ومـن البديهي جدا أن يكون العرب قد عرفوا هذه الحقيقة ، ولكن هل يحـق لهم أن يسموا نقطة المحور التي تدور عليها هذه القبـة السماوية قطبا ؟ لا أظن ذلك ، فمن المنتظر أن يسموها مركزا ، أو محورا .

ونجد ان القواميس الانجليزية العربية تسميها النجم القطبي وتكتفي بهذه التسمية عـدا قاموس النهضـة لاسماعيل مظهر . فهو يضع أمام كلمة Polaris الجدى جدى الفرقد نجم القطب ، مسمار الفلـك . وكلمـة مسمار الفلك ، إذا كانت هي التسمية العربية الأصلية تدل على أن العرب كانوا يعرفون المركز الـذى تدور حوله القبة الفلكية وسموا هذا النجم مسمارا . أما اذا كانت التسمية الأصلية جدى الفرقد فمعنى هذا أنهم كانوا يسمون هذه المجموعة اسما آخر غير الدب الأصغر بلا شك . اسم يجب أن يفتش عليـه القارئ معي ـ يحتوى على جدى وعلى العجل الوحشي (الفرقد) وعلى كوكب .

ومما يؤسف له ، بالنسبة لي على الأقل ، انني لا أجد المصادر التي تحدثني عـن البقية الباقية مـن نجوم المجموعة نظرا لضعف اضاءتها . على أية حال ، فالدب الأصغر يمكن رؤيته في الشمال تماما ، ويستطيـع القارئ أن يحاول ذلك بنفسه اذا عرف موقعه مـن الخريطة المرفقة بالمقال .

مهما يكن من أمر ، فان تسمية نجوم هذه المجموعة لا تدل بحال من الاحوال على أن العرب كانوا يسمونها دبا ، وقد يكون لهم مبرر في ذلك نظـرا الى أن هـذه النجوم السبعة في وضعها الموجودة فيه أقـرب الى أن تكون مقلى أو أي طبق له يد ملتوية ، أو قـد يتصورها آخرون طائرا فتكون النجوم الأربعة التي تصنع المربـع جسم الطير وتكون النجوم الثـلاثة المتـدة منه عنـق الطير ورأسه .

ومن الجدير بالذكر أن هـذا الشكل نفسه موجود في الدب الأكبر بنجومه السبعة الكبار ، وانمـا عكس وضعه في السماء بحيث امتد الذيل في ناحية امتداد جسم الدب الأصغر وامتد الجسم في اتجاه ذيل الدب الأصغر . (أنظر الخريطة) ، ومع هـذا الشكل نجد أن أسماء نجوم الدب الأكبر تدل على أن العرب سموه دبا .

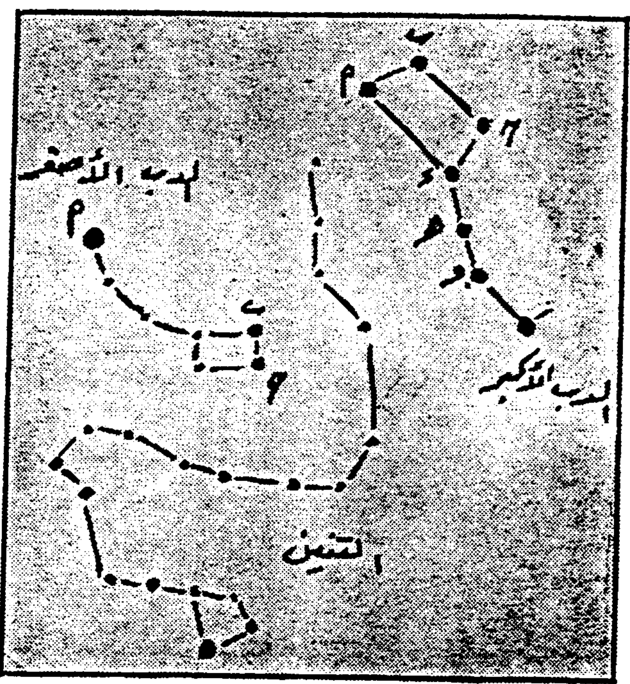


مجموعة الدلـو أو برج الدلو

هذه المجموعة تتكون من نجـوم ضعيفة الاضاءة . وتستمد شهرتها لكونها من الابراج اذا حـاول القارئ رؤيتها بعينه المجردة في هذه الأيام يجب أن لا يلتبس عليه وجود كوكب لامع فيها يطغى ببرقه على بقية نجوم المجموعة . هذا الكوكب هو زحل وسيستمر في هـذه المجموعة طـوال سنة 1964 وسنة 1965 ، وينتقـل الى الحوت بعد ذلـك .

واستخراج الأصل ، لانه اسم ملــك فى الاساطيـر الاغريقية . وكل ما نحن بحاجة اليه هــو الاتفاق على توحيد اللفظ ، والمجموعة معروفة جدا عـــن الفلكيين العرب . فنجومه Alderamin الذراع اليمين و Alfirk إلفرق و Er Rai الراعى دلالة واضحة على دراستهم لها وتحديدها بأسمائها .

2 ـ مجموعة التوأمين Gémini لا تزال تسمى فى التنجيم (الجوزاء) . ومن الغريب أن نجم بيت الجوزاء غير موجود فى هذه المجموعة ، انما هو موجود فـى مجموعة ملاصقة لها ، هى مجموعة الصياد . ومـع أن معظم أسماء المجموعة تحمل الأسماء العربية الا أنه لا يوجد فيها ما يوحى بتسمية المجموعة ككل . بعض من نجومه تحمل الأسمــاء Wasat وسط و Mebsuta مبسوطة و Mekbuda مقبوضة أما النجـــوم الاخرى فسياتى حولها حديث .



مجموعة الدب الأصغر تلتف حولها مجموعة التنين، ثم الدب الاكبر والنجم القطبى هو النجم الموجود فـى طرف ذنب الدب الأصغـر . والنجمان (ب) و (جـ) فى المجموعة هما الفرقدان .

وقبل أن ننهى الحديث عـــن المجموعات ، يجب أن نلفت انتباه الباحثين الى نقطة بخصوص ما ترجم مـن أسمائها حتى الآن ، أو على الأصح بخصوص ما أتيحت لى فرصة الإطلاع عليه .

ان إختلاف أسماء المجموعة الواحدة ما بين مقـــال وآخر أو ما بين كتاب وآخر أو ما بين كتاب وآخر مــن شأنه أن يبعث بعض البلبلة فى نفس القارىء . وهــذا الاختلاف حادث فى المجموعات التالية :

أ ـ المجموعة المسماة بالافرنجية Cepheus وجدت فى بعض مقالات الأستاذ الدكتور فـؤاد صروف أنـه يسميها (كيفاوس) وفى قاموس النهضة وجدت ترجمتها (قيفاوس) أو (الملتهب) . وقد سميتها فى الأطلس الذى نشرته فى العلـــوم اللبنانية (سيفيوس) وهذه هـــى القراءة التى أعرفها للحرف الأول من الاسم (C) اذا وقع بعده الحرف (E)

وهكذا نجد اختلافا بين لفظ وآخر للكلمة نفسها . والاسم فى الواقع لا يحتاج البحث فيـــه الى الصرف

أسماء النجـــوم

اذا كان هناك بعض الشــك فى أسماء كثير مـن المجموعات النجمية من حيث عروبة التسمية ، فاننـا سوف لا نصادف هذه الصعوبة اذا بحثنا أسماء النجوم الفردية وإنما سوف تعترضنا صعوبات من نوع آخر .

وقبل كل شيء لا بأس أن نبحث الاساس الذى سمى العرب عليه النجوم . ولن يكون من المتيسر لدينا معرفة سبب التسمية فى كل نجم منها وانما نجد ان الغالبية العظمى منها تسميتها الى أحد الأسباب التالية :

1 ـ معظم النجوم تحمل أسماء تـدل على مكانها أو مركزها فى المجموعة التى تنتسب اليها . وقد مر بنا فى الحديث السابق عندمـــا بحثنا أسمـــاء المجموعات النجمية شرح حول أسماء النجوم فى مجموعة العقرب ومجموعة الصياد . فكان العرب ينظرون الى مجموعـة العقرب مثلا ، ويتصوورون شكلها الواضح جدا ويطلقون أسماء على كل نجم حسب موقعه فى الصورة الموجودة أمامهم . ولهذا نجد (الجبهة) و (اللسعة) و (الشولة) و (قلب العقرب) والنجم المجاور للقلب سيكون بالطبع (النياط) وهكذا .

وبالمثل اذا اعدنا النظر فى شكل مجموعة الصياد ، وتصورنا رجلا صيادا يطارد (الثور) وهى المجموعة التى تقع الى الغرب منه مباشرة فاننا ننتظر أن نرى (رجل) الصياد ، و (المنطقة) و (النطاق) و (النظام) و (السيف) وما شابه ذلــك .

أخرى تقوم بها . ومن الأمثلة على ذلك :

2 ـ نجد نجوما تحمل أسماء تدل على موعد شروقها في الأفق بمناسبة من المناسبات أو على وظيفة فلكية

الشعرى اليمانية ـ Serius هي أكثر نجم اضاءة في السماء ولا يعلو عليه في ذلك الا بعض الكواكب . وهو موجود في مجموعة الكلب الأكبر وتظهر خلف مجموعة الصياد مباشرة ـ أي الى الشرق منها ـ وذلك لاننا يجب أن ندرك بالبداهة أن الصياد يجب أن يقفو أثره كلبه . والشعرى معناها اللافحة من شدة الحر ، هذا على الاقل معنى كلمة Serius الموجود في الانجليزية عن هذه الكلمة العربية وقد سمى العرب هذا النجم بهذا الاسم لانه يبتدىء بالشروق صباحا أيام الحر اللافح . ولا يغرن القارىء أنه يراه في السماء في مجموعات الشتاء فان شروقه في السماء يبتدىء أيام الصيف الشديد ، وما يأتي الشتاء وبرده حتى يكون هذا النجم ومجموعة الصياد أقوى النجوم اضاءة في تلك الأيام وهما في الواقع اللذان يجلبان انتباه المشاهد للسماء في تلك الآونة اذن ، فاسم الشعرى جاء من موعد شروقه .



مجموعة (الصياد) و (الكلب الأكبر) الذى تبدو فيه الشعرى اليمانية على صدره وقد رسمت الى أعلى الكلب الأكبر ومما وراء ظهر الصياد عن بعد صورة نجمين أحدهما كبير واسمه الشعرى الغميضاء والآخر أصغر منه . هذان النجمان تصورهما الفلكيون الاقدمون الكلب الأصغر ويبدو الصياد في الصورة وكأنه يحمل شيئا

النجوم اضاءة في مجموعة (الثور) .

من صيده قد يكون حيوانا صغيرا أو شيئا من هذا القبيل وأمام هذا يبدو نجم الدبران وهو نجم أكثر

والشعرى الغميضاء

سميت بالشعرى لأن موعد شروقها يتفق مع موعد شروق اليمانية . أما لما ذا سميت احداهما اليمانية والأخرى غميضاء فهذا يحتاج الى بحث أكثر استفاضة .

والدبران Aldeberan من مجموعة الثور وهو الى الغرب من الصياد ويشرق قبل الشعريين . والدبران تعني اللاحق مأخوذة من (الدبر) أي المؤخرة وقد سمى بهذا الاسم لأنه يشرق بعد انتهاء الحصاد أى يلحق أيام الحصاد .

مسمار الفلك ـ اذا كان هذا هو اسم النجم القطبي عند العرب كما يقول قاموس النهضة فهذا يعني أن العرب كانوا على فهم حقيقي في دورة القبة الفلكية (والواقع ان هذا هو أقل ما ينتظر منهم) . وستكون تسمية هذا النجم بناء على ذلك تعبيرا عن مفهومهم بأن القبة الفلكية تظهر لنا وكأنها تدور حوله .

3 ـ هنالك نجوم تسميتها تدل على صفة في النجم نفسه . وهذه عادة تطلق على النجوم النابضة ، وهي تشمل عددا كبيرا من النجوم التي تختلف شدة اضاءتها بين وقت وآخر على فترات متساوية من الزمن . ومن أمثلة ذلك :

الغول Algol نجم من مجموعة (بيرسيوس الجبار) مشهور بظاهرة عجيبة يتميز بها عن كثير غيره من النجوم وذلك أن ضوءه يشتد ويخف على فترات منتظمة وهذه الظاهرة تسمى النبض أو الخفقان . والسبب في النبض في هذا النجم (وفي بعض النجوم النابضة الأخرى) أنه نجم ثنائي أي يتكون من نجمين أحدهما معتم والآخر مضىء . وهذان النجمان يدوران حول بعضهما البعض دورة واحدة كل 69 ساعة . واذ يأتي النجم المعتم أمام المضيء يحجب جزءا من ضوئه عنا مدة تسع ساعات تقريبا ، ولهذا نجد أن اضاءته قد خفت وقد لاحظ العرب هذه الظاهرة ورأوا أنه يبرق ويخفت. ومن الارجح أنهم سموه الغول لهذا السبب.

أعجوبة قيطوس Mira نجم في مجموعة قيطوس أو الحوت (وهذه غير مجموعة الحوت التي مر ذكرها في البروج وتقع بالقرب منها في الواقع) . وهذا النجم من النجوم النابضة ، فيكون في الدرجة الثالثة من

اللمعان النجمي ثم يتحول فيخف ضوءه ويصبح من الدرجة التاسعة وتتعذر رؤيته على العين المجردة . ومدة النبضة الواحدة فيه 334 يوما . ولما كان يظهر للفلكيين العرب ثم يختفي فقد سموه أعجوبة . أما فيما اذا كانت كلمة Mira (ميرا) عربية أم غير عربية ، فحول ذلك حديث .

أسمـاء النجـوم

ان هذا البحث في أسماء النجوم يعتمد في الأساس على المصادر الاجنبية (الانجليزية) وعلى اللفظ الذي كتبت به بالاحرف اللاتينية طبعا – ولقلة المصادر العربية فقد جرت الاستعانة بالقاموس العصري (الياس انطون الياس) وقاموس النهضة (اسماعيل مظهر) ، والمنجد (الأب لويس معلوف) . وقاموس المحيط للفيروزابادي .

وسوف يهول القارىء عندما يلقى نظرة على أحد الأطالس الأجنبية هذا الطابع العربي الذي يطغى على التسمية بشكل اجمالي . والنجوم التي نستطيع أن نجزم بان اسمها في الفلك الحديث غير عربي هي – النجم القطبي Polaris (نجم الذنب في الدب الأصغر) . والنسر الواقع Vega (القيثارة) ، والسماك الرامح Arcturus (العقرب) ، Antares (الراعي) . وقلب العقرب والعيوق Capella (من مجموعة مسك الأعنة) ، واللفافة السنبلية Spica (العذراء) والملك الصغير Regulus (الأسد) .

أما النجوم الأخرى فحولها نقاط عديدة جديرة بالذكر وقبل أن نلقي التبعة على الترجمة وما حصل فيها من التباسات واغلاط ، نود أن نتساءل عما كان يقصد اليه أجدادنا الفلكيون العرب من تسميات ليس لها من تعليل فقد مربنا عند ما شرحنا شيئا عن مجموعة العقرب أن من أسماء نجومها : Jabbah Dschubba وقد ورد في أحد الأطالس الانجليزية أن Ds chubba معناها Forehead وأن Jabbah معناها Crown of the Forehead أي ان الأولى معناها الجبهة والأخرى معناها أعلى الجبهة فأي الكلمتين هي الجبهة وما هي الكلمة الأخرى ؟

أما من ناحية الترجمة فيمكن أن نورد الملاحظات التالية :

1 – خطأ أثناء الترجمة من العربية الى الافرنجية

ويظهر هذا النموذج جليا واضحا في النجم الذي مر ذكره في مجموعة الصياد (ه الصياد) المسمى (النظام) فاننا نجد اسمه في الأفرنجية Alnilam أو Alnitam والأولى غير معروفة في اللغة العربية أو على الأقل لم يسمع كاتب المقال بكلمة النلام . ومن المرجح خطأ في النقل قام به المترجمون الفلكيون .

2 – أسماء نجوم فقدت الاسم العربي الاصيل

ومن هذه يمكن أن نأخذ على سبيل المثال النجم القطبي ان الاسم الحالي لهذا النجم مقبول جدا من الناحية العلمية . لا سيما وقد أصبحنا نعرف الآن أن الأرض تدور حول محور ينتهي في الشمال بالقطب الشمالي وفي الجنوب بالقطب الجنوبي وأن القطب الشمالي يتجه نحو النجم الذي اصبح يعرف باسمه . والرجاء من القارىء أن لاياخذ كلامنا هذا بالدقة العلمية وأن لا ينسى أننا نتكلم بالتقريب فالحقيقة ان القطب الشمالي لا يتجه الى نجم القطب نفسه وانما الى نقطة تقع قريبة جدا من النجم – على أية حال فاذا نظرنا الى قاموس النهضة نجد أنه يضع الكلمات التالية أمام اسم هذا النجم – (الجدي) (جدي الفرقد) ، (نجم القطب) ، (مسمار الفلك) .

ولست أدري هل أطلق العرب هذه الاسماء كلها على هذا النجم . غير أن اسم النجم القطبي قد استبعدناه فيما سبق من حديث ، ويجدر بنا الآن أن نستبعد اسم (مسمار الفلك) .

يجب أن نعرف أن القطب الشمالي للكرة الارضية لايظل متجها الى نقطة معينة من القبة الفلكية وانما هو يتغير تدريجيا من نقطة الى أخرى ضمن دائرة صغيرة في السماء . وقد كان أيام المصريين القدماء يتجه الى (أ – التنين) وأخذ ينزاح اتجاهه تدريجيا حتى وصل الآن الى مقربة من النجم القطبي . أما قبل نحو الف سنة (أيام عصر الحضارة العربية الزاهر) فقد كان على بعد غير قليل من النجم القطبي والى الغرب منه بحيث يصنع معه ومع أحد الفرقدين مثلثا وعلى ذلك فقد كان القطب الذي تدور حوله القبة الفلكية بعيدا بعدا غير قليل عن هذا النجم . ومما لا شك فيه أن العرب كانوا يعرفون النقطة التي تدور حولها السماء معرفة دقيقة جدا ، نظرا لما هو مأثور عنهم في هذه الناحية بالذات فاذا كانوا قد سموا هذا النجم بمسمار الفلك وهو يبعد في ذلك الحين عن القطب بضع درجات فيكون في تسميتهم هذه الكثير من التجاوز . على أية حال فلا يزال من

المحتمل ان يكونوا قد أطلقوا هذا الاسم عليه ، انما يصبح الاحتمال ضعيفا .

ومن النجوم التى قد يحق لنا أن نشك فى اطالة اسمها العربى النجم Regulus الذى قلنا ان اسمه بالعربية (الملك الصغير) وهو أكثر النجوم اضاءة في مجموعة الاسد او برج الاسد ونجد فى قاموس النهضة أمام كلمة Regulus قد وضعت التفسيرات التالية : المليك (بضم الميم) ، الملك الصغير ، قلب الأسد ، والرغلوس ويشير الى أن الكلمة الأخيرة تعنى معدنا من المعادن . وأنى أرجح أن (الملك الصغير) ترجمة لمعنى الكلمة باللاتينية ، أما الاسم الأصيل فقد يكون (قلب الأسد) . على أية حال فيجب أن نضع علامة استفهام كبيرة حول اسم هذا النجم .

3 - نجوم أسماؤها فى الفرنجية عربية واضحة ، ولكن لها فى المعاجم العربية أسماء عربية أخرى

اذا نظر القارى، الى خريطة الدب الأكبر سيجد انها مجموعة تتكون من سبعة نجوم شديدة الاضاءة (من الدرجة الثانية) ونجوم أخرى صغيرة لا مجال لذكرها ولا أهمية لها فى حديثنا هذا . وأربع من هذه النجوم تصنع شكلا رباعيا ، أما الثلاثة الأخرى فانها تمتد الى ناحية كأنها الذنب النجم الأوسط من هذه النجوم الثلاثة اسمه (المئزر) . واذا كان القارىء ذا بصر جيد ودقق النظر فى المئزر فسيجد بالقرب منه ويكاد يكون ملاصقا له نجما ضعيفا جدا . هذا النجم اسمه (السهى) أو Alcor بالاجنبية .

والسهى نجم شهير عند العرب بضعف اضاءته ويستعمله الفيلسوف أبو العلاء المعرى مثلا على تفاهته واستعداده لمباهاة الشمس فى هذا الزمن الذى انقلبت فيه الأوضاع - يقول :

اذا وصف الطائى بالبخل مادر
وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال (السهى) للشمس أنت ضئيلة
وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة
وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة
ويا نفس جدى ان دهرك هازل

اذن فالنجم كان معروفا جدا عند العرب ، وأظن الذين هم على اطلاع واسع فى الشعر العربى سيجدون اسمه يتكرر بين الحين والآخر .

ولكننا نجد ان اسمه فى الاجنبية Alcor وبالقرب من هذا الاسم يفسر أطلس انجليزى هذه الكلمة فيقول (ان معنى هذه الكلمة فى اللغة العربية (البرهان) أو الاثبات ، وذلك لان القدماء كانوا يستعملون هذا النجم لفحص العيون السليمة فمن استطاع رؤية هذا النجم كان سليم البصر) ويضيف الاطلس فيقول بأن العين الصحيحة البصر تستطيع أن ترى نجوما أضعف منه فى الحقيقة .

المهم فى الامر أن هذه الكلمة عربية ، واذا كنا نشك فى الكتاب الانجليزى الذى يقول ذلك بصراحة ، فان أل التعريف تقف بارزة لتقول ان الكلمة قحطانية . فما هى الكلمة العربية الأصلية ؟

ان أمام أعيننا كلمة عربية بأحرف أجنبية ، وقد حاولت جهدى أن أعرف أصلها العربى فى المعاجم المتيسرة لدى فلم أجد أى كلمة تقارب هذه الكلمة ويكون معناها اثبات أو برهان .

وهذا يدلنا ايضا على حقيقة أخرى ، وهى أن نجما شهيرا من هذا النوع ، كثر استعماله لفحص البصر ، وأصبح معروفا عند جمهور غفير من الناس عدا الفلكيين كان له اسم آخر غير السهى وسنجد فيما يلى ان هناك نجوما أخرى أطلق العرب عليها اسمين ولم يكتفوا باسم واحد .

أما نجمنا هذا فقد عرفنا له اسما عربيا واحدا أظن أن الشعر صاحب الفضل فى حفظه لنا ، وعندنا الآن الاحرف اللاتينية التى تلفظ لنا الاسم الآخر ، فمن الذى يدلنا عليه ؟

وبالمثل نجد فى مجموعة (التوأمان) نجما اسمه Alhena ونجد ترجمته فى المعاجم : (ميسان) . والفرق واضح بين الاسمين . فالاجنبى منهما يدل على أنه (الحنة) أو أى لفظ من هذا القبيل وهو اسم عربى محض ، ولكن الترجمة تعطينا اسما آخر .

4 - نجوم اخطأ المترجمون الى الافرنجية فى اعطائها أسماءها

اذا نظر القارىء الى الخريطة التي يظهر فيها الصياد

والكلب الأكبر . فانه يرى نجمين فوق الكلب الأكبر وخلف ظهر الصياد . هـذان النجمان اسمهما الكلب الاصغر .

والنجم الكبير منهما اسمه Procyon وقد وجدنا ترجمته فى المعاجم بالشعرى الغميصا. أو الغميضاء . (أى بالصاد أو بالضاد) (I) الا أن النجم الآخر (الذى لم يتيسر لنا الحصول على اسمه العربى) اسمه فى الافرنجية Gomeiza والأطلس يوضح حتى معنى الكلمة فيقول معناها (الباكية Weeping واذا أمعنا النظر فى تركيب الاسم بالافرنجية واذا قارنا المعنى سنجد أن المقصود هو الغميصاء .

ولكن كل الدلائل تدل على أن الغميصاء هو النجم الاكبر فى مجموعة الكلب الاصغر فيجب أن يكون هناك خطأ ما جعل الغرب يطلق اسم الغميصاء على النجم الصغير ويطلق اسم Procyon على النجم الكبير . (ملاحظة هامة جدا - ان اطلاق صفة الكبير والصغير على النجم لا تعنى اطلاقا حجمه وانما المقصود هو شدة الاضاءة الظاهرة لنا) .

والشيء نفسه يقال عن اسم آخر ، هو (سهيل) . فنجد ان اسمه فى المعاجم الآن Canopus ونجد نجما صغيرا بالقرب منه اسمه Al Suhail

اسماء عربية بحروف افرنجية لا ندرى لها معنى فى الآونة الراهنة

وهذه فى العادة هى التى تبتديء بـ (أل) التعريف . وقد يكون هناك منها ما يحمل الوزن والطابع العربى . ومن هذه النجوم Alcyone وهو النجم الأكثر اضاءة فى الثريا . ونجد ترجمته فى قاموس النهضة بالكلمات الآتية : (نير الثريا) ، (وسط الثريا) ، (عقد الثريا) . وليس فى لفظ أى اسم من هذه الأسماء ما يمكن أن نستدل به على الاسم الافرنجى الحروف العربى اللفظ المبتدىء ب (أل) التعريف والواقع أن هـذه الاسماء الموجودة فى المعاجم ما هى الا مفهوم المترجم عن هـذا النجم بصفاته النيرة . أما الاسم العربى الاصيل فغير معـروف .

وبالمثل ، نجد نجمـا فى مجموعة المرأة المسلسلة اسمه Almach ونجد ترجمته فى قاموس النهضة أيضا (عناق الارض) . وهذا الاسم بعيدا كل البعد فى اللفظ عن الكلمة العربية الموجودة أمامنا بالاحرف الافرنجية واذا عرفنا ان كلمة عنـاق تستعمل للدلالة على أسماء نجوم أخرى يجب أن يتطرق الشك الى نفوسنا حول وجود هذه الكلمة للدلالة على هذا النجم .

ويمكن ان نذكر بعض الاسماء الاخرى للنجوم من هذا القبيل :

Muscida فى مجموعة الدب الأكبر ، ومعناهـا خصام الدابة .

Alkalurops فى مجموعة الراعى .

Alphecca فى الاكليـل الشمالى ، ويقول قاموس النهضة انها (نير الفكة) ، وهذه ترجمة غير مقبولة .

Spica فى العذراء ترجمته اللفافة السنبلية أليس من المحتمل ان يكون من سبيكة

Syrma فى العذراء .

Ascella فى الـرامى - يتـرجمهـا الأطلس الانجليزى على أنها الابط .

Tarazed فى العقاب - معناها فى الأطلس (العقاب المحلق) ، وقاموس النهضة يترجمها تارزد ؟

Albireo فى الاوزة .

Azelfafage فى الاوزة .

وأمثلة ذلك كثيرة جدا ونكرر فنقول ، ان لفظ هذه الاسماء باللغة الاجنبية يدل على أنها عربية لكننا فقدنا الاسماء العربية الاصلية ، ونجد الآن ترجمات لها أما غير مقبولة أو لا نجد لها ترجمات اطلاقا .

6 - أسماء اضـاع الخلط حقيقتها

انظر أيها القارىء الى صورة الصياد مـرة أخرى . انك ستجد فى رأسه نجما (يظهر عند اسفل الفك فى الخريطة) والرجاء الآن الرجوع الى الخريطة الاولى التـى تبحث نجوم مجموعة الصياد وهى فى أول القسم الاول من هذا المقال . فى موضع رأس الصياد نجد ثـلاثة نجوم . النجم العلوى من هذه الثلاثة أطلقنا عليه (ك - الصياد) وقلنا ان اسمه الافـرنجى Meissa ولكننا

(I) القاموس المحيط لا يورد اسم الغميضاء وانما يقول ومن احاديثهم ان الشعري العبور قطعت المجرة فسميت عبورا وبكت الأخرى على اثرها حتى غمصت ويقال لهـا الغموص ايضا والغميصاء. والشعري العبور من كلامه هي اسم آخـر للشعري اليمانية .

نجد ترجمته فى النهضة (الهقعة) أما القاموس المحيط فيقول : الهقعة ثلاث كواكب فوق منكبى الجوزاء كالاثافى اذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف وأرى نفسى هنا أميل الى هذا المعنى الذى اورده القاموس المحيط الذى يقول بأن الهقعة اسم يطلق على النجوم الثلاثة . ولا نجد اسم العلوى من هذه الثلاثة . هذا النجم هو المسمى Meissa ومن المحتمل أن يكون (مائسة) ، ولكن من المؤكد أنه لن يكون الهقعة .

٣ - أسماء ضل المترجمون العرب فى اعادتها الى أصلها العربى

من المؤسف حقا أن تكون هناك أسماء عربية قحة وضعها أجدادنا فى الاصل ولما فقدنا التسمية التى وضعها الأجداد ، اخذنا نحاول ترجمتها من جديد الى العربية واذا بنا نضل السبيل وأيما ضلال ومن أمثلة ذلك نجم فى مجموعة الدب الاكبر اسمه Merak وهو (ب - الدب الاكبر) . وأمام اللفظ الاجنبى يترجم الأطلس المعنى فيقول انها تعنى (متن) الدب أو ما نسميه الآن بالخاصرة وهى أعلى الفخذ وموضع التقائه بالجذع . وليس ذلك فقط بل ان الأطلس يكتب اللفظ كتابة كما يلى :

Me' -rak أى انه يطلب منا ان نلفظها معرق والواقع أن هذه الناحية هى التى تعرق الحيوانات منها أكثر ما تعرق . واذا سميناها معرقا فاننا ننصفها فى وصفها .
ولكننا نجد ترجمتها فى قاموس النهضة - المراق ؟ ، مراق الدب الاكبر ؟

اننا لا نلوم بالطبع قاموس النهضة بالذات على هذه الترجمة البائسة ، ولكن نلوم المصادر التى نقل عنها . وهذه المصادر يجب أن تكون قد حاولت النقل عن الكتب الافرنجية ، ولما لم يكن حرف (العين) متوفرا فى هذه اللغة فقد حذفه فى الترجمة .

ان الذى يجب أن يترجم هذه الاسماء يجب أن يكون على علم بالنجوم ، وعلى معرفة صحيحة للأسباب التى سمى العرب بها هذا النجم أو ذاك ، وما الذى يرمون اليه من وراء تسميتهم هذه . أما ان نحاول اعادة كلمة المعرق الى اللغة الاصلية فتصبح فى وضع أعجمى لا معنى له فهذا من جرائم عصور الانحطاط التى مرت بها الأمة العربية .

وبالمثل يمكن أن نشير الى نجم آخر فى مجموعة الدب الاكبر نفسها وهو النجم الاوسط فى ذنب الدب والذى سميناه (المتزر) . ان اسمه فى الاجنبية Mizar وترجمته فى الأطلس الاجنبى تقول بانه الشىء الذى يؤتزر به . ومع كل ذلك نجد ان ترجمته فى قاموس النهضة (عناق) قد يكون العناق اسما آخر لهذا النجم فقد مر بنا ان هناك من النجوم ما أطلق عليها العرب اسمين ، ولكن اسم (متزر) يجب أن يكون واضحا ، لانه ينطق بنفسه عن عروبته .

خلاصة هذا البحث

ولا أعنى بذلك أن الخص ما بحثناه ، وانما أريد أن أعلق على ما يمكن أن نصل اليه اذا ما فهمنا حقيقة أسماء النجوم فى علم الفلك الجديد .

ان اسماء النجوم الآن بأحرفها اللاتينية ، وبالمعنى العربى الذى وضعت فيه ، قد أصبحت أسماء اعلام فى جميع اللغات الحية . وهى بشكلها الحالى قد خرجت من أيدينا ولم يعد لنا حيلة فى تغيير ما قد نجده فيها من خطأ أو تحريف . وليس القصد من هذا البحث هو أن نقدم على خطوة من هذا القبيل انما القصد فى الواقع اعادة الكلمات (عندما نترجمها مرة أخرى الى العربية) الى الاصل الصحيح واللفظ الصحيح . فقد أحسست بكثير من الخجل عندما كنت مبتدئا فى هوايتى فى الفلك وكنت ألفظ (المتزر) ميزار ، و (المعرق) مراك ، و (الطائر) التير ، وما شاكل ذلك .

ووضع هذا العلم فى الوضع الصحيح يتطلب مراجع موثوقا بها ، وبحثا غير قليل فى المكاتب الشهيرة عن الكتب الفلكية والمخطوطات وهذا كله لا يحتاج الا الى القليل من الاخلاص فى البحث والدراسة .

ان الأمة العربية الآن فى مرحلة يقظة حضارية مبشرة بالخير ومعرفة أسماء النجوم التى وضعها الفلكيون العرب قبل عشرة قرون أو يزيد أو يقل ، أمر ضرورى كما أرى . وهذا العمل يستلزم ترجمة صعبة قد تكون من أصعب الترجمات وهى الترجمة من العربية الى العربية .

الدكتور عبد الرحيم بدر أريحا - الاردن

في الجديد اللغوي

للدكتور ابراهيم السامرائي
رئيس قسم اللغة العربية
كلية الآداب - بغداد

لا بد لمن يعنى بتاريخ المشكلة اللغويـة أن يعرض للعربية الفصيحة الحديثة (1) ليختتم سلسلة البحث اللغوي التاريخي . وهذه المرحلة في تاريخ لغتنا الفصيحة ذات خطر . ولعل سبب ذلك ان هذه اللغة لا بـد لها أن تكون مادة هذه الحضارة الحديثة ، والحضارة الحديثة تقوم على الجديد في كل باب من ابواب المعرفة ، وهذا الجديد في مختلف أشكاله مصادره البلدان التي أخذت بأسباب الحضارة قبلنا نحن أمة العرب . وقـد ورثنا لغة عربية ذات تاريخ طويل حفلت بثروة كبيرة وتهيأ لها من أسباب الرقي مـواد كثيرة استعانت بها على مسايرة العصور فكانت الفكر النير والحضارة المشعة حتى اذا تحدرت الينا في عصرنـا هـذا أمست هذه الفصيحة وكأنها ليست لغتنـا ذلك أننا لا نباشرها مباشرة سليقة وطبيعة وبديهة بل ننطلق بأنماط مما نصطلح عليه باللهجات العامية . غير أننا في هذا الوضع الخطير نحرص على فصيحتنا التي لا تلـوكها ألسنتنا بيسر حرصا عظيما لاسباب عـدة بعضها تـاريخي وبعضها يرجع للحاجة التي نفتقر اليها افتقارا أصيلا .

ومن أجل ذلك كان علينا أن نوفر لهذه اللغة مـا يكفل لها أن تكون لغـة عصرنا الحاضر ، فعمدنا الى تعريب المصطلح العلمي في مختلف العلوم والفنون كما اعتمدنا على وسائل أخرى منها الترجمة (2) وقد تهيـأ لنا أن نذلل من المصاعب الكثيرة الجديد الذي اقتضته الحضارة الحديثة ، ولم يقتصر هذا الجديد على المصطلح العلمي بل تعداه الى أمور أخرى فقـد تأثرنا باللغات الاوربية الحديثة ولا سيما المغربية منها فنقلنا طرائقها في التعبير الى لغتنا . وكان من نتائج ذلـك كله أن جاءت العربية الحديثة وهي جديدة مـن حيث دلالاتهـا ومجازاتها .

ولا أريد أن أحمل على الخطـأ اختلاف الدلالة في عصرنا لكثير من الالفاظ عما كانت عليـه في عصور سلفت ، ولكنني أرده الى القول بالتطور الذي جـرت عليه اللغات عامة .

وها أنا اعرض للجديد في الدلالات في جملة مـواد التقطتها من هذه الفصيحة المعربة في أيامنا على سبيل المثال فلا أريد الاستيفاء لان ذلك يطول بي فيؤدي الى شيء لا يغني عنه هذا المختصر . وسواء عندي الصحيفة اليومية والمجلة الادبية والوثائق الرسمية مـن لغـة الدواوين فان جميع ذلك مصادر ينبغي ألا تغفـل في البحث اللغوي التاريخي .

---

(1) نشرت مقالة تتصل بهذا الموضـوع في مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الاول المجلد الاربعين) بعنوان «تحقيق لغوي في الصيغ والاستعمالات» .

(2) أود أن أشير الى الفرق بين ما هو معرب وما هو مترجم عملا بما جرى عليه المتقدمون ، فالمعرب هو الدخيل الذي جرى على الأبنية العربية ، والمترجم هـو اللفظ العربي المتخير لمعنى من المعاني الجديدة الواردة الينا .

ومن هذه الالفاظ ما نعرض اليه فنقول :

(1) احتج : ترد هذه اللفظة في لغة السياسة في أيامنا فيقال مثلا : « احتجت الحكومة الاردنية على الاعتداءات اليهودية المتكررة » . والمراد استنكرت الصنيع واعتبرته اعتداء ورفعت بذلك شكوى الى الهيأة الدولية . وورود «الاحتجاج» بهذا المعنى في لغة هذا العصر من الجديد المولد الذي حفلت به العربية ، وهو مخالف للاستعمال في كتابات المتقدمين ، وعندهم «احتج بالشيء اتخذه حجة ليس غير» . فالاحتجاج كما يرد في الاستعمالات الصحفية جديد لم تعرفه العربية قديما .

(2) شجب : يرد هذا الفعل في عربيتنا الحديثة ولا سيما ما يكتبه أهل السياسة وأهل الصحافة ، فيقال مثلا :

« شجبت الصحافة العربية تأييد المانيا الغربية لاسرائيل» . والمراد أنها نددت بالتأييد واستنكرته . وهذا معنى جديد لم يرد في العربية قبل عصرنا هذا . وقد استعمل المتقدمون « شجب » بمعنى حزن أو هلك، وقد ورد شجب بالفتح يشجب بالضم شجوبا وشجب بالكسر يشجب شجبا فهو شاجب وشجب . وشجبه الله أهلكه . وليس في هذه المعاني ما يقرب مما نحن فيه من الاستعمال الحديث .

(3) فشل : وهذا الفعل من الافعال الشائعة في كتابات أهل هذا العصر وهو يعني ما يعنيه الفعل (خاب) . يقال : فشل في مسعاه ، أو كانت نتيجته الفشل . والذي نعرفه من استعمال هذا الفعل لا يقرب من هذا ، قال تعالى : «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» والفشل في الآية الكريمة الضعف والتراخي والجبن . وفي كتب اللغة : الفشل الرجل الضعيف الجبان . وعلى هذا فالاستعمال الحديث شيء جديد أدى اليه التطور اللغوي .

(4) خابر : وهذا الفعل يستعمل فيما يستعمل الفعل «أخبر» أي «أنبأ» وأكثر ما خص الاستعمال هذا الفعل هو الاخبار بالهاتف «التلفون» يقال : خابره أي كلمه وأنبأه مستعينا بهذه الآلة . وفي كل هذا ابتعاد عن الاستعمال الفصيح المشهور .

والمخابرة من لغة الدواوين الرسمية في ايامنا هذه في العراق . يقال : جرت مخابرة في شأن هذا الموضوع، أي حدث سؤال وجواب ومكاتبة بين جهات عدة في هذا الموضوع .

والمخابرة في الاستعمال القديم شيء غير هذا ولا يقرب منه في شيء ، فهي المزارعة ببعض ما يخرج من الارض . والخبر ان تزرع على النصف أو الثلث ، وهي المخابرة وهي الخبرة بكسر الخاء ايضا . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن المخابرة . والمخابرة المؤاكرة ، والخبير الاكار ، قال :

تجز رؤوس الاوس من كل جانب

كجز عقاقيل الكروم خبيرها

(5) عاش : استعمل هذا الفعل استعمالا جديدا في أيامنا على طريقة المجاز ، فيقولون عاش المسألة او عاش المحنة بمعنى كابدها واحتملها وخبر من نتائجها .

وهذا الاستعمال كما يبدو نقل للاسلوب الاعجمي ، ففي الفرنسية يقال :

Il a vécu في الكلام على شيء مثل هذا . وفي الاستعمال الفرنسي يتعدى الفعل مباشرة ، وقد انتقل هذا التعدي في العربية من الاستعمال الاعجمي فشاع هذا الفعل في صيغة المتعدي . وقد تجاوزوا الفعل في هذا الاستعمال الجديد الى مشتقاته الاخرى كما في قولهم : الواقع المعاش بزنة اسم المفعول من غير الثلاثي وكان الصحيح أن يقال المعيش بالرجوع الى صيغة الثلاثي .

وقد شاع نقل هذه الاساليب الاعجمية في لغتنا العربية الحديثة حتى صارت من مادة عربية هذا العصر وطابعا لها . (3)

(6) مواطن : اسم فاعل من «واطن» أي ساكن وعايش وهو صيغة جديدة مولدة ، ذلك أن مادة «وطن» لم تنصرف الى هذه الصيغة في الاساليب القديمة . وكأنهم أرادوا بتوليد هذه الصفة من هذا الفعل الجديد أن يوجدوا ما يقابل الكلمة الافرنسية compatriote

(7) معاصر : اسم فاعل من «عاصر» وهذا الفعل

---

(3) أنظر « دراسات في اللغة » للدكتور ابراهيم السامرائي ص 239 .

كنظيره السابق مما ولده أهل عصرنا هذا لحاجة تقتضيها هذه اللغة الجديدة . وكأنهم أرادوا بـ «المعاصر» أن يقابل contemporain الفرنسية .

(8) رتيب : ويقال : حياة رتيبة ، والمراد ، حياة سائرة على وتيرة واحدة لا تبديل فيها ولا تغيير ، وهم يريدون بـ «الرتيبة» الداعية الى الملل والسأم . وهذا إستعمال جديد لم يرد قبل هذا العصر . وقد ورد في استعمالهم القديم «عيش راتب» أي ثابت دائم .

(9) صفيق : وهذا على فعيل من صفق بمعنى ضرب. وكأن الصفيق هو المضروب ثم تطور به الاستعمال فصار يعني من لا يستحيي ، وهذا شيء جديد جد في لغة هذا العصر .

(10) السطحي : والمراد من هذه الكلمة أنها صفة الرجل الذي لا يتعمق في مباشرة الامور . وهذا ترجمة للكلمة الافرنسية superficiel ولما شاع هذا الوصف في هذا المعنى المجازي صاغوا منه المصدر الصناعي «السطحية» للدلالة على عدم التفكير العميق في النظر الى الامور .

(11) الانتهازي : والمراد من يحسن انتهاز الفرص والظروف محرزا فوائد تعود عليه بالمنافع . ومن هذه الكلمة صنعوا «الانتهازية» لهذا النوع من الخلق الاجتماعي . وهذا أيضا ترجمة للكلمة الافرنسية opportuniste ومن المفيد أن أشير الى أن كتب اللغة تشير الى صيغة «نهزة» بضم النون واسكان الهاء ومعناها الفرصة تجدها من صاحبك . ويقال : فلان نهزة المختلس أي هو صيد لكل أحد .

أقول : ان «نهزة» وزان «فعلة» وهي تدخل في باب الاسماء التي تجيء على هذه الصيغة وتؤدي معنى اسم المفعول ، ولعلها من أسماء المفعولين القديمة غير القياسية نحو اللقمة والكسوة والضحكة .

وتقترن هذه الصيغة بصيغة أخرى تؤدي معنى اسم الفاعل وهي «فعلة» بضم الفاء وفتح العين نحو همزة ولمزة وضحكة . وعلى هذا فان الضحكة باسكان الحاء ما يضحك منه والضحكة بفتح الحاء ما يضحك من غيره مع افادة المبالغة أي كثير الضحك .

أقول : ربما كان من المفيد أن نفيد من هذه الصيغة فنصنع «نهزة» بمعنى «الانتهازي» قياسا على المسموع من هذه الصيغة .

(12) الانهزامي : وهو وصف جديد للمتخاذل الذي يذهب مذهب المنهزم في سلوكه وآرائه في مقابلة الخصوم . وهو من غير شك ترجمة لـ défaitiste

وصنعوا من هذا المصدر الصناعي «الانهزامية» في المعنى نفسه .

(13) الوصولي : وصف لمن يريد أن يصل الى مآربه بكل طريقة ممكنة فلا يهمه أن يسلك الوسائل الدنيئة من أجل مبتغاه . وهذا ترجمة لـ « arriviste » والمصدر « الوصولية » من هذا المعنى . وهذا مثل الالفاظ السابقة كالانتهازي والانهزامي مما جد في لغة عصرنا ولا سيما في لغة الصحافة السياسية التي تعتمد كثيرا على الصحافة الغربية فتستعير أساليبها في التعبير .

(14) الطليعي : وصف جديد لكثير من الموصوفات ، يقال : الدور الطليعي والحزب الطليعي وغير ذلك . وأحسب ذلك مثل قولهم في الفرنسية avant-garde

وتعني طليعة وقادمة ومقدمة من الاصطلاحات العسكرية والحربية . ولكن الكلمة قد تستعار الى غير هذه الشؤون فتدخل في ألفاظ الحياة العامة ويوصف بها وان كانت غير نعت .

(15) العميل والعملاء : والعميل من ألفاظ التجارة والاقتصاد في عصرنا ولا سيما في المشرق العربي . و «العملاء» من يتعامل معهم التاجر أي الذين يشترون منه ، وهي تعني «الحرفاء» جمع «حريف» كما في معجمات العربية وكما هو مستعمل الآن في ديار المغرب العربي ، كما تعني الزبائن جمع زبون كما هو شائع الآن عند المشارقة مع وجود «العميل» و «العملاء» ولا تشير كتب اللغة الى هذا المعنى في «زبون» .

والمهم الآن في «العميل» و «والعملاء» أنها استعيرت الى ألفاظ السياسة فصارت نبزا وسبا ووصفا للعاملين في صفوف الاعداء المستعمرين ضد أبناء بلدهم . وعلى هذا تجرى الكلمة مجرى «جواسيس» .

(15) المؤامرة : وهي من الكلمات التي حظيت بالشيوع في عصرنا . يقال : حدثت مؤامرة في البلد للاطاحة بنظام الحكم . وعلى هذا فالمعنى المراد الدسيسة والفتنة والتدبير المحكم للتوصل الى هذا الغرض . وهذا معنى جديد لم يرد قبل هذا العصر في

كتابات المتقدمين ، ذلك أن المؤامرة هي المشاورة ، وفى الحديث : آمروا النساء فى أنفسهن أى شاوروهن فى تزويجهن . ومن هذا يتبين أن المؤامرة والائتمار المشاورة وكذلك التآمر على وزن التفاعل . ومن المفيد أن نشير الى أن التآمر فى لغة هذا العصر تعنى التدبير والتفكير الذى يؤدى الى مؤامرة وهى الدسيسة أو الفتنة كما بينا .

ويبدو أن كلمة «مؤتمر» ما زالت محتفظة بالمعنى الاول القديم للائتمار وهو التشاور .

(16) التأميم : مصطلح جديد من مصطلحات أهل الاقتصاد فى عصرنا . وهم يريدون به ترجمة الكلمة الاعجمية nationalisation والمصطلحات الاقتصادية الحديثة ولدت جميعها لتؤدى معانى الالفاظ الاعجمية مثل : الاشتراكية والشيوعية والاستعمار . وقد اقتضاهم الامر الى أن يعربوا ولا يسلكوا طريق الترجمة، فقد قالوا : «الامبريالية» وهى impérialisme لما وجدوا أن «الاستعمار» لا يقابلها تمام المقابلة .

(17) التخطيط : من مصطلحات الاقتصاديين الحديثة وهو يقابل planification ودلالته معروفة : ومن المفيد أن نشير أنه ما زالت مسألة المصطلحات العلمية الحديثة متأثرة بالاقليمية ، فقد نستعمل التخطيط فى اقليم من أقاليم العربية فى حين أن الاقليم الآخر يستعمل « التصميم » لاداء المعنى نفسه . ومثل هذا كثير فقد تطلع علينا صحيفة بعنوان كبير عن نشوب «مظاهرة» كبيرة فى بلد ما فى حين أن صحيفة أخرى تعدل عن «المظاهرة» الى «التظاهرة» .

وفى الوقت الذى استطاعت فيه العربية أن تؤدى الكثير مما جاء به العلم الحديث ، فما زلنا نستعمل فى صحفنا اليومية «المانشتات» manchette والماركات المسجلة marque و « الكليشات » cliché و «المناورات » manœuvre مع العلم ان هذه ليست مما لا يمكن ايجاد ما يقابلها من أبنية العربية .

(18) المعطيات : مادة جديدة شاعت فى كتابات المعاصرين فى السنوات الاخيرة وهى تقابل donnée الفرنسية أو قل ترجمة لها . والكلمة الفرنسية وان كانت تتصل بمادة « العطاء » من حيث الاصل (الجذر) ولكنها بعيدة عن مدلول العطاء فهى تعنى المعلومات أو الافكار الثابتة التى تنجم عن قضية من القضايا . والقارىء العربى الذى لا معرفة له بالفرنسية أو أية لغة غربية أخرى لا يدرك معنى « المعطيات » بوضوح ، وذلك لان مادة « أعطى » فى العربية لا يعرض لها التوسيع والمجاز على هذا النحو ، ونجم عن ذلك أننا تذفنا باستعمال جديد لم تجر عليه العربية . ثم ان « المعطيات » ليست من المواد الصعبة والتى تدخل فى حيز المصطلحات العلمية التى لا بد منها ، ومن الممكن نقل الكلمة الفرنسية donnée الى غير «المعطيات» مما يدركه القارىء العام .

ومن المفيد أن نذكر بعبارة معجم لاروس الصغير فى شرح هذه الكلمة :

Point incontestable ou admis comme tel. Idée fondamentale d'un ouvrage d'esprit.

(19) التقنى والتقنية : وهما تعريب للكلمة الافرنسية technique اسما ونعتا ، فكأن «التقنى» تقابل الاسم والتقنية صفة لموصوف مؤنث متخصص بها . وقد ترجموا terme technique بالمصطلح العلمى أو الفنى . والذى ألاحظه على المعرب الجديد « التقنى » عدم الوضوح فى كون هذه المادة تشبه مادة «قنى» العربية من حيث بناء أصواتها ، او تشبه مادة « تقن » . وعلى هذا فقد كان أكثر ملاءمة أن يعدل عن القاف فى «التقنى» و «التقنية» الى الكاف كما فى الاصل الاعجمى .

وبعد فهذه جملة مواد عرضت لها فى هذا الموجز وهى قليل من كثير أردت منها أن أوضح التطور والتوليد فى عربيتنا الحديثة التى هى مادة حضارتنا وجوهرها والله أسأل أن يكتب لى السداد فى القصد والعمل .

تقديم الصفة على الموصوف

للأستاذ عبد الحق فاضل

القاعدة في العربية هي أن **الصفة تلي الموصوف** وتجاريه في مختلف حالاته ولكني لحظت باستغراب كبير أننا كثيرا **ما نقدم الصفة على الموصوف** دون أن نشعر ، مخالفين بذلك قواعد اللغة ومنطق الاشياء أيضا.

قالت العرب في الممدوح مثلا : **انه طويل النجاد رفيع العماد** . والمقصود طبعا أن **نجاده طويل وعماده رفيع** ، ولكن الصفة هنا سبقت الموصوف واضيفت اليه ، والاضافة تعني الملكية او العائدية ، فقولك (طويل النجاد ورفيع العماد) يشبه من ناحية القواعد والاعراب قولك **نجاد السيف وعماد البيت** ، فأما أن السيف له نجاد والبيت له عماد فأمر معقول . إلا أنه لا يمكن أن يكون النجاد **له طويل** (او شيء طويل) لان المقصود من هذا التعبير ان النجاد هو الطويل ، ولا يمكن أن يكون العماد **له (شيء) رفيع** لانه هو الشيء الرفيع ، **واما المعقول** ان يكون النجاد **(له طول) والعماد (له رفعة)** والواقع أن هذا الخلط أهون ما في الامر . فسيأتينا في ثنايا البحث ما هو أدهى .

فمن أين جاء هذا النشاز المنطقي النحوي في لغتنا ، في حين **أن القاعدة العامة ، التي تعد من خصائص العربية واخواتها اللغات السامية ، تجرى على سنة** تقديم الصفة وتأخير الموصوف خلافا للغات الآرية التي تجرى القاعدة فيها على عكس ذلك ؟.

الارجح عندي أن هذا قد جاء من تأثير بعض اللغات الاعجمية (I) فان صح ذلك ، فان بعض العرب وأخص منهم أهل العراق وشرقي الخليج العربي ، قد تأثروا باحدى اللغات الآرية ـ السنسكريتية ـ وأخص منها الفارسية لمجاورتها لهم ، فقالوا : **(طويل نجاد)** بدلا من نجاد طويل ، و **(رفيع عماد)** بدلا من عماد رفيع .. على غرار تأثر بعض المتأدبين في جيلنا هذا باللغات الغربية ممن قالوا (تدبير الامر بشكل او بآخر) ، وقالوا (التقدم أكثر فأكثر) ، بل قالوا (انه جيد جدا ليكون صادقا) !

وانما اتهمنا عرب العراق وشرقي الخليج العربي بالتأثر بالفارسية ـ وبذلك برأنا ضمنا عرب الشام من التأثر في هذا الشأن باللاتينية ـ لان اهل الشام لا يمكن أن يكونوا المسؤولين عن هذه البدعة ، لسبب بسيط هو أن الصفة في اللاتينية تلي الموصوف كما في العربية وتجاريه افرادا وجمعا وتذكيرا وتأنيثا ، وأما في الفارسية فالقاعدة القديمة فيها ـ كما في أمها السنسكريتية ـ تقديم الصفة على الموصوف ، ان قول العرب : **لذيذ الطعم** (بدل طعمه لذيذ) .. **وحسن الطالع** (بدل طالعه حسن) .. **وبعيد النظر** (بدل نظره بعيد) .. **وسيء الظن** (بدل ظنه سيء) .. ظاهرة لا أكاد أجد لها تعليلا الا التأثر بالفرس في

(I) يراجع بحث للكاتب في (تأثير الاعاجم في لغة العرب) .

قولهم : **خوش مزه ، ونيك بخت ، ودوربين ، وبدكمان** .. بنفس المعاني وبنفس ترتيب الالفاظ . (2)

ان اقحام هذه القاعدة الاعجمية في اللغة العربية التي تناقضها تمام المناقضة في بعض القواعد الاساسية قد أحدث من الارتباكات والاختلاطات ما لم يخطر يوم اقحامها على بال ، لقد اصبحت هذه (التقليعة) الآرية وسط اللغة السامية أشبه ببيضة البط توضع تحت الدجاجة مع بيضها الدجاجي ، فتنجب فرخ بط بين فراريخ دجاج ، واذا بهذا الفرخ الناشز يحتاج الى مداراة خاصة تقلب نظام البيئة في بعض الشؤون عقبا على رأس ، انه يسلك آنا سلوك البط لانه بط ، وآونة سلوك الدجاج لانه يعيش في بيئة الدجاج ، وحينا سلوكا فوضويا لا اتزان فيه ، لا هو بطي ولا دجاجي ، لانه حائر بين طبيعته البطية وبيئته الدجاجية .

يلاحظ قبل كل شيء ان الصفة لا اعراب لها في الفارسية فلا يلحق آخرها تحريك أما في العربية التي لا تعفي اسما من الاعراب فالقاعدة الاساسية أن تكون **الصفة تابعة للموصوف اعرابا وتذكيرا وتأنيثا ، وافرادا وتثنية وجمعا** ، وهي تبقى طبيعة تابعة لسيدها الموصوف ما دامت متأخرة عنه وفق القاعدة العربية ، لا تعاكس غيرها من الكلمات ولا تخرج على منطق ، ولكنهم ما يكادون يقدمونها على الموصوف — تقليدا للاعاجم — حتى يجن جنونها فتخرج على كل ما يصطدم بها من قواعد مرعية وعرف مقبول .. هل أقول مثل المرأة حين قدموها في العصر الحاضر على الرجل تشبها بالغربيين .. أم الامثل ألا أقول ذلك بعد أن كنت من المتحمسين في الدفاع عن (حقوق) المرأة ؟

ان أول ما فعلته عند تقديمها — أعني الصفة — هو اعلانها الاستقلال التام عن متبوعها الموصوف ، في **الاعراب** ، وصارت تتصرف تصرف سائر الاسماء المستقلة ، فهي مرفوعة او منصوبة أو مجرورة ، لا تبعا لموصوفها ، ولكن وفقا لظروفها الخاصة ، أعني وفقا لموقعها من الكلام بصرف النظر عن الموصوف ، ولم تكتف بالاستقلال عنه بل حكمته هو بنوع من التبعية المقيدة فصارت تجره دائما ، أعني تكسر آخره بالاضافة هل اعود ثانية الى التشبيه بالمرأة فأقول ان الصفة كالمرأة التي لا تسمح لزوجها حتى باتباعها الى حيث تذهب ، كما كان الموصوف يفعل بصفته حين كان يتقدمها ، بل تحكم عليه بملازمة البيت دائما .

ثم هي — الصفة — بعد أن استقلت عن موصوفها اعرابا صارت في بعض الاحيان تتبعه تأنيثا وتذكيرا في مثل قولنا : فضليات السيدات وفضلاء السادة ... ولكنها تتمرد عليه أحيانا أخرى فتبقى متشبثة بزي التذكير مهما كلف الامر ، في مثل قولك : اننا نقدر **كريم** عاطفته **وشريف** خصاله ، ومثل قولك : **قليل** المعرفة **كبير** الثروة .. فقد ظلت الصفة هنا مذكرة مع موصوفاتها المؤنثات .

وهي أحيانا تتمسك بصيغة المفرد بعناد لا مبرر له حين يكون موصوفها مثنى أو جمعا ، في مثل قولك : **أسيل** الخد ، **حلو** النظرات .

بل انها تتجاهل الموصوف في جميع حالاته أحيانا ، من تذكير وتأنيث وافراد وتثنية وجمع ، متشبهة في كل ذلك بمن لا علاقة لها به وهو مالك الموصوف ان كان له مالك ، من ذلك قولك : الوزير غزير العلم ، فالصفة هنا تقطع كل صلة لها بموصوفها العام منذ صارت خبرا للوزير (المبتدأ) .

ونحن نسميها **صفة** باعتبار ما كان ، أي انها قبل تقديمها على الموصوف كانت صفة بالفعل ، حقيقة وحكما ، أو **نحويا وعقليا** ، اما عند تقديمها فيتغير اسمها هذا **نحويا** وتصبح فاعلا أو مفعولا أو مجرورا وغير ذلك من حالات الاسماء في الاعراب .

وهي قد تعود فتصبح صفة أيضا ، ولكن لا لموصوفها الحقيقي الذي تقدمت عليه ، بل لصاحبه كما كان شأنها حين صارت خبرا له في المثال السابق . وهذا من أغرب أطوارها ان لم يكن أغربها طرا ، ذلك بأن موصوفها الجديد قد يكون مغايرا لها ، او مناقضا كل

---

(2) زيادة في الايضاح : (**خاش** = طيب ، **مزة** = الطعم) (**نيك** = حسن ، **بخت** = الطالع والحظ) (دور = بعيد ، **بين** = البصر) ، **بد** = سيء ، **كمان** = الظن) ويلاحظ أنه لا توجد في الفارسية أداة تعريف ، فكل اسم يعتبر معرفة ما لم تميزه علامة تنكير .

المناقضة ، يتضح هذا فى مثل قولك عن فـــلان : انه **كريم لئيم الاتباع ، معتوه نجيب الولد ، غنى فقـــير الجار** ! ونحن عند اعراب هذه الصفات ملزمون نحويا بأن نقول : **(لئيم)** صفة **(كريم)** .. و **(نجيب)** صفـــة **(معتوه)** ... و **(فقير)** صفة **(غنى)** !.. خلافا لبديهيات المنطق ، وما كان مثل هذا التناقض الفادح ليقع لو أننا جرينا على القاعدة العربية فقلنا : انه كريم **أتباعه لئام ، معتوه ولده نجيب** ، غنى **جاره فقير** .

والصفة فى كلتا هاتين الحالتـين اللتين تتجـــاهل فيهما موصوفاتها الحقيقية ــ أى عند كونها خبرا لمالك موصوفها فى الحالة الاولى أو صفة له فى الحالة الثانية ــ تكون تابعة لمالك الموصوف هذا كما قلنا فى جميع حالاته ، كالمرأة ــ أيضا ــ اذا هـــى تركت زوجهـا وتعلقت برئيسه ، وعلى هذا يقال : هو (الرئيس مثلا) **كثير** المال ، وهى (المديرة مثلا) **كثيرة** المال ... وهمـــا **كثيرا** المال ، أو **كثيرتا** المال ... وهم **كثيرو** المال .. وهن **كثيرات** المال ، والمقصور وصفه فى جميع هذه الحالات الست هو المال ، المذكر المفرد ، ولكن الصفة **(كثـير)** تتجاهله تماما وتتبع أصحاب المال وصاحباته فتغـــير لبوسها معهم فى ست حالات مختلفة ، باعتبارهم هم الموصوفين (نحويا) وان لم تكن لاى واحد أو واحـدة منهم علاقة بصفة **(الكثرة) هذه** ، اما المـــال المقصود وصفه فى جميع الاحوال فهو قابع فى مكـــانه ، مقيد بالاضافة ، مكسور الخاطر ، أعنى مكسور الآخر .

كل هذا جاء من اقحام قاعدة أعجمية فى لغة عربية **يقوم كيانها وطرائق تركيب الكـــلام فيها على قاعدة** معاكسة ، فالصفة عندمـــا قدمت ووضعت فى غـــير موضعها التقليدى وأخذت مكان موصوفها جابهتها حالات لم تألفها ومآزق لم تكن تتعرض لهـــا عندما كـــانت ملحقة بموصوفها ، فاضطرت الى تحوير كل قاعـــدة نحوية تقف فى طريقها وسحق كـــل ضرورة منطقيـــة تهدد وجودها ــ دفاعا عن نفسها على سنة البقاء .

وان كان قول المحدثين اليوم انه (يتقدم أكثر فأكثر) و (يدبر الامر بشكل او بآخر) ينبـــو عن اذواقنـــا ويؤذى أسماع بعضنا كما يؤذينا اللحن فى الكلام من جر منصوب او رفع مجرور ، فانما هى السليقة ، أى العادة اللغوية اما ناشئة الجيل الذين لم تتعود أذواقهم ما يخالف أمثال هذه التعابير المستحدثة الدخيلة ولـــم تتكون لديهم سليقة تناقضها ، فلا يجدون فيها غضاضة ولا نشازا ، ومتى كبروا كان استعمالها عندهم هـــو العادة والسليقة ، ثم هم يخلفونها لذراريهم تراثا مـــن تعابير سائغة مستحبة ، يؤذى أذواقهم الخروج عليها ، ولو الى الافصح الاقوم .

كذلك العرب الاولون ، لا بد ان أمثال تعابير طويل النجاد ، وشديد البأس ، وأهرت الشدقـين ، وأحوص العينين ، وأقبح الثنايا ، وذلفاء الانف ، وقب البطون .. قد آذت أسماعهـــم أول الامـــر لاصطدامها بسلائقهم ، ولعلهم قد سخروا من المتكلمين بها ووصموهم بالرطانة والعجمة **ثم استساغتها الاجيال اللاحقة بالرغم مـــن** لا عروبتها ولا منطقيتها .

ويروى الجاحظ أنه سمع غلاما أعجميا يقول (سند نعال) يريد (نعالا سندية) كأنما يروى لنا ملحة نادرة، دون أن يخطر له على دقة ملاحظته وفقاهته فى العربية أن العرب العرباء تفعل ما هو أسوأ اذ تقول : قليـــل ماء ، وقصير ذراع ، وطويل باع ، وباطل ثناء ، ولئيم أعمام واخوال .. وما الى ذلك ، وانما قلت ان فعـــل العرب أسوأ بسبب اللامنطقية واللانحوية التى مرت بنا شواهد غير قليلة منها ، بالاضافـــة الى لا عروبتها .. على حين انها فى اللغات الآرية أصيلة متسقة مع قواعد النحو ومنطق الاشياء .

ويلوح لى من تركيب قول الغـــلام الاعجمى (سند نعال) أن ترجمته الدقيقة هى (نعال السند) لا كمـــا ترجمها الجاحظ (نعـــالا سندية) أعنى أنه تـــركيب اضافة لا نعت ، فلو قد كثر انه أمثال هـــذا الغـــلام الاعجمى بين العرب ، أو كثر العرب المتأثرين بلغتـــه الاصلية السنسكريتية لوجدنا أبناء قحطـــان وعدنان يقدمون المضاف اليه على المضاف أيضا ، ولو قد سرت عدوى ذلك فعمت العرب أجمعين كمـــا عمتهم عـــدوى تقديم النعت على المنعوت ، لما وجد الجاحظ فيها مـــا يستحق التدوين او يلفت النظر .

وأكبر ظنى أن آفة تقديم المضاف اليـــه أيضا كانت قد أصابت بعض العرب ، ربما أكثر من مرة فى أكثر من مكان ، ولكن عدواها لم تتمكن مـــن الانتشار ولا البقاء ، لانها بالرغم من عدم اصطدامها بالمنطق تحدث من اللبس ما لا يمكن احتمالها معه ، **فمعلوم أن الوسيلة الوحيدة للتفريق بين المضاف والمضاف اليه فى العربية**

هى تقديم هذا على ذاك ، فاذا عكسنا الوضع انعكس المعنى فى كليهما ، كما فى مثل قولنا : **حارس البيت** ، بدل بيت الحارس ... **وزوج المرآة** ، بدل امرأة الزوج .. **وكعبة الرب** ، بدل رب الكعبة على حين أن تقديم الصفة على موصوفها ـ بالرغم من كل ما تقدم بنا ومن تغير عائديتها فى الاعراب ـ لم يغير فى ذهن السامع ما قصد اليه المتكلم من كلامه ، فلم تلتبس الصفة بالموصوف ، أعنى لم تاخذ مكانه فى الذهن ولو انها أخذت مكانه فى الاعراب .

ان شعراءنا وادباءنا يؤثرون على كل حال أن يستعملوا الصفات فى زيها الدخيل الفوضوى هذا ، فهم حين يريدون التفاصح يتنكبون الطريقة العربية الاصولية القويمة عزوفا عن استوائها وبساطتها وصحتها ، وحبا بما تغذيهم به الطريقة الاخرى من شذوذ وتمرد ولا معقولية يحسون بها احساسا غامضا لا يفقهون حقيقته ، مثلما يستهوينا فى المحبوب بعض مفاتن غير المفاتن الوتيرية (الروتينية) فى حركاته أو نبراته تفعل فعلها فينا ولا نكتنه سرها .

ومهما يكن فان هذه البدعة بالرغم مما أحدثت من شغب وفوضى قد أغنت ولا شك أن هذا سيكون مصير التعابير التى أقحمها متأدبو اليوم فى العربية وما سيقحمونه منها فى المستقبل كما فعلوا فى كل جيل ، فيؤذون أذواق الجيل السابق ويزيدون الثروة اللغوية للجيل اللاحق .

ومن الغريب حقا ان اللغة العربية حين عادت فأثرت فى الفارسية بعد الفتح الاسلامى وشمل تأثيرها الواسع العميق حتى بعض قواعد النحو والصرف ، كان من جملة ذلك أنها طعنتها فى نفس المكان الذى تلقت طعنتها فيه من جسمها ، أعنى أنها فرضت على الفارسية اتباع الطريقة العربية القديمة فى تأخير الصفة على موصوفها ، والربط بينهما بوثاق الاضافة أيضا ـ كأنما أخذا بالثار ، وكان من نتيجة ذلك أن صار الفرس يقولون اليوم : **قصر ابيض كتاب مفيد** ، **مدرسة ابتدائى** مع كسر آخر الموصوف ، على طريقتهم فى الاضافة ، بالضبط كما يكسرون آخر المضاف عند قولهم **قصر سلطنة** ، **كتاب فلسفة** ، **مدرسة رقص** (3) أما فى القاعدة الفارسية القديمة فلا يكسر آخر الصفة ولا آخر الموصوف وانما يكون كلاهما ساكنا ، مثل : **بزرگك مهر** ، الذى ترجمت له كليلة ودمنة (**بزرگك** = كبير ، **مهر** = المحبة أو اللطف) ، و (**جوان بخت**) ، أى سعيد الطالع (**جوان** = شاب فتى ، بخت = الحظ) .

وقد نالت العربية من الفارسية فى هذا الصدد أكثر مما نالته الفارسية منها لان تبعية الصفة للموصوف ما زالت حتى اليوم هى القاعدة العامة فى العربية يجوز الى جانبها تقديم الصفة جوازا ، وقد استعملها العرب فى بعض الحالات لا كلها ، حتى كاد الامر يكون سماعيا ، وكثيرا ما يبدو نابيا فى غير التعابير المألوفة التى استشهدنا بنماذج منها ، فليس من المألوف مثلا أن يقال عجوز امرأة ، أو شجاع جندى ، بمعنى امرأة عجوز وجندى شجاع كما نقول عتيق خمر وجزيل شكر ، بمعنى خمر عتيقة وشكر جزيل ، أما فى الفارسية فقد أصبح الخروج على القاعدة القديمة هو القاعدة فى صياغة الكلام الآن ، وأصبحت التعابير المصوغة وفق تلك القاعدة القديمة أشبه بالشواذ من المصطلحات السماعية تخلفت من رواسب العهد القديم ، لا يقاس عليها .

يقع عند احتكاك الشعوب بين اللغات من الاحداث والمفارقات والنكات والحكايات ما يشبه فى طرافته وغرابته بعض الذى يقع بين البشر ، رأينا فى هذا البحث اثارة من ذلك ، وآخر هذه الطرائف التى عرضت لنا هو هذا التبادل النادر المثال ، فى نقطة بذاتها ، بين العربية وجارتها الفارسية ، الفارسية جعلت العربية تقدم الصفة على الموصوف خلافا لقواعدها النحوية فى الجاهلية والعربية جعلت الفارسية تقدم الموصوف على الصفة خلافا لقواعدها النحوية أيضا فى الاسلام ...

عبد الحق فاضل

(3) اخترنا هذه النماذج من الالفاظ العربية لكي يفهمها القارىء العربي ، فهي من المفردات العربية المستعملة في الفارسية ، ويلاحظ أن الاضافة في الفارسية تكون كما ذكرنا بكسر آخر المضاف ـ لا المضاف اليه كما في العربية.

كيف فشلت تجربة الازدواجية في لغة التعليم بالمغرب العربي - 2 -

ادريس الكتاني
استاذ بمعهد العلوم الاجتماعية

اثبتنا في العدد الاول من هذه المجلة حقيقة علمية ، وهي أن ازدواجية لغة التعليم ، في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، امر لا يقره أي نظام من أنظمة التربية والتعليم في العالم اجمع ، وانما هو ابتكار استعماري فرضته فرنسا في اقطار المغرب العربي والهند الصينية ، كوسيلة لجعل لغتها شريكة فعلية ورسمية للغات القومية في مستعمراتها السابقة ، واحلال ثقافتها محل الثقافات الوطنية لهذه البلدان ، اذ في تحقيق هذا الهدف ضمان لاستمرار وجودها وسلطانها على هذه الشعوب .

ومع ذلك ، فان المغرب نهج منذ استقلاله سنة 1956 نفس السياسة رغم اخطارها على لغته وشخصيته وثقافته القومية ، وبالرغم عن الفشل الذريع الذي منيت به هذه السياسة ، سواء في عهد الحماية أو بعد الاستقلال .

وقبل ان نتحدث عن النتائج الخطيرة لهذه التجربة يجب ان نشرح الوضع اللغوي لسكان المغرب العربي عامة، وسكان المغرب خاصة .

يقدر الكاتب الفرنسي روبير مونطاني في كتابه « حضارة الصحراء » (La civilisation de désert) المطبوع سنة 1947 ، نسبة المتكلمين اصالة باللغة العربية في المغرب بـ 50٪ وفي الجزائر بـ 65٪ ، وفي تونس بـ 98٪ في المائة ، وهذا التقدير يبدو انه قريب من الواقع ، اذ لا يوجد لدينا احصاءات لغوية أو خريطة لغوية حتى اليوم ، والذين يتكلمون العربية في المغرب هم السكان الذين ينحدرون من أصل عربي أو بربري مستعرب ، أو ممن اسلموا من الاسبان واليهود واستعربوا استعرابا كاملا منذ عدة قرون ، وكذلك الاقلية اليهودية ، أما 50٪ الباقية فانها تتالف من السكان الاصليين الذين يتكلمون لهجات مختلفة ، اهمها تمازيغت وتشلحيت ، ويتكلمها سكان الاطلس والسوسية وهي لهجة سكان سوس ، والريفية وهي لهجة سكان الريف ، ويمكن القول بأن نحو 50٪ من هؤلاء السكان ، (أي 25٪ من مجموع سكان المغرب) يتكلم الى جانب لهجته الاصلية اللغة العربية كلغة اصلية ثانية ، وان كانت غلبة استعمال احداهما على الاخرى تختلف من اقليم الى آخر .

وبناء على ذلك يمكن تقسيم السكان لغويا كما يلي :

50٪ يتكلمون العربية فقط
25٪ « « ولهجة اخرى
25٪ « لهجات بربرية مختلفة .

في بلد هذا هو وضعه اللغوي ، تقوم المدرسة المتفرنسة لتفرض على الاطفال الذين هم بين سن 7 – 12 اي على :

50٪ من الاطفال الذين يتكلمون لهجة عربية عامية .
و 25٪ « « « بربرية وأخرى عربية .

و 25٪ من الاطفال الذين يتكلمون لهجة بربرية فقط .

تفرض على هؤلاء الاطفال جميعا أن يتعلموا – بالاضافة الى لغة او لغتي تخاطبهم – العربية الفصحى

واللغة الفرنسية ، وان يتلقوا المواد الدراسية أو بعضها فقط باللغة العربية ، ونصفها الآخر باللغة الفرنسية . مع العلم بأن اللغتين تختلفان أصلا ونطقا وكتابة ، كما تختلفان في خط السير ، فالعربية تبدأ من اليمين الى اليسار ، والفرنسية بالعكس .

وهكذا يفترض مشرع هذه المدرسة أن الطفل المغربي – على خلاف أطفال العالم أجمع – مستعد في هذه السن المبكرة لتعلم لغتين تختلفان عن لغته أو لغتي تخاطبه ! وتلقي العلوم بهما في نفس الوقت ! وهذا الافتراض اذا صح ونجح بالنسبة لعدد ضئيل لا يتجاوز على أحسن تقدير 10٪ هم أصحاب الذكاء الفائق ، فانه عمليا وواقعيا باطل وفاشل بالنسبة لـ 90٪ من عموم الاطفال ذوي الذكاء العادي .

ويجب أن نشير هنا الى أن الفرنسيين أنفسهم في عهد الحماية لم يومنوا قط بازدواجية لغة التعليم كمنهج تربوي صحيح ، اذ لو كانوا يومنون بذلك لطبقوه في بلادهم أولا ، ولأدخلوا تعليم الانجليزية مثلا في مدارسهم الابتدائية ، وانما كان هدفهم الحقيقي هو احلال لغتهم محل اللغة القومية كما فعلوا في جميع مستعمراتهم ومحمياتهم السابقة ، بدليل أن حصة اللغة العربية والدين في المدارس المغربية ، لم تتجاوز 20 دقيقة في اليوم عند ابتداء الحماية ، وطوال ربع قرن (1912 – 1937) واذا كانت هذه الحصة قد ارتفعت الى 50 دقيقة خلال سنوات (1937 – 1945) ، ثم زاد ارتفاعها بعد ذلك فلم تحل نهاية 1955 – التي انتهت معها الحماية – حتى بلغت ساعتين ، أي ثلث الحصص اليومية ، فان هذا الارتفاع قد حدث تحت ضغط الحركة الوطنية الشعبية ، ولا علاقة له اطلاقا بما سمي بعد الاستقلال بـ « ازدواجية لغة التعليم »

وليس من الغريب أن نلاحظ هنا أن صورة الكفاح بين المغرب العربي والاستعمار الفرنسي ظلت تنعكس باستمرار على سياسة التعليم ، واذا كانت الحركة الوطنية قبل الاستقلال قد استطاعت أن ترفع الحصة التي تلقى بالعربية من 20 دقيقة الى ساعتين في اليوم ، فان عهد الاستقلال – بأعوامه التسع – لم يزد على ذلك الا ساعة واحدة حيث أصبحت نصف المواد تلقى بالعربية في التعليم الابتدائي ، والنصف الآخر (المواد العلمية الاساسية) يلقى بالفرنسية (1) وهذه (الازدواجية اللغوية) الغريبة لا تقوم على أساس علمي أو تربوي كما رأينا من قبل ، وانما هي بدعة استعمارية يمكن تصنيفها في اطار :

1 – « الجنسية المزدوجة » التي طالب بها الفرنسيون المقيمون في المغرب ليلة الاستقلال لتكون لهم حقوق الجنسية المغربية ، بالاضافة الى جنسيتهم الفرنسية !.

2 – « الحكومة المزدوجة » التي ألفوها فعلا من وزراء مغاربة وفرنسيين ليلة الاستقلال أيضا ، تطبيقا لمبدأ « السيادة المزدوجة » .

وبالرغم عن فشل المحاولتين السابقتين ، فانهم لم يلبثوا أن ابتكروا صبيحة الاستقلال « مذهبا جديدا » في سياسة التعليم قدموه هدية للمغرب المستقل ، فكان هو : « اللغة المزدوجة ! »

ومما لا شك فيه ان هذه السياسة تهدف لخنق أنفاس اللغة العربية تدريجيا ، وبصفة مباشرة ، ومحاربة الاسلام وحضارته عن طريق حرمان الشعب المغربي من تعلم لغته القومية التي هي لغة القرآن .

وقد برهنت تجربة « الازدواجية اللغوية » هذه على فشل كامل سواء في ميدان التعليم أو التربية بل انها أدت الى نتائج في منتهى الخطورة بالنسبة للتكوين القومي والخلقي والنفسي للاجيال المغربية ، ولكي نتأكد من فشل هذه التجربة فشلا كاملا ، نشير الى النتائج الخطيرة التي انبثقت عنها ، والتي يعاني الشعب منها أشد النكبات :

1 – من الوجهة التربوية :

أ – ينفصل كل سنة عدد هائل من التلاميذ من جميع الاقسام الابتدائية بسبب ارهاق التلاميذ وتحملهم من المواد الفرنسية والعربية وازدواجية لغة التلقين ، فوق ما تتحمله أعمارهم الصغيرة ، وفوق ما تطيقه استعداداتهم الفطرية للتحول النفساني في الساعة الواحدة ، من جو

(1) فى المدارس الثانوية لا تتجاوز حصة العربية الثلث ومادة التاريخ والجغرافية تلقى بالفرنسية

لغة صعبة تكتب بحروف تبدأ من اليمين ، الى جو لغة صعبة تكتب بحروف مختلفة تماما وتبدأ من اليسار ، وكلاهما يختلف عن اللغه التي يتخاطب بها الطفل في بيته ، ولا يخفى المعلمون المغاربة وحتى الفرنسيون هذه الحقيقة، فالتلميذ المغربي يطلب منه أن يكون في مستوى التلميذ الفرنسي في اللغة والمواد الفرنسية والعلمية كلها ، وفي نفس الوقت يطلب منه أن يتعلم اللغة العربية والعلوم الاسلامية . (وهو الشيء الذي لا يطلب من التلميذ الفرنسي ولا من اي تلميذ في أية مدرسة في العالم) وبما

أن هذا فوق طاقة التلميذ العادي فانه يجد نفسه مرغما على اعطاء الاسبقية لدراسة اللغة الفرنسية ذات المواد الاساسية في الامتحانات . وكثيرا ما يتكرر سقوطه في الامتحانات فيضاعف السنوات الدراسية ، وينتهي أمره بكراهية المدرسة وفراره منها ، أو طرده منها اذا أرغم على البقاء .

ب ــ يبلغ معدل التلاميذ الذين ينفصلون عن الدراسة كل سنة من مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي 21ر25٪ بينما يبلغ معدل الذين يكررون أقسامهم في نفس الوقت 25ر25٪ . وهذا يعني أن نسبة الذين يرسبون كل سنة في امتحانات الانتقال في مجموع سنوات التعليم الابتدائي تبلغ 46ر50٪ ، نصفهم تقريبا يغادر المدرسة نهائيا تحت عامل الياس من النجاح في المستقبل ، أو يفر منها بالرغم عن ضغط والديه لانه لم يتحمل اطلاقا صعوبة منهاج التعليم ، أما النصف الآخر فانه يرغم على تكرار السنة الدراسية ، وبهذا التكرار ــ ولو مرة واحدة ــ يتعرض التلميذ لخطر رفض قبوله في التعليم الثانوي بسبب كبر سنه ، الذي كثيرا ما يكون سببه تكرار السنوات !

ان الارقام المذكورة آنفا عن معدل المنفصلين والمكررين ومجموع الراسبين كل سنة في التعليم الابتدائي، شيء لا يكاد يصدقه العقل ، ولا يوجد له نظير في أي تعليم في العالم ، وهي لا تدل فحسب على فشل سياسة التعليم، وارهاق الاجيال المغربية التي يضيع عمرها سدى في تعليم عقيم لا ينتج شيئا بالنسبة للاموال التي تضيع فيه ، والتي تبلغ 20٪ من الميزانية العامة للدولة !!

على أن الامر لا يقتصر على التعليم الابتدائي ، فازدواجية لغة التعليم هي السياسة التي يتحطم على صخرتها مئات الآلاف من التلاميذ كل سنة ، سواء في مرحلة التعليم الابتدائي أو الثانوي ، فالذين اجتازوا صراط التعليم الابتدائي بسلام ، ينتظرهم في الثانوي أيضا مصير حالك قل من بينهم من ينجو منه :

20ر6٪ من مجموع تلاميذ الثانوي ينفصلون عن الدراسة كل سنة !.

15٪ يكررون أقسامهم في نفس الوقت كل عام !

35ر6٪ مجموع الراسبين كل سنة !

وكما كان الحال في الابتدائي ، فان تكرار الاقسام في الطور الاول من الثانوي يعرض التلميذ ــ مرة أخرى ــ لخطر رفض قبوله في السنة الرابعة من الثانوي اما بسبب كبر سنه واما لتكرار الاقسام !

وفي الجداول التالية صور ناطقة بالارقام عن نتائج هذه السياسة ، مستخلصة من البيانات الرسمية الواردة في التصميم الثلاثي (2)

نسبة المنفصلين والمكررين والراسبين كل سنة في التعليم الابتدائي :

الاقسام	نسبة المنفصلين	نسبة المكررين	نسبة الراسبين
الابتدائي 1	5٪	18٪	23٪
الابتدائي 2	8٪	20٪	28٪
المتوسط 1	12٪	23٪	35٪
المتوسط 2	20٪	40٪	60٪

وبناء على ذلك يكون المعدل العام للمنفصلين والمكررين والراسبين كل سنة في التعليم الابتدائي كما يلي:

معدل المنفصلين كل سنة	21ر25٪
معدل المكررين »	25ر25٪
معدل الراسبين »	46ر50٪

(2) ص 10 والجداول التالية من القسم 7 . و ص 12 ــ 27 ــ 28 ــ الجداول التالية من القسم 3 .

وفي التعليم الثانوي :

السنوات	المنفصلون	المكررون	الراسبون
قسم الملاحظة	4٪	3٪	7٪
السنة 1	10٪	10٪	20٪

بعد هذه السنة يوجهون للتعليم المتوسط أو الطويل نسبة المنفصلين والمكررين والراسبين في التعليم الطويل :

السنة 2	7٪	15٪	22٪
السنة 3	20٪	25٪	45٪
السنة 4	26٪	10٪	36٪
السنة 5	10٪	8٪	18٪
السنة 6	33٪	17٪	50٪

وبناء على ذلك يكون المعدل العام في الثانوي كما يلي :

المعدل العام في قسم الملاحظة والسنة 1 :

معدل المنفصلين كل سنة	7٪
معدل المكررين »	6ر5٪
معدل الراسبين »	13ر5٪

المعدل العام في بقية الاقسام :

معدل المنفصلين كل سنة	19ر2٪
معدل المكررين »	15٪
معدل الراسبين »	34ر2٪

ويلاحظ في هذه الجداول أنه بالاضافة الى نسبة الرسوب المتناهية في الارتفاع في سائر السنوات سواء في التعليم الابتدائي أو الثانوي هي السبب المباشر في ارتفاع نسبة المنفصلين عن الدراسة ، والمكررين للاقسام ، عمدت وزارة التعليم الى تحديد نسبة الناجحين في الاقسام التالية :

40٪ من مجموع تلاميذ أقسام المتوسط الثاني (قسم الشهادة الابتدائية) هم الذين ينجحون وينقلون للاولى من الثانوي .

60٪ (من 40٪ السابقة) يوجهون في نهاية السنة الاولى من الثانوي الى التعليم المتوسط وهو تعليم مهني يقضي فيه التلاميذ عامين آخرين ثم ينقطعون عن الدراسة نهائيا !

40٪ (من 40٪ الباقية) هم الذين يواصلون التعليم الثانوي الذي يسمى بالطويل .

55٪ من مجموع تلاميذ السنة الثالثة (قسم الشهادة الثانوية) ينجحون في هذه الشهادة وينتقلون الى السنة الرابعة أما 20٪ فانها تنقطع عن الدراسة بعد رسوبها في الامتحان ، بينما 25٪ الباقية تكرر السنة على أمل أن تنجح في هذه الشهادة وتغادر المدرسة ، اذ لا يبقى لها أمل في الانتقال للسنة الرابعة بعد التكرار او كبر السن !

50٪ تقريبا من مجموع تلاميذ السنة السادسة يؤمل لهم النجاح في امتحان الثانوية العامة (البكالوريا) في أحسن الظروف ! بينما يتلاشى الباقون هكذا : 33٪ ينفصلون و 17٪ يكررون !

واذكر مرة اخرى بأن التصميم الثلاثي يقول عن التقديرات والارقام السابقة (3) :

• ان الحسابات النظرية مصدرها الاحصاءات الحقيقية التي سبق لوزارة التربية الوطنية ان قامت بنشرها في 1963 ــ 1964) ، فلا مجال اذن للشك في ان هذه الارقام مبالغ فيها ، اذ الحقيقة اشد هولا من ذلك كما سيتبين لنا فيما بعد .

ففي حي سيدي البرنوصي بالدار البيضاء مثلا وقع الاعلان عن نتائج امتحانات الشهادة الابتدائية بمدرسة البنات في يونيه 1964 حيث لم ينجح الا 5 تلميذات من بين 150 مرشحة تقدمن للامتحان ! مع أن مديرة المدرسة كانت فرنسية لا يشك المسؤولون عن التعليم في كفاءتها واخلاصها .

ومن البديهي أن هذه النسبة لرسوب التلاميذ لا ترجع الى أن الاطفال المغاربة اكثر كسلا او بلادة من أطفال اي بلد في العالم ، أو أن ظروفهم التعليمية أسوأ حالا من ظروف الآخرين ، بل هناك سبب عميق خفي ، هو هذا الارهاق الذي يعانيه التلاميذ المغاربة من برامج التعليم المضاعفة ، ولغة التعليم المزدوجة ، وما يتولد عن

---

(3) ص 10 من القسم السابع و ص 27 من القسم الثالث .

هذه وتلك من مشاكل وتعقيدات تربوية لا حصر لها ، ولا طاقة للاطفال بها .

ج ـ من المعلومات والارقام السابقة تنكشف لنا حقيقتان :

ـ 30٪ فقط من مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي يؤمل لهم أن يجتازوا عتبة التعليم الثانوي ! أما 70٪ فانها تتلاشى سنويا وتنفصل عن الدراسة قبل نهاية هذا التعليم .

ـ 3٪ فقط يمكن أن يصلوا الى التعليم العالي !

ولكي نبرهن على ذلك بالارقام أيضا ، يمكن أن نقدر مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي في سنة ما بمليون تلميذ (هو تقريبا عدد تلاميذ سنة 1962) ، وان نتتبع خطوات ومصير هذا الجيل سنة بعد سنة ، الى أن ينقطع عن الدراسة ، أو يصل الى التعليم العالي ، والجداول التالية تشرح لنا كيف يتناقص عدد التلاميذ ويتلاشى كل سنة ، بناء على النسب السابقة :

تناقص التلاميذ كل سنة في التعليم الابتدائي :

السنوات	نسبة المنفصلين	عددهم	العدد الباقي
1			1.000.000
2	21,25٪	212.000	787.500
3	21,25٪	167.343	620.157
4	21,25٪	131.781	488.376
5	21,25٪	103.777	384.599

فهذا الجدول يشير الى أن الجيل الذي يقدر بمليون تلميذ يتناقص عدده سنويا بمعدل 21,25٪ حيث لا يبقى منه في نهاية السنة الخامسة الا 384.599 تلميذا هم الذين يفترض دخولهم الى الثانوي ، واذا نظرنا الى الواقع فاننا نجد أن العدد الذي يصل الى الثانوي هو أقل من ذلك بكثير ، ففي أكتوبر 1962 كان مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي يناهز المليون ، وبعد خمس سنوات سيتلاشى هذا الجيل بعد أن يقدم لنا نخبته التي ستحظى بالدخول الى الثانوي كل سنة من السنوات المذكورة ، والتصميم الثلاثي (4) يمدنا باعداد التلاميذ الذين نقلوا فعلا الى الثانوي في السنتين الماضيتين 1963 و 1964 ، والذين سينقلون في سنوات التصميم الثلاثي المقبلة ، وذلك حسب البيان التالي :

السنوات	التلاميذ المنقولون الى الثانوي
اكتوبر 1963	32.600
» 1964	60.000
» 1965	61.500
» 1966	64.000
» 1967	65.500
الجميع	283.600

هذه هي أعداد التلاميذ الذين نقلوا أو سينقلون الى الثانوي طبق احصائيات وتقديرات وزارة التعليم ، ولكن واضعي التصميم الثلاثي يفترضون نقل 2.000 تلميذ اضافي في كل سنة من سنوات التصميم الثلاثي الاخيرة لمعادلة الحسابات ! والذي يهمنا من هذا البيان الآن هو الاشارة الى أن العدد الحقيقي للتلاميذ الذين ينقلون فعلا الى الثانوي خلال خمس سنوات من مجموع جيل يبلغ عدده نحو مليون تلميذ ، تقل نسبته عن 30٪ ، واذن فالعدد الواقعي المذكور يقل عن العدد النظري السابق 384.599 بأزيد من 100.000 تلميذ كما نرى ، وهذا يعني أن النسبة الحقيقية للذين ينقطعون عن الدراسة كل سنة في التعليم الابتدائي هي 27٪ وليست 21,25٪ كما تتضمنه الارقام الرسمية الآنفة الذكر .

ونستخلص من هذا كله أن نسبة التلاميذ الذين يصلون الى الثانوي لا تتجاوز 30٪ من مجموع تلاميذ الابتدائي . وعلى ضوء هذه الحقيقة يستمر تناقص الجيل السابق في التعليم الثانوي طبق البيانات السابقة على النحو التالي :

(4) ص 6 . 12 . 27 من القسم الثالث .

تناقص التلاميذ كل سنة في التعليم الثانوي :

السنوات	معدل المنفصلين	عددهم	العدد الباقي	ملاحظات
			300.000	30٪ من المليون السابق
قسم الملاحظة	٪70	21.000	289.000	
سنة 1	٪70	20.230	268.770	
	٪60	161.262	107.508	60٪ توجه للتعليم المتوسط
سنة 2	٪20,6	22.100	85.408	
سنة 3	٪20,6	17.580	67.828	
سنة 4	٪20,6	13.970	43.858	
سنة 5	٪20,6	9.033	34.825	
سنة 6	٪20,6	7.173	27.652	يحصلون على الثانوية العامة

ومن المعلوم أن الذين يحصلون على الثانوية العامة (البكالوريا) لا يدخلون جميعا الى الجامعة ، فاذا قدرنا أن نحو 45٪ منهم يضطرون لمغادرة الدراسة الى العمل اما بدافع الحاجة للعيش أو لعدم الحصول على منحة لمواصلة التعليم العالي ، أو ينقطعون عن الدراسة خلال سنوات التعليم العالي لسبب ما ، وان 55٪ من الثانويين سيحملون شهادات جامعية ، ويبلغ عددهم في مثالنا السابق 15.210 فسنجد في نهاية المطاف أن نسبة 1,5٪ من مليون تلميذ (الجيل الذي ضربنا به المثل) بعد 16 سنة من الدراسة على أقل تقدير ، في حياة أمة بكاملها ، هي التي ستتخرج من الجامعة .

د ـ يعترف رجال التعليم وخبراء التربية جميعا بأن ازدواجية لغة التلقين هذه من أهم الاسباب في هبوط مستوى التعليم ، واستنزاف طاقة التحصيل لدى التلاميذ، حيث يفرض عليهم أن يوزعوا جهدهم ووقتهم على لغتين وطنين وثقافتين ، وأن يدرسوا تاريخ وجغرافية وحضارة فرنسا (كوطن متميز قبل سائر بلاد العالم) في الوقت الذي يجب عليهم أن يدرسوا تاريخ وجغرافية وحضارة المغرب ، وهكذا !. ولكن بدل أن ينسب هبوط مستوى التعليم الى هذا السبب الاصيل (هناك أسباب ثانوية) ، ينسب عمدا الى (التعريب) .

هـ ـ مرت تسع سنوات كاملة أي منذ فجر الاستقلال على تجربة الازدواجية المتعادلة في توزيع الزمن ، في التعليم الابتدائي ، حيث خصصت 15 ساعة في الاسبوع لتعليم العربية والمواد الاسلامية بهذه اللغة ، و 15 ساعة لتعليم اللغة الفرنسية والعلوم بما فيها الحساب والاشياء بهذه اللغة ، وكانت النتيجة هي الفشل التام لهذه التجربة ـ اذا كان يراد منها حقا حصول التلميذ المغربي على معارف متساوية على الاقل ، وعلى مستوى متعادل ، في اللغتين معا ـ ، ذلك أن اللغة لا تنمو مع الطفل ، ولا تتسع معارفه بواسطتها الا عن طريق استعمالها ، وخاصة في الميادين العلمية ، فاذا فرضنا عليه أن يتعلم الحساب والاشياء وسائر المواد العلمية الاخرى باللغة الفرنسية فسيكون بطبيعة الحال مضطرا للالتجاء في احاديثه اليومية ، لانه لم يدرسها ولا عرف اسماءها الى الفرنسية للتعبير عن مدلولات هذه الاشياء ، حتى في اللغة العربية ، وهذا ما يحدث فعلا ، فهذه الافواج التي ساعدها الحظ بأن تصل في دراستها الى الاقسام الثانوية المتوسطة والعليا ، أصبحت لا تتحدث في الشوارع والمكاتب وحتى في البيوت الا بالفرنسية ، واذا هي تحدثت بالعربية فانها تتعثر وتضطر لخلطها بالفرنسية للتعبير عن المعاني التي تجهل كلماتها بالعربية ، فالازدواجية اللغوية هذه ـ والتجربة المشاهدة خير حجة ـ أصبحت تعني ازدهار لغة على حساب احتضار لغة أخرى !

و ـ من أكبر الادلة على فشل هذه التجربة أيضا ، انه لا يكاد يوجد واحد في المائة من بين جميع الذين أتموا

دراستهم الثانوية في المدارس الرسمية المزدوجة اللغة ، يمكن ان يقال انه يتقن اللغتين العربية والفرنسية انشاء وتعبيرا بدرجة متساوية ، وحتى متقاربة ، فاللغة الاساسية التي تحتكر تلقين المواد العلمية هي الفرنسية كما أسلفنا ، أما العربية فانها لا تمثل أكثر من دور الحصان الهزيل الطيع الذي ينقاد لزميله في جر العربة ، والعربة هنا هي المدرسة المغربية . واذا كان المغرب يتوفر على عدد محدود جدا ممن يتقنون لغتين أو ثلاث لغات انشاء وتعبيرا بدرجة محترمة ، فان الفضل في ذلك لا يرجع لنظام الازدواجية المذكور ، بقدر ما يرجع لذكاء هؤلاء الاشخاص ، ومجهودهم الخاص ، واذن فليس هناك ازدواجية لغوية حقيقية قائمة على أساس التساوي الكامل في المعرفة ، وانما هناك لغة أساسية رئيسية ، ولغة اضافية تابعة .

ز ـ بعد البيانات السابقة يمكن أن نتساءل :

ـ ما جدوى تعليم ينفصل عنه كل سنة 21ر25٪ من مجموع تلاميذه حسب الارقام الرسمية ، ويكرر اقسامه سنويا 25ر25٪ ، ويرسب في امتحاناته سنويا 50ر46٪ ؟!

ـ وما قيمة ادخال 800.000 تلميذ جديد في المدارس (5) اذا علمنا أن 265.625 تلميذا قد انفصلت عن التعليم في نفس السنة ؟! . وان الزيادة الحقيقية في عدد التلاميذ لا تتجاوز 34.375 تلميذا ؟!.

ـ وما قيمة تعميم التعليم اذا كان هذا التعليم لا يكون من الاطارات الجامعية الا نسبة واحد ونصف في المائة ؟!.

الحقيقة هي ان تعميم التعليم مع سياسة اللغة المزدوجة أصبح لا يعني الا شيئا واحدا هو تعميم الفرنسية !.

وهل يستطيع أحد أن يبرر لنا فائدة تعليم اللغة الفرنسية لـ 70٪ من التلاميذ المغاربة مع العلم بأنهم جميعا سينفصلون عن الدراسة خلال سنوات التعليم الابتدائي الذي لا يتجاوزونه أبدا ، من غير أن يتقنوا لا اللغة القومية، ولا اللغة الفرنسية ؟!.

وهل يستطيع احد أن يبرز ضرورة التعليم باللغة الفرنسية لـ 5ر28٪ الذين ينتقلون الى التعليم الثانوي ، مع العلم بأنهم جميعا سينفصلون عن الدراسة أيضا خلال سنوات هذا التعليم الذي لا يتجاوزونه أبدا الى التعليم العالي ؟!.

اذن من أجل 5ر1٪ من مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي الذين سيواصلون التعليم العالي المحتاج الى تعلم بعض اللغات الاجنبية ، نفرض على 5ر98٪ من مجموع هؤلاء التلاميذ أن يتفرنسوا منذ السنة الابتدائية الاولى ، ونعرضهم لجميع أخطار السقوط ، وتكرار السنوات ، والطرد من المدرسة ، وبالتالي الى ضياع عمرهم ومستقبلهم ، وتمزيق شخصيتهم القومية ، وتشويه ثقافتهم الوطنية ، وتبذير أموال الامة في سبيل ذلك ، مع أن النتيجة المحتومة هي فرنسة لغتهم وتفكيرهم !!!. ان أي عاقل مخلص لا يسعه الا أن يحكم على هذه الخطة بأنها ضد المصلحة الوطنية للبلاد . ولا تخدم الا المد الاستعماري اللغوي والثقافي والاقتصادي في المغرب .

2 ـ من الوجهة القومية والدينية :

«للبحث بقية »

---

(5) نسبة الزيادة الحقيقية للسكان في هذه السنة هي 412.000 نسمة كما تدل على ذلك التقديرات الرسمية ، وليست 300.000 فقط .



ما أن تكونت أول جماعة انسانية ـ أيا كان طابعها ـ ازاء قوى الطبيعة حتى نشأت البيئة الثقافية الخاصة بالانسان وحده على هـذا الكوكب . وصحبت معها مشاكلها الخاصة الناتجة عن علاقات الأفـراد بعضهم ببعض ، وفى سبيل البحث عن حـل لتلك المشاكل الجديدة فى نوعها ، تولد النشاط الانسانى فى استخدام الصوت لتكوين ألفاظ لغوية بدائية الطابع ، والانصات لتلك الاصوات بما يتبعه من مسلك ذهنى لفهم مدلولها اللفظى عن طريق الاذن . تجسد هذا النشاط الانسانى المتميز عن كائنات الطبيعة الاخرى ، فى صيحات موسيقية توحى بمعان سحرية ، تدل على الخوف والغضب وطلب النجدة ـ مثلا ـ تختلف فى دلالتها باختلاف موسيقاها.

هكذا كانت بداية اللغة الـتى استخدمت للتعبير الرمزى عن الأفعال والكائنات الحية والجامدة . بذلك تكون العنصر الأساسى للبيئـة الثقافيـة الخـاصة بالانسان وحده . فاللغة بظهورها كمرحلة عليـا فى ماجريات التطور ، خـارجة خروجا تلقـائيا من صور سبقتها للنشاط الحيوانى . كان رد فعلها الحتمى هـو تحويل تلك الصور والضروب التى كـان السلـوك الجماعى يجى، على غرارها يضيف بعدا جديدا الى أبعاد الخبرة الانسانية . ما نطلـق عليه **انسانية الوجـود** ، فالتعبير الرمزى عن الأشياء ، يحولها من أشياء قائمة بذاتها منفصلة عن الوجود الإنسانى ، الى جزء من هـذا الوجود ، فمثلا تسمية الساق الخشبية المنبثقة مـن الارض والمنتهية بأفرع ووريقات خضراء ، بلفظ شجرة، هو بمثابة اذابتها فى الوجـود الانسانى ، تقـع تحت سيطرته ، وتفقد معنى وجودها بدونه ، وعلى هذا تسمية الشىء ـ أى اطلاق لفظ لغوى عليه ـ هو الخطوة الاولى للسيطرة على وجوده ، ومزجه بالوجود الانسانى بعـد المعرفة السابقة له كشىء منفصل عـن هذا الوجود . والقوة فى التعبير الرمزى عن الشىء بلفظ لغوى تكمن فى امكان إنبثاق مواضيع مـن هـذا الرمز لا تمت للشىء المرموز به اصلا بصلة مباشرة ـ وان كان هذا لا يتم الا بعد عدة مراحل من التطور اللغوى ـ ومـن هنا يتبين الفرق الأساسى بين التعبير الرمزى عـن الاشياء والافعال برسمها والتعبـير الحركى للفعـل ـ الرقص ـ الذى من الصعب أن يتولد عنه شىء آخر، بخلاف اللفظ اللغوى الذى يملك تلك الامكانية .

وليست على هذا الاساس البيئة التى يحيا فيهـا الانسان ، يعمل ويبحث ، مادية فقط ، بل هى بيـئة ثقافية كذلك فأفعـال الانسان ، وكيفية أدائـه لها ، لا تتوقف على التكوين العضوى لجسده فقط ، بل البيئة والانسان يتأثران كذلـك بمؤثرات تـراثه الثقـافى المنبث فى التقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والأهداف والمعتقدات التى تحملها الالفاظ اللغوية فى طيها وتوحى بهـا .

والمشكلات التى تبعث على التقصى والبحث انما تنشأ من علاقات الناس بعضهـم ببعض ولا تقتصر الاعضاء

التى تختص بهذه العلاقات على العين والاذن واللسان . بل من أدواتها كذلك تلك المعانى المتطورة على مر الحياة، مضافا اليها وسائل التكوين الثقافى .

تحتل اللغة - اذن - فى مركب العناصر التى يتالف منها المحيط الثقافى للانسان ، مكانا ذا دلالة خاصة وهى تؤدى وظيفة ذات دلالة خاصة ايضا ، فهى فى حد ذاتها نظام ثقافى ، على أنها منظور اليها من احدى وجهات النظر كنظام بين كثير من نظم ، ولكنها وهى :

1 - الأداة الرئيسية التى تنتقل بها سائر تلك النظم الأخرى والعادات المكتسبة .

2 - وهى الالفاظ التى تتغلغل خلال الصور ومضموناتها فى آن واحد معا ، أعنى الانظمة الثقافية الاخرى ومضموناتها .

3 - فضلا عن ذلك فهى تتميز بتركيب خاص بها له قابلية التجريد باعتبار اللغة «صورة» من الصور ولهذا التركيب - اذا ما تجرد فى صوره - تأثير حاسم من الوجهة التاريخية ، سنتعرض له فيما بعد .

اللغة التى نتحدث عنها الآن هى بأوسع معانيها - أعنى معناها الذى يضم كل وسائل التبادل ، كالآثار - مثلا - والشعائر والفنون التشكيلية - اللغة بهذا المعنى المتوسع هى الوسيلة التى تتقمصها الثقافة فتبقى وعن طريقها تنتقل ، وهى ذلك التدوين الذى يديم بقاء الحوادث ، ويجعلها فى متناول الناس عامة لبحثها من جديد ، ومن جهة أخرى فان الافكار أو المعانى لا وجود لها الا فى رموز يستحيل فهمها دون الرجوع اليها مرة ثانية ، وبذلك تشكل تلك الرموز نوعا من البقاء الضرورى لوجود الاشياء المرموز اليها ، بعد أن كانت بداية استخدامها وسيلة فقط للتعبير الرمزى عنها .

دينامية اللغة

واذا أردنا ان نضيق من نطاق البحث بعض الشىء، فنحد من معنى اللغة الواسع ، لنعنى باللغة هنا اللغة المكتوبة والمتكلم بها فى صورة ألفاظ فقط ، فاننا نحصر على ضوء هذا التحديد أهم أهدافها الرئيسية فيما يلى :

1 - هى أداة التفكير الانسانى ، فالقاموس اللغوى الذاتى يشكل الى درجة كبيرة طبيعة التفكير واتجاهه .

2 - نقل الافكار والمشاعر من انسان الى آخر ..

ويلاحظ أن الهدفين السابقين ينبعان من ذات الانسان كوجود مستقل ويتجهان اثر ذلك اتجاهين متضادين أحدهما الى خارج ذات الانسان ، يقوم بعملية نقل الافكار والمشاعر ، والآخر الى داخل الذات ، حيث يشكل طبيعة التفكير ونوعيته ، وكمحصلة للهدفين السابقين ينشأ الهدف الثالث للغة .

الهدف الاجتماعى

«من لم يتكلم لغتك ، فهو عدوك» كثيرا ما نعثر على هذا المثل وشبيهه فى المجتمعات البدائية ، باعتبار أن اللغة أهم مظهر لوجود الجماعة ، والمحافظة على كيانها ، واذا تدرجنا الى مستويات المجتمعات الحضارية ، نجد هنا أن اللغة عنصر ضرورى لبقاء وتماسك وحدات هذا المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادىء تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والانفعال وعناصر الوجود المختلفة ، تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك ، يدل على هذا الشىء أو الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ اللغوى دوره كرمز مشترك متفق عليه من كافة أفراد مجتمع اللغة الواحدة . فاللغة باعتبارها شرطا ضروريا لتماسك المجتمع ، انما تقع فى كونها من جهة ضربا من السلوك البيلوجى الخصيص بأدق المعانى ناشئا تلقائيا من المناشىء العضوية الاولى ، وفى كونها فى الوقت نفسه - من جهة أخرى - تضطر الفرد الواحد من أفراد الناس أن يلتزم بوجهة نظر سائر الافراد الآخرين ، وأن ينظر الى الامور وأن يجرى عليها البحث من زاوية لا تقتصر على فرديته الذاتية وحدها ، بل تكون مشتركة بينه وبينهم باعتبارهم شركاء او اطرافا متعاقدة أن شئت فهى مشروع مشترك ، لا شك قد يكون عنصرا من عناصر الوجود الفعلى الذاتى هو الموجه والهدف لنشوء اللغة ، ولكن الذى لا شك فيه أيضا أنها تهم أول ما تهم شخصا آخر - المستمع - أو أشخاصا آخرين يوجه اليهم المتكلم الحديث ، لتكون وسيلة تفاهم بينه وبينهم تقيم شيئا مشتركا ، ومن ثم بمقدار ما يكون لها من هذا الاشتراك تصبح - اللغة - عامة و «موضوعية»

ولما كان مصدر الالفاظ ينبع من ذات الانسان كوسيلة للتعبير ونقل الافكار والمشاعر للغير ، على ذلك لا بد أن يتسم اللفظ بسمات ذاتية المتحدث به ، فلو

أننا قرنا ، كتجربة عارضة ، مناقشة مفهوم الألفاظ العادية المتداولة ، وحاولنا أن نعرف معانيها المحددة عن كل فرد ، لادركنا بوضوح أننا جميعا نتكلم بلغات مختلفة ، لغات ذاتية ، لكل فرد منا لغة خاصة والفاظ لها مفاهيمها الذاتية الخاصة بها . فاذا فرضنا وجود شخصين «أ» دارس للعلم و «ب» دارس للآداب ، يتحادثان ذا تليلة مقمرة ، يشير «أ» اشارة موجهة نحو السماء ويقول : «هذا هو القمر» . وينظر «ب» فى نفس الاتجاه مؤيدا اياه ، «نعم هذا هو القمر» لقد التقى الاثنان فى الرمز عن ذلك الكوكب المنير بلفظ «القمر». ولكن المشكل أن مفهوم «أ» عن القمر يختلف عن مفهوم «ب» . فـ «أ» عندما يشير الى القمر يفكر فى أنه كوكب معتم يدور حول الارض من اثر الجاذبية ، فى حين أن «ب» ينظر الى القمر على أنه الكوكب المنير فى دياجير الظلام . ويبين حتما ذلك الخلاف فى أول تعليق يأتى بعد هذا الصمت اما عن طريق «أ» او «ب» عن تلك الرؤية لتوضيح الهوة فى التفكير بين الاثنين .

ولكن هل يقتصر الخلاف فى المفهوم الذاتى بين «أ» و «ب» فقط ؟ ان المجتمع يتكون من مجموعة ملايين من أنماط مختلفة لا شك أن لكل منهم مفهوما ذاتيا عن «القمر» وغيره من الالفاظ المتداولة الاخرى . وعلى هذا فمفهوم أى لفظ من الطريف أن نذكر هنا ملاحظتين تدلان على أهمية اللغة فى المحافظة على كيان المجتمع من الوجهة العسكرية ايضا . الملاحظة الاولى من مذكرات ونستون تشرشل عن الحرب العالمية الثانية ترجمة الاستاذ خيرى حماد هى : «ويقال ان صلابة التخطيط اليابانى وتزمته والميل الى التخلى عن الهدف عندما تسير العمليات العسكرية وفى الخطط الموضوعة ، راجعان الى حد كبير الى ما فى لغتهم من طبيعة مزعجة وغير دقيقة بحيث تجعل من المتعذر ابتكار الخطط الجديدة ونقلها بواسطة اللاسلكى» .

الملاحظة الثانية نجدها فى « مطارحات ميكافيللى » ترجمة الاستاذ خيرى حماد ، وهى خاصة فى تفسير طول الصراع بين غير الرومانيين واللاتينيين «ويرد تيتونوس ليفى هذا التعادل بين الجيشين الى ما دار بينهما من حروب طويلة فى الماضى ، والى ما تميزا به من تعادل فى الروح الانضباطية ، ومن تشابه فى اللغة .

يتألف من كل ما يستدعيه ذلك اللفظ فى ذهن قائله أو سامعه ، من معان أو خواطر . أعنى أن كل ما يرتبط بالكلمة فى الذهن داخل فى معناها . فلو قلت لى لفظ «ميدان» مثلا وكان يرتبط فى ذهنى بهذا اللفظ صورة من قتال نشب وافقدنى شخصا ما وأحاط بذلك كله حزن ما زال ينشأ فى نفسى كلما ذكرت ذلك اللفظ ، كان كل ذلك داخلا فى معنى اللفظ بالنسبة لى .

فوجود لغة واحدة فى المجتمع ليست دليلا كافيا على أن التفاهم موجود بين الذين يتكلمونها ، والا فما معنى ان يظل عشرات من الناس يتناقشون ، ولا يخرجون بنتيجة ما . يدل هذا على أن كل فرد من هؤلاء فى ذهنه فكرة محددة وتلك الفكرة يستخدم فى التعبير عنها ألفاظا بمفاهيم ذاتية مصدرها تجاربه وثقافته وبيئته الاجتماعية وأخيرا رؤيته الشاملة للحياة

ولكن اين أذن الاطار الثقافى االناشىء من اللغة والذى يعمل بدينامية مستمرة على وحدة وتماسك أفراد المجتمع قد يعترينا التشاؤم بفقد هذا الاطار أو على الاقل توهم وجوده فقط كخطوط الطول والعرض الجغرافيين . اذ أن اختلاف لفظ ما ــ فى جماعة ثقافية ــ كان التفاهم بين أفراد هذه الجماعة ــ بمقدار ذلك الاختلاف ــ مسدود الطريق ، ونتج عن ذلك سوء تفاهم مزمن بل قد ينتفى عنصر التفاهم الجامع بينهما من وجوده جذريا ولكن اذا نظرنا الى اللفظ من وجهة النظر المقابلة ــ وجهة نظر المجتمع لا الفرد ــ نجد أن تلك المفاهيم الذاتية للفظ الواحد المتعددة بتعداد أفراد المجتمع ، والتى أفزعتنا ، نجدها جميعا تنصهر فى بوتقة واحدة ، تمثل المستوى الحضارى للمجتمع بأكمله تمتزج امتزاجا كليا ، ليتكون منها المدلول الاجتماعى الخاص باللفظ ، وهذا المفهوم هو الذى يضطر الفرد الواحد ــ كما سبق ــ أن يلتزم بذلك المفهوم الاجتماعى للفظ فاذا اتسم مجتمع ما بالصبغة العلمية ، فهذا يعنى ــ مثلا ــ أن المدلول الاجتماعى للفظ القمر هو أنه كوكب معتم ، مهما اختلفت الرؤية الثقافية او التجارب الذاتية للفرد ، فهو ملزم بأن يعنى ذلك المفهوم للفظ ما دام نطق به . فاللفظ هنا يحمل الى جميع أفراد المجتمع قدرا مشتركا من الافكار والمشاعر ، بجانب أنه يسمح بوجود أفكار ومشاعر ذاتية تصاحب ذلك المفهوم اللفظى . وعلى هذا فبقدر انتشار المفهوم

العام للفظ يكون تماسك المجتمع ، فالعلاقة بينهما علاقة طردية . وقد تختلف الآراء وتتعدد في المجتمع الواحد ، لكنها - رغم اختلافها - لا تؤثر على وحدته وتماسكه ما دامت المفاهيم اللفظية للغة تشمل أكبر قدر من أفراد المجتمع .

وفي بعض الحالات الخاصة بألفاظ معينة ، نجد أن المشاعر الذاتية وحدها هي الشيء المشترك بين أفراد المجتمع بينما قد يختلف معنى اللفظ بينهم اختلافا بينا وعميقا . وبقدر ما يحمل ذلك اللفظ من مشاعر ذاتية مشتركة بين الجميع ، بقدر ما يكون لذلك اللفظ القوة على بعث التماسك الاجتماعي وتحريكه كمجموعة واحدة تجاه شيء ما ، فكلمات الاستعمار والقومية تبعث مشاعر ذاتية عند كل فرد من أفراد المجتمع العربي - مثلا - وهي رغم ذاتيتها المطلقة ، مشتركة مع مشاعر الناس الآخرين دون البحث عن اختلاف مفاهيمه بينهم ، فاللفظ هنا يفرض وجوده كـ «صورة» مجردا عن معناه .

واذا كان الفرد محدودا في أفقه الثقافي وتجاربه الذاتية وخبراته الفنية والاجتماعية ، كانت لغته مجرد انطباع - الى حد كبير - للغة مجتمعه يستخدم الالفاظ بنفس مدلولاتها الاجتماعية ، بجانب مشاعره الذاتية لهذا اللفظ ، مما قد يدخل في معناه **ويؤثر في لهجته** ، ولكنه لا يملك الامكانية الثقافية والشخصية لفرض تلك المشاعر الذاتية على معنى اللفظ بطريقة ما ، ولذلك تبقى تلك المشاعر التي تضفي معاني ذاتية على ألفاظه اللغوية ، خبيئة نفسه ، وقد تظهر في نطاق الاسرة ولاخص المقربين اليه الذين قد شاركوه تلك التجارب والخبرات الموحية بهذا المعنى ، وقد تتفجر تلك المشاعر الخبيئة عند قراءة قصيد شعري - أو مقال فلسفي الى غير ذلك من الآثار الثقافية المختلفة - يستخدم فيه اللفظ بنفس المعنى الذاتي لديه .

أما اذا كان الفرد ممتازا في ثقافته فانه يتأثر بلغة مجتمعه ، ويؤثر فيها بايجاد مفاهيم جديدة للالفاظ ، نتيجة لمشاعره وتجاربه الذاتية ، التي ينجح في فرضها على المجتمع حتى تأخذ سمة المدلول الجماعي ، هؤلاء هم المسيرون لحركة اللغة ، يعملون على تطور مفاهيمها اللفظية ، الشاعر ، الفيلسوف ، المفكر ، العالم - كل منهم يعبر عن أفكاره ومشاعره الناضجة التي يلبث في تعميقها رأسيا وأفقيا ، حتى تتكشف له عن مفهوم جديد للفظ اللغوي ، يتفق مع مستوى ثقافته ووعيه وخبراته ونظرته الذاتية الى مقومات الاشياء المتناولة لديه ، ثم يعمل هو بعد ذلك في نشر مفهومه الجديد وبقدر انتشار هذا المفهوم وبقدر تأثيره على الانسان البسيط ، يتغير المفهوم اللفظي ، وبذلك تتطور مفاهيم الالفاظ في اللغة .

ولكن كثيرا ما يجابه الشاعر والفيلسوف والعالم والمفكر مشكلة سوء الفهم ، اذ انهم يستخدمون نفس الالفاظ ، ولكن بمفهوم مختلف عن مفهوم المجتمع ، فحقيقة المشكل ليس في أنه لا يجد من يفهمه ، ولكن في ان الجميع فهمه ، باعتقادهم الفهم وفقا للمفهوم الاجتماعي للفظ بصورة عامة ، ويحاول هو أن يوضح مفهومه الجديد بألفاظ هي الاخرى تفتقد امكانية التعبير عن مفاهيمه الجديدة يلجأ الفيلسوف للقضاء على هذا الاشكال بتحديد تعاريف لالفاظ موضوعه التي يريد تحميلها مذهبه أو فكره الجديد ، ولكن الاشكال يعود ليظهر في صورة اخرى أكثر تعقيدا اذ أنه يحاول أن يوضح تعريفه الجديد للفظ ، بألفاظ هي الاخرى تحتاج الى تعريفات جديدة لتملك امكانية التعبير المباشر عن أفكاره الفلسفية ويؤثر العلماء استخدام الرموز بدلا من الالفاظ كلما امكن ذلك ، ليحدد بالرمز المفهوم المراد وحده ، ولا يختلط به شيء مما يعلق به من خواطر ومشاعر ذاتية بسبب استعماله في واقع الحياة اليومية .

ويبدو المشكل أكثر تعقيدا في ميدان السياسة والعلوم القانونية ، اذ يتخذ هذا المشكل ، وجهين متكاملين ، اولهما عدم الاطمئنان الى الاستدلالات اللفظية والاستناد بدلا عن ذلك الى الوقائع العملية فقط ، وعرض الحوادث عرضا مجسدا ، بغية اعطاء أساس صحيح للمحاكمات - كما يحدث عادة من تمثيل الجريمة مرة ثانية - أمام القضاء درءا من التأثر بالصورة اللفظية المعبر عنها في المرافعات .

أما في ميدان التعبير الفني ، من خلال الملاحظات العابرة ، نجد أن الفنان التشكيلي والمؤلف الموسيقي لهما القدرة على تمثيل جملة العوامل الاجتماعية والثقافية في المجتمع فيخلقان من هذا كله شكلا جديدا من أشكال التعبير الفني يختلف عن الاشكال القديمة ويسبق الى

التجديد أى تطور خلاق للمفاهيم اللغوية ، ذلك لان الفنان هنا يستخدم وسيلة فنية خصبة مرنة للتعبير ، لا تتقيد بمفاهيم ودلالات محددة ، لذلك فالمذاهب الفنية - عادة - أسبق الى الوجود من أى تجديد يبدعه الشاعر والاديب الذى يعرض مفهومات جديدة للالفاظ ، مستفيدا من المذاهب الفنية السابقة للوجود والنضج .

وعلى المستوى الجماعى ، حيث تنبثق المذاهب والانظمة الاجتماعية الجديدة ، التى تحمل تغييرا جذريا للمجتمع ، يتعقد المشكل أمام تلك المذاهب الجديدة ، فاستخدام نفس الالفاظ اللغوية للتعبير عن تلك المذاهب ، يجعلها فى غير منجاة من التأثر بالانظمة والقوى الفكرية القديمة التى تستهدف تغيرها ومحوها تماما . **فاللغة دائما تبذر بذور الماضى فى الحاضر - لتشكل فى الوجود نوعا من الاستمرار التاريخى - مهما بدا هذا الحاضر مناقضا بطبيعته للماضى .**

ولمحاولة تجنب هذا التأثير المطلق ، تضطر تلك المذاهب ، ابتداع ألفاظ جديدة تأخذ هى - المذاهب أعنى - فى اضفاء مفاهيمها الخاصة بما يتفق مع اتجاهاتها الفلسفية وبذلك تغدو الالفاظ الجديدة أبناءها الشرعيين ، تحتكرهم لخدمتها وتؤثر بهم على عصور المستقبل التاريخية .

- لعل مثال تغير الدين الوثنى الى الدين المسيحى فى الامبراطورية الرومانية يقرب الفكرة أكثر ، فمن الحق أن يقال ان الدين المسيحى لم يفلح تماما فى ازالة كل آثار ما قام به الرجال البارزون من اتباع الفلسفات القديمة ، وذلك بسبب الابقاء على اللغة اللاتينية التى وجدت نفسها ملزمة بالابقاء عليها لاستعمالها فى تدوين شرائعها الجديدة ، وكل من يقرأ الاجراءات التى اتخذها قادة الديانة المسيحية فى البداية يستطيع أن يرى ، ما أثاروه من ضجة للخلاص من جميع سجلات الماضى ووثائقه .... كل هذا بسبيل القضاء على الفلسفات القديمة ، ولكن لو اضيفت الى جميع هذه الاجراءات لغة جديدة لنجحت حقا من جميع تأثيرات الماضى ، أما استخدامها لنفس ألفاظ اللغة فى التعبير عن مضمونها الجديد بما تحمله تلك الالفاظ من دلالات فلسفية عميقة الغور ، جعلها بلا مغالاة تقع تحت سيطرة تلك الفلسفات » .

(مطارحات ميكافيللى - ترجمة الاستاذ خيرى حماد)

اللغة مصدر للتاريخ

ان الاعتراف بوجود «مستويات حضارية» خاصة بعصر أو ببلد معين ، والبحث عن « روح » عصر أو «ثمة» ثقافة ما ، فى المواقف والمفاهيم والرموز المشتركة التى تكشف عنها الاوجه الاجتماعية للحضارات ، يجب ألا يحملنا على اهمال المفاهيم المختلفة التى يكسبها الناس المعاصرون - التاريخية قيد البحث - لهذه الرموز اللفظية ، بل ان اختلاف وتطور تلك المفاهيم يمكن اعتبارها وثائق تاريخية تعيش بيننا . وتشكل مصدرا لنوع من التاريخ نسميه اصطلاحا « علم تاريخ اللغة » .

هناك عناصر فى ثقافة أى مجتمع تعرف بالثوابت الثقافية ، كالاسرة ، والدين ، والمرأة ، والجنس التى وجدت فى جميع المجتمعات والتى توجد دائما ، ولكن مفهوم تلك الثوابت الثقافية هو الذى يتغير فى نطاق اللفظ ذاته ، أى يختلف دلالته من عصر الى آخر ، ومن مجتمع لغيره ، تبعا لاختلاف المستويات الثقافية لهذا العصر أو المجتمع ، فالمرأة مثلا تطور مفهومها اللفظى فى مجتمعنا العربى ، نتيجة لتغير مفهوم وجودها ، من مجال لاشباع الغريزة ، الى عنصر فعال لاستمرار الحياة ثم الى وجود ذاتى مستقل رغم ثبات اللفظ المطلق عليها .

ولا يتعين المحتوى الثقافى للفظ الا بمعايير مجردة ، كمعيار القيمة الحيوية للمنفعة او الاخلاق وفقا للفلسفة العامة المحركة لقيم هذا المجتمع فى ذلك الوقت ، فالحياة الاجتماعية الثقافية تتعلق بمواصفات ، تتعلق هى بدورها بمعايير أكثر عمقا ، يستطيع البحث النقدى اللاحق أن يكتشفها ، والافكار التى تؤثر فى العلاقات الاجتماعية والثقافية ، لا تنشأ ولا تبدأ فى التأثير منذ اللحظة التى تتلقى تعبيرا مجردا فى صورة لفظ ، بل على العكس ان التعبير المجرد يوجد بعد بحث وطول معاناة لتلك الافكار عن محتوى لفظى تتجسد وتستقر فيه فى النهاية ، وقد يعترض على ذلك بالقول : « ان الافكار لا يمكن أن توجد الا فى صورة لفظية حتى أثناء **عملية التفكير الصامت . والرد على ذلك يكون بالقول** ان الفكرة توجد فى البداية فى صورة جمل لفظية مسهبة ، الى أن تبلور وتوجز فى لفظ واحد ومن هنا نشأت أهمية الدراسة التاريخية للالفاظ .

اننا ـ مثلا ـ نستطيع معرفة كنه الحيوانات المنقرضة التى كانت يوما ما تعيش على سطح الارض ، بدراسة ما خلقت من حفر وكذلك الالفاظ اللغوية . يمكن اعتبارها بمثابة تلك الحفريات ، فالمفهوم اللفظى اذن هو الشيء الحسى الذى نستطيع دراسته للاستدلال على الماضى الذى ما زال حيا فى حاضرنا .

ونهدف من هذا ، أن نبين أن نقطة البدء فى دراسة اللفظ هو مفهومه لا رنينه . ذلك لان الرنين فقط لايمثل الا الجسد الذى تعيش فيه روح اللفظ أى مفهومه . فاذا ادركنا أننا يجب أن نعرف ، ما كان الناس يقصدونه بألفاظ معينة مثل الحرية او القومية أو المساواة . فاننا نعنى الاشارة الى العاطفة التى دفعتهم الى خلق ذلك اللفظ اولا وأخيرا . فاذا ادركنا ذلك عرفنا القوة التى جعلت الحاضر مختلفا عن الماضى ، فعنصر استمرار هذه الالفاظ ـ رغم ما قد يطرأ على مدلولاتها من تغير ـ يعنى بالتبعية أنها ما زالت تحمل فاعليتها المؤثرة فى تشكيل التاريخ .

يجب أن يكون اللفظ قوة دينامية خلاقة تدفع للحركة والعمل ـ حين تكون مصدرا أساسيا للمؤرخ ـ بهذه الطريقة ، فالهدف التاريخى لدراسة اللفظ هو أن يتناول ذلك الذى ما زال حيا على كل لسان ، وذلك الذى ما زال يستهوى مشاعر كل انسان الالفاظ التى

ما زالت تحتفظ بشذى عجيب يفوح منها . لقد اصبح من البديهيات منذ أن كتب دارون أبحاثه العلمية ، ان الانسان يستطيع فهم الشيء فهما جيدا اذا ما توصل الى أصوله ، ويصدق هذا على الالفاظ وما تنطوى عليه من معان ، لذلك يجب أخيرا أن يكون لدينا ـ فى صورة

دائمة ـ قاموس يوضح مفهوم اللفظ ، فى الوقت المعاصر ثم بحث جدى موجز عن المدلولات التى كان يدل عليها منذ بدء ابتكاره كلفظ له فعاليته الخلاقة . وما ذلك الا لكي نعرف ما يمكن أن يدل عليه أكثر من هذا فى المستقبل ، وكما أن الشجرة يظهر عمرها كحلقات تخطها السنوات فى قطع من جذعها ، كذلك يدل مفهوم اللفظ على مرحلة من مراحل النمو فى حضارتنا الراهنة وعلينا أن ندرس تلك الحلقات كما نجدها اليوم ، واذا كانت الشجرة ـ ونقصد بها اللفظ ـ ما زالت مستمرة فى النمو فان هذه الحلقات نفسها تغير الى حد ما ، لان الشجرة تزيد ارتفاعا وضخامة ، مما يضخم صعوبة عملية الدراسة ، وفى الوقت نفسه يزيد من أهميتها .

ويجب ألا ينظر الى أى لفظ يطرح على بساط البحث كأنه شيء قد عفى عليه الزمن أو مات أو انتهى ، فربما ضعف ما فى اللفظ من حياة ، ولكنه مازال يحتفظ بقوته الدينامية الخلاقة وقد يبدو اللفظ أقل حياة لان هناك الفاظا أخرى قد نمت فوقه ، حجبته عن الوجود لفترة تاريخية محددة .. ومن هذه الوجهة لا تعتبر دراسة الالفاظ ـ خاصة القديم منها ـ كدراسة حفرية من الحفريات ، انقرضت نتيجة لافتقادها البيئة المناسبة ، بل كدراسة كائن حى قد يكون فى فترة خمود ، علينا معرفة مفهومه القديم ، وما ذلك الا لكى نعرف ما يمكن أن يتمخض عنه من قوة دافعة ، فى ثوب مفهوم جديد قد يدل عليه فى المستقبل .

ولقد تتحول الالفاظ تحولا غير لغوى ، وذلك باضافة تراث سياسى ، أو ثقافى ، أو اقتصادى ، اليها . فكلمة المساواة تحولت الى «مبدأ تكافؤ الفرص» نتيجة لاضافات علم الاقتصاد اليها ، وهنا يجب على الباحث أن لا تخدعه مظاهر اندثار الالفاظ فمن واجبه أن يبحث عن اللفظ الآخر الذى يعتبر نوعا من الامتداد المستمر للفظ المندثر ظاهريا .

وبعد ... يختلف هذا النوع من البحث التاريخى ، اختلافا كبيرا عن تاريخ الحقائق وزمانها ، لان الوسيلة المثلى لفهم مدلول لفظ هو الاحساس بهذا اللفظ كقوة دينامية خلاقة ، بصرف النظر عن دلالته اللفظية .

فالشعور أكثر أهمية فى المرحلة الناضجة من الحياة ، واذا أحس الانسان بما كان يحرك مشاعر أجداده ، غمره ذلك النوع من الشعور الذى يمكنه من القضاء على مشكلات الحاضر ، وخلق مستقبل أفضل .

المصطلحات العلمية الثابتة

بقلم : عبد الحميد ابراهيم ابراهيم

ورد علينا هذا البحث من الاستاذ عبد الحميد ابراهيم كبير الاختصاصيين بالمتحف الزراعى بالقاهرة يدعو الى طريقة خاصة فى دراسة العلوم والطب باللغة العربية فى الجامعات ارتكازا على حروف عربية مبتكرة تتوازى مع مقابلاتها فى الانجليزية ونحن ننشره شاكرين ونترك للمختصين التعقيب عليه .

تتقدم العلوم تقدما سريعا وتخطو البحوث الى الامام متلاحقة ويتسع نطاقها يوما بعد يوم وتتشعب فروعها باضطراد .

والمعامل تشتغل ليل نهار والمشاهدات تسجل بلا انقطاع والكتب العلمية الاجنبية تزخر بها المكتبات فى الطب والصيدلة والكيمياء والزراعة والهندسة والرياضيات وغيرها من العلوم الحديثة وفى الصواريخ والاقمار الصناعية والذرة والاشعة الكونية والكشف عن أسرار الغطاء المحيط بالارض .

انواع المصطلحات الثلاثة

وفى هذه المجالات يضرب علماؤنا العرب بسهم ويسيرون فى هذا المضمار بخطى فسيحة ويعملون بهمة ونشاط ملحوظ .

وقد بدأ العرب يؤلفون الكتب فى شتى العلوم باللغات الاجنبية كالانجليزية والفرنسية وغيرها ولكن لما طوحت الثورة المباركة بالاستعمار وأجبرته على أن يحمل عصاه ويرحل لم يعد من اللائق التاليف فى العلوم وتدريسها فى الجامعات العربية بغير لغة العروبة .

والرجل العلمى والباحث اذا ما أراد التاليف بلغتنا المجيدة لطلبة الجامعات أو للقراء العرب أو للمعاهد العلمية يرى أمامه أكداسا مكدسة من المصطلحات وهى ثلاثة أنواع :

ـ مصطلحات لغوية بحت فلفظ (الاسد) عربية يقابلها بالانجليزية (the Lion) وبالفرنسية (Le Lion) وبالالمانية (der Loewe) وهذا النوع يختص به رجال اللغة والمجمع اللغوى ـ ومصطلحات علمية يمكن ترجمتها الى مختلف اللغات او تحويرها وصياغتها فى القالب المناسب مثل كلمة (Geology) التى تعرب الى علم طبقات الارض (او علم الارض) وهذا النوع يشترك فى بحثه رجال العلوم مع رجال المجمع اللغوى .

ومصطلحات علمية ثابتة لا تتغير وهذه كأسماء المؤلفين الاجانب والباحثين والاسماء اللاتينية والعلمية للعائلات والاجناس والانواع وغيرها فى النبات

والحيوان والحشرات والطب وسواها .

ولا دخل لرجال اللغة ولا لرجال العلوم فى التصرف فى كتابتها الا بمقابلاتها بخطوطهم على الاكثر ، وهـذا النوع هو الذى يعنينى بحثه .

اختـلاف نطـق المصطلحات

وكل عالم اوربى حين يقرأ كتـابا علميا جـديدا ويقابله فيه لاول مرة الفاظ علمية ثابتة ذكرها المؤلف فى بحثه نرى ان هذا القارئ يعمد لنطقها بلهجته هو غير مقيد بلهجة المؤلف ولكنه يلتزم بكتابتها بحـروف مقابلة تماما للحروف التى وضعها المؤلف .

وذلك لكيلا تضيـع المعلومات المقصود اظهـارها والمطلوب توضيحها .

فنحن نشاهد العلماء العرب المتعلمين فى الخارج أو من هم على غرارهم نجد كلا منهـم يذكر المصطلـح الثابت فى مؤلفه العربى مكتوبا بحروف حسب نطـق البلد الاجنبى الذى تعلم لغته .

وقد نتج عن ذلك وجود أوجه متعددة عربية مختلفة للفظ واحد ثابت لا تمكننا من معـرفة أصله الاجنبى « e - L - y - ou - u - o - ch - c - g - j »

لاحظ اختلاف نطق الحروف السابقـة فى لغـات أوربـا .

ضرورة ايجاد مقابلات عربية الرسم

وهل يجوز ـ بعد هذه النهضة العلمية الضخمة التى وصلنا اليها ـ أن نرى كتبنا ومطبوعاتنا العلمية العربية مكتوبة بالخط والرسم العربى ويتخللها آلاف مـؤلفـة

من المصطلحات الثابتة مكتـوبة بخط أجنبى ويضطر الباحث العربى أن يكتب مرة ذات اليمـين ومرة ذات الشمال فى نفس السطر أحيانا ممـا يسبب الاضطراب والملـل .

ولذلك يتحتم البحث عـن حروف عربيـة الرسم لتقابل الحروف الاوربية . وقـد اختـرت الحـروف الانجليزية كأصول للمقـابلات لان الانجليز بهـذه الحروف لم يعجزوا عن كتابة أى مصطلح ثابت بحروفهم ولو كان الباحث غير انجليزى .

وليس ايجاد مثل هذه المقابلات العربية الرسم شيئا هينا غير مهم ـ كما قد يبدو للبعض ـ ولكن ألا يكفى

دليلا على أهميتها أن العلماء لـم يهتدوا لحلها بعـد عشرات السنين تأليفا وكتابة ودراسة .

والشكل الجديد بالرسم العربى لمقابلات المصطلحات الثابتة قد يبدو أول الامر غريبا أو ثقيلا عند كتـابته أو محاولة نطقه ولكن اذا علمنا أن للعادة دخـلا كبيرا أدركنا أننا بعد مدة سنراه مقبولا .

المقابلات المقترحة للمصطلحات الثابتة

وعلينا البحث عن مقابلات عربيـة الرسم للحروف الانجليزية وعددها (26) ثم لعدد مماثل من الحـروف الكبيرة فى علوم الرياضة والكيميـا. وفى علوم الطب والنبات والحيوان وغيرها .

وكمقابل للحرف الثالث (C) الـذى تسمعه فى أواخر الكلمات الفرنسية .
...., Licence - Science - Balance - confiance
قد اخترت
الحرف (ص) العربى . واخترت (ى) ياء بلا نقط لاتتصل بما بعدها وقد تتصل بما قبلها لتقابل حرف (e)

وحرف الجيم العادى (ج) كمقابل للحرف (g)
واخترت الهمزة المفردة (ء) أو اليـاء المتوسطة ذات النقطتين لتقابل حرف (i)

وحرف الجيم (ج) بنقطه الثـلاث تحته كمقـابل للحرف (J)

وحرف الواو (و) ليقابل حرف (o) الانجليزى
وحرف الواو فوقها همزة (ؤ) ليقابل (u) التى هى أقل دورانا فى الكلمات الافرنجية من حرف (O)
وحرف باء تحتها ثلاث نقط مقلوبـة لتقابل حرف (p)
وحرف الفاء فوقها ثلاث نقط لتقابـل حرف (v)

وحرف الواو الذى فوقه ثلاث نقط ليقـابل حـرف « W »

وحرف الكاف مع السين ليقابـلا « x » الانجليزى وذلك حتى يوجد فى المطابع حرف جديد هو طـاء على ألفها شرطة كاف .

وحرف الياء الراكعة «ى» ـ أو الياء ذات النقطتـين بشرط الا تصل بما بعدها لتقابل « y » وبيسير من التصرف يمكن كتابة المقابلات على الآلة الكاتبة العربية بالاستعانة بالهمزة المفردة والهاء المفردة المستديرة .

مقابلات الحروف الكبيرة ونوعها

مقابلات الحروف الكبيرة على نوعين :

فالنوع الاول هو فى الكيمياء والرياضيات وحروف علم الوراثة ويتكون هذا النوع باضافة ـ نبرة ـ كالباء بلا نقط الى أول الحرف ، الا فى حالة الحرف الانجليزى — I — فيقابله ألف تحتها همزة — إ —

أما النوع الثانى فهو الـــذى نراه فى علـــوم الطب والنبات والحيوان والحشرات ونحوها ويتكـــون هـــذا النوع بوضع علامة المد العادية فوق الحرف الصغير .

أمثلة لمصطلحات ثابتة مكتوبة بالطريقة الجديدة

(ا) فى علوم الرياضيات

= L + K + l + m تكتب هكـــذا

م + ل + ك × ل = بلا نقط

الرموز الكيميائية وطريقة كتابتها

(ب) فى علوم الكيمياء

نرى فى الكتب العربية المقررة على الطلبة أن مؤلفيها قد اعترفوا بعدم امكان الاتفاق على رموز لبعض العناصر المكتشفة حديثا مثل الهفنيـــوم والهولميوم والنبتونيوم بحيث لا تتعارض مع الرموز العربية للعناصر الاخـرى المعروفـة .

وتخلصا من كل العقبات أرى لزامـا علينا أن نكتب الرموز الكيماوية من الآن بمقابلات الرمـــوز الاوربية بالخط والرسم العربى .

وسبق أن ناديت بذلك مرارا ولكنى لـم أجد سوى حرف (ن) للازوت قد تغير بـــدلا مـــن (ز) فى كتب الكيمياء بمدارسنا .

فالبوتسيوم يجب أن يكتب هكذا (ك) بلا نقط بدلا من (بو) حيث الرمز الثابت للعنصر هـــو باللاتينية (k) وليس « Po »

وحامض الكبريتيك H2 SO4 = ه 2 س و 4 بلا نقط

(ج) فى علم الوراثة

يرد ذكر العالم (مندل) ، Ll Mm تكتب ل ل م م (بلا نقط) .

(د) فى علم الحيوان

الاسد (مصطلح لغوى بحت ـ (...der Loewe - The Lion)

وعلميا هـــو Felis leo من العائلة القطية Felidae مصطلح ثابت) يكتب بالطـريقة الجديدة هكذا (ٓفى ليس ل و ـ ٓفى ليداى) .

ـ ه ـ فى علم الحشرات

الـــدودة الفارضة Cut Worm هـى علميـــا هى ـ آجـــروتيس ءبسيلون ٓروتت ـ

ـ و ـ فى علم النبات Agrotis ypsilon Rott

الذرة Mais -- Maize... علميا هو Zea mays

تكتب هـكذا ـ ٓزى اما ي س

ـ ز ـ فى علم الطب

البلهارسيا الدموية هى علميا

Bilharz ia haemtaobium

تكتب هكـــذا ـ ٓبيلهـــارزيا هـــاى ماتوبيئوم ـ

الموضـــوع باختصار

دراسة العلـــوم بالعربية فى الجامعات
والمصطلحات العلميـــة الثـــابتـــة

ـ 1 ـ المصطلحات العلمية ثلاثة أنواع ـ لغـــوى يخص رجال اللغة مثل كلمة الاسد يقابلها der Loewe - the Lion وعلمى لغوى يخص رجال العلوم واللغة مثل لفظ « Geology » يقابله علم طبقات الارض ـ ومصطلح ثابت مثل أسماء الانواع والاجناس والعائلات فى النبـــات والحيوان والطب وغيرها وليس لرجـال العلوم ولا لرجال اللغة أى دخل أو تصرف فى كتابتها الا بمقابلاتها بخطوطهم على الاكثر .

ـ 2 ـ اليك أيها العالم بعض الاسماء الثابتة منقولة من مطبوعات عربية فهل يمكن الاهتداء منها الى اصولها الاجنبية مهما ارتفعت درجة التخمين اذا لم يكن مـــن قبل قد عرف ورأى أصولها بالحروف الافرنجية . .

وهى (كدنو ـ لوب ـ بابا ـ تشابيـــك ـ فركريا ـ سلـــوكس) .

ـ 3 ـ تحل مشكلاتها باتبـــاع المقابلات الغربيـــة الرسم المقترحة للحروف الانجليزية الآتية :

a - b - c - d - e - f - g - h - i - j - k - l - m

م ـ ل ـ ك ـ ح ـ ي ـ ه ـ ج ف ـ ى ـ د ـ ص ـ ب إ

n - o - p - q - r - s - t - u - v - w - x - y - z

ز ـ ىٍ ـ كس ـ وٍ ـ ف ـ ۏ ـ ت ـ س ـ ر ـ ق ـ
ب ـ و ـ ن .

ـ 4 ـ الحروف الكبيرة فى علوم الكيمياء والهندسة والجبر ونحوها تتكون باضافة (نبرة) كاليا. بلا نقط الى أول الحرف الصغير فيمـــا عـــدا حـرف الانجليزى فيقابله الف تحتها همزة -إ-

ـ 5 ـ الحروف الكبيرة فى الطب والنبات والحيوان ونحوها تتكون بوضع علامة المـــد العادية على الحرف الصغـــير .

(6) أمثلة حامض الكبريتيك H2 SO4 هـ2 س و4 (بـلا نقط)

الاسد علميا Felis Leo آنى ليس لى و

(7) قد يلاقى الباحث بعض الغرابة فى أول عهـده باتباع هذه الطريقة ولكن بالتعود تصبح المسألة قبولا ورضا لاننا بفضلها نتغلب على كل صعوبة فى كتـابة المصطلحات الثابتة .

(8) هذه الطريقة الجديدة تحل المشكـــل العويص بطريقة لا يكلف اتباعها مالا وأرجو بها أن أكون قـد أسديت للعلم والعروبة خدمة جليلة تدفع عجلة البحث والتأليف بالعربية فى شتى العلوم دفعة قوية الى الامام حتى نلحق بالركب العلمى العالمى ؟

المقابلات الجـــديدة

a	b	c	d	e	f	g	h	i	j	k	l	m	n
أـ	ب	ص	د	ى	ف	جـ	هـ	ء	ج	ك (ک. ک)	ل	م	ن

o p q r s t u v w x y z

زى كس ۆ ڤ ۆت س ر ق پ و

طريقة كتابة المقابلات كلها بالحروف المفـــردة هى الطريقة المباشرة . ولكن فى حـــالة كتابتها بالحروف المتشابكة أرى أن تكون الكاف الساجدة ذات الشرطة فوقها ک ک هى المقابلة للحرف الافرنجى الثالث (C) اذا كان ساكنا او سابقا للحروف (uoa) وحينئذ يجب أن تكون الكـاف النهائية المنفصلة عمـا بعدها (ك) هى المقابلة للحرف الافرنجى k

القاهرة عبد الحميد ابراهيم ابراهيم

الطابع العربي في الأرقام الرياضية

للمرحوم محمد السراج
أستاذ في جامعة القرويين سابقا

بدأت كتابة الارقام والحساب بالارقام منذ نشوء الكتابة لاول مرة وذلك في حدود 3500 ق. م وبدأت أولى المدونات في المعارف الرياضية منذ منتصف الالف الثالث قبل الميلاد ونضجت في نهاية الالف الثالث .(1)

ولم يكن للعرب في عصر الجاهلية معرفة بالرياضيات على الوجه العلمي الفسيح الا فيما يهم تسيير شؤون معيشتهم ومعاملاتهم وضبط الزمان والمكان بالمقاييس البدائية وأوليات الارصاد الفلكية ، وعندما ظهر الاسلام وانتشرت تعاليمه وانفسحت رقعة البلاد العربية انبثق ازدهار اقتصادي سايره نشاط ثقافي التقت فيه علوم العرب المسلمين بعلوم غيرهم من البلاد المفتوحة وأفضى ذلك الى مقارنات بين معارف الطرفين كانت مثار نقاش وقاعدة انطلاق نحو تحوير وتشذيب وتهذيب وتوسيع لما كان عندهم وانتاج خصب لما لم يكن عندهم وقد حث الدين الجديد على طلب العلم عموما وعلم الحساب والفلك خصوصا لحاجة الميراث والنفقات والمعاملات الى ذلك وللتوقف على علم الفلك في معرفة سمت القبلة ومواقيت الصلاة والحج ... وناهيك بأبي عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي أحد منجمي المامون المتوفى بعيد منتصف القرن الثالث للهجرة الموافق لما بعيد منتصف القرن التاسع للميلاد) والذى كان يعتمد في مؤلفاته الحسابية على الهندوس وغيرهم ومن أهمها «العمل بالاسطرلاب» وقد نقلت بعض مؤلفاته الى اللاتينية وقد اورد «زوتر» في كتابه «رياضيو العرب وفلكيوهم وأعمالهم» ما يزيد عن خمسمائة رياضي وفلكي من العرب .

واتصل العرب (يعني عرب المشرق بلاشك) بالهنود(2) في عهد خلافة سيدنا عثمان بن عفان وأثناء فتح الحجاج الثقفي للسند (سنة 710 ميلادية) وفتح أبي جعفر المنصور لكابل وكشمير (سنة 760 ميلادية) .

كما اتصل عرب المغرب بالاغريق عن طريق السريانيين في آسيا الصغرى وعن طريق الرحلات واستدعاء ملوك المغرب للفنيين والاختصاصيين من الاغريق وحذقوا اللغتين : الاغريقية والسريانية وكانوا حفظة للعلوم الإغريقية أضافوا اليها كشوفا جديدة وألفوا الكتب والرسائل وجددوا الآلات وحسنوا الوسائل .

وان اعظم فضل يشاد به للعرب هو نقلهم للارقام الهندية التي فتحت في الرياضيات بابا جديدا ما نزال نعيش على ثماره ، ولم يتجل فضل الارقام الهندية في رموزها فقد كان لمن سبقهم رموز في القيمة الموضوعية وفي الصفر فيكفي أن نزيد في الاصفار عن يمين العدد ليكبر وعن يمين مقام الكسر ليصغر ، وما زال الناس يقولون : ان وضع العرب للصفر الحسابي قد حل اكبر معضلة رياضية في العالم .

وقد أكد (البيروني) ان اشكال هذه الارقام كانت

(1) طه باقر – ج 1 ص 332 من تاريخ الحضارات القديمة .

(2) عبد الحميد لطفي والدكتور احمد ابو العباس في كتابهما « تاريخ الرياضيات » صفحة 66

مختلفة باختلاف الجهات فى الهند . وان العرب انتقوا منها ما رأوه مناسبا . واكتفى العرب بطريقتين مختلفتين لكتابة الارقـــام :

1) الطريقة المشرقية واستعملها عرب بغداد وتطورت قليلا حتى صارت كما هى الآن بمصر والعراق وسوريا ولبنان وبلاد العرب .

2) الطريقة المغربيـة واستعملهـا عــرب الاندلس وتطورت حتى أصبحت كما هى الآن بالمغرب .

اخذ الغربيين الطريقة المغربية

ولاحظ (البيرونى) أن الغربيين اقتبسوا الطريقـة المغربية عن طريق عرب الاندلس ثم زاد قائلا : وبهـذه المناسبة ننوه بأن المغاربة الآن لا يزالـــون يستعملون طريقة أجدادهم فى كتابة الارقام ولا يظن بأنهم يكتبون الارقام الفرنجية وانما الفرنجة هم الذيـن يكتبـــون الارقام المغربية ولا يزال الغرب يطلق على هذه الارقام اسم الارقام العربية . »

والتنويه بأن المغاربة لا يزالــون يستعملون طريقـة أجدادهم ... وتخصيصهم بذلـــك دون غيرهم ونسبة تلك الطريقة لأجدادهم يدل على أنها من وضعهم ولـما كانت قيمة الارقام العربية تتجلى فى طريقـة الاحصاء العشرى واستعمال الاصفار لنفس الغاية التى نستعملها لها الآن أطلق عليهـا اسم الاصفـــار chiffres فى اللغتين الفرنسية والالمانية على طريق المجاز المرســل بتسمية الكل باسم بعضه الاهم .

يقال بصفة عامة ان الارقام المغربية دخلت الى اوربا فى القرن العاشر الميلادى بواسطة البـابا «سيلڤيستر الثانى Sylvestre II وهو جربرت Gerbert الذى تعلم فى بلاد الاندلس (المولود سنة 999 والمتوفى سنة 1003 ميلادية) ، وكانت بلاد الاندلس ولا سيما طليطلة ملتقى طلاب المعرفة من مختلف بلاد اوربـا وغيرها الـــذين التحقوا بجامعاتها وأخذوا بقبس من علوم العرب الاصلية ومما ترجموه عن الاغريـــق وينص صاحب « تـــاريخ الرياضيات» أن أول مـــن دعا لاستخدامها «ليوناردو» وأنها ظهرت منقوشة فى عملة سويسرا سنة 1424 وفى النامسا سنة 1484 وفى فرنسا سنة 1485 وفى البانيا سنة 1489 وفى اسكتلندا سنة 1539 وفى انجلترا سنة 1551 وأول ظهورها فى التقويم كان فى تقويم «كوبل» سنـــة 1518 .

وهذه الارقام قد تغيرت بعد ذلك الا القليل منهـــا فالواحد والتسعة لم تتغيرا تغيرا يذكـــر والاثنـــان والثلاثة تغيرتا تغيرا وضعيا فهما عند الهنود مائلتـان وعند المشارقة رأسيتان وعند المغـــاربة أفقيتان وقـد تغيرت الاربعة والخمسة تغيرا تاما أما الستة والسبعـة والثمانية فقد اختلط بعضها بالبعض فيلزم الاحتياط والحذر عند قراءتها فى النقوش والمخطوطات القديمـة أما الصفر فكان يرسم عند الهنود على شكل دائرة فى قطبها نقطة فاستعمل عـرب المشرق النقطة تاركـين الدائرة واستعمل عرب المغرب الدائرة دون النقطة .

أما النظرية التى تزعم أن الاشكـــال الحسابية هى زوايا فى أصل وضعها فـلا تطرد فى جميـــع سلسلة الارقام لانها وان تيسرت بالنسبة لرقم الواحد من أنه فى الاصل زاوية وبالنسبة للاثنين من كونها فى الاصل زاويتين وكذا الثلاثة من كونها ثلاث زوايا والاربعـة من كونها أربع زوايا فهى تتعذر فى الخمسة والسبعـة والثمانية وتعسر ان لم نقـــل تستحيل فى الستـــة والتسعة اذ لا فرق بينهما الا فى الوضع العكسى .

وعلى فرض امكان ذلك مع تكلف فان الغرض مـــن الأعداد الدلالة على معدوداتها المتنوعـــة لا على كميـة الزوايا حتى يكون ذلك مبررا لصرف المجهودات مـــن أجل تصحيح تلـك النظـــرية ، ومناقشات حـــولها واستنتاجات منهـــا .

ويلذ لنا أن نورد بعض النصوص القديمة فى موضوع الارقام مع ايضاحات لها .

فقد قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجـــاج الاوزنى المعروف بابن الياسمين المتوفى ذبيحا بمراكش سنة 601 هجرية فى باب مراتب الاعداد مـــن كتابه : «تلقيح الافكار فى العمل برسوم الغبـــار» ما نصه :

« واعلم ان الرسوم التى وضعت للعدد تسعة أشكال يتركب عليها جميع العـــدد وهى التى تسمى أشكـال الغبار .... (راجع اللوحات الآتية) . ولكن الناس عندنا على الوضع الاول ولو اصطلحت مع نفسك على تبديلها

او عكسها لجاز ، ووجه العمل على حالة لا يتبدل وقد وضعها قوم من جواهر الارض مثل الحديد والنحاس من كل شيء منها أعدادا كثيرة ويضرب بها ما شاء من غير نقش ولا محو . واما أهل الهند فانهم يتخذون لوحا أسود يمدون عليه الغبار وينقشون فيه ما شاءوا ولذلك يسمى حساب الغبار وعلى الحقيقة ليس الا المداد والمحو .

ومعنى هذا ان التسمية بارقام الغبار تعم السلسلتين والوضعين معا وان الناس بالمغرب في عصره على الوضع الاول وهذا لا ينافي أن بالمغرب أقلية تستعمل الوضع الاول في الاغراض العامة كما تستعمل الوضع الثاني في أغراض خاصة وفي مصطلحات عمل يعرف عندهم بفن «الجداول والاوفاق» فتملأ الخانات بهذا القلم الخاص وترى انها مفيدة في العلاج وتظن أن للوضع الثاني دخلا في النفع حيث انه على شكل اجرام سماوية كما يزعمون ... مع اختلاف واضح بينهم وبين المشارقة في الاربعة والخمسة وجوهري في الصفر حيث قيل انه كان في الاصل على شكل دائرة في محورها نقطة فأخذ المغاربة الدائرة والمشارقة النقطة كما سبق ، ومع تغيير بسيط في التسعة .

كما ان نصه لا يدل على أن واضعي السلسلة الثانية وبالاحرى الاولى هم الهنود وكل ما في الامر انهم كانوا يستعملونها . وطريقة استعمالها عندهم بواسطة النقش على الغبار .... مما جعلها تسمى أرقام الغبار وهذا لا يفيد في شيء أنهم واضعوها في الاصل لان هذا كما وقع منهم يجوز أن يكون وقع من غيرهم نظرا لقلة وسائل الكتابة اذ ذاك ولان المسميات تسبق أسماءها في الوجود عادة ولان هذه الاشكال الحسابية بقيت تكتسي بعض ملامح الحروف العربية وتحتفظ بمدلول بعضها من حساب الجمل كما يبدو ذلك جليا في رقم الواحد اذ لا فرق بينه وبين الالف وبعض الشيء في الاربعة وفي الستة حيث انها كواو معكوسة الوضع والتسعة التي هي كطاء معكوسة ولا سيما اذا قارنت بين الحروف العربية والارقام العربية في مختلف العصور. وانما غيرت الارقام للتفريق بينها وبين الحروف خوف الالتباس أو تغيرت في طريقها مع كثرة استعمالها بواسطة الاقلام والايدي المختلفة وايضا ساعد على التغيير

وقد تكون الاشكال الهندسية انتشرت عند عرب المشرق لظروف جغرافية هي وقوعهم في طريق الهند ومرور قوافلهم وتجارهم في ارضها وبحكم مخالطتهم والصفقات التجارية تجعل عرب المشرق في حاجة الى معرفة الحساب وأرقامه عند خلطائهم الى غير ذلك مما لم يتوفر لعرب المغرب مع بعد الشقة بين المغرب والهند وقلة المخالطة حتى مع اخوانهم المشارقة اذ ذاك ، وحتى الاتصالات التي كانت تقع بين أقلية من المغاربة والمشارقة انما تحدث في أيام معدودات من السنة زمن الحج وكانت الصبغة الدينية التي تكتسيها هذه الرحلة تقوى الجانب المعنوي الروحي وتضعف الجانب المادي فيكون ثانويا ضئيلا غير مستمر ... مما يقتضي عدم اهتمامهم بمقومات التجارة من حساب وغيره .

التصريح بجواز تبديلها او عكسها كما في هذا النص وغيره .

وقد لاحظ العلامة محمد بن أحمد بن أبي يحيى الحباك التلمساني المتوفى سنة 867 هـ في شرح كتاب «تلخيص أعمال الحساب» لابي العباس أحمد بن البنا (ص 21) : ان الحيسوبي المغربي لم يشر الى صور الاشكال الخطية لانها ليست مما يحدث العدد لذاته أو عرضه الخاص به بل من جهة عرضه العام فصارت كاسماء الدالة عليه ، ثم أكد ان المشتهر من ذلك بالمغرب ثلاثة أنواع وأن الاقدمين أبرزوا أن الوضع الطبيعي للعدد هو أن يرسم الواحد علامة واحدة الخ .. (راجع الالواح) ... ويمر كذلك ناهضا .... فالنوع الاول من الاوضاع المذكورة يسمى حساب الغبار لان واضعيه وهم الهنود كانوا يتصرفون به في غبار مبسوط على لوح وأشكاله تسعة رسمتها في جدول ليسهل تناولها وتتميز المنازل فيه بالترتيب الوضعي وحيث تخطى العدد شيئا منها وضع فيه علامة تسمى صفرا لدلالتها على خلاء ما هي فيه وفائدتها حفظ الترتيب لتعلم منزلة العدد الذي يليها فمعنى الصفر في غيره كالحرف عند النحاة . ثم ذكر النوع الثاني وهو حساب الجمل وحساب أبجد ، والنوع الثالث وهو الزمامي المعبر عنه بالقلم الفاسي .

أما القلم الفاسي فقد اقتصرت فيه على المرقوم باللوحة طبق ما جاء في نظم أبي السعود سيدي عبد القادر الفاسي (المولود سنة 1007 هـ والمتوفى سنة

1091 م) وما علقه عليه شارحه العلامة سيدى أحمد سكيرج .

ويستنتج مما جاء فى كتاب «تاريخ الرياضيات» (ص 60 الى ص 67) وغيره من الكتب التى عنيت بهذا البحث أن عرب المشرق كانوا وسيلة لاظهار الكنوز العلمية الهندية التى ازدهرت عندهم ومنها ع لي الخصوص فن الحساب وارقامه وان اعظم فضل يشاد به لهم هو نقلهم الارقام الهندية .

وان عرب المغرب كانوا وسيلة لاظهار الكنوز العلمية الاغريقية حيث اتصلوا بالاغريق عن طريق السريان فى آسيا الصغرى وحذقوا اللغتين الاغريقية والسريانية .

فالاغريق كان ينقصهم طريقة منظمة لكتابة الاعداد . وكانوا يكتبون أعدادهم بطريقة تشبه تقريبا طريقة قدماء المصريين كما كانوا يرمزون اليها بالحروف الأبجدية فلو كتبوا حسابهم بطريقتهم لجاء معقدا .

فالرومانى فى الفلسفة والشعر والفنون كان مقلدا أما فى العلوم والرياضيات فلم تكن لديه الرغبة فى أن يكون مقلدا . وقد كانت عملية الحساب عندهم جد بسيطة اذ كانوا يستعملون طريقة خمسية عشرية دخلها الجمع والطرح فيرمزون بالاصابع واليد واليدين مع جمع بعض الاصابع أو طرحها كما فى اللوحة .

فيستنتج من كل ما ذكر أن الارقام الحسابية الجارى بها العمل فى البلاد المغربية هى من وضع عربى مغربى لان عرب المغرب لم يتصلوا بالهنود وانما اتصلوا بالاغريق الذين لم تكن لهم طريقة منظمة لكتابة الاعداد ، كما اتصلوا بالرومان اصحاب تلك الطريقة البسيطة فى رقم الاعداد ، يضاف الى ذلك الاشادة بعرب المغرب فقط من أجل محافظتهم على طريقة أجدادهم واطلاق إسم الارقام العربية عليها ونقلها الى اوربا عنهم وتسمية السلسلة المقابلة لها باسم الارقام الهندية الى غير ذلك .

وخلاصة القول ان مسألة الارقام قد كثر فيها الكلام ولم تزل من الباحثين موضع اهتمام ومثار نقاش وقد نقلت بعض ما أمكننى الوصول اليه مبديا بعض ملاحظاتى واستنتاجاتى .

ونجمل فيما يلى الخطوط الرئيسية لتطور الارقام :

اللوحة الاولى للارقام فى مختلف العصور والبلاد

1) الارقام الحسابية المسماة الهندية

عند المشارقة
١
٢
٣
الاربعة ٤
الخمسة ٥
٦
٧
٨
التسعة ٩

عند فئة قليلة من المغاربة لاغراض خاصة تبعا للمشارقة مع إختلاف فى الاربعة والخمسة وتغيير بسيط فى التسعة .

نوعان عندهم

تغيرت الاثنان والثلاثة تغييرا طفيفا .
ففى الهند : ٢ . ٣ . وعند عرب المشرق : . . وعند عرب المغرب : . .
فكانت فى الهند مائلة وفى المشرق راسية وفى المغرب افقية .

وفق مثلث الاضلاع

عند المشارقة عموما

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

عند فئة من المغاربة

غـر	أ	8
٣	B ع	٧
٨	١	٦

ولو كان يملا عندهم بأرقام عامة المغاربة لكان كما يلي :

4	9	2
3	5	7
8	1	6

2) الارقام سلسلتان رسمتا بمخطوط وفقا لما كانت عليه زمن ابن الياسمين .
وقد أكد ابن الياسمين أن للعدد تسعة أشكال يتركب عليها العدد وهي التي تسمى أشكال الغبار وهي هـذه :

9 8 7 6 ٤ ٤ 3 2 1

وقد تكون ايضا هكذا :

٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

ولكن الناس في المغرب على الوضع الاول .
فالوضع الاول هو العام في المغرب والوضع الثاني هو الذي تستعمله الفئة القليلة منهم للغرض المشار اليـه .

3) أشكال الحساب كما رسمت نقـلا عن الحبـاك التلمساني في شرحه لتلخيص ابن البناء :
... النوع الاول من الاوضاع المذكورة يسمى حساب الغبار ...
والنوع الثاني وهو حساب الجمل وحساب أبجد ...
والنوع الثالث وهو الزمامي المعبـر عنه بالقلـم الفاسي ...
وكان رسم النوع الاول كما يلي :

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

واحد . إثنان . ثلاثة . أربعة . خمسة . ستة . سبعة . ثمانية . تسعة . صفر .
وقال الحبـاك أيضا في «جـامع أصول الاعـداد» ما نصه :

حروف الغبار الـتي تتصرف فى الحساب تسعة أحرف صورتها :

المغايرة بينهما واضحة فى رقم الثلاثة وبسيطة فى رقم السبعة .

اللوحة الثانية للاشكال الحسابية

أشكال القلم الفاسى كما ترسم بطرق بعض الرسوم القديمة لبيان حظوظ الشركا. مـن فرائض الاصـول والرباع . او برسوم المحاسبات أو فـروض النفقات ، وهى فى كل ما ذكر حسب الصرف القديم القائـم على المثقال والاواقى واثمانها والفلوس والحبوب .

4) أشكال الاعداد الصحيحة – و أشكال الكسور ، من ثمن الاوقية التي هى تسعة ومن فلس الى أحد عشر فلسا – ومن حب الى سبعة أحبب هكذا :

أثمانها من اوقية الى تسع أواق هكذا :

صفر الكسور : / خط راسى مائل أعلاه الى اليمين وأسفله الى اليسار .

صفر الصحيح ثلاث نقط

ويرمز للمثقال وهو عشر أواق هكذا :

والفرضيون انما يحتاجون فى فرائض الاصـول الى الاشكال أعلاه .

والمحاسبون ومقدرو فروض النفقة كـانوا يحتاجون الى ما سيرسم :

عاحاد الالوف	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
عشرات الالوف	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مئوا الالوف	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

5) لاحظ الشيخ سكيرج فى شرح منظومة سيدى عبد القادر الفاسى أن وضع هذا القلم انما قصد بـه الاختصار فى الوضع العددى والتعمية على العوام خوف التبديل والتغيير ولما كان قليل الدوران الا بين العدول المتقدمين ولا يعرفه الا من له ممارسـة وبحث واعتناء بالامور وفشا ظهوره عند السادة الفاسيين نسب اليهم وليس من وضعهم بل هو مأخوذ من القلم الرومى القديم ثم ذكر أن صور أشكال القلم الرومى القديم كما يلى :

الاحاد	6	[illegible]	[illegible]	7	5	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
العشرات	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
المئون	[illegible]	2	[illegible]	8	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

ومع ضيق أفقي في هذا الميدان فلا يظهر لي شخصيا ما زعمه لانه لم يستند فيه على مصدر ولان هذه الاشكال تحمل طابع الحروف والارقام العربيين .

6) الارقام الحسابية عند الرومان

لا يزال الرومان يستعملون الارقام بطريقة خمسية عشرية دخلها الجمع والطرح .

فالواحد يرمزون له بأصبع واحد اى بخط رأسي هكذا : I – والاثنان بأصبعين هكذا : II والثلاثة بثلاثة أصابع هكذا : III

ويرمزون للخمسة بيد واحدة هكذا : V وللعشرة بيدين عليا وسفلى هكذا : V Λ ثم انحرفتا هكذا : X

أما الاربعة فاستخدموا فيها طرح واحد من الخمسة أى طرح أصبع من اليد هكذا : IV – كما طرحوه من اليدين للدلالة على التسعة هكذا : IX...

واستعملوا الجمع بالنسبة لبعض الاعداد كالستة والسبعة والثمانية ... حيث أضافوا الى اليد أصبعا فصارت ستة هكذا : VI أو اصبعين فكانت سبعة هكذا : VII – او ثلاثة أصابع فبلغت ثمانية هكذا : VIII

ودلوا على بعض الاعداد الاصول بالحروف على طريقة حساب الجمل عندنا حيث جعلوا اللام ترمز للخمسين هكذا L = 50

والصاد ترمز للمائة هكذا : C = 100

والدال ترمز للخمسمائة هكذا D = 500

والميم ترمز للالف هكذا : M = 1.000

سالكين في الباقي عملية الجمع والطرح ...

بهذه البساطة تسير عملية الارقام الحسابية عندهم

7) وأختم هذه اللوحة بما بين الترتيب المغربي والمشرقي للحروف الهجائية وحساب الجمل من خلاف

فهي على الترتيب المغربي هكذا : أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرست

ثخذ ظغش

وعلى الترتيب المشرقي هكذا : سعفص قرشت ،، ضظغ

مشكلة الصراع بين الفصحى والعامية

في الوطن العربي

لمحمد أديب السلاوي

أضحت قضية الصراع بين الفصحى والعاميــة في لغة الضاد مشكلة قائمة على رأس مشاكل الثقافة العربية المعاصرة ، كما أضحت تشغل بال رجال الفكر العرب ، حيث أصبحت منذ بداية النهضة الحديثة موضع نقاش حاد بين حملة الاقلام على اختلاف ميولاتهم واتجاهاتهم الفكرية . كما بدأت تتسلل الى معظم المؤتمرات العلمية والادبيــة العربية غير أن معظم الدراسات التي جادت بها قرائح البحاثين العرب في هذا الموضوع لحد الآن ، لم تتوصل الى موضع الداء ولم تخلص بعد الى حل نهائي يطوي ملف القضية فاغلب هذه الدراســات يــدور في حلقة مفرغة متأرجحة بين نصر الفصحى ، وذم العامية أو العكس .

فالمتتبع لقضيــة الفصحــى والعــاميــة في لغــة الضــاد لابــد أن يلاحظ بوضــوح أن هنــاك اليــوم في العالــم العربي فئتين من الكتــاب والباحثيــن والأدبــاء يناقشان مشكلة الفصحــى والعاميــة ، الأولى تصــور خطــر العامية ، وتقــول انها الســلاح الوحيــد الــذي تركــه الاستعمــار للقضــاء علــى الوحــدة العربيــة ، والثانية تهون كثيرا من قيمة الفصحى ، وتقول انها لغة قدسية تتنافى مع روح العصر الذى نعيش فيه ، وتبقى المشكلة هكذا بين الأخذ والرد ، والدفــاع والتفريــق واذا أردنا الرجوع الى تاريخ نشوء هذا المشكل ، فسنجد أن مولده يرجع الى تاريخ غير قريب ، حيث يشير اليه الاستاذ فرح أنطوان في الفقرات التالية : (1)

« وضع جناب المستر ويلمور القاضى الانجليزى في محكمة الاستيناف المختلطة كتابا انجليزيا في غاية الأهمية اقترح فيه على أبناء العربية أمرين :

الاول : أن يتخذوا الحروف الافرنجية لكتابة الكلام العربي بدلا من الحروف العربية ، وذلك لضبط اللفظ في الكلمات المتشابهة ، والثانى استعمال اللغة العاميــة في الكتابة بدلا من اللغة الفصحى ، وحجته في هذا الطلب : أن الرجل الافرنجي يصرف سنوات في درس اللغة العربية ثم هو لا يفهم اللغة التى يكتب بها كتابها اليوم ، ولا اللغة التى يتكلم بها قومها ، وفضلا عن ذلك فان الذين يفهمون لغة الكتابة اليوم من المصريين لا يتجاوزون (12) في المائة من السكان ، وأما باقى السكان وهو 88 بالمائة فانهم لا يتعلمون لغة الكتابة ، واذا وجب أن يتعلموها ليدرسوا بها اضطروا الى صرف عدة سنوات في ممارستها ، فهل من الواجب وضع هذه العقبات في طريق تعليمهــم أو تسهيل هذا التعليم لهم لتلقينهم الدروس بلغتهم ؟ ويقول المستر ويلمور أن اللغة العامية لغة مستقلة عن اللغــة العربية ، وقد جاء عليها وقت كانت فيه لغة بأصــول وقواعد ، فاذا جمعت أصولها وقواعدها صارت لغة سهلة عمومية لجميع أفراد الامة خاصتها وعامتها .. »

ونفهم من كلام القاضي الانجليزى أن هناك صعوبة يلاقيها الاجنبي فى دراسة اللغة العربية .. ولا شك أن لاجل هذا بدأت المجامع اللغوية والعلمية العربية تهتــم بالموضوع جديا وتخصص له حلقات في البحث .. ففي سنة 1947 ولأول مرة في تاريخ اللغة العربية ، أخذ المجمــع اللغوى بالقاهرة يدرس اقتراح أحد الاعضاء الكتاب في موقف اللغة العامية من اللغة الفصحى .. بين فيه من وجهة نظر شخصية العوامل التى تؤدى الى ذلك ، وذكر كيف نشأت العامية العربية من فصحاها وما نالها من تغير في

---

(1) فرح انطوان حياته ادبه

الالفاظ وفي الاساليب ثم انتهى الي استخلاص الاحكام التالية :

1) ـ ان أكثر الالفاظ العامية عربية أصابها التحريف في النطق للتخفيف والتيسير .

2) ـ ان أسلوب العامية قد استقر على صورة نعودها الناس وهو يختلف عن الاسلوب العربي الصحيح .

3) ـ أن العامية لا تزال تتطور ، وهذا التطور ناشىء من حياة الناس ، فهي وليدة الحياة نفسها ، وفيها من المرونة ما في الكائن الحي .

4) ـ ان العامية ليست مسخا مجردا للفصحى وانما هي لغة قائمة بذاتها لها قواعدها وأصولها فاذا شذ عنها شاذ فكأنه خرج عن طريقة مقررة .

ثم بعد ذلك دعا الباحث الى التقريب بين اللغتين فألقى على المجلس الاسئلة التالية :

ـ كيف يمكن التغلب على الصعوبة الكبرى ، وهي الاعراب ، وعلى الاخص في أواخر الكلمات ؟..

ـ الا يجوز أن يقبل في الفصحى غير ما يصح في لغة قريش ؟

هل نجعل الاصل منع ما لم يستعمل في الفصحى من قبل أم نجعله اجازة كل استعمال ما دام قائما في الحياة ؟.

ـ ألا يمكن أن نتجرد من التعصب لاساليب القدماء في الكتابة والكلام اذا كانت لا تعبر حقا عن أحاسيسنا وتفكيرنا ؟

وقد ناقش المجمع بكل طواعية هذا الموضوع ، مناقشة طويلة ، ولا زال لحد الآن يناقش مواضيع أخرى مماثلة له ، الا انه لم يأخذ فيه أي حكم لحد الآن ..

ومن هنا يتبين لنا أن قضية الازدواج اللغوي التي بدأت تفرض نفسها في كل الاتجاهات اللغوية العربية بأدبها (القصة ، والمسرح ، والشعر ، والرواية) ولغتها (مجامعها ، وهيئاتها العلمية) وهذه القضية ليست وليدة تطور في الفكر العربي المعاصر كما يدعي ذلك البعض ، أو وليدة ظرف ، على العربية فيه أن تنتشر في آفاق العالم كما يريد أن يزعم القاضي الانجليزي ، ولكنها وليدة الاستعمار الفكري الذي خلقمع الحملات الصليبية من جهة ، ومع قوة الغرب القاضية من جهة أخرى .

والدليل الكبير الذي يؤكد هذه الحقيقة هو هذه الموجات من الدراسات المغرضة التي يقوم بها بعض المستشرقين الاجانب لنصر العامية ، وخلق فرقة بين أبناء الوطن العربي الواحد ، في كيانهم الذي هو اللسان الموحد ، ولكي يجعلوا من قضية اللهجات مشكلة قائمة في الحياة الفكرية العربية المعاصرة يشغل بها حملة الاقلام العرب نفوسهم حتى لا ينصرفوا الى قضاياهم المهمة المتجسمة في التطور الفكري والثقافي للبلاد العربية النامية ، وفي مخلفات الاستعمار الفكري على الخصوص الذي ما زال جاثما على فكر الكثير من مثقفينا العرب عافاهم الله .

واننا أمام هذا لا يفوتنا أن نعترف لمختلقي هذه المشكلة بنجاحهم ، فقد أصبح الكثيرون ممن تقع على عاتقهم مسؤولية ارتقاء لغتهم يشغلون بالهم بهذه المشكلة، كما أصبح في نفس الوقت للعامية أنصار كثيرون منتشرون في الارض يبحثون في الاجيال بالدعوة .. ومن هؤلاء الدكتور انيس فريحة الذي صرح أن اللغة العامية أصلح وأبقى في ميدان الحياة ، وقد جاء في رسالة له للدكتور عمر فروخ هذا التصريح واضحا حيث يقول : (2)

يحسن بي أن أجمل في نقاط وجهة نظري في هذا الموضوع الخطير :

(1) اللغة العربية الفصحى لهجة من لهجات العرب العديدة ارتقت الى مصاف اللغات الادبية بفضل نزول القرآن الكريم بها ، فهي مدينة بالبقاء له ومن الطبيعي ان تحرص الامة الناشئة ، ان يكون لها لغة قومية معترف بها ، فصيغت أحكامها وضبطت قواعدها فوقفت في صرفها ونحوها في نقطة معينة من الزمان والمكان ، أما لغة الناس التى لم تخضع لقوانين الصرفيين والنحويين فقد سارت مسيرها المحتوم متجزئة الى لهجات لان اللغة مجرى لا يعرف الجمود .

2) ـ ولقد أبعدت الشقة بين الفصحى والعامية الى حد يبرر القول بأن العامية لغة قائمة بذاتها ، بصرفها ونحوها ومفرداتها وأساليبها ، ذلك لان تيسير الحياة للعامية كان شديدا وعنيفا ، فاصبح العرب من مزدوجي اللسان . وقد مر في هذا الطور قبلنا أمم عديدة ، ولا تزال الى يومنا هذا أمم أخرى تعانى من ازدواجية اللغة ، ولكن

(2) راجع مجلة الحكمة عدد 8 (1955) .

الاتجاه هو نحو الاعتراف بلغة واحدة هي لغة الحياة ، قد نستطيع أن ننسج حول اللغة ، ولكن السياج لا يقف في وجه الذبابة : الحياة ، الحياة تطلب اليسر وتكره العسر « يسروا ولا تعسروا »

3) ـ الوضع اللغوى الامثل أن يكون لكل شعب لغة واحدة ، نحن نكره هذه الفوضى الضاربة في العالم العربي في لهجاته المتعددة المتباعدة وندعو الى لهجة توحد لساننا، واني أرى تباشير هذه اللهجة في لغة المثقفين العامية التى ليست فصيحة معربة ولا اقليمية ، بل هي اللغة العربية المحلية المشتركة بين المثقف المصري والعراقي والسوري واللبناني وغيرهم من العرب الذين اذا ضمهم مجلس تحدثوا فيه بلغة بعيدة عن الفصحى ومترفعة عن الاقليمية ، هذه اللغة تنتظر أديبا مبدعا وشاعرا خلاقا وقصاصا فنانا وصحفيا موهوبا لاسباغ صفة الاعتراف بهذه اللغة بفضل الفن والجمال في النتاج الادبى .

وجاء فى كتابه نحو عربية ميسرة ، الفقرات التالية :

« ان اللغة اكثر من فونيهات ، وأكثر من كلمات ، وأكثر من تركيب ، اللغة حياة ، وهذه الحياة هي العنصر الانسانى ، ان الفصحى ليست لغة الكلام ، فلا يرجى منها أن تعبر عن الحياة ، بحلاوتها ، ومرارتها ، وفنونها ولينها كما تستطيعه العامية ، والدليل ظاهر ، فانك لا تستطيع أن تقول بالفصحى ما تقوله بالعامية ، واذا نقلته الى الفصحى اتى جافا قاسيا خلوا من العنصر الانساني اللطيف باللغة ، تصور على المسرح فلاحا يتكلم الفصحى أو سكيرا يتكلم الفصحى ، أو خادمة تخاطب سيدتها بالفصحى ، أو نجيب حنكس يقص أقاصيصه الزحلاوية البرازيلية بلغة الزمخشرى ، وسعيد فريحة في نكات يقصها بالفصحى أو المجلات المصرية تنقل كلام ابن البلد الى الفصحى ..

ثم يقول في بحث آخر في نفس الكتاب :

ان اللغة العامية لغة قائمة بذاتها تختلف عن الفصحى في أصواتها وتركيبها ومفرداتها وتعبيراتها ، ويحق لنا أن نقول الآن ان للعرب لغتين فصحى معربة وهي اللغة الأدبية الرسميةالمعترف بها ، وعامية غير معترف بها ، وهي اذن في نظر الناس لغة رديئة أو انحطاط لغوي

ولكن رغم هذا الزعم الخاطىء فانها ـ العامية ـ لغة الحياة اليومية .. »

والاستاذ محمد تيمور هو أيضا خاض صراع العامية والفصحى ، فخصص فصلا طويلا من كتابه مشكلات اللغة العربية تحدث فيه عن العامية والفصحى ، وشرح نظريته قائلا : (3)

« هذه العامية أقدم من الفصحى عهدا ، وأعرق منها الى العروبة نسبا وفي مقدورنا لو أتيحت لنا كتابة العامية أن نقول باننا نكتب العربية ولا مراء .

لقد عاشت خصائص تلك العامية في العصور العربية الاولى اذ كانت لهجات مختلف القبائل والعشائر جرت عليها طبائع النشوء والارتقاء ومرت بها أطوار تنازع البقاء وعلى ترادف من الايام وبعون من عوامل وملابسات ، الفينا هذه اللهجات المتخالفة ، تتجمع وتختمر، وتتخذ لها قالبا هو الذى سميناه الفصحى ، فكان هذا القالب صفة مختارة ، وصورة مزكاة ، ينطوي على النقاوة من خصائص اللغة به نزل القرآن ، وفيه صب الشاعر والناثر روائع البيان ..

ثم يقول الاستاذ تيمور في صفحات أخرى : (4)

« وان ساغ لكاتب متأنق أن يترفع عن مشاكله العامة فيما يتناقلون من هذه الكلمات والتعبيرات على فرط الحاجة اليها وان يتجيد من كلمات الفصحى كل شريف أو كل طريف فالكاتب الروائي أو القصصي له شان غير هذا الشان ، وهدف غير ذلك الهدف ، اذ هو أحوج ما يكون الى اصطناع كلمات وتعبيرات عامية في الوصف والتصوير ، وبخاصة في مساق الحوار ، فهي ذات دلالة تأثيرية خاصة في النداءات والأدعية والأجوبة ، وفي الاعراب عن المشاعر والأحاسيس ، ولاسيما حين يدور الحوار بين مئات من الناس في المحيط الشعبى ، وحين تظهر شخصياتها على منصة المسرح في أزيائها البلدية وفي هيئاتها المتميزة لكي تتناقل الحديث .. »

من هذا ، من تبريرات تيمور ، وفريحة يتبين للقارىء العادي أن هذه المحاولات لا ترمي الى هدف غير التشكيك في فعالية اللغة العربية ، وكفاءتها في مسايرة

---

(3) مشكلات اللغة العربية ص 88

(4) ص 231 من نفس المصدر

العصر العلمي الحديث ، فالاول وصفها بلغة أدبية خالصة ، ومعنى هذا أنها لا تستطيع مسايرة البحوث الجديدة في العلوم الطبيعية والفضائية . والثاني رماها بالقصور ، وهذا في الحقيقة ما يثير الضحك ، فلا احد يتصور ان لغة عمرت قرونا طويلة ، وحملت حضارات على اكتافها للشرق والغرب لا تستطيع مسايرة عصر علمي لا يقل عنه عصر الحضارة الاندلسية متانة ، وقوة ، وعلما .

ولكن مع ذلك ، فان الحقيقة حين تواجهنا ، فلابد أن نقول ان هذا الموضوع وان لم يكن للاستعمار الغربي يد في انمائه ، واذكائه ، فمن الطبيعي أن يثار في هـذه الظروف المرحلية التي تجتازها البلاد العربية اليـوم ، وهي ظروف كما يعلم الجميع ، يجتاز فيهـا الانسـان العربي امتحانا عسيرا يختار فيه الموقف الطبيعي لحياته (الشرق أو الغرب) .

واعتقد ـ بكل تواضع ـ أن الذين اختاروا العامية ونصروها ، قد اختاروا قبلا الغرب ، مجتمعه ، وروحه وتنصلوا في نفس الوقت للعربية ، لأمهم ، وليس مـن الغرابة أن نجد للوطن العربي عاقين .

فان ذكر أسماء الذين عالجوا هذه القضية سوف يملأ كتابا ضخما بل مجلدا ضخما ، ولا أريد ذلك لانهم كثر ، وحجتهم في صلاحية العامية هي انها أقرب الى الحياة ، وأصدق للتعبير عن عفويتها .. ولكـن ما من أحد من هؤلاء الذين ذكرنا أسماءهم ، ونصوص كتابتهم ، ولا الذين لم نذكرهم تجاوز البحث النظرى السلبي الى تطبيق هذا القول .

وأعتقد أن الذين نصروا العامية ، هم أنفسهـم لا يستطيعون الكتابة بها ، اذا استثنينا الأستاذ سعيد عقل الذي تجرأ وقدم ديوان (جلنار يبحث عن الجمـال) بالعامية اللبنانية لم تجد أديبا آخر ..

والواقع أن البحث في هذه القضية يتجاوز بكثير نطاق اللغة ، والصـرف والنحو ، والحرف والبيـان ، ويتجاوز النظريات السلبية ، ويدخل في نطاق أكثر قيمة وموضوعية . نطاق الفلسفة ، والمؤسف أن الذين يتناولون هذا الموضوع لا ينظرون فلسفيا الى أمر اللغة ، خاصة وأنهم يتكلمون عن انقلاب جذرى لوضع اللغة ، ان البحث في هذا الموضوع فلسفي بالجوهر (5) ، وسنكون عاجزين عن أن نعدل الحياة بغير منطق الحياة ..

غير أن هذه الدعوة غـير الخاضعة لمنطق الحيـاة لم تلق ـ كما يزعـم (العاميون) ـ أي نجـاح ، بـل صادفت استنكارا شديدا من طرف المفكريـن العـرب الحرصين على التراث العربي ، وعلى الحضارة الانسانية التي حمل لواءها الاسلام قرونا طويلة ، ولقد وضحوا للرأي العام العربي في شهامة ورزانة ما يختبىء وراء هذه الدعوة من اخطار ومؤامرات شيطانية تريد القضاء على حصيلة علمية عمرها آلاف السنوات .

واذا أحسنا النية بهؤلاء (العاميين) ، وصدقنـا بأنهم يريدون بالعالم العربي خيـرا ، ويريـدون للغتـه التقدم ، فكيف سنحلل عدم ادراكهم لحقيقة الاختلاف بين اللهجات العربية القائمة ، واستحالة التوفيـق بينهـا ، وتوحيدها في لهجة واحدة خاضعة لمنطق النشوء والارتقاء ترضي مطالب الانسان العربي الحديث العلمية والادبية ، وتجعله قريبـا الى العالم الغربي الذي هو مولـد هـذه الحضارة كما يقولون ؟.

اذا كانوا لم يدركوا هذه الحقيقة ، فلابد أن نحكم عليهم بالجهل ، والاميـة ، أو بدعاة التفرقة العربيـة .

ثم ان بعض هؤلاء اذا كانوا يجـرؤون فيضعـون انفسهم في مقدمة مـن يطالب بالتقريب بيـن الفصحى والعامية ، فاننا نؤكد لهم مع الأستاذ المرحوم عبـاس محمود العقاد :

« بأن التقريب بين الفصحى والعامية ممكن ، وأنه يزداد امكانا في العصر الحاضر لان أسبـاب التشعب والتفريع كانت موفرة في العصور الماضية ، ولم تكـن بجانبها أسباب للتوحيد والتقريب ، فتوافرت هذه الاسباب في العصر الحاضر بعد شيوع وسائل الاعلام »

كما نؤكد مع الأستاذ العقاد في أن هـذا التقريب يجب أن يكون لعالم الفصحى :

« وأن يكون لتيسير فهم الفصحى لغير المتعلمين ، وأن يدخل من زاويته في الفصحى مفردات نافعة من الفاظ

(5) مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الحادي عشرسنة 1959 ص 72

الحضارة يمكن اجراؤها مجرى المفردات الفصيحة بغير تعديل ، أو ببعض التعديل » (6) .

فالحقيقة القائمة أمامنا اليوم ، وأكثر من أي وقت مضى ، هي ان باللغة العربية اليوم عجزا عن تادية الاغراض العلمية ، وقد استرعى هذا السبب اهتمام ادباء العصر ، فبحثوه ، ودرسوه ، ولكن هذا السبب غير كاف لهجر لغة لها من الماضي ما تحسد عليه ، فاللغات الغربية ـ الفرنسية الانجليزية الالمانية ـ أصبحت هي ايضا عاجزة اليوم عن تادية الاغراض العلمية المتلاحقة ، ثم ان العامية التي تشكل مجموعة لهجات اقليمية ، ليس لها ان تؤدى حتى الاغراض الأدبية بالنسبة لشعوب العالم العربى الحديثة الواعية ، لاسيما ثقافة العلوم التى لا تستغنى عن لغة خاصة المفروض فيها طول زمنها وامتداد مكانها وتعاقب أجيالها .

واذا كانت لغتنا العربية تحتاج الى بعض التعديل فليس معنى هذا ، أنها اصبحت كاللغة اللاتينية الميتة ، واضحى اللجوء الى العامية واجبا ، بل بالعكس .

« فاللهجة الشعبية بطبيعتها لهجة موقوتة متفرقة موكلة بمطالب المعيشة اليومية ، لا تيسر للعالم ان يكتب بها علومه ومعارفه ، وليس معقولا أن يتعلم الشعب كل شيء الا أداة الفهم والتفاهم ، ويبدو لنا أن التجربة العلمية خير محك لهذه الدعوة ، فمن استطاع أن يوحد بين العلم ولهجة السوق ، فقد يستطيع أن يحل هذه المشكلة على وجه قويم (7) »

واذا كان من المستحيل أن يوجد هذا العبقري الذي يستطيع أن يخلق المصطلحات العلمية من لهجة السوق والمعيشة ، فاترك الكلام في هذا الموضوع للدكتور طه حسين حيث يقول : (8)

« احب أن الفت نظر ادبائنا الذين يطالبون بالالتجاء الى اللهجات العامية الى شيء خطير ما أرى أنهم قد فكروا فيه فاحسنوا التفكير

هو أن العالم العربى الآن ، وكثيرا من أهل العالم الشرقى كله يفهم العربية الفصحى ويتخذها وسيلة للتعبير عن ذات نفسه ، وللتواصل الصحيح القوي بين أقطاره المتباعدة ، فلنحذر أن نشجع الكتابة باللهجات العامية فيمعن كل قطر في لهجته ، وتمعن هذه اللهجات في التباعد والتدابر ، ويأتى يوم يحتاج فيه المصري الى أن يترجم الى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين ، ويحتاج أهل سوريا ولبنان والعراق الى مثل ما يحتاج اليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية الى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الايطاليين والاسبانيين ، وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسيين .

ولنسأل أنفسنا آخر الأمر أيهما خير أن تكون للعالم العربى كله لغة واحدة هي اللغة الفصحى ، يفهمها أهل مراكش ، كما يفهمها أهل العراق أم أن تكون لهذا العالم لغات بعدد الاقطار التى تأتلف منها ، وأن يترجمه بعضه عن بعض ، كما يترجم بعض الاروبيين عن بعض ؟ أما أنا فأؤثر وحدة اللغة هذه خليقة بأن يجاهد في سبيلها المومنون بها ، وبأن يضحوا في سبيلها بكل ما يملكون ....»

هذا كلام عميد الادب العربى ، ورجل فاضل فيلسوف حكيم ، يرى الامور من جذورها .. ويحكم على الأشياء من زاوية واقعها ..

واننا اذ نترك هذا الكلام دون أي تعليق فلانه يحمل كل المعاني الواجب التعبير عنها في الانفصال الذي يعمل لاجله دعاة العامية .

— 2 —

ليس هناك من يزعم أن اللغة العامية تعاني عقما جوهريا في أداء المعاني الحضارية أو التعبير عن دقائق الفكر ، بل انها اذا عمرت مدة طويلة في ميدان التعبير الكلي تصير قادرة على خوض المعركة والوفاء بما يخالج الانسان من عواطف وأفكار ، ولكن هذه الحقيقة نجدها تشمل اللغة العربية الفصيحة من الآن بل ونجد هذه اللغة قادرة على اداء كثير من المعانى الخالدة التى لم ينل منها الزمن، والتي لن تتمكن العامية مدى الحياة من بلوغ مكانها. ثم لعلنا بشكوانا من الفصحى نحمل اللغات ذنبا يجب أن نحمله في الواقع الى تأخرنا في الميدان الثقافي والتربوي .. فاذا كانت الفصحى لا تتفق حقا مع الواقع الشعبى

---

(6) عباس محمود العقاد في المصدر السابق
(7) العدد الاول من مجلة الحصاد لسنة 1955

الذي ينبغي للادب أن يصوره ، كما ذكر ذلك انصار العامية وهم كثيرون ، فان ذلك راجع الى الثقافة الشعبية المنحصرة في سجن ضيق لا نور فيه ، ولا هواء ..

ولنرجع الى الموضوع : .. ونسأل هل القضاء على الفصحى ، واستعمال العامية سيحل المشكلة ؟. ان المشكلة على ما يظهر ، وكما يطرحها اصحاب النظر والرأي أنصار العامية ، تكمن في كون الفصحى لا تفي بالغرض ، ولا يمكن لها ان تكون التعبير الصادق عن خوالج الفلاح والعامل والتاجر والانسان الذي هو خارج قاعة الدرس .

فانيس فريحة مثلا ، لا يتصور كيف يمكن لكاتب اديب أن يخلق حوارا مسرحيا بين الفلاح والعامل بلغة عربية فصيحة ، وله الحق أن يتصور ذلك ، ولكن هل العامية ستحل المشكلة ؟

ولنفرض أن العامية ، واستعمالها ادبيا ، سيحل المشكلة فهل يمكنها أن تحل محل الفصحى علميا ؟ هل يسع قاموس العامية ، اذا كان لها قاموس ، مصطلحات قانونية وادارية وفيزيائية وكميائية وقضائية وذرية الخ ..؟ ان العامية حتى في الميدان الادبي لا يمكنها ان تحل محل العربية ، وهذا ما يمكن للزملاء انصار العامية ان يشعروا به عند التطبيق .

ثم هل لا تتنازع .. مصر ولبنان والمغرب وتونس والجزائر حول أي عامية أصلح وأوفى وباية واحدة من العاميات يجب أن نكتب ؟ لابد لواحدة من أن تطغى في آخر الأمر على الأخريات، فتصبح بدورها لغة موحدة اذ التوحيد ضروري في اللسان .. وإلا يبقى النزاع من أجل البقاء وينشأ عن ذلك قطع الصلة بالماضي العربي المشترك وينتج عن ذلك أيضا تطور اللهجات الاقليمية الذي سيضعف الشعور بالوحدة والاتجاه والقومية مع أن تلك الوحدة لا تقتصر في الفكر العربي على كونها غاية بل اصبح على الانسان العربي اعتقادها اعتقادا مذهبيا .

ولنذهب الى أكثر من هذا وابعد منه لنري المشكل من حيث الفلسفة يقول كمال يوسف الحاج : ان خطأ الذين يبشرون بالعامية ناتج عن أنهم يميزون – في الطبيعة لا في الدرجة – بين الفكر واللغة على أنهم يعتبرون اللغة وسيلة لا غاية ، انهم ينظرون اليها كشكل خارجي فقط ، يمكن استبداله بشكل آخر ، على انهم يقولون بأن اللغة غلاف للمعاني لا يربطه بمضمون الرسالة شيء من الداخل ، وما لنا الا أن نفتح كتاب انيس فريحة (نحو عربية ميسرة لنقرأ ما يأتي : (9)

« كثيرا ما تثار قضية وجود فكر مجرد بدون لغة أو رموز ، وقد تثار القضية بشكل آخر : أليس الفكر واللغة وجهين ، أو مظهرين لعملية بسيكولوجية واحدة ؟ وأكثر ما تثار هذه القضية في حقول المنطق والفلسفة والبسيكولوجيا ، وللعلماء فيها أراء مختلفة واحيانا متناقضة ومما يدعو الى هذا الخلاف والتناقض في الرأي ، حرص المشتغلين بحل هذه القضية على ايجاد جواب حاسم ، نعم هناك فكر مجرد بدون رموز ، أو ليس هناك فكر مجرد بدون رموز ، وظاهر الى وقتنا هذا ، ان المسألة لا تتحمل الجزم سلبا أو ايجابا ، فان كثيرا من الكلام لا يدخل في نطاق الفكر ، كما نفهم اللفظة بمدلولها العام ، فانني عندما اقول ، نمت الليلة نوما هادئا، فانني لا أعبر عن الفكر انما هو رد فعل بسيط لحالة جسمية شعرت بها ، فكأن اللغة مولد كهربائي ضخم يمكن استخدامه لتحريك آلات ضخمة أو لتحريك ضرابة يرسخها الاختيار في العقل ، فعندما نقول الجملة التى لفظة تشبه (كبسولا) يتضمن فكرة أو صورة ذهنية جرس كهربائي صغير .

الواقع هو أن مفردات اللغة ترمز الى فكر ، كل استشهدت بها سالفا (نمت) فانها ترمز الى ما حدث أو فعل يعرفه الآخرون بالاختبار ، وليس من الضروري أن نفسر النوم وعملية النوم ، وعندما نقول الليلة فانها تنقل الى السامع فكرة أو صورة معينة ، وكذلك عند قولنا « نوما هادئا » ، فمن هذه الجهة نجد أن جميع الفكر أو الصور الحسية والمعنوية مضمنة في مفردات اللغة ، ولكن هذا لا يعنى أنه لا يمكن ان يكون هناك فكر وصور وحقائق في الكون وفي الحياة مجردة عن اللغة ، أو ليست متلبسة برمز أي بصوت لغوي .. »

على الرغم من تصريح المؤلف بأن المسألة لم يبت فيها العلم، سلبا أو ايجابا (بطريقة جازمة) الى وقتنا الحاضر ، فقد اتخذ موقفا صريحا من القضية ، هو

---

(9) عن كتابه فلسفيات فصل في اللغة

التسليم بان اللفظة كبسول تتضمن الفكرة دون أن تكون الفكرة هناك على زعمه ، فكرة مجردة عن اللغة ، ظاهر أن مثل هذا القول يعني أن اللغة وسيلة ، وما دامت اللغة وسيلة أي ما دامت اللفظة كبسولا ، فما الذي يمنع من أن نتصرف بالكبسول كما نشاء » (10) .

والقدماء انفسهم استعملوا هذا الكبسول الذي عبر عنه كل من فريحة وكمال الحاج وتصرفوا في اللغة ، وخلقوا من ذلك ما يسمى بالادب العامي .. وهو الذي كان يعبر عن الاهازيج الشعبية والأساطير وغيرها .

واذا ما رجعنا الى الادب الشعبي هنا في المغرب مثلا ، وهو يعبر عنه جملة واحدة بالفلكلور ، فاننا نجده باصوله الفكرية ، واللغوية متاثر بالادب العربي الفصيح ، ولا ادلنا على ذلك من عروضه الشعري وموازينه الفصيحة ثم تعبيراته التي تكون غالبا مستمدة من المعاني الشعرية العربية .

ودليل آخر ، من هنا في المغرب ، وهو ذلك القاموس الذي جمعه الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذي يضم آلاف الالفاظ العامية المغربية ذات الاصول العربية والتي هي الدليل الوحيد عن عدمية اللغة العامية ، لانها لا تعتبر الا فرعا بسيطا من اللغة العربية الفصيحة .

ومن المؤكد أن الادب العامي نشأ في كافة الاقطار العربية .. وكل قطر عربي اتخذ من هذا الادب اسلوبا خاصا للتعبير .. ولكن أحدا لم يخش على العربية الفصحى من هذا وذلك يرجع الى أسباب كثيرة :

1) أن العامية بالرغم أنها ارتقت الى درجة صارت فيها لغة الاسواق فانها لم تزد بعد على أن تكون وسيلة للتعبير الساذج والاحاسيس البدائية ، ولم يظهر فيها لحد الآن ، ومنذ نشوئها النوابغ الذين ظهروا باللغة العربية .

2) ان انصار العامية يقولون ان العربية صارت كاللغة اللاتينية ، ولذلك يجب هجرها الى ابنتها العامية ، الا ان الواقع يقر أن الفارق بين العامية والفصحى لم يبلغ شيئا كما بلغ بين اللغات الاروبية الدارجة وبين اللاتينية من الفارق ، فما زال التفاهم ممكنا .. بل ان التفاهم زاد أكثر من أي وقت مضى بين المثقف بالعربية والغير المثقف بها .. وهذا دليل آخر يبطل هذه الدعوى المزيفة ..

وهذه الحقائق قد سجلها الذين يكتبون بالعامية انفسهم ، فناخذ مثلا حيا وهو أمير الزجل « رشيد نخلة » الذي يمتاز بفن الزجل وحلق باجوائه العالمية على القديم والحديث ، يقول هو نفسه في هذه الحقيقة ما ياتي :

« بقي شيء آخر أرى التبسط فيه ، اليوم ، لزاما علي ، وهو ما يقوم بالاذهان من الزجل بمثابة حرب على الفصحى ، فاستغفر الله الف مرة !! ما كان الزجل في الاندلس أمس ولا في مصر ولبنان اليوم ليزج بنفسه هذه الزجة فنمي الزجل فخره ، كله في أن يرى وجهه في زاوية من مرآة الفصحى ، ويكون عليه شيء من روعتها ، وبناء من طلاوة الفاظها ، وحلاوة حواشيها ، ولباقة الاخذ بين خافيها وباديها ! والعربية حين يقال : (ان الشاعر الزجلي يخرج فكرته ، وهي بعد حامية طلقة كما تمخضت بها قريحته ..) فمحاسنها لا تعد وحسناتها الى صاحبها الا بالفصحى ، واذا كانت هذه حسنة الزجل ، فما ترى يقال في حسنات الفصحى الى الشاعر ، وعنده منها كفتا ميزان العرب ، البلاغة والفصاحة ، فالزجل اذن عيال على العربية ، ومن قديم الزمن الى اليوم ، فضلا عن كونها لسان الامة ، والزجل لسان طوائف منها يوم تترك فصاحتها بعض الحين ، وتقبل على عاميتها ! واني ما اخترت العامية بدلا من الفصحى ، بل اراني أقبل على العامية حين اترك الفصحى وأقبل على الفصحى حين أقبل على العامية (11) .

وقد نعتبر هذا موقفا صريحا اتخذته العامية من الفصحى ومن الذين يريدون استبدالها بالعامية . ويمكن القول بعد هذا ، لا خوف على اللغة من هؤلاء اذا عملوا على محاربتهم للفصحى ، هي محاربة لناموس طبيعي صرف ، وهذا الناموس هو ضدهم على طول الخط كما يقولون في هذه القضية ..

ان الثنائية ناموس طبيعي تعترى كل الشعوب .. وان اللغة الفرنسية التي يتكلم بها الشعب الفرنسي غير الفرنسية التى يكتب بها جان بول سارتر أو كامو أو فاليرى .. واللغة الالمانية التى يتكلمها الالمان غير التى

---

(10) نفس المصدر

(11) راجع كتاب معنى رشيد نخلة

يكتب بها الالمان .. فالثنائية تعترى كل لغة في العالم ، هي احدى المعطيات البديهية في حياة الشعوب ، ولا تعد أمة من الامم في مستوى راق من الحضارة ، الا اذا نهضت بلغة القول والكتابة معا الى درجة راقية .. أي الى درجة الفصحى ..

اذن الذي يخصنا ، هو أن نبسط لغتنا الفصحى ، قليلا ، وبهذا سترتفع لغة عاميتنا الى الفصحى ، وتحل المشكلة من جذورها .

وقضية تبسيط العربية قد تناولها المكتب الدائم للتعريب التابع للجامعة العربية بالرباط ، ودعا لها بكل وسائله موجها الدعوة للاسهام فيها لكل الادباء والمفكرين العرب .

— 3 —

يبقى بعد هذا أن نبحث المشكلة من حيث القومية .. وهذا جانب من الجوانب التي لم يتطرق اليه الباحثون في المشكل من حيث هو .. كمشكل قائم الذات .

ان العالم العربى اليوم المختلف اللهجات يجرى وراء قيام وحدة قومية جديدة ، ويسعى وراء توحيد المناهج السياسية والتربوية والاجتماعية ، ويسعى للقضاء على المخلفات الاستعمارية القديمة والحديثة .. يسعى في سبيل الوحدة القومية عن طريق المؤتمرات والهيئات والبعثات والمجامع اللغوية والعالمية ، وغيرها .. والدعوة الى العامية هذه لاشك سيكون لها أثرها الفعال في شعوبية الاقطار العربية .. وفك هذا الرباط الوحدوى — الفصحى — التى منها تنطلق الدعوات للوحدة وللقومية ..

ان اللغة من العوامل الاساسية في بناء القوميات ، ولا أقصد باللغة صرفها ونحوها بل اللغة التى تنتقل بها تلك النظرة الفلسفية اللاواعية من السلف الى الخلف عبر الزمان الدائم، وهي حافظة التاريخ من الدمار والفناء. وهي التي تخزن كنوزه ، هذه اللغة هي منوام البناء القومي ولغة تاريخنا .. ولغة اطفالنا التى يتعلمونها في المدرسة ، والتى تنقلنا من السلف الى الخلف هي العربية .. فكيف يمكن لنا الاستغناء عنها أو استبدالها بالعامية ؟..

ان القومية ليست مجرد علاقة بين انسان وانسان آخر ، وليست عملا تركيبيا بشكل اعتباطى ، يمكن الاستغناء عنه متى شاء الخاطر ، بل انها جبرية حياتية تبتدىء مع الانسان في المهد وتنتهى معه في اللحد ..

فالذين ينادون بانقلاب جذرى .. باستعمال العامية محل الفصحى في الكتابة بغير النزول الى منطق الحياة الطبيعي ، ينظرون الى القضية .. كما ينظرون الى المسالة الحسابية .. العامية نتكلم بها .. يجب ان نكتب بها أيضا ، ولكن يجب ان يعلم هؤلاء ان القومية اكثر بكثير من العملية الحسابية المفتعلة واكثر من لغة نستملحها أو نستقبحها .. القومية اندفاع كلي والذى يربطنا بصفة تسلسلية وطبيعية بحاضرنا .. الى الباطن العضوي الذي يربطنا بالخارج الحياتى .. ان القومية هي هذا التاريخ الذي لا نشاهده في باطننا ، ولا أحد يستطيع نزعنا من العروبة . ثم بعد هذا نحن وتاريخنا بعد هذا هو العربية فنحن عرب أولا وأخيرا .. لسنا أحرارا في اختيار أمتنا » (12) ، قد نكون أحرارا أن نذود عنها .. وهذا نفسه عائد الى مقدار وعينا القومي .. ولكننا لسنا احرارا في اختيار شعورنا القومي والتصرف به كما نشاء ونرضى أو كما تشاء ارادتنا الفردية ، فشعورنا القومي موجود معنا والذين يحيدون عنه لا شك أنهم شواذ .. والشواذ لا حكم عليهم .

وأقولها صراحة ان الذين حادوا عن الشعور القومي، والذين تصرفوا كما شاءت لهم خواطرهم في اختيار اللغة، هم مجموعة من الشواذ سوف يعودون الى رشدهم بعد حين ، بعد أن يعلموا أن اللغة العربية ملتصقة بالارض التي يعيشون عليها وبعد ان يتيقنوا أن التنكر لها هو تنكر لتاريخ أجدادهم وآبائهم اذ لا أحد يجرؤ على التنكر لموطنه ذلك التنكر الذي يتجلى في محاولة فصل اللغة عن القومية .. ومن رأي ذلك فانه خاطىء الى يوم الدين ..

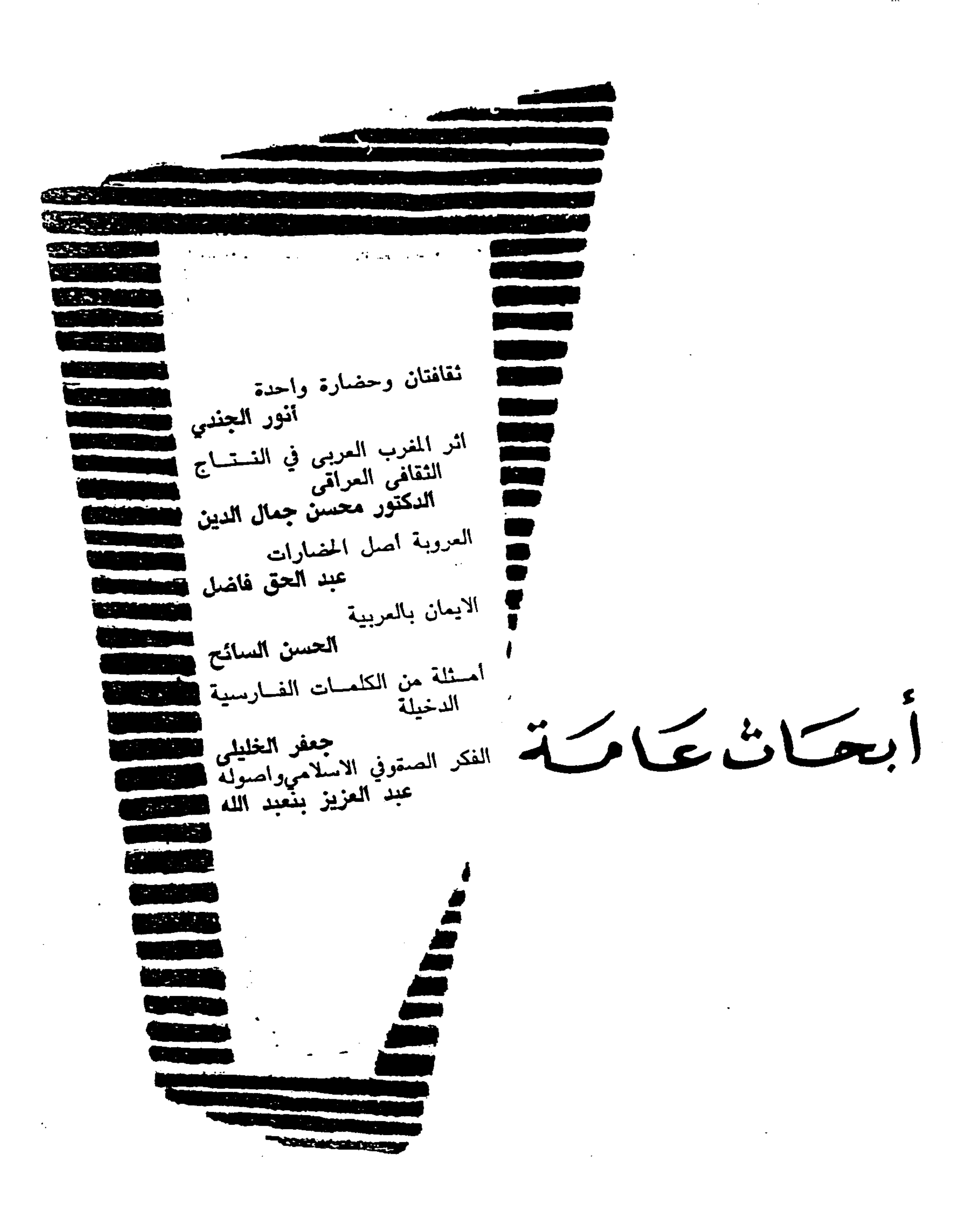
ولكن لكي لا نظلم الفصحى هي أيضا .. ونتعدى على العامية من جهة أخرى وجب علينا أن نشير الى أن تبسيط اللغة العربية شيء حيوي ضروري به يمكن ضمان حياة الفصحى ، وحياة القومية .

على كتابنا استعمال المانوس والمالوف من الالفاظ القريبة الى أذهان الطبقات الشعبية ، والابتعاد عن المهجور والنابي من الكلام الذي يحتاج فيه السامع أو القارىء الى كتاب العين لخليل .. ولسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري .. وفي التبسيط ، احسن الحلول لهذه القضية ، لان فيه ارتقاء العامية وتسهيل الفصحى .

الرباط — محمد اديب السلاوى
رئيس مصلحة النشر والاعلام
بالمكتب الدائم للتعريب

---

(12) كمال يوسف الحاج في القومية والانسانية



أبحاث عامة

ثقافتان وحضارة واحدة

بقلم: أنور الجندي
أستاذ بجامعة القاهرة

يبدو أن هناك ضرورة حتمية لتحديد مفاهيم الالفاظ التى يجرى تداولها كثيرا هذه الايام . أولى هذه الالفاظ اختلاطا على الفهم «الثقافة والحضارة» فقد جرى استعمال كلمة «الحضارة بدلا من الثقافة» عند كثير من الكتاب على أساس انها أوسع مدى وأشمل . وأن الحضارة تضم الثقافة تحت جناحها . غير ان هذا جرى دون تعمق لمعنى اللفظين الذين يجب التفريق بين مفهومهما ومضمونهما حيث تبدو اهمية لا حد لها لتحديد معنى كل منهما توقيا للخلط بينهما واستعمال كل منهما فى مكانه .

ولا ضرورة لاعادة ما قاله عشرات الباحثين فى التفرقة بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة . وغاية ما يجمع عليه المفكرون فى هذا هو أن الثقافة فكر والحضارة مادة ومجتمع .

ولا شك ان الحضارة نتيجة الثقافة وان كل حضارة بدأت فكرة أولا ثم انبثقت منها الحضارة غير أن تطور الحضارات على مدى العصور قد بلغ درجة من النضج البشرى فلم تعد هناك حضارات منفصلة ترتبط باقليم دون اقليم او امة دون امة . وهذه الحضارة التى نعيشها اليوم ، لا يصح اطلاق لفظ «الحضارة الغربية» عليها وانما هى حضارة بشرية انصبت فى بوتقتها مختلف الحضارات والثقافات القديمة والمتوسطة كحضارات مصر وبابل واشور وحضارات اليونان والرومان والعرب والمسلمين ومن عصارة هذه الحضارات وتجاربها الواسعة المحددة المراحل قامت هذه الحضارة فى القرن الخامس عشر واستمرت الى اليوم وشملت العالم كله .

والحضارة هنا فى تقديرنا هى الآلة والماكينة والعلوم التكنيكية والاختراعات والكشوف والذرة والصواريخ عابرة القارات .

أما الثقافة فهى الفكر بقطاعاته المختلفة من لغة ودين وأدب وتاريخ وهنا تبرز أمامنا ثقافات متعددة لها طابعها المستقبل المختلف فى كل ثقافة عن الثقافة الاخرى .

وابرز ما يبدو هذا الاستقلال واضحا فى ثقافة الشرق والغرب . ثم فى ثقافة الشرق تبدو ثقافة الفكر العربى الاسلامى لها طابعها المتميز عن ثقافة الهند والصين وان اتسمت ثقافة الشرق بالطابع الروحى .

وتبدو ثقافات الغرب متميزة ايضا فى ثقافة الغرب والثقافة الماركسية والثقافة اليهودية ولكل طابعه الواضح وان اتسمت ثقافة الغرب بالطابع المادى .

ومن بين هذه الثقافات تبدو «الثقافة العربية الاسلامية» ولها طابع مزدوج واضح الملامح فى الارتباط بين الروح والمادة والعقل والضمير . ومن هنا يبدو أن هناك ثقافتين وحضارة واحدة :

(1) ثقافة الغرب (بشطريها الغربى والماركسى) وهما يقومان على أساس واضح وقاعدة واضحة هى : مادية الفكر .

(2) الثقافة العربية الاسلامية : وهى تقوم على قاعدة الربط بين المادة والروح ومن المعتقد انه لا سبيل الى

تغيير الاساس او القاعدة فى كلتا الثقافتين ولا سبيل الى حمل اى ثقافة منهما الى تبنى قيم الثقافة الاخرى . ولكن هذا ليس معناه التوقف عن الاخذ والعطاء بين الثقافات اذ هى ظاهرة حتمية وناموس أزلى هذا الاخذ والعطاء الذى لم يفقد كلا الثقافتين طابعها الاصيل . وفى تجربتين قديمتين تم هذا فى حرية كاملة وسلامة تامة فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) عند ما نقل الفكر العربى الاسلامى وترجم آثار اليونان والرومان واختار منها ما وافق مضامينه وقيمه الاساسية وفى القرن الرابع عشر الميلادى نقل الفكر الغربى آثار العرب الفكرية (ومن بينها ترجمات اليونان والرومان) التى كان الفكر العربى الاسلامى قد لونها بطابعه واضاف اليها وحذف منها وفى كلا التجربتين الضخمتين لم يفقد كل من الفكر الغربى او الفكر العربى الاسلامى طابعه وشخصيته .

ثم قامت الحضارة على هذه الاسس التى صنعتها الحضارة الاسلامية التى كانت فى أرض الغرب (الاندلس) وفيها بدأ الامتداد الحضارى متصلا ، أخذ العرب فكر اليونان والرومان ، مضافا الى ثقافات الفرس والهنود والمصريين وانصهر كله فى كيان واضح ثم أفضى الى الغرب فى عصر النهضة فصنع الحضارة البشرية الحديثة التى هى فى الواقع «الانسانية» التكوين بحكم اشتراك الامم والشعوب كلها فى بناء اساسها وان تحولت الى طابع لا انسانى فى توجيهها مرتبطة بالاستعمار والقيم الفكرية الغربية التى آمنت (1) بالمادية و (2) العنصرية و (3) تمييز الرجل الابيض (4) استنزاف الشعوب والسيطرة عليها .

ومن هنا مضت « الحضارة » فى طريق مفتوح وامتدت الى العالم كله الذى يعيش الان فى آلاتها وأدواتها ولكن هل امتدت الثقافة الغربية فسيطرت على الفكر الانسانى هذا هو ما نشك فيه فان تجربة اليابان فى أوائل هذا القرن كانت واضحة وضوحا تاما حيث اقتبست الحضارة ورفضت الثقافة الغربية وتجربة الهند ايضا التى مضت فى طريق الحضارة وحافظت على قيمها الثقافية وطابعها الاساسى .

ونحن فى عالمنا «الشرق الاسلامى» وفى قلبه الامة العربية نجد أن الغرب قد حاول خلال مرحلة الاحتلال لارضنا منذ 1830 تقريبا الى 1954 (الجلاء عن المغرب) الى 1956 (الجلاء عن مصر) 1962 الجلاء عن الجزائر أن يفرض هذا الفكر عن طريق المدرسة والصحيفة والكتاب والفيلم السينمائى .

وفى ظل قوى غاصبة وقوى حاكمة مؤيدة للاحتلال استطعنا أن نقاوم ولم نستسلم حتى اذا اتيح لنا أن نتحرر من الاحتلال العسكرى والسياسى بدأت موجتها لهذه القوى تاخذ طابعا جديدا .

فقد خلف الاستعمار العسكرى السياسى جيوشا فى وطننا تمثل الغزو الفكرى والثقافى وتحمل أمانتها للقيم الغربية وهى تحاول ان تخفى اليوم هدفها فتتاقلم فى قوة متجمعة يمكن أن يطلق عليها « الشعوبية الفكرية » وتجد من بعض صحف العالم العربى ما يفسح لها اذاعة آرائها وبث سمومها .

وعندى أنه ما دمنا قد اخذنا بعض جوانب الحضارة أساسا مفروضة علينا فى ظل النفوذ الاجنبى فقد استطعنا بعد التحرر من هذا النفوذ أن نأخذ الجانب الاقوى جانب الصناعة والآلة والذرة والصواريخ عابرة الفضاء هذا الجانب الذى حرص الغرب على أن يحول بيننا وبين بناء مصانعه او القدرة على السيطرة عليه .

وكان هذا التحول فى واقعنا بعد التخلص من النفوذ الاجنبى بالغ الاهمية والخطورة فلم تعد الحضارة ترف وملابس وعطور وارضاء للغرائز وهو الجانب الوحيد الذى قدمه لنا الغرب من الحضارة خلال فترة احتلاله ــ وعندى اننا قد حققنا بذلك استكمال موقعنا من الحضارة التى هى ملك بشرى مشاع .

بقى الامر فى مجال الفكر وهو ما لا سبيل الى نقله او اقتباسه وانما يجرى الامر فيه وفق قانون أساسى وناموس ازلى هو ان لكل امة مقوماتها الاساسية هذه المقومات التى تمثل قيم فكرها وملامح شخصيتها وهو ما لا سبيل الى التخلص منه . وهو ما حاول الغرب خلال اكثر من مائة عام أن يقضى عليه دون جدوى .

هذا الاساس يجب ان يبرز ويتضح ويصبح أساسا معترفا به فى مواجهة الفكر الانسانى اما النظرية التى كانت سارية ومعترفا بها وهى الاخذ بخير ما فى القديم

وخير ما فى الجديد فهذا تمويه شعوبى يراد به القضاء على مقوماتنا الاساسية او وضعها فى كفة ميزان مع الجديد الوافد .

فاذا تحدد هذا الاساس واتضح أمكن محاكمة (القديم والتراث) من ناحية (والوافد من فكر الامم الينا) من ناحية أخرى محاكمة واضحة للاخذ والرفض والابقاء والحذف .

ونحن فى هذا كله نؤمن بالفكر المفتوح المتطلع الى ثمرات الفكر الانسانى من الشرق والغرب والقديم والجديد . وقد كنا ولا نزال دائما قادرين على الحركة والتطور فى مرونة وحيوية . ولسنا نخشى أن يغلب فكر على مقوماتنا المعطية لخير ما فى الفكر الانسانى أساساً والتى عاشت عمرها كله لم تواجه أزمات القلق والاضطراب أو التجمد والتحجر أو التمييع والانفراط .

الثقافتان بين الانصهار والامتصاص

ولا شك أن الفكر العربى الاسلامى والفكر العربى بينهما أبعاد واضحة واختلاف صريح فى أسس كل منهما . ليس معنى هذا ان التقارب والالتقاء لا يقع . فذلك أمر مقبول لدى الفكر العربى الاسلامى المتفتح المتطور المرن القابل للثقافات الانسانية والفكر العالمى على أساس من قيمه ومقوماته . ولكن الامر العسير الذى لا نعتقد أنه يقع هو امتزاج الفكر العربى الاسلامى والفكر العربى فى فكر واحد وينسى دعاة هذا الامتزاج انه لا بد له لكى يتحقق أن «يذوب» أحدهما فى الآخر وينصهر وهذا أمر جد عسير .

ولقد جرت المحاولات لهذا ودعا دعاة التغريب والشعوبية من قبل الى أن نأخذ فكر الغرب وجاء من يدعو الى أن نأخذ فكر الماركسية وفشلت كلا الدعوتين وان أخذنا من الفكرين على نحو معين هو ما ندعوه « بالامتصاص» وهو غير النقل والاقتباس .

وليس من شك أن بين الفكرين والثقافتين فروقا ولن يلتقى الاثنان التقاء انصهار واذابة أما فى مجال الحضارة فان الامتزاج قائم وكائن وسبل النقل والاقتباس مفتوحة وجائزة .

وهذا هو االفرق بين الثقافة والحضارة فالفكر يقوم اساسا على مقومات ثابتة ، تتطور فروعها وتتحرك ويدخلها التجديد والتحول والتغيير اما الحضارة فهى نمط من الحياة يمكن تغييره دون تحول أسس الفكر . فقد أخذ اليابان حضارة الغرب ولم يأخذ فكره وكذلك فعلت الهند .

ونحن لا نستطيع ان ناخذ لغة الغرب ولا مفاهيمه الروحية ولا تاريخه و لامثله العليا ولا قيمه وانما نستطيع أن ناخذ حضارته فى البيت والشارع وفى الماكينة والآلة والصناعة والحضارة والتكنيكية أى اننا نلبس عقائدنا وافكارنا وقيمنا أثوابا عصرية فنحن لا نستعمل الآن الجمل او الناقة او ناكل أو نشرب او نقيم فى مساكننا أو نتحرك على النحو الذى كان يتحرك عليه القدماء ، ولكننا حين نفكر لا بد أن نعرف أن لنا أسسا أصلية وقيما واضحة هى قاعدتنا فى تكوين شخصيتنا ومجتمعنا وفكرنا .

ومن الميسور ان يمتزج العالم كله فى مجال الحضارة ولكنهما لا يمتزجان فى مجال الثقافة والفكر . وليس معنى هذا ان «الانسانية» لا تستطيع أن تلتقى على وحدة فكر وانما معناه أن فكر الغرب سيظل متميزا لقيمه ومفاهيمه المستمدة من الفكر اليونانى والثقافة الرومانية والمسيحية والمادية وكلها أسس اكيدة لفكر الغرب الحديث لا سبيل الى تخليه عنها بينما يقوم الفكر العربى الاسلامى على أساس ترابط الروح والمادة والتقاء العقل والضمير متمثلة فى اللغة والدين والتاريخ التى تمثل مفاهيم واضحة .

أنور الجندى ـ القاهرة

الدكتور محسن جمال الدين
كلية الآداب - جامعة بغداد

أثر المغرب العربي في النتاج الثقافي العراقي

1900 - 1964

لم يكن (المغرب العربي) بالغريب عنا وعن عالم ثقافتنا وآدابنا وعلومنا . فهو اخ عزيز علينا من الاسرة العربية ، التي تمتد جذورها الى عدنان وقحطان ، والى مضر وربيعة . قال المغفور له الملك (محمد الخامس) في سفرته الى المشرق في 7 رجب 1379هـ المصادف 6 كانون الثاني 1960 عندما زار فيها الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية ، والجمهورية العراقية ، وامارة الكويت ، والجمهورية اللبنانية ... حيث وصل العراق في 31 كانون الثاني 1960 . (1)

« فمنذ وقت طويل ونحن نحس برغبة تنمو مع الايام في زيارة الاقطار العربية والوقوف على مشاهدها ومعاهدها التي ترتبط بها حياة الشعوب والمسلمين ارتباطا محكما ، والاتصال بشعوبها الشقيقة التي تنتمي وإياها الى أسرة العروبة المجيدة ، ولم يكن شعورنا هذا الا تعبيرا صادقا عما يحس به كل فرد منكم في قرارة نفسه من حنين الى تلك الاوطان ».

ثم قال رحمه الله :

« .. كما سنتمكن من الاتصال بالشعوب الشقيقة لنحمل اليها تحياتكم ، ونؤكد لها أن المغرب الاقصى العربي المسلم شاعر بمسؤولياته وواجباته حيال القومية العربية .» (2)

.. والعراق ـ في تاريخه الحافل بالامجاد منذ ايامه الاسلامية والاموية ، وعصوره العباسية ، لم ينس ما عليه تجاه المغرب العربي واقطاره . واذا تصفحنا تاريخنا الشرقي وجدنا أن مؤرخيه (كالطبري) و (ابن الاثير) و (المسعودي) . ومن جاء بعدهم من مؤرخي العراق قد سجلوا أحداث المغرب ومنحوه حصته وافرة من الدراسات والاخبار وتراجم الرجال .

ولو عطفنا على تاريخ الادب العربي ، وطرائفه وأشعاره ، لوجدنا ان المؤرخ الكبير (ابن خلكان) في (وفياته) ، والاصفهاني في (خريدته) والثعالبي في (يتيمته) لم يغفلوا جانب الاخوة المغاربة . (3)

.. ولا ننسى (الجغرافيين العرب) من ابناء العراق خاصة أو الذين استوطنوه فقد كتبوا لنا جملة وتفصيلا

---

(1) راجع ما نشرته الصحف العراقية الصادرة في شهر شباط 1960 وما اشار اليه وذكره كتاب (انبعاث أمة) محمد الخامس ملك المغرب ج 5/ص 45 ط 1/1960م ـ 1380هـ .

(2) المصدر السابق ص/47 .

(3) من أراد التوسع في اثر المغرب وآدابه في العالم المشرقي ، فليطالع ـ (يتيمة الدهر) ـ و (خريدة القصر) في المؤلفات الشرقية عدا ما ورد في مؤلفات الاندلسيين والمصريين والسوريين .

عن جغرافية المغرب (كالحموى) فى (معجم البلدان) و (اليعقوبى) فى (أسماء البلدان) و (ابن خردادبه) و (الاصطخرى) و (ابن حوقل) الموصلى — فى المسالك والممالك . ومنهم من قصده وتجول فيه ومنهم من نقل لنا عن احواله ، وجغرافيته ، ومسافات مدنه ، وما اشتهر به أهله من آداب ، واخلاق ، وشمائل ، وصناعات وما تنتجه ارضه من طيب الثمار ، وحسن الفاكهة ! (4)

وكان العراقيون يسمون جميع الوافدين الى بلادهم من اطراف (الاندلس) و (المغرب) بالمغاربة . لشهرة المغرب على سائر البلاد الاخرى المجاورة له . فابن سعيد (المغربى) وابن جبير الكتانى (المغربى) وابن (دحية الكلبى المغربى) وغير هؤلاء ممن لا يحيطهم الحصر والاحصاء .! الذين احبوا العراق واستوطنوه مدة من الزمن طلبا للعلم ، وتتبعا للرواية ، واندفاعا وراء المعرفة وقصدا للزيارة والاطلاع والتعرف على تراثه التاريخى ، والاثرى ، والعلمى .

وبجانب هذا ايضا وجدنا الكثير من الاسر البغدادية والعراقية قد استوطنت تلك الديار ، وخدمتها واصبحت جزءا منها وكثيرا ما نقرأ الآن اسماء بعض رجال السياسة والادب والفضل والثقافة ممن ينتسبون بانسابهم وشجرات بيوتاتهم الى العراق — وبغداد ، (كالعراقى) و (البغدادى) .

ومن درس تاريخ المغرب العربى باقسامه الثلاثة — الادنى — والاوسط — والاقصى ، وجد ان الفاتحين الاولين منذ عصر الفتوحات الاسلامية الاولى كانت راياتهم تخفق تحت رؤوس قادة عرب عراقيين امثال (موسى بن نصير) و (هرثمة بن اعين) فى عصرى الوليد ابن عبد الملك و (هرون الرشيد) .

ولا تخلو المدن المغربية القديمة — من اسماء عراقية (كالبصرة) و (الرصافة) : قال ياقوت فى معجمه — (6)

(والبصرة — وهما بصرتان العظمى بالعراق — واخرى بالمغرب فى اقصاه قرب السوس ، واهلها ينسبون الى السلامة والخير والجمال ، أما (الرصافة) فهى رصافة بغداد — ورصافة المغرب ، وهى كما ذكر (ياقوت) فى كتابه (المشترك وضعا والمفترق صنعا) (7) بلدة بافريقية ، قريب من القيروان ، مجاورة لمدينة القصر » .

واخبرنى الاستاذ (التازى) ان هناك مدينة فى المغرب تقع على الحدود الجزائرية تسمى (بغداد) مشهورة بنخيلها وواحاتها ، كما تحمل الموسيقى المغربية الاندلسية عندهم الآن أسماء (نوبات) تدعى (عراق العجم) .

وفى بغداد نجد اليوم شارعا كبيرا حديثا يحمل اسم (المغرب) .

* * *

لقد أعطت الآداب العربية حصة كبيرة لتاريخ المغرب العربى وآدابه ، واقطاره ، ووردت أسماء مدنه العظمى ، ودياره الجميلة فى أشعار بعض النوابغ العراقيين فى عصورهم الزاهرة .

وهذا «ابو الطيب المتنبى» (354 هـ — 965) يمدح بشعره (عبيد الله بن خراسان) وهى من قصائده الشامية ، ويعرج على (طرابلس) فيقول : (8)

---

(4) يراجع بصورة مفصلة عن المغرب وبلاده ، ومدنه — ابن حوقل في المسالك والممالك — والاصطخرى الكرخي — وياقوت الحموى ، وابن الفقيه — ففى هذه وسائر المؤلفات القديمة الدراسات القيمة عن هذه البلاد الكريمة .

(5) راجع تاريخ المغرب — دار الطباعة — تطوان — للاستاذ محمد عبد السلام ابن عبود ج 1 ط 1957/2 ص/12 وما بعدها و ص/61 (وتاريخ الفتوحات من سنة 62م — 172هـ .

(6) راجع معجم البلدان — ط/صادر — بيروت/ 1955 ج/4 ص/430 و ص/440 والبصرة — التى اشار اليها (الحموي) و (ابن حوقل) زالت آثارها اليوم .

(7) راجع (المشترك وضعا) لياقوت ط/1 ص 205 — 206 سنة 1846 تحقيق المستشرق المعروف «ويستنفليد»

(8) راجع (ديوان المتنبى) تحقيق الدكتور عزام — القاهرة 1944 ص/18 ، ومعجم البلدان مجلد 4 ص 25 ط/بيروت 1955 .

اكارم حسد الارض السماء بهم
وقصرت كل مصر عن (طرابلس)

اما (مراكش) فقد جاء ذكرها فى قصائد (المستنصريات) التى نظمها الشاعر العالم (هبة الدين) عبد الحميد بن أبى الجديد المدائنى (586 — 655هـ.) شارح كتاب (نهج البلاغة) للامام على رضى الله عنه مادحا الخليفة العباسى (المستنصر بالله) عام 631 — هـ عند ورود الاخبار باقامة الدعوة الشريفة على كثير من منابر الاندلس وضرب السكة بالسمة الشريفية المستنصرية .

* * *

ووصل من تلك الجهة رسل ، ومعهم عين وورق عليهما (اسم المستنصر) (588 — 640 هـ) . وجاء من قصيدة (ابن ابى الحديد) الطويلة ، التى ضمت اخبارا تاريخية ، ومدحا وافرا قوله : (9)

واستجابت ملوك (قرطبة) الكبـ
ـرى اليهم بعد امتناع الجواب
خطبوا طاعة لا شرف من أو
فى فضل النهي وفصل الخطاب
وستعنو رقاب (مراكش العظـ
ـمى) سجودا الى مليك الرقاب

* * *

وكفى المغرب عزة وتقديرا انها وردت فى الحديث الشريف قال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم مادحا أهلها بقوله :

« لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » (10)

كما أن الامام (احمد بن حنبل 164 — 241 هـ) دخل المغرب «والجزائر» وزار تلك البلاد (10) .

ان الغرض من دراستنا هذه هى ان نلم المامة مختصرة بعالم الثقافة العراقية — التى سجلت احداث المغرب العربى (مراكش — تونس — الجزائر — ليبيا) . وان نستعرض ما طبع من مؤلفات على اختلاف نواحيها ، ونذكر أهم ما سجله الفكر العراقى الحديث ، من شعر ، ونثر وقصة ، وطرائف ، وخبر هام ، عن الديار المغربية الكائنة فى افريقية الشمالية العربية . ولا نريد ان ندور فى كل الزوايا ، ونسير فى سائر الازقة ومختلف الدروب .

ولكنا سنقصر دراستنا على جانب المجلات الشهرية ، والاسبوعية والكتب المهمة ، تاركين الصحف اليومية وما نشرته من حوادث واخبار محلية وخارجية ، لان ذلك تضيق به نفس القارىء ويتطلب الزمن الطويل ، والمراجعة الشاملة ، لكل ما كتبته الصحف العراقية اليومية عن شمالى افريقية المغربية منذ وجود الطباعة فى هذا الوطن ، وصدور الصحف والجرائد اليومية فيه، الى اليوم الذى نكتب فى ظرفه هذا البحث .

كما اننا سنحاول اثبات ما اخرجته المطابع العراقية عن ديار اخواننا واشقائنا المغاربة ، باقلام عاش اصحابها فى العراق ، او جاءوه زوارا ، وطلبة ، واساتذة ، ومبعوثين سياسيين ودبلوماسيين وادباء محاضرين . (11)

هذا وسنبين بصورة موجزة الاحداث الهامة التى حدثت في الشمال الافريقى ، وكان لها تاثيرها البارز على الشعر والأدب العراقى ونذكر اهم الشخصيات المغربية والتونسية والجزائرية والطرابلسية التى زارت العراق ، واستقبلت فيه وكانت موضع تقدير وتكريم واحترام لجهادها الوطنى ولروحها العربية ونضالها ضد الاستعمار الغاشم !؟

---

(9) راجع مجلة (اليقين) البغدادية ج/15 س/1 — 1962 ص/455 — 406 وعن ترجمة المستنصر بالله العباسى — راجع تاريخ الخلفاء للسيوطى ط/1 — 1351 المنيرية ص/306 .

(10) راجع عن حديث الرسول (ص) (بغية الملتمس) للضبي ط 1 مجريط 1884 ص/13 وعن سفر الامام احمد ابن حنبل (رضي) . راجع (شعراء بغداد) للاستاذ الخاقانى ج/1 ص 386 و ص 387 .

(11) من الشخصيات الادبية والعلمية والسياسية التي عرفها العراق — العلامة الكبير الاستاذ الشيخ محمد الفاسى عميد جامعة المغرب والعلامة المرحوم الشيخ محمد المختار السوسى والفاضل الاستاذ محمد بن تاويت وسفير المغرب الكاتب المؤرخ الاستاذ عبد الهادى التازى وغيرهم من افاضل المغاربة — قديمهم وحديثهم ، وقد نشر الاستاذ التازي في مجلة المجمع العراقى دراسة قيمة عن ابن (صاحب الصلاة) وكتابه (تاريخ المن والامامة راجع مجلة المجمع العراقى المجلد 11/1964 .

وهنا نبدأ بالحركة العلمية والادبيـة في الرافديـن التي سجلت اولا احداث (المغرب الاقصى) يوم أن ثار رجاله الاحرار وابطاله الميامين ضد الاستعمار الفرنسي والاسباني وكان من هـذه الاحداث والمعـارك الدامية التي خاضها ابطال المغرب المغاوير والذي توج نضالهم وجهودهم المغفور له الملـك (محمد الخامس) (12) في صموده العنيد ضد أعدا. وطنـه وصبره على بلـواهـم منذ أن فارق بلاده منفيا، وعاد اليها ظافرا !

أما عن نفي الملك (محمـد الخامس) وما قـام بـه الفرنسيون في مؤامرتهم ضده بشهر آب 1953، (13) فقد اثر في نفس العراقيين واستنكروه وعبرت عنـه صحفهم وأقلام أدبائهم وشعرائهم وممـا قـاله الشاعر (محمد علي اليعقوبي) بهذه المناسبة قوله : (14)

عـرب لنيل العز ثـاروا
والنصر يسـرى حيث ساروا
ثـاروا وليس سوى القضـا
ء على الطغام لهم شعار
أحرار صدق لـم يهـابـوا
الحرب مـذ صارت وصاروا

ثم يخاطب فرنسة بقوله :

.. هيهات ما للبغي (مراكش)
مطمـان او قـرار

فالقوم قد طلبوا حقوقـا
لا تبـاع ولا تعـار

* * *

وعندما زار العراق المغفور له الملك (محمد الخامس) في كانون الثاني سنة 1960 نظـم الشاعر (اليعقوبي) قصيدة منها : (15)

يامن بطول جهاده في المغرب الاقصى
مجـد العـرب عـاد مجـددا
خضت الغمار تذود عنه مجاهدا
وخرجت منصور اللواء مـؤيدا

كما شارك الشاعر الاستاذ (خالد الشواف) بقصيدة عنوانها (المغرب العربي) أثبتها في ديوانه (لهيب الكفاح) مصورا فيها ثورة المغـرب، ودفاعه عـن حقـوقه، ومعرفته طريق الحرية ودروب الوعي قال : (16)

(المغرب العربي) يعرف دربه
ليست دروب السالكين سـواء
نبذ الـدروب الدائرات بخطـوه
عبثا، وشق طريقـه حمراء
.. (المغرب العربي) يصهر قيـده
بالنار تلتهـم الحمى شعـواء
ما عاد ينتظـر الفكاك عطيـة
من كف آسره ولا استجداء
.. (المغرب العربي) يلقي درسـه
قـل للعروبة تحسن الاصغـاء

---

(12) السلطان الملك (محمد الخامس) مـن الاسرة العلوية التي ترجع بنسبها الى الامام علي بن أبي طالب (رضي) ولد سنة 1911 وارتقى العرش سنة 1927 ونفي الى كورسيكا عام 1953 ونال وطنه الاستقلال التام على عهده في 17 نوفمبر سنة 1956 وتوفي (رحمه الله) سنة 1961 حيث ارتقى العرش ولده الملك الحسن الثاني في السنة نفسها، ولهذه الاسرة تاريخها المجيـد ورجالهـا البارزون في حقل الوطنية والآداب والعلوم .

(13) راجع عن شخصية الملك (محمد الخامس) ونفي اسرته وعودته كتاب (جلاء الظلام الدامس) في موجـز تاريخ المغرب الى عصر محمد الخامس، لمؤلفه الاستاذ اسماعيل بن محمد الرشيد العلوي مطبعة فضالة/المغرب 1957 ط/1 ص/180 وما بعدها . وراجع كتاب 14 يوما في المغرب ـ للاستاذ محمد رضا شرف الدين ـ بغداد ـ مطبعة النجاح/1958 .

(14) راجع جهاد المغـرب العربي ص/11 وهـو مجموعة شعرية للناظم الشيخ محمد علي اليعقوبي نشرها يوم أن زار جلالة الملك محمد الخامس العراق سنة 1960 .

(15) راجع جهاد المغرب العربي ـ لليعقوبي ص/4 (الى عاهل المغرب العربي) .

(16) راجع ديوان (لهيب الكفاح) للشواف ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد/1958 ولكاتب هذه الاحرف (دراسـة مفصلة) عن المغرب الاقصى ومصادر الدراسة الشعبية فيـه نشرت في (مجلـة التـراث الشعبي) في سنتهـا الاولى/1964 وتعريف بكتاب (اعراس فاس) للاستـاذ التازي في المجلة نفسها س 1964/1 .

كما كان لاحداث (ثورة الريف) وقيام المجاهد (محمد عبد الكريم الخطابي) ضد (I7) المستعمرين الفرنسيين والاسبان عام I920 الاثر الذى تركته تلك الثورة ورجالها الميامين فى صفحات الشعر العراقى خاصة ومن أبرز الشعراء الذين سجلوا حوادث الريف المغربى وكفاح المناضل (الخطابى) رحمه الله هم :

I ـ الشاعر عبد الرحمان البناء (I955 م)
2 ـ الشاعر معروف الرصافى (I867ـI945 م)
3 ـ الشاعر محمد اليعقوبى .

ومما قاله الشاعر البغدادى المرحوم عبد الرحمن البناء يوم اسر (عبد الكريم الخطابي) سنة I926 . (I8)

(عبد الكريم) جرى فى اسرك القلم
وخانك الدهر ، لا الاقدام والهمم
.. يا مسلما ذكر الافرنج موقفه
(بالغافقى) فزاد الغيظ عندهم
تألبوا وأتوا للانتقام معا
لولا تألبهم اضناهم السأم
صالوا عليك بجيش كالدبى حنقا
وصلت فردا عليهم ايها العلم
تالله ما انصفوا لو انصفوك لما
على (اغادير) فى اسطولهم هجموا
عليك الف سلام من شبيبتها
فبعد أسرك قد اودى بها الهرم

أما الشاعر الشيخ (محمد على اليعقوبى) معتمد جمعية الرابطة الادبية فى النجف الاشرف فهو اكثر شعراء النجف انتاجا والتفاتا لهذه المناسبة وغيرها وقد اصدر عند زيارة جلالة الملك المغفور له (محمد الخامس) للعراق فى سنة 1960 كراسا أسماه (جهاد المغرب العربى) ضمنه جميع ما قاله عن احداث البلاد المغربية وكان من قصائده ما يتعلق بثورة الريف وقد جاء فى قصيدته (اعياد ام مآتم) التى نظمها سنة 1344 هـ. قوله : (I9)

أرى النـاس فى عيد يحى بـه الفتى
أخـاه عناقـا والثغـور بـواسم
لقد نالت (الاسبان) (بالريف) قصدها
و (جلق) تغشاها العـدا وتهاجـم
ربوع عليها البغى جـارت حروفـه
فاتـوت معـالى أهلها والمعـالم

* * *

أما الحدث الذى هز مشاعر العالم اجمع والبلاد العربية خاصة فهو كارثة زلزال مدينة (ميناء اغادير) المغربية الذى وقع عام I960 ، وكان الشعر العراقى يومذاك معبرا عن شعور الاسى والود الصادقين كما ان جلالة الملك محمد الخامس (رحمه الله) وصف فى خطابه الذى القاه فى 30 حزيران I960 محرم الحرام I380 هـ هذا الحادث فقال : (20)

«ولقد كانت كارثة الزلزال التى حلت بها كارثة عمت بلواها وطننا العزيز وعمرت بالكدر والاسف جميع سكانه وسكان العالم أجمع» . وارسلت الحكومة العراقية بعثة طبية الى المغرب لاسعاف المنكوبين لهذا المصاب الفادح . (2I)

أما الشعر فقد عبر بلسانه الشاعر الاستاذ (حازت

(I7) محمد عبد الكريم الريفى (ـ I963م) هو محمد بن الشيخ عبد الكريم الخطابى قاضى مدينة مليلية الشرعى من مقاطعة الريف فى المغرب الاقصى ، درس فى (جامعة القرويين بفاس ـ وتابع تحصيله فى جامعات اسبانيا وثار ضدهم I960 ـ I926 ، راجع أمين سعيد (الدولة العربية المتحدة) ج/3 ص 383 ومجلة صوت الجمهورية العراقية العدد I س I ـ I963 ص/II .

(I8) راجع مجلة (المعرض) البغدادية س I926/I ج 8 ص 434 .

(I9) راجع جهاد المغرب العربى ـ النجف الاشرف ـ ط I960/I ص/29 ، وهو فى (32) صفحة صغيرة .

(20) راجع انبعاث أمة ج/5 ص/I96I .

(2I) راجع مجلة العراق الجديد ج 6/عدد نيسان I960 ص/29 .

طه الراوى) فقال من قصيدته «أغادير» قوله : (22)

.. (اغادير) ما ذا يفيـــد القريض
أتجديـك مـنى أغـــانى الكـدر
ايجديـك دمعى وسيـل الدمـو
ع ، بأرضك فوق الضحايا هــدر
(أغادير) ايــن رواه الربيـــع ؟
(اغـادير) أيــن مغـانى الاسر
أحقـا تــوازيت تحت الثـرى
ولم يبــق فــوق التراب حجـر
وأمسيـت مقبـــرة الآمنـــين
وكان محيـــاك يغرى النظــر
وكم لاهث تحت ثقـل السقــو
ف ، تمنى الوفاة بفتــك البشـر
تمنى الذى قد نجا لــو قضى
أينجـــو واطفــاله فى الحفـر ؟

ولما كانت تقام الاحتفالات الرسمية لذكريات سعيدة فى المغرب الاقصى كــان العراق يرســل مندوبيــه السياسيين ورجاله البارزين وعلمائه الافاضل مساهمين فى تلك الاحتفالات ومن بينها الاحتفال الذى اقيـــم (لجامعة القرويين) فى ذكراها المائة بعد الالف (1960 1379) وقد مثل (الجمهورية العراقية) وتكلم فى ذلك الاحتفال الضخم كل من :

العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبى رئيس المجمع العلمى العراقى .

والمرحوم العلامة الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية منتدى النشر فى النجف الاشرف .

والعلامة الاستاذ الشيخ محمد بهجت الاثرى

والاستاذ الفـاضل الشاعر السيـد محمـد رضا آل شرف الدين .

وكان للاستاذ الفاضل سيادة سفير المغرب اليـوم فى العراق الصديق (عبد الهادى التازى) ، الجهـــود المشكورة فى هذا المهرجان لكونه كان الكاتب العـــام فيــه . (23)

ومما قاله الاستاذ الشاعر شرف الدين قوله : (24)

.. حماة الضاد من اعراق قومي
رأيت بأرضكـــم تيمـــا وسعـــدا
فيـــذى الطـــرة الغــراء رنت
على القسمات بنـــدا او فرنـــدا
وضـــوء سافـــرا لا ريت فيـــه
وظلا وافـــرا للعـــرب مـــدا
سمات لست انكـــرها لسانـــا
ووجهـــا اسمرا ويدا وزنـــدا

* * *

ان ما سطرناه عن (المغرب الاقصى) ما هــو الا جزء صغير من النتاج العراقى الذى مر خلال هذه السنين ، والذى ساهم فيه العراق نحو شقيقه المغرب بكافةمجالات الثقافة ومختلف ميادين الفكـــر ـ الادبى والشعبى ـ نرجو ان تهيأ لنا السوانح القريبة لكى نحيط به احاطة شاملة ، ونعطيه حقه من البحث والتوسع .

الجزائـر

منذ ان قامت الثـــورة التحرريـــة الجزائرية ضد المستعمرين الفرنسيين عام 1954 واخذت الصحف العالمية والمحلية تنشر المآسى وصورها عن فظـــائع الطغـاة المستبدين جرد القلم الواعى فى العراق سنانه ، وغمس ريشته فى مداد من الدعوة الصارخة ، والنقمة العارمة على الغاصبين المستهترين بحقوق ذلك الشعب المكافح الذى قدم الضحايا من ابنائه قرابين على مذابح الحرية !!

ولقد كانت الدعاية الاجنبية ، ووكالات انبائها تحاول تشويه الحقائق ، وطمس المعالم العربية هناك لبعدالشقة

(22) راجع ديوان (تباريح) لحارث طـه الراوي/طه/1961 ص/119 كما صدرت مجموعة شعرية للدكتور (داود سلوم) عن أغادير وكانت هذه الدراســة مقالــة نشرت فى (جريدة الزمان) يومذاك .

(23) راجع (الكتاب الذهبى) جامعــة القروييــنـ المملكة المغربية ـ وزارة التربية الوطنية الصادر/1960 مطبعة فضالة ـ المغرب فى 246 صفحة مصورة وكـان للعلامة الشبيبى ـ كلمة ص/49 وللعلامة المظفر دراسة (جامعة النجف الاشرف ـ وجامعة القرويين) ص/76 وللعلامة الاثرى (تحية المغرب والقرويين) وللشاعر شرف الدين قصيدة (هذه القرويين) ص/202 .

(24) راجع الكتاب الذهبى ـ ففيه هذه القصيدة الرائعة ص/202 .

بيننا ، ولقلة المراسلات ، وانقطاع الزيارات ، ووضع السدود والحواجز لمن أراد من العرب الاحرار أن يدخل (الجزائر) أو يخرج منها .

ان مأساة الجزائر الدامية ، البطولية الجبارة كان لها الأثر الكبير الواسع على كافة الاتجاهات الثقافية في الوطن العراقي وكان لها النتاج الوافر ، والحصة الكبيرة من شعر الشعراء ، ومقالات الكتاب ، وترجمة القصص ، ووضع الروايات ، واقامة المهرجانات واستقبال الوفود وتكريمها ، ومنح المساعدات (لجبهة التحرير الوطني الجزائرية) الى غير ذلك مما لا حصر له ، ولا تعداد لمناحيه المختلفة .

هذا ولسنا الآن في معرض كل ما قيل او نشر أو كتب عن الجزائر — فالمكتبة العراقية تزخر بالعشرات من الكتب الموضوعة والمترجمة ، ولكننا نقتصر على ما طبع ونشر من هذا النتاج في داخل العراق نفسه ، دون النظر الى ما خرج الى عالم الآداب في الاسواق العربية الاخرى .

ومن ابرز الشعراء الذين نظموا في (الجزائر) وبطولتها وصوروا مأساتها ، الشاعر الأستاذ (محمد مهدى الجواهرى) . قال من قصيدة نظمها سنة 1956 : (25)

ردى علقم الموت لا تجزعى
ولا ترهبى جمرة المصرع
فما سعرت جمرات الكفاح
بغير خليق بها اروع
.. دعى شفرات سيوف الطغاة
تطبق منك على المقطع
فأنشودة المجد ما وقعت
على غير اوردة قطع
.. فسارية العلم المستقل
بغير يد الموت لم ترفع

« جزائر » ياكوكب المشرقين
دجا الشرق من كربة فاطلعي
.. صمودا « جزائر » لا ترهبى
شذاة الصمود ولا تفزعي
.. ولكنه البغى ، سطو الجبان
وعون اللئيم ، ودعوى المدعي

* * *

وكذلك نجد قصائد رائعة للشعراء والأدباء الأفاضل منهم

الاستاذ الشاعر (ابراهيم الوائلى) عندما اعتقل الرئيس (أحمد بن بلا) ورفقاؤه سنة 1956 حيث نظم قصيدة (خيبة باريس)

أتدرى ما الذى قالوه عن باريس بالامس ؟
وما ذا دار في العالم من جهر ومن همس
لقد قالوا : بباريس غـذاء العقل والنفس
وفيها انبثق النور وقامت ثورة البؤس
.. يقولون وهم يدرون أن العلم لا ينسى
بقايا العصبيات من الدين أو الجنس
ولا يستأصل الشر ولا يقضى على الرجس
ولا يسمو بوحش الغابة عن غدر وعن فرس

وللشاعر الاستاذ (بدر شاكر السياب) قصيدة (الى جميلة) بوحريد قال منها : (27)

.. عبء من الاجيال ما اثقله ،
كم حاول الجلاد ان ينزله ،
كم ود ان تلقيه اذ تعجزين
ما ند في الصحراء من برعم
أو فتحت من زهرة في الحقول،
الا ودبت في مدب الدم
من جسمك الهارى

(25) راجع ديوان الجواهرى ج 1/ط/5 — 1961 ص 113 وما بعدها وراجع محاضرات عن (الشعر العراقى الحديث) للاستاذ عبد الكريم الدجيلى منشورات جامعة الدول العربية 1959 ص 142 .

(26) راجع مجلة (الاديب العراقى) عدد 3 س 2/1962 ص 30 .

(27) راجع مجلة (الرسالة) البغدادية العددان 5—6 س/2 تشرين اول 1960 **(عدد خاص بالثورة الجزائرية)** وللشاعر (سلمان هادى الطعمة) قصيدة (الى أختى جميلة) الرسالة عدد 2 + 3 س 1 — 1959 ص/56

دنيا مــن الانغام والنار
دنيا من الانغام مثل الطبول
للنبض فيها دمدمات السيول
فانسل فى الظلماء عرق الضياء
يمضى الى حيث الضحايا غذاء
والارض غرقى من دموع النساء

ومن الشعراء الذين خصصوا جانبا من دواوينهم عن (الجزائر) او نظموا عنها ، قصائد خاصة بها فهم كثير نعدد منهم :

الشاعر حافظ جميل
الشاعر خالد الشواف
الشاعر كاظم جـواد
الشاعر اليعقـوبى
الشاعر الدكتور يوسف عز الدين (أمين سر المجمع العلمي العراقي) .
الشاعر الدكتور أحمد مطلوب
الشاعر حارث طه الراوى
الشاعر محمد بسيم الذويب
الشاعر عبد الله الجبوري
الشاعر عبد المنعم الفرطوسى
الشاعر طالب الحيدرى
الشاعر على الحلى (28)
الشاعر محمود الحبوبى
الشاعر هـلال ناجى
الشاعر محمد جميل شلش
الشاعر خضر عباس الصالحى .. وغيرهم .

أما حقل النشر فقد كتبت فيه عدة دراسات ، ونشرت عدة بحوث ، كان منها دراسة مهمة حول (ميثاق الثورة الجزائرية) للاستاذ الدكتور (عبـد العزيز الـدورى) رئيس جامعة بغداد . (29)

ومن الكتب التى وضعت كتاب (القضية الجزائرية) تدخـل عامها السابـع نشرته (وزارة الارشاد) فى سلسلتها الشعبية . وكتاب (مأساة الشعب الجزائرى) أصدرته الوزارة نفسهـا . (30) وصدرت مسرحية بعنوان (صبى من الجزائر) للسيد احمـد حمـودى السامرائى . (31) وغير ذلك من دراسات .

وقد ترجم الاستاذ الفاضل (حامد مصطفى) كتـاب (فتح الجزائر) وهو مذكرات المارشال ماكماهون رئيس جمهورية فرنسا سنة 1873 . كما احدث فى الجمهورية العراقية (قضاء) اداريا ضمن (لواء الناصرية) أطلـق عليه اسم (الجزائر) ذكرى وتخليـدا للبطـولات التـى خاضها ابناء الجزائر ضد المستعمرين وأذنابهم (32)

ولننتقل الى قطر مغربى آخر كان لأحداثه التأثـير الكبير على آفاق المعرفة العراقية ونعنيه :

* * *

طرابلس الغرب

لم يختلف الاستعمار الايطالى فى (طرابلس) عنه فى البلاد المغربية المجاورة لها مـن حيث القسوة والبطش والنهب والسلب ، فمنذ قيـام (ايطاليا) باعتدائها على طرابلس الغرب فى (29 ايلول 1911) والدولة العثمانية يومذاك تمد سلطانها على سائر البلاد العربية وعند قيام تلك الحرب ، واستنهاض همم المسلمين فى محـاربة الدولة المعتدية رأينا قيام رجال الدين فى (النجـف الاشرف) (33) و (بغداد) يصدرون فتاواهم للجهـاد فى محاربة الباغين ، ومساندة المظلومين ،وقـد شارك

---

(28) للشاعر (على الحلي) ديوان اسماه (انسان الجزائر) بغداد 1958 فى (72) صفحة راجع عن الديوان كتاب (الادب المعاصر فى العراق بين 1938 ـ 1960) بغداد ـ مطبعة المعارف 1962 ص/199 ، كما خصص الشاعر علي الحلي ديوانا آخر أسماه (طعام المقصلة) عن ثورة الجزائر ـ مصر 1962 فى (68) صفحة .

(29) راجع (مجلة الكتاب) البغدادية العدد/3 س1/1963 ص/3 .

(30) راجع (سلسلة الثقافة الشعبية) رقم 25 فى (58) صفحة/1961 وراجع (سلسلة الثقافة الشعبية) رقم 1960/22 فى (78) صفحة .

(31) مطبعة الحكيم ـ بغداد/1960 فى (32) صفحة.

(32) راجع مجلة المثقـف ج 11 + 12 س 2 ص138/1959 .

(33) راجع مجلة العلـم ـ عـدد/6 المجلد/2 ص/247 ـ 246 الصادرة فى 23 نوفمبـر 1911 اول ذى الحجة/1329هـ اذ نشرت (فتوى علماء النجف الاشرف) وكان من بينهم العلامة الشاعر السيد محمد سعيد الحبوبى النجفى . راجع الدراسة المفصلة (الشعر العراقى وحرب طـرابلس) للاستـاذ ابراهيـم الوائلي ـ مجلـة كليـة الآداب العدد 1964/7 ص 5 وما بعدها .

بعض العراقيين مشاركة فعلية فى حرب طرابلس إلى جانب اخوانهم العرب» . (34)

وكان من الشعراء البارزين الذين سجلوا أحداث هذه الحرب واستنهضوا الهمم كل من السادة :

العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبى
والشاعر الدكتور محمد مهدى البصير
والشاعر عبد المحسن الكاظمى
والشاعر عبد الرحمن البناء
والشاعر السيد عبد المطلب الحلى
والشاعر معروف الرصافى
والشاعر عبد العزيز الجواهرى
والشاعر محمد حسن أبو المحاسن
والشاعر رشيد الهاشمى

وغير هذه الطبقة شعراء آخرون لا يقلون شهرة وبراعة فى القول والنظم والخطابة . ومن بين هذه القصائد الخاصة بطرابلس — وبرقة — وليبيا — يقول الشاعر (الرصافى) فى (باب الحربيات) (35)

... لك الله ياقتلى (طرابلس) التي
بها حكم الطليان فى أسيافهم غدرا
أداموا بها قتل النفوس نكاية
الى أن أصاروا كل بيت بها قبرا
ولما أحاط المسلمون بجيشهم
فعاد القضا الرحب فى عينه شبرا
.. يعز على أسيافنا اليوم انها
تقارع قوما قرعهم بالعصا احرى
ومن مبكيات الدهر او مضحكاته
لدى الناس حر لم يكن خصمه حسرا

* * *

وللعلامة الشيخ الشبيبى قصيدتان احداهما : من (الحرب الى الحرب) نظمها سنة 1912 قال فيها : (36)

واذا الذئاب وردن ماء حرمت
أسد الثرى غشيان ذاك المورد
.. اذا ما اتاك «ببرقة» نبأ التى
رمت البلاد بمبرق وبمرعد
أبنى المطامع قوبلت أعدادكم
وقواكم بنظائر لم تعهد
فسلاحكم من أذرع . ورجالكم
من نسوة ، وجموعكم من مفرد

ومن قصيدة اخرى له (درس آلام) : (37)

.. هيهات لا يتخلى عن (طرابلس)
فى الغرب من حرسوها وهى فى الشام
اقصوهم عن سهول الارض فاقتعدوا
لهم غوارب انشاز وآكام
تعسا لكم هل اجابوا صوت ناوكم
الا بصوت يتيمات وأيتام ؟
يا قاذفين (طرابلسا) بنائرة
وطالبين لها تنوير أفهام

ومن الاحداث المحزنة التى هزت مشاعر العرب والانسانية عامة ، والعراق خاصة حادثة اعدام الشهيد (عمر المختار) (38) يوم 3 جمادى الاول سنة 1350 هـ. المصادف 1931 م. حيث اعدمه الطليان «فبكاه العرب وابنه شعراؤهم وكتابهم» وعلى راسهم الشاعر الكبير أمير الشعراء (احمد شوقى) حيث قال :

---

(34) راجع (الشعر العراقى وحرب طرابلس) المصدر السابق ص/12 راجع كتاب (الشعر العراقى الحديث) للدكتور يوسف عز الدين — بغداد — 1960 . الفصل الرابع (حرب الدولة واثرها فى الشعر) .

(35) راجع ديوان الرصافى ط 1931/1 ص/447 وما بعدها كما أن للشاعر قصيدة أخرى بعنوان (الشيطان والطليان) ص/463 .

(36) راجع ديوان الشبيبى ط 1940/1 ص/19 .

(37) راجع المصدر السابق ط 1940/1 ص/21 .

(38) عمر المختار — بطل مجاهد من برقة (طرابلس الغرب) ولد سنة 1277 — من أسرة عربية — وأعدم شهيدا سنة 1350هـ — راجع أمين سعيد ص/246 من كتابه (تاريخ اليقظة القومية عند العرب) ج/3 .

.. فى ذمة الله الكريم وحفظـه
جسـد (برقـة) وسد الصحـرا.
كرفات نسر او بقيـة ضيغـم
باتـا ورا. الساقيـات هبـا. (40)

ومن الشخصيات التى تحتـل مكـانة فى الوسط العراقى ، ولها صلة برجال ابنا. الرافدين المجـاهد الطرابلسى المرحوم سليمان البـاروقى (1870ـ1940) الزعيم الذى حارب الدولة الايطالية والذى كان شاعرا ومؤلفا . (41)

تـونس

كان لكفـاح الشعب التونسى ـ أثـره فى الوسط العراقى ولكنه لم يكن بـلـذى تاثير كبـير على الشعر والادب ـ فلم نجد فى آثار العراقيين الا بضـع قصائد قيلت بمناسبات عابرة فلم تهز احداث تونس السياسية الشعراء والكتاب العراقيين .

ولكن الطبقة المثقفة عندنا فى مطلع هـذا القـرن رحبت بشخصية تونسية هى شخصية العالم المجاهـد (الشيخ عبد العزيز الثعالبى) (42) الذى زار العراق فى سنة 1925 وساهم فى بناء الحركة العلمية حيث عين استاذا فى جامعة (آل البيت) وقد نشرت له المجلـة الخاصة بهذه الدار سلسلة من المحاضرات (43) عـن الاسلام وفلسفته .

وكان من أصحابه المخلصين يومذاك المرحوم الشاعر (الرصافى) الذى رحب به بقصيدة عامرة عنوانها (بين تونس وبغداد) منها (44)

(أتونس) ان فى بغداد قومـا
ترف قلـوبهم لـك بالـوداد
ويجمعهم وايـاك انتساب
الى من خص منطقهم بضاد

ودين اوضحت للناس قبـلا
توضح آيـه سبل الرشـاد
فنحن على الحقيقة أهل قربـى
وان قضت السياسة بالبعـاد
وما ضر البعاد اذا تدانت
أواصر مـن لسـان واعتقـاد
.. فيا عبد العزيز أقم عزيزا
يحيث الارض طيبة المـراد
يحييك العراق برافديـه
تحية مخلص لـك فـى الـوداد

وللاستاذ الفاضل السيد سعيد كمال الديـن ابيات فى (القضايا العربية) منها (45) ما أشار فيـه عـن (تونس) :

ايجمـع شملى مـن عراق ، وتونسى
مع الشام ، مع لبنان ، مع نجد مع مصر
مع اليمن الميمون ، مـع مراكش
أيجمع هذا الشمل يافرحة العمر
لننسج للتاريخ ثـوبا مجـددا
تطرزه كـف الكرامـة والنصـر
وتصبح أقطـار العروبـة حـرة
وشبانها فيها ذوو النهى والامر

* * *

وللشاعر الاستاذ (الجواهرى) قصيدة طويلة نظمها عند نزول الحلفاء خلال الحرب العالميـة الثـانية (فى شمال افريقية) اسماها (تونس) قال منها : (45)

.. سقى (تونسا) ما يدفع الخطب انها
بخضرتها تكفى الـذى يدفـع الجدبا
وحيا القباب البيض روح كـاهلها
رقيق الحواشى يمسح الما. والعشبا

---

(39) المصدر السابق ص/277
(40) راجع الشوقيـات ج/3 ط 1936/1 ص/17 وما بعدها .
(41) راجع الاعلام ط 2 للزركلى مجلد 3 ص/192 وأمين سعيد (الدولة العربية المتحدة) ج/3 .
(42) عبد العزيز الثعالبى (1874 ـ 1944) أحـد أقطاب الحركة الوطنية فى تونس ـ كاتب عالم ، سياسى، مؤلف ، فى الدراسات الاسلامية من مؤلفاته (حياة سيدنا محمد) وكتاب (روح القرآن) ، راجع مصادر الدراسـة الادبية ليوسف اسعد داغـرص/243 ، وراجع الدولـة العربية المتحدة لامين سعيد ج 3/ص/363 ط 1 .
(43) راجع مجلة (الجامعة) السنـة 1 ـ بغداد/ 1926 .
(44) راجع ديوان الرصافى ط 1 ص/155 . وراجع الشاعر العراقي الحديث ـ للاستاذ عبد الكريم الدجيلي ط 1/ص 40 .
(45) راجع ديوان الجواهرى ـ ج/1 ط/1949 ص/ 87 وما بعدها .

وارفقها نور مـــن الوحي مسفره
كانوار اسحار ترقرقها سكبـــا
نحن لذكـــراها ، ونشكـــو افتقادها
كما شكت العين التي افتقدت هدبـــا

واستأثرت حياة الشاعر (أبـي القـــاسم الشابي) بالكثير من المقالات والابحاث والدراسات عنــــه وعـــن بلده (تونس الخضراء) سواء مـــا نشر في الصحــف العراقية ، أو خارج القطر العراقي ، نظرا لما له مـــن شاعرية رقيقة ومن صور مستحبة في نفــوس الشباب والباحثين ، كما أن لجانب الطلبة المغاربة ، ودراساتهم في معاهد العراق العالية الأثر الطيب في التعريــف باوطانهم وما تقوم به بعثات بلادهم الدبلوماسية ، من تقديم المعلومات الثقافية وارسال النشرات والمجــلات الأدبية التي تعطي صورا وملامح للمتتبــع والبــاحث العراقي .

ولا ننسى أن دور المعاهد العـــالية العراقية ، فـــي الشمال الافريقي العربي لها الأثر في توضيح الثقافــة العراقية ، واظهار ارتساماتهـــا على نفـــوس الاخـــوة المغـــاربة .

ويجدر بنا أن نشير الى أن تبادل الاساتذة الغـــرب وزيارات حملة الاقلام منهم كل لبلد الآخر أمر ضـروري لفائدة شد أواصر المحبة ، ولتقارب الارواح .

اما ما كتب عن (تونس) من دراسات ثقافية فشيء تحمل اخباره خاصة الصحف المحلية اليومية أما الصحف الشهرية والاسبوعية فقد نشر عنها الاستاذ الدكتـــور (ابراهيم السامرائي) عند عودته من (تونس) يوم أن كان استاذا منتدبا فيها عام 1961 وعنوان مقاله (قطوف من تونس) (46) استعرض فيـــه ـ تاريخ البـــلاد التونسية ـ في أيام مجدها وهجرة الاندلسيين لهـــا و (جامع الزيتونة) وأثره في ثقافتها وذكر بعض الافاضل منهم قديمهم وحديثهم وعرج على تحليل بعض المفردات اللغوية المستعمل في مجتمعاتهم ...

اما عن الكتب التي نشرت في العراق ولها عـــلاقة بتونس ضمنها (المدخل الى علـــم الفولكلور) للاستـــاذ الباحث الفاضل عثمان الكعاك ـ نشرته (وزارة الارشاد) في الجمهورية العراقية السلسلة 1964/3 مع مقدمـــة للاستاذ الفاضل (عبد الحميد الفلوجي) (47) . كما استحقت بغداد في احتفالات (بغداد الكندي) الى بعض افاضل التونسيين والى ما كتبوه كالاستاذ العالم (محمد الفاضل بن عاشور) والاستاذ الفاضل سليمان مصطفى زبيس والعلامة الجليل السيـــد حسن حسني عبـــد الـــوهاب .

* * *

هذا استعراض عام شامل ، أردنا به أن نبين تأثير المغرب العربي على الثقافة العراقية لـــم نقصـــد به أن نحيط بجميع ما صدر او نشر او كتب ، انما قصدنا أن نظهر بعض ملامحه العامة .

هذا واننا اذا اغفلنا جانبا من نتـــاج بعض الكتـــاب والشعراء الكرام لا نقصد النقص من قيمة ما نشروه . أو نظموه ولا نريد أن نكرر أو نجحد ما قاموا به في هذا المجال ، وما قدموه في هذا الحقل .

وأما عواطفنا نحو تلك البلاد العربية العزيزة فقد ارتسمت في عقولنا وقلوبنا ونحن ننشد على مقاعـــد الدراسة منذ أن كنا صغارا ما قاله الشعراء :

«بلاد العرب اوطاني مـــن الشام لبغدان
«ومن نجد الى اليمن الى مصر فتطـــوان

ولقد احسن الشاعر الاستاذ الدكتور (محمد مهـــدي البصير) حيث قال : (48)

ليس العراق ســـوى بيت إقيم فيه
وانمـــا أسرتي ابناؤه العـــرب
وما بنو الضاد في كـــل البلاد سوى
ســـراة ابنـــاء عـــمي حـــين انتسب

* * *

.. واخيرا لايسعني وانا اختم بحثي سوى تقديم شكري لسيادة الاستاذ الجليل ، الاخ (عبد الهـــادي التازي) سفير المغرب الشقيق في الجمهورية العراقية ، فلـــولاه ما عرف هذا البحث طريقه الى عالم النور ، والحياة .

كما اشكر جميع من أمدني بكتبه ومعلوماته وفضله .

كلية الآداب
جامعة بغداد
الدكتور محسن جمـــال الدين مدرس الادب الاندلسي

---

(46) راجع الاديب العراقي ـ العدد 1961/4 س 1 ص/23 ، كما يراجع محاضرة الاستاذ الدكتـــور احمد شاكر شلال ـ وعنوانهـــا (ملاحظات حـــول التعليم في المغرب) انظر مجلة (الكتاب) البغدادية العدد 2 س 1/ في الجمهورية العراقية السلسلة 1964/3 مع مقـــدمة 1962 ص 10 .

سنخصص (دراسة فهرسية) لجميع ما عثرنا عليه من مصادر خاصة وعامة عن بلاد (المغرب العربي) بأجزائه الكريمة المغرب الاقصى - الجزائر - تونس - طرابلس ، ونقتصر الآن على أهم ما استندنا منه وراجعناه لهذه الدراسة .

الدواوين الشعرية

1 - ديوان الشبيبي — للشبيبي
2 - » الرصافي — للرصافي
3 - » البركسان — للبصير
4 - » البناء — للبناء
5 - » الجواهري — للجواهري
6 - » لهيب الكفاح — للشواف
7 - » انسان الجزائر — للحلي
8 - » شوقي — لشوقي
9 - » تباريح — للراوي
10 - » المتنبي — للمتنبي
11 - » جهاد المغرب العربي — لليعقوبي
12 - » لهاث الحياة — لعز الدين

الدراسات الادبية والتاريخية والجغرافية

13 - الشعر العراقي في القرن التاسع عشر — للدكتور عز الدين
14 - الشعر العراقي الحديث — للدكتور عز الدين
15 - الشعر العراقي السياسي — للوائلي
16 - الشعر العراقي وحرب طرابلس — للوائلي
17 - الشعر العراقي الحديث — للدجيلي
18 - الادب المعاصر في العراق — للدكتور سلوم
19 - الادب العراقي القرن 19ـ20 — للدكتور سلوم
20 - الادب العصري — لبطي
21 - أدب المغاربة والاندلسيين — للشبيبي
22 - مصادر الدراسة الادبية — لداغر
23 - تاريخ الصحافة العراقية — للحسني
24 - معجم البلدان — للحموي
25 - المكتبة الجغرافية — لمجموعة من العلماء العرب
26 - الدولة العربية المتحدة — لامين سعيد
27 - الاعلام — للزركلي
28 - فتح الجزائر — حامد مصطفى
29 - المن بالامامة — للتازي
30 - تاريخ الخلفاء — للسيوطي
31 - تاريخ الامة العربية — للمقدادي
32 - انبعاث امة — حكومة المغرب
33 - جامعة القرويين — حكومة المغرب
34 - جلاء الظلام الدامس — للعلوي (المغربي)
35 - 14 يوما في المغرب — لشرف الدين
36 - شعراء العراق المعاصرون — غازي الكنين
37 - شعراء بغداد — للخاقاني
38 - شعراء الغربي — للخاقاني
39 - شعراء الحلة — للخاقاني

المجلات الشهرية والاسبوعية

40 - مجلة العراق الجديد — الارشاد
41 - صوت الجمهورية — الارشاد
42 - مجلة الكتاب — جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين
43 - مجلة الاديب العراقي — لاتحاد الادباء العراقيين
44 - مجلة الرسالة — خضر الولي
45 - مجلة المثقف — لخريجي الجامعات الامريكية
46 - مجلة الثقافة الجديدة — لشريف
47 - مجلة التراث الشعبي — الداقوقي
48 - مجلة اليقين — للهاشمي
49 - مجلة المعرض — لاحمد عزت
50 - مجلة لسان العرب — لبطي
50 - مجلة لسان العرب — لاحمد عزت
51 - مجلة الحرية — لبطي
52 - مجلة العلم — للشهرشتاني
53 - مجلة لغة العرب — للكرملي
54 - مجلة الفكر — الغبان
55 - مجلة اللغات — بلخوجة (تونس)
56 - مجلة الفكر — المزالي «تونس»
57 - مجلة دعوة الحق — لوزارة الاوقاف (المغرب)
58 - مجلة البينة — علال الفاسي (المغرب)
59 - مجلة المغرب — وزارة الخارجية المغربية (المغرب)
60 - مجلة الآفاق — اتحاد كتاب المغرب العربي (المغرب)
61 - مجلة الايمان — شباب النهضة الاسلامية (المغرب)

مشروع أصيل يبرهن :

العروبة أصل الحضارات

تقدم الاستاذ الكبير عبد الحق فاضل بمشروع أصيل حول ما يقوم به من ابحاث من أجل وضع معجم عربي يكشف عن كثير من الحقائق في رد الكلمات العربية الى جذورها الاصلية ونحن ننشر خلاصة هذا المشروع فيما يلي :

ان بعض علوم اللغة Linguistiques ما زالت ناقصة ، فيها الكثير من الغموض والمعضلات التي أقر العلماء المختصون بتعذر الاهتداء الى حلها لتقادم العهد وفقدان الحلقات الواصلة. ومن اكثر علوم اللغة تخلفا ونقصا هو علم (أصل اللغة) البشرية L'origine du langage وقد طردوه من حظيرة (علوم اللغة) . لأنهم وان قالوا نظريا بأن اصل اللغات هو محاكاة الأصوات الطبيعية غير ان ذلك لم يكن تطبيقه في لغاتهم الا على عدد ضئيل من الألفاظ . لذلك صاروا يقولون ان هذا العلم وهمي يقوم على التظنى والخيال فهو أدخل في باب الغيبيات (الميتافيزيك) منه في باب العلم الاختباري . ولا لوم عليهم في ذلك لان لغاتهم على رقيها غير أصيلة بل كلها خليط دخيل لم تنشأ في مكانها وتتطور تطورا طبيعيا على ألسنة أهلها ، فهى من اجل ذلك قاصرة لا تصلح لدراسة نشوء اللغة وتطورها .

ولو عرفوا العربية ودرسوها في تفهم وعمق لعرفوا انها من الغنى والاصالة والنقاء بحيث تعطى وحدها كل المادة اللازمة لاقامة (علم أصل اللغة) على أسس علمية راسخة . وبعبارة أخرى ان جميع لغات البشر لم تكلفهم مادة لتكوين هذا العلم ، بينما وجدت اللغة العربية وحدها تكفى لذلك كل الكفاية . وعلى هذا سنعيد هذا العلم (المطرود) من حظيرة العلوم الى مكانه الصحيح .

وفي النية وضع معجم عربي (تأصيلى) لدراسة ألوف الكلمات العربية وردها الى جذورها الاصلية من الأصوات الطبيعية ، مع مقارنتها بما اقتبسته منها اللغات الأجنبية ـ ليكون ذلك للعرب معرفة جديدة بلغتهم وللاعاجم منارا يستطيعون على ضوئه ان يدرسوا لغاتهم وليتعرفوا عليها .

شن الفردوسي على اللغة العربية حربا ظنها البشر أجمعون حاسمة ساحقة ، اذ ألف (الشاهنامه) من (60) ألف بيت شعر من اللغة الفارسية النقية لم يرد فيها سوى (63) كلمة عربية وظن هو والعالمون كافة انها فارسية خالصة انها هي من اصل عربي عريق ، وأن الفرس أنفسهم ينتمون بوجه عام الى اصل عربي فلا مهرب لهم من اللغة العربية الحديثة الا الى اللغة العربية القديمة . وعلى هذا لم يعد ثمة مجال للشعوبية، ولامعنى للعداء العنصري بين الشعبين الجارين الأخوين.

بالاضافة الى فضل العربية على اللغات الأوربية المتحضرة القديمة من اغريقية ولاتينية تدل تحرياتنا اللغوية على أن السكسون والجرمن على الأخص يمتون

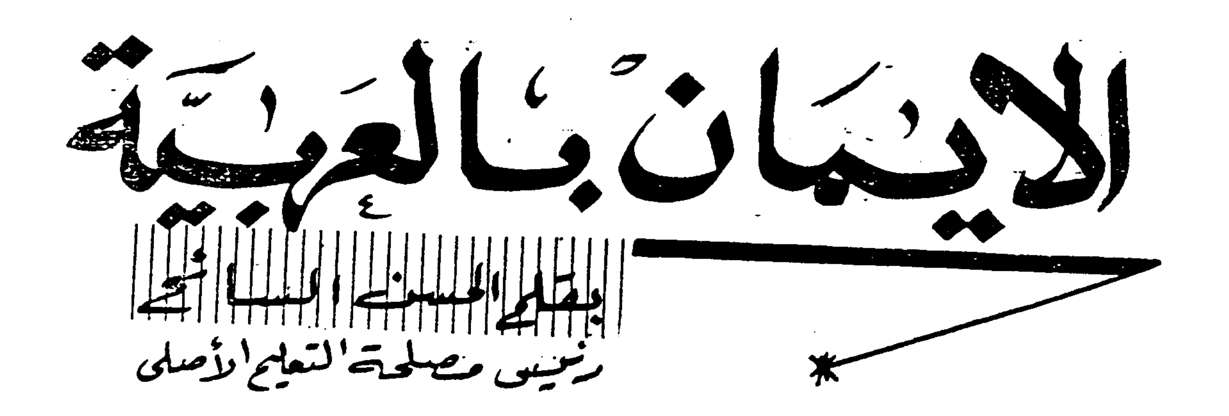
الى العرب بنسب مباشر ، حديث نسبيا ، بالاضافة الى حملتهم القديمة غير المباشرة عن طريق العـرق الهنـد الاوربي . بل ان هناك هجرات عربية متوالية في عـهود مختلفة مما يجعل للدم العربي شانا في العنصر الجرمانى وبهذا تنهدم ازعومة تفوق العنصر الجرمانى على العنصر السامى ويقضى عليها نهائيا وسيتضح من هذا وذاك ان (السامية(الحقيقية العلمية ليست اليهودية وانـما هى العروبة ويمثلها العرب حضارة ولغة ومثاليـة ، ماضيا ومستقبلا .

هذه الحقائق الغريبة ، ـ وغيرها ـ ستكون واسطة لحل الكثير من المشاكل العلمية (اللغوية) التي يتـحفظ فيها علماء اللغة ويحارون في تفسيرها .

ومن كل ما تقدم سوف تنكشف حقائق (تاريخية) مثيرة في آسيا واوربا وافريقيا كانت مجهولة أو غامضة، وتتضح بجلاء مبين حقيقة الدور الفريـد الـذي مثلـته الجزيرة العربية على مسرح التاريخ الانساني في تقرير البشرية ، والدور الذي مثله الشعب العربي أبو الحضارات وأبو الشعوب ، والدور الذي مثلته اللغة العربيـة فـي تكوين لغات البشر وثقافاتهم وأفكارهم .

النشوء والارتقاء عند علماء الاسلام

قال الخازن (وهو الحسن بن الهيثم) : « ان الجهلة حينما يسمعون بتحول بعض الأجسام بطريق التكامل الى ذهب مر بصور الاجسام المعدنية الاخرى أي أنه كان رصاصا ثم صار قصديرا ثم صار من نوع سهب الرمل ثم فضة الى أن انتهى ذهبا ولا يدركون ان الفلاسفة يريدون بمـا يقولونه الانسان أيضـا اذ لم يصل الى الحالة التي هو فيها الآن بالانقلاب السريع بل بالتدريج كان مر بصورة العجل فالحمار فالفرس فالقرد الى أن انتهى انسانا (حاضـر العالـم الاسلامي ج ١ ص 153) .



هناك واقعيات مسلمات لا سبيل لرفضها ، بل لا سبيل لمناقشتها دون أن تكتسي هذه المناقشة صبغة خالية من كل أسس الموضوعية والايجابية ، وهذه **الواقعيات هي :**

أولا - (المغرب بلاد عربية) عربية جنسها وقومية وتفكيرا ، ولغة وتاريخا وعقيدة ومعركة وكفاحا أيضا.

ثانيا - المغرب خرج من معركة الكفاح ضد الاستعمار ، الاستعمار الذي لم نعرف خطورته بدقة حتى حطمنا أغلاله ، وان من يتغشاه ضباب السهول لا يعرف ضباب السهول ، حتى يشرف عليه من القمة ، ان للاستعمار مخططا خطيرا ، وأخطبوط زحف لمحقنا ، وما يزال ؟ فاذا حطمنا الاغلال الحديدية فان افكارنا ما تزال موثقة ، وان السنتنا ما تزال لم تحل عقدتها .. وانه سيربط اقتصادنا بعجلاته .

ولنخرج من منطقة الاستعمار ... ولنحيا ولنعيش لا بد لنا من السير في طريق بناء نهضة ، وفي خلق مستقبل مقدود من واقعنا . فكيف السبيل الى ذلك ؟

لا بد من مكافحة الاستعمار بسلاحه أي بالدراسة العلمية الصحيحة الحديثة وبالاطر الفنية والادارية والصناعية وبالانتاج الذي يحمينا من الاسواق الخارجية.

وفي هذه المجالات تكمن المشكلة ! أو ما يمكن ان يسمى بالمشكلة ، فهل نسير مع العواطف والتاريخ والامجاد فنستعمل لغتنا للبناء ، أم نسير مع البناء والتصنيع والمستقبل ، فناخذ لغة الغير العلمية للبناء . وهنا أيضا تبرز المغالطات .

هذه المغالطات (المشكورة) التي جعلتنا نفكر باستقامة ومنطق في الموضوع، لندحض المغالطات، وبالتالي لندحض المشكلة ذلك اننا لن نتنازل عن واقعيتنا، لان التنازل عنها معناه محق معالم شخصيتنا وجعلنا فريسة سهلة الهضم في فم الاستعمار الذي خلق المشكلة وربط العقد ، وأثار المغالطات وان مغالطات الاستعمار ومحاولاته للتضليل ليست موجهة الى اللغة الا باعتبارها مفتاح حضارتنا وتاريخنا وشخصيتنا .

فالاستعمار اعتدى على الضمائر ، واعتدى على الملكيات ، واعتدى على العقائد ، فكان الراهب يبشر ثم يأتي بعده التاجر ليقامر ، ثم ياتي بعده الجندي ليحتل ثم ياتي السفير ليمثل، وأخيرا يصل المعلم ليتم المأمورية التي لا تنتهي في حلقاتها المستديرة ؟ من تعليم أولي الى تخصص الى فنيات .. الخ الخ .

كانت مهمة الاول احداث الفراغ العقائدي ، ومهمة الثاني احداث الفراغ الاقتصادي ، ومهمة الثالث احداث الفراغ العسكري ، ومهمة الرابع احداث الفراغ السياسي ، ومهمة الاخير أي المعلم محو اللغة القومية وتعطيل الفكر ثم تكوين (بوفارية ايديولوجية) . فمهمة المعلم هي أهم وأخطر ، هدفها مقاومة التعليم المحلي واغلاق المدارس واطفاء نور المساجد ليلا لئلا يلتقي المومنون بعقيدتهم ولسانهم وتاريخهم المتلىء بثقافة ولو كانت منحطة خشية أن تدب فيها الحياة ، تلك الثقافة التي لم تكن منحطة ، وانما هي بقية روح في جسم معذب ؟

ويتعاون السيف والقلم الاستعماريان، السيف لخنق الثقافة المحلية أو لقتل الروح في الامـــة بعد احتلالها والقلم لملء الفراغ وأداء المهمة التمدنية التي ما نزال نعاني الكثير منها ..؟ وستزيد مضاعفتها ان لم نكافح بايمان في معركة التعريب .

واذا كان للمستعمر مغالطات فله جهالات بالبديهيات لان المغالط لا بد أن يغلط ؟

اذ الثقافة لا تموت أبدا ومن السهل أن نتكلم بلغتنا مهما كانت مهلهلة لنحقق أفكـــارا عميقـة في نفوسنا ولنعرف بسهولة اننا عندما نتكلم أو نفكر أو نعمل في جو المستعمرين وبلغتهم نكون أجانب .

إن المستعمرين في مغالطتهم زوروا حتى الحقائق التي تبقى على معالم شخصنا التاريخية واللغوية ؟

فهل يجوز عقلا أن تكون أمة بغير لغة عاشت آمـادا كثيرة بفيض حضارتها العلمية ، أو أن تكون هذه اللغـة لا تستطيع أن تعيش من جديد بعد أن حاصرها أعداؤها قرونا من الزمان . لقد هدف أعداء اللغـــة العربية الى احتلال بلادنا أو اقتصادنا ، وهدفوا قبل كـل ذلك أو بعد كل ذلك الى قتل لغتنا ليحولوا بيننا وبين تاريخنا وبذلك نصبح أمة بدون تاريخ نرجع اليـه ، ونتجه الى امداداته وفيضه . انه لا يجوز عقلا ان تكون أمة بدون تاريخ لغوى .. وهذه مغالطة خطيرة مـــن مكائده ، لا يوازيها في مغالطاته الا موقفه مـــن تاريخنا الحضارى الذى يعتبر بدايته يوم أن روعنا بمدافعه . فهل يجوز أن يقسم التاريخ الى مرحلتين : ماقبل الاستعمار ويسميها عصور الجهالة بما فيها من عصـــور مقـــاومة الرومان والوندال والبيزنطيـين وعصر الادارســة والمرابطـين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين ، أى يــوم قاومنا أعظم امبراطورية رومانية فحطمنا كبرياءها على يد حنبعل ويوم أصبحت افريقيـــا الشمـــالية والاندلس موحدين تحت قيادة المرابطين والموحدين ويوم كـــان الاساتذة المغاربة يعلمون بايطاليا وسويسرا وفـرنسا أقول هل يجوز أن نقسم التاريخ الى مرحلتين المرحلـة الاولى هى مرحلة عزنا ومـع ذلك لا نجـــد محلها فى (السكولاتيك التاريخى) بل يحرص على تسميتها عصور الجهالة . ويقابل بها عصر المدنية والنور يوم استعبدنا وأفقدنا قوتنا ولساننا وتفكيرنا واقتصادنا وقيـــادتنا فانكمشنا على أنفسنا متقوقعين فى حدود ضيقة فرضت علينا .. ثم سلب حتى ماضينا اللغوى وحاضرنا اللغوى فأصبحنا أمة خرساء وبدون تاريخ .

ان الحقائق لا تموت أبدا ... فمـــن هذه الحقائـق ومن هذا التاريخ ؟ ومـــن حضارتنا سنستمد القـــوة لنتحرك من جديد طبعا بعد القضاء على المغالطات وحل المشاكل وتفتيت النفايات .

واذن فلا بد من الاحتفاظ بلغتنا وحضارتنا وتاريخنا ، ونحن نتساءل الآن هل تستطيع لغتنا أن تبعد عنا شبح الاستعمار بعد ان اصبحت هى الامل الوحيد لمقاومته ، هل فى استطاعتها ان تصبح لغة علمية كاللغة الفرنسية والانجليزية والالمانية مثلا ؟

وهنا يجب أن نتجنب العاطفة ، وهنا يجب أن نكون رياضيين فى منهج البحث لا مؤرخين ولا مناطقة .

أقـــول أولا نعـــم ـ ولكـن بشـروط ، والشرط الضرورى للتعريب هو الايمان به وقبل ذكر الشروط الاساسية الاخرى يجب أن تقسم مناطق التعريب ، الى تعريب التعليم ، وتعريب الادارة ، وتعريب الفكر ، أما عن التعليم فهناك سؤالان : (الاول) هـــل نستطيـــع التعريب دون خفض المستوى العلمى ، (ثانيا) هـــل نستطيع أن ندرس العربية ثم يمكن لطلابنا أن يتابعوا التخصص العلمى بلغة أخرى ما دمنـــا فى حـاجة الى الاستزادة من ثقافة الغـــرب . أما عـــن الســـؤال الاول فالتعريب ممكن وواجب ولن ينخفض المستوى بشرط أن يكون بيد القلوب المشفقة المؤمنة والعقلية المتوثبـة التى لا تخاف ولا تعرف الجمود ، واكبر شوك يضعـه المتشككون فى طريق التعريب هو الحرص على عـــدم المزاوجة فى التعريب ونضج اللغة ، يعنى أن نبدأ بعملية تطوير اللغة وخدمتها فى مصانع (المجامع العلمية) قبل اخراجها الى ميدان التطبيق . وهذا تماما كمن يقـــول بوجوب منع الاطفال من الذهاب إلى المدرسة حتى يتم تكوين اللغة وتطويرها وهذا خطأ ، لان اللغة كائن حى يتطور فى عقلية الطفل وينمو فى رحبات فكره .

ان العربية اذا جاز اتهامها بالنقص ، فهذه التهمـة قد توجه لميدان البحث العلمى أما فى ميدان التعليم ، ابتدائه وثانويه وعالية ، والادارات فقد جربت وبرهنت عن مقدرة ... وسوف تكون قوية فـــى البحث العلمى

ايضا اذا آمنا بالعربية ونفضنا عن عقلنا هذا الكسل الثقيل ، وهذه الاذن التى نصغى بها لنصائح أعداء اللغة العربية ، وآية ذلك أن اللغة اليابانية أصبحت لغة علمية ولم تكن كذلك من قبل ، وان اللغة الغايليكية لغة ارلندا أصبحت علمية بعد مهاجمة الانجليزية المستعمرة ، وان اللغات المتعددة الموجودة فى ولايات الاتحاد السوفياتي أصبحت لغات علمية حية ، وان اللغة العبرية وهى ابنة عم اللغة العربية أصبحت علميــة ايضا ... (واللغة العربية وحدها)هى التى لا تستطيع التطوير بينما هى تمد اللغة العبرية بالكلمات والاصطلاحات .

هذه صيحة استعمارية تجـد آذانا مصغية مـن البوفرديين الايديولوجيين المتعشقين للغة من يتآمر على مصيرنا ، ان اللغة العربية هى متطــورة وقادرة على أن تكون لغة حضارة ، بل كانت لغة حضارة وستصبح كذلك لغة حضارة أما الكافرون بها فهم مثل الذين كفــروا بالاستقلال فجاء الاستقلال ، على أننا نسجل عليهم التقدم والتطور ايضا . فقد كانوا تقدميــين فى عصرهم حيث كان معنى التقدمية الكفر باللغة العربية ، ثم تدرجـوا الى الشك فى اللغة العربية بعـد انتصار الشعب ضد الاستعمار السياسى ، وعسى الله أن يهديهم الى الايمان المطلق بالعربية .

أما الازدواجية بالمعنى المتمثل فى عدم وحدة اللغـة والاخذ بتعلم اللغات ، فنحن أحرص النـاس عليـه والانسان لا يعرف لغته ما دام لا يعرف لغة غيره كما يقول جوته .

أما عن السؤال الثانى ، يعنى ان الدراسة بالعربيـة فى التعليم الاولى والابتدائى تحول دون متابعة الدراسة فى العالى بالجامعات الاجنبية ، ما دمنـا فى حاجة الى تنمية التكوين العلمى للعقلية العربية .

فالجواب واضح لان الدراسة بالعربية سوف لا تخلو من وجود ساعات لتعليم اللغـات الاجنبية ، وينطوى الجواب على توجيه نظرا لانطواء السؤال كذلـك على توجيه .. لان التعليم اذا لم يكـن بالعربية وكـان بالفرنسية فقط فسوف لا يوجه الا لجامعات فرنسا .. فقط ، ثم اننا لا يمكـن أن نلتفت الى الإقليـة وننسى الاغلبية على أن هذه مرحلة مؤقتة ويمكن علاجها بعـدة وســائل .

لقد كنت أتكلم عن ايمانى بعروبتى ووجوب تركيز هذا الايمان مهما كانت الصعوبات واننا جميعا .. نرتطم بمشاكل التعريب فيجب أن نذلل العقبات مهما كانت عاتية لان من مرض ولده فعليه أن يلتمس لـه الدواء ولا يجوز عقلا ولا عاطفة أن نقتل اولادنا بدل أن يغير الـدواء .

ان هناك صعوبات ، صعوبـات الاطارات . اذ يجب ان نفكر مع الفنيين لا ان نضع لهـم المشاكل فنلقـى الخطب والكلمات ثم ننسى كـل شىء ؟ فلذلـك يجب التفكير جديا وجماعيا لمعالجة تكوين الاطارات .. ان العبء ثقيل جدا فلا نضعه على وزارة واحدة بـل على مصلحة واحدة فى الوزارة بل على موظف واحد مسؤول ثم نقف متفرجين منتظرين ساعـة النصر او ساعـة الانهزام فقد دلت التجربة على وجوب التفكير فى قضيـة الاطر لتكون مغربية صميمة لا مستوردة ولا مأجورة كما دلت التجربة على وجوب رعـاية الوحدة فى الاطـر فى الابتدائى الى الثانوى ــ الى العالى ــ فى العلوم الانسانية والعلوم الرياضية .

أما باقى قطاعات التعريب الاخرى ، فهى لا تخضع لشروط قاسية ، وليس هناك تخوفات على الاطلاق اذا عرب التعليم تعريبا سليما .

هناك صعوبات كوحدة الكلمة العلمية وتوزيعها بدقة على مختلف المراحل والكتاب المدرسى والعلمى فالتعليم الاجنبى قد تطور وتحسن وتنظـم فيجب أن يكـون تعليمنا على شاكلته ، والمسالة مسألة تفان فى العمل ، والكتاب المدرسى يكون فى بلادنا مشكلة ، فهو غـير منسق وغير مستوعب وغير موجه والذين ألفوا جلهـم احترف لبيع الكتاب ولم يؤلف . وجلهم لم يختص فى دراسة موضوعية بدقة وبذلك فقد استفادوا ماليا ولم يفيدوا امتهم ولو أدبيا بل أضروا بالتعريب والعربية وهكذا ينهزم التعريب فى مصالح (الاستغلال) وتقـف الام المسكينة اللغة العربية فى قفص الاتهام .

لقد اثرت قضية الكتب لانها تشكل عنصرا من عناصر فشل تجربة جانب التعريب وتبدى مـدى الخطـورة الناجمة عـن مشكل عدم التوجيه والمشاكـل التى تعترض التعريب فى هذا النوع كثيرة فالاستاذ الـذى ينعدم ضميره فلا يؤدى درسه بحماس ، والمعلم الـذى ينام بجانب اطفال المدرسة الابرياء بينمـا الاستـاذة

الاجنبية ترعى الاطفال فى حنان ورفق ، والمدير الذى يشعر أنه موظف فقط يتفرج من بعيد على سير الاحداث ويرفع كتفيه ازاء تساؤلات تلاميذه عـن مستقبلهم وتقاليدهم ولغتهم ، بجانب المدير الذى يسهر على طلابه

وتلامذته فى تـوجيه عميـق لمصلحة بلادهـم ... وكذلك المصالح التى ترفض الرسائل اذا كتبت بلغة العرب وتتهمها بعدم الوضوح بجانب الرسالة المقدسة المحترمة المكتوبة من اليسار الى اليمين .

كل هذه الصعوبات تواجه التعريب ، وتهلهل الايمان بالتعـريب .

هذه مشاكل وصعوبات ومغالطات تثيرها قضية الايمان

باللغة العربية أما المشكل الحق الـذى تواجهه اللغة ، فان المكتب الدائم للتعريب يضطلع مع المجامع اللغـوية بمهمة العمل لايجاد الحلول المناسبة له .

وخدمات المجامع تثمـر اذا وجدت المجال المـؤمن بها ، فعلينا ان نثق بحقيقة حضارتنا قبـل الايمـان بالازدواج الحضارى . فهناك حضارتان ، الحضارة العالمية التى تكشف عـن معنى زمانى هـو التجمع والتقدم وحضارة محلية تعتمد على الابداع ، ولاجل خلق حضارتنا الشعبية لا بد من أداتها اللغوية لان تفككها يعنى الفراغ وبالتالى تحل محلها لغة أخرى بطريقة لا شعورية .

فاللغة أداة الفكـر ولا بـد مـن اعتمادها على المناخ الفكرى لاداء المعانى الحضارية اذ ان الحضارة والمدنية ، والثقافة ، لا بد لها من الاداة ، وان المقومات الثقافية لاى شعب من الشعوب تتمثل فى اللغة التى تستوعب ألفاظها ومدلولات كلماتها والعبارات والامثال المستعملة فيها القيم العليا وقضايا المعرفـة . وهـذه القيم وهاته القضايا هى التى توجه الافراد وتحدد علاقة بعضهم ببعض كما تحدد عـلاقتهم بالمجتمع ، سـواء المجتمع القومى أو المجتمع الانسانى .

ان حضارتنا وليدة لغتنا ، ولغتنا وليـدة حضارتنا وحضارتنا هدفت الى الخير والسلام فعلينا أن ندعم هذا السلام ولن تكون حضارتنا بغير لغة .

وأنا أعتقد أن هناك تبـاينا فى حضارتنا العربية والحضارة الغربية اليوم .

اذا ألقينا النظر على المستوى الثقافى وحاولنا البحث عن قيمة الحضارة وجوانبها الفكرية والروحية والمادية .

واذا كان هناك تباين اليوم فسينعدم ، بل هو ظاهـرة لا تخيف ومن حقنا الا تشغلنا اللغة العربية عن نسيان النهوض بالثقافة العربية والحضارة العـربية أيضا ، وهذا ما يثير عدة قضايا أهمها كـون لغتنا ستصبـح لغة الثقافة والحضارة .

اننا نهتم باصلاح اللغة العربية حقا دون أن نتساءل عن اصلاحات أخرى ، فيجب الا ننسى اصلاح الفكـر العربى والثقافة العربية اذ اننا لا ننكر أبدا أن انتصار الثقافة العربية يرجع لانتصار اللغـة العربية ولكنـه انتصار معركة فهل تستطيع الثقافة العربية أن تهاجم من جديد فتنتصر .؟

واننا نومن بلغتنا ونعتز بعظمتها ونحارب أعداءهـا من أنصار الانسلاب الثقافى لاننـا سنسعى دائما الى تطويرها انبعاثها التى هو انبعاث لثقافتنا .

ان اللغة العربية تسير الى مصيرها الحتمى وهـو التطور والوضوح والتقارب مع اللغة العامية تلك اللغة التى لن تصبح أداة ثقافة الفكر او لغة الكتابة الواضحة لقصورها عن أداء الصور المجردة لانهـا لغـة الحديث المختزلة السهلة لهذا يجب دائما أن توجه جهودنا للغة الفصحى قصد تبسيطها . ولا يمكن أن نتكهن متى يتم اكتمال اللغة العربيـة ، لان نقص الموضوعية والزمان فى عملية البحث يمنعنا من تحديد ذلك .

ان اللغة العربية تسير ولكن المؤسف أن ينقصهـا التوجيه وتكامل الكفاح ، وهى تسير الى التطور والتقدم لانها لغـة حيـة ولغـة ماض ، وان الـذين تعتمد عليهم اللغة فى سيرها ليسوا اساتـذة الجـامعة ولا المحاضرين ولكنها تعتمد على التطـور الطبيعى التلقائى والتطور التدريجى الماثل فى التعليم والكتاب والصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح .

واذا كنا نعتمد على التطور الطبيعى فاننـا نعتمد كذلك على العلماء اللغويين الاخصائيين لمواجهة مشاكل العربية تلك المشاكل التى لا تحل نفسها بنفسها بـل تحتاج الى عملية .

فهناك مشكلة الحرف العربى مثلا .

وهناك مشكلة الطباعة .

وهناك مشكلة النحو والصرف المعقدين .

وهذه مشاكل يجب الا تخيفنا لانها مشاكل اللغـات الحيـة .

أمثلة من الكلمات الفارسية الدخيلة في اللغة المصرية الدارجة

بقلم جعفر الخليلي "بغداد"

في الصيف الماضي من سنة 1964 وأنا أزور القاهرة لاول مرة لفتت نظري كلمات فارسية متغلغلة في اللغة المصرية الدارجة لحد لا يمكن تجاهلها ، وعلى الرغم من وجود تجانس بين المزايا الفارسية والمزايا المصرية في الخلق والمزاج وحب النكتة والمرح مما تسترعى الانظار هي الاخرى فان لمثل هذا وقتا آخر ومجالا آخر لعرضه غير مجال (اللسان العربي) .

واكثر ما ادهشني من تغلغل هذه الكلمات الفارسية هو ان الكثير منها قد عبر من ايران راسا الى مصر في حين ان العراق وهو القطر المجاور لايران والتي تتجاوز خطوط حدوده الف كيلومتر واستمرار التواصل والتماس بين شعبه والشعب الايراني لا يستعمل الكثير من هذه الكلمات من اللغة الايرانية المستعملة اليوم في اللغة المصرية الدارجة ، فكيف يا ترى قد قفزت هذه الكلمات عبر العراق وسوريا ونزلت في مصر وحدها .

واغلب الظن ان الاتراك ـ سواء كان هذا في زمن الايوبيين او العثمانيين ـ هم الذين نقلوا تلك الكلمات وادخلوها في اللغة المصرية ولكن هؤلاء العثمانيين الذين قاموا بنفس الدور في الاقطار العربية التي اخضعوها لنفوذهم لم ينقلوا الى تلك الاقطار ما نقلوه الى مصر فلماذا ؟ ثم ان بعض تلك الكلمات الدخيلة من الفارسية في اللغة المصرية لم يستعملها حتى الاتراك أنفسهم ؟ وبأية كيفية نستطيع أن نعلل هذا ؟ .

ورايت أن أعرض ما جال في خاطري وانا في القاهرة على الدكتور يحيى الخشاب بصفته من أرباب الخبرة بالادب الفارسي وكونه يجمع بين الفنين واللغتين العربية والفارسية وبدا لي انه هو الآخر كان يرى ان الامر يحتاج الى تامل ودراسة ، وفارقته ولم أعرف ما اذا كان قد وسعه أن يعنى بما وضعت أمامه من أمثلة وشواهد اختطفتها اذناي خطفا وانا أتجول في السوق مستعرضا وشاريا ومتحدثا ، وقد رايت أن أشير هنا الى هذه الكلمات اشارة طفيفة ، واكثر اختصارا لان ما وسعته اذناي مما عرضته على الدكتور الخشاب يومذاك لم تحتفظ منه ذاكرتي اليوم باكثر من هذه الشواهد .

يقول المصري (الجوال) بمعنى الجوالق ، أي الخرج ـ وهي كلمة فارسية اقتصر استعمالها على اللغة المصرية العربية وحدها دون لغات الاقطار العربية الاخرى (1) وحتى المجاورة لايران كالعراق ويقول المصري ـ بردو ـ وهي فارسية ينطق بها الفرس (باردو) بمعنى المرة الثانية او (ايضا) ولا يستعملها غير المصريين والاتراك .

ويقول المصري (كهنه) أي العتيق وهي فارسية بحت ولربما استعملها الاتراك فانتقلت من الترك الى مصر

ويقول المصري (مسخرة) وهي وان كانت عربية الاصل ولكن لم يستعملها غير الفرس اليوم ومنهم اخذتها مصر عن طريق اللغة التركية .

ويقول المصري (شربات) والكلمة فارسية بحت ينطق بها الفرس (شربة) بمعنى السائل الحلو ويستعملها العراق متسربة اليه من ايران .

ويقول المصري (طرشى) بالفارسية (ترشي)

---

(1) تستعمل هذه الكلمة في المغرب ايضا وقد تحولت الى الشواري (راجع الأصول العربية والاجنبية للعامية المغربية للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، وهو عند العامة شوال بالشين كما في المعجم الوسيط وتستعمل في المغرب معظم هذه الكلمات مثل المسخرة وشربات والشين الملحق وكذلك الجيم في قولنا تجي أو ما تجي .
(اللسان العربي)

ويشارك مصر بعض الاقطار العربية في استعمالها .

ويقول المصري (سفره) يريد بها (الـخوان) وهي فارسية أيضا وقد دخلت مصر من طريق اللغة التركيـة الاخرى .

ويقول المصري (بلاو) بمعنى الطبيخ وفي الفارسية (بلو) وعلى أن الامثلة لدخول كلمات فارسية في اللغـة المصرية سواء عن طريق الترك او عن طرق مجهولة عندي فان الغرابة ليست في كثرتـها وليست في اقتصار دخول بعضها على اللغة المصرية دون اللغات العربية الاخرى ، بقدر غرابة ما في اللغة المصريـة من تصريـف وتركيب ماخوذ من الفارسية راسا فمثال ذلـك حـرف (الشين) الملحق بالكثير من الكلمات كقولك مـا (شفتـوش) ومـا (قلتش) ويقابلها في الفارسية (نديد مش) و (نكفتمش).

ويقول المصري (ياتجي يا ما تجي) وهذا تركيب خاص بالفارسية من قولهم (يامياثي يا نمـيائي) ثم ان العد في اللغة المصرية الدارجة كالعد في اللغـة الفارسية وبعض اللغات الاجنبية اذ ان المصري لا يقول (جنيهان) كما تقول الاقطار العربية الاخرى وانما يقول (اثنـين جنيه) وفي الفارسية (دوجنيه) .

وهذه الامثلة تكفي لاثارة اهتمام المعنيين للتصدي لجمع الكلمات الدخيلة من الفارسيـة في اللغة المصريـة ودراسة ماتاها .

ومن المحتمل أن يذهب البعـض مـذاهب بعيـدة فيظن أن هذه التراكيب والصيغ والكلمات قد دخلت مصر بدخول الفرس القدماء واتصال الشعبين احدهما بالآخر ولكن مثل هذه الاحتمالات ليست بعيدة فحسب وانمـا هي غير ممكنة لان هذه الكلمات واستعمالها وتراكيبها انما هي من مشتقات اللغة (الدريـة) وهي اللغـة الفارسيـة الحديثة التي تولدت بعد دخول الاسلام الى ايران ، وان اللغة الفارسية القديمة ليس لها اية صلة باللغة الفارسية الحديثة من جميع الوجوه .

• وقولهم يدي من كذا فعلة المسموع منهم في ذلك ألفاظ قليلة وقد قاس قوم من أهل اللغة على ذلك اشياء فقال يدي من الاهالة سنخة ومن البيض زهمة ومـن التراب تربة ومن التين والعنب والفوأكه كتنة وكمدة ولزجة ومن العشب كتنة أيضا ومن الجبن نسمة ومن الجص شهرة ومن الحديد والشبه والصفر والرصاص سهكة وصدئة ايضا ومن الحماة ردغة ورزغة بغين معجمة ومن الخضـاب ردعة بعين غير معجمة ومن الحنطة والعجين والخبز نسغة ومن الخل والنبيذ خمطة ومن الدبس والعسل دبقة ولزقة ايضا ومن الدم شحطة وشرقة ومن الدهن زنخة ومن الرياحين ذكية ومن الزهر زهرة ومن الزيت قنمة ومن السمك سهكة وصمرة ومن السمن نسمة ونسمة ونمسة ومن الشهد والطين لثقة ومن العذرة جعرة وطفسة أيضا ومن العطر عطرة ومن الغالية عبقة ومن الغسلة والقذر وحرة ومن الفرصاد قنئة ومن اللبن وضرة ومن اللحم والمرق غمرة ومن الماء بللة وسبرة ومن المسك ذفرة وعبقة ومن البتن قنمة ومن النفط جعدة »

(شرح أدب الكاتب لابي منصـور الجواليقي طبـع بالقاهرة ــ 1350 ص 235) .

الفكر الصوفي الإسلامي وأصوله

بقلم: عبد العزيز بنعبد الله
أستاذ بجامعة محمد الخامس ودار الحديث الحسنية

التصوف الاسلامي يستمد عناصره السلفية من الكتاب والسنة ونلمس صورا حية لتعاريف التصوف التى أوصلوها الى الالف (1) في سيرة الصحابة والتابعين ولم يتخذ التصوف مراسمه الخاصة الا بعد القرون الاولى .

وقد اختلف فى مصدر لفظة التصوف فقيل من الصوف أو الصفاء أو الصفة (2) ولعل قضية الاشتقاق مرتبطة بالفكرة التى تربط التصوف الاسلامى بالتصوف الهندى أو الافلاطونى أو المسيحى (3) وقد أرجع ماسينيون التصوف الى أصل اسلامى صرف هو القرآن ولكن نيكولسن لم يعتبر التصوف مجرد نتيجة للدراسات القرآنية (4)

---

1) طبقات ابن السبكى (ج 3 ص 239) التقط هذه التعاريف أبو منصور عبد القاهر البغدادى ورتبها تبعا لاصحابها حسب الحروف الهجائية .

2) ذكر كينون فى مجلة Cahiers du Sud (ص 39) فى مقال بعنوان علم الباطن فى الاسلام L'ésotérisme de l'Islam ان لفظة صوفية مجموعة أحرف جفرية معناها الحكمة الالهية ونقل ميشوبيلير Michaux Bellaire فى محاضراته (ص 5) رأى من يقول بان أصل الكلمة يونانى Sophos ونقل البيرونى أن أصل الصوفية السوفية أى الحكماء Sophistes (راجع التذكرة الطاهرية ج 6 ص 239 والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمى ص 240) .

3) حاول طه حسين فى « ذكرى أبى العلاء» ارجاع التصوف الاسلامى الى أصل هندى وكذلك كولدزيهر فى كتابه Le dogme et la loi de l'Islam (العقيدة وقانون الاسلام (ص 134) ولعل طه حسين تاثر بما لاحظه الفريد فون كريمر من وجود عناصر هندوسية فى نظريات المعرى .

4) Legacy of Islam قانون الاسلام (ص 112) حيث لاحظ أيضا أنه اذا صح ان بعض المتصوفة كانوا بين خواص دارسى القرآن فان التعميم لا يصح وقد ذكر كارا دوفوفى «مفكرو الاسلام» أن التصوف ليس قطعة من مذهب الفارابى الفلسفى وانما ظاهرة عرضية فيه » ولا يخفى ان فلسفة مدرسة الاسكندرية وهى الافلاطونية الحديثة قد تاثرت بالتوراة والانجيل كما سنرى ويتجلى هذا التاثير حتى فى رسالة حى بن يقظان لابن طفيل حيث وصف بطل القصة (ص 114) بانه « لما فنى عن ذاته وعن جميع اللوات ولم ير فى الوجود الا الواحد القيوم وشاهد ما شاهد عاد الى ملاحظة الاغيار عندما أفاق من حاله تلك التى هى شبيهة بالسكر خطر بباله أنه لا ذات يغاير بها ذات الحق وان حقيقة ذاته هى ذات الحق بل ليس ثمة شيء سوى ذات الحق » .

وتشتمل المعطيات الصوفية على عنصرين : أحدهما وليد الفكر الانسانى وهو حظ مشاع بين البشرية يستمد من الفطرة الخالصة التي لم تمازجها شوائب منطقية والعنصر الثانى سماوى المحتد انبثق عن الوحي الالهى وتبلور فى الكتب المنزلة .

ويقول كثير من نقاد التصوف الانسانى بوجود تقاليد روحية traditions انتقلت من عصر الى عصر بواسطة الرسل والانبياء كآدم وشيث وادريس ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وقد أكد القرآن وحدة التشريعات السماوية منذ نشأة الخلق (شرع لكم من الدين الآية) فكانت مصدرا لتلك التقاليد .

وقد استطاعت شعوب ما قبل التاريخ ان تتواصل عن طريق القوافل التجارية أو مواكب الغزو فانتشرت كثير من المظاهر الحضارية بين النهر الأصفر بالصين ونهر السند بالهند ودجلة والفرات والنيل الى شواطىء البحر الابيض المتوسط (5) وسنضرت لذلك أمثلة بالنحل والملل التى ظهرت فى هذه المناطق على يد متنبئين حاولوا الاقتباس من القوانين السماوية المعروفة بتشريعات نوح Lois noachides والتى تتلخص فى سبعة مبادىء(6) تلك المبادىء التى لم تتبلور الا بعد نزول التوراة فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد مما سبب ظهور كثيرين امثال كونفوسيوس (551 – 479ق.م) ولاوتسو بالصين وبودا (القرن الخامس) وزردشت فى فارس (النصف الثانى من القرن السادس) أو فلاسفة الهيين مثل فيثاغورس (580 – 500ق.م) فى اليونان ومن الصدف الغريبة أن هذه الحركة الروحية لم تنبثق فى العالم الا منذ القرن السادس قبل الميلاد وكان مركزها الاساسى هو ايران وبابل منبثق الديانة الابراهيمية (7) حيث تعزز الفكر الدينى بتراث العبرانيين الذين نقلوا أسرى الى بابل فى عهد نبوختنصر الثانى الاكبر (605 – 562 ق.م) وقد تحدثت التوراة عن الصلات المهمة بين اليهود والفرس (8) فى هذه الفترة .

وسنستعرض الآن المظاهر البارزة فى مختلف الملل والنحل لمقارنتها بالديانات السماوية .

---

5) تحدث جوفرى بيبى عن وضع العالم فى عام 2000 ق. م فلاحظ أن ما كان يجرى آنذاك فى تيبة بمصر كان له اثره بواسطة الاسفار والقوافل التجارية والهجرات فى غابات سكانديناڤيا وهضبات اسبانيا وقرى الصين الشمالية (راجع البحث التالى حول التصوف الصينى) .

6) هى محاربة الاشراك وسفك دم الانسان والفسق والقلف والسرقة ونزع عضو حيوان حى لأكله مع الامر باقامة العدل .

وقد حدثتنا التوراة عن بلاد عيلام (السوس القديمة او خوزستان أو الاهواز) وهى اقدم اجزاء ايران سكنها بنو سام وعيلام هو الابن الاكبر لسام بن نوح (سفر التكوين ج 1 ص 22) وهو ابو الفرس ولعل لذلك اثره فى حضارة ايران وفلسفتها الروحية منذ الالف الرابعة قبل الميلاد .

7) ولد سيدنا ابراهيم فى قرية فدان ارام قرب بابل التى تقع على بعد 160 ك. م من بغداد ومعلوم ان الشعب المادى فى ايران استولى على نينوى عاصمة آشور Ninive عام 612 ق. م وتحالف مع الكلدانيين والمصريين واحتل بابل .

8) يذكر المؤرخون (راجع مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ج 2 ص 378 تاليف طه باقر طبعة 1956) ان من المصادر المهمة فى تاريخ فارس ما جاء فى التوراة عن احوال فارس فى العهد الاخمينى (550–331 ق. م) من الصلات المهمة بين اليهود والفرس بعد ان فتح كورش بابل والتوراة المشار اليها هنا اختلفت الانظار فى أصلها فاهل الكتاب يرون انها هى السفر الذى نزل على موسى عليه السلام حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وعلى هذا يكون ورود ذكر فتح الفرس البيت المقدس من الاضافات وهى نظرية القائلين بان النص الاصلى اضيفت اليه زيادات بعد سيدنا موسى عليه السلام ومنهم من يؤكد ان تاريخ ظهور هذا السفر المضخم هو عام 1753 م .

فـــــارس

دخل الفرس فى الاسلام وبرزوا فى العربية ولكن رواسب فكرهم التقليدى طبعت الدين الجديد بأصباغ انعكس فيها خيال الفرس وأمثالهم وحكمهم فظهرت نزعات طريفة فتت في أصالة الاسلام تحت شعار التشيع والتصوف .

عبد الفرس مظاهر الطبيعة وفرقوا بين آلهة الخير وآلهة الشر ورمزوا للنور بالنار التى ألهب أوارها قرائح شعرائهم .

الزردشتية : وتجددت مقومات هذا الدين بظهور زردشت Zoroaster الذى رجح جاكسن Jackson في كتابه Life of Zoroaster انه عاش نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد (لا عام 6000 ق.م.) ومات حوالي 583 ق.م. بعد أن انتقل من اذربيجان لنشر فلسفته فى بلخ ثم فارس كلها بعد اعتناق الملك بشتاسب لدينه وقد وحد زردشت الارواح الخيرة في اله واحد هو « أهورا مزدا كما حصر قوى الشر في شيء واحد هو « دروج أهرمن » وله كتاب اسمه Avesta (ايستاق حسب المسعودى) يحتوى على احدى وعشرين سورة (200 4 ورقة) قد حرر بالفارسية القديمة المجهولة وفقد معظمها عدا مواعظ مبعثرة حول الشعائر وقوانين المعبد ويزعمون ان الخليفة عمر عاملهم معاملة أهل الكتاب لتوحيدهم .

ومن مبادئه أن النور أصل الخير والنظام والحق ويمتد ذلك الى الحيوانات النافعة بينما يعتبر الظلمة منبثق الشرور وفى سفلياتها الحشرات والهوام التى يجب قتلها وقد « خلق » مزدا الانسان حر الارادة للانحياز لجبهة الخير والهمه أشرف الاعمال كالزراعة وتربية الماشية وللانسان حياتان (الدنيا والآخرة) قد أحصيت أعماله فى كتاب ونصب له الصراط وهو للكافر أرق من الشعر ومآله الجنة أو النار أو الاعراف ان تعادلت الحسنات والسيئات وزعم زردشت أنه رسول أنذر بقرب الساعة وبحث فى النفس التى خلقها الله بعد أن لم تكن وهي تنال السعادة الابدية بكل حرية اذا حاربت الشرور ولها قوى (9) كالضمير والوجدان والعقل والروح وقد استخلصت دائرة المعارف البريطانية من أقواله ثنويته بينما ذهب الشهر ستاني والقلقشندى وهوج Haug الى وحدانيته من حيث العقيدة (فجر الاسلام لاحمد أمين) .

وقد أزدهرت الزردشتية ايام الكيانيين فتقلص ظلها بعد انتصار الاسكندر عام 331 ق.م. ثم استرجعت مكانتها فى عهد الساسانيين الذين دشن سنة 226م الى الفتح الاسلامى وما زال الزردشتيون الفارون بدينهم فى الهند (بمباي) وهم الفرسيون Parsées وما كادت تقوم الدولة السامانية اواخر القرن الثالث الهجرى بعد اسلام أمير بلخ سامان الزردشتى حتى انمحت آثار معابد النار فى ولايات فارس (500 8 اليوم) .

المانوية : ولد ماني عام 215 أو 216م (10) واستمر مذهبه رغم الاضطهاد الى القرن العاشر الميلادى فى مجموع أسيا وأوربا (11) والتعاليم المانوية مزيج من النصرانية والزردشتية فالعالم نشأ من النور والظلمة وانبثق الخير عن النور والشر عن الظلام وازدوج اله

---

9) قارن ذلك بما عند الصوفية .

10) البيرونى في كتابه «الآثار الباقية» وهو أصح المصادر مع الفصل في الملل والنحل لابن حزم والملل والنحل للشهرستاني والفهرست لابن النديم والتاريخ لليعقوبي وسرح العيون لابن نباتة حسب تأكيدات براون Browne فى كتابه A litterary History of Persa

ويقول ابن النديم والبيرونى ان المانوية يطلقون كلمة السماعين على من لم يرقوا الى الدرجة العليا فى المانوية مقابل الصديقين الزاهدين فى الدنيا وصديق عربية أصلها آرامي وهو صديقى Saddiqai وحورها الفرس الى زنديق فوصفت بها طائفة من المانوية ثم استعملت في المانوية جميعا (فجر الاسلام ص 109) .

11) يقال بأن سان اوكستان Saint Augustin ظل مانويا الى أن تنصر (فجر الاسلام ص 106) ونقل ابن النديم عن بعضهم أن المامون كان مانويا وقد فنده ابن النديم والظاهر ان ذلك راجع لميل بعض المتكلمين الى ما رجحه المانويون عندما أثاروا مسائل كالمعاد وهل هو بالجسم ام الروح وقد سمى أنصار مانى بالزنادقة كما يفهم من كلام ابن النديم الا انه استعمل فى معنى الالحاد عموما وأصله فارسى معرب (زاندكر) أى (دهرى) (راجع شفاء الغليل ص 97) .

الخير والشر وامتزج العنصران في صراع عنيف وبينما كان زردشت يرى أن عالمنا عالم خير لغلبة الخير على الشر يبرز ماني شر المزيج فلذلك ترهبن وحرم النكاح استعجالا لفناء النوع البشرى وتزهد ونهى عـن نبـح الحيوان وزعم أنه النبي الذى بشر به عيسى مع إقراره بنبوة زردشت وقد قتله بهرام الاول وشرد اتباعه الذين تركزوا في بابل ثم سمرقند وعد منهم الجعد بن درهم (مؤدب مروان الحمار) وخالد القسرى وصالح بن عبد القدوس وبشار بن برد .

المزدكية : ظهر مزدك في فارس حول سنة 487م وهو من نيسابور (الطبـرى) ثنوى امتـاز بتعاليمـه الاشتراكية والمساواة في المال والنساء لانهما أصل كـل قتال علاوة على تشيعه لفكرة الزهد والقناعة وكاد المذهب يستاصل عام 523م ولكنه استمر طول العهـد الامـوى ويتفق ابو ذر معه في اشتراكية الاموال مستمدا ذلـك من فهمه الخاص للقرآن رغم ما أشار اليه الطبرى مـن ايعاز ابن السوداء لابي ذر بذلك ، وعبد الله بن سبا هذا يهودى اتصل بمزدكية العراق أو اليمـن ، ولاشـك أن النظريات الزردشتية تحتوى على كثير من العناصر التى نجدها في الكتب المنزلة ومعظمها من الاسرائيليات التي تسربت الى الاسلام فكيف استطـاع الايرانيـون وفى ضمنهم زردشت التعرف الى معطيات الديانات السالفة الابراهيمية والموسوية ؟ ومعلوم أن سيدنا موسى عاش حوالي الرابع عشر قبل المسيح (12) وتلاه سيدنا داوود الذى نزلت عليه الزبور وأسس بيت المقدس في القرن العاشـر (1010 ــ 97ق.م.) ثم سليمـان (973 ــ 930ق.م.) الذى كان لحكمته وفلسفته الروحية اثر قوي في الشرق كله وله صحائف وشروح للتوراة ومنها الامثال والمزامير ويذكر التاريخ أن غزاة ساميين انحدروا حوالي (3000ق.م.) من تخوم سوريا والجزيرة العربية فاسسوا مملكة الكلدان وعاصمتها بابل واميرها السادس حمورابى (1800 ق.م.) صاحب المجموعة القانونية في الاحوال الشخصية وكانت القوافل الكلدانية تصل الاسطول الكلدانى فى الخليج الفارسى بأساطيل شعـوب المتوسط ومنهـا العبرانيون وتتجه من الصحارى الى مدن دجلة والفرات وفى عام (250 ق.م) اكتسح الاشوريون الذين عاشوا شمالي العراق وخضعوا لبابل ــ مجموع الشرق الادنى طوال ستة قرون وبلغت مملكتهم أوجها في القرن السابع ق.م. في عهد أشور بانبيال (669 ــ 626 ق.م.) الذى اكتسح مصر وبلاد الكلدان وكنس الاسلاب في عاصمته نينوى باسطا نفوذه من هضاب ايران الى الحبشة وحوالي (612 ق.م.) تكتلأهل بابل ومـاذى (شعب ايـران) واسترجعت بابل نفوذها وبذخها وملكها الامير نبوختنصر الثاني الاكبر (605 ــ 562 ق.م.) غير أن الفرس ما لبثوا ان غزوا بامرة ملكهم كورش هذه البلاد أواخر القـرن السادس فانهارت الملكة البابلية (539 ق.م.) وقد عثر على مكتبة أشور بانبيال الحافلة بآلاف الـواح الآجـر المكتوبة ونبوختنصر هذا هو الذى احتل بيت المقـدس ونقل أهلها أسـارى الى بابـل حتى حررهـم كورش المذكـور فتـم الاتصـال مـن جديد بيـن الايرانييـن والعبرانيين .

وقد فتح المسلمون العراق وفارس فتوطدت صلتهم بالنصارى والمزدكية والزردشتية كما انبثق غزوهم للشام عن معطيات جديدة هـي من رواسب الحضـارات التي تعاقبت على البلاد من فينيقية وعمورية وكنعانية ومصرية ويونانية ورومانية ، ثم اكتمل هذا المزيج بتراث مصـر المتبلور في الاسكندرية مجمع المذاهب الفلسفية والطوائف الدينية وملتقى النظريات الشرقية والغربية وتعززت هذه المجموعة بأشتات من المؤثرات الرومانية كانت قد تسربت الى اقصى المغرب .

وبعد فتوح السند وبخارى وخوارزم وسمرقنـد أي منذ القرن الاول للهجرة انصهرت هذه العناصـر في بوتقة جديدة مزجت المعطيات الاجتماعية والعقلية والدينية لاسيما وأن الحكمة كانت ضالة المومـن يلتقطهـا حيث وجدها وخاصة بعدما وحد الدين الجديد بين شعـوب مختلفة أصبحت وجهاتها متناسقة تحت راية الاسلام فامست جزيرة العرب جزيرة المسلمين وامسى سكـان بعض المراكز الجديدة كالكوفة يتكونون في اغلبهـم مـن الموالى .

---

12) تشير المصادر الغربيـــة الى أن بنى اسرائيـل خرجوا من مصر الى صحراء سيناء حوالى 1400 أو 1200 ق. م. حيث جمعهم سيدنا موسى وقادهم الى تخـــوم ارض كنعان وهى الارض الموعودة فنزلت الالواح التى تدعو الى وحدانية الله .

ومن العقائد الفارسية التى اقترنت ببعض ما راج فى صدر الاسلام اعتبار الملوك (13) مصطفين من الله للحكم وظله فى الارض وان كان الفارسيون أنفسهم اقتبسوا هذه النظرية فيما يظهر من العبريين الذين نقلوا الى بابل فى القرن السادس قبل الميلاد معطيات الديانة الموسوية وقد نص القرآن على ذلك بقوله : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض الآية » وهذا هو الحق الالهى الذى عرف بأوربا بـ Droit divin وقد تأثر الشيعة ببعض انظار الشعب الساسانى فى ملوكه كما اقتبس الرافضة من الثنوية واشع الفكر الفارسى فى خياله الخصب وروحه الفياضة من خلال قصائد شعراء الفرس الذين عبروا عن خوالج افئدتهم فى أوزان وألفاظ غريبة ومن هؤلاء بنو يسار النسائى (اسماعيل ومحمد وابراهيم) وابو العباس الاعمى وموسى شهوات (وهما من اذر بيجان) وكانوا شعوبيين قد أذكتهم عصبية العجمة ونفحتهم روح الفخر بامجاد الفرس وكان لهذا التأثير صداه فى نفوس شعراء العرب الذين نزلوا بفارس والعراق كالطرماح والكميت وجرير والفرزدق وازدوجت حكم العرب بأمثال الفرس (بالاضافة الى حكمة اليونان (14) وتبلورت كثير من هذه العناصر فى ألحان الغناء (15) ومجالس اللهو الفارسية التى ازدهرت فى المجتمع العربي فصفا الذوق الشعري ورقت حوشيه بالموسيقى المشجية .

وقد تمكنت عناصر عربية قبل الاسلام من الاتصال بفارس كالحارث بن كلدة الثقفى الذى قرأ الطب فى جند يسابور وطب بارض فارس (أخبار الحكماء للقفطي) .

وقد خلفت الدولة الساسانية طوال القرون الاربعة التى استمر فيها حكمها طائفة وافرة من الكتب شاعت فى العهد العباسى حيث برزت ثلة من التراجمة الفرس أشار اليهم ابن النديم (الفهرست ص 244) كعبد الله ابن المقفع (16) (صاحب كتاب تاريخ ملوك الفرس وكليلة ودمنة وسيرة مزدك والتاج وهو سيرة انو شروان والادب الكبير والادب الصغير واليتيمة) وآل نوبخت والحسن بن سهل والبلاذرى وغيرهم وقد ترجم كتاب زرادشت المسمى افستا مع شروحه وينقل عنه حمزة الاصفهاني (الفهرست ص 305) فتسربت العادات الفارسية الى المجتمع العربى ومنها يوم النيروز عيد الفرس ولبس القلنسوة وتنظيم مجالس الشراب والغناء وتغيير السواد بالخضرة في القلانس والاعلام وهو لون كسرى والمجوس (17) والقصص والتوقيعات والامثال .

ومن النقلة ايضا موسى ويوسف ابنا خالد وابو الحسن على ابن زياد التميمى وجبلة بن سالم واسحاق ابن زيد ومحمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردى وزادويه بن هاشويه الاصفهانى ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصفهانى وبهرام بن مردان شاه وعمر بن الفرخان .

اثر المسيحية واليهودية والفلسفة اليونانية فى الفكر الاسلامى

عندما ظهر الاسلام كانت معطيات الفلسفة اليونانية قد تطعمت بآراء الاسكندرانيين الصوفية تحت تأثير النظريات اليهودية والمسيحية وخاصة فيما وراء المادة وكانت المشاكل العقائدية موضوعة على البساط بشكل حاد لفت انظار رجال الفكر فى المجتمع الاسلامى الجديد الذى اضطر الى خوض المعركة مسلحا بالقرآن والحديث

---

13) يلاحظ كثير ممن تعرض للشيعة مدى تاثرهم بالمذاهب الفلسفية والصوفية وكيف ارتبطت الاسماعيلية والتصوف الاسلامي بالنظريات الفارسية (راجع دراسات Ivanov وكوربان Corbin استاذ التصوف في جامعة طهران) .

14) مثل ما ورد في كتاب ابن مسكويه حول نظرية ارسطو في ان الفضيلة وسط بين رذيلتين ونظرية افلاطون في اسس الفضائل الاربعة (الحكمة والعفة والشجاعة والعدل) (راجع احمد أمين : فجر الاسلام)

15) ذكر ابو الفرج في الاغاني (ج 8 ص 149) ان سعيد بن مسجح المكى الاسود نقل غناء الفرس الى غناء العرب واضاف اليها في الشام الحان الروم .

وأكد ابو هلال العسكرى في ديوان المعاني « ان عبد الحميد الكاتب واصله من الانبار (حسب ابن خلكان) ج 1 ص 435) حول الكتابة العربية الى نمط جديد . »

16) نشا ابن المقفع زرادشتيا ولم يسلم الا قبل قتله ببضع سنوات اى عام 142 (او 143 أو 145) .

17) الجهشيارى ـ الوزراء والكتاب (ص 396) .

والمنطق الصحيح ، وقد نشر اليهود والنصارى الثقافة الاجنبية بين العرب قبل الاسلام بقرون حيث أسس الاولون مستعمرات في يثرب وخيبر ووادي القرى واليمن ونشروا تعاليم التوراة فتسربت الى الاسلام باوسع نطاق على يد كعب الاحبار ووهب ابن منبه وكانت اليهودية قد تاثرت بالثقافة اليونانية نظرا لانصياع اليهود لحكم اليونان ثم الرومان فى الاسكندرية وشواطىء المتوسط فامتزجت فى الاسكندرية آراء الروم بآراء الشرق الاقصى واتصل الدين بالفلسفة وتساوق بحث الغربيين بالهام الشرق فكان اليهود حرصين على التوفيق بين الجانبين .

وينقسم التوراة أو الكتاب المقدس Bible الى قسمين : العهد القديم والعهد الجديد فالعهد القديم يشتمل على سفر يوشع فى استيلاء بنى اسرائيل على فلسطين وسفر القضاة والحكام واربعة اسفار للملوك فيها اخبار شمويل وطالوت وداود وسليمان (18) وهو بالعبرانية (19) أما العهد الجديد فهو يحتوى خاصة على الاناجيل الاربعة ولغته هي اليونانية نقل اليها من طرف اثنين وسبعين من التراجمة العبريين ثم نقل الى اللاتينية وعثر على نسخة منه في القرن الرابع الميلادى لا تعترف الكنيسة بغيرها .

ويطلق اليهود التوراة على Pentateuque وهو خمسة أسفار (سفر التكوين أو الخلق وفيه قصص الانبياء الى يوسف ـ والسفر الثانى وهو الخروج أي خروج اليهود من مصر والسفر الثالث سفر اللاويين أي الاحبار وفيه الفرائض والحدود) والسفر الرابع سفر العدد وفيه شرائع واخبار موسى فى التيه وقصة البقرة والسفر الخامس التثنية أي اعادة الناموس Deutéronome (بمعنى تجديد نشر الشرائع المنسوبة الى سيدنا موسى) .

اما التلمود فهو مناقشات مع شروح وقوانين يهودية وأفكار الاحبار فى الف عام فى خصوص العلاقة بين الدين والدنيا وقد بدا جمعه منذ القرن الرابع للميلاد الى نهاية السادس وقسمه الاول : المشنا Michna والثانى الجيمارة ، اما المشنى فقد الفها Juda le Saint يهودا القديس آخر القرن الحادي عشر الميلادي من ستة أقسام و 61 جزءا و 523 فصلا وهي عبارة عن نصوص شرعية وتعاليق على نصوص التوراة منذ البداية الى عام 218م (أي 3978 من التاريخ العبري) (20) ولكنها غمضت مع توالى العصور مما حدا الحبر أشى Rab Achi الى تفسيرها بعد ذلك بثلاثة قرون وسماها Guemara أي التقاليد ، وقد كانت شفاهية يتوارثها الآباء عن الاجداد ، وقد نزل على موسى Décalogue او الوصايا العشر (وهي مدرجة فى جزء الهجرة من مصر فى التوراة وهذه الوصايا أساس الديانة الموسوية وقد

---

18) راجع قصص القرآن ـ لجماعة من العلماء منهم اجاد المولى بك وتقول المصادر المسيحية بأن أنبياء بنى اسرائيل بعد سليمان اثنا عشر منهم يونس الذى ظهر فى نينوى عاصمة اشور فى القرن الثامن قبل الميلاد (القصص ص 226) ومعلوم ان ملك أشور وهو اشور بانيبال بسط نفوذه الى مصر في القرن السابع قبل الميلاد حتى انهارت أشور بين 602 و 609 قبل الميلاد تحت ضربات الماذين والبابليين وقد آمن أهل نينوى بيونس بعد امتحان يسير ولا شك أن تعاليمه أثرت فى الفكر الصوفى الايرانى والبابلى قبل ظهور زردشت ويلاحظ أن أهم أنبياء بنى اسرائيل الذين نقلوا تعاليم موسى الى الآفاق النائية بين ايران وفلسطين عاشوا حوالى القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد أمثال حزقيال بن بوزى معاصر نبوختنصر وباروك وارميا واشعيا وغيرهم ممن لا يندرج فيهم مثل ايلياس (875ـ853 ق. م.).

19) بعضه بالارامية وهى لغة تكلم بها اليهود بعد عودتهم من بابل على اثر اسرهم من طرف نبوختنصر عام 586 قبل الميلاد .

20) التاريخ الميلادى يبدأ عام 754 من تاريخ روما وان كان المسيح ولد عام 749 وتاريخ يوليان سنته 365ر25 في حين أن السنة الحقيقية هي 365ر2419879 فلذلك يستعاض هنا عن تاخر تاريخ يوليوس قيصر (101ـ44 قبل الميلاد) بالغاء ثلاثة اعوام كبيسة في كل اربعة وروسيا تطبق هذه السنة المسماة سنة كريكوار البابا الذى أمر عام 1582 بتدارك عشرة الايام الزائدة بين التاريخين باعتبار يوم 5 اكتوبر 1582 بمثابة 15 منه وما زال الغلط يصل الى يوم كل أربعة آلاف سنة ويزيد تاريخ كريكوار الآن على التاريخ الرومانى بثلاثة عشر يوما .

اضيفت اليها ثلاثة عشر بندا من طرف موسى ابن ميمون (1135 — 1204م) وصادقت عليها معظم البيع وهي المعروفة بـ : Credo de Maïmonide وهي تؤكد مبدأ الايقان بوحدة الله وازليته وانه ليس بجسم وانه الاول والآخر وانه المعبود بحق وحده والايمان بما جاء به الرسل وان تنبؤات موسى حق وانه خير الانبياء وان الشرع هو شرع موسى وانها لن تغير وانه لن ينزل قانون آخر من الله وان الله يعلم ما ظهر وما بطن وانه يجازي المومنين ويعاقب المخالفين لشريعته وان المسيح سيظهر وان البعث حق الخ ..

وفي النصف الثاني للقرن الثامن الميلادي سطا الربانيون ولم يرض كل اليهود بسيطرتهم فتالف حزب أكد أن التلمود ليس من عند الله بل من عند الربانيين وانه ليس بتوراة وهذا الحزب هو حزب الكرايم Karaïm الذين تمسكوا بظاهر الكتاب وهم أشبه بالظاهرية وانتشر هذا المذهب في فارس وما زال اتباعه الى الآن في روسيا ومصر .

والقبالية Kabbale علم سري يبحث في التوراة Pentateuque عن المعنى الباطن لكلام الله وهي تعاليق صوفية باطنية تناقلها اليهود وكان الاحبار يدرسونها شفاهيا في القرن الثالث الميلادي بالكشف عن المفتاح الذي يحل مغالقها وهي تقول بان النفس الخالدة يجب أن تتروحن لاسترجاع قواها الاصلية وتوراة القبالة هو زوهار Zohar أي هو التفسير الباطني للتوراة وقد نسب الى الحبر Rabbi Siméon ben Yohaï وطبع بايطاليا عام 1559 وهو يؤكد ان النفوس خلصت منذ بدء الخلق وان المسيح سيظهر عندما تصفو كل هذه النفوس وفيه وصف للسماوات والجحيم والفلك والتنجيم وعلم فراسة الدماغ phrénologie (دراسة تقسيمات الدماغ حسب قوى النفس) وعرافة الكف chiromancie

وحاول اسحاق لوريا القبالي (المولود عام 1534م) تبسيط الشريعة الموسوية فاثار اضطرابا في الشرق وخاصة ببولونيا ودعا الى مذهب التناسخ (دخول الارواح الطاهرة في الاجسام غير الطاهرة والوصول الى الله بالصوم والورع والحزن) وأكد ان خير ما في الدنيا سعادة قلب طافح بالحب الالهي والخشية ومحبة الناس وزعم أن الصالح يمكنه التاثير على الارادة الالهية كما زعمت ذلك طائفة تسمى Hassidisme أو Piétisme (21) ظهرت في القرن الثامن عشر الميلادي وقالت ان في وسع العبادة في شكل مخصوص أن تؤدي الى الفيض والاشراق بعد اختطاف الحس extase وهي أن يفتح للعابد مجال الاتصال المباشر بالحق فالرجل الصالح هو الصديق Çaddik يمكنه التاثير على ارادة الله وتغيير مجرى الاحداث الطبيعية بالكرامات وهؤلاء هم خصوم الربانيين التلموديين وقد انتشر هذا المذهب في شرق أوربا .

وانبثاق هذه النظريات الجديدة في الفكر اليهودي ربما كان وليد الآراء المستحدثة فيما وراء المادة على اثر انصهار الفلسفة الالهية والتصوف في العصور الوسطى التي امتدت من عام 375م الى سنة 1453م وهو تاريخ انقضاء الحكم البيزنطي بسقوط الاستانة في حكم العثمانيين وبذلك أصبحت الاسرائيليات نفسها مشكوكا في أصالتها حيث تسربت اليها قصص العامة وقد أبرز ابن قتيبة في كتابه المعارف اختلاف رواية وهب بن منبه عن نص التوراة ، الا أن التعاليم اليهودية كان لها — منذ صدر الاسلام — أثر قوي في نظريات بعض الفرق والطوائف الدينية فقد لاحظ ابن الاثير ان أحمد بن أبي دؤاد الداعي الى القول بخلق القرآن قد أخذ ذلك عن بشر المريسي ، وأصله يهودي عن الجهم بن صفوان عن الجعد ابن درهم عن ابان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الاعصم ساحر الرسول عليه السلام والقائل بخلق التوراة ويهود هذه الامة هم الرافضة يبغضون الاسلام كما يبغض اليهود النصرانية . وقد حرقهم علي واقتبسوا من اليهود قولهم بأن الملك في آل داود (مثل قول الشيعة في أبناء علي) وتأخير الجهاد الى خروج المسيح المنتظر وتأخير صلاة المغرب الى اشتباك النجوم وابطال عدة النساء وعدم القول بانطلاق الثلاث واستحلال دم المسلم وتحريف القرآن وانتقاص جبريل (زعم الرافضة غلط جبريل في الوحي بالقرآن لغير علي) وعدم اكل لحم الجزور (العقد الفريد ج 1 ص 269) وقد قال اليهود بأن نسخ التوراة

---

21) Piétisme مذهب بروتستانتي ظهر في القرن السابع عشر وما زال منتشرا بالمانيا الى الآن يدعو الى الزهد والى عدم احتكار الرهبان لشؤون الدين التي هي من حق الجميع .

بداء وتبعهم بعض الشيعة فى نسخ القرآن وكذلك فى الرجعة (عودة الياس من السماء) .

اما النصرانية فقد كان لدى المسيحيين (22) فى القرن الاول والثاني الميلاديين اناجيل كثيرة غير الاناجيل الاربعة المعتمدة وهي أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ثم ارتأت الكنيسة فى اوائل القرن الثانى او اوائل القرن الثالث الميلادى استبعاد الاناجيل غير المعتمدة فحكم ببطلانها .

فمن ذلك أن انجيل متى غير المعتمد يؤكد أن مريم لم تكن زوجة ولا مخطوبة وانما كانت من العذارى اللائى نذرن أنفسهن لخدمة المعبد .

وأما انجيل الابيونيين (وهو انجيل مدون بالارامية لزعيم اسمه أبيون ظل له اتباع الى اواخر القرن الرابع الميلادى) فانه يقر شرائع موسى ويعتبر عيسى هو المسيح المنتظر وينكر الوهيته ويعتبره مجرد بشر رسول مخالفا بذلك ما تؤكده جميع الاناجيل المعتمدة من الوهية المسيح وبنوته وكونه أحد الاقانيم الثلاثة المكونة للاله .

واما انجيل برنابا (القديس الذى هو على الارجح أحد التلاميذ السبعين الذين اختارهم المسيح بجانب الحواريين الاثنى عشر للتبشير بالمسيحية) فقد ورد ذكره منطوقا في القرار الذي أصدره البابا جلاسيوس الاول (492 ــ 496م) وعدد فيه الكتب المنهى عن قراءتها فنكره من بينها وقد عثر أحد مستشارى ملك بروسيا عام 1709 على نسخة من هذا الانجيل مكتوبة بالايطالية وعلى هامشها تعليقات بالعربية وانتقلت هذه النسخة الى مكتبة البلاط الملكى بفيينا ويقر هذا الانجيل الذى نشره الشيخ رشيد رضى أن المسيح ليس الا بشرا رسولا وانه لم يصلب ولكن شبه لهم وأن الله القى شبه المسيح على يهوذا الاسخريوطى (وهو الحوارى الذى خان المسيح فتآمر مع اليهود والرومان للقبض عليه) ويقرر أن المسيح المنتظر الوارد في العهد القديم هو سيدنا محمد عليه السلام ويقرر ان الذبيح هو اسماعيل لا اسحق خلافا لنظرية جمهور اهل السنة (راجع المواهب اللدنية للقسطلاني ج 1 ص 117) .

الا أن فقهاء المسيحيين يقدمون شواهد تقول بأن هذا الانجيل موضوع بقلم بعض المسلمين وخاصة ما ورد من أن آدم عليه السلام رأى سطورا كتبت من نور فيها لا اله الا الله محمد رسول الله .

وقد تسربت النصرانية الى الجزيرة على يد النساطرة في الحيرة واليعاقبة في غسان والشام مع صوامع فى وادى القرى وأهم مركز للنصارى هو نجران يتولى شؤونهم العاقب (متولى الشؤون الداخلية الدنيوية) والرئيس (رئيس الحرب والخارجية) والاسقف وكان بنجران كعبة بنيت على نسق مكة ومن رؤسائها او أساقفتها قس ابن ساعدة الايادى وقد استنجد النصارى بالحبشة بعد استبداد ذى نواس فغزت بلاد العرب عام 522م ثم 525م وهزمت ذانواس وحكمت تهامة وقد أجلى عمر اهل نجران الى العراق وكان القسس يردون أسواق العرب للتبشير مثل الشعراء قس وأمية بن ابى الصلت وعدي بن زيد فادخلوا على العربية الفاظا جديدة (كباسمك اللهم وأما بعد) .

وانقسمت مناطق نفوذ النصرانية عند الفتح فبرز اليعاقبة فى مصر والنوبة والحبشة والنساطرة (23)

---

22) راجع بحثا عنوانه «الاناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين واتفاق بعضها مع ما جاء به القرآن» للدكتور على عبد الواحد وافى مجلة (منبر الاسلام) لسان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية عدد 11 عام 1964 ص 4).

ومعلوم أن أول الاناجيل انجيل متى اما انجيل مرقس فقد حرر بالاغريقية حوالى 65 م وانجيل لوقا حوالى 53 او 56 (ولوقا هو صاحب كتاب اعمال الحواريين المصنف عام 59 والملحق بالعهد Actes des apôtres الجديد) ويمتاز انجيل يوحنا بطابع صوفى باطنى ولعل المذاهب التى انشقت عن دراسة انجيل برنابا هى الاريانيسم Arianisme الذى ينكر صاحبه اريوس Arius (256ـ336 م) وهو قس ولد فى الاسكندرية ـ وحدة جوهر الثالوث المقدس فى المسيحية اى الوهية المسيح كما تولد عن هذا المذهب مذهب آخر هو المذهب المقدونى ومؤسسه هو مقدونيس Macedonius بطرك الاستانة (المتوفى عام 370 م.) القائل بان روح القدس مجرد مخلوق لا اله خلافا لما قرره المجمع الكنسى .

23) اتباع نسطور Nestor بطريق القسطنطينية . ـ الذى ولد فى سوريا (380ـ440 م) ومات فى صحراء ليبيا واشتهر بحكمة نصائحه وقد زعم الشهرستاني انه ظهر في عصر المأمون (فجر الاسلام) .

(الموصل والعراق وفارس) والملكانية فى المغرب وصقلية والاندلس والشام ، ومعلوم ان اليعاقبة يعتقدون أن المسيح هو الله اتحدا فى طبيعة واحدة هي المسيح بينما دعت الفرقتان الاخريان الى فكرة ازدواجية الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية فى المسيح ، وقد اختلفت هذه الطوائف أيضا فى قضايا شتى فتساءلت هل سينزل المسيح قبل قيام الساعة ؟ وهل ستحشر الارواح أم الابدان أم هما معا ؟ وهل صفات الله زائدة عن ذاته أم هما شيء واحد ؟ وقد قال بعض النساطرة بالقدر خيره وشره وكل ذلك اثار جدلا بين علماء الاسلام (24) .

وقد امتازت المملكة الاسلامية فى القرون الوسطى عن أوربا النصرانية بتوافر معتنقى الاديان غير الاسلام فيها واستقلال الكنائس والبيع عن الحكومة الاسلامية (25) وانفراد هذه بالتسامح بينما كانت بيزانس تعاقب من أسلم بالقتل ، وكذلك التزوج بالكتابيات وقد قرر الحنفية قتل المسلم بالذمي استنادا الى رأي الصحابة وفيهم عثمان وعلي في اقادة عبيد الله بن عمر قاتل جفينة النصرانى وبنت أبى لؤلؤة والهرمزان واشترط الشافعى لاسلام وقد استعان الرسول عليه السلام فى خيبر بيهود قينقاع وفى حنين بصفوان بن أمية ضد المشركين (الام للشافعى ج 4 ص 177) وقد بلغ عدد اليهود عام 560هـ حسب الرحالة بنيامين نحو 300 الف (معجم البلدان مادة يهودية) وقد قال قوم بان التوراة بدلت وغيرت (ابن حزم) وذهب بعض أئمة الحديث الى أن التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل (البخاري والرازي مستندين الى الآية : (يحرفون الكلم عن مواضعه) والآية: (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها الخ ..) نظرا لعدم امكان التواطؤ على التغيير وذهبت طائفة الى أنه زيد فيها وغيرت الفاظ يسيرة (ابن تيمية فى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لزيادة اسحاق في آية الذبح بالتوراة .

وفى خصوص الانجيل ذهب ابن حزم وابن تيمية الى عدم الاعتراف بالانجيل الذي بين ايدينا وذكر كولد زيهر ان الحديث « ادوا اليهم حقهم وسلوا الله حقكم » أخذ مما ورد فى انجيل متى : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ، وكما وافق الاسلام النصرانية فى الامعان فى تفضيل الفقراء على الاغنياء واخذ جهم بن صفوان برأي آباء الكنيسة اليونانية بانكار ابدية عذاب النار فقال بان الجنة والنار تفنيان ويفنى اهلهما (الفصل فى الملل والنحل لابن حزم وضحى الاسلام لأحمد أمين) .

وذكر فون كريمر بان المعتزلة نشأت من النصرانية نظرا لنصرانية مسائل كالقدر والجدل في صفات الله والواقع أن القرآن والحديث وتأويلهما هما مصدر الاختلاف .

وفى العصر العباسى استمر الجدل مع النصارى كرسالة الجاحظ « فى الرد على النصارى » وما يثيرونه من شبهات ومن شعراء النصرانية فى العربية الاخطل فى العهد الاموى وأبو قابوس فى العصر العباسى .

وكانت الاديار منبعا للزهد ياوي اليها بعض زهاد المسلمين كما كانت محط الخلعين من الشعراء . ونشأت حولها الحانات ويروي ابن تيمية أن اتخاذ المسلمين القبور مساجد كان تقليدا لليهود والنصارى .

وقد أثر الاسلام فى النصرانية فظهر فى القرن الثامن الميلادى (الثانى والثالث الهجريين) جنوب غربي فرنسا انكار الاعتراف أمام القسس والدعوة الى التوجه لله (خدا بخش) وحركة تدعو الى تحطيم الصور والتماثيل (أمر الامبراطور الرومانى ليو الثالث عام 726م بتحريم تقديس التماثيل واكده قسطنطين الخامس وليو الرابع ويقولون ان كلوديوس Claudius أسقف تورين (828م – 213هـ) الداعى الى احراق الصلبان ولد وربي بالاندلس المسلمة وظهرت طائفة نصرانية قربت عقيدة الثالوث من الوحدانية وأنكرت الوهية المسيح .

وقد حملت النصرانية شيئا من الثقافة اليونانية لان كثيرا من آباء الكنيسة كانوا فلاسفة قبل أن يكونوا رجال دين نظرا لاضطرارهم الى مقارعة آراء الوثنيين بالمنطق فتسربت الى النصرانية فلسفة أرسطو وأفلاطون وقد انشئت مدارس لاهوتية مثل مدرسة الاسكندرية

---

24) حتى قبل الاسلام شاهدنا امثال النضر بن الحارث بن كلدة ابن خالة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل كابيه الى الخارج ويعاشر الاحبار ويتعرف الى الفلسفة والحكمة (طبقاء الاطباء لابن أبى أصيبعة)

25) كتاب متز « نهضة الاسلام» – ترجمة خدابخش من الالمانية الى الانجليزية (ضحى الاسلام ج 1 ص 340) .

(فى بدء القرن الثالث) ومدرسة انطاكية التى انشأها مليكيون عام 370م ومدرسة نصيبين عام 297م (وكانت تعلم السريانية واليونانية) .

ومهر النساطرة فى علوم اليونان فترجموا الى السريانية اللاهوت والفلسفة الى جانب الطب والعلوم الطبيعية وصاروا أطباء فى فارس والحيرة ومن ثم كانت البصرة والكوفة مركزين للعلم فى الاسلام .

الفلسفة اليونانية : وكان لمذهب الافلاطونية الحديثة الذى تسربت آراؤه الى مدرسة الاسكندرية أثر قوي فى تكييف الفلسفة الاسلامية ونظريات المسلمين فى علم الكلام والتصوف وقد بدأ ذلك فى القرن الثالث الميلادى على يد مؤسس مدرسة الافلاطونية الحديثة الفيلسوف أمونيوس سكاس Ammonius Saccas شيخ أفلوطين وأوريجين Origène ولونجان Longin وبعد ان انتقل من النصرانية الى الدين اليونانى القديم صار يوفق بين أفلاطون وأرسطو ومات عام 242م وولد أفلوطين سنة 205م في أسيوط Licopolis ورحل الى فارس فى اعقاب جيش كورديان Gordien مشاركا فى معركة سابور بعد أن اتصل زهاء العشر سنوات بامونيوس وعمره 28 سنة فتعرف الى علوم الفرس والهند ثم توجه الى رومة (245م) حيث أسس بها مدرسة (26) للفلسفة ومات عام 270م وقد ألف التاسوعات Ennéades حيث حاول مزج معطيات الفلسفة القديمة بما اقتبسه من المسيحية وذلك باضافة فكرة الوجود الالهي الى نظرية الرواقيين الدهرية متأثرا من بعض النواحى بنظرية الثالوث المسيحى وهو يقول بأن العالم متغير له مظاهر شتى لم يوجد بنفسه وانما له خالق واحد غير متعدد لا تدركه العقول والابصار أزلى أبدى واجب الوجود لا يحده مكان ولا يحل فى احد من خلقه ليس ذاتا ولا صفة ، ومبادىء أخرى كانت محور الجدل بين علماء الكلام والصوفية بعدما أثارت مناظرات طويلة منذ العصور الاولى فى فروع المدرسة الافلوطينية بالشام وأثينة ثم انحدر هذا المذهب متأثرا بالنزاعات الوثنية اليونانية وخوارق المغيبات والسحر والطلاسم وسر الاسماء .

ومعلوم ان الافلاطونية الحديثة استمدت من أفلاطون وأرسطو والرواقيين معا وعرفت بروحانيتها وقد استغرق أفلوطين فى فكرة الوحدانية أو الفناء فى الالوهية مرارا فى حياته وأدرك هذه الظاهرة فورفوريوس مرة واحدة وقد ساد هذا المذهب في المملكة الرومانية نحو قرنين ونصف قرن حتى أمر جستنيان عام 529م باغلاق مدارس أثينة واستمر نشاط مدرسة الاسكندرية من 300 ق.م الى 642 ب.م رغم غزو الرومان لمصر عام 30م وقد اتصلت اليهودية بالفلسفة فى هذه المدرسة على يد فيلون والنصرانية عن طريق كليمان Clément (ولد عام 150 وعائلته وثنية فى أثينا) فمزج النصرانية بالافلاطونية ثم عن طريق أوريجين (185 – 254م) تلميذ أفلوطين واضطهد ففر الى قيصرية بفلسطين حيث أنشأ مدرسة كما انشئت مدرسة نصيبين ونقلت الى الرها فاتسمت بالطابع الاسكندرى وقد توقف الفلاسفة فى بنوة عيسى لله لان الله فى نظرهم هو العلة الاولى لا يلحقه تغير فكيف يكون أبا .

وقد نشط فى هذا المجال النساطرة فى آسيا عن طريق السريانية واليعاقبة فى مصر وكانت لغتهم السريانية والقبطية وقد غلب على اليعاقبة مذهب الافلاطونية الحديثة والتصوف والرهبنة بينما مال النساطرة الى التفكير الفلسفى دون ايغال فى الروحانية رغم انتشار اديارهم .

ومن تلامذة المدرسة الاسكندرانية فى القصر العباسي بليطيان بطريق الاسكندرية فى عهد المنصور وان كان علماء هذه المدرسة لم يتصلوا بالعباسيين لبعد ديارهم وانغماسهم فى الطلاسم والعزائم والسحر والرهبنة والمكاشفة وتمسك مدارس العراق بعلوم الدنيا .

وقد لعب السريانيون دورا هاما فى نشر الفلسفة اليونانية فى العراق ، وفارس وخاصة فى الرها Edessa ونصيبين وجنديسابور ومدينة حران التى بقيت الى عهد المأمون تلقن المعارف الافلاطونية تحت شعار الصابئة وقد اعتمد العرب على كثير مما ترجم من اليونانية الى السريانية (27) وخاصة ما فقد أصله وقد

---

26) تعرف هذه المدرسة عند العرب بمدرسة الاسكندرانيين ويعرف افلوطين عند الشهرستاني بالشيخ اليوناني .

27) ترجموا كذلك من الفهلوية تاريخ الاسكندر المنقول عن اليونانية وكليلة ودمنة والسندباد ..

ظل السريانيون أمناء فى الترجمة عدا الالهيات التى طبعوها بميسم المسيحية فجعلوا مثلا من افلوطين راهبا شرقيا (احمد امين) ومن أشهر السريانيين ابن ديصان Barbaison المتوفى عام 222م الذى مزج مثلا ما فى الثنوية بالنصرانية وانكر بعث الاجسام وقلده الرافضة فى بعض اقواله كأبى شاكر الديصانى وفى العصر الاموى ترجم يعقوب الرهاوى (640 ـ 708م) بعض الكتب الالهية اليونانية ثم عربت كتب فى الفلسفة والعلوم فى العصر العباسى بواسطة سريانيين أمثال حنين بن اسحاق وابنه اسحق وابن أخته جيش فوجد الصوفية وعلماء الكلام مادة وافرة لتطعيم نظرياتهم بهذه الآراء الدخيلة على الفكر الاسلامى وان كانت معظمها متأثرا بالفكر المسيحي الذى احتفظ فى خصوص الفلسفة الالهية بشيء غير قليل من مبادىء الانجيل الرامز الى الكتب المنزلة فى وحدة التشريع العقائدى (شرع لكم من الدين الآية) .

ولا يمكن الفصل بين أصول نظريات الصوفية ونظريات المتكلمين فى كثير من القضايا ، فالقدرية (28) قد عرضت لمسألة الجبر والاختيار التى كانت موضوع نقاش طويل فى مختلف المدارس الفلسفية التى تساءلت عن مدى حرية الارادة الانسانية ومدى مسئولية الانسان تبعا لذلك وقد سبق للزردشتيين أن جعلوا من هذه القضية محور عقيدتهم كما اهتم بها النصارى فهل انبعثت هذه الحركة من العراق حول الحسن البصرى أم من الشام حول الحاشية النصرانية فى بلاط الامويين من أمثال يحيى الدمشقى ؟ ومهما يكن المنبع الاصلى فان الخائضين في الاعتزال حسب ابن تيمية انتشروا في البصرة والشام وكانوا قليلين فى المدينة .

ومن الجبرية جهم بن صفوان الخراسانى (قتل عام 128هـ) أمام الجهمية القائلين بالجبر وعدم القدرة والاختيار عند الانسان ونفى الصفات والاعتزال (الذى ترجع تسميته اما الى اعتزال موليين هما واصل ابن عطاء وصديقه بن عبيد مجلس الحسن البصرى واما الى اعتزال صاحب الكبيرة عن الكفار والمومنين معا فى منزلة بين المنزلتين) قد ظهر في الحقيقة قبل ظهور مدرسة الحسن البصرى بمائة عام (29) فاطلق على من لم يخض فى وقعة صفين .

وتتلخص تعاليم المعتزلة فى القول بالمنزلة بين المنزلتين والقدر أي خلق الانسان أفعاله ونفى الصفات الزائدة عن الذات وتحكيم العقل فى التحسين والتقبيح والوعد والوعيد غير أنهم يرون أيضا أن العلم ظاهر وباطن وان عليا اخذ بكلتيهما وراثة نبوية وقد استعان بالفلسفة اليونانية من رجال الاعتزال أبو الهذيل العلاف والنظام والجاحظ فوضعوا علم الكلام وتسلحوا بالمنطق اليوناني لدحض آراء الدهرية والوثنيين وكان لانظارهم بعض الاثر فى تكييف الفكر الصوفى بعد القرون الثلاثة الاولى التى اتسم التصوف الاسلامى غب انصرامها بطابع غير أصيل .

فالاسماعيلية (30) مثلا (التى تصل بالامامة الى اسماعيل بن جعفر الصادق) قد اقتبست من الافلاطونية الحديثة تأثرت بنظرية اخوان الصفا الفلسفية كما حكمت المنطق المتزمت في فهم أسرار بعض الشعائر كالرمي والسعي فأثارت الريب فى النفوس وحادت عن اطار الاسلام فاعتبرت الوحي رمزا الى صفاء النفس وحصرت أركان الدين فى العامة محللة الخاصة من قيودها وجعلت الانبياء من حظ الاولين والفلاسفة من رواد الطبقة الراقية وأوغلت فى تاويل النصوص على طريق المجاز فوسمت بالباطنية وفتحت فى مسالك التصوف منافذ خفية اندرجت منها بعض آراء اليهودية والنصرانية والهندية والزرادشتية والمزدكية فشاعت نظرية اتحاد اللاهوت بالناسوت فى ذات الامام وفكرة تناسخ الارواح والاتحاد والحلول .

أما غلاة الشيعة فقد الهوا عليا فقال بعضهم « حل فى علي جزء الهي واتحد بجسده فيه وبه كان يعلم الغيب . وأول من دعا الى تاليه علي عبد الله بن سبأ اليهودى

---

28) القائلون بان للانسان قدرة على أعماله اى كامل الحرية غير مجبور ومن قادتهم معبد الجهنى الذى قال عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال بانه تابعى صدوق لكنه سن سنة سيئة فكان أول من تكلم فى القدر وقتله الحجاج ـ ومنهم أيضا غيلان الدمشقي وقد سمى المعتزلة بالقدرية وسموا كذلك بالجهمية لاتحادهم فى نفى الصفات وخلق القرآن .

29) فجر الاسلام ص 290 .

30) للفكرة الصوفية علاقة وثيقة بالتشيع .

وأشهر تعاليمه الوصاية (أى وصية الرسول صلى الله عليه وسلم الصريحة بخلافته من بعده) والرجعة وقد دعا ابن السوداء الى القول برجعة الرسول عليه السلام ثم تحول الى الدعوة لرجوع علي ويروى عنه قوله – حسب ابن حزم – بعد وفاة علي : « لو اتيتمونا بدماغه ألف مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا » واصل الفكرة اسرائيلى لان اليهود يعتقدون أن الياس صعد الى السماء وسيرجع الى الارض لاقرار الدين والتشريع من جديد وقد تأثرت النصرانية بذلك فى القرون الاولى فادعت عودة المسيح وانبثقت عن هاته النظرية عقيدة اختفاء الايمة عند الشيعة وقد لعب غلاة العراق دورا هاما فى بلورة هذه المزاعم .

واذا كان هناك شيعة معتدلـون كالزيديـة (31) المنتشرون فى اليمن فالامامية القائلة بالامـام المنتظـر تفترق الى طوائف تدين بعقائد شاذة ومنهم الاثنا عشرية السائدة فى ايران .

انصهرت فى المملكة الاسلامية عناصر شتى فيها السندى الذى له طبيعـة فى الصرف والعقاقيـر (32) والصينى الذى امتاز بالصناعة والتصاوير والزنوج وهم أحسن أهل الارض حلوقا (33) والهنود الذين اشتهروا بالحساب والنجـوم والطب والصناعـة ، والفـرس ذوو السياسة والدواوين ، والاتراك المشبعون بروح الحرب والنضال ، علاوة على أشتات ممن تلقوا ثقافة يونانية من السريان الذين مهروا فى التعليلات المنطقية وتعزز هذا الانصهار بالتوالى بين الاجناس فى البوطقة العربية فتفاعلت الامزجة والطبائع بالاضافة الى تأثيـر الموالى الرقيق .

وقد أمر عثمان بن عفان عامله فى العراق عبد الله ابن عامر بن كريز أن يوجه شخصا له علم بثغر الهند فبعث حكيما بن جبلة العبدى فلما ذكر لعثمان عنها لم يغزها أحدا وقد وجه الحجاج محمد بن القاسم الثقفى الى الهند ففتح السند عام 91هـ وما سمي اليوم بحيدر أباد وكان ابن القاسم شابا لم يتجاوز العشرين عاما وقد انتشر السبي السندى فى المملكة الاسلامية وولى أبـو جعفر المنصور هشام بن عمرو التغلبى عليها عام 147 ففتح كابل وكشمير وشارك فى الفتوح علماء أمثال الربيع ابن صبيح البصري أول مدوني الحديث صاحب الجيش الذى سيره المهدى عام 159 لغزو الهند فمات بها وقد ترجم الذهبى فى تذكرته لبعض المحدثين فى السند (ج 2 ص 65 – 257) ومن الشعراء السنديين أبو عطاء السندى ومن اللغويين ابن الاعرابى (أبو زياد عبد سندى) أستاذ ثعلب وابن السكيت ومن المحدثين الهنديين أبو معشر نجيح صاحب المغازى سمع نافعا ونفرا من التابعين .

وقد أثر الهنود فى الثقافة الاسلامية على اثر اتصال المسلمين بهم بواسطة التجارة ثم عـن طريـق الثقافـة الفارسية التى نقلت الى العربية وفى ضمنها جزء مـن الثقافة الهندية وقد اعتبر المسلمون الهنود احدى الأمم الأربع الممتازة وهم الفرس والهند والروم والصين وأهم تأثير الهند فى الالهيات وقد امتازت الفلسفـة الهنديـة بامتزاجها بالدين واصطباغها بالشعر والخيال فى حين اتسمت الفلسفة اليونانية بالمنهج العلمى المرتكـز على الحقائق لا المجاز وقد هدفت الاولى الى خدمة الانسان بينما كانت غاية الثانية المعرفة للمعرفة (34) .

وقد وصف البيرونى عقائد الهند فى القرن الرابع لضلاعته بالسنسكريتية فى « تحقيق ما للهند من مقولـة مقبولة فى العقل أو مرذولة » (طبع فى ليبسك) فابرز توافق عقيدة الخاصة مع العقيدة الاسلاميـة فقـال : « واعتقاد الهند فى الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلى من غير ابتداء ولا انتهاء المختار فى فعله القادر الحكيم الحي المحيى المدبر المبقى الفرد فى ملكوته عن الاضداد

31) أتباع زيد بن على بن الحسن تلميذ واصل بـن عطاء امام المعتزلة ، وهم يرون جواز امامة المفضول مع وجود الافضل ولا يقولون بالجزء الالهى فى علي وقـد خرج زيد على هشام بن عبد الملك فصلبه عام 121 هـ. وكذلك ولده يحيى عام 125 هـ.

32) الحيوان للجاحظ ج 3 ص 134 .

33) رسائل الجاحظ ص 63

34) راجع فجر الاسلام لاحمد امين

والانداد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء » (تحقيق ما للهند ص 13) وقد قارن بين هذه العقائد والنزعات لصوفية والافلاطونية الحديثة والمسيحية .

ومن الآراء الهندية التى أثرت فى الاسلام نظرية تناسخ الأرواح القائلة بأن الروح لا تفنى بل تنتقل من بدن الى بدن وقد ربطوا الثواب والعقاب والجنة والنار بنظرية التناسخ فالأرواح الشريرة تتردد في النبات والهوام وقد قال فيتا غورس بالتناسخ واخذها عنه افلاطون ودحض رأيهما أرسطو وأكد البيرونى أن مانى نفي من فارس فهاجر الى الهند واستمد منه التناسخ وممن أخذ فى الاسلام بهذا المذهب احمد بن حائط (معتزلى تبرأ المعتزلة منه) وأبو مسلم الخراسانى والقرامطة ومحمد بن زكرياء الرازى وقبلهم السبئية الذين قالوا بتناسخ الجزء الالهى فى الأيمة بعد علي وهذه النظرية تؤدى الى مذهب الحلول باتحاد العقل والعاقل والمعقول ، ومن الفرق القائلة فى الهند بالتناسخ مذهب السمينية (نسبة الى الصنم سومنات الذي أحرقه السلطان محمود بن سبكتكين عام 416 حسبما عند الجزرى فى تاريخه) اعداء البراهمة والذين نشروا دينهم في خراسان وفارس والعراق والموصل الى ظهور زرادشت (ما للهند من مقولة ص 10) وقد ناقش علماء الاسلام هؤلاء السمنيين فى نظرية المعرفة لقولهم بأن المعرفة لا تحصل الا من باب الحواس وقد سبقوا فى ذلك لوك John Locke (1632-1704) صاحب كتاب محاولة لدراسة الفكر الانسانى L'essai sur l'entendement humain والقائل بأن مصدر العلم التجربة أي الحس المقرون بالتفكير وهم يعارضون فى ذلك نظرية العقليين les rationnalistes (مثل كانت) Kant

وقد اخذ المسلمون عن الهنود حكمهم الشبيهة بالأمثال العربية ومن عادات الهنود تحريم قتل الحيوان وقد يكون ذلك هو الذى اثر فى ابى العلاء فحرم على نفسه اللحم .

نماذج من التصوف الهندي والياباني (Zen, Yoga)

اليوكا معناه الاتحاد أي اندماج الفرد فى انيته الحق مما يؤدى الى انصهار الضمير الفردى فى الضمير العالمى وبذلك تذوب الانية الخاصة فى الكائن العام

وهنالك نوع من الاتحاد يعرف بـ : Halta Yoga أي الاتحاد الجبرى وهو يرتكز على مناهج نفسانية ويرجع تاريخه الى الف عام ولا يزال فى شكله الاصيل وتقوم الآن معاهد رسمية Gourous فى الهند بتدريب المريدين على أساليب يوكا .

الدرجات الثمانية فى يوكا :

أولا وثانيا : الامساك ورعاية القوانين (مثل عدم العنف والعفاف والخلوة وتقنين الأكل)

ثالثا : الأوضاع والجلسات (تقارن مع الأوضاع فى الصلوات فى الاسلام)

رابعا : التنفس المراقب Respiration contrôlée

خامسا وسادسا : حبس الحواس inhibition وجمع الهمة concentration

سابعا : التفكير

ثامنا : الصمتى أو انمماج الروح فى النفس الحيوى الفردى Atma فهنالك أربعة وثمانون وضعا أي جلسة يتخذها الجسم كما هنالك عمليات تصفية من بينها تخلية الجهاز الهضمى ويبتدىء بتصفية المعدة بادخال ساق قصبة في البلعوم œsophage أي المريء وهو انبوب المعدة ، ثم نزعه منها أو بابتلاع اكثر ما يمكن من الماء الدافىء ثم قيئه باستفراغ المعدة وأخيرا بابتلاع قطعة من النسيج عرضها عشرة سنتمترات وطولها سبعة امتار ثم انتزاعها .

وهناك عملية تسمى dhouti تطهر الجسم من الأدناس وهي تتلخص فى تقليص سعة الفم وانتشاق الهواء بامتلاء تدريجى للمعدة ثم تحريك الهواء داخلها ولفظه من اسفل ومن خواص هذه الطريقة أنها تستأصل الأمراض — فى زعمهم — وتنمى حرارة المعدة وتوجد طريقة ثانية فى عملية دوتى تستهدف ملء الفم بالماء الى الحلقوم ثم ابتلاعه ببطء وتحريكه داخل المعدة والضغط عليه الخروج من المعي المستقيم rectum وينتج عن ذلك استنارة ولمعان فى الجثمان .

أما التطهير بواسطة النار agnisara فقوامه الضغط على عقدة السرة أو على الأمعاء تجاه سلسلة الفقار نحوا من مائة مرة .

القدرة على رفع الجثمان بمجرد الارادة

Khecari mudra وذلك بقطع الطرف الأسفل لعضلة اللسان واجتذاب هذا الى الخارج بواسطة آلة من حديد الى أن يصل الى ما بين الحاجبين ثم ثنيه حتى يمس الحنك في أعلى باطن الفم ومنه الى سمام المنخرين (أي فتحتهما) المؤدي الى الفم واذا ما استطاع المريد اغلاق هذه الفتحات بلسانه أمكنه ايقاف التنفس وبفضل هذه العملية يحصل المريد على مناعة تقيه الاغماء وتجعله فى معزل عن الشعور بالجوع والعطش والكسل بل حتى عن تحمل المرض والهرم والموت فى زعمهم ويصبح الجثمان موسوما بطابع لاهوتى .

وهذه الطريقة تعرف عندهم غالبا بـ Roi des Mudras ويستطيع الانسان أن يحقق بها فى نظرهم هدفا آخر يستند الى الاعتقاد بأن الطاقة الحيوية لدى الانسان مركزة فى السائل البذرى وهو المنى المحفوظ فى تجويفات الجمجمة والذى يعتبر اثمن مادة فى الجسم بل أكسير الحياة .

وبايقاف حركة جهاز التنفس يتقي الانسان ضياع هذا السائل الذى ينحدر عادة الى أسفل الجسم فيعاد الى الأعلى عن طريق اللسان .

القوة الثعبانية force serpentine

والغاية القصوى من عملية هاطايوكا Hata Yoga هي ايقاظ القوة الحيوية الغافية الوسنانة عند الانسان فى قاعدة عموده الفقرى فى شكل حية مكورة ملفوفة حول نفسها تسمى بكوندالينى Kundalini فاذا ما أوقظت هذه الحية فانها تجبر على الصعود فى مسرب ضيق من النخاع الشوكى مارة بشتى المراحل الى ان تصل الى قمة الدماغ فتتحد رمزيا ـ فى زعمهم ـ مع سيفا Siva احد أصنام الأساطير الهندية وهو زوجها وتعود الحية الانثى بعد ذلك الى مقرها الأول واذا ما أصبح هذا الازدواج مستديما قارا فان المريد Yogui (اليوكى) يتحرر ويختطف عن حسه فى ذهول نهائى extase finale

وتمر الحية بست مراحل أو مراكز Chakras توجد :

أولاها فى قاعدة نخاع الظهر
وثانيتها فوق الأعضاء التناسلية
وثالثتها قرب السرة
ورابعتها على مقربة من القلب
وخامستها قرب الجيد أي مقدم العنق
وسادستها بين الحاجبين
اما السابعة فانها تقع فى أعلى الدماغ ضمن طبقة خاصة .

وكل مركز يتحلى بسعف أو زهرة سدر lotus أو نيلوفر أبيض له عدة تويجيات pétales (أوراق الزهرة) وعددها ست عشرة فى الأسفل وألف فى قمة الدماغ وكل مركز حيوانه الرمزي بحيث يستقر الصنم سيفا فى اسمى المراكز بين الحاجبين ـ ويحق أن نتساءل منا عن الغاية التى ينتجعها المريدون الهنود بأعمالهم هذه والتى يمكن أن نلخصها فى ثلاثة عناصر :

1) علاج خلل الروح والجسم وايجاد حالة من السعادة الكاملة ماديا ومعنويا (ويتصل هذا العنصر بالطب عند الهنود) .

2) الحصول على قوة خارقة للعادة تسمى Siddhis وهي الكرامات وذلك بواسطة مراقبة الطاقات الخفية فى الجسم .

3) الوصول الى الاتحاد الصوفى Union mystique أي الانصهار فى ذات الحق بالحلول أو الاتحاد معها (يقارن هذا بما عرف فى التصوف الاسلامى) ويتحدث الأدب المعاصر عن ثمانية أنواع من هذه الكرامات الهندية :

1) تقليص الذات الى حجم الذرة anima
2) تضخم الذات فى الفضاء machima
3) الخفة والارتفاع عن سطح الأرض laghima
4) القدرة على الوصول الى كل النقط الممكنة حتى الى القمر
5) سيطرة الارادة prakamya
6) القدرة على الخلق والابداع sithava
7) المراقبة الذاتية والمناعة ازاء التاثيرا الخارجية vashitva
8) استئصال جميع الشهوات والحاجيات الجسمانية ويضيفون الى ذلك القدرة على الاختفاء

مدى صحة هذه الخوارق :

قام الصحافى الفرنسى (Arthur Koestler برحلة الى الهند وزار معاهد المتصوفة هناك وحدثنا عما

شاهـده فى كتاب صـدر عـام 1961 بباريس بعنـوان le Lotus et le Robot نلخص أهـم الانتقـادات الواردة فيه :

فمن ذلك ما اكده من ان معاهد يوكا للابحـاث لا تشير الى اية تجربة بخصوص ارتفاع الجسم عن سطح الارض (ص 139) بل ان احدى هذه التجارب فشلت فى بعض هذه المعاهد وقد ذكر ان الحشيش bhang يلعب دورا هاما فى ماطايوكا (ص 142) .

اما التجربة التى تتبلور فى دفن رجل حي داخل حفرة فقد قام معهد لونافلا Lonavla بتحريات فى شانها فتاكد لديه ان الحفرة المستعملة التى تظهر محكمة القفل كانت تتلقى الاوكسجين الطـري وقـد تجلى ذلك بوضوح عن طريق المضخة التى اجتذبت الهواء (ص 142)

وفى خصوص تجربة ايقاف دقات القلب اتضح أن ذلك ممكن بالامساك عن التنفس وتلطيف النبضات وهي الطريقة العلمية المستخدمـة فى المصحـات والمسمـاة فالسالفا Valsalva وفى أمريكا استطـاع هانسين W. Henssen وعمره أربعة واربعون عاما – التخفيف من سرعة النبض بل ايقافه تماما مدة خمس ثوان .

والمشي على النار ضرب من السحر معروف من قديم حتى خارج الهند ولم تجربه معاهد البحث الهندية اما الطفو فوق الماء فان ماطايوكا تقول بان البطـن اذا امتلأ هواء بحيث يسري هذا الهواء بحرية داخل الجسم فان الجسم يطفو بسهولة كورقة السدر على سطح الماء .

والعفاف عند متصوفة الهند راجع الى اعتقادهـم ان من واجب المريد اليوكى الحفاظ على سائله الحيوى الذى هو اكسير مصفى من الدم يؤدى ضياعه ولو فى الانزال والانسال المشروعين الى اضعاف الجثمان والروح معـا .

التصـوف اليابـانـى Zen

يستند التصوف اليابانى الى مجموعة من العادات والاعراف التى تكيف النفسيـة وتعلل بعض النزعـات الشاذة فالواجب يقضـي بالانصياع المطلـق الى أوامـر الامبراطور بدون قيد ولا شرط ويعتبر هذا الخضوع أول مظهر للفكر الخلقى فى اليابان ويسمى لوشو (Le chu) تليه طاعة الآباء (Le ko)

ففى وسع المرء أن يكذب دون أن يحيد عن جادة الاخلاص والوفاء اذا اختار للكذب منهجا يتلاءم والشكليات اليابانية (ص 270) ومن عوامل الاخلال بالصدق وخلوص النية الايغـال فى الصراحـة فلذلك اعتبروا الغمـوض والتلميح الخفي فضيلة .

ومن لوازم هذا الخلق النفسى الحساسية المتزايدة ازاء المذمة والملام مما يشل كل نقد ادبى أو فنى ويجعل من اليابان جنة الهواة من الشعراء .

أوجه التشابه والخلاف بين متصوفة الهند واليابان :

أ) نقـط التجـانس :

1) ارتكـاز الوضـع الاجتماعـى على الأسـرة والجماعة (سلطة الأب ونفوذ الشيخ)

2) روح المحافظة والتشبث بالتقاليد عند الفرد

3) تساوى الموت والحياة عند الانسان بل ان الموت يعتبر اقرب الى الكائن الجوهرى

4) تصور الحقيقة بالكشف والبديهة اكثر منهـا بالعقل والتجربة .

ب) أوجـه التخالـف :

1) النظام الطبقى متحجر عند الهنود بقدر ما هو مرن فى اليابان حيث الملكية شبه راسمالية وشبه اقطاعية

2) سلطة الأب وشيخ الطريقـة gourou تشكل واجبا اجتماعيا وقانونيا لا يحيـد اليابانى عـن مقتضياته ، فالوالد الهندى قديس والاب اليابانى غريـم يدان له كثيرا والشيخ اليابانى sensei حكيم ملم بلوازم الحياة العصرية .

3) الشكليات والطقوس الاجتماعية غامضة غيـر مضبوطة فى الهند بينما تتسـم فى اليابـان بالتكلـف والصرامة .

4) يتبادل النـاس الهدايـا فى اليابان ويـؤدون تكاليفهم على قدر ما حصلوا من فوائد .

5) وجود تخالف فى خصـوص الحب الجسمانى (العفاف فى الهند وشذوذ جنسى فى اليابان)

6) الانتحار منعدم في الهند بينما يعتبر عند اليابانيين (hara-kiri) عملا فنيا لا يتقنه سوى العارفين به .

7) الهنود يحز فى نفوسهم الم مبرح له صبغـة دينية لا يخشى اليابانيون سوى فقدان سمعتهم ومكانتهم فى الحياة .

8) الاخلاق عند اليابان اشبه بفلسفة الذرائع (pragmatisme) القائلة بانه لا وجود لحقيقة مطلقة وان كل ما نجح هو الحقيقة وهي فلسفة سائدة عند الانجلوسكسون وتعتبر أساس نجاح الفريقين فى الحياة العصرية وهي متشابهة مع الفكر القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة .

9) والاله Kami عند اليابان لا يكاد يسمو الا بقليل عن الانسان الكامل والتصوف اليابانى ليس سوى خزعبلات وجودية (34) بل نسيج من المخاريق المحاطة بهالة من الابهة وللتعبد بهذه المخاريق مغزى رائع عندهم .

ويظهر أن تعاليم التصوف اليابانى (Zen) متجهة كلها ضد التحجير والقهر المفروضين فى قانون السيرة اليابانى ويدعو هذا التصوف الى العودة للطبيعة فيقول : « اذا جعت فكل واذا تعبت فنم كما يعلم الطفل ان يكون تلقائيا أي طبيعيا فى كل شؤونه ويهدف الى القضاء على المراقبة الذاتية بابراز ضرورة السير الى الامام دون حيرة ولا تردد كما يحطم سلطة الاب جاعلا شيخ الطريقة أو الراهب (roshi) مكان الاب .

وقد تسربت هذه الطريقة الصوفية الى اليابان أواخر القرن الثانى عشر الميلادى بعد دخول مذهب كونفوسيوس اليها بخمسة قرون وكذلك الاشكال الاولية للمذهب البوذى وقد كسب هذا المذهب نفوذا واسعا فى كثير من مظاهر الحياة والفن كالرسم وفلاحة الحدائق وتعهد الزهور وحفلات الشاي والمسايفة ورماية القوس وذلك ببعث الثقة في البداهة التلقائية واستئصال التفكير الموغل والاحتراس المفرط غير أن اللجوء الى طقوس صوفية يعتبر أمرا ضروريا ومفتاح هذا الحال هو المعروف عندهم بـ : (satori) وهو ذلك الاشعاع الكشفى المفاجيء الذى يثير الانتباه أو الاشراق عندما يتحقق الانفصال بين الأنا الفعال والأنا الملاحظ فينبثق الفعل والعمل بدون جهد آليا فى حالة من الرهبة والفزع ولهذا يكون الساطورى عبارة عن فكرة مطاطة تهدف الى تحرير الفرد من التعقيدات الذهنية والقيود الخلقية فالتعرف الى هذا الحال هو الشعور باللاشعور .

والتصرف اليابانى هو وان كان متفرعا عن التصوف الصينى Yoga ويستعمل المصطلحات السنكريتية فانه يتجه الى منحى معكوس فالصمدى عند اليابانيين (samadhi) هو استغراق الكائن الواعى فى سبات عميق هو الفناء nirvâna وفى هذه السكرة من الكشف الفياض ينغمر اليوكى ضمن اللا شعور العالمى فيسعى للصعود من الاعماق الى السطح فالصمدى هو اذن السبات العميق والساطورى هو الاستيقاظ من هذه الغمرة .

ومن أهداف التصوف اليابانى ايقاع الفكر المنطقى المتعقل فى خلل واضطراب على أن ما يتسم به هذا التصوف من مظاهر التفكير والاستغراق الذهنى ليس سوى عملية خالية من كل روح اذ لا وجود فى نظر المتصوفة اليابانيين لا لاله ولا للاخلاق ولا لأي مذهب ولا تعاليم وانما هو ترداد آلى لنفس الشيء الى أن يتحقق نوع من السبات المغنطيسى فالتأمل — ان كان هنالك تأمل — لا يقصد منه انبثاق الروح في طفرة خارقة الى العالم العلوى وانما هو اداة لتخبيل العقل وحمله على الاستسلام ولذلك كانت النتيجة الحتمية لهذه الآلية ولهذه السطحية انهيار الروح الدينية فى اليابان منذ قديم بصورة لا مثيل لها فى العالم .

الفلسفة الصينية :

كان العلماء يعتقدون الى أوائل القرن العشرين أن العصر الصينى لما قبل التاريخ يبتديء فى المدة المتراوحة بين 2479 و 2395 قبل الميلاد بظهور ملوك الصين Chounn, Yao, U غير أن اعادة النظر فى النصوص

34) الوجودية مذهب فلسفي قائل بان الوجود يسبق الجوهر ويخلقه ومعنى ذلك عند هيدجير Heidegger (فى كتابه الصادر عام 1927) وبول سارتر ان فى الوجود الفردى تكمن مشاكل أصل وجوهر ومغزى الحياة الانسانية لان طبيعة الانسان فى ذاتها لا مغزى لها ولان الانسان المتجه نحو المستقبل ليس فى ذاته سوى فراغ وعدم غير أن اندراجه الفعلى فى وضع واقعى هو الذى يخلق القيم التى تضفى على حياته مغزى فيستطيع آنذاك التعرف الى جوهره الذاتي وقد وضع كل من Gabriel Marcel, Kierkegard وجودية مسيحية ادرجا فيها اسرار اعتناق المسيحية كتجربة محققة .

المتوفرة بالصين حدا الى تاريخ الوثائق الاولى المحققة بالقرن الثامن قبل الميلاد وبهذا انهارت الأسطورة القائلة بأن هذا التاريخ يمتد الى 18000 و 72000 قبل الميلاد كما انهارت ادعاآت أصحاب مذهب طاو Tao وما نسبوه الى P'an-kou الجد الخيالي للبشر .

وقد عثر اندرسن Anderson عام 1921 فى Yang Chao ثم فى Kansou على بقايا حضارة يظهر أن لها اتصالا عبر آسيا الوسطى بالعصر الحجرى الأعلى الجديد Néolithique supérieur بفارس وروسيا وآسيا الصغرى (طروا) وبهذا تكون المؤسسات الفلاحية المقامة اصالة بمصب النهر الاصفر بالصين وبالبحر المتوسط قد امتدت الى بحر البلطيق والبحر الأسود والمحيط الهادى» (35) .

مذهب كونفوسيوس Confucius

فى آخر عهد أسرة Tchéou (1122 — 222 ق.م.) اتسم الوضع بما يلى : خلل فى السياسة واهمال لمقتضيات القانون وتناحر بين الدويلات والاستهتار بالاخلاق فظهر مفكرون أمثال كونفوسيوس (36) الذي ولد عام 551 ق.م. فى ولاية لو شمالي الصين من عائلة فقيرة وقد ماتت أمه وعمره أربع وعشرون سنة فتوقف عن العمل العمومى طوال ثلاث سنوات طبقا لما تقضى به العادة فى عدة الرجال الذين توفى أحد أبويهم فاستقال آنذاك من منصبه فى تفتيش الانقال Inspection des bagages

واهتم بالتاريخ القديم ثم قام بجولات طويلة داعيا الى أفكاره وقد عمل على اقرار نظام خلقى كامل وقدم كنموذج لتكامل العائلة المالكة Tchéou التى استمدت من حضارة Sia (2205 — 1784 ق.م.) و Chang (أو Yin : 1783 — 1123 ق.م.) وعندما بلغ سنه السادسة والخمسين اصبح وزيرا أول فى ولاية لو Lou فاختفى اللصوص فى مدة شهر غير أن بلاط Tsi وجه الى أمير لو أربعا وثمانين من الراقصات استملن الامير فاضطر كونفوسيوس حفظا لكرامته كمسئول فى هذه الولاية الى التنازل عن منصبه فعاد الى تجواله ثم ختم المطاف بالرجوع الى مسقط راسه وعمره ثمان وستون سنة .

وهنا انكب على تصحيح ونشر الكتب القديمة التى كانت تشكل تراث حضارة وحكمة الصين وكتب فى آخر حياته تاريخا سماه « الربيع والخريف » (722 — 481 ق.م.) كان يود أن يحكم عليه الناس من خلاله .

وأهم الكتب القديمة التى استقى منها خمسة اعتبرت انجيل هذا المذهب وهي :

1) كتاب التحولات Livre des mutations حول العائلات المالكة الثلاث وهي Hia (1589 — 1558 ق.م.) و Chang (1558 — 1050 ق.م.) و Tchéou (1122 — 250 ق.م.) وينص هذا الكتاب على وجود عالم علوى يتحكم فى السفلى ويستمد أصله من مبدأ مطلق هو « الذروة العليا » كما يؤكد أن رعاية نواميس السماء تستلزم السعادة حتما بينما ينزل الشقاء بمن لا يرعاها وهذا الاتجاه هو محور الحكمة الصينية التى تدعو الانسان الى ملاحظة الطبيعة للاحتذاء بها فالحكيم الصينى يفكر فلسفيا لا للتعمق فى ماهية الذات أو ذوات الأشياء ولكن للوقوف على منهج طبيعى للعمل يحتذيه .

---

35) الحكمة الصينية والفلسفة المسيحية Maitre Henri Bernard ص 16
وقد درس جوفرى بيبى فى كتاب حديث وضع العالم فى عام 2000 ق. م كما تحدث علماء الجيولوجية وخاصة منهم العالم الفرنسى تيرميى Pierre Termier عن قارة كانت معاصرة بل سابقة للاطلنطيد وهى غندوانا Gondwana (واسمها العلمى Lemurie حيث كانت تقع الصين .
وقد صدر اخيرا بحث فى (مجلة Planète العدد 17) ورد فيه ان الاطلنطيد هي اقليم اوفرني Auvergne بالساحل الفرنسى ويوجد جزء منه فى Massif Central بينما يقع الجزء الآخر منذ آلاف السنين فى قلب شمال المحيط الاطلنطقى وهو عبارة عن جزيرة طولها سبعة ك. م. وعرضها ثلاثة عشر عليها على عمق 3.682 مترا تحت الماء .

36) الذى حكى لنا عن حياته Ssé-Ma-Ts'ien (الذى عاش بين 184ـ185 ق. م.) فى الفصل السابع والستين من مذكراته .

2) كتاب الشعر livre de la poésie : ينسب لمؤسس عائلة Tchéou ويظهر أن كونفوسيوس انتقى من قصائده (ثلاثة آلاف فى الاصل) ثلاثمائة وخمس قصائد وجعل منها كتابا مدرسيا للاخلاق تنعكس فيها النفس الصينية وتمسكها بقضايا الدين .

3) كتاب الوثائق livre des documents وهو يحتوى على خطب الملوك فى الأزمات ونصائح للحكم المثالى وقضايا اخلاقية وسير صالحى الأمراء وقد احرق عام 213 ق.م. وأعيد نشره (بين 208 و 220 ق.م.) .

4) القاعدة الكبرى la grande règle يزعمون انه موحى به للملك Yu le Grand (2.205 ق.م.) ويقال بانه حرر عام 1050 ق.م حسب التقاليد وهو يحتوى على مبادىء الحكم المثالى كسهر الملك من أجل احتذاء الشعب بقوانين السماء ونيل جزاء يتبلور فى خمس نقط (طول العمر والثراء والسلام والترقى فى الخير وحسن الخاتمة) والمخالف يتعرض للنكبات الست (سوء الوفاة قبل الابان والامراض والاحـزان والفقـر وتسليط الاستبداد والضعف) .

وهذه النظرية تعتبر الملوك مختارين من السمـاء للحكم باسمها فرسالة الملك هي خدمة الشعب وصـون سعادته فهو أب للشعب وامام روحى .

وهكذا تكون السمـاء أس الأخـلاق الهادفـة الى جعل المواطنين صلحاء خاضعين للحكم القائم فارادة الله (ويرمزون اليه بالسماء) هي المسماة بقانون الطبيعـة المحتنى وقد نقش الله قانونه فى قلب الانسـان فهـو البصيرة والنور النابع من فيض الارادة الالهية يفرق به المرء بين الخير والشر ويرى كونفوسيوس وجود اله غير منظور من خلال الأشياء المحسوسة فى هذا العالم فهو يعتقد اذن وجود الـه واحـد وتتبلور هذه العقيدة فى الصلوات لذلك قال Mencius بان وازع الاستقامة هو خوف الله وتقديسه ففكرة الأخلاق عند كونفوسيوس انسانية ولكن أساسها يسمـو عن مستـوى الأرض اذ طبيعتنا ليست سوى ارادة الله فينا والطبيعة الانسانية خيرة لأن الانسان ـ كما يقـول كونفوسيوس ـ يولـد مستقيما ويرى خصمه Sœum-Tsen ان هذه الطبيعة شريرة لأن خيرها مصطنـع مضـاف فالواجب الخلقى حسب كونفوسيوس ايجابى وانشائى يبرز فى جو من التفاؤل ويحدو الى البحث عن جذور الفضيلـة المغروزة فى نفوسنا لتطويرها وحفظها .

وقد ظل مذهب كونفوسيوس الفين مـن الأعـوام رائدا أساسيـا للأخـلاق فى الصيـن وكانت صـورة كونفوسيوس معلقة على أبواب المـدارس الى تأسيس الجمهورية عام 1911 .

أقـــوال كونفـوسيـوس :

ـ لا تفعل مع الآخرين ما لا ترغب أن يفعلوه معك
ـ ترقب زوالا اذا قيل تم
ـ الحكيم يتحمل الضراء بثبات والرجـل العادى تستخفه الضراء
ـ التشريع الالاهى كامل لا يعتريه خلل والانسان الكامل هو الذى يتعرف الى هذا التشريع
ـ خير الأمور الوسط الوسيط
ـ الانسان الكامل هو الذى لا يعمل من أجل اشباع شهوته ولا يبحث عن ملذات الفراغ والجاه ويستجيب لداعى الواجب ويعاشر اهل الخير ويقول ما يفعل ويفعل ما يقول ويعامل الجميع دون تحيز وهو مجرد من كـل أنانية أو عناد ، وينتجع الخمول وينعزل عـن الناس ولا يجد فى ذلك مضضا ولا يسأل الناس شيئا ويعتقد أن له رسالة يؤديها ويقمع نفسه وهو قليل الكلام متئد متزن فى النطق سريع فى عمل البر ، والانسان الكامل لا يتغير اذا عاشر الجهال لتمكنه فى العلم والعقل .

مـذهـب طـــاو Taoïsme

لاوتسو Lao-Tseu اكبـر منافس لمعاصـره كونفوسيوس ومذهبه مناقض تماما لمذهب خصمه فبقدر ما يتجه هذا نحو العوالم الأرضية بقدر ما ينغمر الآخر فى التأملات فى الذات الأزلية مع التجرد عن اللذات ولهذا يعيش أصحاب هذا المذهب فى عزلة عـن الخلـق وفى خمول .

وهم يعتقدون أن القوانين الخلقيـة والاجتماعيـة مصطنعة لانها تتنافى وطبيعـة الأشيـاء فلذلك ينبغى ـ فى نظرهم ـ أن تترك العالم يسير يومـا ليـوم دون تدبير .

ولاوتسو هذا مشبع بالروح الفردية يعادى كـل ثقافة مع الميل الى التصوف وكان محافظا للوثائق فى العاصمة Lo-Yang فاستقال وانعزل عن الخلـق عندما انهارت الأسرة المالكة Tchéou وقد نحـا كثير من الناس هذا المنحى نظرا للهرج السائد فى هذا العصر ويرجع انصار هذا المذهب الى كتاب إسمه « طريق

الفضيلة » Tao-To-King يحدوهم الى التحرر من قيود الزمان والمكان والانسياق مع تيارات هذا العالم .

وهم يبحثون باستمرار عن قانون ابدي لا يتغير يتناسقون مع مقتضياته فلذلك يدعون الى ابطال المجتمع وكل ما يصطلح عليه الناس فمذهبهم هو الوحدة والانسجام مع هذا الناموس الأزلي ولذلك مراحل ثلاث هي : 1) مشاهدة الواحد . 2) حالة الاشراق . 3) الاتحاد مع الذات المطلقة وهم ينهجون هنا ما نهجه بعدهم الصوفية في الاسلام مع تغاير يسير في الاصطلاح ومرحلة التخلية purification هي في نظرهم أشق الأحوال في الطريق الصوفي تليها فترة الاشراق المؤدي الى الاتحاد الكامل الذي يعتبرونه سرا من أعظم الأسرار le grand mystère

وترك التدبير le Non-Agir هو قوام المذهب والأمير له واجب أساسي هو عدم القيام بأي شيء كلما ازدهرت القوانين تكاثر اللصوص وكل مجهود خلقي أو ثقافي انما هو عرقلة في طريق النظام الطبيعي للأشياء .

فالحكم في نظرهم هو : افراغ القلوب وملء البطون والتجرد من الطمع وتقوية العظام ومعنى هذا أن أحسن نظام للحكم هو عدم الحكم المباشر أما الحرب فانها شيء مقيت .

وقد تأثر الأدب والفن بهذه النظرة المتحررة الى الحياة حيث يبرز السأم من الدنيا ومحبة العيش في احضان الطبيعة فلهذا نلاحظ أن الفن الصوفي مليء بشعر مناظر الطبيعة الصينية .

وقد ازدهر هذا المذهب الى أن بدأ ينهار في القرن الثامن بمنافسة مذهبي بودا وكونفوسيوس .

مذهب موطى Mo Ti

عاش موطى بين 479 و 381 ق.م. وكان لمذهبه نفوذ بين 481 و 205 ق.م. وأنصاره أكثر شعبية وأقل ارستقراطية وقد اهتم بالحكماء الأقدمين مثل كونفوسيوس الا أنه حمله مسئولية الاضرار بالمجتمع وعدم صلاحية مذهبه لانقاذ الأرواح لأن انصار كونفوسيوس لا يومنون بوجود الله ولا بوجود الأرواح ويثقلون كاهل الشعب بالمآتم الفادحة والواقع أن كونفوسيوس لا يهتم بمصير الانسان بعد الموت .

لهذا اقترح موطى في هذه الظروف المضطربة علاجا واحدا لهذا الداء وهو العودة الى عبادة الله والأرواح مع اتباع نظام صارم هو نباتية الطعام والفقر وحب الانسانية ومحاربة العدوان والدعوة الى السلم بين الشعوب .

وبعد وفاة موطى تشعبت مدرسته الى ثلاث فرق متناحرة مما أدى الى انتعاش مذهب كونفوسيوس بين 20 الى 220 ق.م. . ثم انتعش المذهب الموطى بين 1744 — 1794 بعد الميلاد ولكن كتبه المحرقة لم يعد نشرها الا في القرن السابع عشر .

ويقول موطى بأن السماء هي الله الذي يعاقب ويجازي بعدل ولا يكلف نفسه عناء التدليل على وجود الله لأن الشمس لا يستدل على وجودها .

والملك خليفة الله في الأرض وهو مقدس ونموذج للشعب وهو بطل وحكيم وصالح وأب الشعب وليس هو في سلك الآلهة والأرواح الخيرة والله وحده هو المشرع والملك ينفذ ولا نجاة للمجتمع دون العمل الموصول من أجل الانسجام مع الارادة الالهية فيجب اذن التعرف الى هذه الارادة مع حب الانسانية واعتبار هذا الحب كتعبير منطقي عن تلك الارادة .

ويحمل موطى على كونفوسيوس لتجزئته هذا الحب الانساني الى حب عائلي له الأسبقية الى حد أن جميع الفضائل تحصر في تبجيل الأبوة والواقع أن موطى لا يهدف الا الى هدم الفردية الأنانية التي هي أحد أسباب نكبات المجتمع وانعدام الحب الانساني يؤدي بالمجتمع الى الاضطراب والجور وقد قال باسكال : « كل الشرور آتية من الميز بين أنا وأنت ومالي ومالك فمن هنا جاءت الخلافات والحروب » .

وقد حظر موطى الحرب لأنها أداة لفرض المطامح السياسية مع تحفظ واحد وهو ان السلام الذي يعتبر شرطا جوهريا للسعادة لا يكون كذلك الا اذا نتج عن العدل والحب الانساني فالانضياع للعدوان لا يسفر عن السلام بل عن الاستعباد فلهذا كانت الحرب الدفاعية واجبا من الواجبات .

البوذية

المذهب البوذي هندي الأصل ولم يدخل الى الصين الا بعد مرور خمسة أو ستة قرون على انتشاره في الهند وفارس وآسيا الوسطى والغربية وقد ظهر لأول مرة في حدود اقليم نيبال بالهند خلال النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد واذا كان بوذا يعتبر أسطورة فان شخصه يرمز الى التصوف المؤدي الى الاشراق والفناء

ويريد أن يعطى للبشرية طريقا للنجاة دون اللجوء الى الآلهة ويستمد الاحبار البوذيون مبادىء حياتهم اليومية من مناقب شيخهم الأسطورية التى تتلخص فى الدعوة والتبشير والتسول والعفاف .

ويعتبر ساكيامونى Sakyamouni صورة لبوذا وقد عاش فى حوض الكانج بين سنتي 563 و 480 ق.م. الا أن التاريخ الرسمي يؤكد ان البوذية تسربت الى الصين بين عامي 60 و 70 بعد الميلاد وقد أثر مذهب طاو فى البوذية مما أدى الى انبثاق اتجاه صينى عند البوذيين وقد أصبحت البوذية هي الدين الرسمى فى الصين بين 284 و 220 ق.م. وامست نسبة معتنقيه عام 405م تسعة أعشار السكان وقد ازدهرت الكنيسة البوذية خلال ثلاثة قرون (620 الى 906م) فبلغ عدد الأديار البوذية فى مدينة واحدة واحدا وتسعين (منها سبعة وعشرون للنساء) والفكرة الجوهرية التى ترتكز عليها البوذية هي عدم البقاء la non-permanence اذ كل شيء زائل عارض حتى الاله المزعوم براهما Brahma رغم اعتباره من طرفهم خالق العالمين والأرواح نفسها غير قارة فلذلك تنتقل من جسم الى جسم عند الوفاة وهذه هي نظرية التناسخ وللأعمال المحققة قديما القدرة (Karma) على خلق ظروف جديدة بل وجود جديد ولذلك يشعر الانسان أحيانا انه سبق له أن عرف هذا الشيء أو ذاك لأن روحه هي العارفة والمجربة لذلك الشيء فى الأزل ، فالبوذية اذن متشائمة لأنه لا شيء فى الوجود يستحق فى نظرها أن يتعلق الانسان به والسعادة كل السعادة فى عدم الوجود والراحة الأبدية أي فى الفناء فالمريد الذى يندرج فى حال الفناء ينطفىء كالشمعة .

وقد انقسمت البوذية ى القرن الثالث قبل الميلاد الى ثلاث فرق منها ماهايانا (Mahayana) القائلة بأن الحقيقة تكمن فى الروح وحدها أي أن الروح هي نفسها الموجودة حقيقة فى حين أن العالم الخارجى المحسوس ليس سوى فيض عن هذه الروح وكل الأحداث والظواهر الكونية لها مسرح واحد تتحقق فيه هو الروح وفى وسع الانسان أن يدرك مغزى العدم المطلق الذى هو حقيقة مستديمة وذلك بالتخلص من المطامع وشهوات النفس وتهدف طريقة ماهايانا الى انقاذ الانسانية جمعاء في حين تتجه طريقة هينايانا Hinayana الى تحقيق السلامة الفردية متسمة بشيء غير قليل من الأنانية .

وقد ظهرت فروع اخرى للبوذية احدها الأميديسم Amidisme أو طريق الارض الطاهرة التى تشبه الماهايانا وأستاذها هو هواي يوان Houei-Yuan (334 – 416م) الذى هو شيخ الحركة فى الهند الصينية والصين واليابان وقد ساد هذا المذهب فى الصين وانصاعت له النفوس فى القرن العاشر الميلادى الا أن انهيار البوذية استتم فى العهد المتراوح بين 960 و 1127م ويزعم الأميديسم أن الكائنات الحية كلها خاطئة منذ القدم وان الارواح تتحمل ثقل ما ورثته فى حياتها السالفة ويمتاز هذا المذهب بديموقراطية دينية يتعادل فيها كافة المريدين ضمن مستويات خالية من كل التراتيب الصوفية .

وفى القرن السادس الميلادى ظهر فرع جديد هو مدرسة تشان (Tchan) وهو مزيج من البوذية الهندية والفلسفة الصينية يؤدى الى اشراق مفاجىء ويقول بان خير الطرق للتثقف والرقي فى مدارج العرفان هو عدم العمل من أجل الحصول على ثقافة ولذلك ينبنى على فكرة الثقافة فى ترك الثقافة (وهو شبيه بالمذهب الصوفى القائل بالتنوير فى ترك التدبير) لأن النضج ينبثق عن اشراقة مفاجئة فمن اشرق قلبه بنور العرفان انحلت مشاكله فى نفس الآن وانتقل من الوهم الى الحقيقة الوضاءة والحكمة الفياضة وهذه النظرية تناقض ما قاله البوذيون من أن التطور تدريجى لا يتم الا بتراكم متصاعد للمعارف والتجارب والنتيجة الحتمية لهذه النظرية الجديدة هي أن المعرفة ذوقية لا تفى بها الاشارة ولا تكتنفها العبارة فلهذا يزعم انصار هذا المذهب أنه لا حاجة لهم بالمظاهر الخارجية كالتقوى والتقشف والعبادة ودراسة النصوص الدينية فالتأملات وحدها كفيلة بادراج المريد فى حالة الدهش واختطاف الحس والوصول فى لمح البصر الى مرتبة الكمال .

عبد العزيز بنعبد الله

المراجع :

1) الفلسفة الصينية بقلم Chow Yih-Ching
Presses Universitaires de France (Paris 1956)

2) الحكمه الصينية والفلسفة المسيحية
Sagesse chinoise et philosophie chrétienne
Henri Bernard Maître

3) كونفوسيوس
Confucius par Marc Semenoff
(Collection Sagesse - Paris)

Le Lotus et le Robot, Arthur Koestler (Paris 1961)



الهيئة المغربية لموسوعة المغرب العربي

«فنيقيا» ماهو اصل تسميتها
عبد الحق فاضل

معجم الرياضيين بالمغرب الاقصى
عبد العزيز بنعبد الله

«ابن البناء المراكشي»
محمد ادريس العلمي

طبقات الاطباء بالمغرب الاقصى
عبد العزيز بنعبد الله

معجم المغرب التاريخي
عبد العزيز بنعبد الله

الموسوعة

الهيئة المغربية لموسوعة المغرب العربي

سبق للمكتب الدائم للتعريب ان وجه فى صيف سنة 1963 الدعوة الى وزارة التربية والتعليم باقطار المغرب العربى من أجل تنسيق جهود هاته الاقطار وتوحيدها فى حقل التعريب ووسائل الثقافة ، كمابعث بوفد الى كل من الجزائر وتونس للتعريف بالفكرة والدعوة لها فى الإوساط العلمية والفكرية ، وقد عززت الشعبة المغربية للتعريب المكتب الدائم فى هذا الاقتراح فوجهت رسائل مماثلة الى الوزراء المذكورين ، وقد سارعت تونس الشقيقة فى شخص محافظ الخزانة الوطنية الاستاذ البحاثة الكبير عثمان الكعاك فبعثت باقتراح تدوين موسوعة علمية على صعيد المغرب العربى تكون نواة لدائرة المعارف العربية التى أوصى بتدوينها المؤتمر الثانى لوزراء التربية العرب فى يبراير 1964 .

وقد تلقى المكتب الدائم للتعريب هاته البادرة من تونس الشقيقة بما تستحقه من عناية واعتبار حيثعرف بالفكرة فى جميع الاوساط العلمية والثقافية والرسمية العربية والاجنبية ودعا الى تكوين لجان فرعية فى الاقطار المغربية الاربعة تقوم كل واحدة بتدوين جزء من الموسوعة يتضمن البحوث المتعلقة بنشاط الحركة العلمية والثقافية منذ عصور ما قبل التاريخ فى ذلك القطر .

* * *

وقد تألفت بالرباط عاصمة المغرب الاقصى هيئة مغربية تضم شخصيات علمية وأدبية لتدوين الجزء المتعلق بالمغرب الاقصى من الموسوعة المذكورة ، ويترأس هاته الهيئة الاستاذ الكبير علال الفاسى الاستاذ بدار الحديث وجامعة محمد الخامس وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد عقدت لحدالساعة خمسة اجتماعات درست فى أولها الخطوط الرئيسية للعمل وعينت كاتبا لها الاستاذ محمد العلمى الملحق الصحفى للمكتبالدائم للتعريب كما كونت لجنة لوضع منهاج ومسطرة للعمل نوقشا فى الاجتماع الثانى الذى حددت فيه أيضا اختصاصات اللجنة وعلاقاتها بالمكتب الدائم للتعريب والمنظمات الثقافية والهيئات العلمية والمؤسساتالادارية وفى اجتماعها الثالث حدد حجمها ودرست وسائل تحقيقها المادية والادبية كما كونت لجنة تعمل تحت اشراف المكتب الدائم للتعريب من أجل تجريد المصادر واعدادها للجان الفنية . وقد خصص الاجتماع الرابع للهيئة لانتخاب مكتب لها وتحديد علاقات الموسوعة بدوائر المعارف العربية والافريقية وتكوين لجان فرعية وقد تكونت خمس لجان (1) للتاريخ (2) للجغرافيا (3) لمفاهيم الحضارة (4) للاقتصاد والموارد (5)للمؤسسات والنظم المعاصرة وخامس الاجتماعات سجل فيه الاعضاء أسماءهم فى اللجان بحسب اختصاصهم كما عين مقرر عام للهيئة وهو الاستاذ العراقى الكبير عبد الحق فاضل واجتمعت لجنة مفاهيم الحضارة فوزعت المهام علىأعضائها كما انتخبت مقررا لها الاستاذ محمد أديب السلاوى ولجنة التاريخ كذلك عينت مقررا لها الاستاذ ادريس الكتانى بعد أن اتفقت على خطة العمل أما اللجان الاخرى فقد اقترح مقررا للجنة الجغرافيا الاستاذ الناصرى وللجنة الاقتصاد والموارد الاستاذ عبدالحميد عواد وللجنة المؤسسات والنظم المعاصرة الاستاذ محمد ابن البشير

وللجنة الترجمة الاستاذ ادريس العلمي..

خلاصة كلمة الرئيس في أول اجتماع للهيئة

ارتجل رئيس الهيئة الاستاذ علال الفاسي كلمة ذكر فيها أهمية المشروع من الناحيتين العلمية والوطنية واستعرض بعض الخطوات التي قام بها مع المكتب الدائم للتعريب تمهيدا لهذا الاجتماع ، وتعرض في كلمته بالخصوص الى أن كثيرا من الباحثين في القضايا العربية يستغربون كون كثير من مقررات المؤتمرات العربية لا تتعدى مرحلة الصيغة الانشائية او مرحلة التخطيط على الاكثر دون أن تدخل في حيز التطبيق والانجاز ، وعلل ذلك باستكبار بعض اخواننا العرب لكثير من المشروعات المهمة التي يمكن انجازها اذا ما تغلبت الارادة الحسنة على جانب التخوف الذي كثيرا ما يعرقل المشاريع .

وان مشروع وضع دوائر للمعارف لمن الامور العظيمة التي تتسابق في مضمارها الامم والشعوب ورغم ضعف امكانياتها فانها تبذل أقصى جهودها لتحقيقه ، فهناك دول أقل من العرب استعدادا قد وضعت موسوعات علمية في بلادها مثل اندونيسيا ، كما أن تركيا التي لا تفوق العرب علما واستعدادا قد قامت هي الاخرى بهذا العمل .

وان مؤتمر القمة العربي الاخير وكذا المؤتمر الاسلامي قد أوصيا بتدوين دائرة للمعارف عربية واسلامية . فما علينا الا أن نعمل بجد واخلاص مع اللجان المغربية الاخرى في الجزائر وتونس وليبيا لانجاز هذا المشروع القيم ولا نتقيد في ذلك بتاريخ معين ، فكلما انجزنا قسما دوناه في مجلة اللسان العربي أو في نشرة دورية ، وكلما انتهينا من أبحاث حرف من الحروف أصدرنا مجلدا باسم اللجنة المغربية ، وسنبدأ عملنا هذا بنقل كل شيء يخص العروبة والاسلام في دوائر المعارف الاجنبية البريطانية والفرنسية وغيرهما ثم نتبع هذا النقل بالتأليف ثم التنسيق والتحرير . وهكذا يكون العمل سهلا وتبدو نتائجه مشجعة جدا .

اللجان المتفرعة عن هيئة موسوعة المغرب العربي

لجنة التاريخ

الاساتذة :

- الحاج مير
- محمد البوعناني
- خليفة محفوظ
- عبد اللطيف خالص
- العربي المسارى
- عبد الكريم ابن الحسنى
- محمد حجى
- عبد العزيز بنعبد الله
- محمد العلمى
- ادريس الكتانى
- محمد داود
- محمد التازى
- عبد الكريم كريم
- محمد ابن البشير
- عبد الكريم غلاب
- المهدى المنبهى

لجنة الجغرافيا

الاساتذة :

- محمد البوعنانى
- خليفة محفوظ
- الدكتور حسان عوض
- محمد الناصرى
- المهدى المنبهى

لجنة مفاهيم الحضارة

الاساتذة :

- علال الفاسى
- محمد العلمى
- الدكتور سامى الدهان
- جعفر الكتانى
- عبد العزيز بنعبد الله
- محمد السرغينى
- عبد الوهاب التازى سعود
- محمد داود
- محمد العربى الخطابى
- عبد المجيد السملالى
- محمد أديب السلاوى
- محمد السرغينى
- الدكتور المحلجى
- الدكتور نادر النابلسى
- عبد الكريم غلاب
- على أومليل
- محمد المنونى

لجنة الاقتصاد والموارد

- عبد الحميد عواد
- مصطفى البارودى
- مامون الكزبرى
- عبد الوهاب حومد

لجنة المؤسسات والنظم المعاصرة

الاساتذة :

- توفيق الشاوى
- عبد الرحمن بن عبد النبى
- الدكتور عز الدين االعراقى
- محمد أديب السلاوى
- ادريس الكتـــانى
- محمد السباعى
- عبد الوهاب التازى سعود
- عـــلال الفاسى
- حماد العراقى
- محمد بلبشير
- محمد العربى المسارى
- مصطفى الصباغ

التـــرجمة

الاساتذة :

- ادريس العلمى
- محمد السباعى
- محمد البوعنانى
- أحمد بنعبد الله الشاونى
- العربى المسارى
- عبد اللطيف خالص
- محمد بـــرادة
- عز الدين العراقى
- عبد الوهاب التازى سعود
- أحمد بيـــاض
- أحمد الاخضر
- محمد بن زيـــان
- محمد عزيمان
- الدكتور المهدى بن عبود
- محمد العربى الخطابى
- عبد المجيد بن جلون

اختصاصات اللجـــان الفنيـــة

1) ـ تجريد واختيار مواد الموسوعة فى حدود القسم الخاص الذى كلفت به ، وترتيبها ابجديا .

2) ـ تصنيف المواد الى ثلاثة أحجام قصيرة ومتوسطة وطويلة على أن يكون حجم البحث فى المواد القصيرة من 100 الى 200 كلمـــة ، وفى المتوسطة مـــن 200 الى 400 كلمة وفى الطويلة من 400 الى 1000 كلمة وعلى أن لا يتجاوز الحجم العام لمواد كل قسم مائتى الف كلمة (أى مليون كلمة لموسوعة المغرب والاندلس) .

3) ـ اختيار قائمة الباحثين المختصين للكتابة فـــى هذه البحوث سواء من بين المغاربة ومن غيرهم .

4) ـ توزيع المواد على الباحثين والاتفاق معهـــم على آجال تحريرهـــا .

5) ـ تنقى البحوث وتنسيقها .

مـــلاحظة :

تسير مراحل العمل على التـــرتيب المتقـــدم بحيث لا يشرع فى مرحلة الا بعد الانتهاء من سابقتها وعرض نتيجتها على الهيئة العامة التى تقوم بتنسيق أعمـــال جميع اللجان الفرعية .

تـــركيب اللجنـــة :

تتكون كل لجنة من اعضاء الهيئـــة العـــامة الذين يرشحون إنفسهم للعمل بها ، وتقوم اللجنـــة باختيار مقرر عام لهـــا .

توزيع العمل داخل اللجنة

1) ـ تكلف اللجنة عضوا واحـــدا أو أكثر مـــن أعضائها بتجريد وحصر المواد المتعلقة بفرع واحد من مجموع فروع القسم الخاص باللجنة ، وذلـــك حسب التفريعات المتفق عليها ، وتحدد لهم أجلا لاتمام هـــذا العمل وعرضه على اللجنة .

2) ـ يقدم كل عضو الى اللجنة قائمة المـــواد التى اختارها (فى فرعه) مرتبـــة بالترتيب الابجـــدى وفى الاجل المحـــــدد .

3) ـ تقوم بعدئذ اللجنة المختصة بالتنسيق بـــين مواد مختلف الفروع واعداد القائمة الكـــاملة لمجموع مواد القسم الذى كلفت به مرتبة بالترتيب الابجدى .

النظـــام الـــداخلى

1) تكـــوين الهيئة

1) تكونت تحت اشراف المكتب الدائـــم للتعريب

التابع لجامعة الدول العربية بالرباط هيئة مغربية لموسوعة المغرب العربى .

2) أعضاء اللجنة المؤسسون هم : المسجلون فى اللجان الست .

3) يجوز للجنة ان تقرر ضم أعضاء جدد بقرار يصدر منها بناء على اقتراح كتابى من أحد أعضائها .

4) لكل عضو أن يعلن انسحابه منها فى أى وقت بخطاب يوجهه الى رئيس الهيئة .

ب ـ مهمة الهيئة وعملها

5) تقوم الهيئة بتنسيق التعاون بين العلماء والباحثين وتنظيم جهودهم فى سبيل اعداد القسم المغربى وموسوعته كنواة لموسوعة المغرب العربى التى تكون جزءا من دائرة المعارف العربية او الاسلامية او الافريقية على نطاق اوسع .

6) يتولى المكتب الدائم للتعريب تنسيق عمل الهيئة مع أعمال الهيئات المماثلة وكذلك بالهيئات العلمية أو الثقافية كالجامعات ، ودور النشر، ومنظمة اليونسكو .

8) يتولى المكتب الدائم للتعريب تهيئة الوسائل المادية لطبع الموسوعة ونشرها ، والحصول على التأييد والمساعدات اللازمة من الجامعة العربية والحكومات المختصة ومنظمة اليونسكو .

9) تضع الهيئة تصميم الموسوعة وخطة اعدادها ، ومراحل تنفيذها ـ وذلك بالاعتماد على جهود أعضائها وغيرهم من المهتمين بالدراسات المغربية . ولها الكلمة الفاصلة فى تحديد مشتملات الموسوعة وما ينشر فيها .

ج ـ حقوق التاليف والنشر

10) بمجرد تسليم البحث الى الهيئة ، يكون لها الحق فى نشره فى الموسوعة مع ما يستتبع ذلك من حقوق اعادة الطبع والنشر كما يكون لها الحق فى الاضافة اليه أو التعليق عليه أو الاختصار منه أو اصداره

فى مجلة المكتب الدائم للتعريب او نشراته قبل نشره فى الموسوعة .

ولا تكون هذه الحقوق للمكتب الدائم الا بناء على اذن موقع عليه من المؤلف .

وفيما عدا ذلك يبقى للمؤلف حقوق نشر بحثه او الاذن بنشره فى أية صورة أخرى أو بأية وسيلة أخرى .

11) تنشر الابحاث فى الموسوعة بدون توقيع على أن ينشر فى الصحيفة الاولى من كل جزء من أجزائها قائمة بأسماء الباحثين الذين ساهموا فى اعداد موضوعاته ـ وفضلا عن ذلك يجوز لبعض المؤلفين أن يشترطوا نشر توقيعاتهم على أبحاثهم ، على شرط أن يكون ذلك فى هوامش الصفحات وللهيئة أن تقبل ذلك اذا رأت أن للبحث أهمية خاصة .

12) يقدم الباحثون للهيئة أبحاثهم متطوعين بمجهودهم فى هذا العمل الجليل سواء كانوا من اعضائها أو غيرهم . الا انه يجب على الهيئة أن تشترط على المكتب الدائم ، أداء مكافأة للباحثين كلهم او بعضهم اذا اشترطوا ذلك مقابل الاذن بالنشر . وكانت له ميزانية مخصصة للموسوعة .

كما يجوز للهيئة أيضا ان تقترح تقديم هذه المكافأة الى أحد الباحثين قبل ابتداء عمله أو أثناءه اذا كان هذا العمل يحتاج الى تفرغ او تخصص .

13) المكتب الدائم للتعريب هو الذى يتسلم أصول الاجزاء التى تتمها الهيئة ليتولى نشرها بعد تنسيقها مع منجزات الهيئات المماثلة فى الاقطار الشقيقة . واذا مضى أكثر من عام على تسلم الاصول دون البدء فى الطبع ، فان الهيئة تستطيع أن تبحث عن وسيلة أخرى للنشر تناسب ظروفها وامكانياتها .

د ـ التنظيم الداخلى للهيئة

14) يتكون مكتب الهيئة بالاضافة الى الكاتب الادارى الممثل للمكتب الدائم للتعريب بالانتخاب بناء على ترشيح الامين العام للمكتب الدائم للتعريب أو خمسة من أعضاء الهيئة .

15) تختار الهيئة من بين أعضائها لجانا فرعية دائمة او موقتة للقيام ببعض نشاط الهيئة او بمهمة خاصة ، تعهد بها اليها .

16) مقر الهيئة هو مركز المكتب الدائم للتعريب ، ولها أن تجتمع فى أى مكان آخر اذا ما اقتضت الضرورة ذلك .

17) اذا انحل المكتب الدائم للتعريب لسبب من الاسباب يكون للهيئة الحق فى أن تتحول الى هيئة مستقلة لها شخصية معنوية .

هيآت تونس وليبيـا والجزائر

وقد سبق لنا أن أخبرنا ان الاستاذ عثمان الكعـاك صاحب الاقتراح هو الذى سيتولى رئاسة هيئـة تونس لتدوين الموسوعة المذكورة وقد زودناه بكـل الخطوات والمراحل التى قطعتها هيئة المغرب الاقصى .

أما ما يتعلق بهيئة ليبيـا فيترأسها الاستاذ محمد ابن مسعود ممثل ليبيا فى الموسم الثانى للكتاب العربى الذى نظم فى شهر مايه الماضى وقد اتصل بالامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب وزودته بكل مـا يلزم مـن الوثائق والمستندات .

وفى الجزائر قام سفير المغـرب الاستاذ قـاسم الزهيرى بعدة اتصالات وخاصة بالاستاذ مالك بن نبى مدير التعليم العالى بالجزائر الشقيقة الـذى سيتولى رئاسة هيئة الجزائر .

وعليه فان مشروع تدوين موسوعة على صعيد المغرب العربى قد أخذ طريقه الى الانجاز .

الغزالى وابـن تومرت

ممن أثبت لقاء ابن تومرت للغزالى بصفة الجزم ابن أبى زرع (القرطاس ج 2 ص 104) وابن خلكان (ج 2 ص 37) وابن الخطيب فى رقم الحلـل (ص 57) وصاحب الحلل الموشية (ص 85) وابن أبى دينـار فى المـؤنس (ص 107) واليوسى فى محاضراته ونقله عنـه القادرى فى نشر المثانى (ج 1 ص 122) وأبو الفدا، (ج 2 ص 23) والزركشى فى تاريخ الدولتين (ص 2) وعده مرتضى من تلاميذه وممن شك فى ذلك ابن خلدون فى العبر (ج 1 ص 298) والمراكشى فى المعجب (ص 99) وجزم بعـدم اللقا، ابن الاثير فى الكامل (ج 10 ص 201) ورينيه فى دائرة المعارف .

(راجع تاريخ المغرب للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله)

فنيقيا
ما هو أصل تسميتها ؟

طالما سألت نفسي : ما هو الاصل العربي لاسم **(فينيقيا)** ؟ وبتعبير آخر : ما الاسم الذي كان **(الفينيقيون)** أنفسهم يطلقونه على بلادهم فاقتبسه الاوربيون بصيغة (فنيقيا) ــ Phoenicia بالانكليزية و Phénicie بالفرنسية ــ وسموا أهلها (الفنيقيين) ــ Phoenicians Phéniciens فجاريناهم نحن في التسمية ؟

فعلت أول ما يتبادر الى الذهن طبعا وهو مراجعة المعجم العربي للبحث عن مادة **(ف ن ق)** ، فوجدت أن **(الفنق)** ــ كالبرق ــ يعني النعمة والاناقة بوجه عام .. وان **(الفنيق)** ــ كالانيق ــ هو الفحل المكرم من الابل لا يؤذى ولا يركب لكرامته .. وأن الغلام **(المتفنق)** ــ كالمتانق ــ والجارية **(الفنق)** ــ بضم الفا، والنون او **(الفناق)** هما المنعمان .. وأن **(الفنيقة)** هي المرأة المنعمة ، أو الوعاء أصغر من الغرارة ... الى آخر ما هنالك . وكل واحدة من هاته الالفاظ ــ حتى الوعاء الذي هو أصغر من الغرارة ــ يمكن أن تكون الاصل العربي لكلمة **(فينيقيا)** ، **ويمكن الا تكون** . فمن العبث اذن أن نحاول استنباط شيء له وزن علمي من هذه الالفاظ وأمثالها أو أن نحاول تطبيق هذا المعنى أو ذاك على الاسم دون نص صريح أو سند يعول عليه .

فاول مشكلة تجابهنا اذن هي : هل لفظة (فنيقيا) مصوغة من مادة (الفنق) العربية ؟ ذلك بأن تحريف **أسماء الاعلام ولا سيما عند غير أهلها** يتجاوز حدود التخمين أحيانا ، مثل اسم : البندقية من Vinezzia بالايطالية ، وايفان Ivan بالروسية من يوحنا ، و **(قرطاجة)** (من **Carthage** بالانكليزية والفرنسية وهذه من Cartago باللاتينية) من **(قريات حديشات)** أي القرية الحديثة ، كما كان يسميها أهلها ، القرطاجيون .

ومن الطبيعي اذا أردنا البحث عن أصل تسمية (قرطاجةCartago) اننا لا نصل الى نتيجة صحيحة لو طلبنا في المعجم مادة **(قرط)** أو **(قرطج)** أو **(كرت)** أو أي شيء من هذا القبيل . **لهذا لا ترجى فائدة** من تمحيص كلمة (الفنق) بحثا عن اسم (الفنيقيين) ، فلعله مثل اسم قرطاجة مشتق من مادة عربية أخرى بعيدة عن نطقها الاوربي .

هذا نقوله ان كانت لفظة (فنيقيا) تمت الى أي نسب عربي أصلا ، لان من المحتمل أن تكون من وضع **الاوربيين أنفسهم** مثل (ميزوبوتاميا Mesopotamia) ــ أي بين النهرين ــ وهي كلمة اغريقية لا صلة لها بلغة النهرين . فهل اسم (فنيقيا) **فنيقي الاصل أم** اعجمي ؟ **هذه مشكلة ثانية** .

اكتشفت ذات يوم ان كلمة Phoenix التي تعني بالانكليزية طائرا خرافيا مقتبسة من كلمة **(عنقا،)** **العربية ــ عن طريق الاغريقية ــ بعد ابدال حرف العين** فا، في أول الكلمة ، كما يقع في اللغة العربية نفسها أحيانا مثل : جدع وجدف ، عرك وفرك .. ولا سيما ان الاغريق عرفوا أن (فنيقس foinix) هذا طائر خرافي من **بلاد العرب** .

والذي يهمنا الآن هو أن كلمة Foinix الاغريقية لها معنى آخر يتصل اتصالا مباشرا وثيقا بموضوعنا ، وهو أنها اسم (فنيقس بن امينتور Amyntor معلم اخيل Achilles الملك الاغريقي ورفيقه في حرب طروادة التي يظهر أنه أحسن البلاء فيها بحيث غدا من أبطال الإلياذة . وقد ذكرت الاساطير أنه (أبو

الفنيقيين» ، أى ان اسمهم من اسمه . وقد يبدو هذا فى تفتيشنا عن أصل تسمية الفنيقيين كشففا مهما يلقى على المسألة ضوءا جديدا ، غير أنه فى الواقع يلقى عليها ظلاما جديدا ، لانه يخلط بين اسم **الفنيقيين** واسم **العنقاء** .

فهل لاسم فنيقس بن أمينتور ، أبى الفنيقيين المزعوم ، علاقة باسم العنقاء حقا ؟ هذه **مشكلة ثالثة** . هل كان الفنيقيون يتسمون بالعنقاء ياترى شأن : قريش ، ونمير ، واسد ، وبكر ، وكلب ، وجحش .. **وغيرهم من بنى جلدتهم العرب الذين تسموا باسماء** الحيوانات المعروفة ؟ ان صح ذلك فربما كان الفنيقيون تسموا — من باب الفخر مثلا — باسم هذا الطائر الخرافى السرى الذى لا تدركه الابصار ولا يبزهم فيه **أحد من بنى الحيوانات الاخرى التى تسمى بها سواهم (كمظهر من مظاهر الطوطمية التى تدل الدلائل على أنها** كانت شائعة فى بلاد العرب قديما كما كانت شائعة فى غيرها من أرجاء العالم) . هذا أيضا مجرد تخمين لعل احتمال الخطأ فيه أكبر من احتمال الصواب ، ومهما قلنا فيه لا نخرج عن طاق التظنى الذى لا يعطى قناعة ولا يحسم جدلا .. ولا سيما أن اسم الفنيقيين ورد فى اللاتينية بصيغ أخرى لا علاقة لها بالعنقاء، وأهمها : Poenorum و Puniceus و Poeniceus و Poeni .

ويلاحظ أن هذه الصيغ تبدأ بحرف الباء الاعجمية المركزة (P) بالاضافة الى صيغ أخرى تبدأ بالفاء (Ph) مثل : Phoenicum و Phoenice و Phoenices التى يرجع أصلها الى الصيغة الاغريقية (Foinikes) . فكيف جاء الخلط بين اسم العنقاء واسم الفنيقيين وفنيقس ؟ **هذه مشكلة رابعة** .

واما اسم فنيقيا (وطن الفنيقيين) فهو فى اللاتينية Phoenice و Phoenices و Phoenica و Phoeniae . وهذه الصيغ أيضا مقتبسة بشىء من التحوير من الاغريقية (Foiniké) . وهنا مشكلة **خامسة هى : هل اسم فنيقيا مشتق من اسم الشعب الفنيقى مثل اشتقاق اسم (فرنسا) من اسم القبائل** الجرمانية المسماة (فرانك Frank) أم ان اسم الشعب الفنيقى هو الذى جاء من اسم الارض التى كانوا يعيشون فيها كما هى العادة فى تسمية معظم شعوب البشر ؟

وثمة ملاحظة أخرى هى أن اللاتين أطلقوا هذه الصيغ على الفنيقيين والقرطاجيين جميعا . بل ان بعض الصيغ البائية الانفة أصبحت مع الزمن أدل على القرطاجيين منها على الفنيقيين حتى ان اللغة القرطاجية صارت تدعى Punique بالفرنسية و Punic بالانكليزية من Punicus اللاتينية . ودخلت هذه التسمية فى اللغة العربية أيضا فدعوا اللغة القرطاجية (بونيقية) او (بونية) .

وبعض المعاجم يفسر هذا الازدواج فى التسمية بان السبب هو كون القرطاجيين مستعمرين فنيقيين فى الاصل . ولكن ما للرومان ولهذا ؟ ان مدينتهم روما نفسها لم تكن قد ظهرت فى الوجود عند تاسيس قرطاجة (814 ق م) ، لان روما تاسست بعدها بستين سنة ، أى عام 753 او 754 ق م ، على الشائع . فما الذى دعاهم الى هذا التمسك العلمى بالواقع التاريخى الذى لم يدركوه أصلا ، فسموا أهل قرطاجة باسم **وطنهم الاول فنيقيا ؟ الحق أن الاغريق أقدم من الرومان** فهل عنهم أخذ الرومان المحدثون تسمية القرطاجيين فنيقيين ؟ يجوز . ولكن ألم تكف القرون المتوالية لجعل الرومان يميزون بين الفريقين ويدعون القرطاجيين الذين كان لهم كيانهم الخاص وامبراطوريتهم الكبيرة باسم خاص بهم غير اسم الفنيقيين ؟ **فهذه مشكلة سادسة** .

واسترعى نظرى فى مجلة (اللسان العربى) (1) تصوير بالزنكوغراف لوثيقة تاريخية هى نقش على رخامة وجدت فى البرازيل ، مكتوبة باللغة القرطاجية — عام 125 ق م — يصف أصحابها محنة وقعوا فيها من أسر ومرض وهلاك . وتتالف الاكتوبة من ثمانية أسطر هذا نص السطر الاول منها :

«هنا احنا بنى كنعان م فريم حقره حمل . أو ش حر حصل هك ؟»

وترجمته بعربيتنا وكتابتنا :

«هنا نحن بنى كنعان من فرايم حملنا الحقارة . أليس حراما أن نحصل هكذا ؟»

(1) العدد الثاني : يناير (كانون الثانى) 1965 . ص 35.

الذى يبعث الدهشة فى هذا الاستهلال المـؤثر أن القوم كانوا لا يزالون يذكرون أنهـم ينتمون الى بنى كنعان حتى بعد خروجهم من أرض كنعـان وتأسيس (القرية الحديثة) بنحو ستة قرون ، بـل حتى بعـد هجرتهم من قريتهم الحديثة ثم عبورهم المحيط الاطلسى الى العدوة الاخرى فى أمريكا الجنوبية ـ دار الغربـة النائية تلـك . ولا استطيع أن أستنتج مـن هذا الا اعتدادهم بنسبهم العريق على الرغم مـن بعد الشقـة مكانا وزمانا .

وعلى الرغم مما كانـوا فيه من محنة تمنعهم مـن المباهاة لا نخطىء أن نستشف من لحـن كلامهم صوت الكرامة الجريحة تخاطبنا من وراء واحد وعشرين قرنا، وكانى بهم انما يقصدون أن يقولوا : «أليس حراما أن نحصل هكذا .. (ونحن بنو كنعان ؟)»

ان للوثيقة خطورة متعددة الجوانب فى الحقيقة جديرة بالدرس كلها . فليت هؤلاء القرطاجيين الذين ما زالوا ينتسبون الى اجدادهم البعيدين بنى كنعـان قد ذكروا لنا كذلك اسمهم الدولى الذى صاغ منه الاغريق اسـم فنيقيا والفنيقيين . ·

ولكن مهلا .. لقد ذكروه . انه : «بنى كنعان» !

أجل ان كلمة Foinikes الاغريقية ليست الا (بنى كنعان) بتحريف يسير ، كثيرا ما يقع مثله واكبر منه عند انتقال الكلمة من لغة الى لغة . وصياغة Foinikes من (بنى كنعان) بلسان أجنب كثـير التحريف ليست أغرب من صياغة foinix من (العنقاء) ، ولا أعجب من صياغة Cartago من (قريات حديشات) .

وكلمة Cartago هـذه لا تتضمن الا الحـروف المشطوب تحتها من (قريات حديشات) : ق ر ى ات ح د ى ش ا ت .. وهى أربعة حروف من أحـد عشر ، أى نحو الثلث . أما كلمة Foinikes فتحوى جميـع حروف النصف الاول من (بنى كنعان) : ب ن ى ك ن ع ا ن . ولعل اللفظة الاغريقية كانت أكمل فـى أول عهدهم من اقتباسها وأقرب الى أصلها العربـى ثـم اختزلوها . أما ابدال حرف الباء فاء فى أول الكلمـة فهو أسهل من ابدال العين فاءا فى (عنقاء)، ولا لوم على الاغريق فيه على كل حال لان العرب أيضا فعلوا ذلـك مختارين فى لغتهم العربية فقالـوا مثـلا الخربشـة والخرفشة ، وجيب القلب ووجيفه ، الابلـج والافلج ، يختبىء ويختفىء ، يقصب ويقصف ، يبيح الدم ويفيحه.

وأما تغيير حركة الفتحة على الحرف الاول بالضمـة أو شبهها فما أكثر أمثاله فى العربية . من ذلك : القمة (بكسر القاف) والقلة والقنة (بضمه فـى كلتيهمـا) . ومن ذلك (السرعة) فهى عندهم : السرعة (كالعقدة) ، والسراعة (كالسحابة) ، والسرع (كالعنب) ، والسرع (كالغضب) ، والسرع (كالصدق) ، والسرع (كالشرع) والنماذج من ابدال الحروف والحركات فى العربية لاتكاد تحصى لكثرتها وتنوعها .

واذا تذكرنا أن كلمة (بنزين benzine) الاوربية من أصل عربى هو (لبان جاوه) وهو نوع من الصمـغ العطر كان العرب يصدرونه الى أوربا ـ وقد تطورت فى الفرنسية من luban jaoua الى benjoin

وفى الانجليزية من benjoin الى benzoin

الى benzole الى benzene الى benzine

ـ اذا تذكرنا ذلك أصبح تطور اسم (بنى كنعـان) الى Foinikes أمرا هينا ، سهل التصديـق ، ولا سيما ان الاغريق يعجزون عن نطق صوت العيـن فحذفوه مع ما بعده ، وحذفوا النون الذى قبله اختصارا لهذا الاسم الطويل ، كالذى فعل اللاتين من بعدهـم باسم قريات حديشات . ولعل تطور اسم (بنى كنعان) الى Foinikes قد جرى على مراحل مثـل تطـور (لبان جاوه) الى (بنزين) . (I)

ومهما يكن فلا مجال لنا ان نتجاهل الامر الواقع وهو أن اللاتين كانوا يسمون الفنيقيين والقرطاجيين فنيقيين Foinikes كما تشهد المعاجم والمأثـورات وأن القرطاجيين كانوا يسمون أنفسهم (بنى كنعان) كـما تصرح رخامة البرازيل . وواضح ان هذا الاسم منذاك لفظا ومعنى .

ويظهر أن اللاتين قد أخذوا عن الاغريق صيغتهـم

(I) شرحنا ذلك وأمثاله من تحريفات الاعاجم في العدد الثاني من مجلة (اللسان العربي) تحت عنوان « تاثير الاعاجم في لغة العرب » . ص 20 .

Phoenices بالفا، ثم استخرجوا منها صيغـــة Phoenice و Phoenicum .. ولكنهـــم وجدوا بعد ذلك عن طريق الاحتكاك بالفنيقيين ــ بنى كنعان ــ ان الاصوب نطق الاسم بالباء ، لا بالفــاء ، فقالوا : Poenicus و Poenicus و Puniceus و Punicus و Poenorum و Poeni

وهذا أيضا غير نادر الحدوث ، وقد وقع مثله للعرب فى جيلنا هذا بتأثير الكتب المصرية ، فهى تذكر اسم الانكليز مثلا (الانجليز) بالجيم حسب النطق المصرى . وقد ظل عرب الشرق الاوسط الذين تعلموا فى مطالع هذا القرن بالكتب المصرية يكتبون الاسم وينطقونـــه بالجيم ، ثم صححوا نطقهم مع الزمن فصاروا ينطقونه بالكاف الفارسية ، ولو أنهم يكتبونه بالكاف العربية . على أن المغاربة مازالوا ينطقونه ويكتبونه بالجيم ، بسبب تأخر دخول الكتب المصرية ديارهم ، ولاشك انهم سوف يصححون ذلك كذلك بعد حين .

فلعل شيئا مثل هذا قد حدث لكلمة foinix الاغريقية اذ اقتبسها الرومان بالفا. أول الامر نطقـــا وكتابة ثم صححوها فكتبوها بالباء ــ الباء المركزة (P) ــ لانها أقرب الى الاصل العربى من الفا. على كل حال. وتعايشت الصيغتان ــ الفائية والبائية ــ وتطورتا ، ثم كثرت الصيغ البائية كالذى رأينا .

ومن الطريف ان نجد بين التحويرات الآنفة صيغة (Poeni) وهى اختزال آخر ، وكأنما أرادوا بـــه الاكتفاء بالجزء الأول من الاسم العربى : (بنى ..)

واذا عدنا الآن الى **مشاكلنا الست** فاستعرضنـــاها واحدة واحدة نجدها قد انحلت جميعا من تلقاء نفسها بمجرد معرفتنا ان Foinikes بنى كنعان.

فأولا : ليست كلمة فنيقيا أو الفنيقييـــن مـــن مادة (الفنق) العربية ، ولا صلة لها بالجمل الفنيـــق ولا الغلام المتفنق ... ولا الوعاء الذى هو أصفر من الغرارة.

ثانيا : انها ليست كلمة اغريقية وضعها الاغريق من لغتهم للدلالة على الفنيقيين ، وانما هى كلمة عربيـــة مؤغرقة ببعض التحريف كما هى الـــعادة فى اقتباس الالفاظ من لغة الى لغة .

ثالثا : ان اسم الفنيقيين ليس مشتقا من اســـم (فنيقس (Foinix) ابـــن أمينتـــور بطل الحـــرب الطروادية ، ولا هو ابو الفنيقيين . وانما يظهر أن العكس هو الصحيح ، أى ان فنيقس بن امينتور هذا لما كان من بنى كنعان ــ ومعلوم أنه ابن الملك الفنيقى المشهـــور آجينور ، أخوه قدموس واخته اوربا ــ لما كان من بنـــى كنعان سمى فى الاغريقية باسمهم كما نقول نحـــن : فلان الحجازى او العراقى او اللبنانـــى ــ ولمـــا كانـــت الاساطير كثيرا ما تتخذ اسم الشخص رمزا لاسم قبيل او شعب أو طبقة من الناس فمن المحتمل أيضا ان بنى كنعان ــ بعضهم ــ اشتركوا فى حرب طروادة الى جانب الاغريق وأبدوا بسالة سجلتها لهم الاساطير ، ورمزت اليهم بالبطل فنيقس Foinix

أما ان هذه الكلمة تدل فى الاغريقية على العنـــقاء ــ **رابعا** ــ فالذى نراه هو أن الشبه الشديد بين اسم الفنيقيين (Foinikes) واسم العنقاء Foinix. فى لغة الاغريق أفضى الى التباس الاسمين عليهـــم فخلطوا بينهما كما خلطوا بين اسمى سوريا (Syria) وآشور (Assyria) ، وكما خلط الانكليز بين كلمة benjoin التى سبق الحديث عنها واسم بنيامين (Benjamin) فاستعملوا هذا الاسم التوراتـــى المشهور بمعنى الاسم الاول أى الصمغ الجاوى . وبسبب مثل هذا التشابه اللفظى يقال للهر فى لغة الموصـــل (هارون)! وما أكثر ما تتحد كلمتان فى كـــلمة واحدة اذا تشابه نطقهما او معناهما ، خصوصا اذا كانتـــا أجنبيتين . وعلى هذا أصبح من الواضـــح ان اســـم الفنيقيين لا علاقة له بالعنقاء سواء أكانت لاسم البطل فنيقس علاقة بها أم لم تكن .

وبات بديهيا لدينا الآن ــ **خامسا** ــ ان اسم الشعب الفنيقى ليس مشتقا من اسم فنيقيا ، بل ان اسم فنيقيا هو المشتق من الفنيقيين ــ بنى كنعان ــ كما يحلو لهم أن نسميهم . واتضح ان اسم (فنيقيا) لا وجود له عند أهل فنيقيا نفسها على كل حال . وانما هو اسم صاغه الاجانب من اسم الكنعانيين للدلالة على موطنهم .

سادسا : عرفنا الآن لماذا كان اللاتين يطلقون اســـم الفنيقيين على القرطاجيين أيضا . فليس السبب هـــو

معرفة اللاتين بأن القرطاجيين ينحدرون من أصل فنيقي كما يتوهم المعجميون ، ولا هو كونهم – اللاتين – نقلوا هذه التسمية المزدوجة عن الاغريق كما قد يتبادر الى الذهن ، وانما السبب البسيط العجيب هو ان القرطاجيين أنفسهم طفقوا الى عهود متأخرة يذكرون نجارهم السحيق ويتسمون بأبوتهم العرب الشآميين (بنى كنعان) حتى بعد ان اندثرت قرطاجة ، وحتى بعد ان نزحوا الى أمريكا .

وثمة مشكلة سابعة لا أحسبنا قادرين على ايجاد حل نهائي مقنع لها الآن ، وهي السؤال : من هم هؤلاء الذين خلفوا هذه الوثيقة المرمرية في البرازيل ؟ صحيح أنهم من بنى كنعان كما صرحوا وان لغتهم القرطاجية كما تقول اكتوبتهم ، ولكن هذه اللغة كانت شائعة في شمالى افريقيا وغربيها وغربى أوربا أيضا ولا سيما في شبجزيرة (شبه جزيرة) ايبريا . وقد كان بنو كنعان منتشرين في هذه الاصقاع مثل انتشار اخلافهم العرب في نفس المناطق تقريبا بعد الفتوح الاسلامية . لهذا يحتمل ان يكونوا قد أتوا البرازيل من أى ربع من تلك الربوع التى كانت تتكلم اللسان القرطاجى .

ولكن يمكن الظن انهم من الموريطانيين المغاربة – القرطاجيين خاصة أو الكنعانيين عامة ممن كانوا قد استقروا في موريطانيا المغربية – لانهم أقرب جغرافيا الى أمريكا . وحتى ان كانوا من قرطاجة او غيرها من الامصار فلابد ان نقطة انطلاقهم – او مرورهم – كانت من بعض الموانىء الواقعة على المحيط الاطلسى ، ولا سيما ان كانوا قد عبروه من الجنوب ، وهو الارجح ولا سيما لكونهم في أمريكا الجنوبية .

فعلى هذا يسعنا ان نعتبر مكتشفى أمريكا هؤلاء – ان لم يكن قد سبقهم بعض العرب او غيرهم الى اكتشافها – يسعنا ان نعتبرهم من **المغاربة** ، ولو موقتا ، الى أن يظهر برهان صريح يؤيد ذلك او يفنده .

عبد الحق فاضل

معجم الرياضيين بالمغرب الأقصى

عبد العزيز بنعبد الله

ان العرب أساتذة النهضة الاوربية في الحساب (1) وقد فند سيديو Sédillot (2) ما زعمه بعض المستشرقين من أن علماء العرب انما اقتبسوا من الاغريق مشيرا الى ما أبدعه الفكر العربي في هذا المجال مثل ادراج الخطوط المماسة للدائرة Tangentes في الحسابات والاستعاضة عن الاساليب العتيقة بحلول مبسطة أصبحت أساسا في علم حساب المثلثات الحديث Trigonométrie

وقد لاحظ العالم شال Chasles أنه كان للعرب فضل التفكير في تطبيق الجبر على الهندسة وتأكد ذلك بعد أن نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمي منذ عام 1836 م من طرف روزن Rosen

ومن بينها بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية بطريق هندسية ويقال بان الخوارزمي هذا لم يحل سوى المعادلات من الدرجة الثانية équation de 2me degré .

وان الذى حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر بن ابراهيم (3) ولعل لفظتي الغوريتم واللوغريتم مشتقتان من اسم الخوارزمي الذى يعتبر أقدم الرياضيين العرب حيث عاش في عصر المامون العباسي ونقلت كتبه في الجبر والمقابلة الى اللاتينية وقد أبدع العرب في علم المثلثات نظرا لتطبيقاتها في علم الفلك .

وأسهم الغرب الاسلامي أى المغرب الكبير والاندلس في بلورة هذا الاشعاع العلمي العربي فظهر ابن حمزة المغربي في القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة في اللوغريتم ، واشتهر في الاندلس أبو عبيدة مسلم بن أحمد ويحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة وأبو القاسم اصبغ بن السمح (له تآليف منها المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس وكتاب كبير في الهندسة) وأبو القاسم بن الصفار وابو الحسن الزهراوى (كان عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف في المعاملات) وأبو الحكم عمر الكرماني (من الراسخين في العدد والهندسة) وأبو مسلم بن خلدون (كان متصرفا في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب) وتلميذه ابن برغوث (كان عالما بالعلوم الرياضية) وتلميذه ابو الحسن مختار الرعيني (كان بصيرا بالهندسة والنجوم) وعبد الله بن احمد السرقسطي (ناقد في الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع في العدد والهندسة) وأبو حي القرطبي (بصير بالهندسة رحل الى مصر عام 442 هـ) وابو الوقشي الطليطلي (الهندسة) (النفح ج 2 ص 874) .

ومن العلماء الذين برزوا في الهندسة والرياضيات بالمغرب الاقصى في مختلف العصور .

(1) كوتيي Gautier في كتابه عادات المسلمين وأعرافهم ص 238 .

(2) تاريخ الطب العربي – لوكلير ج I ص 320 . (3) حاضر العالم الاسلامي ج I ص 151 .

أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة Avempace له تعاليق في الهندسة توفي بفاس (عيـون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة ص 63) وكانت وفاته عام 533 هـ. (الاعـلام للعباس بـن ابراهيم المراكشي ج 8 ص 6) .

علي بن خلف بن غالب استوطن الاندلس ثم قصر كتامة أخذ الحساب عن أبي العباس ابن عثمان الشلبي (الذيل والتكملة لابن عبد الملك) .

أبو بكر بن العربي المعافري ضبط العربية والحساب وهو ابن اثنتي عشرة سنة توفي عام 543 هـ. (السلوة لمحمد بن جعفر الكتاني ج 3 ص 198 .

صنع عبد المومن بن علي مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر من ألف رجل وكان تولى صنعتها رجل من أهل مالقة يقال له الحاج يعيش .. وقد وضعت على حركات هندسية ترفع بهـا لخروجه وتنخفض لدخوله ... فاذا قرب وقت الرواح الى الجامع يـوم الجمعة دارت الحركات بعد رفع البسط عن موضـع المقصورة فتطلع الاضلاع في زمان واحـد ولا يفـوت بعضها بعضا بدقيقة وكان بـاب المنبر مسدودا فاذا قام الخطيب ليطلع عليه انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة بحركة واحدة لا يسمع لها حس ولا يرى تدبير (الحلل الموشية) وذكر المقري في النفح أن آثـار هذه المقصورة كانت باقية عام 1010 هـ.

المهندس عبيد الله بـن يونس الاندلسي الـذي استخرج المياه التي تسقى بها بساتين مراكش بصنعة هندسية (نزهة المشتاق للادريسي ص 67 مـن الجـزء المطبوع حول افريقيا والاندلس) .

أبو جعفر بن الحسن بن احمد بـن حسان القضاعي كان عالما بالهندسة وسائر التعاليم من الحساب وغيره أصله من بلنسية انتقل الى فاس حيث توفي في حدود ستمائة (الجذوة لابن القاضي ص 72) .

عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين ولد بفاس أواسط القرن السادس وهو بربري من بني حجاج بقلعة فندلاوة أخذ العلوم الرياضية عن شيخـه محمد بن قاسم قال ابن الابار في التكملة : «وله أرجوزة في الجبر قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية في سنـة 587» (ص 531) وكان أحد خدام المنصور وولده الناصر كما في الذخيرة السنية وقد وجد ذبيحا بمراكش سنة 600 او أوائل 601 هـ وتوجد نسخ من ارجوزته في الجبر والمقابلة بخزائن باريز وبرلين واكسفورد والاسكوريال والقاهرة ومن شراح الارجوزة حسب بروكلمان ابـن الهائم المصدري المتوفى سنـة 815 هـ (وهـو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقلصادي وهو «تحفـة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين» (مخطوط بخزانة مكتب الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط الماريني المتوفى سنة 900 ويسمى «اللمعـة الماردينية في شرح الياسمينية» (مخطوط ببرلين والقاهرة وسطمبول) وله أرجوزة في أعمال الجذور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الاستاذ محمد الفاسي مجلة رسالة المغرب سنة 1942 السنة الاولى عدد 1) وممـن شرح الارجوزة سعيد العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (نيـل الابتهاج ص 106) .

أبو عمران موسى بن حسن بن ابي شبامة من أهـل المعرفة بالبناء والهندسة وهو صانـع البيلة والخصة بصحن القرويين عام 599 هـ . (الجذوة بـين 37 و 57) .

وفي عهد المرينيين ظهر كثير من المهندسين ففي عام 674 هـ. خرج يعقوب المريني الى ضفة وادي فاس «ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء» فوقـف على المدينة البيضاء (فاس الجديد) حتى حدت وشرع في حفـر أساسها (السلوة ج 3 ص 145) .

محمد بن عبد الله المعروف بابن حجلة شيخ ابن البناء في الحساب (الجذوة ص 76) .

يوسف بن أحمد بن حكم التجيبي قاضي الجمـاعة بفاس أخذ عنه ابن البنا الحساب والتعـاليم (الجذوة ص 346)

محمد بن علي المعروف بالشريف (شهرة لانسبا) قاضي الجماعة ذكر أبو حيان أنـه كان يـدرس بمراكش سيبويه والفقه والحديث ويميل الى الاجتهاد وله مشاركة في الحساب ويغلب عليـه البحث لا الحفظ وهو مـن تلاميذ أبي الحسن بن القطان مات بمراكش عام 682 هـ. وذكر في نيل الابتهاج ان ابـن البنا المراكشي مـن تلاميذه ذاكره مسائل من كتـاب الاركـان لاقليدس (الاعلام ج 3 ص 192) .

أبو العباس بن البنا العددي المراكشي له التلخيص في الحساب ومقدمة في اقليدس واختصار في الفلاحـة توفي عام 721 هـ . على قول ابن قنفذ (نيل الابتهاج ص

42) كان يقصد شيخه عبد الرحمن الهزميرى فيما أشكل عليه من مسائل الهندسة (ص 137) وله ايضا جزء فى المساحات (الجذوة ص 77) .

ذكر ابن القاضى فى درة الحجال (القسم الاول ص 5) أن له كتابا فى الجبر والمقابلة سماه الاصول وكذلك رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحساب زيادة على تلخيص أعمال الحساب ـ وذكر عباس بن ابراهيم فى الاعلام أن كتاب الجبر والمقابلة موجود فى المكتبة الخديوية (ج 1 ص 379) وذكر القلوسى فى هذا الكتاب أنه مستنسخ من كتاب القرشى والتلخيص مستخرج من كتاب فى التعاليم لبعض الناس (ج 1 ص 380 نقلا عن صاحب الافادات والانشادات) وممن شرح تلخيص ابن البنا احمد بن رجب بن طنبغا القاهرى المتوفى عام 850 هـ. المعروف بابن المجدى وممن اختصره وسماه بالحاوى أبو الشهاب الغرافى المعروف بابن الهائم المتوفى عام 815 ونظمه محمد بن غازى المكناسى وابن القاضى صاحب الجذوة (ص 384) وممن شرح التلخيص أبو العباس بن قنفذ فى كتاب سماه «حط النقاب عن وجوه الحساب» ولابن قنفذ هذا بغية الفارض من الحساب والفرائض (الاعلام ج 2 ص 17) .

أبو جعفر بن صفوان امام فى الحساب قرأ بمراكش على ابن عبد الملك المؤرخ وابن البنا (الاعلام ج 2 ص 2)

ابن الشاط قاسم بن عبد الله كان عارفا بالاصلين والحساب له غنية الرائض فى علم الفرائض توفى عام 723 هـ. (الدرة لابن القاضى ص 437) .

الحسن بن عثمان بن عطية التجانى المكناسى الونشريسى من أهل الحساب شاعر فرضى تلميذ أبى البركات البلفيقى ولد فى حدود 724 هـ. (السلوة ج 3 ص 260) .

على اليفرنى المكناسى الشهير بالطنجى امام فى الفرائض والحساب فى وقته توفى عام 734 هـ. (الدرة ص 441) وهو بن عبد الرحمن بن غيم (نيل الابتهاج لابن بابا السودانى ص 192) .

أحمد بن عبد الله العطار المليلى الفاسى توفى عام 741 (الجذوة ص 57) .

عبد الله بن محمد بن احمد التلمسانى ولد سنة 748 قرأ الهندسة بكتاب أقليدس على والده بفاس (نيل الابتهاج ص 127) .

محمد بن على السطى ختم كتاب الحوفى على أبى الحسن على الطنجى اليفرنى وله تقييدات عليه توفى غريقا فى اسطول ابى الحسن عام 749 هـ. (درة الحجال لابن القاضى ص 218) .

أبو القاسم محمد ابن جزى صاحب القوانين الفقهية له باع مديد فى الحساب توفى عام 757 هـ. (السلوة ج 3 ص 224) .

على بن أحمد التلمسانى موقت القرويين أيام أبى عنان المرينى صنع المنجانة المقابلة للمدرسة العنانية عام 758 هـ. (جذوة الاقتباس لابن القاضى ص 31) .

عبد الرحمن اللجائى الفاسى تلميذ ابن البنا فى العلوم التعليمية توفى عام 773 حسب تلميذه ابن قنفذ (السلوة ج 1 ص 304) .

عثمان بن رضوان الزروالى المتوفى بفاس عام 778 هـ. (السلوة ج 3 ص 309) .

سليمان بن يوسف الانفاسى توفى عام 779 هـ. (السلوة ج 3 ص 158) .

السلطان أبو عنان المرينى كان فقيها يناظر العلماء (السلوة ج 3 ص 225) الاستقصا (ج 3 ص 101) .

على الجلاوى توفى عام 782 بمصر (نيل الابتهاج ص 198) .

ابن قنفذ القسنطينى له شرح على تلخيص ابن البنا سماه حط النقاب عن وجوه الحساب (درة الحجال ص 61) .

أحمد الاوسى المراكشى المعروف بابن الشماع امام فى الحساب عارف بالمنطق والهندسة (من أهل القرن الثامن) (الاعلام ج 2 ص 10) .

محمد الشريف التلمسانى من علماء الحساب والهندسة والهيئة كان لسان الدين ابن الخطيب اذا الف تاليفا بعثه اليه وطلب منه أن يكتب عليه بخطه (نيل الابتهاج ص 258 و 264) .

جمال الدين الماردينى خليل بن يوسف المهندس المتوفى عام 806 هـ له غاية الانتفاع بالبخش الذى فى طرف قوس الانتفاع طبع حجر فاس .

عمر الرجراجي خطيب جامع الاندلس اليــه تنسب الشجرة التى تعمل فى قول الحوفى فى النزلات توفى عام 810 هـ. (الدرة ص 416) . (السلوة ج 3 ص 64)

سعيد العقباني التلمساني (ولد عام 720 هـ وتوفى عام 811 هـ) شارح تلخيص ابن البنا وقصيدة ابن ياسمين في الجبر والمقابلة يلقب برئيس العقلاء (نيـل الابتهاج ص 106.

وله بغية ذوى الرغبات فى شــرح عويص رسالـة الماردينى فى الربع المجيب في الميقات (طبعت فى حجر فاس مرتين) وقد طبع كتابه كشف الاسرار عن علـم حروف الغبار مرارا بحجر فاس.

على بن عبد الله بن هيدور التادلي امــام الفرائض والحساب له شرح على تلخيص ابن البنــا فى الحساب وتقييد على رفع الحجاب توفى عــام 816 هـ. (الدرة ص 443) .

احمد بن زوغو التلمساني المتوفى عــام 845 تلميذ القلصادى (نيل الابتهاج ص 63) (السلوة ج 3 ص 311).

عبد العزيز بن محمد اليفرني المكناسي توفي بفاس عام 853 هـ. (السلوة ج 3 ص 306) (والدرة ص 376) .

عبد الله بن محمد اليفرني الشهير بالمكناسي كان قائماً على كتاب الحوفى توفى بفاس عام 856 هـ. (السلوة ج 3 ص 303) درة الحجال (ص 341) .

محمد بن سليمان الجزولي المتوفى عام 863 هـ. وهو غير صاحب دلائل الخيرات (نيل الابتهاج ص 330) .

محمد القورى حافظ فاس حيسوبى طبيب المتوفى عام 872 هـ (السلوة ج 2 ص 116) .

الشاعر عمر الجزنائى كان حيا عام 900 (الـــدرة ص 417) .

داود التاملي توفى عام 900 هـ. (درة الحجال ص 143)

موسى بن على الاغصاوى الصنلتاني المتوفى عام 911 هـ (السلوة ج 3 ص 88) .

أمير المومنـــين فى الفرائض والحساب ابــراهيم المصموتي توفى بفاس عام 912 أو 913 هـ. (درة الحجال ص 107) وسلوة الانفاس (ج 2 ص 4) تلميذه ابراهيم الزواوى فقيه كنو من السودان (الدرة ص 111) .

محمد بن غازى المكناسي شيخ الجماعة بفاسلـــه منية الحساب ، ونظـم فى شرحها تلخيص ابـن البنـا فزاد عليه وله « امتــاع ذوى الاستحقاق ببعض مــراد المرادى وفوائد ابى اسحاقه والجامع المستوفي بجداول الحوفى (درة الحجال ص 224) ونيل الابتهاج (ص 360) وقد توفى عام 917 هـ.

أحمد الغزالي من بيت بنى غزالة بفاس كان استاذا فرضيا حيسوبيا له معرفة بالفلك تــوفى عام 920 هـ. (درة الحجال ص 91) .

عبد الله بن عمر المطغرى توفى بدرعـة عام 927 هـ. (الدرة ص 2 34) .

محمد بن قاسم بن توزت التلمساني استخدم عقلـه فى حل مشاكل الهندسة وهو من مواليد نهاية القـرن التاسع الهجرى (نيل الابتهاج ص 340) .

محمد بن هلال امــام التعــاليم في سبتـــة وشارح المجسطى فى الهيئة مات بالطاعون عام 949 (الاعلام ج 3 ص 263) .

عبد الواحد بن احمد الونشريسى نظم تلخيص ابن البنا فى الحساب توفى قتيــلا عــام 955 هـ. (الدرة ص 382) .

عبد الحق بن احمد المصمودى السكتاني العــددى شيخ الجماعة فى الفرائض والحساب بفاس أخذ عنـه المنجور الحساب توفى عام 955 هـ (السلوة ج 3 ص 294)

على بن حسين الورياجلي العددى أخذ الحساب عــن عبد الحق المصمودى السكتاني بفاس وكان نافذا فيـــه وعنه أخذ المنجور توفى عــــام 961 هـ. (السلــوة ج 3 ص 311) .

عبد الله بن على الهبطى كانت له معرفة بالرياضيات توفي عام 968 هـ. (الدرة ص 345) .

أحمد بن على ابن عرضون الغمارى توفي بعد 970 هـ. (درة الحجال ص 92) .

محمد بن شقرون بن هيبة التلمساني مفتى مراكش توفى عام 983 هـ. (نيل الابتهاج ص 371) .

محمد بن احمد بن مجبر المسارى توفى عام 985 هـ. وقيـــل 982 هـ. (السلـــوة ج 3 ص 129) ودرة الحجال ص 256) .

محمد بن يوسف المعروف بابن مشون من أساتذة المرية رحل الى سبتة نظم رجزا في علم الجبر والمقابلـة توفى عام 989 هـ. (درة الحجال ص 176) .

محمد بن سعيد بن سليمان الطنجي توفى عام 992 هـ (درة الحجال ص 259) والجذوة (ص 154) .

أبو راشد يعقوب بن يحيى اليدرى امام الفرائض والحساب توفى عام 999هـ (السلوة ج 3 ص 318) كان قاضيا بتامسنا (درة الحجال ص 109) .

محمد بن احمد الساعى ولد بعد عام 920 (درة الحجال ص 264) .

سليمان بن ابراهيم قاضي قصبة مراكش ولد بعد 920هـ وهو أحد أمناء بيت المال (الدرة ص 479).

عبد العزيز بن عبد الله الدمناتى المولود بعد 930 (الدرة ص 378).

محمد بن محمد العشاب الاندلسى الدرعى ولد بعد 930هـ (درة الحجال ص 175).

محمد الغمارى (بن محمد بن محمد) الكومى ولد بعد 940هـ (درة الحجال ص 264).

عمر الحصينى اللجائى له مشاركة في سائر العلوم والحساب ولد عام 956هـ (الدرة ص 411).

محمد بن احمد الجنان ولد قرب عام 956هـ (درة الحجال ص 265).

أبو القاسم ابن أبى العافية المكناسى أخذ الفرائض والحساب عن أبى راشد اليدرى ولد عام 960 هـ (الدرة ص 465).

عبد الرحمن بن قاسم المكناسي أخذ الحساب عن أبى راشد ولد عام 962 هـ (الدرة ص 363)

السلطان احمد المنصور الذهبى له قدم راسخ في المنطق والحساب والهيئة والهندسة (نشر المثانى ج 1 ص 77) فهم كتاب اقليدس من غير شيخ لعزة وجوده بالمغرب فكان يفك شكلا فى كل يوم (درة الحجال ص 51) وتضلع أيضا فى الجبر والمقابلة (السلوة ج 3 ص 226).

أحمد بن قاسم معيوب كان له معرفة بالتعاليم من حساب وهيئة توفى بمراكش عام 1022 هـ (الاعلام ج2 ص 82).

احمد بن القاضى المكناسى المؤرخ له «غنية الرائض فى طبقات أهل الحساب والفرائض» (مفقودة) والمدخل فى الهندسة ونظم تلخيص ابن البنا (النشر ج 1 ص129) وظهرت فى وقته الحرف المهمة التى لم تكن بالمغرب منها الحساب والهندسة والمساحات (الاعلام للمراكشى ج 1 ص 46) . توفى عام 1025 هـ .

محمد بن محمد بن القاضى والد صاحب الجذوة أخذ الحساب عن عبد الحق المصمودى السكتانى (السلوة ج 3 ص 58).

قرأ عليه ولده احمد الحوفى والحصار وشيئا من منية الحساب لابن غازى وأوائل الاصول لاوقليدس بعض المقالة الاولى منه (الدرة ص 253).

الرحالة محمد بن القاسم ابن القاضى اوحد عصره فى علم الحساب والتنجيم والجدول له البرق الوامض فى الحساب والفرائض توفى قتيلا بفاس عام 1040 هـ (السلوة ج 3 ص 287).

محمد بن احمد الجنان الاندلسى الفاسى أخذ عن المرغيثى وتوفى عام 1050 هـ (السلوة ج 3 ص 58).

أحمد القلصادى موقت القرويين كان يدرس كتاب القلصادى توفى عام 1063 (نشر المثانى للقادرى ص 207)

أما على بن محمد القلصادى (810 ـ891 هـ) فأصله من بسطة ، واستوطن غرناطة ومات بباجة بتونس له شرح الارجوزة الياسمينية فى الجبر والمقابلة وقانون الحساب وكشف الاسرار فى الجبر (الاعلام للزركلى ج 5 ص 163) وله أيضا شرحان على تلخيص ابن البنا والحوفى والغنية فى الفرائض أخذ بمصر عن ابن حجر كما فى رحلته (النفح ج 2 ص 684).

وقد طبع كتابه كشف الاسرار عن علم حروف الغبار مرارا بحجر فاس .

محمد بن احمد الصباغ البوعقيلي مهر فى الحساب والهيئة له شرح على المنية لابن غازى وله اليواقيت فى الحساب والفرائض والمواقيت توفى عام 1076 وهو تلميذ ابى العباس ابن القاضى (السلوة ج 1 ص 239).

محمد بن محمد بن أبى بكر التواتى له مشاركة فى الحساب تلميذ ابن القاضى فى الحساب وأستاذه فى الحديث لانه يروى عن ابن حجر عن طريق محمد بغيغ عن أندغ عن القلقشندى (درة الحجال ص 230).

قال ابن القاضى : أنشدنى محمد بن يوسف التدغى:

«لولا الحساب وعلم كل فريضة
لم يعرف التحريم والتحليل»

(الدرة ص 238).

يعقوب البستاني امام الفرائض والحساب كان يقرنها في الهواء فاذا أراد عاملها أن يصورها في اللوح ضربه بالقضيب على يده (الجذوة ص 350) .

أحمد التقليتي العارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادىء الهندسة وهو شيخ جماعة الفنون المذكورة بمراكش وهو معاصر لمؤلف درة الحجال (الدرة ص 92).

محمد بن سعيد السوسي المرغيثي صاحب المقنع في التوقيت توفي عام 1089 هـ (نشر المثاني ج 2 ص 37).

محمد بن محمد بن سليمان الفاسي الروداني كان يتقن فنون الرياضة واقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره توفي عام 1094 هـ (الاعلام ج 4 ص 334 نقلا عن خلاصة الاثر) .

وقد تنافس الناس في اقتناء الآلة التي اخترعها وكان يبيعها بثمن غال وقد الف رسالة في وصفها وهي منشورة في الاعلام (ص 350) والآلة عبارة عن كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسوما ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف (نشر المثاني ص 87) .

أحمد بن عبد العزيز الهلالي نزيل مدغرة بسجلماسة كان اماما في تحقيق علوم منها الهندسة (نشر المثاني ج 2 ص 273) .

محمد بن الشيخ محمد بن محمد بن ناصر نادرة الزمان في علم الحساب والهندسة وتوفي عام 1126 هـ (الاعلام ج 5 ص 21) .

عبد الرحمن الفاسي كان منفردا بتحقيق التعاليم ومنها الحساب فاق أهل وقته في ذلك (السلوة ج 1 ص 315) وتخرج عليه في التعاليم ولده محمد (فتحا) الذي أخذ الناس عنه الحساب (ص 320) وتوفي عام 1096 هـ .

محمد بن احمد ابن الحاج السلمي قاضي فاس الجديد توفي عام 1128 هـ (السلوة ج 1 ص 156).

احمد بن سليمان الجزولي شيخ الاسلام صاحب النظم الذي أكمل به رجز ابي سالم بن قاسم السملالي في الحساب وشرحه بشرحين توفي عام 1133 (الاعلام ج 2 ص 168).

احمد بن الحاج المتوفى عام 1133 هـ (السلوة ج 1 ص 156).

أبو العباس أحمد بن سليمان ذو التآليف العديدة في الحساب وغيره توفي بمراكش عام 1133 هـ (الاستقصا ج 4 ص 54) .

محمد بناني المحوجب كان اليه المرجع بفاس في الفرائض والحساب وتوفي عام 1140 هـ (السلوة ج 1 ص 169) .

احمد بن علي التسرادي قاضي فاس كان يدرس الوثائق والحساب توفي عام 1163 هـ (السلوة ج 3 ص 198).

محمد (فتحا) بن احمد الفاسي توفي عام 1179 هـ (السلوة ج 1 ص 322).

أحمد بن محمد القاضي التلمساني كان يشار اليه في فني التوثيق والحساب أخذ عنه أبو العباس الغربي ، وكانت وفاته في حدود 1180 كما يستفاد من رسم على ضريحه بتاريخ عام 1182 الاغتباط في تراجم قضاة الرباط ج 1 ص 27 لابي جندار .)

احمد بن عبد الجليل الشرايبي توفي عام 1190 هـ (السلوة ج 3 ص 51).

احمد بن الامين الوداني اليعقوبي كان عارفا بالهندسة أقرأها بمراكش كان يتذاكر مع سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمن الذي حل أشكالها وبرع فيها بقوة ذهنه من غير تعلم على شيخ وكان ينوب على الوداني في القاء الدروس وقد ختم السلطان كتاب اقليدس في الهندسة بمراكش (الاعلام ج 2 ص 216).

أبو القاسم الزياني المؤرخ (السلوة ج 1 ص 263).

محمد بن عبد الله السوسي توفي بفاس عام 1194 هـ (السلوة ج 3 ص 290).

محمد بن محمد التاودي بن سودة المري الفاسي كان عارفا بالتنجيم والحساب والهندسة وله اليد الطولى في الحساب توفي عام 1194 (سلوة الانفاس ج 2 ص 71) .

محمد المسناوي مرينو الاندلسي المنجم الحيسوبي له مؤلفات منها «تقدير قرض النفقات» وضعه بعمل الرموز والارقام مرتبا على أطوار حياة المنفق عليهم ويشارك في علم الفلك وغيره توفي عام 1207 (ج1 ص 136– الاغتباط)

سليمان الفشتالي الحكيم المتحقق بتعاليم القدماء شيخ

سليمان الحوات في الحساب والطب توفي عام 1208 هـ (السلوة ج 3 ص 116).

الاستاذ المعطى مرينو الموقت الشهير لـه مـؤلفات في التوثيق ومنها كتابا سماه ارشاد الحائر وآخر في تعديل الكواكب السبعة سماه كنز الاسرار، وآخر في ابعاد النيرات ورصده، وابتكارات أخـرى في علـم المزاول الرخامية وغير ذلـك توفي عام 1223 (ج 2 ص 116 ـ الاغتباط).

القاضي محمد بن ابراهيم المدعو بـزار مختص في الفرائض والتوثيق والحساب بين جبن وغيره توفي عام 1227 هـ. (ج 1 ص 215 ـ الاغتباط).

محمد بن احمد بنيس اخذ عنه الحساب السلـطان مولاي سليمان توفي عام 1213هـ (السلوة ج 1 ص 204).

يحيى بن المهدي الشفشاوني توفي عام 1228 (السلوة ج 1 ص 94).

احمد بن الطاهر المراكشي له معرفة بالاحكام النجومية والازياج ويعلم الهندسة والجـدول مات عـام 1250 هـ (الاعلام ج 2 ص 214).

العربي البلغيثي توفي عام 1271 هـ (السلوة ج 3 ص 129).

محمد السليطن الشريف السوسي الحيسوبي وعنـه أخذ الحساب أبو اسحاق بن ادار توفي عن نحو المائـة سنة في أواخر دولة مـولاي عبد الرحمن (الاعـلام ج 5 ص 319).

احمد حدو الهنتيفي أستاذ في الحساب والرصـد والاسماء وكان يحسن نحوا من ثمانية عشر علما توفي عام 1285 هـ (السلوة ج 3 ص 82).

محمد متجنوش أستاذ انفرد في علم الحساب والتنجيم توفي عام 1290 ـ وعمره 31 سنة (ج 1 ص 212).

المهدي بن سودة درس الحساب على علي بن ادريس قصارة توفي عام 1294 هـ (السلوة ج 1 ص 304).

عبد الرحمن لبريس المنطقي الفلكي الحيسوبي سافر الى الحج عام 1307 وهو من مواليد القـرن الثالث عشر (ج 2 ص 134 ـ الاغتباط).

الطاهر ضاكة كان رياضيا حيسوبيا (ج 2 ص 82 ـ الاغتباط) توفي اواخر القرن الثالث عشر.

أحمد المتوكي المصلوحي من حفاظ النجاري كان يقرى الحساب بشرح الرسموكي وهو من أهـل القرن الثالث عشر (الاعلام ج 2 ص 229).

محمد بن الرئيس ابن الحسن علي التركي هو الرياضي الكبير الضليع في الهندسة والرياضة وغيرها. ومـن أوضاعه في هذا مثال سماه «الشكل الكوري» وهـو شكل عجيب شامل لسائر الزوايا والخطوط واشكال الهندسية مما تشمله أصول أقليدس وتهذيب الطوسي، ولم يعثر عن تاريخ حياته. (الاغتباط لابي جندار ج 2 ص 192).

الحاج التهامي بن علي البطاوري أستـاذ حيسوبي توفي عام 1325 هـ (ج 2 ص 49 ـ الاغتباط).

احمد بن عبد الله التناني المعروف بالصويري كـان عارفا بالحساب والتنجيم وعلم الاحكام الفلكية وعلـم الهيئة له مؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر والمقابلة وفي اللوغاريتم وحل أشكالا هندسية ونقلها الى الاعمال الحسابية وكان رئيس طلبة الحساب والمهندسين فـي الحضرة الحسنية أخذ عنه الحيسوبي محمد بن شهقـرون والطاهر الحمري صاحب الدستور في أوقات المعـمور توفي عام 1320 جعله السلطان سيدي محمد بن عبـد الرحمن رئيس المهندسين وعينه مولاي الحسـن رئيس قواد الطبجيـة (اي المدفعية في العـامية المغربية) وخليفة وزير الحرب واخذ عنـه الهندسة المهندس محمد بـن المكـي المسفيوي ومحمـد الجرجوري الذي هو من نجباء طلبة الهندسية (الاعلام ج 2 ص 267).

أحمد بن محمد بـن ابراهيم كـان يلقب بالنوازلي الحيسوبي توفي عام 1334 هـ (ج 1 ص 79 ـ الاغتباط).

الاستاذ المهدي متجنوش أستاذ الفرائض والحساب توفي عام 1344 (ج 2 ص 121 ـ الاغتباط).

وهنالك رياضيون ومهندسون آخرون تتجلى قيمتهم العلمية فيما صنفوه من كتب وأبحاث تكفلت المطبعـة الحجرية في فاس بطبعها عندما أنشأها السلطان محمد الرابع منذ أزيد من قرن (راجع مطبوعات المغرب للاستاذ ادريس الادريسي وهي مخطوطة)

وفيما يلي هذه الكتب بأسماء مؤلفيها:

محمد بن أحمد الاغزاوي الفاسي المتوفى بعد 1337 هـ (اتحاف المباشر لنظم ابن عاشر) في الربع المجيب. طبع على الحجر بفاس.

محمد بن عبد المجيد أقصبي الفاسي نزيـل الرباط

المتوفى به فى 1364 له حاشية حفيلة على شرح الفشتالى على رسالة المارديني فى الربـــع المجيب مجلدان سماها (اتحاف الفئة المبتغية بحل اقفال شرح الرسالة الفتحية)، وقد أثنى عليها صاحبه محمد العلمي فى حـــاشيته على الشرح المذكور (ص 9) .

حاشية على شرح (المنية) لابن غـــازى فى أعمـال الحساب (وهما مخطوطان) حدثني عنهما الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني .

محمد بن أحمد بنيس الفاسي المتوفى سنة 1213 .
بهجة البصر فى شرح فرائض مختصر خليل .
تكرر طبعه على الحجر بفاس عدة مرات .

وعليه حواشي عبد الله ابن خضراء السلـوى قاضى فاس وحواشي الفقيه جنون الفاسي والثلاثة مطبوعة مع بعضها فى جزأين على الحجر بفاس وتكرر طبع الحاشيتين.
. ولبنيس ايضا :

(نزهة ذوى الالباب وتحفة نجباء الانجاب) .
وهي حاشية على بغية الطلاب لابن غازى .
طبعت مرتين على الحجر بفاس .
عبد الرحمن بن عمر الساسي البوعقيلي المتوفى سنة 1020 .

(قطف الانوار ، من روضة الازهار) .
طبع على الحجر بفاس .
عبد الرحمن بن محمد الجـــادرى الفـــاسي المتوفى سنـــة 818 .

(روضة الازهار فى عمل الليل والنهار) .
طبعت على الحجر بفاس .
محمد بن المدني جنون الفاسي ت 1302 .
حاشية شرح بنيس على فرائض المختصر .
طبعت على الحجر بفاس مرات 292 ص 328 ص 216 .
عبد الرحمن بن خضراء السلوى قاضى فاس ت 1324
(مرآة الفكر والنظر الى بهجة البصر فى شرح فرائض المختصر) بنيس .

طبعت على الحجر بفاس مرتين .
أحمد بن سليمان الرسموكي المتوفى سنة 1133 .
(مفتاح اجنحة الرغاب فى معرفة الفرائض والحساب).
تكرر طبعه على الحجر بفاس .
(ارشاد المتعلم والناسي فى صفة أشكال القلـــم

الفاسي) لاحمد بن الحاج العياشي سكيرج المتـــوفى سنة 1363 هـ .
طبع حجر بفاس .

الفذلكة الجـــامعة فى صرف الجامعـة وشرحهـــا « الروضة اليانعـة والثمـرة النافعة» كـــلاهما لاحمد سكيرج (طبع فاس) .

المكي بـــن المهـــدى بـــن الطالب ابـــن ســـودة الفاسي المتوفى عام 1317 .

كان الاستاذ العلمي يشيد كثـيرا بمعرفته التـــامة بالحساب والتوقيت ويذكر انه عمدته في ذلك ، (راجع مثلا ص 36 من حاشية العلمي على شرح الرسالة الفتحية للفشتـــالى) .

(العروة الوثقى للمتشبثـين ، بتلخيص خـــلاصة الباحثين ، عن أحوال جميع الوارثين)

(ارجوزة فى المناسخات وصرف الجامعة)
(الفلق الكاشف لظلمة الفلق ، فى حصتي الفجـر والشفـــق) .

(مرقاة الحساب ، فى عمل التوقيت بالانساب)
لمحمد العلمي ، طبع حجر بفاس .
(المنهاج الميسر فى الربع المقنطر) .
لمحمد العلمي أيضا طبع حجر بفاس .
ولمحمد العلمي مخطوطات كثيرة لم تنشر لحد الآن .
(بغية الطلاب فى شرح منية الحساب) .
لمحمد بن غازى المكناسي ثم الفاسي ت 919 .
طبع على الحجر بفاس .

(بغية ذوى الرغبـــات ، فى شرح عويص رسالـة المارديني فى الربع المجيب من الميقات) .

لسليمان بن أحمد الفشتالى الفاسي ت 1208 .
طبع على الحجر بفاس مرتين .
(ارشاد المتعلم ، وتنبيه المعلم)
وهو شرح لفرائض مختصر خليـل ، لعلى القلصادى ت 891 .

طبع على الحجر بفاس مرتين .
(كشف الاسرار عن علم حروف الغبار) .
لابى الحسن على بن محمد القلصادى .
تكرر طبعه بفاس على الحجر

(غاية الانتفاع بالبخش الذى فيطرف قوس الارتفاع)
تأليف جمال الدين خليل بن يوسف الماردينى ت 806 .
طبع بفاس مع غيره .
(الرسالة الفتحية فى الاعمال الجيبية) .
لمحمد بن محمد بن احمد سبط الماردينى ت 902 .
طبع حروف بفاس مع غيرها .
منظومة فى الربع .
لمحمد المهدى متجنوش الرباطى ت 1344 .
طبعت مع غيرها على الحجر بفاس .
(شرح المقنع فى نظم ابن فترع) للمرغيثى .
تاليف محمد بن محمد بن عبد الله السوززيزى ت 1165 .

(القول المحرر فى بيان العمل بالربع المقنطر) .
لعبد العزيز بن عبد السلام الوزكانى .
طبع على الحجر بفاس .
جدول الجيب المحلول .
طبع حجر بفاس .
جدول الظل الاثنى عشر المحلول
طبع حجر بفاس .
(جدول الشبة الستينية) .
طبع حجر بفاس
(المقنع فى علم ابن مقرع) (فى المواقيت) .
لمحمد بن سعيد السوسى المرغيثى المتوفى عام 1089.
طبع على الحجر بفاس مرارا مع غيره .
(الممتع فى شرح المقنع) .
طبع على الحجر مرارا بفاس
(المطلع على مسائل المقنع) .
طبع حجر بفاس .
(معونة الحيسوبى فى عمل التوقيت بالجيوب) .
طبع على الحجر بفاس مع غيره .
(سلك فرائد اليواقيت فى الحساب والفرائض والمواقيت) .

لمحمد بن أحمد بن محمد البوعقيلى المتوفى سنة 1076.

طبع على الحجر بفاس .
شرح أرجوزة الجزنائى المسماة بالنور المنير فى صناعتى التوفيق والتكسير له أيضا .

طبع على الحجر بفاس فى 47 ص .
(تحرير أصول الهندسة) لاوقليدوس
لخوجة نصير الدين الطوسى ت 672 .
طبع على الحجر بفاس فى مجلدين ضخمين .
(فصل الخطاب ، فى حكم دائرى الفجر والشفق المستخرجين بالحساب) .

لمحمد بن عبد الله بن عبد الرازق الفاسى أصلا المراكشى دارا ومنشئا موقت مراكش .

طبع على الحجر بفاس .
(بلوغ الامنية فى صرف الجامعة الرانمة الاوقية) .
لمحمد بن الحسين العرائشى المكناسى (قرن 14 هـ) .
طبع على الحروف بمكناس

(تقريب البعيد من الجامع المفيد) ، على أصول الراصد الجديد ، فى حساب الخسوف والكسوف ورؤية الاهلة

لمحمد بن محمد العلمى الفاسى المتوفى سنة 1373 وهو الذى أحيا هذه العلوم بالمغرب واخذتها عنه الاجيال المتعاقبة من أقرانه فمن دونهم .
طبع على الحجر بفاس
(الجامع المفيد) ، على (أصول الراصد الجديد) شرح منظومة رجزية له ايضا .

طبع حجر بفاس
حاشية على شرح الفشتالى لرسالة الماردينى فى الربع المجيب .

لمحمد العلمى ايضا ، طبع حجر بفاس .
(حل العقدة على مقاصد العمدة) .
للعلمى ايضا ، طبع حجر بفاس .
(السراج الموضوع على العلم المرفوع) .
للعلمى ايضا .
طبع حجر بفاس

نموذج حي للفكر العلمي العربي في شخص
«ابن البناء المراكشي»*

لمحمد إدريس العلمي

عرف العصر المريني فيما عرف من ازدهار ملموس في العلم والادب تفوقا كبيرا في ميدان العلوم والرياضيات واستكمل المغرب شخصيته العلمية وتفوق أبناؤه حتى على بعض اخوانهم العرب في الشرق في هذا المضمار ، واذا كان المرابطون قد برزوا في علوم التشريع والفقه والجدليات والفلسفة الاسلامية والموحدون قد أتوا بكل جديد طريف في علوم الطب والحكمة وفلسفة الكون وعلوم الحياة بصفة عامة فان المرينيين قد أضافوا الى كل ذلك تفوقا آخر في ميدان علم الاحياء والفيزياء والكيمياء والرياضيات وبذلك تمكن المغرب من اظهار شخصية علمية لم يشاركه فيها الا القليل من أبناء الامم الاخرى سواء في الشرق او في الغرب وظهر على مسرح الحياة العلمية عباقرة خالدون أمثال ابن خلدون واللجائي وابن البناء (1) العددي الذي هو موضوع هذا الحديث .

وكان اليوم التاسع والعشرين من شهر دجنبر 1256 م يوما عظيما بمراكش الحمراء حيث ولد علم من أعلام المغرب المشار اليهم بالبنان وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن الازدي (من الازد احدى القبائل القحطانية التي كانت تسكن اليمن وما جاورها من جنوب شبه الجزيرة العربية واليهم ينسب الانصار) ، ولقب ابن البناء بهذا اللقب لان جده كان يمتهن هاته الحرفة وكم من علماء أجلاء كانوا ابناء محترفين وفقراء وبذلك تصدق الحكمة النبوية « لولا أبناء الفقراء لضاع العلم» ولقب ابن البناء ايضا بالعددي نسبة الى العدد أي الحساب لتكريسه القسط الاكبر من حياته لخدمة هذا العلم وقيامه بتأليف كثير من الكتب فيه واستنباطه للقواعد والطرق التي لم يسبق اليها وما زالت معتمدة حتى اليوم في مدارس وكليات العالم في الشرق والغرب وقد تعلم ابن البناء على الطريقة المغربية ، حيث أدخله والده الكتاب فحفظ القرآن وبعض المتون التي تسمى بالامهات في النحو والصرف والبلاغة والادب والفقه والاصول وبرع في فهمها بعد دراستها على عدة شيوخ أجلاء وكرس جهوده على الاخص لخدمة علوم الحساب والهندسة والتوقيت والهيئة والجبر والطب ولكنه في الحقيقة لم يترك بابا من أبواب العلم الا وطرقه شأنه في ذلك شأن علماء عصره حيث كانت المشاركة عندهم في العلوم تبدأ مرحلة التخصص وقد أكسبه اشتغاله بالرياضيات والهيئة والتوقيت شهرة

---

(1) ابن البناء المشرقي هو أبو علي الحسن بن احمد بن عبد الله البغدادي المتوفى عام 471هـ (راجع ترجمته في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب طبعة المعهد الفرنسي لدمشق - تحقيق الدكتور سامي الدهان وهنري لاووست (ج 1 ص 41) وأبو عبد الله يحيى بن الحسن ابن البناء المتوفى عام 531 هـ المصدر المذكور ص 226 (اللسان العربي)

عالمية فائقة وحظوة عند رؤساء دولته وأعلامها الكبار الامر الذى جعله مناط أملهم ومحل تقديرهم واعجابهم فكانوا يستدعونه المرة تلو المرة الى فاس لالقاء دروس فى الحساب والهندسة والجبر والتوقيت يحضرها بالاضافة الى علماء الامة رؤساؤها وكبارها تشجيعا للعلم والعلماء .

درس ابن البناء على عدة أساتذة مرموقين فى مراكش وفاس اللتين كانتا حاضرتى العلم والمعرفة فى ذلك العهد فأخذ بمراكش علوم العربية عن الاساتذة القاضى الشريف وابى اسحاق الصنهاجي المعروف بالعطار والعروض والفرائض عن أبى بكر الفلوسى الملقب بالفار والفقه عن ابى موسى الشرنساتى والحديث عن محمد بن عبد المالك بن سعيد الاوسى الانصارى وبفاس أخذ ايضا عن القاضى ابى الحجاج يوسف التجيبى وابى يوسف يعقوب الجزولى وابى محمد الفشتالى كما درس الرياضيات على الاستاذين ابن حجلة وابن مخلوف السجلماسى والطب على الحكيم الشهير بالمريخ .

وتخرج على يد ابن البناء علماء كثيرون وفلاسفة عديدون كانوا نبراسا استضاء بهم العصر المرينى الثانى وازدهرت بهم حواضر المغرب وبواديه فى جميع ميادين الحضارة ومن أشهرهم الاستاذ الحيسوبى الشهير ابو زيد عبد الرحمن بن ابى الربيع اللجائى والعلامة القلصادى الذى كان نادرة وقته وابتكر طريقة الابتداء فى الجمع والطرح من اليمين بدل اليسار كما كان سائدا واستنبط ايضا علامة وضع الجذر التربيعى بعد أن احتار علماء الحساب فى أمرها زمنا طويلا ، ومنهم أيضا الاستاذ الابلى شيخ علماء المغرب ابن خلدون وأبو البركات البلفيقى وابن النجار التلمسانى وغيرهم ممن كانوا بدورا لوامع وبراهين سواطع فى المغرب .
وترك ابن البناء عدة مؤلفات ترجم بعضها الى بعض اللغات مثل الافرنسية والايطالية والاسبانية وقد ابلغ الاستاذ رونو الذى كان يدرس بمعهد الدراسات المغربية العليا (كلية الآداب) فى مقال نشر بمجلة هذا المعهد مؤلفات ابن البناء الى اثنين وثمانين فى التفسير والاصول والمنطق والفقه والفلك والعربية والحساب والرياضيات وغيرها من فنون المعقول والمنقول والنقد الادبى وعلوم الهيئة والحساب والهندسة والجبر وكانت هاته دليلا واضحا على عبقريته وسعة علمه وذكائه النادر ولفتت اليه انظار المستشرقين والعلماء بأوربا فتهافتوا عليها شرحا وتعليقا وتبسيطا ونقلا الى كثير من اللغات الحية ، وقد نقل المستشرق الاستاذ مارى فى مجلة ايطالية سنة 1864 م كتابه المعنون بتلخيص أعمال الحساب الذى تناول فيها بحث هذا العلم بكيفية مبسطة وبيان القواعد التى يجب أن يعتمد عليها الراغبون فى تحصيله كما نقل الى الفرنسية طرفا منه بشرح القلصادى الدكتور فوبكى ونشره بالمجلة الاسيوية سنة 1863 م وقد ترجم السيد رينو الاستاذ بمعهد الدراسات العليا بالمغرب رسالته فى الانواء سنة 1938 م .

ونوه بغزارة علم ابن البناء ولا سيما فى المعقول كثير من جهابذة العلم والمعرفة ممن كانت لهم صلة به أو بكتبه وممن كانت تجمعهم دروسه الحافلة فى مراكش وفاس وغيرها من المدن المغربية .

فهذا علامة عصره ابن خلدون يقول عنه فى مقدمته ما يفيد تقديره والاعتراف بفضله على علماء الشرق والغرب ومما جاء فيه قوله : «ولابن البناء المراكشى فى علم الحساب تلخيص ضابط لاعماله مفيد ، ثم شرحه بكتاب سماه «رفع الحجاب» وهو مستغلق على المبتدى بما فيه من البراهين الوثيقة المبانى ، وهو كتاب جليل أدركنا المشيخة تعظمه كما نوه به ابن حجر فى الدرر الكامنة حيث قال بعد ان ترجم له «وكان ابن البناء فاضلا عاقلا نبيها انتفع به جماعات فى التعليم ، وكان يشتغل من بعد صلاة الصبح الى قرب الزوال مدة الى أن كان فى سنة تسع وتسعين وستمائة هـ فخرج الى صلاة الجمعة فى يوم ريح وغبار وتاذى بذلك وأصابه يبس فى دماغه » ولعل هاته المدة سنة كما قدرها كثير من المؤرخين له وزادوا فذكروا قصصا كثيرة عنه رووها عن تلاميذه والمقربين اليه ومنها انه امتنع عن أكل كل ما فيه روح وصار يكاشف كل داخل عليه بما هو فيه ويخبره ببعض المغيبات ويستعمل الاشكال الهندسية والحساب فى أمور غريبة ومنها انه استعمل أحد الاشكال ضد شرطى اعتدى على بعض خدمه فلم يتم كتابته حتى خر الشرطى صريعا ، أما الامام ابن رشد الفهرى فقد ذكر أنه لم يعترف الا بعالمين هما ابن البناء العددى وابن الشاط السبتى حيث قال : (لم

او بالمغرب الا رجلين ابن البناء العددى بمراكش وابن الشاط بسبتة) .

تلك نبذة من ترجمة ابن البناء المراكشي وهي شخصية فذة لها فضل في علوم الرياضيات استحقت بها التنويه فكانت كتبه مثار تعليقات ضافية من لدن الشخصيات والهيئات العلمية في الغرب والشرق ومن لدن بعض المستشرقين الذين أخلصوا للعلم والانسانية جمعاء .

ونرى من اللازم أن ننبه الى أن الاستاذ الكبير البحاثة قدرى طوقان قد افرد في أحد اعداد مجلة الرسالة المصرية سنة 1938 م بحثا عن ابن البناء ذكر فيه ان ولادته كانت بغرناطة في منتصف القرن الثالث عشر الميلاد ونحن نرى ان جميع من ترجموا له سواء من المشارقة او المغاربة لم يتعدوا الاخبار بانه ولد بمراكش وان داره ما زالت مشهورة بحى ابن ناهض وأنه توفي بها سنة 721 في غشت 1321 م واظن أن هذا الخطأ ناشىء عن عدم توفر الخزانة العربية بالشرق عن الكثير من المصادر المغربية لا سيما منها ما يتعلق بعلماء عباقرة امثال مترجمنا ابن البناء وكثيرا ما تشوه بعض المصادر الاجنبية الواقع وتسعى للتنقيص من حضارة المغرب فينبغي أن يتنبه لها .

محمد ادريس العلمى

العامل فى النحو

ابن جنى هو اول من انكر العامل فى كتابه الخصائص حيث قال : « واما فى الحقيقة ومحصول الحديث فالحركات من الرفع والنصب والجر والجزم انما هي للمتكلم نفسه لا لشىء غيره ... ثم قال : « ان ضرب انتهت بمجرد النطق بها فلا يمكن أن تكون عاملا فى زيد أو عمرو الخ » وذهب ابن مضاء قاضى قضاة قرطبة فى عهد الموحدين على هذا النحو فى كتابه الرد على النحاة .

طبقات الأطباء بالمغرب الأقصى

بقلم عبد العزيز بنعبد الله

ازدهر الطب فى المغرب الاقصى منذ عهد المرابطين بفضل حركة التبادل الثقافى التى تبلورت بين المغرب والاندلس طوال ثلاثة قرون عندما كان بلاط مراكش وفاس يشرف على العدوتين وقد بدأ المغرب يتلقى المدد الفكرى من الاندلس العربية منذ عهد عبد الرحمن الناصر ولم تتسع شبكة تبادل العلماء ورجال الفكر الا بعد انتصار يوسف بن تاشفين فى وقعة الزلاقة .

ولهذا أدرجنا فى طبقات أطباء المغرب علماء أندلسيين لما كان لهم من أثر فى بلورة الحركة الفكرية الطلائعية فى المغرب الاقصى .

ان القرن الرابع الهجرى يعد من أنصع القرون فى اسبانيا العربية سواء من حيث دراسة الفنون أم من حيث المؤسسات والمخترعات العلمية .

فاذا كان هذا القرن هو أدون من حيث علماؤه من القرنين الخامس والسادس الهجريين فان علماء هذين القرنين انما فاقوهم بفضل ما ابتدعوه من مؤسسات ومكاتب ومدارس فأولئك بذروا وهؤلاء حصدوا وفى هذا العصر كان الحماس العلمي يتأجج حول مسلمة المجريطى الذى عاش بقرطبة .

وفى هذا الابان كذلك برز ابن جلجل كأعظم طبيب طبائعى فى عصره حيث عرب مفردات ديسقوريدس وزاد عليها الادوية المعروفة عند العرب والتى جهلها ديسقوريدس (1) وقد كتب ابن جلجل ايضا تاريخا للاطباء والحكماء الذين قبله فى الاندلس .

والوليد المدحجى الطبيب قد دخل الاندلس مع عبد الرحمن بن معاوية وكان طبيبه أخذ عنه ابنه ابراهيم .

واسحاق بن عمران هو الذى أدخل الطب الى المغرب وكذلك ابن الجزار صاحب زاد المسافر وقوت الحاضر وهو أحمد بن ابراهيم بن أبى خالد المتوفى عام 390 هـ (1004 م) ويوجد الجزء الاول من هذا المخطوط فى المكتبة الوطنية بالرباط كما يوجد فى نفس المكتبة مختصر كتاب الاعتماد فى الادوية المفردة لابن الجزار مرتبا على الحروف وصاحب المختصر غير مذكور .

وقد ألف عبد الملك بن حبيب السلمى المرداسى القرطبى المتوفى عام 237 هـ مختصرا فى الطب توجد منه نسخة مخطوطة فى المكتبة الوطنية بالرباط .

ووجه الامبراطور الرومانى الى عبد الرحمن الناصر الاموى هدايا من بينها نسخة من دسقوريدس باليونانية مع صور ملونة للنباتات فطلب الناصر من الامبراطور أن يوجه اليه رجلا يعرف اليونانية واللاتينية فبعث بالراهب نيكولا عام 901 م وكان فى قرطبة أطباء منهم حسداى وأبو عثمان الجزار ومحمد بن سعيد وأبو عبد الله الصقلى (الذى كان يتكلم بالاغريقية) وعبد الرحمن بن هيثم توصلوا الى معرفة جميع الادوية

---

(1) توجد في اسطامبول نسختان من كتاب الحشائش لديسقوريدس رسمت في أولهما صورة المؤلف اليوناني وقد اشار بوشتال وكورز الى نسخة من هذا القبيل انتسخت في بغداد عام 637هـ (ميلانج (مختلط) لوي ماسينيون ج 2 ص 93).

المفردة (2) المذكورة فى ديسقوريدس باستثناء عشرة منها وقد تعاطى ابن جلجل لتاريخ العلــوم الطبيعية الطبية . واكمل كتاب ديسقوريدس بعد اتصاله بالراهب نيكولا (لوكلير ج I ص 420) .

ومما يدل على أهمية أطباء الاندلس فى القرن الرابع أن محمد بن عبدون القرطبى دخل مصر والبصرة وعنى بعلم الطب ودبر مارستان مصر ثم رجـع الى الاندلس سنة 360 وقد ذكر صاعد «انه تمهر فى الطب ونبـغ فيه وأحكم كثيرا من أصوله ولم يكن يلحقه أحد بقرطبة فى صناعة الطب ولا يجاريه فى ضبطها وحسن درايته فيها واحكامه لغوامضها» (النفح ج I ص 444) .

وأبرز طبيب عربى ظهــر فى الاندلس فى القــرن الرابع هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى صاحب كتاب « التعريف لمن عجز عـن التأليف » وقـد قـال فيه أحد الجراحين الغربيين : « لا شك أن الزهراوى أعظم طبيب فى الجراحة العربية وقد اعتمده واستند الى بحوثه جميع مؤلفى الجراحة فى القرون الوسطى وكتابه هو اللبنة الاولى فى هذا الفن وهــو أول مــن ربط الشرايــين ووصف عمليــة تفتيت حصــاة المثــانة واستخراجها بعملية جراحية وعالج الشلل وأول مـن استعمل خيوط الحرير فى العمليات الجراحية .

وذكر لوكلير فى تاريخ الطب من جهته ان الزهراوى أعظم ممثل لعلم الجراحــة فى المدرسة العربية (ج I ص 334) .

والظاهرة الطريفة التى امتاز بها كتاب التعريــف للزهراوى هو ادراجه بازاء النصوص لصور الآلات والا فان كتابه فى التشريــح مقتبس ـ حسب الدكتــور لوكلير ـ من الكتاب السادس لبولس دوجين ولكنــه كان مع ذلك جراحا ممتازا ووضع فى أول كتابه معرفة علم التشريح كأساس للجراحة (ج I ص 455) فكتابه هو أول تعبير للجراحة كعلم (ص 456) وقد طبع كتاب الزهراوى فى الهند بصوره (3) وكثير من كتب الطب تحتوى على صور حيث يوجد مجموع فى العين بالخزانة التيمورية كتب عام 592 من محتوياته تذكرة الكحالـين لعلى بن عيسى الموصلى بها دوائر ورسوم للعين وكتاب فى علل العيون وعلاجها لحنين بن اسحاق بــه صور للعين ملونة وقد ترجم هذا الكتــاب للالمانية الاستاذ مايرهوف الكحال الشهير .

ويظهر أن الزهراوى مات بعد الاربعمائة كمـا عند حاجى خليفة وكذلك عند الحسن الوزان الـذى أرخ وفاته بـ 404 موافق 1013 وقد وهم كازيرى الذى أكد فى المجلد الاول مــن فهرسته (ص 137) أن المؤرخين الاسبان مجمعون على أن عام 500 هــو تاريخ وفـاته (لوكلير ج I ص 437) .

أما فى خصوص المستشفيات بالاندلس فقد ذكــر لوكلير انه لم تصله معلومات فى شأنها اللهم الا مــا كان من الاشارة الى مستشفى بالجزيرة الخضراء (ج I ص 571) ولكن يوجــد فى الاسكوريال مخطوط سجلت فيه استشارات طبيب فى منزله ووهم كازيرى فظنــه كتاب امتحانات للمرشحين للطب .

وذكر العلامة الامريكى فكتور روبنصن أنه كــان فى طليطلة وحدها ما يزيد على اربعمائة مستشفى (؟)

أما فى المغرب الاقصى فمــن الصعب تأكيد ابـان ابتداء الازدهار الا أن الدكتور لوكلير أكــد أن الطب ازدهر فى هذه الربوع خلال القــرن العاشر الميــلادى (الرابع الهجرى) ازدهــارا عابرا مــع الاسف (ج I ص 334) .

ثم تحدث فى موضع آخر عن أطباء المغـرب فلاحظ أن المغرب هو أشد أقطار الاسلام عمقــا من الناحيـة العلمية (ج I ص 407) .

---

(2) من جملة من صنف في الاودية المفردة الوزير أبوالمطرف عبد الرحمن بن شهيد وهو آية في الطب عانى جميع ما في كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوي بالادوية ما أمكن بالاغذية أو ما يقرب منها واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوي بالمكبة ما وجد سبيلا الى المفردة واذا أضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل يقتصر على أقل ما يمكنه وله غرائب مشهورة في الابراء من الامراض الصعبة والعلل المخوفـة بأيسـر علاج وأقربـه (النفح ج 2 ص 874) .

(3) يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط ضمن مجموع عدد1427 د بعد المقالة الثامنة من كتاب التعريف للزهراوي مقالة تحتوى على 28 صورة لحدائد الكي وءالات العمل وهـذه المكاوي الدقيقة الصنـع تختلف حسب العضو المريض من الرأس الى الاذن والفك والعين داخلا وباطنـا والاضراس والمعدة والكبد والطحال والقدم والساق والتآليـل والرحم والمثانة الخ .

ومع ذلك فقد كان فى المغارب الثلاثة أطباء مهرة فى هذا العصر يدل على ذلك ما رواه القفطى من ان المعز الفاطمى قد رافقه الى مصر أطباء من أرض المغرب (أخبار العلماء باخبار الحكماء ص 75)

وقد اشتهر قسطنطين التونسى فى القرن الرابع كطبيب ترجم عشرات الكتب الى اللاتينية .

وقد عرف البرابرة منذ عهود سحيقة حقن جراثيم الجدرى وكانوا يستعملونه لتحصين المصاب (كودار وصف المغرب وتاريخه ج I ص 239) .

ونقل الكانونى فى «شهيرات المغرب» (مخطوط) عن كتاب «فن الاسنان بالمغرب الاقصى» أنه كان بفاس فى القرن الرابع الهجرى مدرسة طبية وذلك أيام كان المغرب تحت نفوذ الامويين .

والواقع أن الطب لم يزدهر حقيقة بالمغرب الاقصى الا منذ القرن الخامس يشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد (الذى هو أعظم فيلسوف انجبته الاندلس) وبنى زهر الذين توارثوا الطب طوال ثلاثة قرون واعظمهم هو ابو مروان عبد الملك الذى يعتبره بعض المؤرخين أكبر طبيب تخرج من المدرسة العربية يضاف الى هؤلاء الغافقى وأبو الصلت أمية ابن عبد العزيز الدانى اللذان ألفا فى تاريخ الطب الطبيعى .

والغافقى هذا هو أبو جعفر أحمد بن محمد وهو غير محمد بن قسوم الغافقى صاحب المرشد فى طب العيون ويوجد كتاب الاعشاب للغافقى فى دار الآثار العربية وهو يحتوى على 380 رسما ملونا لنباتات وعقاقير وحيوانات متقنة الرسم .

وممن نبغ بالاندلس فى هذا العصر ابن العوام مؤلف « كتاب الفلاحة » الذى لا يوجد له نظير فى الادب العربى لما يحتوى عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة ثمينة (لوكلير ج 2 ص II) بل هو أعظم ما انتجه لا العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة (ص IIO) .

وابن العوام هذا هو أبو زكرياء يحيى بن محمد الذى لا نعرفه الا من خلال مصنفاته ويرى كازيرى أنه عاش فى القرن السادس الهجرى . (4)

زد على هؤلاء الشريف الادريسى السبتى وقد جاء فى رسائل البشرى أنه اشتهر فى فنون الهيئة والجغرافية والفلسفة والطب والنجوم وقرض الشعر وطاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية والاندلس وفرنسا وانجلترا ووصف نباتات كل قطر (الاعلام للمراكشى ج 3 ص 34) .

وأصبحت هذه المصنفات أساسا دراسيا لرجال القرن المقبل أمثال ابن البيطار (5) المالقى واستاذه أبى العباس النبطى وهما أعظم العلماء النباتيين العرب الذين وصلتنا مؤلفاتهم ولم ينجب الشرق فى هذه الاثناء من أعاظم الرجال سوى فخر الدين الرازى فاستطاع الاندلس بفضل شبكة علمائه أن يحمل راية الفلسفة والطب فى العالم الاسلامى (لوكلير 2 ص 72) .

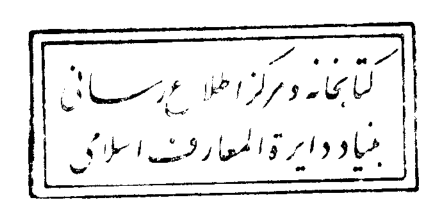
على أن أبا عبيد البكرى صاحب المسالك قد خلف كتابا حول أعشاب الاندلس واشجارها ينقل عنه ابن البيطار وقد وصف فى مسالكه بعض الظواهر الغريبة من تاريخ علم الطبيعة كالاعشاب المسهلة والاشجار (اركان) التى أشار الى وجودها فى طريق اغمات الى فاس .

وبفضل الانبعاث فى الاندلس صارت أوربا تنفض عنها اردية الركود واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد ريموند أسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتينى واذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية ثم ورد جيراردو كريمون على طليطلة حيث استقر نحوا من نصف قرن نقل خلالها من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا أو اغريقيا معربا .

وقد بدأت حركة الترجمة فى افريقيا منذ القرن الرابع فهذا قسطنطين التونسى الصقلى قد أسس مدرسة سالرنة وهى أول مدرسة من نوعها فى أوربا

(4) ذكر رسكا Ruska في دائرة المعارف الاسلامية (ج ا ص 245) أنه عاش حوالي نهاية القرن الثاني عشر الميلادي . وذكر Huart أنه صنف كتابه في النصف الاول من القرن السادس الهجري (الاعلام للزركلي ج9 ص208)

(5) ابن البيطار توفي عام 646 (نفح الطيب ج2 ص874)



وكانت مبعث أنوار الطب الحديث ولـد حوالى عام 400 بتونس وحمـل مخطـوطات طبيـة الى سالرنـة بقيت غذاء أوربا عـدة قـرون وترجم الى اللاتينية أهـم كتب الطب العـربى منها زاد المسـافـر لابن الجزار وكتب للـرازى واسحاق بـن سليمان الاسرائيلي وألف نحوا من 24 كتـابا فى الطب منها **قانون الطب فى I2 مجلدا وفياتيكوم فى الطب العـام** فى سبعة أجزاء ومات عام 475 .

ولكن لم يكد يمضى العقد الاول من القرن السابـع (أى بعد غزوة العقاب التى انهزم فيها الموحدون عـام 609 هـ « وكانت السبب فى هلاك الاندلس » كما يقـول ابن عذارى) (ج 4 ص 240) حتى بدأ صرح العلم ينهار وطمست الاضطرابات ذلك الرواء الذى تألق نجمه منذ عهد الناصر الاموى طوال ثلاثة قرون .

نعم فى العهد الذى كانت الاندلس خاضعة لسلطان مراكش تكونت ــ كما يقول لوكلير ــ (ج 2 ص 240) جماعة من الاطباء التفت حول ملوك المرابطين والموحدين وسار معظمهم فى ركاب هؤلاء الملـوك الى المغرب حيث قضوا بقية حياتهم فى العلاج وتدريس الطب ــ فأفـاد المغرب كثيرا من نكبة الاندلس .

ويظهر أن علوم الحكمة تقلص ظلها مؤقتا فى عهـد المنصور عندما حورب الفلاسفة حتى اضطر ابن رشد نفسه الى التخلى عن الخوض فى ذلك والمنصور هذا وان كان لم يقصد اضطهاد رجال الطب حيث أنـاط بابـن زهر نفسه مأمورية تعقب الفلاسفة ثقة به الا أنه عمد الى تدوين الاحاديث وترتيب الجرايات لحفظها فاتجـه الناس اليها انجذابا للمادة فقل المعتنون بالحكمة والطب على أن اعتقال المنصور لابن رشد وأبى جعفر الذهبـى زاد الناس ريبة فى مصير الفلاسفة والاطباء .

ولعل المنصور شعر بخطورة هذه التدابير فأعـاد الحظوة الى الرجلين وكلف أبا جعفر بالسهر على مصالح الاطباء وطلبة الطب وتلك من المنصور محـاولة لا بأس بها لتنظيم المهنة الطبية .

وقد أكد الدكتور رينو أن المغرب لم يقـم على وجه العموم بدور يذكر فى العصر الذى كان الطب وبقيـة العلوم يتألق نورها فى سوريا والعراق ومصر وحتـى فى اسبانيا المجاورة ولكن منذ أواخر القـرن الحـادى عشر وخاصة الثانى عشر أبرز عصور اسبانيا المسلمة امتزج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين ثم يقول رينو :

« فكيف اذن يمكـن أن نفصل بـين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذيـن انجبتهم الاندلس او الذين تكونوا فى مدارسها ثم ساروا فى أعقـاب ملوك المغرب من اشبيلية او قرطبة الى فاس أو مراكش أو اغمات فللمغرب الحق اذن أن يتبنى ابن باجة وابن طفيل وابن رشد الخ (الطب القديم بالمغرب نشرة معهد الدروس العليا عدد I ص 72) .

ويظهر أن أبا العلاء زهر بن زهر هـو أول طبيب أندلسى ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين وقد كان طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين بعد أن كـان طبيب المعتمد بن عباد باشبيلية .

وقد ذكر المراكشى فـى المعجب ان المعتمد استدعى أبا العلاء لمعالجة الرميكية عندما كان اسيرا باغمات .

ووالد أبى العلاء هو أبو مروان عبد الملك بن أبـى بكر محمد بن مروان بن زهر الذى تـولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (النفح ج I ص 445) .
وكانت له آراء شاذة فى الطب منها منعه من الحمام اعتقادا منه أنه يعفن الاجسام ويفسد تـركيب الامزجة (عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابـن أبى أصيبعة) ج 2 ص 64ــ66) .

وقد تمخضت تجارب أبى العلاء فى المغرب عن تأليفه لكتاب « التذكرة » (الذى ترجمه وطبعه كـولان عـام I9II بباريس) وهو مجموعة مـن الملاحظات سجلهـا لولده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة فى مـراكش والادوية المناسبة .

وبعد ما توفى أبو العلاء أمر على بن يوسف بجمـع ملاحظات طبية أخرى كان ابو العلاء سجلها فى أوراق وهى « المجربات » الـتى جمعت بمراكش عام 526 هـ والتى يوجد مخطوط منها فى الاسكوريال (رقم 844) .

وقد ترجم جان دوكابو التذكرة مـن العبرانية الى اللاتينية (نسخة فى مكتبة كلية الطب بباريس) ثـم توالت التراجم عام I280 والمطبوعات (عشر مرات بين I490 و I554) .

وتوجد الآن نسخة فى مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريز يرجع تاريخ طبعها الى 1531 وهى تحتوى على كليات ابن رشد .

وهنالك رسالة فى أمراض الكلى كتبها أبو العلاء لعلى ابن يوسف ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام 1497 كما يوجد مخطوط له حول الخواص بمكتبة باريس ومنه استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات.

ولابى العلاء مقالة فى شرح رسالة يعقوب بن اسحاق الكندى حول تركيب الادوية .

وتوجد نسخة من «جامع أسرار الطب» لابى العلاء فى المكتبة الوطنية بالرباط وهى تحتوى على 185 ورقة.

وولده هو أبو مروان عبد الملك بن زهر خدم المرابطين مثل أبيه وألف كتاب الاقتصاد لابراهيم بن يوسف أخى على (يوجد منه مخطوط بباريس رقم 2959) وكذلك نسخة فى الاسكوريال حسب رينو محررة بالعربية ومكتوبة بحروف عبرانية وفرغ من الكتاب عام 515 هـ وهو – كما يقول المؤلف – عبارة عن تذكرة لمن سبق له أن قرأ كتبا أخرى فى الطب فالمؤلف لا يتكلم مع العموم ولكن مع طبيب مثله وقد أوضح بكيفية عملية الفرق بين الجذام والبهق ومسألة العدوى بل أفرد لذلك رسالة لم تصلنا ويذكرون أن ابن زهر هذا أعظم من ابن سينا ولا يعد له سوى الرازى فى الشرق .

وقد تحدث ابن زهر فى هذا الكتاب عن اطباء عصره فذكر انهم يختلفون فى الاعتناء بالمرضى وأن الناس يجهلون الطب لان الطبيب الذى يستشيره مريض من المرضى يبادر فيصف له دواء من الادوية دون تمحيص للحالة فى جميع خواصها ثم ذكر انه استدعى يوما من الايام لدى أمير مرابطى فوجد جماعة من الاطباء شبابا وشيوخا لم يسبق له أن تذاكر معهم ولكنه تأثر بتجربتهم فجرت المذاكرة حول الداء الذى يشكو منه الامير فبادر الاطباء الحاضرون ووصف كل منهم دواء فلم يوفق فى نظر ابن زهر سوى واحد منهم ومع ذلك لم يستكنه سبب الداء ومما امتاز به وخالف فيه أطباء عصره الاقدمين أنه كان يستعمل الفصد للشيوخ من سبعين سنة فأقل وللاطفال كذلك حيث فصد ابنه من ثلاث سنوات فأدهش معاصريه وكان والده أبو العلاء يوصى ببطيخ فلسطين أى الدلاع فى عرف المغاربة فى أمراض الكبد ويعالج بجس النبض والنظر الى قوارير البول .

وقد قرأ أبو الحكم ابن غلندو الاشبيلى الشاعر على أبى مروان ابن زهر عام 535 كتاب الاقتصاد فى سجن مراكش حيث مكث ابن زهر نحو العشر سنين .

والمنصور هو الذى استقدمه للمرة الثانية الى مراكش عام 580 حيث مات فى السنة التالية .

وقد سبق لعبد المومن أن اختصه لنفسه وعول عليه فى الطب وله ألف الترياق السبعينى وأنبت كرمة عنب كان يسقيها من ماء مسهل لكراهية عبد المومن لشرب المسهلات فصار يعطيه من ثمارها وقد ألف كذلك كتاب الاغذية (ابن أبى أصيبعة ج 2 ص 66) .

وكتاب التيسير قد كتبه أبو مروان بن زهر بطلب من ابن رشد كتذييل لكتابه الكليات .

وقد ذكر ابن زهر فى آخر كتابه أن الشخص الذى كلف بمراقبته فى التأليف لم يرقه الكتاب لانه يخالف التعليمات الصادرة اليه ولان فهمه يعسر على من ليس عنده مسكة من الطب لذلك الحق ابن زهر « الجامع » بآخر الكتاب فهل عبد المومن هو الذى أمره بتصنيفه ؟ ويظهر من تحليل لوكلير لكليات ابن رشد المترجمة الى اللاتينية أن ابن رشد ينقل عن تيسير ابن زهر .

وقد أكد ابن عبد الملك فى الذيل والتكملة أن ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من أهل عصره .

وتعرض ابن سعيد فى الرسالة التى ذيل بها رسالة ابن حزم فى فضل علماء الاندلس – لعبد الملك بن أبى العلاء بن زهر فذكر أن كتاب التيسير مشهور بأيدى الناس بالمغرب وقد سار ايضا فى المشرق لنبله (النفح ج 2 ص 778) .

وتوجد بالمكتبة الوطنية بباريز مجموعة تحت عدد 2960 تحتوى على كتابى الاغذية والتيسير لابن زهر و « التذكرة » لابى العلاء ورسالة فى الادوية .

وقد نهج ابن زهر فى كتاب التيسير أسلوبا جديدا فى الحكمة القياسية مستخدما التمحيص العقلى للوصول الى أحسن النتائج فهو طبيب التجربة والتمحيص العلمى وليس من صناع اليد كما يقول فى «التيسير» أما فى الميدان العملى فقد لاحظ ابن زهر أنه يأنف من اجراء العمليات الجراحية الكبرى بنفسه لان رؤيته الجروح تثير فى نفسه ضعفا يوشك أن يسفر عن اغماء لكنه لا يكره تحضير الادوية غير مستعمل الخمر

في تركيبها على سنن والده أبي العلاء حتى لو أوصى بذلك جالينوس على خلاف الرازي .

وتحدث عن الاعمال اليومية في الطب فلاحظ أنها موكولة لاعوان الطبيب مثل الفصد والكي وفتح الشرايين أما مهمة الطبيب فهي تقرير نظام الاكل عند المريض ووصف الادوية فهو لا يتناول شيئا بيده ولا يركب دوا، وحكى ان والده لم يباشر شيئا من هذا القبيل بيده طوال حياته وحتى لو أراد ذلك لما وفق لعدم الاستئناس وتحدث عبد الملك عن نفسه فذكر أنه كان هو نفسه ولوعا بالمباشرة اليدوية في الصيدلة وتجربة الادوية والتوصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية الى الكشف عن أمراض جديدة لم تدرس قبله فقد اهتم بالامراض الرئوية واجريت له عملية في القصبة المؤدية الى الرئة وتمكن هو بعد ذلك من تشريح القصبة في مرض الذبحة فعولج المريض .

وقد اختص ابن زهر في أمراض الجهاز الهضمي واستعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع واستعمل الحقن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها صؤابة الجرب كما بسط طرق العلاج القديمة وأوضح ان الطبيعة ــ اذا اعتبرناها قوة داخلية تدير شئن الجهاز البشري ــ تكفي وحدها في الغالب لعلاج الادوا، (حضارة العرب جوستاف لوبون ص 530 من الطبعة الفرنسية) .

وكان أبو مروان اذا عالج مريضا نسي نفسه واستهلك في مريضه وهذا هو سر عبقريته فاذا عرضت عليه حالة شائكة حاول أن يعيشها واستمد من ذكرياته

وتجاربه ومنطقه ولهذا كان نسيج وحده وانكب أطباء القرون الوسطى على دراسة كتابه التيسير الذي ترجم أولا الى العبرانية من طرف شخص مجهول (مخطوط بمكتبة ليد) ثم الى الايطالية عام 1260 .

وقد تحدث ابن زهر في كتاب التيسير عن يمين ابقراط الذي كان يطالب بها جميع من يدرس مصنفاته ويقتضي منهم الزام تلاميذهم بها وقد ذكر ابن زهر أن والده أبا العلاء تلقى اليمين منه عندما كان لا يزال طفلا لدى ابتدائه دراسة الطب وحكى أن أحد الثوار طلب منه سما فأبى معرضا نفسه للخطر ثم سقط هذا الثائر مريضا وبدلا من أن يقضي الطبيب عليه عالجه باخلاص طبقا لمبادئ ابقراط .

وقد وهم كودار فزعم في كتابه حول تاريخ المغرب (ص 452) ان أبا مروان ابن زهر يهودي ثم أكد أن أبا زهر استعاض بالمنهج التجريبي والطريقة العقلية عن التقليد في ممارسة فن الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شعب ثلاث حاول توحيدها وهي الصيدلة والجراحة والطب العام .

والحفيد أبو بكر بن أبي مروان كان طبيبا شاعرا متين الدين خدم الدولتين اللمتونية والموحدية (عبد المومن ويوسف ويعقوب والناصر) توفي عام 596 هـ بمراكش ألف الترياق الخمسيني ليعقوب المنصور ودس اليه ابن يوجان وزير المنصور السم هو وابنة أخته وكانت هي وامها عالمتين بالطب لا سيما في أمراض النسا. وتدخلان الى نساء المنصور (ابن أبي أصيبعة ص 67) وكان أبو بكر يحفظ صحيح البخاري بأسانيده (الانيس المطرب ج 2 ص 180) ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب (المطرب لابن دحية) .

وولده عبد الله بن الحفيد خدم الناصر بن المنصور وكان عالما بأسرار الصناعة وتوفي مسموما في رباط الفتح عام 602 هـ ودفن بها وهو ابن 25 سنة (ابن ابي أصيبعة ص 74) .

أما أبو بكر بن يحيى ابن الصائغ المعروف بابن باجة فهو شيخ ابن رشد المتوفى بفاس (ابن أبي اصيبعة ج 2 ص 63) وقد استوزره أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وكان يشارك الاطباء في صناعتهم فحسدوه وقتلوه مسموما عام 533 هـ (القفطي ص 265).

وقد زعم مونك أن ابن رشد لم يتتلمذ لابن باجة الذي مات عام 1138ـ525 هـ (4) اي عندما كان لابن رشد 12 سنة وابن أبي أصيبعة كتب تاريخه بعد وفاة ابن رشد بأربعين سنة (مزيج من الفلسفة اليهودية والعربية ص 420) .

كما خطأ عمر فروخ في كتابه « ابن طفيل وقصة

---

(4) ويذكرون ان وفاته كانت سنة 533هـ بفاس فيكون قد أتيح بذلك لابن رشد أن يتتلمذ له .

حى بن يقظان » (ص 31 «المراكشى» » حينما زعم أن ابن طفيل قرأ على ابن باجة» .

وقد اضطرب الفتح بن خاقان فى ابن باجة حيث نسبه فى القلائد للتعطيل وانحلال العقيدة وحلاه فى « مطمح الانفس فى ذكر رجال الاندلس » بالخير والدين والاستقامة (السلوة ج 3 ص 262) .

ولم يصلنا شىء من المؤلفات الطبية المنسوبة لابن باجة ولا يعرف الا عن طريق ابن البيطار الذى يقتبس منها فى جامع المفردات .

ومن تلامذة ابن باجة أبو الحسن سفيان الاندلسى المتوفى عام 537 الذى كان أحد أطباء على بن يوسف وتعاون مع شيخه ابن باجة فى تاليف كتاب التجربتين (لوكلير « تاريخ الطب العربى » ج 2 ص 79) ولعله هو الذى أشار اليه ابن زهر فى كتابه «التيسير» حيث ذكر ان على بن يوسف استقدمه من الاندلس فى مرضه الذى توفى منه وقد ذكروا ان سفيان هذا مات فى نفس العام اى بعد وفاة ابن باجة بأربع سنوات .

ومن الاطباء الذين نبغوا فى هذا العصر : أبو جعفر ابن هارون الترجالى طبيب يوسف وهو تلميذ المعافرى فى الحديث وشيخ ابن رشد فى التعاليم والطب وكان عالما بصناعة الكحل (طب العيون) (ابن أبى اصيبعة ج 2 ص 75) .

وذكر ابن عذارى فى البيان المغرب (ج 4 ص 49) ان الخليفة ابا يعقوب اعتل عام 573 فوفدت عليه الاطباء من الاندلس للمعالجة الى أن وجد الراحة .

وذكر أيضا أن أبا يعقوب لما جرح فى الغزوة التى مات اثرها بالاندلس كان الاطباء الحاضرون لديه هم ابن زهر وابن مقبل وابن قاسم (ج 4 ص 70) .

وذكر صاحب الانيس المطرب من اطباء يوسف بن عبد المومن الوزير أبا مروان عبد الملك بن قاسم القرطبى زيادة على ابن طفيل وابن رشد وابن زهر (ج 2 ص 176) .

وكان الطبيب سعيد الغمارى بمراكش فى عصر يوسف بن عبد المومن (الاعلام لعباس المراكشى ج 1 ص 343) .

ومنهم أيضا أبو الوليد بن رشد الذى تميز فى الطب وله كتاب الكليات الذى ترجم الى اللاتينية وطبع ولما الف كتابه هذا قصد من ابن زهر أن يؤلف كتابا فى الامور الجزئية لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل فى صناعة الطب وكان مكينا عند المنصور ثم الناصر وقد نقم المنصور على أبى الوليد واجبره على المقام فى اليسانة قرب قرطبة وكانت أولا لليهود كما نقم على أبى جعفر الذهبى ومحمد بن ابراهيم قاضى بجاية والكفيف لاشتغالهم بالحكمة ثم رضى عنهم عام 595 هـ وجعل أبا جعفر الذهبى مزوارا للطلبة ومزوارا للاطباء .

وفى نفس السنة توفى أبو الوليد بمراكش وخلف ولدا عالما بالطب اسمه عبد الله وهو طبيب الناصر وقد شرح ابن رشد أرجوزة ابن سينا فى الطب .

ولعل الحكمة كانت تشمل فى هذا العصر جميع شعب الفلسفة والعلوم الا أن ابن القاضى أكد بعد ذلك أن الحكيم هو عبارة عن الناظر فى العيون لا فى الابدان لان هذا هو الطبيب (درة الحجال ص 117) .

ولابن رشد تلخيص كتاب العلل والاعراض والتصرف والحميات والادوية المفردة وحيلة البرء .

وكان أكثر تلامذته — على ما يقال — من اليهود والنصارى وقل من كان يقرأ عليه من المسلمين لرميه بضعف المعتقد وفى هذا الزعم كثير من الايغال .

وقد اقترح ابن رشد فى شرحه لابن سينا ما يصفه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء فى الأمراض الرئوية وقد أشار الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية (حضارة العرب جوستاف لوبون ص 531 من الطبعة الفرنسية) .

وابن رشد هو أول (5) من أشار الى الدورة الدموية وعللها فى كتابه الكليات الذى استمد منه ويليام هارفى معظم نظرياته وهناك أطباء آخرون منهم :

أبو الحجاج يوسف بن موراطير طبيب المنصور

---

(5) ابن النفيس المصري اكتشف الدورة الدموية الصغرى وهي الدورة الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون نشرة المعهد المصري ج 26 عام 1934 — بحث بقلم ماكس مايرهوف ص 33) وقد أشار ابن النفيس الى ذلك في «الكتاب الشامل في الطب» الذي كان يحتوي على 300 مجلد وقد أهدى مؤلفه منه 80 مجلدا لمستشفى قلاوون .

والناصر (الذى رافقه الى تونس) والمستنصر وقد مات بالنقرس فى مراكش ومن تلامذته أحمد بن عبد الله الكنبنارى الذى درس الطب على عبد العزيز بن مسلمة الباجى وعندما ألف ابن أبى أصيبعة كتابه كان هو طبيبا فى اشبيلية عند بنى هود .

أبو مروان عبد الملك بن قبلال الغرناطى طبيب المنصور والناصر .

أبو اسحاق ابراهيم الدانى (من بجاية) كان أمين البيمارستان وطبيبه بمراكش حيث توفى فى أيام المستنصر .

وذكر لوكلير أنه كلف بادارة مستشفى الجزيرة الخضراء وخلفه فيه ولده محمد الذى قتل فى غزوة العقاب (ج 2 ص 242) .

أبو يحيى بن قاسم الاشبيلى صاحب خزانة الاشربة والمعاجين وكان والده فى خدمة يوسف وتوفى أبو يحيى بمراكش أيام المستنصر وجعل فى موضعه فى الخزانة ولده (طبقات الاطباء ص 79) .

أبو جعفر أحمد بن حسان الغرناطى طبيب المنصور وهو الذى رافق ابن جبير فى رحلته ودفن بفاس وقد ألف للمنصور كتاب تدبير الصحة وكان ولده أبو العلاء طبيبا للمستنصر .

أبو محمد الشذونى الاشبيلى تلميذ عبد الملك بن زهر كان جيد العلاج وطبيب الناصر .

أبو الحسين بن اسدون الملقب بالمصدوم تلميذ عبد الملك بن زهر كان دينا شاعرا معتنيا بالطب يطلبه المنصور للعلاج (ص 79) وتلميذه عبد العزيز ابن مسلمة الباجى المعروف بابن الحفيد كان شاعرا وطبيبا للمستنصر .

أبو جعفر بن الغزال طبيب المنصور الذى كان يعتمد عليه فى تركيب الادوية والمعاجين .

أبو بكر بن القاضى بن الحسن الزهرى تلميذ ابن رشد وطبيب أبى على بن عبد المومن صاحب اشبيلية وكان يطب الناس من دون أجرة .

محمد الندرومى (من ندرومة قرب تلمسان) الكومى ولد عام 580 طبيب الناصر والمستنصر وهو الذى اختصر المستصفى للغزالى وهو تلميذ ابن رشد وابن موراطير وانتقل آخر حياته لخدمة بنى هود ومنهم أبو جعفر أحمد بن سابق تلميذ ابن رشد وطبيب الناصر وابن الجلاء المرسى طبيب المنصور وابو اسحاق ابن طملوس طبيب الناصر وأبو جعفر الذهبى طبيب المنصور والناصر توفى عام 600 عند غزو افريقية (ابن أبى أصيبعة ص 81) .

أبو اسحاق بن الحجر كبير أطباء الرشيد الموحدى (الذيل والتكملة) .

ومن الاطباء الذين عاشوا بالمغرب فى هذا العصر :

أحمد بن مضا اللخمى القرطبى لقى عياضا بسبتة ومهر فى الطب (الديباج لابن فرحون ص 65) .

ابراهيم بن صواف الحجرى الشاطبى تعلم الطب وتصدى للعلاج بطنجة واستقر آخر عمره بفاس وتوفى فى نحو 506 هـ (الجذوة ص 86) .

الطبيب أحمد بن عبد الله بن موسى القيسى الاشبيلى سكن مدينة فاس وتوفى بها عام 571 (الجذوة ص 70) وهو تلميذ ابى بكر بن العربى .

أبو الحسن على بن احمد الشلطيشى الطبيب الشاعر استوطن مراكش وتوفى بها عام 565 أو 566 (الذيل والتكملة) .

على بن عتيق الخزرجى نزيل فاس كان شاعرا ماهرا فى الطب موفق العلاج (الذيل والتكملة) وقد حدث فى بجاية وله تآليف توفى عام 598 هـ (الجذوة ص 306 .

أبو يحيى هانىء بن الحسن اللخمى الغرناطى له مشاركة فى الحديث والاصول والطب تتلمذ لابن فرتون بفاس توفى عام 614 هـ (الجذوة ص 335) .

محمد بن أحمد بن صالح العبدى المغربى له نظر وعناية بصناعة الطب (عيون الانباء لابن أبى أصيبعة 65).

الطبيب الشاعر محمد بن قاسم الانصارى الجيانى سكن بسبتة وفاس واخذ عن علمائها كأبى القاسم التجيبى (الجذوة ص 192) .

---

(6) طبعته أخيرا كلية الآداب بالرباط

ومن العائلات التي توارثت الطب بالمغرب الكراميون السملاليون أحفاد أبى بكر بن العربى كما ورد فى «بشارة الزائرين» لداود الكرامي ومعلوم أن الدادسيين يتوارثون طب العيون الى الآن وقد أشار ابن الزيات التادلى فى «التشوف الى رجال التصوف» (مخطوط المكتبة الزبيدية بالرباط ص 130) (6) الى بنى افلاطون كأطباء بمدينة فاس فى عصره والكتاب مصنف عام 617 هـ .

وقد رحل الى المشرق أطباء مغاربة منهم على بن يقظان السبتى الطبيب الشاعر الاديب الذى توجه الى مصر عام 544 ثم الى اليمن والعراق (القفطى ص 160) وكذلك يوسف بن يحيى بن اسحاق السبتى أبو الحجاج نزيل حلب ويعرف فى سبتة بابن سمعون كان طبيبا من أهل فاس وقرأ يوسف الحكمة ببلاده (أى سبتة) فساد فيها (القفطى ص 256) وذكر لوكلير أنه كان طبيب ميمون أمير حلب وطبيب الملك الظاهر وصديقا للقفطى (ج 2 ص 193) .

أبو الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلى المعروف بالمغربى من أهل المرية أديب شاعر ذكر المقرى نقلا عن العماد فى الخريدة أنه كان طبيب المارستان فى معسكر السلطان السلجوقى وقد سكن دمشق (النفح ج 1 ص 391) ثم ذكر (ج 2 ص 655) أن السلطان المشار اليه هو محمد بن شاه وان هذا المارستان كان ينقل على أربعين جملا وقد توفى بدمشق عام 549 هـ .

أبو جعفر عمر بن على القلعى المغربى طبيب ماهر فى الادوية والامراض وعلاجها كتب ملاحظاته على كتب ابن سينا ولد بالمغرب وعاش فى دمشق حيث كان له دكان للعيادة توفى عام 576 هـ (لوكلير 2 ص 40) .

محمد الغسانى الجليانى الحكيم الطبيب نزل بالمدرسة النظامية ببغداد عام 601 بعد مروره على القاهرة وسكناه بدمشق كان يقال له حكيم الزمان وكان يحضر عند السلطان صلاح الدين الايوبى (النفح ج 2 ص 645).

ومعلوم أن صلاح الدين كان له خمسة عشر طبيبا الثلثان منهم يهود او نصارى (لوكلير ج 2 ص 3) .

موسى بن ميمون القرطبى الذى يعتقد اليهود انه لم يظهر عندهم مثله منذ موسى عليه السلام قرأ على أحد تلامذة ابن باجة ولم يتصل لا بابن باجة ولا بابن رشد وقد أظهر الاسلام الى أن بلغ الثلاثين وهو ابان دراسته وفى عام 1160 توجه مع عائلته الى فاس وبعد خمس سنوات نزل فى عكرة ثم مصر حيث استقر بالفسطاط وأصبح من أطباء البلاط أيام صلاح الدين وقد ذكر ابن ابى أصيبعة أنه مهر فى ممارسة الطب بينما أنكر ذلك القفطى وتبعه لوكلير (ج 2 ص 58) .

وقد ألف الرسالة الافضلية للملك الافضل نجل صلاح الدين . أما المستشفيات فمما أنشأه أبو يوسف دار الفرج فى شرقى الجامع المكرم وهو مارستان المرضى يدخل العليل فيه فيعاين ما أعد فيه من المنازل والمياه والرياحين والاطعمة الشهية والاشربة المفوهة ويستطعمها زيسيفها فتنعشه من حينه (الاستبصار فى عجائب الامصار) .

ووصف عبد الواحد المراكشى المستشفى الموحدى بمراكش فقال : « وبنى بمراكش مارستانا ما أظن أن فى الدنيا مثله وذلك أنه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع فى البلد وأمر البنائين باتقانه على أحسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشمومات والمأكولات وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك فى وسط احداها رخام أبيض ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتى فوق النعت وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادوية وأقام فيه الصيادلة (7) لعمل الاشربة والادهان والاكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وان كان غنيا دفع له ماله .. ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كان من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى أن يستريح أو يموت وكان فى كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله

(7) ذكر البيروني المعروف عند الاوربيين بـ Maitre Aliboron في مقدمة كتاب الصيدلة في الطب أن لفظة الصيدنة بالنون أكثر اشتهارا من الصيدلة باللام (ماكس مايرهوف ـ نشرة المعهد المصري ج 22 عام 1940) .

يعود المرضى ... ولم يزل مستمرا على هذا الى أن مات (المعجب ص 177) .

وذكر ميى فى كتابه (الموحدون) المؤلف عام 1923 (ص 129) ان هذا المستشفى لا يخلف وراءه مصحات أوربا المسيحية فحسب بل تخجل منه حتى اليوم مستشفيات باريس . (Millet = les Almohades)

وذكر الناصرى أن يعقوب المنصور بنى المارستانات للمرضى والمجانين وأجرى عليهم الانفاق فى جميع أعماله .

وأبو يوسف المرينى هو الذى صنع المارستانات فى جنوب المغرب للغرباء والمجانين وأجرى عليها النفقات وجميع ما يحتاجون اليه من الاغذية وما يشتهونه من الفواكه وأمر الاطباء بتفقد أحوالهم فى أمورهم ومداواتهم وما يصلح أحوالهم (الذخيرة السنية ص 100) ولم تكد تخلو مدينة من مارستان حتى ذكر مارمول أن شالة نفسها كان بها مستشفى (وصف افريقيا باريس 1667 ـ ج 2 ص 24) .

وقد لوحظ نفس الازدهار فى افريقية التى انبسط عليها نفوذ المرينيين . فقد نقل لوكلير عن شيربرنو أن الطب الذى ازدهر ازدهارا عابرا بالقيروان فى القرن الرابع قد تألق نجمه فى بجاية فى بعض أيام الحفصيين خلال القرن السابع (ج 2 ص 252) وأشار الى ثمانية من الاطباء من جملتهم أبو العباس أحمد الاصبهانى طبيب اصبهان الذى قضى آخر حياته الطبية بالمغرب .

وممن نبغ فى افريقية فى عهد أبى الحسن الطبيب التونسى محمد القويع الذى درس الطب بالبيمارستان فى دمشق وتوفى عام 738 هـ (النيل 228) .

على أن الطب كان فى افريقية ـ كما كان فى المغرب ـ مشاعا بين طبقة وافرة من الفقهاء والمحدثين والادباء .

فهذا مثلا الامام السنوسى شارح البخارى له شرح على رجز ابن سينا فى الطب وله شرح كبير على الحوفية فى الفرائض والحساب ألفه وهو ابن تسعة عشر عاما (النيل ص 353) .

وفى خصوص فاس ذكر على بن ميمون فى تأليف له استطرد فيه الكلام على فاس أنه ما رأى مثلها ومثل علمائها فى حفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب والمنطق والتوحيد والبيان والطب وسائر العلوم العقلية .. ما رأى مثلها ومثل علمائها فيما ذكر فى المغرب وتلمسان وبجاية وتونس والشام والحجاز ومصر رأى ذلك كله بالمشاهدة (سلوة الانفاس ج 1 ص 74) .

غير أن ابن خلدون أكد أنه لم يشاهد فى المائة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس لاجل انقطاع ملكة التعليم عنهم (نشر المثانى ج 2 ص 97) .

ولكن حوالى 620 هـ اى بعد مرور بضع سنوات على ظهور المرينيين (عام 613 هـ) تحدث المراكشى صاحب المعجب عن فاس فذكر انها حاضرة المغرب وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة حيث رحل علماء المدينتين ونزل أكثرهم بفاس «وما زلت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب» (ص 220) .. (8)

---

(8) أكد ليفي بروفنصال (أنه بفضل ملوك بني مرينلم تكن عاصمة فاس في القرن الرابع عشر الميلادي لتحسد العواصم الاسلامية الاخرى » (هسبريس عام 1952 ص 3) .
وقد اعتبرت فاس من طرف باديا ليلبيش المعروف بعليباي العباسي بمثابة أثينة افريقيا ومعلوم أن أثينة هي عاصمة الفكر اليوناني كما وصف بلفان في كتابه عن القرويين جامعةفاس بانها أول مدرسة في الدنيا (ص12) .
وذكر الدكتور رينو أن مدينة فاس « مهد الحضارة التي تجلب العلماء والطلبة من العالم أجمع وهي عاصمة أثينة بالنسبة للاسلام حيث كانت تدرس جميع العلوم والفنون والآداب » (الطب القديم بالمغرب ص 77) .
وتحدث دوكامبو عن جامعة القرويين فلاحظ « أنها كانتفي العصور الوسطى ملتقى الاجانب من مختلف الجنسيات والاديان » (المغرب المعاصر مملكة تنهار ـ باريس 1886 ص 12)
وقد أشار كابريال شارمس في كتابه « سفارة اليالمغرب » (ص254) الى عصر المجد الذي كان المغرب فيه ملتقى جميع العلوم وجميع الفنون التي تنتشر من هنالك فيأوربا . ثم ذكر مدينة فاس التي يرى معظم مسلمي افريقيا أنها أعظم مدينة مقدسة بعد مكة نظرا لاصلها وللدور الذيقامت به في تاريخ الاسلام فقد كانت فاس مركز القوة العربية عندما كان نورها يتألق وحتى عندما اصبحت مراكش عاصمةالمغرب السياسية كانت فاس بفضل معاهدها الشهيرة ومساجدها عاصمة الغرب الاسلامي فكريا وادبيا بل « انمدارسها كانت طوال مدة مديدة أولى مدارس العالم » (ص 297) وهنا في هذه المدينة « انبثق ما يسمى بالحضارةالغربية التي أشع نورها في اسبانيا فأضاء جوانب أوربا المتوحشة » (ص 298) .

وذكر لوكلير انه منذ اندراس اعلام التدريس في قرطبة والقيروان لم يكن لفاس ولا لباقي مدن المغرب أي نظام مقبول في التعليم (ج I ص 575) .

وقد أكد رينو ان علم الطب كان يدرس في جامعة القرويين بواسطة كتب ابقراط وجالينوس وديجينوس المعربة الا أن كتب خزانة القرويين اندرس بعضها على يد الاسبان عام II6I م ولم تعد تدرس العلوم والطب رسميا اللهم الا ما كان من دروس ينقيها (أطباء) في جوامع العاصمة او بعض زوايا المدن الاخرى (9) حيث يعلقون على المصنفات العربية المخطوطة او المطبوعة الموجودة في الطب بالمغرب محافظين بذلك على ما يعرفونه من الطب التطبيقي .

والشريف الادريسي مغربي صميم خلافا للحسن الوزان وهو (ليون الافريقي) الذي يزعم أنه ولد في صقلية (لوكلير ج 2 ص 65) وقد وهم الوزان حين ذكر انه مات عام II22 في حين انه انتهى من تأليف النزهة عام II54 (اى 548 هـ) وذكر الوزان انه ترك عدة أولاد يعيش عقبهم بتونس وفاس حيث يظهر من بينهم دائما أطباء ومن جملة هؤلاء أحمد بن عبد السلام الصقلي الذى ألف كتابا في الطب ويوجد مخطوط منه في مكتبة ليد وقد عاش في تونس في عهد السلطان العالم أبي فارس الذى أسس خزانة عمومية قرب الجامع وتوفي عام 837 هـ (لوكلير ج 2 ص 70) .

وقد ظهر في العصر المريني بالمغرب أطباء منهم :
أبو العباس الشريشي السلوى الاصل أخذ الطب في المشرق عن ابن بنان توفي بالفيوم من مصر عام 64I هـ (الاعلام لعباس المراكشي ج I ص 35I) .

محمد بن احمد بن خليل السكوني ذكر صاحب الذيل والتكملة انه صنف في الطب والبيطرة وصنعة ركوب الخيل وتدبير الحروب وتعليم الثقاف والرمي وسمات الخيل ودلائل العتاقة وجمع بين كتابي أبي مروان بن زهر وابنه أبي بكر في الاغذية وأضاف اليهما فصل الخواص والكليات الواقعة في تيسير ابن زهر وهو اشبيلي أقام بمراكش متلبسا بعقد الشروط توفي سنة 646 هـ (الاعلام ج 3 ص I45) .

أحمد بن علي المليانى المراكشي كاتب شاعر أخذ بحظ من الطب توفي عام 7I5 (الجذوة ص 73) وكان صاحب العلامة بالمغرب (الاعلام ج I ص 373) .

الطبيب أحمد الجذامي نشأ في سبتة بمراكش عام 650 (الاعلام ج I ص 354) .

أبو جمعة علي الجرائحي كان في سجن السلطان يوسف بن عبد الحق مع غيره من التلمسانيين . ومنهم أيضا ابن البنا الازدى المراكشي المتوفى عام 72I أخذ الطب عن الحكيم المعروف بالمريخ (الجذوة ص 76) .

وأكد رينو في كتابه « الطب القديم بالمغرب » أنه بعد عصر بني مرين سادت في المغرب الفوضى فأفل نجم فاس ابان السعديين ولم يذكر اى طبيب مغربي في المصنفات الكلاسيكية خلال هذه الحقبة من تاريخ المغرب الى آخر القرن الثامن عشر حيث لوحظ اسم مصنف «ذهاب الكسوف» الطبيب محمد بن عزوز المراكشي الذى اقتبس فصل طب العيون من الكحال المشرقي علي بن عيسى (الطب القديم بالمغرب ص 75) .

ولكن رينو هذا عاد فأكد في الخطاب الذى القاه في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ الطب (طبعة جنيف 1926 ص 3) الفوضى التى أقحمته فيها حروب آخر ملوك بني مرين فأعاد ملوك الشرفاء تدريجيا وحدة البلاد وقد تحدث ليفي بروفنصال في كتابه « مؤرخو الشرفاء» عن نهضة المغرب من الوجهة الادبية فأكد أن من الغريب أن لا نجد مثل هذه النهضة في العلوم الطبية »

وممن نبغ من الاطباء في هذا العصر عبد الرحمن سقين القصيرى ثم الفاسي المحدث كان مشاركا في الادب والتصوف والطب يقرىء الفية ابن سينا توفي عام 956 هـ (النيل ص I53) وكذلك أبو القاسم الوزير الغساني له في الطب موضوعات وشرح على حميات ابن عزرون وكتاب في الاعشاب اختص من بين الاطباء بسلامة الاعتقاد ولد حوالى 960 هـ (الدرة 466) .

---

(9) وورد في الجزء الاول من سلسلة « مدن المغرب وقبائله » المتعلق بالرباط وناحيته (ص 32 و 225) أن البوعنانية بسلا كانت مدرسة للطب ونقل ذلك عن الاستقصا غير أن الاستقصا لم يتعرض لذلك عندما اشار الى هذه المدرسة (ج 2 ص I5I) كما أشار نفس المصدر الى عمر بن عربية أستاذ الطب في العهد العلوي .

وأكد القادرى ان له مهارة فى الطب وكان من أطباء السلطان أحمد المنصور الذهبى وأحد خواصه الف كتبا فى الطب منها شرح نظم ابن عزرون فى الحميات و « حديقة الازهار فى شرح ماهية العشب والعقار » واختصره فى جزء صغير وقد ألفه للسلطان المذكور عام 994 هـ (النشرج 2 ص I25) .

وتوجد فى المكتبة الوطنية بالرباط نسخة من « الروض المكنون فى شرح رجز بن عزرون » للغسانى فى I30 ورقة كما يوجد فيها شرح لنفس الارجوزة لابى الفضل محمد العجلانى فى I8 ورقة .

وكانت مكتبة الفرع الاجتماعى بطنجة تحتوى على نسخة مخطوطة بخط المؤلف من كتاب الروض المكنون فى شرح رجز ابن عزرون (أى أبى موسى هارون ابن اسحاق بن عزرون) حول الحميات والقروح وقد كتب هذا المخطوط لخزانة الامير محمد الشيخ المامون وهو مؤرخ ب I8 جمادى الثانية عام 999 هـ . وتوجد شروح أخرى لنفس الرجز منها شرح لابى القاسم محمد ابن يحيى اللمتونى التاشفينى ورجز ابن عزرون نفسه تكميل لارجوزة ابن سينا فى الطب والخط الذى أسهم به الطبيب المغربى فى هذا الشرح هو تعريف المغاربة بنظريات الاقدمين وأطباء العرب فى مختلف أنواع الحميات وهو يحتوى على معلومات تكميلية مفيدة فى العلاج .

أما حديقة الازهار فى شرح ماهية العشب والعقار فقد تم تاليفه فى عام 994 هـ وتوجد نسخة منه فى المكتبة الوطنية بالرباط فى 3I ورقة .

وقد نشر الدكتور رينو فى نشرة معهد الدروس المغربية العليا (ج I8 ص I95) دراسة حول حديقة الازهار ذكر فيها ان هذا الكتاب يمتاز بمنهاجه الواضح جدا فى الوصف النباتي الذى يتسم غالبا بطابع من الاصالة والطرافة وقلما يخلو الكتاب من الاشارة الى منابت الاعشاب التى توجد بالقرب من فاس وبذلك يزودنا بمعلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلية بفاس فهى اذن محاولة مفيدة لترتيب ثلاثى يدخل عنصرا جديدا فى وصف أعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية .

ومن أطباء هذا العصر كذلك :

عبد الوهاب الزقاق الذى كانت لـه مشاركة فى الادب والاصلين والطب والتفسير والحديث والنحو ولى القضاء والفتوى بفاس (توفى عام 96I هـ) .

طبيب المنصور أبو عبد الله محمد الطيب (نزهة الحادى طبعة هوداس ص I46) وهو الحكيم الماهر أبو عبد الله محمد الطيب الذى أشار له عباس بن ابراهيم فى ترجمة النابغة محمد بن على الهوزالى شاعر المنصور السعدى بمناسبة مرضه واختلال أمره وعلاج الطبيب المذكور اياه .

محمد الاندلسى نزيل مراكش كان مولعا بالكيمياء والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة سجن مرتين بعد أن صدر تعنه مقالات شنيعة وأصحابه هم طائفة المحمدية الذين يسمون من خالفهم بالمالكية قتل عام 980 هـ (الاعلام ج 4 ص 3I8) .

داود بن عبد الله البغدادى ثم التلمسانى الطبيب الماهر كان ضريرا لقيه ابن القاضى فى مصر عام 986 ومعرفته بالطب عظيمة (درة الحجال ص I43) .

عبد الواحد بن عاشر له معرفة بالطب (توفى عام I040 هـ) .

أحمد بن عبد الحميد المعروف بالمريد المراكشى ذكر صاحب الصفوة أنه كان اماما فى جميع الفنون حكيما ماهرا فى الطب توفى عام I048 هـ (الاعلام لابن ابراهيم ج 2 ص II4) .

وممن لهم مؤلفات فى الطب من السوسيين حسين الشوشاوى الراسلوادى من أهل القرن التاسع (سوس العالمة للاستاذ الكبير السيد المختار السوسى) .

وكان الطب التقليدى يجرى مع ذلك مجراه الى جانب الطب العلمى التجريبى الذى كان يحمل رايته بعض العلماء وهى ظاهرة لا تزال توجد الى الآن فى المغرب وحتى فى بعض الامم الراقية التى تستند عائلاتها الى تجارب العجائز وقد مرض ولد الكاتب محمد بن على الفشتالى ولم ينجع فيه دواء طبيب فقال له المنصور : «ان امراض الصبيان قلما ينجع فيها الا طب العجائز ولا كعجائز دارنا فابعث من يسألهم» (الاستقصا ج 3 ص 95) .

ومن الاطباء الغربيين المولودين بالمغرب كريسطوف

داكوسطا الطبيب النباتي الذى ولد في سبتة ثم جال في آسيا عام 1578 م (كودار ص 495) .

ويدل على عقم الصيدلة نسبيا في هذه الآونة ما لاحظه الحسن الوزان من أن العقاقريين بفاس في عصره لم يكونوا قادرين على تركيب الاشربة والادهان طبقا لما يصفه الاطباء فكانوا يجتمعون كلهم لتركيبها ثم يرسلونها الى دكاكينهم لتوزيعها حسب الوصفات غير أن هذه الظاهرة الجديدة تنم عن أمانة واخلاص للمهنة وهو شيء مهم جدا اما المستشفيات فقد استمرت في اطارها القديم وأضيف اليها مارستانات قليلة جدا منها ما ذكره اليفرني من أنه في عام 970 انشأ السلطان الغالب بالله بمراكش مع جامع الاشراف بالمواسين والسقاية المارستان « الذى ظهر نفعه ووقف عليه أوقافا عظيمة » وعلق الناصري على ذلك فلاحظ أن هذا المارستان هو الذى بحومة الطالعة قرب السجن وقد اتخذ سجنا للنساء (الاستقصاء ج 3 ص 18) .

كما بنى السعديون للاسارى المسيحيين ـ حسب رواية السفير الانجليزى أدمون هوكان مستشفى قرب أحد جوامع مراكش .

والذى يدل على استمرار الاهتمام بالمارستانات أن الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي والذى تخرج من جامعة القرويين قد تولى خطة العدالة في مارستان المجانين بفاس حيث قضى أربع سنوات كما حكى عن نفسه (ماسينيون : المغرب أول القرن السادس عشر ص 43) .

وفي منتصف القرن الرابع عشر اسس الرهبان الاسبان في فاس ومكناس وسلا وتطوان مستشفيات كانوا يعالجون فيها النصارى والمغاربة معا (رينو 27) .

ورغم ما استظهره رينو من أن التعليم الرسمي للطب والعلوم اندرس بجامعة القرويين أواخر القرن الماضي (الطب القديم بالمغرب ص 77) فان دلفان أشار في كتابه حول فاس وجامعتها (المطبوع عام 1889) الى اعتناء الطلبة بجملة من الكتب الطبية مثل الكامل للرازى والقانون والمنظومة لابن سينا وزبدة الطب للجرجاني والتذكرة للسويدى وتذكرة الانطاكي وكليات ابن رشد ومفردات ابن البيطار وكشف الرموز للجزائرى ابن حمادوش وهو عبد الرزاق بن محمد بن محمد بن حمادوش الجزائرى حج عام 1130 هـ وأهم مؤلفاته « كشف الرموز في شرح العقاقير والاعشاب » مرتبة على الحروف (تحتوى على نحو الالف عشبة) وهو ينقل عن ابن سينا وابن البيطار والانطاكي وله أيضا «تعديل المزاج بحسب قوانين العلاج» (نحو العشرين صحيفة) .

وللمتعاطي الطب في المغرب رغبة في كتابى داود الانطاكي التذكرة والنزهة وقد انتقدهما القادرى في نشر المثاني ملاحظا ان الانطاكي اودعهما غثا وسمينا والنزهة في نظره اكثر تحريرا واسلم ايرادا (ج 2 ص 123) وتوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط نسخة مخطوطة من «النزهة المبهجة في تشحيذ الاذهان وتعديل الامزجة» للانطاكي في 190 ورقة .

وقد تضاربت آراء المستشرقين في قيمة الطب بالمغرب في هذا العصر فهذا اركمان يقول في المغرب الحديث عام 1885 (ص 97) بأن الاطباء لا وجود لهم بالمغرب وان الطب تمارسه العجائز والحجامون الذين يعرفون الفصد وجبر الاعضاء المكسورة او الطلبة الذين قضوا بضعة شهور في اوربا وحملوا معهم ادوية يسيئون استعمالها دون ان يعرفوا بالضبط الكمية الصالحة منها للعلاج » .

ولكن رينو الذى يقول ايضا بأن المتطببين المغاربة ليست لهم سوى معلومات غامضة حول اسباب الامراض وخواص الادوية المفردة يعترف بانهم يطبقون بمهارة غالبا بعض عمليات التشريح الصغرى (ص 128) .

وقد تحدث رينو عن اهتمام الاطباء عندنا بالتشريح والعمليات الجراحية فلاحظ ان هذه العمليات لا تتمخض في الغالب عن ذيول مخطرة لندرة الاستعصاءات الناتجة عن التعفن او الاصداد والتقييح ويستعمل الاطباء المغاربة في تضميد القروح الزيت الغليان أو القطران الساخن والحناء والفحم وصمغ الصنوبر لاستئصال جراثيم التعفن (ص 132) وعند حدوث نزيف يستعملون لايقاف الدم الصوفان والمساحيق المستخلصة من اليقطين (القرع الصغيرة) ودقيق الفول واللفافات للضغط فاذا أعياهم الامر حاولوا الالتئام بخياطة حافتي الجرح في شكل منحرف ويلجأون كذلك الى كي العرق اما بقضيب محمي واما بقطعة من خشب محماة ثم يضمد الجرح بالجاوى ويحكى أن القروح تلتئم في حاحا والسوس لا بالخياطة ولكن عن طريق عضة النمل الكبير لحافتي

الجرح بحيث يقطع صدر البعوضة ويبقى الفكان عالقين بالقـــرح .

أما في جبر الاعضاء المنكسرة فان الاطبـــاء المغاربة يعمدون الى طريقة الدلك الذى سبق به المغاربة ـ كما يقول رينو ـ اكتشاف لوكاس شامبيونيير وكثيرا مـــا يعطى الطبيب لمن كسرت عظامه ايلان وهو حب يكثر فى ناحية مراكش غنى بمـادتى الفوسفاط وكاربونات الجير ويوقف داء الفتق بآلات من جلد او ثوب محشو بالصوف أما الكى فانه مستعمل فى جميـــع الامـراض الباطنة وفى كثير من العمليات الجراحية (ص 134) .

وتقلع الاسنان المسوسة بأدوات خاصة ذكر رينـــو منها مجموعة بعضها مصنوع فى المغرب وبعضها مجلوب من أوربا ومن الاطباء من يضمخ السن بمركب من الثوم والملح والحريف (وهو الفجـــل الوحشى او الحرف) ثم يملاون السن المسوسة بجذر جوز ريان بعد غمسه فى اللبن ويغطى الكل بالصمغ (135) .

وتداوى أمراض الاذن بالجاوى والزعفران والـزيت وعصير ناب الذئب أما القروح فانها كثيرا مـــا تداوى بالعمليات الجراحية فى الاذن وهى عمليات خطيرة تكلل بالنجاح بسبب قلة القيوح .

أما العيون فان امراضها تشكل مـــع الزهرى ثلثى أمراض افريقيا الشمالية فما أكثر العميان بالمغرب غير أن للكحالين أى أطباء العيون المغاربة أساليب مفـــيدة لمعالجة أنواع الرمد ولهم فيه مهارة وكذلك فى الجزائر (ص 136) ويستطيعون أن يزيلوا بحذق غشاوة العين المانعة من الابصار بل يتقنون عمليات أصعب من هـذه (ص 136) .

أما فى التوليد فقد توصل الاطبـــاء ـ لا سيما فى مراكش والدار البيضاء ـ الى اجراء عمليـــات جراحيـــة لاخراج الجنين (ص 138) .

وذكر الضعيف فى تاريخه أن امرأة جسيمة مرضت بمكناس عام 1101 هـ «فشق طبيب جوفها وأخرج منـــه علة وجد فيها 35 رطلا وعاشت المرأة بعد ذلك سنين» .

وذكر كودار فى (وصف المغرب وتاريخه) (ج 1 ص 238) ان الكى هو أعظم دواء للجراحات بالمغرب والجزائر وأن هذه العملية اسفرت غالبا عن نتائج عجيبة فقـــد أجريت لجرحى عرب اراد جراحون فرنسيون قطـــع عضوهم المجروح ولكنهم عولجوا بواسطة حديدة محماة .

أما تبنيج المريض أثناء العمليات الجراحية فقد أكـد رينو ان الاطباء المغاربة كانوا يستعملون السيكـــران وهو عشب مخدر وكذلك جوز الطيب فى عملية الختان وقد حكـــى له الطبيب الجراح الحسن أنــه توصل الى تركيب دواء السيكران والكبريت وغيرهما يكون البخار المتصاعد من طبخه بمثابة مخدر يستمر تاثيره أربعـــا وعشرين ساعة وذكر الدكتور ميكيريز فى كتابة الاخبار الصادر عام 1859 بالجزائر ان الاطباء المغاربة كـــانوا يستخدمون وسائل الايحاء والتنويم فى معالجة مرضاهم واجراء عمليات جراحية لهم بحيث يتوصلون الى درجات شتى من التنويم ولا تختلف هذه المناهج عن الاساليب المستعملة عند الاوربيين ومنها تعليق زجاجة لامعة مثلا أمام المريض فينام بينما المباخر ترسل روائح العطـــر والعود (رينو ص 131) .

وقد وصف كودار كذلك فى تاريخ المغرب (ج 1 ص 240) عمليات التنويم التى أشار اليها الدكتور ميكيريز منها وضع زجاجة فوق طاولة مغطاة بخوان أبيض يتلألأ وراءها مصباح فيجلس المريض على مسافة قريبة مصوبا نظره نحو الضوء فيشعر بتثاقل وبعد بضع دقائق ينام وتتسارع دقات قلبه ويحرق البخور فى الغرفة فيفقـد النائم احساسه .

وذكر رينو أن بعض الاطباء المغاربة كانوا متخصصين بعضهم فى الاوجاع وبعضهم فى أمراض العيون وبعضهم فى الحميات أما أطباء الاسنان فانهم يمارسون هذا الفن ـ فى نظر رينو ـ بمهارة كبرى (ص 122) .

وكثيرا ما تستعمل أعضاء بعض الحيوانات لمعـــالجة الامراض وهذه الطريقة تستعمل كثيرا فى أوربا (رينو ص 155) ولا يجهل المغاربة جدوى اللحوم المطبوخة وقد أشار الشيخ عبد الرزاق صاحب كشف الرمـــوز الى خواص بعض أعضاء الحيوانات منهـا معالجة داء الكلب بمثقال (غرام) من كلية الكلب العقور بمجـــرد قتلـه ويؤيد هذا النوع من العلاج ما ذكره رينو (ص 157) من أن الدكتور فرانتزان نشر بحثا فى « الاسبوع الطبى » (14 مايه 1898) ذكر فيه أن مرارة الكلب العقور تحتوى على مادة مضادة لجراثيم داء الكلب .

ويستعمل الكحالون المغاربة أعضاء حيوانية خاصة فى أمراض العيون من ذلك مستخلص الكبـد والاكياس

التى توجد فوق الكليتين والتى استعملها أيضا باطيس فى نيويورك ضد التهاب القرنية والملتحمة وكذلك ضوز فى ليون ودرايي فى باريس (رينو ص 160) .

ونشر بنسيمون بحثا حول الطب والاطباء بالمغرب قبل الحماية فى مجلة المغرب الطبى (شتنبر 1951) ذكر فيه أنه يجب أن نــلاحظ أن الطب البدائى التقليدى بالمغرب كان يستعمل فى عدة حالات أنواعا من العــلاج لم يعد نزاع فى جدواها فمن ذلـك ان المريض المصاب بالحصبة أى الحميرة (بوحمرون) كان يجعل فى غـــرفة يكسى فراشها وجدرانها وأغطيتها بلون أحمـــر وهذه الطريقة فى العلاج لا يزال يستعملها الدكتور شاطينيير الذى لاحظ أن لها يرجع الفضل فى تخفيـــف تفجـر الحميرة والحمى وتدارك الاستعصاءات .

وقد لاحظ رينو بمزيد الدهشــة استعمال المغاربــة للتلقيح ضد مرض منتشر عند المعز يعـــرف بالبيــوز وهنالـــك أمراض مجهـــولة فى المغرب مثـــل الكزاز (تيتانوس) .

وكثير من الامراض المنتشرة فى أوربا غـير معروفة بالمغرب ولا فى الجزائر منها الحمى الوبائية المصحوبة بحبوب صغيرة والحمى الحصبية بينما تقل جدا الاصابات بالدفترية او التيفويد (رينو ص 140) .

وقد أصدر السلطان سيدى محمد بـن عبد الرحمن ظهيرا خاصا فى 10 رجب 1283 موافــق 18 نونبر 1866 جعلت بمقتضاه جزيرة الصويرة محجرا صحيا للحجاج .

وكانت توجد فى كافة مدن المغرب لجنـــة صحيـــة تتركب من أعيان يهتمون بكـــل ما يتصـــل بالصحـــة العمومية وطهارة المدينة وتمـــوين الاسواق وجلب الماء ومن ممثليها المحتسب الذى يسهر على النظام وتنقيـــة الازقة وتعهد المؤسسات العمومية وكان المخزن يقــوم بتطهير بعض الازقة والشوارع خلال الليل وقد حاول فى الصويرة مثلا تنظيم نقل الازبال فجلب من الخارج أول القرن الحالى كناسات ورشاشات ميكانيكية .

فمنذ 1614 م الى الآن أى طوال ثلاثة قرون لم يقـع القحط بالمغرب سوى ثمانى مرات أى مرة كـل خمس وثلاثين سنة تقريبا فى حين توالت المجاعة بـــين 867 و 1325 ست عشرة مرة (رينو ص 76) .

وكان المخزن يتخذ الاجراآت اللازمة للحيلولة دون انتشار الوباء من الخارج بفضل المحاجـر الصحية وفى الداخل بفضل الحصار الضيق الذى يضرب أيام الخطر ففى عام 1089 هـ عندما ظهر الطاعون بمكنـــاس والقصر وقف الحراس من العبيد على مشرع سبو وغيره لايتركون من يرد على فاس ومكناسة وعلى دائرة الملك وقد ظهـر بفاس فأمر السلطان بتحريق ما بسوق الخميس (نشر المثانى ج 2 ص 44) .

اما الاطباء الذين نبغوا فى هذا العصر فهم :

الطبيب الشاعر «عبد الوهاب ابـــن احمـد أدراق» الذى انتهت اليه رئاسة الطب وقصرت عليه نفاسته له أنظام كثيرة فى الطب وتآليف منهـا أرجوزة فى الطب ذيل بها ارجوزة ابن سينا وأرجوزة فى حب الفرنـــج وكتاب هز السمهرى فيمن نفى عيب الجدرى وتعليـق على النزهة للشيخ داود وهو طبيب مـــولاى اسماعيل توفى عام 1070 هـ (النشر ج 2 ص 251)

وكان لمحمد بن سعيد المرغيثى دراية فى علم الطب ثم تركه بسبب «ان انسانا أتى بالهراقة فيهـــا بـول وأدخلها عليه فى المسجد فقال ان علمـــا يؤدى الى أن أكون سببا لدخول المسجد بالنجاسة لا أشتغل به وقد كان مقصودا به قبل ذلك» (توفى عـــام 1089) (النشر ج 2 ص 37) .

الطبيب الماهر أبو عبد الله أدراق السوسى الفاسى المتوفى عام1090 هـ عالج منغير تقدم معرفة ثم تدرب وانتفع به خلق كثير وقد ذكر صاحب نشر المثانى أن أقاربـه هم المتنصبون فى عصره بفاس للعلاج ولهم مهارة وذوق سليم فى الطب ويتحفظون مـــن العلاج بالمخطر مـن العقاقير والادوية والامور الشاقة ولم نسمع عن أحـــد أصابته آفة من علاجهم (ج 1 ص 226) .

أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القـــادر الفاسى كان منفردا بتحقيق التعاليم من هيئة وطب فاق أهل وقته فى ذلك توفى عام 1096 هـ (السلوة ج 1 ص 316) .

ويحتوى كتابه الاقنوم فى مبادىء العلـــوم على 281 سلا منظوما سرد فيها العلوم المعروفة فى عصره والعلم فى نظره شعبة من شعب المعرفة الانسانية وقـد افرد الفصلين السادس والعشرين والسابع والعشرين للطب فتحدث عن عمليات التشريح الصغرى وعن فن العلاج

وتحدث فى الفصل الاربعين عن البيطرة وفى الفصل الحادى والاربعين عن علم الزردقة وهو طب الحيوان وفى الفصل 19 الى 201 عن الصيدلة . (10)

ويوجد مخطوط من الاقنوم فى مجلدين بمكتبة الرباط . وقد أشار ابن شنب فى الاجازة الى رجز فى الطب من نظم عبد الرحمن الفاسى. كما ذكروا لنفس المؤلف كتابا فى (تفسير الاعشاب) .

عبد القادر بن شقرون المكناسى معاصر مولاى اسماعيل وقد نقل عنه محمد الطيب العلمى فى الانيس المطرب فيمن لقى من ادباء المغرب فوائد طبية ومن مؤلفاته الارجوزة الشقرونية المؤلفة بطلب من سيدى صالح بن المعطى الشرقى (السلوة ج 1 ص 97) وهى تحتوى على 700 بيت وطبعت بفاس عام 1324 هـ . كما

طبعت بتونس فى نفس الوقت وقد ذكر رينو فى خطابه المطبوع عام 1926 بعدما حلل مواضيع الشقرونية انها لا تخلو من فوائد وانها اسهام لا باس به من المؤلف فى المصطلحات الفنية فى قاموس الطب المغربى (ص 5) وتوجد نسخة منها فى مكتبة الرباط فى 667 بيتا .

أحمد العطار المراكشى ذكر صاحب الصفوة انه عرض عليه القضاء فامتنع وكان عارفا بالطب خبيرا برجز ابن سينا فيه وقال ابن زاكور الفاسى يطلب منه قراءة أرجوزة ابن سينا :

ما ذا على العطار لو اهدى لنا
نفحاته من جونة الارجوزة

توفى عام 1105 هـ (الاعلام ج 2 ص 124) .

محمد بن قاسم بن عبد الواحد ابن أحمد بن زاكور الفاسى المحدث المؤرخ الاصولى له أرجوزة مثل المقنع فى فنه والدرة المكنوزة فى تذييل الارجوزة يعنى أرجوزة ابن سينا فى الطب توفى عام 1120 هـ (السلوة ج 3 ص 180) .

أحمد بن محمد السملالى الجزولى كان عارفا بالطب أخذ عن الحكيم عبد الله بن بيورك الاسغركيسى توفى عام 1152 هـ (الاعلام ج 2 ص 181) .

عبد المجيد الزبادى المنالى الفاسى كانت له مهارة فى الطب والعلاج وكان شاعرا توفى عام 1163 هـ .

أحمد أدراق طبيب سيدى محمد بن عبد الله وهو من ذرية الحكيم عبد الوهاب طبيب مولاى اسماعيل (11)

وسليمان الفشتالى قاضى فاس كان متوغلا فى العلوم القديمة على طريق أهل الحكمة أخذ عنه مولانا سليمان الحوات الحساب والطب توفى عام 1208 هـ . (السلوة 3 ص 116) .

أحمد بن محمد الكردودى كان له ولوع بالطب معتكفا عليه حتى انه من كثرة انكبابه على التذكرة قيد عليها حواشى كثيرة صحب المعطى الشاوى فى سفارته الحسنية لفرنسا والنائب الطريس فى السفارة الى البابا ليون الثالث عشر عام 1888 بمناسبة بلوغه خمسين سنة وعبد الصادق الريفى لاسبانيا عام 1302 ألف فيها « التحفة السنية للحضرة الشريفة الحسنية بالمملكة الاصبنيولية» توفى عام 1318 (الاعلام ج 2 ص 253) .

أحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج الذى تحدث عنه رينو (الخطاب ص 8) كانموذج أخير للطبيب والعالم العربى الكامل وله مؤلف اسمه الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية فى ثلاثة أجزاء (يوجد الجزء الاول فى المكتبة الوطنية بالرباط فى 402 صحيفة) والقسم الاول من الجزء الاول خاص بمبادىء الطب والطبائع والثانى فى ضروريات الحياة (الهواء والاغذية والاشربة) والثالث فى الادوية المفردة والجزء الثانى فى الامراض وطرق علاجها والثالث فى الخواص الطبية لبعض الاسماء وقد ذكر رينو أن ابن الحاج يعطينا للمرة الاولى فى تاريخ المغرب تقسيما فنيا للادوية وقد توفى عام 1316 هـ (الاعلام ج 2 ص 246) .

محمد فتحا غريط الكاتب الطبيب الماهر (الاعلام ج 5 ص 313) وهو غير غريط الوزير (ص 320) .

ابراهيم بن أبى سعيد العلوى المغربى تحدث حاجى خليفة عن كتابه تقويم المفردات (رقم 3490) وعصر حياته مجهول .

---

(10) علم أعمار العقار وابدالها وقوى العقاقير وعلم الاقراباذين (ج 2 من المجلدين الموجودين بمكتبة الرباط) .

(11) جوزيف كاسطيل الفرنسى أصله من تولوز كان طبيبا جراحيا فى احدى البواخر التابعة للشركة الهندية فأسر ونقل الى سلا ثم الى مكناس وأصبح جراحا فى جيش مولاى اسماعيل (رحلة مويط ص 126) .

وذكر رينو انه لقي بالصويرة طبيبا يسمى الحاج الحسن قام بعملية جراحية شرح فيها صدر أحد المرضى (ص 122) .

عبد السلام العلمي كان من حاشية سيدى محمد ابن عبد الرحمن ومولاى الحسن الذى بعثه لدراسة الطب بالقاهرة وله كتاب سماه ضياء النبراس وارد فيه أسماء أساتذة المسلمين والاجانب فى الاسبطالية الكبرى بالقصر العينى الذى أسسه عام 1827 الدكتور كلوط (كلوطباى) . بأمر من الخديوى محمد علي (خطاب رينو ص6) وقد ذكر الطبيب المغربي فى كتابه النبراس أنه عندما كان طالبا فى مصر عام 1291 هـ (الضياء ص 59) فكر في تاليف كتاب موسوم بالاسرار المحكمة فى حل رموز الكتب المترجمة لتفسير المصطلحات الفنية فى العلوم العصرية الدخيلة في العربية وأنه اقتصر موقتا على تصنيف مختصر لشرح تذكرة داود الانطاكى وهو « ضياء النبراس فى حل مفردات الانطاكى بلغة فاس» وقد طبع بفاس عام 1318 هـ . وقد علق رينو على هذا الكتاب فلاحظ أن المؤلف يعطينا مفردات بربرية مرادفة للمصطلحات الطبية العربية .

وهذا الكتاب متين التحليل ويعتبر فى نظرى نقطة تحول مهمة فى تاريخ الطب المغربى حيث يحاول المؤلف التوفيق بين الشهور والبروج والادوية وأنواع النباتات المتداولة فى الشرق والغرب وفي المغرب مصححا فى بعض الاحيان أغلاط سلفه ومنظرا بين المصادر المطبوعة ودروسه في مصر وتقاليد أطباء المغرب وصيادلته وما يسميه بالطب الجديد والكيمياء الجديدة بأوربا وأمريكا ويأتى أحيانا بأسماء الدواء بالعربية ومختلف لهجاتها ثم باللاتينية والافرنجية مع تخليل ذلك بالمصطلحات الحديثة العامة كالتصعيد والتقطير وقد نقل من مصر نماذج عديدة من النباتات والعقاقير والادوية ويحكي عن تجارب شيوخه فى قصر العينى واسهامه الشخصى فى هذه التجارب وقد ذكر أنه شاهد زرافة مصبرة بالقصر العينى خلال قراءته علم الحيوانات (الضياء ص 57) وشارك فى تحضيرات بالمعمل الكيماوى بمصر (ص 72) .

وقد نقل عن نحو الخمسين مؤلفا منهم ابن الخطيب (ص 80) والوزير الغسانى صاحب الحذيقة وعبد الرحمن الفاسى (ص 86) وعبد القادر ابن شقرون والطبيب الصيدلى العجلانى (ص 80) والطبيب المصرى أحمد بن حسين الرشيدى الذى عاش أول القرن الماضي وصاحب « عمدة المحتاج فى علمى الادوية والعلاج » وبقلاوش وهو طبيب يهودى سرقوسى ينقل عنه كثيرا وأبو جعفر أحمد بن ابي عبد الله ابن الحشاء صاحب تفسير الالفاظ الطبية واللغوية الواقعة فى الكتاب المنصورى (12) (ص 112) وصاحب «الدر اللامع» .

وقد ذكر رينو أن الطبيب مولاى عبد السلام العلمي هذا أسس مصحة صغيرة قرب الحرم الادريسي بفاس ثم مرض ولكنه انكب مع ذلك طوال 18 سنة على اتمام كتابه الضياء حتى توفى عام 1323 هـ .

وقد أشار العلمي فى الضياء (ص 115) الى انه نظم منظومة سماها « مفتاح التشريح » كما رتب تذكرة الانطاكي على الامراض بدلا من الحروف ليسهل الفحص على من يطلب علاج مرض مخصوص وشرح آخر الضياء مفردات كنوز الصحة حسبما حرره فى الاسبطالية المصرية وعالج به بعض الامراض وهذه الرسالة مشحونة بالاصطلاحات الحديثة ووصف العمليات العلمية مثال ذلك أسلوب تقطير مخلوط النوشادر بجهاز ولف الذى رسم له صورة حية :

وفى الختام سرد أسماء شيوخه بالقصر العينى منهم رئيس الاسبطالية وشيخه في الجراحة محمد (فتحا) على باشا وشيوخه فى الامراض الباطنية على سرر المرضى وفى علم التشريح الهيكلي والعضلي والمفصلى وفى التشريح الطبيعى والكيمياء الطبية والاقرباذين (الصيدلة) وطب الرمد والامراض الجلدية والداء الزهرى وعلم الحيوانات المصبرة واحجار المعادن وأمراض النساء والاطفال (فى اسبطالية أمراض النساء بمصر) .

وأبو الفضل محمد العجلانى المذكور له تحفه الاريب عند من لا يحضره الطبيب اشار اليه لوكلير (ج 2 ص 317) ولم يذكر أن له كتاب الاشربة والمعاجين وتركيب الادوية وشرحا على أرجوزة ابن عزرون وكلاهما مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط .

---

(12) الموسوم «مفيد العلوم ومبيد الهموم» الذى نشره عام 1941 معهد الدروس العليا المغربية .

وقد أشار رينو الى اجتماع عقده اربعة من علماء فاس فى 8 شوال 1310 لامتحان طبيب مغربى فشهدوا بعد استفساره بتضلعه فى الطب وقوانينه وتطبيقاته ومعرفته بتركيب الادوية وتقاسيم الشرايين ووظائفها وعددها وعدد العظام وتمييزه بين أنواع العصب والعضلات فى الجسم ومعرفة النباتات والازهار والاعشاب الطبية وخواصها واسمائها وطرق اذابتها فى الوقت الصالح والاوقات المناسبة لوصفها للمرضى وبعد المداولة بين العلماء خولوا للطبيب اجازة (ص 121) .

وعند تعرض رينو للحاج الحسن الذى لقيه بالصويرة ذكر انه قرأ الطب فى تانكزونت بسوس حيث كان معه نحو الخمسين طالبا غير ان هذه التعاليم نظرية فلا علاج للمرضى ولا تشريح وانما تحفظ الدروس حفظا (ص 117) .

وذكر الاستاذ محمد المختار السوسى فى الجزء الاول من كتابه القيم « سوس العالمة » جملة من الاطباء السوسيين الذين لهم مؤلفات فى الطب فعلاوة على حسين الشوشاوى الراسلوادى الذى هو من اهل القرن التاسع أحمد بن عبد الله بن يعقوب السملالى ومحمد بن أحمد السوق الحامدى له كتاب فى الطب ومحمد بن على البعقيلى صاحب « الطب البعقيلى » الشهير وتاليف طبى آخر لمحمد بن يحيى الازريفى ومن الاطباء أحمد بن الشيخ الحضيكى حافظ تذكرة الانطاكى وكتاب الزهراوى (انظر الحضيكيون للجيشتيمى) وكان يسردهما من حفظه فى دروسه الطبية حيث كان يعلق على شرح ابن رشد لمؤلف ابن سينا ومنهم أحمد التهالى الذى مهر فى الطب وامتاز فيه بين معاصريه كابن الحضيكى وكلاهما أدرك اول القرن الثالث عشر «ثم انطوى الفن ولم نر له ذكرا فى التدريس او فى التأليف» ــ كما يقول الاستاذ ــ اللهم الا بعض المتطببين كابناء محمد بن سعيد الكرامى من أهل مختتم القرن التاسع والحاج ياسين الوسخينى والشيخ الحاج على الدرقاوى الالغى والحاج عبلا الالغى (13)

وقد استنتج لوكلير من امثال الطبيب ابن عزوز المراكشى وجود مصنفات فى الطب العربى بالمغرب (ج 2 ص 308) وابن عزوز هذا هو عبد الله المراكشى المعروف بسيدى بلة وهو صاحب «ذهاب الكسوف ونفى الظلمات فى علم الطب والطبائع والحكمة» توجد نسخة مخطوطة منه فى المكتبة الوطنية بالرباط وقد ترجمه لوكلير الى الفرنسية وهو ملىء بالمسائل النظرية وله ترتيب غريب (العموميات ثم العلوم الطبيعية ثم حفظ الصحة ثم الامراض ثم دراسة مفصلة لامراض العين نقلا عن مذكرات حسين بن على (لوكلير ج 2 ص 307) .

والدولة العلوية أول من اعتنى بالبعثات الطبية فقد وجه السلطان مولاى الحسن عددا من الشبان المغاربة لدراسة الطب فى أوربا فتتبع ستة منهم تمرينا فى المستشفى الاسبانى بطنجة فى ميدان الفحص والتضميد والتشريح البسيط وقد ذكر رينو ان ثلاثة من هؤلاء الاطباء المغاربة كانوا يعملون فى طنجة ومراكش فى الجيش وقد استفاد الناس من تجاربهم (ص 60) .

وهكذا يتجلى لنا من هذا العرض الموجز ان المغرب أسهم بحظ وافر فى وضع أسس فن الطب أيام المرابطين والموحدين غير أن هذا الفن وكذلك غيره من التعاليم والعلوم والفلسفة بدأ يتقلص فى عهد المرينيين ثم الشرفاء بسبب الاضطرابات والازمات المتوالية وبالاخص من جراء الذبول الذى لحق معالم الحضارة العربية عموما والمغربية خصوصا ولكن هذا لا ينقص من قيمة التراث المغربى الثمين الذى يعد لبنة أساسية فى مقومات الحضارة الانسانية .

عبد العزيز بنعبد الله

---

(13) للشيخ ماء العينين الشنجيطى دفين تيزنيت(1246ـ1328) (منظومة فى علم الطب) أودع فيها تدبير الانسان من صبوته الى شيخوخته و (شفاء الانفاس فيما ينفع الاسنان وخصوصا الاضراس) نسبهما له حفيده ابن بنته العلامة الشاعر الفحل ماء العينين بن العتيق الشنجيطى دفين مراكش فى كتابه سحر البيان فى شمائل شيخنا الشيخ ما العينين الحسان فى الباب الثانى منه ، وهو مصور على الشريط بالمكتبة العامة بالرباط على مبيضة المؤلف .

معجم المغرب التاريخي (1)

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

الاخماس : كثير من قبائل المغرب كانت مقسمة الى أخماس. والخمس عبارة عن وحدة عسكرية لا ادارية لان كل خمس كان يحتوى على جماعة من الرماة على رأسهم مقدم ولها علم ذو لون معلوم قد نقشت عليه عبارة «لا اله الا الله» .

الارز : ذكر ميييج Miège (هسبريس 1959 ص 219) ، ان الارز كان يزرع فى المغرب طوال القرن التاسع عشر الميلادى وقد أصدره المغرب الى فرنسا عام 1840 .

أما القطن فقد توفرت مزروعاته بين 1805 و 1840 قرب تطوان (مارتيل) وفى ولجة سلا (حيث وصف التاجر الفرنسى Rey بساتين القطن عام 1839) وبين هضاب شالة وابى رقراق وقرب الدار البيضاء (وادى بوسكورة). وفى أنحاء أزمور والجديدة وأسفى وكذلك حول مكناس وفى الريف والسوس وخاصة حوز مراكش وكانت مصانع تطوان تتوفر عام 1828 على آلات لفرك ألياف القطن كما كان بالرباط 28 معملا لنسيج القطنيات وقد بلغ الانتاج عام 1836 فى تطوان نحو 70 طنا وفى الرباط وسلا بين عامى 1840 و 1850 خمسة عشر طنا وقد أصدر المغرب القطن بين سنتى 1810 و 1840 لمرسيليا ولندن وجنوة وجبل طارق وقد جلب المغرب القطن من الاسكندرية على بواخر فرنسية وانجليزية كما جلب القطنيات من انجلترا والهند والقطن الازرق من السودان وبعد «مجاعة القطن» فى أوربا (1858 ــ 1865) ازدهرت زراعة القطن فى المغرب واهتم سيدى محمد بن عبد الرحمن بمدها الى أراضى المخزن حفظا للعملة المغربية المصروفة فى الواردات .

أزغار بلاد الشراردة وسفيان والخلط .

أزمور ، سماها ياقوت فى المعجم (ج 1 ص 216) أزمورة (بثلاث ضمات) كما أنه سمى أصيلا بأزيلى وكذلك ابن حوقل (ص 217) .

راجع النص العربى للرسالتين اللتين وجههما سكان أزمور الى ملك البرتغال يوحنا الثانى عام 1486 بخضوع اقليمهم للبرتغال ودفع عشرة آلاف حوتة من الشبل سنويا كجزية مع جواب يوحنا بالعربية (السلسلة الاولى ــ السعديون ــ البرتغال ج 1 ص 4) Sources inédites de l'histoire du Maroc وقد خاطبه أصحاب مدينة أزمور «بمولانا دون جون أرشده الله سلطان برتغال ... يقبلون يديكم مع رجليكم الكريمة (كذا) الخ والرسالة ممضاة من محمد بن قاسم الرعينى تعقبها رسالة موافقة تحمل عدة تواقيع من سكان أزمور (10-16) راجع ايضا النص العربى لرسالة يوحنا الثانى الى سكان أسفى (1488) جوابا عن طلب قائد أسفى أحمد بن على الذى اوفد ابن أخيه يحيى الزيات

(1) صدر هذا المعجم ضمن « تاريخ المغرب » الذي يطلب من مكتبة المعارف قرب الجامع الاعظم بالرباط وننشر في هذا العدد من «اللسان العربى» حرف الالف كانموذج للمسطرة التى سار عليها المؤلف.

لاعلان خضوع المدينة ليوحنا بعد أن خضعت للفونس الخامس (المتوفى عام 1481) فجدد يوحنا العهد للقائد ومدينته كرعايا للعرش البرتغالي مع التزام أداء ثلاثمائة مثقال ذهبي نقدا أو قيمتها شمعا مع فرسين كل سنة ودور صالحة او قطع أرضية لبناء دور يسكنها موظفو الملك (ص 25) تليها رسالة عمانويل الاول الى أهل ماسة الذين أوفدوا الشيخ عبد العزيز مع حمو بن بركة وسيدى يحيى لاشبونة للاعتراف بسيادته على البلاد (ص 31) كما خضع له شيوخ قبيلة مشنزاية (كتبها هكذا صاحب السلوة ج 2 ص 78 وكتبها مشترابة ابن القاضي فى الدرة والجذوة وابن عسكر فى الدوحة وابن الزيات فى التشوف) برسالة كتبوها من المدينة فى ثالث جمادى الاولى 908 (4 نونبر 1502) (ص 70) وتناحر هؤلاء القواد هو الذى حداهم الى الاستعانة بملك البرتغال حتى ضد ملك مراكش الناصر بن يوسف .

— فى هجوم البرتغال الاول على أزمور عام 1508 م قذف أهل المدينة على العدو المهاجم خلايا النحل (السلسلة الاولى — السعديون — البرتغال ج 1 ص 407) وكذلك فى الغارة الثانية عام 1513 م (ص 407) وكان الاسطول البرتغالى يحتوى على خمسمائة قطعة بقيادة دوق براكانس Duc de Bragance (ص 430) وقد زحف من الجديدة 18000 جندى نحو أزمور (ص 434) .

— القائد التركى الذى كان يحكم أزمور باسم مولاى عبد الملك اقترح تسليم المدينة لمولاى محمد المسلوخ واخبر بذلك والى الجديدة البرتغالى كما ورد فى رسالة سبستيان (السلسلة الاولى — السعديون ج 3 ص 394)

الاستانة : الباب العالى خصص منحة سنوية لمولاى عبد الملك وأخيه عبد المومن فى تلمسان وقدرها 4.000 أو 5.000 دوبل (السلسلة الاولى — السعديون ج 3 ص 206) وذلك قبل أن يساعده بعشر سفن لنقل العتاد وعشرين مدفعا وبعشرة آلاف جندى تركى (ص 215) وقد بلغ عدد السفن التركية فى المغرب فى هذا العهد نحو الخمسين (ص 239) معظمها فى سلا والعرائش (ص 246) .

— ذكر المولى عبد الرحمن بن زيدان أن سيدى محمد ابن عبد الله دعا للسلطان عبد الحميد العثمانى يوم عيد الاضحى على المنبر (الاتحاف ج 3 ص 178) .

الاسطول : كانت القطع القرصانية بسلا فى عهدمولاى رشيد عام 1669 تحتوى على 1)- فركاطة من صنع سلا حمولتها تسعون طنا مجهزة بستة مدافع وتحمل مائة وثمانين ملاحا .

2) فركاطة اقتنصت من فرنسا عام 1668 من حمولة 60 طنا وستة مدافع وتحمل 110 من الملاحين .

3) مركب فى قوة الفركاطة المذكورة من صنع هولندى اقتنص من الانجليز .

4) فركاطة من صنع انجليزى اقتنصت حمولتها 50 طنا وجهازها أربعة مدافع تحمل 80 ملاحا .

5) مركب من صنع هولندى اقتنص من الفرنسيين .
6) ثلاث فركاطات صغرى مصنوعة بسلا ذات حمولة وزنها ثلاثون طنا للواحدة ومدفعان وستون راكبا .

7) فركاطة جديدة من صنع سلا حمولتها مائتا طن مجهزة بأربعة وعشرين مدفعا تحمل ثلاثمائة راكب وقد استولى القراصنة فى هذه الغضون على 19 سفينة انجليزية واربع فرنسية كما لجأت الى سلا سفينتان من صنع جزائرى (الفيلاليون — السلسلة الثانية ج 1 ص 279) .

عندما اعتلى السلطان مولاى سليمان أريكة العرش كانت البحرية الملكية تتوفر على عشر فركاطات وأربعة مراكب شراعية واربعة عشر زورقا وتسعة عشر مركبا كبيرا للمدافع مع ستة آلاف من البحارة الماهرين (كودار ج 1 ص 156) .

الاسرى لاحظ Du Tertre دوتيرتر فى تاريخ جزر الانطيل (ج 1 ص 81) أن كثيرا من المحررين من بين الاسارى الاقدمين فى افريقيا الشمالية «يلعنون الساعة التى خرجوا فيها من الاسر لانهم أشد بؤسا فى وضعهم الجديد » .

— وجه لويس الثالث عشر ملك فرنسا رسالة الى ديوان جمهورية سلا يطلب تحرير الاسرى الفرنسيين فحرر الديوان مائة وعشرين منهم وقد تدخل بين الطرفين فى سلا العميل الانجليزى جوهن هاريسون لانجاح المسعى (السلسلة الاولى — السعديون ج 3 ص 209) راجع النص العربى للرسالة الموجهة فى شأن تحرير الاسرى من مولاى عبد الملك بن زيدان الى لويس

الثالث عشر بتاريخ 26 ربيع النبوى سنة 1040 (ص 350) وقد ارفق ملك فرنسا رسالة الى عبد الملك بمنسوجات قيمتها مائة الف ليرة مقابل الاسرى (ص 390) ووجه مولاى الوليد بن زيدان مبعوثه الاسرائيلي دافيد بالاش الى فرنسيا فتسلم الهدايا مع نص مصادقة ملك فرنسا على معاهدة الصلح ولكنه سافر الى هولندا وحسب السلطان أن فرنسا احتقرته فلم تجب مدة عام ونصف فسمح للقراصنة بمطاردة السفن الفرنسية وأسر الرعايا الفرنسيين واعتقال القنصلين مازى Mazet ودوبوى Du Puy وكان بالاش قد سلم الى ملك فرنسا رسالة اعتماد مزورة فتدخلت فرنسا لدى هولندا للقبض على بالاش واستشارت هولندا السلطان فأمر باعتقاله فى رسالة مؤرخة بـ 1635م حملها الى فرنسا دوشالار Du Chalard الذى جاء لتصفية هذا الخلاف ومنها الى هولندا فى العام التالى ولكن بالاش فر الى كولونى فى حين سعى والده يوسف وأخوه موشى لتبرئته فجدد له الوليد اعتماده كمبعوث للمغرب فى هولندا (ص 396) .

ـ نظرا للخلاف بين فرنسا والمغرب حول تبادل الاسرى أوقفت فرنسا مبادلاتها التجارية مع المغرب بمرسوم ملكى عام 1687 ولكن التجارة استمرت خوفا من استيلاء الانجليز على السوق لاسيما وأن فرنسا زاحمت انجلترا منذ مدة فى بيع الانسجة الصوفية علاوة على احتكارها لسوق نسيج القطن والكتان (دوكاستر ـ السلسلة الثانية ـ العلويون ج 3 ص 144ـ179) .

ـ ذكر الزيانى أن سجون المولى اسماعيل كانت مملوءة بخمسة وعشرين الف أسير مسيحى ونحو ثلاثين الفا من المجرمين وقطاع الطرق (مقتطفات من الترجمان المعرب ـ ترجمة هوداس ص 54) .

ـ ورد فى مذكرة جان ايستيل J. Estelle ان مولاى اسماعيل الذى كان يحتفظ فى سجونه بأسرى برتغاليين اشترط لتسليمهم تنازل البرتغال عن الصويرة كما اشترط لتسليم الاسرى الاسبان دفع الكتب العربية المحجوزة فى اسبانيا (السلسلة الثانية العلويون ج 3 ص 349) .

ـ دفعت اسبانيا مقابل تحرير مائة أسير اسبانى من ضباط العرائش 1051 أسيرا مغربيا وجزائريا (ص 120) علاوة على نفقات بلغت مائة وخمسين الف بسيطة (السلسلة الثانية ـ العلويون ج 3 ص 428 ـ 437) وورد فى مذكرة جان ايستيل J. Estelle أن فرنسا اقترحت استبدال أسيرين مسلمين بأسير مسيحى ، ولكن مولاى اسماعيل تنازل لتعويض رأس برأس (ص 441)

ـ كان عدد الاسرى بمكناس أوائل القرن الثامن عشر 130 فرنسيا و 460 اسبانيا و 200 برتغالى و 17 جنويا و 8 من السويد وهولنديان اثنان (السلسلة الثانية ـ العلويون ج 6 ص 484) .

أسفى : نصت رسالة مؤرخة بـ 7 اكتوبر 1534 وجهها أسقف لاميكو (Lamego) الى ملك البرتغال يوحنا الثالث يوصيه بالتنازل عن أسفى وأزمور واكادير بعد هدمها وباحتلال مملكة فاس الحافلة بالمدن الغنية بالمياه المعتدلة المناخ بالنسبة لدكالة ومملكة مراكش والتى هى أشبه بالبرتغال ومدنها ضعيفة يسهل احتلالها فى حين أن عرب الجنوب رحالة تصعب مطاردتهم ، ويجب انقاذ سبتة لإهميتها بالنسبة للمسيحية (م .غ. و. السعديون ـ ج 1 ص 57) .

وفى رسالة اخرى من أحد النبلاء الى الملك يحضه على استشارة البابا ويؤكد أن احتلال المغرب يجب أن يتم سواء بدىء بفاس أم مراكش لان فى ذلك تعويضا للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من هنغاريا (ص 73) وتنصح رسالة أخرى الملك بالتقليل من مصاريف البلاط للبدء باحتلال مراكش دون التنازل عن أسفى وأزمور (ص 90) .

الاسقفية ـ كان المغرب هو الاسقفية الوحيدة التى تشرف على الحركة المسيحية بافريقيا الشمالية وكان أسقف مراكش هو المسؤول الوحيد (ماس ـ لاطرى ـ علائق وتجارة افريقيا الشمالية مع الامم المسيحية ص 226) .

الاسلام لاحظ ابن عذارى أنه فى عام 85 هـ. تم اسلام المغرب الاقصى وحولت المساجد التى بناها المشركون الى القبلة وجعلت المنابر فى مساجد الجماعات وفيها صنع مسجد اغمات غيلانة (ج 1 ص 37) .

ذكر ابن خلدون فى تاريخه (المجلد الاول القسم الثانى ص 293) نقلا عن ابن أبى زيد انه ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتى عشرة مرة ولم تستقر كلمة

الاسلام فيهم الا لعهـــد ولاية موسى بـــن نصير فما بعـــده .

أكد روبير مونطـاني Robert Montagne في كتابهالبربر والمخزن) (Les Berbères et le Maghzen) ص 54) ان الاسلام هو الذى حمـــل الى المغرب فكرة الـــدولة .

راجع النص الاصلى المختوم لرسالة وجههـــا المولى اسماعيل بالاسبانية الى جاك الثانى ملك انجلترا عـام 1698 م (1109 هـ) يدعوه فيهـــا الى الاسلام ويذكـره بعلائق المغرب الطيبة مع الملك السابق شارل الثـانى (السلسلة الثانية العلويون ج 3 ص 560) تليها رسالة بالعربية مطولة فى نفس الموضوع (ص 562) .

ـ أكد لاووست Laoust (نشرات معهد الدروس المغربية العليا مجلـــد 18 ص 9) أن ورود المسيحيـين على الجبال المغربية قد اعتبره البربر أفدح شر منى به الشعب المغربى .

ـ نشرت مجلة هسبريس (ج 4 سنة 1924) نماذج للقانون العرفى فى ماسة قبل عام 1298 وهـو يحتوى على 29 فصلا و 190 بندا وقد نص البند العاشر بعـد المائة أن فى وسع شخصين أن يتفقا على احـالة دعوى على الشرع بعد تقديمها الى مجلس القبيلة أو الجمـاعة وأن الواجب آنذاك هـو تطبيـــق الشريعة الاسلامية لا العرف المحلى .

اسماعيل (المولى) : كان مولاى اسماعيل بفاس ينوب عن أخيه مولاى رشيد عندما مات هذا الأخير بمراكش وقد بويع بفاس كما أكد ذلك الافرانى والقادرى فـى نشر المثانى خلافا للزيانى والناصرى الذيـــن نصا على أن البيعة كانت بمكناس مقر نيابة مولاى اسماعيل .

ـ لاحظ الزيانى أن المولى اسماعيل ترك 528 ولـدا ذكرا ومثلهم من الاناث وقرأ فى سجلات سيدى محمد ابن عبد الله حيث كانت تدون المنح الموزعة عليهم أن هذه الذرية كانت تحتل خمسمائة دار بسجلماسة كما وقف الزيانى على ذلك بنفسه عندما توجه الى الصحراء لدفع هذه الاعانات (مقتطفات مـن الترجمان المعرب ، ترجمة هوداس ص 54) .

الاكحل ـ لاحظ الناصرى (الاستقصا ج 2 ص 57) أن السلطان الاكحل هو ابو الحسن المرينى لان أمـه كانت حبشية بينما أكد رونى باسى أنه هو أبو يعقوب يوسف المرينى . (ص 204)

ص 204 René Basset, Nédroma et les Trarcas

وذكر الكتانى فى سلوة الانفـاس (ج 3 ص 217) نقلا عن صاحب شرح الصدور فى مناقب الشيخ أبى يعزى يلنور أن السلطان الاكحل عند العامة هـو أبو يعقوب الموحدى على أساس أنه هو صاحب ماء الحمة التى يغتسل بها ذوو العاهات والظاهر أن الاسم متعدد لان كثيرا من الملوك كانوا موغلين فى السمرة .

أصيـلا ـ الفونس الخامس الملقب بالافريقى الذى ملك البرتغال خلال ربع قرن (1438ـ1481) هـو الذى استولى على أصيلا وطنجـة عـــام 1471 (دوكاستر ـ السعديون 1 ج 1 ص 94) .

ـ فى عام 1542 طرد البرتغاليون اليهود مـن أصيلا (السلسلة الاولى السعديون ـ البرتغال ـ ج 4 ص 108)

ـ رد روبير ريكـار (هسبريس ج 33) على صاحب الاستقصا فلاحظ أن العرائش لـم يحتلها البرتغاليون قط وأن الاسبان هم الذين استولوا عليها من 1610 الى 1689 أما أصيلا فقد احتلها البرتغاليون مـــن 1471 الى 1550 ثم من 1578 الى 1589 ومنذ هذا التاريخ لم تقـع فى قبضة أية دولة اوربية (ص 201) ثم اتهم الناصرى بأنه المسؤول الاول عن الاغلاط الفادحة المرتكبة غالبا فى وصف الحملات الاوربية بالمغرب وقـــد حمل ليفى بروفنصال ، كذلــك عـــام 1922 على الناصرى وهـم يستندون فى ذلك الى وثائق أوربية .

ـ لم يسترجع أحمد المنصور مدينة أصيلاالا بعــد مرور نحو اثنى عشر عاما على معركة وادى المخازن (13 شتنبر 1589) .

الاطلس ـ يظهر أن التمييز بـــين أقسـام الاطلس (الكبير والاوسط والصغير) لم يعرف قبل رحلة فوكولد الى المغرب عام 1883 وقد اشار قبله الرحالة البرتغـالى المجهول صاحب «وصف المغرب» (السلسلة الاولى مـــن السعديين ج 2 ص 231ـ313) الى سلسلة أولى تمتد من حاحة الى الممر المؤدى من مراكش الى درعة وهذا الحـد الفاصل بين مملكتى مراكش والسوس هـــو المسمى ادرارن درن (جبـل درن) فى حـــين تسمى السلسلة الممتدة شرقا والفاصلة لمملكـــة مراكش عن مملكـــة درعة بتيزى نكلاوى (راجع رحلة فوكولد ص 95) وقد سمى الاطلس الكبير أو درن قديمـــا بالجبال البيضاء.

Montes Carlos نظرا لقممها المكسوة بالثلوج

كما سميت الجبيلات بالجبال الصغرى Montes Atlas وعرف الاطلس الصغير بجبل تزروالت (السلسلة المذكورة ص 270) .

ـ وأكد روبير مونطاني (البرابرة والمخزن ص 69) أن قبائل الاطلس الكبير ادهشت الغربيين بقيمتها الحربية وقوتها التنظيمية وبما لها من قابلية التجانس.

اعذار (الاطفال) ـ يظهر أن عادة اعذار الاطفال لم تكن معروفة بالمغرب قبل الموحدين وقد قام المنصور بذلك لاول مرة عام 595 بمراكش حيث جعل فى يد كل طفل دينارا من ذهب ودرهما من فضة وحبة من الفاكهة الخضراء ليشتغل بها عن ألمه ويصرف الدينار فى مداواته (البيان لابن عذارى ج 4 ص 180) .

الاقطاعية ـ لاحظ دوتى (مراكش ص 401) أن الاقطاعية لا تقوم على وجود اقطاعى واحد وانها عبارة عن مجموعة وأن هذه المجموعة لا وجود لها بالمغرب كما أكد كوسطاف لوبون (حضارة العرب الطبعة الفرنسية ص 415) ان العرب لم يعرفوا قط «النظام الاقطاعى» .

أكادير ـ لاحظ دوكاستر (م. غ. م. السعديون ج 1 المقدمة) ان وثيقة برتغالية مؤرخة بأكادير فى 10 ستنبر 1537 تحمل على الاعتقاد بأن احتلال السعديين لهذه المدينة لم يتم فى 12 غشت 1536 حسبما توهمه مارمول ومن نقل عنه بل من 12 مارس عام 1541 مما حدا يوحنا الثالث الى الجلاء عن أسفى وأزمور (ص 106) وهذا التاريخ يتفق مع ما أورده اليفرنى الذى أكد أن محمد الشيخ هو الذى اختط مرسى أكادير عام 947 هـ (أى ما بين 1540 و 1541 م) ولكن هذا لا يدل فى نظرى على أن تحرير المدينة من طرف السعديين تأخر الى التاريخ المذكور ولم يتم عام 1536 (أى 942 هـ) .

ـ فى أواخر القرن السادس عشر كانت أكادير تصدر الى انجلترا السكر الصافى والسكر الخام وكثيرا من ملح البارود والبلح والزرابى والقطن (السلسلة الاولى ـ السعديون ـ انجلترا ج 2 ص 91) .

أمريكا (الكشف عن) ـ ذكر ابن عربى الحاتمى فى بعض تآليفه ان وراء المحيط الاطلنطيقى أمما من بنى آدم وعمرانا وقد عاش قبل كريسطوف كولومب بثلاثة قرون وقد تحدث أيضا صاحب مسالك الابصار نقلا عن شيخه محمود الاصفهانى قبل كولومب بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود أرض وراء المحيط وقد توفى الاصفهانى عام 749 هـ. وذكر ابن الوردى فى جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات جزائر عظيمة فيها خلق كثير ووصفها وصفا يكاد ينطبق على وصف بلاد أمريكا وابن الوردى عاش فى القرن الرابع عشر أى قبل كولومب بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربى محاضرات المجمع العلمى العربى بدمشق ج 2 ص 233) .

أمقدول ـ مرسى أمقدول هى الصويرة Mogador حسب البكرى (افريقية والمغرب فى المسالك ص 86) .

الامويون ـ اتصلت دولة الامويين فى الشرق والغرب الى عام 424 هـ ذلك أن عهد عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية من قبل بنى أمية وصل الى يوسف ابن عبد الرحمن المتغلب على الاندلس الذى دخل عبد الرحمن بن معاوية وهو أسيرها (البيان لابن عذارى ج 2 ص 57) .

الانتاج ـ وصف الشريف الادريسى الانتاج الزراعى بالسوس فى القرن السادس الهجرى فلاحظ وجود أجناس كثيرة من الفواكه كالجوز والتين والعنب العذارى والسفرجل والرمان الامليسى والاترج الكبير والمشمش والتفاح المنهد وقصب السكر الذى ليس على قرار الارض مثله (نزهة المشتاق فى اختيار الآفاق ـ الجزء الخاص بافريقيا الشمالية والصحراء ص 39) كما وصف اخضرار النبات الدائم فى الاطلس حيث يتوافر التين والعنب المستطيل العسلى بدون نوى والجوز واللوز والسفرجل والرمان والاجاص والكمثرى والمشمش والاترج وقصب السكر والزيتون والخرنوب واركان (ص 41) ثم أبرز أهمية المبادلات التجارية مع السودان فلاحظ أن أهل اغمات «امليا» تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الاموال من النحاس الاحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار وضروب من الافاويه والعطر وآلات الحديد (ص 143) .

ـ كانت النيلة حسب ابن خلدون تزرع فى درعة ويستخرج الصحراويون مادتها بمهارة (ص 2) .

الاندلس : كان اسم الثغريين أى سكان الثغور يطلق

على اندلسيى اقليم اراكون فى حين سمى بالاندلسيين سكان الاقاليم الجنوبية .

الاندلس ـ كان المرور من ميناء سبتة الى الجزيرة يتم فى ثلاث ساعات كما وقع لعبد الملك بن المنصور ابن أبى عامر عام 389 (نبذة تاريخية فى اخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من مفاخر البربر ـ طبعة ليفى بروفنصال ص 34) .

ـ فى عام 1565 كشف فيليب الثانى ملك اسبانيا فى قشتالة عن مبعوث لملك المغرب ورد لجمع الزكوات من الاندلسيين (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 1 ص 88)

ـ يظهر أن غرب الاندلس كان أشد تأثرا بالمغرب ففي خصوص الازياء مثلا لاحظ المقرى (النفح ج 1 ص 105) أن أهل شرق الاندلس يتركون العمائم فى حين أن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا اليه الا وهو بعمامة .

أنطوان (الايرلندى) ـ كان المسيحى الايرلندى أنطوان هو الذى يترجم للمولى زيدان ـ وهو أسير بمراكش الكتب اللاتينية الى اللغة القشتالية ثم ينقلها بعض الاعلاج الى العربية (كودار ص 498) .

انطونيو ـ أجلى فيليب الثانى حاميته من اصيلا عام 1589 لحمل المنصور الذهبى على عدم اقراض انطونيو مائتى ألف كروزادا (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 2 ص 286) أما الجلاء عن القصر الصغير فقد تم عام 1551 م .

اورانج (أمير) ـ كان أمير اورانج Prince d'Orange يعتبر التحالف ولو مع المسلمين ضد البابوية مشروعا وضروريا نظرا لسلوك البابا فى ملحمة برتيليمى ضد البروتستانت (السلسلة الاولى ـ السعديون ج 1 ص 363) وكانت اورانجوى اقليما اقطاعيا انضم الى العرش الفرنسى عام 1673 .

الموسم الثقافي الثاني

انطلاقة جديدة لوحدة الفكر العربي

وبرهان آخر على قدرة لغة الضاد

ان وحدة اللغة العربية ، ووحدة التفكير العربي ، ووحدة العمل من أجل مستقبل العروبة هي الشعارات التى قام من أجلها المكتب الدائم للتعريب ، وان توثيق الروابط بين الشعب العربي وتمتين الصلات التاريخية والفكرية واللغوية بين أجزاء هذا الوطن الكبير هما الهدفان الاساسيان لمؤتمر التعريب الذى انعقد بالرباط بين 3 و 7 ابريل من سنة 1961 والذى انبثق عنه هذا المكتب

ومؤتمر التعريب هذا الذى شاركت فيه جميع الدول العربية تحت رآسة جامعتها ، كان ولا يزال الانطلاقة الرائعة لتحديد الموقف العربى من لغة الضاد التى هي الحارس الامين للشخصية العربية والوجود العربي والوحدة العربية .

والمكتب الدائم للتعريب الذى انبثق عن هذا المؤتمر قد حدد رسالته ، وقام مخلصا مجاهدا ، مكافحا ، غير مبال بالصعاب والعقبات لتأدية هذه الرسالة . ومنجزاته الكثيرة خلال ثلاث السنوات التي عاشها لحد الآن هي اكبر شاهد على ذلك . وهي الانتفاضة الجديدة التى أتم بها الطريق من أجل الاسهام فى رعاية اللغة العربية فى العالم العربي واحياء التراث الخالد وتوضيح صورة الكفاح المشترك الذى يخوضه اليوم الشعب العربى من أجل لغته وقوميته وحضارته .

* * *

وموسم الكتاب العربى الثانى الذى ينظمه المكتب الدائم من 4 الى 26 مايه ، والذى يشهد المغرب من خلاله مهرجانات ثقافية كبرى تقام فى أكبر المدن المغربية مظهر من مظاهر كفاح ونشاط وايمان هذا المكتب برسالته .

انها سنة طيبة ، سنة احياء المواسم الثقافية آخر كل سنة دراسية وانها لحسنة من حسنات قادة الفكر العربي أن تشهد في بلاد المغرب كل سنة مهرجانات فكرية يلتقى فيها فكر المغرب بفكر المشرق .

ففى سنة 1963 نظم المكتب أسبوعا للتعريب تحقق فيه الفكر الواعى العربى وتجسمت فيه قوة الوحدة العربية والنضالية من أجل لغة الضاد .

وفى سنة 1964 نظم مهرجانا ثقافيا كبيرا القيت فيه العديد من المحاضرات حول الثقافة العربية المعاصرة ، وحول اللغة العربية والتطور العلمى كما أقام فيه معرضا للكتاب العربى تجلت فيه قوة الارادة العربية ، والتقدم الفكرى العربى فى الشرق والغرب .

وها هو المكتب الدائم يقيم فى سنة 1965 مهرجانا ثقافيا آخر يمتاز عن سابقيه بلقاءات عربية ، وتجمعات شعبية ، وطلابية وباحياء ما يتصل بحضارتنا العربية الزاخرة ، وما أعطته للبشرية وما أسدته اليها على صعيد الفكر والاجتماع والتاريخ . ابتدأ المهرجان فى رابع مايه بأسبوع للطالب المغربي وقد استهدف المكتب الدائم في هذا الموسم اتاحة الفرصة لقرائح الطلاب ، وان يتجاوب معهم ويشجعهم على تحصيل الثقافة العربية والتعاليم الاسلامية.

وفى نطاق هذا الاسبوع نظمت لطلبة السلك الثانى الثانوي والعالي مباريات خطابية وكتابية في الثقافة العامة والعلوم الحديثة وقد خصص المكتب لهذه المباريات جوائز مالية وأدبية مهمة .

ولا يفوتنا أن نسجل هنا الاقبال العظيم الذى حظيت به هذه المباريات ، والوعى الكامل الذى أبانه الطلبة فى انسجامهم مع المواد المختارة للمباريات وخاصة فى ميدان التقنية وعلوم الفضاء .

وفى نطاق هذا الاسبوع كذلك أقام المكتب معرضا للعلوم الفضائية بكلية الآداب بالرباط خصيصا للطلبة للاستفادة منه فى مبارياتهم ، وقد شارك فى هذا المعرض كل من امريكا وانجلترا ، وعلى الرغم من عدم تمكن الاتحاد السوفياتي وفرنسا والصين الشعبية من الاسهام فى هذا المعرض الفضائى فان الاقبال عليه قد حقق ارقاما خيالية وبجانب المعرض الفضائي يقام معرض للكتاب العلمى باللغة العربية يتجلى فيه أهم ما توصل اليه الفكر العلمى العربى من تقدم ورقى ، وقد حظى هذا المعرض باقبال جماهيرى خاصة وانه يحتوى على مآت الكتب باللغة العربية فى علم الفضاء ، وعلم الذرة ، وعلم الكيمياء والفيزياء .

واذا كان اسبوع الطالب قد اختتم بنجاح فانه كان خطوة جريئة اخرى قام بها المكتب فى المجال الطلابى .

* * *

وفى نطاق هذا المهرجان العلمى الكبير ، القيت عدة محاضرات علمية في كل من الرباط والدار البيضاء ، وفاس ، وطنجة ، وتطوان شارك فى القائها مجموعة من الاساتذة الجامعيين والاختصاصيين فى المواد العلمية وطرحت فيها أهم المشاكل فى الكيمياء والفيزياء والطبيعيات والفضاء التى تعترض مسايرة اللغة العربية للعلوم والتطور العلمى لهذه اللغة فى القديم والحديث ، وبينت جميعها فعالية لغة الضاد فى كشف احدث العلوم الانسانية والطبيعية .

ففى رابع مايه القى الاستاذ عبد الله الحصين مدير التعليم بالطائف (المملكة العربية السعودية) الذى وصل الى المغرب لحضور هذا المهرجان ، محاضرة حول سير الثقافية في الجزيرة العربية ابرز فيها فعالية اللغة العربية فى تدريس العلوم ، ومكانة هذه اللغة بين لغات العالم المتحضر اليوم ، مؤكدا ان العاهة التى كانت تهدد هذه هذه اللغة هي الاختلاف الموجود بين المجامع اللغوية ، والهيئات العلمية فى وضع المصطلحات العلمية وان المكتب الدائم للتعريب يعمل بجد وحكمة لعلاج هاته الحالة فى نطاق جامعة الدول العربية .

وفي نفس اليوم القى الاستاذ عبد الله بوقس مدير التعليم بجدة وعضو الوفد السعودى لهذا المهرجان محاضرة بالدار البيضاء فى موضوع التعليم بالمملكة العربية السعودية اكد فيها ضرورة توحيد مناهج التعليم فى العالم العربى . وأعطى فيها أرقاما مفصلة عن تقدم التعليم بهذا البلد .

وفى سادس مايه ألقى الاستاذ عوض حنا (اللبنانى) فى نطاق هذا المهرجان محاضرة حول التقدم العلمى فى العالم الحديث . تحدث فيها عن تاثر الحضارة الغربية بالحضارة الاسلامية التى قدمت للانسانية خدمات جلى .

وفي يوم سابع مايه القى في نطاق هذا الموسم الاستاذ نادر النابلسى (من سوريا) وأستاذ بالمدرسة العليا للاساتذة محاضرة حول التاريخ العربى لمادة الرياضيات أكد فيها ان ما توصلت اليه الدول العربية من بحوث شيقة في مادة الرياضيات العلمية يرجع فيه الفضل الى الفكر العربى والى الباحثين العرب معللا ذلك بالكثير من الامثلة والشواهد .

وفى 11 مايه القى الاستاذ محمد بن مسعود وكيل وزارة المعارف الليبية ورئيس هيئة ليبيا فى موسوعة المغرب العربى محاضرة حول معالم ليبيا الثقافيةوالحضارية ابرز فيها مظاهر الكفاح الذي خاضته وتخوضه ليبيا الشقيقة من أجل ارساء قواعد اللغة العربية ونشرها على اوسع نطاق فى التعليم الليبى . واكد ان الحضارة الليبية القديمة استمدت أصولها من الحضارة العربية العتيقة .

بالاضافة الى المحاضرات الاخرى التى القيت فى نفس المواضيع بفاس ، وطنجة ، وتطوان ، وسطات ، وغيرها من الاقاليم المغربية في نطاق هذا المهرجان الثقافى الكبير .

* * *

اما اسبوع الكتاب العربى الذى اقيم فى المدرسة الادارية المغربية بالرباط فى نطاق هذا الموسم فشاركت فيه الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والجمهورية العراقية والجمهورية اللبنانية والمملكةالعربية السعودية والمملكة الليبية والمملكة المغربية وخزانة القصر الملكى العامر وخزانة المكتب الدائم للتعريب والخزانة الوطنية العامة بالرباط .

افتتح هذا المعرض يوم 17 ماي فى حفل رسمى تراسه معالي وزير التربية الوطنية ورئيس مؤتمر التعريب الدكتور يوسف بلعباس بحضور رجال السلك الديبلوماسى المعتمدين فى الرباط ورجال الصحافةوالاذاعة العرب والاجانب وكذلك أعضاء الموسوعة المغربية .

وقد تخصص بعد ذلك يوم لكل دولة عربية مشاركة فى المعرض .

وبنظرة بسيطة على أروقة هذا المعرض الذى يضم عشرات الآلاف من الكتب العلمية والادبية والتقنية العربية ، نجد الكتاب فى البلاد العربية ... أشواطا بعيدة فى التقدم لا من حيث الشكل فحسب ولكن من حيث الموضوع أيضا .

لقد كانت الملاحظة الاساسية فى معرض الكتاب العربى بالنسبة للزائر العادى هي ذلك السيل من الكتب العلمية فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الفضاء والذرة والالكترونيات ومختلف العلوم والفنون التى تلفظها المطبعة كل دقيقة فى البلاد العربية .

وهذه الآلاف من الكتب العلمية التى زخرفت بها قاعات المدرسة الادارية ، ليست هي كل شيء ولكنها مجرد نماذج بسيطة عرضتها الاروقة للطلبة والتلاميذ والاساتذة ولجميع رجال الثقافة والتعليم المتعطشين لمعرفة ما وصلته لغتهم فى البلاد العربية الاخرى وقد كان ذلك برهانا آخر عن قدرة هذه اللغة على مسايرة التطورات العلمية المعاصرة والمستقبلة فى العالم ودليلا واضحا على ابطال تهم المتعصبين لغيرها من لغات العالم .

بجانب هذا المعرض نظم المكتب الدائم للتعريب سلسلة محاضرات انطلق فيها من يوم 15 ماي ذكرى فلسطين العربية بسلسلة محاضرات وندوات حول القضية الفلسطينية . وكان أول محاضر فى هذا الموضوع هو الاستاذ علال الفاسي الذي تحدث في بداية محاضرته القيمة حول فكرة التوسع الاوربى والمعركة الصليبية ، وعن التاريخ السلالى لبلاد فلسطين ، ثم تخلص للحديث عن المعركة الحالية التى يخوضها شعب فلسطين اليوم مؤكدا ان قضية فلسطين كانت موضع تآمر من الغرب ، وبالاسف بتآمر من بعض ملوك العرب ورؤسائهم الشيء الذى لم يساعد فلسطين على التحرر ورد الغارة الحقيقية على العدوان الغربى والصهيونى فى نفس الوقت .

واختتم الاستاذ علال الفاسى محاضرته الكبرى التي استغرق في ارتجالها اكثر من ساعتين بالحض على بعث وعي بحقيقة الازمة فى فلسطين ، والعمل من اجل محو السيطرة اليهودية منها .

وفى يوم 20 ماي نظم المكتب الدائم للتعريب فى اطار هذا الموسم ندوة حول قضية فلسطين كذلك شارك فيها كل من الاساتذة علال الفاسى والحاج احمد بنانى سفير المغرب في سوريا سابقا والدكتور الحاج مير الفلسطيني كما شارك في مناقشة عرضها صاحبا المعالي سفيرا الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية ، وكذا بعض المثقفين المغاربة ، وقد قدمت هذه الندوة مشكلة فلسطين كما هي الآن امام الرأي العام الدولى والحل الطبيعى والحتمى لهذه القضية المتلخص فى وحدة الدول العربية من أجل تحريرها بالحديد والنار .

وفى يوم 24 ماي ألقى معالى سفير الجمهورية العربية المتحدة بالرباط الاستاذ حسن فهمي عبد المجيد محاضرة فى موضوع فلسطين والمؤامرة الدولية افتتحها بتوضيح الفارق بين الاستعمار فى القرن الماضى وأوائل القرن العشرين حيث أكد انه اذا كان الاستعمار هو الطابع البارز فى السياسة الدولية فى القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين فقد اصبح هذا الاستعمار ممجوجا ممقوتا فى النصف الثانى من نفس القرن .

وقد استعرض بعد ذلك فكرة نشوء الجمعيات الاقليمية للصهيونية الحديثة فى عواصم الدول الاوربية والامريكية وعن أول مؤتمر صهيونى وعن أهدافه ، ثم عن الحرب العالمية الاولى ودور السياسة البريطانية ضد الآمال العربية وتخلص للحديث عن نشوء الجامعة العربية والدور الذى لعبته فى التعريف بالقضية الفلسطينية وفضح مخازى الصهيونية فى العالم .

وختم السيد السفير محاضرته بتحديد موقف دول الغرب من هذه القضية ، وما تقوم به هذه الدويلة من مساع لدى الدول الكبرى لحمايتها .

وفى يوم 26 ماي ألقى معالى سفير الجمهورية العربية السورية الاستاذ هيثم الكيلانى محاضرة قيمة بمدرج كلية الآداب فى موضوع استراتيجية اسرائيل مفتتحا محاضرته حول جغرافية فلسطين المحتلة ثم عن مشروع تحويل نهر الاردن الذى تحاول به اسرائيل رسم خطتها الثانية بعد ايجاد الذات ، أما عن استراتيجية اسرائيل فاكد السيد المحاضر انها تخضع لعاملين اثنين : ايمان اسرائيل بحتمية الحرب ثم ضعف كيانها مما يقطعها عند الضربة الاولى الحاسمة ويفكك أوصالها .

وبعد ان شرح السيد السفير جميع خطط اسرائيل واستعداداتها ومذهبها العسكري ورعبها من الجبهة العربية الموحدة وفزعها من الكيان الفلسطينى تساءل عن

ماهية الموقف العربى متخلصا الى التأكيد اننا اذ نواجه نحن ابناء البلاد العربية اسرائيل فاننا لا نواجه عدوا يبغى العيش وانما لابد له من العدوان علينا لان وجوده قام على هذا الاساس وأمام هذا الخطر الساحق لا تنفع الحماسة المراهقة ولا الدهاء المناور ولا محاولات الكسب والتهدئة ، وان ما يجدى هو العمل العلمى الموضوعى الذى يواجه المشكلة بكل حدودها وابعادها .

* * *

أما عن المحاضرات الثقافية الاخرى ، فقد طرح المكتب الدائم للتعريب بواسطتها الكثير من القضايا الفكرية المعاصرة حيث القى الاستاذ عبد الحق فاضل سفير العراق السابق فى الصين الشعبية يوم 13 ماي محاضرة قيمة حول التطور الحي فى اللغة العربية تناول فيها جانبا طريفا من التطور الحركى الابداعى الذى عاشته اللغة العربية من عصور بعيدة الى اليوم .

وقد استعرض السيد المحاضر امثلة حية ونماذج لغوية كثيرة الشىء الذى اضفى على هذا البحث اللغوى طابعا طريفا من الطريقة العصرية المستحدثة .

وفى يوم 21 ماي القى الاستاذ عبد الحميد عواد بمدرج كلية الآداب محاضرة حول البحث العلمى فى المجال الاقتصادى بالمغرب استعرض فيها بدقة تطور الابحاث الاقتصادية المغربية مقارنا ذلك بما يجرى اليوم فى الابحاث الاقتصادية المعاصرة فى أوربا ، وآسيا وأمريكا مؤكدا هذه المقارنة بعدد من أرقام الاستهلاك والايراد والتصدير .

وفى يوم 22 ماي القى الاستاذ السورى نادر النابلسى استاذ بالمدرسة العليا للاساتذة بالرباط محاضرة علمية بقاعة الافراح بالدار البيضاء فى موضوع الرياضيات العربية عبر التاريخ استعرض فيها اعلام الرياضيات العربية من اقدم العصور الى اليوم ، مبينا عن طريق تطور الرياضيات فى العالم ان أصل هذا العلم يرجع الى البلاد العربية .

وفى يوم 23 ماي القى الاستاذ المهدى بنعبود سفير المغرب بواشنطن سابقا محاضرة فلسفية هامة حول التيارات الفكرية والمجتمع الحديث ، تطرق فيها الى ما وصله المجتمع اليوم فى أوربا من انحلال وتفكك ، ومبينا ان هذا التطور اللأخلاقى لم يكن نتيجة التقدم الفكرى فى العالم كما تطرق الى المجتمع الاسلامى وفضله على الفكر الحديث فى أوربا وأمريكا والعالم المتحضر .

وفى يوم 25 ماي نظم المكتب الدائم للتعريب فى اطار هذا الموسم ندوة ثقافية شارك فيها كل من الاستاذين الحسن السائح ، ومصطفى الصباغ ، تحدثا فيها حول مفعول الكتاب فى تطور الثقافة ، وفضل المطبعة على العالم وذلك بمدرج كلية الآداب بالرباط .

* * *

وبهذا يكون المكتب الدائم للتعريب قد طرح على بساط البحث مجمل المشاكل والقضايا التى تهم الثقافة العربية ، وقد كانت الصحف ووكالات الاخبار المغربية والأجنبية تتناقل أخبار هذا الموسم باهتمام بالغ الشيء الذي جعل منه حدث الموسم الثقافي في المغرب .

والمكتب الدائم للتعريب بعد فراغه من هذا الموسم يجرى اتصالاته ليقيم موسما آخرا فى بداية السنة الدراسية المقبلة فى احدى العواصم العربية .

الكتاب العربي في سوريا

بقلم صبحي الكيلاني
سفير الجمهورية العربية السورية

الكتاب العربي في سورية ، والحديث عنه ، كظاهرة من الظواهر الثقافية ، وعلامة من علاماتها ، حديث متشعب طويل ، شأنه في ذلك شأن الكتاب العربي في أكثر البلاد العربية ، منذ أخذت الطباعة طريقها الى المشرق العربي في نطاقها الضيق ، حتى بلغت مبلغها اليوم ، من انتشار واسع ، ونشاط دائب ، وعمل لا يكاد ينقطع في فترة من فترات النهار أو الليل .

وليس من حق محاضرة موجزة كهذه المحاضرة ، تهدف الى التعريف القريب بالكتاب العربي في سورية ، ان تمضي بعيدا في تتبع هذا الكتاب منذ نشأته ، ولا أن تحرص على الوقوف عند نماذجه الاولى ، ولا أن تسلك وجه التاريخ الدقيق لكل مرحلة من مراحله . وحسب هذا اللقاء ، ان يضع المرء أمام الكتاب العربي في سورية ، في ابرز اتجاهاته وأظهر معالمه وملامحه .

ولهذا ، لن يكون من هدفي هذه الامسية ، أن أحاضر بمقدار ما هو أن اتحدث . ولن يكون كذلك من خطتي أن أؤكد على الجانب التاريخي ، وان أتتبع المراحل المتسلسلة ، وان انكر السنين والارقام ، وأن أسرد قوائم مرتبة على أساس العلوم ، او مصنفة على أساس الحروف . لن يكون هدفي ذلك ، بمقدار ما يكون من خطتي ان انظر هذه النظرة الجامعة ، التي تحاول أن تلم كل هذا النتاج الطباعي في سورية ، وان تجمعه حول بعض الاتجاهات أو بعض الخطوط .

× × ×

ولعل ابرز ما يرتسم في ذهن الذين يدرسون هذا النتاج الطباعي ، انهم يلاحظون ان الكتاب العربي ، على طول الطريق التي مضى فيها في البلاد السورية ، لم يكن قط هذا الاثر المادي الذي يتظاهر على اخراجه مؤلف وناشر ، ويصطلح عليه كاتب وطابع ، ويعمل فيه محقق وتاجر . وانما كان منذ بدايته الاولى ، هذه الظاهرة الاجتماعية التي تعبر عن اتجاه ، وتسعى الى فكرة ، وتصنع من امامها هدفا ، العامل المادي فيه اضعف عناصره وابعدها .

ولقد كانت هذه الظاهرة الاجتماعية ، أعني هذا الكتاب ، تحمل في الغالب كل ما يضطرم في المجتمع الجديد في سورية ، في كل الفترات المتسلسلة من تاريخ الطباعة . كانت تعبر عن اتجاهاته ، وتمثل مطامحه ، وكانت تعكس تفكير اصحابه ، وتنبيء عن اتجاهاتهم نحو القديم أو نحو الجديد ، أو نحو مزج القديم والجديد. كانت تجميعا لكل الذي يضطرب فيه هذا المجتمع ، أفرادا وجماعات ، وكانت تتويجا لكل هذه المسارب التي تمضي فيها الحياة الاجتماعية في الثقافة والاقتصاد ، في العقيدة والمثل الاعلى ، في النهضة واكتساح العوائق ، في رعاية الماضي وفي التطلع الى المستقبل ، في النظر الى هذا الوجه أو ذاك من أوجه الحياة المختلفة الكثيرة التي لا تكاد تحصى .

وعلى أساس من هذه الحقيقة الاولى في حياة الكتاب العربي السوري ، أي على أساس من انه ظاهرة اجتماعية ، استطاعت أن تمثل بأمانة ودقة كل اهتمامات

المجتمع العربي في سورية ومطامحه ، فاننا نستطيع أن ننظر في الكتاب العربي في خطوطه الاربعة الكبرى :

- الكتاب العربي الحر .

- والكتاب العربي المجمعي ، أي الذي تولاه المجمع العلمي العربي .

- والكتاب العربي الجامعي ، أي الذي تولته الجامعة السورية .

- والكتاب العربي في وزارة الثقافة والارشاد القومي ، منذ أسست هذه الوزارة في الاعوام الاخيرة .

× × ×

لقد كانت الثمرات الاولى للطباعة العربية في سورية عملا حرا ، اذا نحن استثنينا المنشورات الرسمية أو ما في حكمها مما كان يصدر عن مطبعة الحكومة . ذلك إن بعض المطابع في دمشق وحلب - بوجه خاص - هي التي كانت تجمع قواها حول الكتاب العربي ، طباعة ونشرا ، وقد تظاهر على ذلك قوتان اساسيتان :

أولاهما قوة أصحاب المكتبات والمطابع .

والاخرى قوة العلماء الذين اخذوا ينصرفون الى التاليف والتحقيق . ولم تكن هاتان القوتان متباعدتين ، ولم تكن احداهما غريبة عن الاخرى . كانتا متكاملتين احداهما الى جانب الاخرى . وكان هنالك هذه الظاهرة التي نلمحها بوضوح ، وهي ان الناشر أو صاحب المطبعة لم يكن بعيدا عن الحياة العلمية - بمفهومها آنذاك - وانما كان في غالب الامر ، قريبا منها ، أو متصلا بها . كان طالبا للعلم ، أو على صلة بالعلماء ، أو نصيب من ثقافة ، يتيح له الا ينظر الى الكتاب على انه مشروع تجاري صرف . انما كان ينظر الى الكتاب على انه هذا الشيء المتميز . وقد يشارك في اختياره ، وقد يكون له رأي فيه ، ويعين المؤلف على بعض عمله في انتقاء المراجع والتصحيح والتدقيق . كان الطابع أو الناشر ، بتعبير آخر ، وراقا ، على حد ما يقول علماؤنا في ترجمة بعض العلماء أو المتأدبين . كان وراقا يمارس العلم تحصيلا وكسبا .

وتفسير ذلك ان الكثرة من الناس الذين يقومون ببعض المهن المتميزة - ان صح هذا الوصف - كانوا عندنا - كما كانوا في اكثر بلادنا العربية - ولهم دائما هذه المشاركة في الثقافة : يقرأون في بعض المدارس أو على بعض الشيوخ ، ثم اذا انخرطوا في الحياة العامة ، لم ينسلخوا عن المطالعة والعلم ، وانما كانوا يلاحقون ذلك على أساس من الاتصال المستمر بشيخ يتابعون عليه بعض القراءات ، أو حلقة يتذاكرون فيها بعض الكتب ، او اجتماع يتدارسون فيه بعض المصنفات . انهم لم يكونوا ينقطعون عن المعرفة وعن التزود منها بحال من الاحوال ، في سن ما من الاسنان . لأنهم كانوا ياخذون دائما بالحديث الشريف: اطلبوا العلم من المهد الى اللحد.

وهكذا التقى صاحب المطبعة وصاحب المكتبة وصاحب القلم . وبدأت تتجمع الاحرف في صفحات ، والصفحات في ملازم . وتدور الآلات الطابعة ، فتخرج للناس بعض الكتب التي سترون في المعرض نماذج قليلة منها .

هذه الكتب التي كانت ثمرة الاختيار الحر يمكن ان نلحظ فيها نوعين اثنين :

- احدهما بعض الكتب التعليمية ، أي التي كانت تستخدم في التعليم ، ما كان منها للتدريس الحر في حلقات المساجد أو المدارس الاهلية ، وما كان منها للمدارس الرسمية .

- والآخر هو بعض الكتب الثقافية التي كانت تهدف الى اشاعة الثقافة أو اغناء المعرفة ، سواء ما كان من هذه الكتب مؤلفا أو ما كان محققا .

وحين نرصد هذه الطريق ، نستطيع أن نقرأ بعض الاسماء ، وأن نذكر بعض المكتبات ، وان نقف عند بعض المؤلفين والناشرين والطابعين . ولكننا لن نستطيع ان نستقصي ذلك الآن . ومع ذلك ، فانه يبقى في اذهاننا نحن نتحدث عن الكتاب الحر ، اسماء عدد من المكتبات الناشرة ، كالمكتبة العربية ، والمطبعة العلمية ، والمكتبة الهاشمية ، ودار اليقظة العربية ، ودار الفكر ، وغيرها من المكتبات الناشرة الكبيرة ، التي غذت ميدان المعرفة بامهات الكتب العلمية الدينية والادبية والتاريخية ، تاليفا وتحقيقا .

ولو استعرضنا اسماء الكتب والمؤلفين ، للاحظنا ان هذا النتاج اشبه ما يكون بالنتاج الموجه الذي الزم نفسه بمسلك معين واخلاق محددة. اذ انه لم يكن يرغب في أن يتخطى دائرة الحياة العربية السليمة والتاليف الرصين العاقل ، والتراث القديم الثمين . ان هذا الالتزام

لم يكن ايحاء ولا فريضة أو ضريبة ، ولكنه كان احساسا داخليا عميقا بقيمة الكتاب في تكوين الحياة وفي تسديد العقول وفي رشاد الناس ، والتأبي عن أن يكون مطية لتسلية عابرة أو سبيلا لوقت ضائع . ان أولئك الذين كانوا ينهضون بالكتاب العربي ، ما كانوا ينظرون اليه الا من اكرم الزوايا ، ومن احفلها بالخير والخصب والفائدة، ومن أشدها تقريبا للقاريء من تراثه ، من ماضيه ، ومن مستقبل لا ينفصم عن هذا الماضي ولا يعاديه .

ومن المؤكد انه كان هنالك الى جانب ذلك ، نتاج طباعي آخر ، يتجه الى التسليةوالمتعة باكثر مما يتجه الى الفائدة والمعرفة . وربما وجدتم في المعروضات شيئا منه . ولكنه كان كذلك ، موصول الاسباب بالحياة العربية نفسها ، بأصولها وتقاليدها ، وفروسيتها وبطولاتها ، وفي دعم هذه التقاليد واثارة هذه الفروسية . ومن هنا نجد ان هنالك — الى جانب الذي قدمت الحديث عنه — سلسلة من الكتب القصصية القديمة : قصة عنترة ، وسيف بن ذي يزن ، وبني هلال ، والملك الظاهر بيبرس، وما اليها ، تطبع هنا وهناك ، الى جانب قصص محلية أخرى ، وتتميز كلها — هذه وتلك — بانها أقرب الى روح العامة من الناس ، والى اغناء هذه الروح وتغذيتها .

ولقد ظل الكتاب العربي الحر يدرج في هذه السبيل الرصينة التي حدثتكم عنها ، حتى كانت هنالك حركة اخرى ارادت ان تخرج بالكتاب العربي ، من نطاق التأليف والتحقيق والتراث ، الى نطاق النقل والترجمة . وفي هذا الاتجاه ، نجد قائمة طويلة بمطبوعات دار من دور النشر في دمشق ، هي دار اليقظة . فقد التف حول هذه الدار نفر من أصحاب الثقافات الجديدة ، ممن يحرصون على اشاعة بعض الآثار الادبية العالمية ونقلها الى العربية . التقى هؤلاء ، وهم ذوو ميول متقاربة في الحياة والعقيدة والنظام والفكر ، فدفعوا الى تلك الدار بطائفة من الترجمات : لمكسيم جوركي — وتولستوي — وتشيخوف — وجي ده موباسان — واهرنبرغ — وعشرات غيرهم من مبدعي روائع الاداب الروسية والفرنسية والالمانية والانجليزية . وكان من نتيجة ذلك ، ان انتقلت الى اللغة العربية عشرات عديدة من الكتب المنتجة من عيون الادب الغربي ، قديمة وحديثة .

ومن المؤكد ان هذه الترجمات أو اكثرها ، كانت في حاجة ماسة الى تخمير ونضج . ولكن الوقت ، فيما يبدو ، كان يلهب الذين وراء هذه المشاريع . فكان هذا النتاج الغزير في كمه ، على مثل ما انتقده الناقدون ، من حاجته الى الاتقان والصقل والتشذيب .

وعلى اطراف هذه الحركة من الكتاب الموجه أو المترجم ، كان هنالك ، في دار اليقظة العربية ، ومكتبة اطلس ، ودار الفكر وغيرهما ، مجموعة كبيرة من الكتب المؤلفة ـ في مختلف ابواب العلم والمعرفة ، وبخاصة ما يتعلق بانماء الشعور القومي ، وارساء القواعد لمجتمع ناهض جديد ، وتوضيح الاصول التاريخية والدينية والاجتماعية والاخلاقية والسياسية ، للأمة العربية ، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها . فانكب المؤلفون على تلك الاصول ، يتدارسونها في عمق وأناة ، ويشيدون البناء الراسخ ، حتى لا تبدو فيه ثغرة ، ولا يظهر عليه تصدع .

وهكذا أخرجت لنا تلك الدور مجموعة كبيرة من هذه الكتب ، نذكر منها : مشاكل العالم العربي ، والعرب والعروبة ، وعصر النبي وبيئته ، ومأساة فلسطين ، وجميعها لمحمد عزة دروزة — والامة العربية ، ومشاكلنا القومية ، والعبقرية العربية وجميعها لزكي الارسوزي — والوطن العربي لعزة النص — وأوراس لاحمد عبد المعطي حجازي — والاسس الثورية للقومية العربية لأحمد الشيباني — وعمان الثورة لابراهيم الحارثي — ومأساة فلسطين لصالح الاشتر — والأمة العربية في معركة تحقيق الذات لمحمد المبارك .

ولكن الكتاب الحر لم يتابع طريقه بعد ذلك ، على نحو متصل العطاء غزير النتاج ، ذلك ان مؤسسات أخرى تشرف عليها الدولة ، كانت تأخذ طريقها الى النشأة والنمو ، لتنتزع زمام المبادرة ، ولتحاول أن تخطو بالكتاب خطوات أخرى في اتجاهات جديدة . وكان ان قامت وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ترعى الكاتب وتحتضن الكتاب ، وتيسر له سبل الطبع والنشر والتوزيع ، متحملة الغرم والغنم ، وسنتحدث في هذا الشأن ، بعد أن نمر بالمجمع والجامعة .

× × ×

أما المجمع العلمي العربي ، فهو اكرم المؤسسات العلمية في سورية ، وارسخها واحفلها بالعمل الصامت والجهد الدائب والكفاح المستمر . ان موقعه في المدرسة العادلية بين ظهراني المسجد الأموي العظيم ، اضخم مآثر الاسلام في بلاد الشام ، والطريق الضيقة الطويلة التي تسوقنا اليه ، والتي تعبق برائحة التاريخ ، والبناء

الحجري الفخم الذي يأخذ بلب الناظر اليه – ان هذا الموقع ، بهذا التفرد ، هو تعبير كذلك عن تفرد هذا المجمع برسالته ، وانصرافه اليها وانكبابه عليها والتزامه بأمانته الثقيلة .

وليس بين مثقفي الوطن العربي أو العالم الاسلامي ، ولا في دوائر الدراسات الاستشراقية في أوروبا ، من يجهل أمر المجمع . انه أقدم مجامعنا العلمية في الوطن العربي كله . ولقد كان الثمرة اليانعة الاولى من ثمرات الحياة العربية المستقلة في سورية ، منذ أن نشأت الدولة العربية السورية الأولى في اعقاب الحرب العالمية الأولى في عام 1918 . وقد واجهت الدولة ، فيما واجهت من الصعوبات ، قضية اللغة العربية ، ذلك لأن اللغة التركية كانت هي اللغة الرسمية في البلاد ، ولان الموظفين الاتراك كانوا يتولون معظم رئاسات الدوائر ، بل ان الموظفين العرب كانوا يجهلون الانشاء العربي ، ويعبرون عن مصطلحات الدواوين بالتركية . فكان على الحكومة السورية أن تغير هذه الحالة ، وتحول اللغة الرسمية من التركية الى العربية في جميع الدوائر والمدارس . وقد تم ذلك بسرعة فائقة . فاستحدثت الحكومة دروسا خاصة بالموظفين تستهدف تعليم الانشاء العربي ، وأخذ عدد غير قليل من الادباء والموظفين يراجعون الكتب العربية القديمة والحديثة ، بغية ايجاد المصطلحات وتقرير أفصح الاساليب التي تليق بحكومة عربية حديثة . وتألفت لهذا الغرض ، لجان عديدة سعت وراء تنسيق هذه الجهود وتعجيل ثمراتها . وأصبحت الدولة السورية بذلك تستحق اسم الدولة العربية بصورة فعلية .

وعلى اثر هذه الحاجة الماسة الى مؤسسة تكون مرجعا للدولة والناس ، في شؤون لغة قرآنهم ، ولد المجمع العلمي العربي في عام 1919 ، ليسعى الى غرض سام هو اصلاح اللغة العربية ، بعد فساد مقوماتها وذبول نضارة الحياة فيها خلال عصور طويلة من الظلام والانحطاط . ولهذا فقد نصب المجمع نفسه قيما على شؤونها ، وأصبح بمثابة الرقيب ، سواء أكان ذلك في دوائر الحكومة ومدارسها أم في ميدان الثقافة الشعبية . واتخذ بشأن ذلك قرارا في عام 1919 جاء فيه :

« لما كانت الحكومات المختلفة قد تعاقبت على هذه البلاد بعد الفتح العربي ، وغيرت كثيرا من الاوضاع التي اصطلح عليها كتاب الدواوين ، وشوهت محاسنها ، ولاسيما في عهد دول التتر والاتراك ، مست الحاجة الى تجديد الاوضاع الأولى ، وتعريب الاخرى منها ، ووضع الفاظ جديدة لمعان لم تكن قبلا ، والغاء الفاظ لا توجد اليوم . فاجلنا النظر في كثير من كتب الخطط والاحكام السلطانية والدواوين والترسل والوثائق وما شاكلها ، أهمها : كتاب الخراج لابي يوسف وقدامة بن جعفر ، وكتب الفتوح وأشباهها ، مثل مقدمة ابن خلدون وبعض التواريخ المشهورة ، وكتاب الاحكام السلطانية للماوردي ولابي يعلى الحنبلي ، وسلوك المالك لابن ابي الربيع ، وقوانين الدواوين لابن مماتي ، وكنز الكتاب لكشاجم الرملي ، والتعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري ، ومفاتيح العلوم للخوارزمي ، ومعالم الكتابة لابن شيث القرشي ، وكتاب صبح الاعشى للقلقشندي ، الى كثير من اشباه هذه الكتب من مطبوعة ومخطوطة ، معتمدة عند ارباب اللغة والتاريخ . وبعضها ، ان لم نقل اكثرها ، من النوادر المحفوظة في بعض المكاتب .

وبعد ان اخترنا من هذه الالفاظ ما رأيناه من حاجات دوائرنا اليوم ، أخذنا مصطلحات الدوائر الملكية والعسكرية ، وبدأنا في اختيار ما يناسبها ، ووضع ما لم نجده ، أو تغييره لتغير مفاده اليوم . فاخترنا لها هذه الاوضاع بعد تمحيصها والمذاكرة فيها ، راجين ان يعم استعمال هذه المصطلحات العربية الفصيحة احياء للغة العربية ، ورجوعا بها الى نضرتها الأولى » .

وهكذا وجد المجمع ، في عام 1919 ، المجال أمامه مفتوحا ليعمل وينتج ويصلح . لقد كانت الدولة بجميع مؤسساتها ودوائرها ومدارسها ، ميدانا رحبا له . وكانت المؤسسات الأهلية ، الصحف والنوادي والمنظمات والجمعيات ، حقلا فسيحا يزرع فيه البذور الصالحة والزهور اليانعة . وكان من نتيجة ذلك ، ان ارتقت لغة دوائر الحكومة السورية منذ ذلك الزمن ، وعدت – يومذاك – اصلح من اشباهها في سائر الدول العربية.

أما في المجال التعليمي ، فقد استعان المجمع بالاختصاصيين من جميع الفروع ، فجمع بين قدرة اعضائه اللغوية ، وبين معرفة الاختصاصيين بمفاهيم الالفاظ الفنية . فألف لجنة مشتركة ، كلفها ان تنظر في الفاظ العلوم الطبيعية والرياضية والزراعية ، وغيرها من المواد التعليمية . كما وضع المجمع جملة من المصطلحات للجيش العربي في سورية . وكان لهذه المصطلحات تأثيرها الفعال في نقل التعليم في الجيش وفي المدارس العسكرية من التركية الى العربية . ولما احتل الجيش

الفرنسي سورية في صيف عام 1920 ، نقلت هذه المصطلحات الى العراق ، فكانت نواة للقاموس العسكري الذي وضع بعدئذ للجيش العراقي . وهكذا ، فقد امتدت ظلال المجتمع الوارفة ، حتى شملت مرافق التعليم كلها . فما كان يطبع كتاب مدرسي ، ما لم يوافق المجمع على لغته وعلى موضوعه .

والى جانب هذا الجهد المثمر في شؤون اللغة والمصطلحات ، اسهم المجتمع في بث الثقافة العربية ونشر الثقافة العامة ، فالقى اعضاؤه المحاضرات وعقدوا الندوات ، حتى أربى مجموع تلك المحاضرات على قرابة اربعمائة محاضرة في مختلف الموضوعات الثقافية ، انتقى المجمع نخبة منها ونشرها على الناس في ثلاث مجلدات كبيرة .

والتفت المجمع الى تراث الاجداد من المخطوطات ، ونقب في نفائسها ليحققها وينشرها ، حتى اخرج اكثر من خمسين كتابا ورسالة ، من أهمها : ديوان الوليد بن يزيد ، ورسالة الملائكة للمعري ، وتاريخ حكماء الاسلام للبيهقي ، وكتاب الأشربة لابن قتيبة ، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ، وديوان علي بن الجهم ، وديوان الوأواء الدمشقي ، وديوان أبي حصينة ، والرسالة الجامعة للمجريطي ، وثلاث مجلدات من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، وجامع التواريخ للقاضي التنوخي، وجزء من خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الاصفهاني ، وكتاب الابدال ، وكتاب الاضداد ، وكتاب المثنى وكلها لابي الطيب اللغوي ، وكتاب النوادر لابن حريش الأعرابي ، واسرار العربية للأنباري ، وأخبار البحتري لابي بكر الصولي ، وغيرها من الكتب النفيسة المحققة المشروحة .

ونشر المجمع كتبا كثيرة ، منها بعض كتب الاستاذ محمد كرد علي ، والاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ، وبعض كتب اعضائه العاملين والمراسلين ، وكتب نخبة منتقاة من كبار العلماء والمؤرخين والمحققين والادباء والكتاب . كما نشر فهارس مجلته ومجموعة الالفاظ المعربة والموضوعة الواردة فيها ، ومعجم المصطلحات الحراجية باللغات العربية والفرنسية والانجليزية للامير مصطفى الشهابي ، وفيه نحو الف مصطلح عرفت تعريفا علميا موجزا .

ومن الاعمال التي اسهم فيها المجمع ، والتي تتصل بحياة المجتمع ومؤسسات الدولة ، ذلك المعجم العسكري ، الذي اشترك في وضعه رئيس المجمع الامير مصطفى الشهابي وعدد من اعضائه، أمد الله في عمرهم. وذلك ان الجيشين المصري والسوري ، حينما توحدت مصر وسورية في عام 1958 ، وجد كل منهما لدى الآخر حصيلة كبيرة من الكلمات تختلف عما لديه مبنى واصلا، فكان كل منهما يتكلم لغة عسكرية ذات الفاظ لم يعتدها الجيش الآخر . وكان لابد لهاتين اللغتين ، فيما اذا تركتا تتعايشان ، من أن تتفاعلا ، لينتهي بهما الامر الى مجموعة من الالفاظ تنتشر حتى تغلب وتنتصر . سوى ان لهذه الطريقة مخاطرها ومساوئها ، وبخاصة أن مراحل التوحيد يجب أن تتم في أوقاتها المحددة ، ولا بد لان تخضع تلك المراحل لمصطلحات واحدة ، وتنتشر مفاهيم العمل العسكري في القيادات والثكنات والوحدات بسرعة ودقة . فنشأت الحاجة الى معجم عسكري جامع مانع ، يفهم كل ما يتعلق بالحياة العسكرية وفنونها وعلومها ، واسلحتها وموادها وتجهيزاتها ، واشخاصها وتشكيلاتها وقياداتها . وكان المعجم العسكري الكندي ، من أعظم المعاجم الحديثة في العالم ، وذلك لأنه يضم المصطلحات العسكرية باللغتين الفرنسية والانجليزية ، لأن هاتين اللغتين هما اللغتان الرسميتان في كندا . وقد انتقت القيادة العامة هذا المعجم ليكون الاساس لمشروع المعجم العربي . فتألفت لجنة برئاسة الامير الشهابي ، وضمت عددا من أعضاء المجمع ونخبة من الضباط . ووزعت هذه اللجنة الأعمال على عدة لجان تضم عشرات الضباط من الاقليمين . ودار دولاب العمل كالخلية لا تهدأ في ليل ولا في نهار ، طوال عامين لم ينقطع العمل فيهما يوما قط . حتى اذا انتهت اللجنة من عملها ، خرجت على الناس بمعجم عسكري هو مفخرة من مفاخر العمل العلمي والقومي معا . فقد كان المعجم في جزاين، احدهما عربي فرنسي ، والآخر عربي انجليزي، وفي كل منهما نحو ستين الف مصطلح عسكري .

ويثابر المجمع على اصدار مجلته التي بلغت من العمر عقدها الخامس ، فلقد تأسست في عام 1921 ، ولا تزال ترى النور في كل فصل من الفصول الاربعة ، لتنشر البحوث والدراسات في اللغة العربية وآدابها ومصطلحاتها العلمية ، وعثرات الاقلام والاخطاء الشائعة ، وفي تاريخ العرب وتراث الاجداد من المخطوطات والمخلفات الأثرية، الى غير ذلك مما له صلة بلساننا وحضارتنا وثقافتنا في القديم والحديث . ويتحلق حول هذه المجلة أعضاء المجمع

وكبار الكتاب العرب والمستشرقين . واذا كنت لم أتحدث عن المجلات ، ولم يكن لها في المحاضرة نصيب ، فانه لا يجوز ان نمر بالكتاب المجمعي دون أن نقف أمام هذه المجلة ، التي غدت عملا فذا . ففي صفحاتها دراسات كالكتب القيمة ، وفي مهادها ومن أبحاثها نشأت كتب كثيرة . وانتشارها ومكانتها في الوطن العربي والعالم الاسلامي وفي دوائر الاستشراق ، يجعلان الاشارة اليها في معرض التعريف بالكتاب العربي ، ضرورة لا غنى عنها .

وهكذا ، نرى ان نتاج المجمع الطباعي نتاج ضخم في متداره ، ضخم في قيمته . والناظر فيه يستطيع أن يحفظ له هذه السمات المميزة له :

– فقد استطاع ان يؤصل لحركة نشر التراث القديم ، وان يمنحها روحا جديدة وطرائف علمية حديثة.

– وان ينبش التراث ، ويصفى منه قدرا صالحا طيبا في اللغة والادب والتاريخ .

– وان يولي الموضوعات اللغوية ، بخاصة ، كثيرا من اهتمامه في التأليف والتحقيق .

– وان يجعل الوصل بين ماضي الحياة العربية وواقعها وتطلعاتها هدفا دائما له . اذ كان كل عمل من أعماله تلبية لرغبة من رغبات هذا التطلع البعيد .

ولقد اعطى المجمع العلمي العربي امثولة رائعة ، وظل دائما مهوى افئدة العلماء العرب والمسلمين في مختلف بقاع الارض ، كما ظل ملتقى انظار المستشرقين. وكان في سيرته وعمله وصحته ، الانموذج الذي اتجه اليه العرب بعد في تأسيس المجمع اللغوي في القاهرة والمجمع العلمي العراقي في بغداد . وفي وسعنا أن نقول ، ان المجمعين انشطار للمجمع الاول ، وان المجامع الثلاثة – ولعلي أود أن أقول : المجامع الاربعة ، باضافة المجمع المغربي المرتقب – نقول : ان هذه المجامع كلها ليست الا الركائز الانسانية في النهضة العربية المعاصرة ، تأصيلا لها ، وربطا بماضيها ووعيا لحاضرها ، وتطلعا الى مستقبلها .

ولست احتاج الى الافاضة في الحديث عن المعجم ، ففي المطبوعات التي سترونها في المعرض نخبة من الكتب المجمعية . وما أظنني كذلك احتاج الى الاطالة ، وبين ظهرانيكم أربعة أعضاء عاملين في المجتمع ، وهم الدكتور امجد الطرابلسي ، والدكتور حكمة هاشم ، والدكتور شكري فيصل ، والدكتور سامي الدهان ، يعيشون بينكم في هذا البلد العربي الطيب ، ويؤدون رسالتهم القومية في نطاق الجامعة . وفي المغرب عضوان مراسلان في المجمع ، هما الاستاذان العالمان الجليلان ، السيد علال الفاسي والسيد عبد الله كنون ، يسهمان مع المجمع في تأدية رسالته ، كخير ما يكون عليه العاملون المخلصون .

واذا انتقلنا الآن الى صورة اخرى من صور الكتاب العربي ، الفينا أنفسنا أمام كفاح عنيد ، يضع أمامه هدفا ساميا يعمل له دونما كلل ، وفي ثقة لا تعرف التراخي ، وفي عزم موصول الاسباب بالعقيدة . تلك هي صورة الكتاب العربي في الجامعة السورية .

ولعل الحديث عن أوجه من أوجه هذا الكتاب ، وعن نماذج من نماذجه ، ان يكون اقرب الاحاديث الى نفوسكم ، ونحن في حمى جامعة محمد الخامس طيب الله ثراه ، وأنتم تتطلعون الى تعريب التعليم ، وتقفون كذلك من هذا التعريب مواقف مختلفات ، حيث يبدأ هذا الخلاف ضئيلا نحيلا في نطاق الدراسة الابتدائية ، ثم لا يزال يتضخم مع مراحل التعليم الاخرى حتى يكون اشد استفحالا في الجامعة .

ولعل قصة الكتاب الجامعي السوري ، اذ اضعها بين أيديكم ، ان تكون عنصرا نافعا جديدا ، يقرب ما بين الآراء المختلفة حول لغة التعليم الجامعي ، ويضرب المثل على تجربة علمية قومية ناجحة ، آتت أطيب الثمرات ، حتى اصبحت قدوة تحتذى .

حين جلا الاتراك عن بلاد الشام ، في نهاية الحرب العالمية الأولى ، كانت سورية على نحو مماثلة تقريبا – مع الاحتفاظ بالاشارة الى الفروق – لما كانت عليه حال المغرب في عام 1956 . ولقد ذكرت منذ دقائق ، كيف انه لم يكن هناك موظفون يتقنون العربية ، ولا أطر – على حد التعبير الشائع في المغرب – تنهض بعبء الادارة ، ولا فنيون يمكن ان يسدوا هذا الفراغ الذي نشأ عن أمرين : عن انسحاب تركية من ناحية ، وعن قيام الدولة العربية الجديدة ، باتجاهاتها ولغتها ومطامحها وآمالها من ناحية أخرى .

ولكن الذين أخذوا على عاتقهم أمر تأسيس الدولة آنذاك ، لم يركنوا الى شيء من دعة أو قنوط ، أو شيء من تلبث واصطبار ، بل انطلقوا كعمال بنائين في أرض

قفر ، ينتقل كل شيء فيها ظله . انطلقوا وقد خلفوا وراءهم كل معاني الدعة والاستسلام ، واسكتوا صيحات اليأس والحيرة ، التي كانت تنبعث من زوايا اليائسين الحائرين . وراحوا يبنون في كل جزء في آن واحد . فانشأوا المجمع العلمي العربي الذي تحدثت عنه ، والقوا اليه حركة التعريب والتأليف والترجمة ، والنظر في الكتب المدرسية وفي لغة الدواوين . فانكب اعضاؤه يعملون في غير ما انقطاع . وكانت القناعة العميقة التي سادت الدولة يومذاك ، والتي لم يخالطها تردد أو يمازجها قلق ، ان الكلمة العربية هي الكلمة التي يجب أن تسود ، وان الحرف العربي هو الحرف الذي يجب أن يعلو . وكان الفرق ـ فيما اقدر ـ بين الوضع في سورية آنذاك ، وبين الوضع في المغرب عام 1596 ، يتمثل في ثلاثة أمور :

ـ أولها : انه لم يكن هنالك بقايا من الاتراك تعرقل حركة التعريب .

ـ وثانيها : انه لم يكن هنالك هذا التأرجح بين اتجاهين أو عدة اتجاهات .

ـ وثالثها : ان الذين كانوا قد تثقفوا بالثقافة التركية ، لم يتعاطفوا مع ثقافتهم التي عاشوها واللغة التي عرفوها ، ولم يجعلوا منها ركيزة لهم أو درءاً يستظلون بظله . لقد انخرطوا في الحياة الجديدة ، واقبلوا على العربية اقبالا فيه هذا المعنى الصوفي الاستغراقي . ولذلك ، فقد مضت الحركة في غير تعثر ، ومضت سريعة مثمرة . ومن أين يكون لها هذا التعثر ، ولما ذا لا تكون لها هذه الثمرة ، اذا كان الاتجاه التعريبي لم يقاس مرارة التردد ، واذا كان المثقفون بالتركية ، لغة وثقافة ، قد خلعوا عنهم هذا الرداء ، لينسجوا رداءهم العربي الجديد ، خيطا خيطا ، وكلمة كلمة .

والذين واكبوا هذه الفترة ، أو تأملوا فيها ، يعرفون أنه كان على رأس الحركة ، انسان حظه كان من التركية اضعاف حظه من العربية . ولكنه اندفع يقود حركة التعريب . انسان كانت تتمنى تركيا لو خلص وحده لها من كل ارثها الذي خلفته في سورية . هذا الانسان ، هو أحد فلاسفة القومية العربية ، واحد قادتها ، الجندي المعلوم المجهول ، ساطع الحصري ، مد الله في عمره . فقد نفخ من روحه في نطاق التعليم وفي نطاق الادارة . ووضع أسس كل البنيان العربي الذي نستظل به اليوم في الحياة الثقافية في سورية .

ومن هذه القاعدة ، انطلقت الجامعة السورية في هذا الموكب الجاد ،تعرب دروسها ومحاضراتها . وكانت آنذاك ، لا تجاوز كلية الحقوق وكلية الطب . واندفع الاطباء ، بوجه خاص ، نحو التراث العربي ينبشونه ، فاذا حاضروا خطبوا بالعربية ، واذا تكلموا عن المصطلحات وضعوا لها المصطلحات العربية المماثلة ، واذا الفوا كتبوا بالعربية . وسرعان ما أعطى الجهد المؤمن الصابر ثمراته . فاذا الجامعة السورية في دراسة الحقوق وفي دراسة الطب وما يتصل به من كيمياء وفيزياء ورياضيات ، لا يند عنها ، أو لا يكاد ، مصطلح لا ترجمة له ، وبحث لا تأليف فيه ، وفرع من الفروع لا كتب تنشر عنه .

حتى اذا كانت الكليات الجديدة الاخرى : كلية العلوم بفروعها : الفيزياء والكيمياء والرياضيات والجيولوجيا ، وكليات الهندسة والزراعة والفنون ، وكليات الآداب والتربية والشريعة بفروعها الكثيرة المختلفة ـ كانت كلها تدرس بالعربية ، وتتخرج منها الاجيال المتلاحقة من الشباب العرب ، السوريين وغير السوريين ، الذين يملأون اطراف الارض العربية من طنجة الى الخليج. في كل مدرسة أو فيكل بلد منهم معلم.

لقد استجاب الكتاب الجامعي العربي الى جميع حاجات الدراسة الجامعية ومتطلباتها ، في الميدانين النظري والعلمي ، في قاعة الدرس وفي المخبر ، في غرفة العمليات الجراحية وفي الملعب الرياضي ، في المكتبة وفي النادي . ولم يدع الاساتذة بابا من أبواب المعرفة الا ألفوا وبحثوا فيه . فكان الكتاب الجامعي شاملا متنوعا ، باحثا في الآداب والفلسفة ، والتربية والتعليم ، وفي السياسة والحكم ، والادارة والقضاء والحقوق ، وفي شؤون المال والضرائب والتشريع ، وفي علوم الفقه والتفسير ، والحديث والاصول والشريعة ، وفي التجارة والصناعة ، وفي اللغة والاجتماع ، وفي التاريخ والجغرافيا، والرياضيات والفيزياء والكيمياء ، وفي الطب والمنطق والاخلاق ، وفي مختلف ألوان الفنون . وما يزال هذا الكتاب الجامعي ، يقدم كل عام جديد ، دراسات وأفكاراً جديدة ، تثبت الدليل، تلو الدليل ، على أن اللغة العربية، قادرة قدرة كاملة لا تعيبها نقيصة قط ، على ان تستوعب الحياة كلها ، وتتفاعل مع المجتمعات على اختلاف

اشكالها واوضاعها ومفاهيمها ودرجات تطورها .

لقد كانت الاسطورة الدخيلة ، التي تتساءل في خبث وبلاهة : وهل يمكن أن تدرس العلوم العالية باللغة العربية - كانت هذه الاسطورة ، تلفظ انفاسها في سورية، وكانت الجامعة السورية، بمخابرها وحلقاتها وأساتذتها، تكشف عن زيفها ، وترمي بها جثة ممقوتة في الصحراء ، بعيدا عن جنات المعرفة والعلم ، وعن ثمار الجهد والتعب. ولكن الاسطورة، كالاخطبوط الكبير ذي السواعد الطويلة، كانت لا تزال تعيش في بعض أطراف الوطن العربي . اما في المغرب ، فقد كان السؤال بعيدا عن أن يطرح آنذاك أمام العقل والنور ، لان اللغة الغازية كادت تكون متمكنة من كل شيء . فلما بدأت تصفية الاستعمار ، كان لابد من ان يطرح هذا السؤال في المغرب . وكان لابد للغة الغازية ، من أن تقف موقف المتحدي الرابض في مكانه ، المدافع عن نفسه . وكا نلابد لها من أن تصارع جهرا حينا ، وسرا احيانا ، فتلم ذيولها في مكان ، لتصمد في أمكنة أخرى . وهي لا تزال في كر وفر ، واحجام واقدام ، قبل ان يبلغ بها الامر غايته . وأحسب اننا لسنا في المغرب في حاجة الى أن نطيل ترقب الجواب، أو نمد في عمر النزاع فيه . حسبنا هذه التجربة الرائدة في سورية ، وقد عاشت بكل قوتها وعنفوانها ، وظفرها وثباتها ، حتى اتخذت طريقها الى جامعات القاهرة والجزائر . وان كان الحق ان مصر كانت أقدم البلاد العربية التي مارست التعليم الجامعي في بعض ميادينه ، باللغة العربية منذ ايام محمد علي الكبير . لقد قلت : اننا في المغرب لا نحتاج ان نطيل في طور التجربة ، طالما ان اقطارا أخرى قد عاشت تلك التجارب ، وافادت منها ، وبلغت مرحلة يمكن لنا أن نقاربها ونجلوها ونتعرف اليها ، حتى اذا انسنا بها تفاعلنا معها، واخذنا واعطينا، حتى تكون التجربة منا والينا ، وليست غريبة عنا بعيدة عن تفكيرنا .

× × ×

وتبقى امامنا الصفحة الاخيرة من هذا الحديث ، وهي صفحة الكتاب الذي تحتضنه الدولة ، فتؤلف ما بين صاحب القلم وصاحب المطبعة وصاحب السلطة في التوزيع والتعميم. وتقدم لهؤلاء المال والرعاية والدعاية ، لا تنظر الى ربح أو خسارة ، بقدر ما تهدف الى نشر الفائدة ، ونفع الناس ، والدعوة الى المعرفة والصداقة مع الكلمة . والدولة حينما تحتضن الكتاب ، تنتقي الموضوع، وتسعى الى الخير، وترغب عما يضر بالناس، أو يسيء الى اخلاقهم وعاداتهم ، أو يتنافى مع عقائدهم ومفاهيمهم ، وانما تهدف الى اظهار الحق ، والكشف عن الزيف ، والبعد عن الضلال ، والى نشر المعرفة، وتثقيف المواطنين .

وهكذا ولدت وزارة الثقافة والارشاد القومي ، لتسعى الى تعميم المعرفة والثقافة بين الجماهير ، والتعريف بالحضارة العربية ، ونشر رسالتها ، وتوفير الامكانات لكي تلتقي بالحضارات العالمية الكبرى ، ولتسعى الى توجيه افراد الشعب توجيها قوميا صحيحا، وتنمية وعيهم القومي وارشادهم الى ما يرفع مستواهم الاجتماعي ، ويقوي روحهم المعنوية وشعورهم بالمسؤولية ، ويحفزهم على التعاون والتضحية ومضاعفة الجهود في خدمة وطنهم وعشيرتهم ، وتيسر لهم سبل الثقافة وتوسع نطاقها وتغنيها بالمبتكرات الحديثة ، ولتسعى الى احياء التراث العربي القديم في العلوم والآداب والفنون ، ولتحرص على سلامة اللغة العربية ، وتسهم في فتح الآفاق امامها ، لتتسع للعلوم والفنون والآداب والمخترعات الحديثة ، ولتسعى الوزارة بعد ذلك الى احداث المتاحف الاثرية والتاريخية والفنية والشعبية ، والى تشجيع الفنون والآداب والعلوم ، وتوفير أسباب الحياة والعمل والرفاهية لمحترفيها والعاملين في ميادينها .

ولكي تحقق هذه الوزارة الجديدة اهدافها ، وتبلغ غاياتها ، انشأت معاهد الثقافة الشعبية ، والمراكز الثقافية ومدارس مكافحة الامية ، وعقدت الندوات ، ونظمت المهرجانات ، وأسست الفرق الفنية ، والمسارح، واقامت المتاحف ، ونشرت وترجمت وحققت أمهات الكتب العربية والإجنبية . وهذا الوجه من أوجه نشاطها هو ما نود التحدث فيه .

فقد صدرت عن هذه الوزارة عدد كبير من الكتب. وسيلاحظ زوار المعرض ، ان هذه الكتب أنواع وتفاريع . انها ليست الكتاب القديم ، ولا الكتاب الجديد ، ولا الكتاب المترجم ، ولاالكتاب المؤلف . وانما هي كل ذلك ، علم وأدب ، وتاريخ ووثائق ، وسياسة واجتماع ، وفلسفة وتربية ، وصاروخ وذرة ، ومسرح وقصة ، وشعر ونفط ، تنتظمها سلاسل مختلفات : الثقافة الشعبية ، والادب الغربي ، والادب الشرقي ، والادب الجزائري ، والفكر العالمي ، والعلوم المبسطة ، وبلادنا ،

ورواد التحرر العربي ، والتراث القـديـم ، والقصص ، والمسرح ، والفنون .

× × ×

تلك هي مجاري الكتاب العربي في سورية : الكتاب الحر ، والكتاب المجمعي ، والكتاب الجامـعي ، وكتاب الدولة . قدمتها لكم بالاسلـوب الذي ارتضيته . لم يكن أسلوبا احصائيـا ولا تاريخيا ولا ابجديـا . انـه نظرة تحاول ان تجمع اطراف سيـرة الـكتاب العربي بـهذه الاتجاهات الاربعة التي حدثتكم عنها .

ومن الطبيعي أن يكون لكل اتجاه خصائصه ، وان يكون له مذاقـه . ولكني أستاذنكـم في ان الاحظ انهـا كلها ، مشدودة الى مبدأ أساسي ، ذلك هو ان الـكتاب عندها ، لا يكون ، ولا يمكن ان يكون ، ولا يحق لـه أن يكون ، عملا تجاريا صرفا ، في أية مرحلة من مراحله : في مرحلة التاليف أو الطبع أو البيع . انـه أداة كريمـة نبيلة من أدوات الفكر والثقافة والمعرفة . انه روح هـذا الشعب العربي . انه مصباح الهداية ، ومن هنا استمد اسمه عندنا في العربية ، من الاسم الذي اطلقه الله عـز وجل في قرآنه المبين ، على الوحي الذي أوصى به الى الانبياء المرسلين . ولذلك يجب ان يظل الكتاب دائما فـي نطاق هذه القدسية ، لا يتعداها ، ولا تمتد اليه الايدي الملوثـة بشيء .

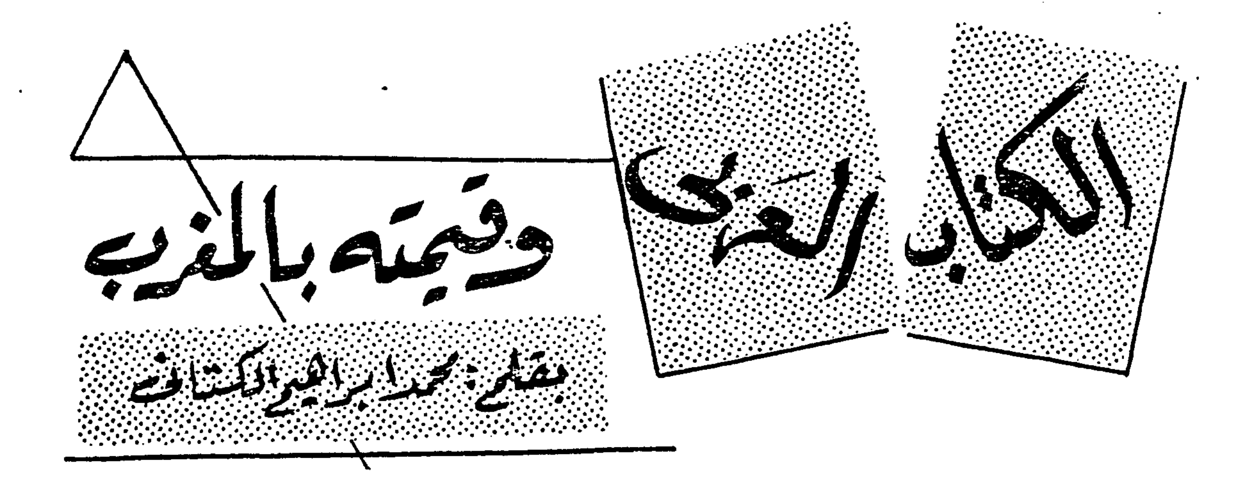
واحسب اننا استطعنا في سورية ، ان نعطى هذا الكتاب قداسته ، وان نحفظ عليه طهره ، وان نحتفظ لـه بقيمته الفكرية والاجتماعية ، بعيدا عن أن يكون شبكة صيد وفخ استغلال .

اننا سعداء بالذي قدمناه . وان كنا ندرك ، ان ما حفلناه قليـل ، واننـا يجب أن نضاعف الجهـد في هذا السبيل .

× + ×

في نهاية حديثي هـذا ، أزجي الشكر جزيـلا الى مكتب التعريب ، اذ دعا الى اقامة هذا المعرض الكريم ، لا هدف له فيه ، الا المعرفة والثقافة ، واللقاء ، الاخوي حول اقدس ما يجمـع العرب ، ويشد ازر بعضهـم الى بعض ، ويقيم بناء وحدتهم حول الكلمة ، نزل بها القرآن وحملها ذلك الفارس العربي الاشم ، حين اطل على الدنيا من فـوق كثبان الصحـراء ، ليعلي رايتها على هضـاب بواتييه ، وعند ضفاف السند البعيد .

والشكر لكم ، اذ سعيتم الى حمى الجامعـة ، في لقاء كريم ، تجشمتم فيه العناء . وان كان لي أمل اختم به الحديث ، فهو ان تسعد عيونـنا بالـكتاب المغربي ، يسعى الينا في عاصمة بني أمية ، فيعيد سيرته الاولى ، يوم كان حاملا مشعل النور ، مسهما في بنـاء الحضارة والسلام .



الصعوبات التى تكتنف الموضوع

ليس الحديث الذى طلبه منى المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي (حول الكتاب المغربي وقيمته) بالامر السهل الهين ، ذلك أن الكتاب المغربي له تاريخ طويل يستغرق أزيد من الف سنة ، مر فيها بمراحل مختلفة ، من نشأة ، ونمو ، واكتمال ، وضعف وانحطاط وتخلف ، وانبعاث ، تبعا للعوامل المختلفة التي خضع لها .

ولكي يكون الحديث عن الكتاب المغربي حديثا علميا موضوعيا ، يجب :

أولا وقبل كل شيء ، أن يكون لدينا إحصاء دقيق شامل لجميع ما أنتجه المغاربة منذ دخولهم فى الاسلام الى اليوم ودراسته **ثانيا** دراسة علمية نقدية مع مقارنته **ثالثا** بما أنتجه غير المغاربة ـ من عرب وغيرهم ـ فى موضوعه . قبل عصره الذى كتب فيه وفى نفس العصر ، وبعده .

مع التعرف **رابعا** بتدقيق على الدور الذى قام به فى ميدان نشر المعرفة عموما ، والثقافة العربية والاسلامية في المغرب أولا ، ثم في مختلف المناطق الواقعة جنوب المغرب ثانيا ، ومقدار مساهمته فى ذلك الى جانب الكتب العربية الاخرى فى مختلف الاقطار ، وخصوصا المجاورة منها ، أو التى كانت لها صلات ثقافية وثيقة بالمغرب ، وذلك أمر ما نزال بعيدين عنه بعدا شاسعا .

فأما الاحصاء الدقيق الشامل ، فانه يتوقف :

أولا ـ على تسجيل جميع ما يوجد فى جميع مكتبات المساجد والزوايا فى مدن المغرب وقراه ، وفى الجبال والصحارى ، وفى القصور الملكية . ومكتبات أهل العلم وأبناء الاسر العلمية ، وهو عمل اذا كنا قد شرعنا فيه منذ الاستقلال ، وحققنا فيه نتائج مهمة لا يستهان بها ، فانه لا يزال أمامنا لاتمامه زمن طويل لاسباب عديدة لا مجال للحديث عنها الآن .

ويتوقف ـ **ثانيا** ـ على معرفة المخطوطات المغربية المتفرقة فى مختلف مكتبات العالم وخصوصا فى أوربا وأميركا ، وجميع البلاد العربية والاسلامية فى افريقيا وآسيا سواء في المكتبات المنظمة أو غير المنظمة والتى قد تنفرد بمخطوطات مغربية لم يبق لها أثر بالمغرب ، وهو أمر لا زلنا لم نشرع فيه لحد الآن .

ويتوقف ـ **ثالثا** ـ على استقصاء ما ورد فى كتب التراجم ومختلف المراجع والمصادر من أسماء المؤلفات المغربية .

وسيبقى عملنا ـ بعد ذلك كله ـ ناقصا نقصا كبيرا، نظرا الى أن أصحاب التراجم لا يكادون يهتمون باحصاء مؤلفات من يترجمون لهم ، وانهم لا يترجمون لجميع المؤلفين .

ـ وأن كثيرا من المؤلفين المغاربة غادروا المغرب الى مختلف البلاد شرقا وغربا ، ولم يصل الى المغرب من أخبارهم وأخبار مؤلفاتهم الا القليل .

الحاجة الى فهرس المؤلفات المغربية

واذا لاحظنا ان أهم فهرس جامع للكتب العربية ،

وهو كتاب (كشف الظنون) لم يذكر من مؤلفات المغاربة الا النزر اليسير ، علمنا مسيس حاجة المكتبة العربية عموما والمكتبة المغربية بوجه خاص الى فهرس جامع للمؤلفات المغربية يملأ هذا الفراغ .

نكبات المكتبة العربية عموما ، والمغربية خصوصا

أضف الى ذلك ، أن المكتبة العربية وخصوصا فى الغرب الاسلامى . على اختلاف أقطاره ومناطقه ، قد تعرضت فترات طويلة ، للنهب والاختلاس ، بل والاحراق والاتلاف على يد الصليبيين والمستعمرين : الاسبانيين . والبرتغاليين ، والفرنسيين ، والايطاليين ، فى الاندلس ، وصقلية ، وتونس وليبيا ، والجزائر ، وافريقيا الغربية ، بل وفى المغرب الاقصى نفسه !

ويمكن تقدير فداحة الخسارة الفظيعة التى أصيبت بها المكتبة المغربية من جراء احتلال مدينة سبتة الغادر. اذا نحن استحضرنا المركز العلمى الممتاز الذى كان لهذه المدينة الشهيدة وما كانت تزخر به من مكتبات عمومية وخصوصية ، قال عنها محمد بن القاسم الانصارى السبتى فى (اختصار كتاب الاخبار ، عما كان بسبتة من سنى الآثار) :

انها اثنتان وستون خزانة فى الزمن القديم قال : وكان منها فى زماننا ــ يعنى أوائل القرن التاسع للهجرة أوائل الخامس عشر للميلاد ــ سبع عشرة خزانة ، تسع بدور الفقهاء ، والصدور .... وثمان موقوفة على طلاب العلم ، كخزانة أبى الحسن الشارى ذات الاصول العتيقة ، والمؤلفات الغريبة . وأعظمها احدى خزانتى الجامع العتيق . قال : وهي فى الكثرة بحيث لم يشذ منها فن من الفنون ، ولا نوع من المعارف أصلا . مع تعدد مصنفات ذلك الفن وكثرة دواوينه ، وباقى هذه الخزائن مفترق ، منها بالمدرسة الجديدة خزانتان ، وبمسجد القفال خزانة واحدة وبمسجد مقبرة زكلوا أخرى وهو أكبر مسجد بسبتة بعد المسجد الاعظم منها .. وخزانة أخرى بجامع الريض الاسفل . (1)

وكم ضاع من مؤلفاتنا فى شواطئنا الشمالية والغربية التى استمرت سنين طويلة عرضته للاعتداء الصليبى وخصوصا من قبل البرتغاليين والاسبانيين .

وكم ضاع فى الساقية الحمراء وموريطانيا والصحراء الشرقية التى كانت حدودها الى وقت قريب تتصل بحدود ليبيا .

وكم اختلس سفراء أوربا وعلماؤها وأطباؤها وتجارها من نفائس الكتب ونوادرها التى لا تقدر بمال .

ومن ذلك ما ذكره دوفيردان Gaston Deverdun فى كتابه عن مراكش أن ايتيان هوبير Etienne Hubert الفرنسى الذى قضى بمراكش سنة 1598 م 1006 ــ 1007هـ تعمق فيها فى اللغة العربية حتى صار من كبار علمائها . واكتفى بمغادرة هذه المدينة ممتلأ علما ، ومثقلا جدا بالمخطوطات العربية التى فاقت ما حمله من الاموال والنفائس الثمينة (ص 436)

مخطوطات الايسكوريال

كما لا تخفى قصة الثلاثة آلاف مجلد التى أرسلها السلطان زيدان السعدى سنة 1020 هـ 1612 م من مرسى مدينة أسفى الى مرسى مدينة أكادير فى ثلاث سفن فرنسية ، على يد القنصل الفرنسى كاستيلان ، فخان البحارة الفرنسيون اصحاب السفن الامانة ، وفروا بالكتب عبر البوغاز ، ولكن الاسبانيين استولوا على الكتب فى عرض البحر . ووضعوها فى دير الاسكوريال الشهير بالقرب من مدريد . وفى سنة 1081 هـ 1671 م انقضت صاعقة على دير الاسكوريال ، فأحرقت اكثر من الفى مجلد من مخطوطاته العربية .

ومنذ استيلاء الاسبانيين على هذه الكتب وملوك المغرب متمسكون بالمطالبة بارجاعها الى المغرب تمسكهم بالمطالبة بارجاع سبتة ومليلية ، وكان ذلك من المهمات التى تسند الى سفراء المغرب لدى البلاط الاسبانى .

فقد ذكر السفير الانجليزى جون هاريسون فى تقريره أن السلطان زيدان حمله رسالتين :

أولاهما مؤرخة بـ 14 يناير 1615 موجهة الى الحكومة العامة للاراضي الواطئة يطلب فيها من هذه الحكومة أن توسط ملك فرنسا لويس الثالث عشر في أن يعمل على تحرير مكتبته ..

وثانيتهما كلف السفير بتسليمها بنفسه الى الملك الفرنسي يدا بيد ، يطلب منه فيها أن يتدخل لدى فيليب

1) ص. انشر ليفى بروفنصال ، و ص 82ــ83 مجلة تطوان العددان 3ــ4 سنة 1958ــ1959 .

الثالث ملك اسبانيا لاعادة الكتب التي استولى عليها القراصنة الاسبان (2) .

ومن ذلك مطالبة الوليد بن زيدان بكتب الاسكوريال من جوان دوبرادو سنة 1040 هـ 1631 م كما عند دوفيردان في كتابه (مراكش) (ص 435) .

ومطالبة سفير المولى محمد بن عبد الله احمد الغزال سنة 1180هـ 1766م من كارلوس الثالث Carlos III (نتيجة الاجتهاد ص 58) .

ومطالبة السفير ابن عثمان المكناسي سنة 1193 هـ 1779م من كارلوس الثالث أيضا فأهداه كتبا عربية للمولى محمد بن عبد الله ، وقال عن كتب الايسكوريال : انها محبسة لا يمكن التصرف فيها ؟ حسبما ورد في رحلته (الاكسير ، في افتكاك الاسير) التي بقيت مدة طويلة معتبرة ضائعة الى أن وفقت للعثور على ثلاث نسخ منها : أولاها بمكتبة تامكروت واشتريت ثانيتها للخزانة العامة بالرباط ، وعثرت على ثالثتها بخط المؤلف بمكتبة القصر الملكي بالرباط ، ويقوم مركز البحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط بنشرها بتحقيق صديقنا الاستاذ محمد الفاسي عميد الجامعة ، ورئيس اللجنة التنفيذية لليونيسكو .

لويس الرابع عشر

وذكر الكونت فيليب دي طرازي في كتاب (خزائن الكتب العربية في الخافقين) أن لويس الرابع عشر كلف سفيره دي مونسو De Monceaux سنة 1077هـ 1667 م بمهمة خطيرة الى المغرب الاقصى ، وهي ان ينقب تنقيبا دقيقا عن مخطوطات عربية وفارسية ويونانية وغيرها ويبتاعها له . وقال له : ان من تلك المخطوطات شيئا كثيرا في خزائن جامع القرويين بمدينة فاس .

كما كلفه أن يشترى له الفا وسبعمائة قطعة من الجلود المغربية الكبيرة الحجم التي يصلح كل جلد منها لتجليد كتابين ضخمين (2) .

وفي سنة 1092هـ 1682م كتب لويس الرابع عشر الى سانت أمان سفيره لدى سلطان المغرب الاقصى : « انه سمع بوجود كميات عظيمة من الكتب الخطية في فاس ، ولاجل ذلك اوفد اليه بعض أهل المعرفة للاطلاع عليها ، والتثبت من مضامينها ، واوعز اليه أن يسهل مهمتهم (4)

وفي نفس هذا القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي ، انشأ بارتيلمي Barthélemy في منزله بباريس خزانة كتب نادرة الوجود بما اشتملت عليه من مخطوطات عربية وافرة اشترى له أكثرها بعض السياح الاجانب من بلاد الشام واليمن والمغرب الاقصى (4)

وأما بعد الاحتلال الاجنبي للمغرب

فقد تهافت المستعمرون على اختلاس المخطوطات والاعتداء عليها

ففي الخزانة العامة بالرباط قائمة باسماء المخطوطات التي ضاعت في فترة الاحتلال .

واخبرني صديقي الامام محمد البشير الابراهيمي مد الله في عمره ، عندما كنت ضيفه بتلمسان في ربيع سنة 1936م أن المستعرب بيل كان يعرض في (المدرسة) بتلمسان مجموعة من المخطوطات العربية في الرياضيات والفلك ونحو ذلك ، قال : وهي مما اختلسه من مكتبة القرويين عندما كان يشرف على تسجيل كتبها فيما بين 1914 ـ 1916 م !

كما تحدث زميلنا الاستاذ محمد العابد الفاسي في رسالته (الخزانة العلمية بالمغرب) عن بعض نفائس المخطوطات التي كانت بمكتبة القرويين ولم يبق لها أثر ، ومنها ما بقي الى ما بعد الحماية وسجله بيل في القائمة المطبوعة بفاس لكتب المكتبة مثل جزء (نزهة المشتاق) (5)

ويقال ان السلطات الفرنسية استعارته من المكتبة لتعرضه في معرض فاس ، ولكنها لم ترده ، ويقال انه أرسل الى باريس .

ونشرت جريدة العلم سنة 1956م رسالة من مراسلها في الريصاني ذكر فيها أن الجيش الفرنسي ، عندما احتل الريصاني أحرق المكتبة التي كانت بضريح مولاي علي الشريف جد الاسرة المالكة .

وأخبرني الاستاذ الزيتوني محافظ مكتبة المعهد الاسلامي بتارودانت أن الجيش الفرنسي أحرق كذلك مكتبات بالاقليم السوسي عند احتلاله .

وانه لمن المؤسف اشد الاسف أن تبقى المكتبة

---

2) مجلة تطوان ، العدد التاسع 1964 ص 127 ـ 128
4) دي طرازي 2/588 (4) ج 2/613 (5) ص 34,31
2 مكرر) ج 2 ص 586ـ587) .

المغربية خالية من كتب تسجيل فظائع الاحتلال الاجنبى فى مختلف أطراف البلاد !

وقد كان من نتائج اعتداءات المستعمرين وعملائهم على المخطوطات وسرقتها واغتصابها أن صار المخلصون يتسترون على ما عندهم منها ويخفونها حيث لا تصل اليها الاعين ، مما عرض كثيراً منها للضياع أيضا !

واذا كان بعض ما نهب واختلس بطرق دنيئة قد وضع فى بعض المكتبات المنظمة بحيث يسهل أحياناً على بعض الباحثين الاطلاع عليه والاستفادة منه . رغم ما يعترض ذلك من صعوبات فى بعض الاحيان ، فان كثيرا مما اختلس قد انقطع خبره واكتنف مصيره الغموض والابهام .

ونشير بهذه المناسبة الى وجوب صدور تشريع يحمى تراثنا الثقافى فيمنع بتاتا خروج أي مخطوط من المغرب ويعاقب المخالف بأقسى العقوبات خصوصا ونحن نساعد على تصوير كل مخطوط يطلب منا تصويره مهما كانت اهميته وقيمته ، ولا نثير فى وجه طالبه أية صعوبة، وعندنا من الامكانيات المساعدة على ذلك ما لا يوجد نظيره فى أي قطر آخر من الاقطار العربية .

هذا عن الاحصاء الدقيق الشامل

وأما الدراسة العلمية النقدية المقارنة

فيكفي لبيان بعد ما بيننا وبين الوصول الى نتائج قطعية فيها ، أن نشير الى أن الكتاب المغربى قد تناول – بنسب مختلفة – جل الموضوعات التى تناولها الكتاب العربي على العموم .

فقد ألف المغاربة فى علوم القرآن ، من رسمه وضبطه وقراءاته وتجويده وتفسيره ونحو ذلك .

وفى علوم الحديث رواية ودراية . فالفوا فى مصطلح الحديث ، وفى السيرة النبوية وفى فقه الحديث ، وفى أسانيد الكتب والفهارس وتراجم الرجال ، وفى الجرح والتعديل وغير ذلك ، كما وضعوا الشروح والتعاليق على كثير من كتب الحديث .

وألفوا فى أصول الفقه وفروعه ، من عبادات ومعاملات ، ومواريث ، وتوثيق ، وقضاء ، وفي أحكام الجهاد ومناسك الحج . وفى النوازل والاحكام . وفى الفقه المقارن وفي قواعد الاحكام والفروق والحسبة ، والسياسة الشرعية ، ونحو ذلك .

وألفوا فى العقائد والكلام والمنطق والفلسفة والجدل والمناظرات والرد على المبتدعة .

وفي التصوف والاخلاق ، والمواعظ والمواجد والاذواق والمناقب وفى الاوراد والاذكار والدعوات والتصليات على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى شرح أسماء الله الحسنى ، وخواصها وفى سر الحرف وفى السحر وتعبير الرؤيا ، ونحو ذلك .

والفوا فى التربية والتعليم ، وتقسيم العلوم والسياسة والنظم الادارية وفى نصح الملوك ونقد المجتمع .

وفى الحساب والتوقيت والتعديل والجبر والهندسة والفلك والازياج والتنجيم

وفى الطب والصيدلة والكيمياء والفلاحة والنبات والحيوان والبيطرة والطبيعة وعلوم الحرب والبحر .

وفى الجغرافية والرحلات وتاريخ الدول والملوك والمدن والاقاليم والقبائل وعلم الانساب .

وفى النحو والصرف واللغة وقواعد الرسم والبلاغة والعروض والقوافى والموسيقى .

وفى فنون الادب المختلفة ، من امثال وحكم ومحاضرات ومحاكمات أدبية ومقامات وفي الحماسة والشعر بموضوعاته المختلفة على العموم فصيحا وشعبيا، وفى النثر الفنى ، والالغاز ، والهزل والمجون ، والقصص والخرافات والاساطير وغير ذلك .

وقل ان يوجد موضوع خاضه الكتاب العربي لم يساهم فيه الكتاب المغربى كما أنه لا تكاد توجد مشكلة فكرية أو اجتماعية شغلت بال المجتمع الاسلامى لم يتناولها الكتاب المغربى بالدرس والتمحيص .

والوقت الضيق المحدد لهذا الحديث لا يسمح بايراد أي مثال لشيء مما ذكرناه .

ولكنا نورد كلمة موجزة عن مساهمة الكتاب المغربى فى حركة (التعريب) أي الترجمة عن اللغات الاجنبية الى العربية .

من المعلوم أن هذه الحركة عرفت عصرها الذهبى على عهد المامون العباسى فى الربع الاول من القرن 3هـ الثلث الاول من ق9م ثم لم تستمر بعد ذلك الا قليلا .

ولعل آخر كتاب ترجم الى العربية فى القرون الوسطى فى الشرق العربى هو كتاب (شاهنامة)

الفردوسي التي عربها الفتح بن على البنداري الاصبهاني سنة 697هـ 1297م (6)

ثم لم تعد هذه الحركة للظهور فى الشرق العربى الا في النصف الاول من القرن 19م على عهد محمد علي فى مصر ، كما هو معلوم (7)

أما فى المغرب فقد استمرت هذه الحركة الى سنة 1000هـ 1592م وما بعدها .

فقد ذكر المقرى التلمسانى فى (روضة الآس ، العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس) الذي بقي ضائعا مدة مديدة الى أن وقع العثور عليه أخيرا بالقصر الملكى ونشرته المطبعة الملكية: (أن بعض أكابر الروم قدم على احمد المنصور الذهبى وأتحفه بكتاب في الطب مكتوب بالقلم الاعجمي ، فعربه العالم الجليل الطبيب أبو القاسم الوزير الغسانى من اهل فاس وجعل له خطبة ، وزاد فيه زيادات وسماه (مغنى الطبيب عن كتب أعداء الحبيب) (8) .

وسياتى الكلام على كتاب (العز والمنافع) الذى ترجمه احمد بن قاسم الحجري ترجمان السلطان زيدان السعدي وأولاده .

وذكر دوفيردان Gaston Deverdun فى كتابه (مراكش) أن أنتوان دوسانت مارى الدومينكانى الارلندى ، الذى كان أسيرا بمراكش ، اشتغل مدة ثمان سنوات بأمر من زيدان بن المنصور بترجمة الكتب اللاتينية التى كانت عند زيدان الى اللغة القشتالية، وعنها تترجم الى اللغة العربية (9)

وأهم عمل مغربى وصلنا فى ميدان التعريب ، هو كتاب (**الجامع المقرب النافع المعرب**) الذى عثرنا عليه بمكتبة القصر الملكى بالرباط ، وهو تعريب لارصاد لالاند الفرنسى الذى كان رصده الاخير سنة 1773 م 1186 ـ 1187 هـ

وتقع الترجمة فى 3 مجلدات ضخام فى الحجم الكبير فيها تسعمائة وثمان وسبعون ورقة وفيها أربعة آلاف ومئتان وعشرون فصلا . وتشتمل على كثير جدا من الجداول والاشكال الهندسية .

وكان الفراغ منها فى 28 رمضان 1268هـ 16 يوليوز 1852م .

وقد قام بالتعريب جماعة من المعربين بالقصر الملكى بفاس بأمر من السلطان محمد الرابع رحمه الله وتحت اشرافه وتوجيهه ، وبعدما أتموا عملهم بصفة نهائية كتب السلطان بنفسه مقدمة للترجمة تلخصها فيما يلى :

« انى لما نظرت فى هذه العلوم الرياضية التى منها الحساب والهيئة والهندسة ... وجدت الوقوف على كنه التحقيق المحض منها لا يكون بمجرد التقليد فيها ... لان النفوس الكاملة لا تطمئن الا باليقين الذي تسلم حججه ، بعد أن تغوص فى بحاره وتخوض لججه ولما كان ذلك لابد فيه من الرصد للاجرام العلوية ومشاهدة أمكنتها من أفلاكها ومقادير حركاتها في الازمان المختلفة .

وكان الرصد المذكور فى بلادنا وزماننا متعذرا أو متعسرا ، ولكن ما لا يمكن كله ، لا يترك كله ، بحثنا من اجل ذلك كل البحث عن أقرب الارصاد الى زماننا ، فوجدنا كتابا حفيلا عجيبا ، جامعا لكل ما يحتاج اليه الناظر فى هذه الصناعة ، بحيث لا يتوقف على غيره من الاوضاع ... مع ما اعتمده مؤلفه والتزمه من التحرير البالغ غاية الغايات ، والتوقيف على كنه العويصات وكشف الخفيات ، وتأييد المسائل بالحجج الواضحة اليقينية ، والاشكال الهندسية والامثلة العددية ، والاقيسة الجبرية ، ورد الفروع الى اصولها التى بنيت عليها ، وأخذ الاقوال بدلائلها الخاصة بها ، ومقابلة المذاهب القديمة بعضها ببعض ، ثم أخذ ما وافق العيان والرصد الجديد ، والغاء ما دون ذلك مما تكذبه المشاهدة ويقوم البرهان على بطلانه

ـ الا أنه باللسان والقلم الأعجميين ، لان مؤلفه رومى من أهل باريز .

وكان من فضل الله علينا أن حضرتنا العالية بالله قد احتوت على جماعة وافرة ممن آوتهم ظلال دولتنا الشريفة المنصورة الظافرة ، وربيناهم فى خدمتنا أحسن تربية ، وصفيناهم لاقترابنا أكمل تصفية ، وأطلعناهم

---

(6) كشف الظنون ج 2 ضلع 1026 .

(7) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . ج 4 ص 157 (8) ص 217 (9) ص 434 .

لمكان التخصيص على اسرار هذه العلوم ، وغذيناهم من جنى هذه الفنون باطيب الطعوم ، **حتى أصبحت حضرتنا العزيزة كعبة للنجباء الحذاق ، ومطافا للعلما من جميع الآفاق ، من كل عارف بالألسنة والاقلام ،** متهيء لاكتساب الكمالات بالاستعلام ، **فأمرناهم بتعريب الكتاب المذكور** واخراجه من الظلمات الى النور ، فصرفوا كل عناية الى ذلك ، **ودأبوا عليه آناء الليل وأطراف النهار مدة مديدة ،** مع معاناة أكيدة ، ومشقة شديدة .

وكل ذلك بمرأى منا ومسمع ، ومحضر لنا ومجمع ، تعرض علينا كل يوم مخرجاتهم فنبالغ لها بالتنقيح والتصحيح ، ونرجح منها ما هو داع الى الترجيح ، حتى برز بحمد الله فى احسن الصور وأجملها ، وأتم الوجوه وأكملها .

وهو مرتب الآن بمكتبة القصر الملكى تحت رقم 2682م .

وذكر صديقنا الاستاذ عبد العزيز ابن عبد الله فى كتابه (تاريخ المغرب) (تحت الطبع) ان القنصل الفرنسى لوكونت دوسكواط ، تحدث عن المام الملك محمد الرابع باللغة الفرنسية وقيامه بتعريب بعض الكتب العلمية مثل كتب نيوتن ، فى علم الفلك ، على يد ترجمان انجليزى من مالطة أعتنق الاسلام .

وقد أكد ذلك عام 1871م (1288هـ) وزير فرنسا بطنجة طيسو .

فكم من جهود يجب أن تتوفر – يا ترى – على دراسة هذا التراث الضخم فى مختلف العصور ؟ ومقارنته بغيره ؟ قبل أن نستطيع تقييمه تقييما نزيها لا تحيز فيه ولا اجحاف ؟ نعم اننا قد بدانا السير فى تحقيق هذا الهدف الوطنى ، وخصوصا بعدما أنشئت شهادة الدراسات العليا بجامعة محمد الخامس .

فقد أوليت عناية خاصة لتوجيه اهتمام طلبتى من حملة شهادة الأجازة الى الاعتناء بتحقيق مخطوط مغربى، واقترحت على بعضهم مخطوطات معينة لدراستها ، وقد نال البعض منهم شهادته بالفعل ، ولكن مما يؤسف له أن المطبعة لم تخرج لحد الآن شيئا من المطبوعات التى قاموا بدراستها . (بعد القاء هذه المحاضرة أخرجت المطبعة كتاب (الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي) للاستاذ محمد حجي ، وما زلنا ننتظر تحقيقه لكتاب (البدور الضاوية) لسليمان الحوات) .

على أننا – مع هذا التاريخ الطويل الذي يزيد على الف سنة ، ومع هذا الشمول لمختلف الموضوعات ومع هذا الانتشار في مشارق الارض ومغاربها شمالها وجنوبها .. ومع ضياع ما ضاع واختفاء ما اختفى – ما زلنا نحتفظ – مع ذلك كله وكثير غيره – بالآلاف من المؤلفات المغربية ، ولدينا قليل من القوائم والدراسات التى تسمح بالحديث عن الكتاب المغربى حديثا يتضمن الخطوط العريضة الكبرى ، مثل :

كتاب النبوغ المغربى فى الادب العربى للاستاذ عبد الله جنون ، ومقالات الاستاذ محمد الفاسى عن تاريخ الادب المغربى المبعثرة فى الصحف والمجلات والعلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين للاستاذ محمد المنونى ، ودليل مؤرخ المغرب للاستاذ عبد السلام ابن سودة ، وسوس العالمة للاستاذ المرحوم محمد المختار السوسي . والطب والاطباء بالمغرب للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، وتاريخ الادب الجغرافي العربي لمستشرق الروسى كراتشكوفسكى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، والعلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى للعالم الايطالى آلد وميلى ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى ، وتراث العرب العلمى لقدرى حافظ طوقان وفهرس الفهارس والاثبات لعبد الحي الكتانى .

الكتاب المغربى جزء لا يتجزأ من الكتاب العربى

والملاحظة البارزة الاولى التي تبده الباحث في الكتاب المغربى ، هي انه وان كان يختلف عن الكتاب العربى فى المشرق ، فى أن له :

1) خطا عربيا خاصا مشتقا من الخط الكوفى القديم ، ويتميز بزيادة الحروف المعقودة على أحرف الهجاء العربى ، وينقط الفاء بواحدة من أسفل ، والقاف بواحدة من فوق . (راجع مثلا عبد الفتاح عبادة فى كتاب انتشار الخط العربى) (15) .

---

(10) (ص 76–79) .

2) وترتيبا للحروف يختلف عن ترتيبها في المشرق .

3) وأرقاما عربية خاصة هي غير الارقام الهندية المستعملة عند عرب المشرق بل ان الموثقين بفاس لهم أرقام أخرى غير النوعين السابقين يؤرخون بها الوثائق والعقود . وكثيرا ما تؤرخ بها المخطوطات وتسمى بالقلم الفاسي . وقد خصت بالتاليف مثل كتاب أبي العباس ابن البنا المراكشي (في أعمال الحساب والزمام) وبآخره رجز في ذلك . ورسالة غير منسوبة (في أشكال الزمام والعمل به) وبأولها نظم في الموضوع (11) ومنظومة الامام أبي السعود الفاسي في 30 بيتا ، وقد شرحها أبو العباس سكيرج في (ارشاد المتعلم والناسي ، في صفة أشكال القلم الفاسي) ذكر فيه أن هذا القلم مأخوذ من القلم الرومي ، وهو مطبوع على الحجر بفاس في ثلاث ورقات كما ترجمه الى اللغة الفرنسية فيالا E. Viala بعنوان الخط الفاسي L'exposé des signes de Fès وقد طبع بالجزائر سنة 1917 .

فان الكتاب المغربي في صميمه وعمقه — رغم هذه الاختلافات — جزء لا يتجزأ من الكتاب العربي .

ذلك أن المغرب — وان كان قد انفصل سياسيا عن الخلافة الاسلامية بالمشرق في عهد مبكر ، وأنشأ له خلافة خاصة ، — فانه — من الناحية الثقافية — قد بقي يكون مع البلاد ذات الثقافة العربية في آسيا وافريقيا وأوربا وحدة ثقافية متينة العرى متداخلة الاجزاء ملتحمة الاطراف متشابكة الفروع والاغصان .

وهكذا كان الكتاب العربي ، من الحجاز ، أو اليمن ، أو العراق ، أو ما وراء النهر ، أو بلاد العجم . أو الهند ، أو السند ، أوبخارى ، أو جاوة ، أو بلاد الروم (الترك) أو الشام وفلسطين او مصر ، أو صقلية ، أو المغرب الادنى ، أو المغرب الاوسط ، أو الاندلس ، أو السودان المغربي على اختلاف اقاليمه واقطاره ، يجد مكانة — الى جانب الكتاب المغربي — في المكتبات المغربية ، في المساجد والمدارس ، والربط ، والزوايا وفي قصور الملوك والامراء والوزراء ، والرؤساء ، وفي بيوت العلماء والاسر العلمية ، ويتداول بين أيدي القراء في فاس ، وتازة ، ومكناس ، وزرهون ، وسبتة ، وطنجة ، وتطوان ، ووزان ، والريف ، والجبل ، والشاون ، والمزمة ، والقصر الكبير ، وسلا ، والرباط ، وتادلا ، ودكالة ، وآسفي ، واغمات ، ومراكش ، والدلاء ، وورودانة ، وآيت عياش ، وسجلماسة ، وفيكيك ، والقنادسة ، وكرزاز ، وكلزيم بوادي الساورة وسالي ، وتيميمون ، والركان ، وكنته بتوات ، وتامكروت ، وشنقيط ، وطنطان ، والساقية الحمراء ، وولاتة ، وغيرها من مختلف المراكز العلمية الاخرى بالمغرب ويتناول فيها بالنسخ والزخرفة ، وبالطبع بعد أن دخلت المطبعة الى المغرب ، وبالدرس ، والشرح والتعليق ، والرواية ، والنقد أو التقريض .

كما كان الكتاب المغربي من جهته ، ينتقل الى مراكز الثقافة العربية في المشرق والمغرب ، فيحتل مكانته بين الكتب العربية الاخرى ، مما جعل الكتاب العربي في جملته يكون وحدة متكاملة ، لا يكاد جزء منها يستغني عن بقية الاجزاء الاخرى وبذلك تحققت وحدة الثقافة العربية على أتم الوجوه .

ويمكن للمرء أن يتتبع هذه الحقيقة التي أشرنا اليها في كثير من المصادر والمراجع وعلى الاخص في كتب التراجم والفهارس والرحلات وما أشبهها . وفي كتب الدراسة بالمغرب ، ما بين متون وشروح وحواش وفي الكتب التي يتدارسها أصحاب الطرق المختلفة فيما بينهم ، وفي أورادهم وأحزابهم وفي كتب المطالعة ، وفي المطبوعات المغربية وفيما نشره المغاربة من كتب خارج المغرب وكذلك في الموسيقى والاشعار التي يتغنى بها الآليون والسمعون ليجدها في كل ذلك بارزة للعيان بكل وضوح .

المحاورات العلمية :

ومن ذلك هذا الحوار الذي كان مستمرا بين علماء المغرب والعلماء العرب في المشرق والمغرب العربيين .

ومن أمثلة ذلك ما وقع في القرن الحادي عشر الهجري بين الكوراني الشهرزوري نزيل المدينة المنورة وبين علماء فاس .

فقد الف في تصحيح قصة الغرانيق الشهيرة رسالة (اللمعة السنية ، في تحقيق الالقاء في الامنية) فرد عليه أبو عبد الله بن أبي السعود الفاسي مبينا بطلانها . فألف الكوراني (نبراس الايناسي باجوبة أهل فاس) .

(11) رقم ك 1061 بالخزانة العامة بالرباط .

كما الف الكورانى فى مسالة خلق الافعال محتجا لمذهب امام الحرمين ، رسالة كتبها برسم تلميذه الرحالة المغربي أبي سالم العياشي ، التي أوردها بنصها في رحلته (ماء الموارد) (راجع ج I ص 360 و ص 429 – 443) . فرد عليه أبو عبد الله الفاسي (راجع في الخزانة العامة رقم 3II54) والمهدى بن احمد الفاسى ، وسمي هذا رده (النبذة اليسيرة ، واللمعة الخطيرة ، في مسالة خلق الافعال الشهيرة) . راجع في الخزانة العامة رقم I234 كـ .

ووجه المصريون أسئلة لفقيه فاس ابى عبد الله ابن الحسن بناني فاجاب عنها بجزء مطبوع وعند . مرور الشيخ احمد بن العربي ابن الحاج الفاسى بطرابلس الغرب في طريقه الى الحج سنة I098 تلقى عنه بعض الطلبة بيتين لشيخه الشيخ ميارة في التفيين اذا تكررا ، فاطلع عليهما تونسي مر بطرابلس آتيا من مصر فانتقدهما وارسل أحد اذكياء الطلبة الطرابلسيين انتقاداته للشيخ ابن الحاج فاذن هذا لتلميذه محمد بن "محمد بن حمدون بناني فكتب (الكوكب الساطع والعقد المنظوم ، في بيان التعيين باعتبار المنطوق والمفهوم) (الخزانة العامة رقم 2008 د

28

وأنكر مفتى مصر الشيخ محمد عبده التوسل فكتب الوزاني مفتي فاس في الرد عليه (النصح الخالص) وأفتى الشيخ محمد عبده باباحة اكل ذبيحة أهل الكتاب ولو خالفوا فى ذبحها طريقة المسلمين . وقامت ضجة كبيرة فى المشرق ضده من أجل ذلك فافتى الوزانى مفتى فاس بتأييد فتوى محمد عبده .

ونشرت جريدة ثمرات الفنون ببيروت كلاما للشيخ محمد عبده حول الجبر والاختيار فكتب احمد الرهوني التطواني « تحرير المقال » .

ونشر بتونس متفقر من قسنطينة يقال له ابن مهنا رحلة الورتلانى وعلق عليها تعاليق طعن فيها فى المغاربة ، فألف الوزانى (السيف المسلول باليد اليمنى ، المقطوع به رأس مهنا) فعاد ابن مهنا وألف (السيف المهند المسلول) وقال انه اختصره من رسالة كبرى التي شتم فيها الوزاني شتما فظيعا !

ومن ذلك المحاورات بين احمد البكاي السودانى وبين اكنسوس المراكشى حول الطريقتين القادرية والتجانية فى مؤلفات عديدة بعضها مطبوع .

وقد عثرت فى مكتبة القصر الملكى بالرباط ضمن مجموعة على رسالة كتبها احد علماء المغرب (لم يسم فى الرسالة) الى علماء مصر عندما احتلها الفرنسيون ينتقد عليهم رضاهم بالمقام تحت الحكم الاجنبى .

ولا يبعد أن تكون من انشاء العلامة المغربي الكبير الشيخ الجيلانى السباعى الذى نال فى المغرب مقاما عظيما فى العلم والدين ثم جاور بالحجاز ، فلما وصل الخبر باحتلال الفرنسيين لمصر صار يعظ الناس ويدعوهم الى الجهاد ، وقرأ بالحرم كتابا مؤلفا فى معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وركبوا معه البحر الى الصعيد المصرى وحاربوا الفرنسيين فى عدة مواقع كما عند الجبرتي (I2) ثم اعتل ومرض ومات بقرب مرضه ودفن هناك بقرية يقال لها احكاز (كما عند التهامى بن محمد الاوبيرى الحميرى في (اتحاف الخل المواطى) (خط) .

الأمثال الشعبية والشعر الملحون

ونجد فى الامثال الشعبية المغربية المتعلقة بالكتب نفس الظاهرة التى أشرنا اليها ، مثل قولهم :

مشى يقرأ بن السبكى ، وخلا الجرومية تبكي !

اللى حب يقرا بالنيا ، يقرا سيدى خليل والالفيا !

سيدى خليل والرسالا . ما خلوا حتى مسالا

(يريدون رسالة ابن أبى زيد القيروانى)

الغزالى . ما يخلى قلب سالى !

بع الدار ، واشرى لذكار . يريدون اذكار النووى .

كما تجد ذلك فى الشعر الشعبى (الملحون) ومن ذلك قصيدة (الحراز) لمحمد الامغارى حيث ياتى البطل أخيرا الى الحراز فى صورة فقيه قارى للكتب المختلفة ، مثل لسنوسية ، والجرومية والالفية ، والموطا والبخارى والعينى ومسند احمد وخليل والخرشى والزرقانى والرهونى والرسالة ، وبذلك خدع البطل الحراز القارى ببيان لحيال لكن انداز . كما يقول الشاعر في (الحربة) (اللازمة) .

الكتاب المغربى خارج المغرب

وكما سد الكتاب المغربى الحاجة المحلية فى موضوعه ، متعاونا على ذلك مع الكتاب العربى الوارد من خارج المغرب ، فان قسما مهما من الكتاب المغربي تجاوز النطاق المحلى وانتشر خارج المغرب ليسد حاجة

(12) الجبرتى : عجائب الآثار 3 ص 44 و 57

ماسة في المراكز العلمية الاخرى ، وبذلك تحققت وحدة الثقافة العربية على اتم الوجوه .

ومن أمثلة هذا القسم :

مقدمة ابن أجروم الفاسي .

وكراسة الجزولي المراكشي في النحو وشرح المكودي على الفية ابن مالك ، والشفا للقاضي عياض السبتي دفين مراكش ، وبقية مؤلفاته ، كالمدارك ، والمشارق والتنبيهات ، والاكمال ، والالماع ، وبغية الرائد والفهرسة .

وانوار البروق في تعقب مسائل الفروق لابن الشاط السبتي .

ومناهج التحصيل من نتائج لطائف التأويل (شرح المدونة لابي الحسن على بن سعيد الرجراجي المعروف بابن تامسري (ق7) .

وبيان الوهم والايهام ، الواقعين في كتاب الاحكام لابن القطان الفاسي دفين سجلماسة .

ونزهة المشتاق ، للشريف الادريسي السبتي .

ورحلة ابن بطوطة الطنجي .

والقرطاس لابن ابى زرع الفاسي

ووصف افريقيا للحسن الوزان الفاسي المعروف عند الاوربيين بليون الافريقي .

وجامع المبادىء والغايات في علم الميقات لابي على الحسن المراكشي .

والمعجب في اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي نزيل بغداد .

ورحلة ابن رشيد السبتي دفين فاس (ملء العيبة)

والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصله لابن عبد الملك المراكشي .

وحاشية ابن الطيب الشرقي الفاسي نزيل المدينة المنورة ودفينها على القاموس المحيط للفيروز بادي .

وكتاب الوشاح ، وتثقيف الرماح . في رد توهيم المجد الصحاح ، لعبد الرحمن بن عبد العزيز التادلي المدني .

وديوان صفوة الادب ، لابي العباس الجراوي التادلي الفاسي .

وارجوزة ابن الياسمين الفاسي في الجبر ، ودلائل الخيرات لابن سليمان الجزولي دفين مراكش .

وكتاب (المدخل) لابن الحاج الفاسي دفين مصر .

والدرر اللوامع في قراءة نافع لابن بري الرباطي التازي .

ومورد الظمآن للخراز الفاسي وشرح ابن عاشر ورائية الشريشي السلوي المراكشي ثم المصري .

وشرح ابن عباد الرندي ثم الفاسي على حكم ابن عطاء الله السكندري .

وأحزاب أبي الحسن الشاذلي المغربي دفين مصر .

ومؤلفات ابن البنا المراكشي وخصوصا تلخيص أعمال الحساب ، ومنهاج الطالب في تعديل الكواكب .

ومؤلفات ابن غازي المكناسي ثم الفاسي وخصوصا المنية ، والفهرسة ، وشفاء الغليل وتكميل التقييد وحواشي البخاري .

ومؤلفات زروق الفاسي دفين ليبيا وخصوصا شروح الحكم .

ومؤلفات على بن ميمون الغماري دفين لبنان ، مثل بيان غربة الاسلام على يد صنفي المتفقهة والمتفقرة في مصر والشام وغيرهما من بلاد الاعجام .

ومؤلفات محمد بن سليمان الروداني نزيل المدينة المنورة ودفين دمشق الشام وقد طبع بعضها في الهند .

ومؤلفات محمد بن ادريس الميسوري دفين عسير باليمن .

ونظم المرشد المعين لابن عاشر الفاسي وشرحه لميارة . وشرح التاودي ابن سودة الفاسي على تحفة ابن عاصم الاندلسي .

وحاشية بناني الفاسي على شرح الزرقاني على مختصر خليل .

وحاشية الرهوني على كل من المختصر وشرح الزرقاني وحاشية بناني .

والابريز لاحمد بن مبارك السجلماسي .

وجواهر المعاني لحرازم برادة الفاسي .

والوسيط في أدباء شنجيط لاحمد الامين الشنقيطي نزيل القاهرة .

ومؤلفات محمد محمود الشنقيطي نزيل القاهرة .

والاستقصا للناصري السلوي .

وسلوة الانفاس لابن جعفر الكتاني .

والرسالة المستطرفة له .

واتحاف اعلام الناس لابن زيدان العلوي المكناسي .

والفكر السامي للحجوي الفاسي نزيل الرباط . والتراتيب

الادارية لعبد الحي الكتاني .
وفهرس الفهارس لـه .
والنبوغ المغربي لعبد الله جنون الفاسي الطنجي .
والنقد الذاتي لعلال الفاسي نزيل طنجة والرباط .
وتاريخ الحركات الاستقلالية له .
ودليل مؤرخ المغرب لعبد السلام ابن سودة الفاسي .
وغير ذلك كثير .

وذكر الشيخ عبد المجيد المنالي الزبادي الفاسي في (افادة المرتاد ، في التعريف بابن عباد) ان رسائل ابن عباد الرندي ثم الفاسي لما بلغت لابي عبد الله البلالي المصري صاحب اختصار الاحياء وغيره جعلها على رأسه وجعل يقول : انا عبد لابن عباد ! (الخزانة العامة رقم (471 ونسخ أخرى) .

وذكر اليفرني في (الصفورة) (1) ان كتاب (نتائج التحصيل ، في شرح التسهيل) لمحمد المرابط الدلائي الفاسي (ق 11) لما بلغ القاهرة تنافس فيه الطلبة حتى بيع بنحو عشرين دينارا .

تقسيم الكتاب المغربي :

وهكذا نستطيع ان نقسم الكتاب المغربي الى قسمين :

1) القسم الاول الكتاب الذي ألفه المغاربة في المغرب أو خارجه ، سواء بقيت نسخه في المغرب أو لم يبق الا خارجه .

ويلحق بهذا القسم الكتاب الذي اقترح تأليفه ملوك وأمراء ورؤساء مغاربة على مؤلفين غير مغاربة ، سواء نزحوا عن بلادهم الى المغرب أو لم يصلوا الى المغرب بالمرة .

2) والقسم الثاني الكتاب الذي انتقل الى المغرب من خارج المغرب ، فاحتفظت به المكتبة المغربية وتبنته ، واتخذه المغاربة كتاب دراسة ، ومراجعة ، وخدموه بالشرح والتعليق واعتمدوه في الفتوى والقضاء والتوجيه والارشاد والوعظ ، وتولوا طبعه داخل المغرب وخارجه وكذلك ما انفردت به المكتبة المغربية ، ولم يبق له أثر في وطنه الاصلي .

وامثلة هذا النوع تفوق الحصر وتستعصى على الاستقصاء ، ومنها :
الفية ابن مالك الاندلسي دفين دمشق .
وأوضح المسالك لابن هشام المصرى .
وأم البراهين للسنوسى التلمسانى .
ورسالة ابن ابى زيد القيروانى .
ومختصر خليل المصرى .
وشرحاه : للخرشى والزرقانى ، المصريين .
وشرح الحطاب المكى .
وتحفة ابن عاصم الغرناطي .
ونظم السلم للاخضرى البسكرى .
وجمع الجوامع لابن السبكى .
وشرحه للمحلى ، وكلاهما مصرى .
وتلخيص القزوينى الشامى المصرى مفتاح العلوم للسكاكى الخوارزمى .

وشرحاه لسعد الدين التفتازانى (من خراسان) : المطول والمختصر .

وكشف الاسرار فى الحساب للقلصادى الاندلسى دفين تونس .

والرسالة الفتحية في الاعمال الجيبية لسبط المارديني المصرى .

وحرز الامانى للشاطبى الاندلسى دفين مصر .
وحكم ابن عطاء الله السكندرى .
وبردة المديح للبوصيرى المصرى .
وهمزيته .
وأربعون النووى الدمشقي .
وصحيح البخارى دفين سمرقند .
وشرحاه : فتح البارى للعسقلانى المصرى .
وارشاد السارى للقسطلانى المصرى .
وصحيح مسلم النيسابورى .
وشرحاه : للنووى الشامى .
والابى التونسى .
وشمائل الترمذى الخراسانى .
وموطا مالك المدنى
وشرح الزرقانى المصرى عليها .

---

(13) ص 180

ومقامات الحريرى البصرى .
والكشاف للزمخشرى .
وتفسير ابن عطية الاندلسى .
وأحكام عبد الحق الاشبيلى .
والجامع الكبير للسيوطى .
واحياء علوم الدين للغزالى وشرحه للشيخ مرتضى الزبيدى المصرى .

وكتاب سيبويه .
وديوان المتنبى .
والتسهيل لابن مالك .

وتحرير أصول الهندسة لاوقليدس تاليف النصير الطوسى .

وتاريخ ابن خلدون .
ومختصر ابن الحاجب الفقهى .
وشامل بهرام .
والقاموس المحيط للفيروز بادي .
وتهذيب البرادعى لمدونة سحنون .
وكتاب التلقين للقاضى عبد الوهاب .

وقد كانت الكتب تصل الى المغرب بواسطة الرحالين من اهل العلم ، وخصوصا الحجاج ، وبواسطة مبعوثين خصوصيين يبعثهم الملوك الى اسبانيا ومصر واصطنبول لاستيراد الكتب بصفة خاصة ، وتتضمن كتب الرحلات والرسائل الرسمية اخبارا مستفيضة فى هذا الموضوع ، كما تتضمن كتب التراجم اسماء من أدخلوا كتبا معينة الى المغرب لاول مرة .

كمدونة سحنون (14) والنوادر ، والمختصر لابن أبى زيد القيروانى (15) ومختصر ابن الحاجب الفرعى (16) وشرح المرادى على الفية ابن مالك (17) ومختصر خليل (18) وشامل بهرام ، وشرحه على المختصر ، وحواشى التفتزانى على العضد وابن هلال على ابن الحاجب ، (19) وشرح الخرشى على المختصر (20) .

للكتاب المغربى طابعه الخاص

الملاحظة الثانية التى تلفت نظر الباحث فى الكتاب المغربى ، هي انه ـ ضمن وحدة الكتاب العربى والثقافة العربية ـ له شخصيته المتميزة وطابعه الخاص .

فهو ـ وقد فتح صدره الاستفادة من الكتاب العربى الوارد من مختلف الاقطار ـ استطاع أن يتفوق حينا وأن يجمع بين محاسن تجربتين أو تجارب حينا ، وان يقوم بدور الحكم أحيانا أخرى .

ولم يكن الايمان العميق الراسخ للمؤلف المغربى بوحدة الثقافة العربية بين شرق العروبة وغربها ايمانا سلبيا يأخذ ولا يعطي ، ويتقبل كل ما يرد من خارج المغرب تقبل التقديس والتسليم من غير بحث ولا تمحيص ، بل كان على العكس من ذلك ايمانا ايجابيا يستفيد الى أقصى حد ممكن من الكتاب الوارد على المغرب مع اخضاعه للنقد والتمحيص والتهذيب والترتيب .

فهو يختصر ما هو مطول ، ويهذب ويرتب ما هو فى حاجة الى تهذيب وترتيب ويذيل ما يحتاج الى تذييل ، وينظم المنثور ليسهل حفظه ، ويشرح المتن ليسهل فهمه، ويحشى على الشرح ، ويتعقب ما يتوقف على تعقيب . ويجمع بين كتابين أو اكثر فى كتاب واحد اذا كان فى كل واحد منهما ما ليس فى الآخر .

فقد نقل المقرى فى (ازهار الرياض) عن تعليق لبعض المتأخرين :

ان صناعة التاليف انتهت فى علماء المغرب على صناعة أهل المشرق لشيخ شيوخ العلماء في وقته ابن البنا الازدى المراكشى فى جميع تصانيفه (21) .

وان القدماء كان لهم اصطلاحان فى تدريس المدونة : اصطلاح عراقى واصطلاح قروى ـ وبعدما أوضحهما قال: وقد سلك القاضى عياضى فى (تنبيهاته) مسلكا جمع فيه بين الطريقتين والمذهبين (22) .

ونقل الامام أبو اسحاق الشاطبى عن شيخه علامة فاس ومفتيها أبى العباس القباب أنه كان يقول : ان ابن

---

(14) محمد مخلوف : شجرة النور الزكية ص 1،3 رقم 263 (15) ابن فرحون : الديباج ص 163
(16) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص 168 (17) ابن القاضي : درة الحجال ج 1 ص 688 (18) نيل الابتهاج : 292 درة الحجال 293 (19) نيل الابتهاج : 3،6 (20) المهدى الوزانى : السيف المسلول باليد اليمنى ص 8 طبع حجر بفاس
(21) ج 3 ص 23 (22) ج 3/21ـ22

بشير وابن شاش وابن الحاجب أفسدوا الفقه ويأمر أصحابه بالتحامي عنهم .

وقال احمد بابا السوداني في (نيل الابتهاج) : ويذكر أنه لما حج اجتمع في تونس بابن عرفة فاوقفه ابن عرفة على ما كتب من مختصرة الفقهي ، وقد شرع في تاليفه ، فقال له القباب : ما صنعت شيئا ، لانه لا يفهمه المبتدي ، ولا يحتاج اليه المنتهي ! ويقال ان كلامه هذا هو الحامل لابن عرفة على أن بسط العبارة في أواخر المختصر ولين الاختصار (23) .

وكان الفكر المغربي اذ ذاك لا زال لم يتسم بوباء الاختصار المخل الوارد من الشرق .

ولا يؤثر فيما أردناه من أيراد هذه القصة ما ألفاه عبد الواحد الونشريشي بخط والده ابى العباس ، ونقله المقرى في (أزهار الرياض) من انها لا رأس لها ولا ذنب قائلا عن القباب : وحاشاه من ذلك ! (24)

فقد قال الونشريسي : أن بعض القاصرين من طلبة فاس يقولون عن مختصر ابن عرفة الفقهي : ما يقول شيئا ! وان ملوك المغرب حبسوا بخزانتي القرويين والاندلسيين من مختصر ابن عرفة نسخا عديدة ، ثم لا يعرج عليها لمطالعة احد من طلبة الحضرة (فاس) شتاء ولا صيفا (25) .

ومن الواضح أن انتقاد القباب في القصة منصب على ما في كلام ابن عرفة من تعقيد لا ينازع فيه أحد ، حتى قيل أن ابن عرفة نفسه لم يفهم بعض عباراته ، مثل تعريفه للاجارة فقد ذكر الرصاع التونسي في (شرح حدود ابن عرفة) أنه وقف بخط بعض أشياخه من تلامذة ابن عرفة : أنه لما قرر ذلك اللفظ بمجلس ابن عرفة أشكل فهمه عليه وعلى أهل مجلسه ، فافترق المجلس من غير جواب ، فلما كان من الغد ذكر الشيخ أنه اهتم غاية الاهتمام ، وأنه فكر في ذلك جالسا ومضطجعا فلم يذكر من ذلك شيئا ، قال : فنويت أن أصلي ركعتين وارغب اليه تعالى في تيسير فهمه ، ثم فتح الله علي سبحانه بفهم قولي : بعضه يتبعض بتبعضها ! (ص 393 طبع تونس)

ونقل عن الشيخ عيسى أن ابن عرفة في آخر عمره كان يصعب عليه فهم كلامه (ص 394)

وذكر في أول شرح الحدود عن كتب ابن عرفة : « أن المبرز من فقهاء الزمان من يفك رموزها ، ويفهم اشاراتها ، ويتفاخرون بذلك ! » (26) .

وقد سمى ابن غازي كتابه (اتحاف ذوي الذكاء والمعرفة ، بتكميل تقييد ابى الحسن وتحليل تعقيد ابن عرفة) .

وقال الفقيه المصري المعاصر محمد سلام مدكور في رسالته (المقاصة في الفقه الاسلامي) عن تعريف ابن عرفة للمقاصة : وهذا التعريف المعقد يشبه أن يكون نوعا من الرطانة ، ولا يكاد يفهم بدون ارشاد وايضاح ! (ص 9) .

أما من الناحية الفقهية فامامة ابن عرفة ومكانته ليست عند المغاربة محل نقاش أو خلاف .

ولكنهم شنعوا عليه تحامله على شيخه ابن عبد السلام الهواري التونسي : قال الامام المسناوي الفاسي في كتابه (صرف الهمة ، الى تحقيق معنى الذمة) بعدما أجاب عن اعتراض لابن عرفة على تعريف لشيخه ابن عبد السلام ما نصه : « وهذا ما لا يكاد يخفى على من دون الشيخ ابن عرفة من الاصاغر ، فضلا عمن هو مثله من الائمة الاكابر .

غير أن ولوعه — رحمه الله تعالى — بمناقشة شيخه المذكور ، في النقير والقطمير ، وشغفه بمضايقته والانتقاد عليه في الجليل والحقير ، كما هو معلوم من حاله لمطالع كلامه ، ومتأمل مقاله ، غطى عليه سنا اشراقه ، وأمر لديه حلو مذاقه !

حبك الشيء يعمي ويصم

ما ذاك الا لمضمرات يعلمها العالم الرقيب !

وفي أجوبة الامام ابى عبد الله القوري عن السبعة والعشرين سؤالا الواردة عليه من تلمسان من صاحب المعيار : أن الناس لم يسلموا لابن عرفة من اعتراضاته على ابن عبد السلام الا القليل .

وما أحوجهما الى وضع كتاب انصاف بينهما ، كما وضع بين الزمخشري وابن المنير (27) .

---

(23) ص 73 (24) ج 3 ص 35 (25) نفس المصدر .
(26) ص 3 طبع تونس .
(27) رقم 194 د بالخزانة العامة بالرباط

ومن ذلك ما ورد في كتاب (بيان غربة الاسلام ، على يد صنفي المتفقهة والمتفقرة فى مصر والشام ، وغيرهما من بلاد الاعجام) لعلي بن ميمون الغماري نزيل تركيا والشام ودفين لبنان ، من كلام قاس جدا عن مؤلفي بلاد الشام في عهده ، (910هـ 1504م) اتهمهم فيه بأنهم لا معرفة لهم بقواعد التأليف أصلا ، ولا بالصالح والفاسد منه ، بل يعمدون الى مطالعة الكتب ، فينقلون منها ، على مقتضى فهمهم ، ويقيدون ذلك ، ولا يعرفون حقيقته واصطلاحه ، ولا ما ينتج عن ذلك (28) أضربنا عن نقله بنصه لطوله .

وقال الامام المسناوى فى (صرف الهمة) عن شرح الابى التونسى لصحيح مسلم : أنه شهير بعدم التحرير .

وقال عن شرح الرصاع التونسي لحدود ابن عرفة : وكم له فى شرح الحدود من محلول الكلام وساقطه ، كما لا يخفى على ناقده ومخالطه .

والله يعلم أنى لم أقل هذا هضما ، بل لافادة الطالب علما .

وما علي اذا ما قلت معتقدى
دع الجهول يظن الحق عدوانا

ومن الفكاهات التى يتندر بها فى هذا المعنى ، أن فقيها مغربيا — لعله الشيخ بنانى دخل القاهرة ودرس بالازهر الشريف فوقع عليه اقبال كبير ، أثار حسد شخص قليل الحياء ، حسب التعبير المغربى فسأل الشيخ: لماذا لم يؤلف المغاربة كتبا دراسية خاصة بهم ، وبقوا عالة على مؤلفات المشارقة فاستفز الغضب الشيخ المغربى وأجاب : شغلهم اصلاح أخطائكم عن التفرغ لتأليف كتب خاصة بهم .

والواقع أن ما قلناه عن وحدة الكتاب العربى وتكامله جعلت كثيرا من الكتب غير المغربية لا تتم الاستفادة منها الا بضميمة الكتاب المغربي اليها .

فهذا مثلا — كتاب (الاحكام) فى الحديث ، لعبد الحق ابن الخراط الاشبيلي دفين بجاية (581هـ — 1185م) الذى بناه على (كتاب المقتخب المنتقى) لصاحبه ومفيده الحافظاحمد بن عبد الملك اللبلى الظاهري الشهيد (ت 549هـ 1155م) (29) .

استدرك عليه معاصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني الفاسي المعروف بابن الصيقل (ت 608هـ 1212م) أحاديث كثيرة في اكثر الكتب ، رأى أن عبد الحق أغفلها ، وأنها اولى بالذكر مما ذكره عبد الحق فى (الاحكام) .

قال ابن عبد الملك المراكشى فى (الذيل والتكملة) : « دل ذلك على حسن نظره وجودة اختياره » (30) .

كما تصدى له الحافظ أبو الحسن ابن القطان على ابن محمد الكتامي الفاسي دفين سجلماسة (ت 628هـ 1232م)في كتابه الحفيل : (بيان الوهم والايهام ، الواقعين في كتاب الاحكام) فانتقد عليه : أحاديث أوردها ولم يجد لها ابن القطان ذكرا ، أو عزاها الى مواضع ليست فيها ، أو ليست كما ذكر ، وأحاديث أوردها على انها متصلة وهي منقطعة — وذكر ابن القطان لانقطاعها عدة مدارك — وأحاديث أوردها على أنها موقوفة ، وهي فى المواضع التي نقلها منها مرفوعة ! وأحاديث أغفل نسبتها الى المواضع التى أخرجها منها . وأحاديث أوردها على أنها مرفوعة وهي موقوفة أو مشكوك فى رفعها ، وأحاديث أبعد النجعة فى ايرادها ومتناولها أقرب ، وأشياء متفرقة تغيرت فى نقله — أو بعده — عما هي عليه ، ورواة تغيرت أنسابهم وأسماؤهم فى نقله عما هي عليه .

قال ابن الزبير فى (صلة الصلة) عن (بيان الوهم والايهام) : « وهو من أجل التواليف فى بابه وان كان لا يخلو من بعض تعسف وتحامل ! » (31) .

وذكر ابن عبد الملك المراكشي في (الذيل والتكملة) أن قاضي فاس الحافظ ابن المواق : أبا عبد الله محمد بن يحيى (ت 642) — 1244 — 45م له تعقيب على كتاب شيخه أبى الحسن ابن القطان : (بيان الوهم والايهام) ظهر فيه ادراكه ونبله ، ومعرفته بصناعة الحديث واستقلاله بعلومه واشرافه على علله وأطرافه ، وتيقظه ، وبراعة نقده واستدراكه .

---

(28) رقم 2123 ك بالخزانة العامة بالرباط
(29) ابن الابار : التكملة ج 1 رقم 162 .
(30) جزء الغربا. 97—98 ، (31) ص 132 طبع الرباط

قال ابن عبد الملك : « وقد عنيت بـ (الجمع بين هذين الكتابين) مضافين الى سائر أحاديث (الاحكام) وعلى ترتيبها . (وتكميل ما نقص منها) فصار (كتابي هذا) من أنفع المصنفات وأغزرها فائدة ، حتى لو قلت : انه لم يؤلف في بابه مثله لن أبعد ! (32) .

وسمى الحافظ ابن رشيد الفهري السبتي دفين فاس (ت 721هـ) 1321 ـ 22م في رحلتـه الحفيلـة (مـلء العيبة) كتاب ابن المواق : (كتاب المآخذ الحمال ، عن مآخذ الاغفال في شرح ما تضمنه كتـاب بيان الوهـم والايهام من الاخلال والاغفال ، وما انضاف اليه من تتميم واكمال) .

وقال : ان المؤلف تولى اخراج بعضه من المبيضة ، ثم اخترمته المنية ، ولم يبلغ من تكميله الأمنية ، قال ابن رشيد : فتوليت تكميل تخريجه ، مع زيادة تتمات ، وكتابة ما تركه المؤلف بياضا (33) .

ولكنا مع الاسف لم يصلنا ، لا كتاب ابن الصيقـل ولا كتاب ابن المواق ، ولا كتاب ابن عبد الملك ، ولا كتاب ابن رشيد ! وتلك صورة من نكبات المكتبة المغربية .!

وهذا كتاب جمع الجوامع في الحديث للسيوطـي المعروف بالجامع الكبير ، الذي قصد مؤلفه به استيعاب الاحاديث النبوية ، كما قـال في خطبته ، ذكـر الشيخ مرتضى الزبيدي في معجم شيوخه أن مجيزه الحافظ أبا العـلاء ادريس العراقـي الفاسـي (ت1183 أو 84هـ) 1769 ـ 71 م لما قرأ الجامع الكبير استدرك عليه نحـو عشرة آلاف حديث كان يقيدها في طرة نسخته ، بحيث لو نقل ذلك في كتاب جاء مجلدا (34) .

وهذا كتاب (انور البروق في أنواء الفروق) لشهاب الدين القرافي الصنهاجي المصري ، الذي يعتبر أهم كتاب وصل الينا في القواعد والفروق في المذهب المالكي والذي قال عنه ابن فرحون في الديباج : انه لم يسبق الى مثله ، و لاأتى أحد بعده بشبهه (35) .

تصدى له ابو القاسم ابن الشاط السبتي في كتاب ادرار الشروق ، على انواء الفروق) قائلا عن القرافي : (انه مـا استكمـل التصويت والتنقيب ، وما استعمـل التهذيب والترتيب) فوضع ابن الشاط كتابه مصححا لما اشتمل عليه كتاب القرافي من الصواب ومنقحا لما عدل به عن صوابه (36)

وقد تلقى المالكية تعقبات ابن الشاط بالقبول ، حتى قالوا : عليك بفروق القرافي ولا تقبل منها الا ما قبله ابن الشاط ! كما عند الشيخ الامير المصري المغربي الاصل في حواشيه (ضوء الشموع) على شرحه لكتابه (المجموع) في الفقه المالكي (37) .

وقال أبو سالم العياشي في رحلته : ان ذلك من المستفيض عند المتأخرين (38) .

وهذا مختصر خليل المصري الذي فتن المغاربة فتنة شديدة ، حتى انهم جعلوه أحزابا كما حزب المسلمون كتاب الله ، وجعلوا محراب جامع القرويين محلا يتحلق حوله من يستظهرون مختصر خليل ، فيتلون منه قـدرا معينا كل يوم ، كما يفعل من يستظهرون (كتاب الله) ! بل ان الراتب الشهري لمن يتلون حزب المختصر كان يفوق راتب من يتلون حزب القرآن عشرين ضعفا !

ولكنهم لاحظوا عليه : أنه لفرط الايجاز كـاد أن يعد من جملة الالغاز (39) فوضعوا عليه عشرات الشروح والحواشي والتعاليـق وناهيك بالشـرح الحفيـل على معاملاته للفقيه الكبير ابي علي ابن رحال ، في حوالي عشرين مجلدا ، أمـا العبادات فقد اكتفى عن شرحهـا بشرح الحطاب المكي .

وترجم (المختصر) الى الشلحة محمد بـن علي الهوزالي وشرح الترجمة بالشلحة أيضا لحسن بن مبارك التمنرتي البوعقيلي .

ونظم (المختصر) بالعربية أبو القاسم الفيجيجيى في (نظم الآلي الحسان) (40) .

وكذلك اعتنى المغاربة باستيراد مـا وضـع على

(32) جزء الغرباء 147ـ148

(33) مل، العيبة الجزء 5 الورقة 9 مخطوطة الاسكوريال ونقله أبو سالم العياشي في رحلتـه (ماء المـوائد) ج 2 ص 248ـ249 .

(34) فهـرس الفهـارس ج 2 ص 201 الاسكوريال ونقله ابو سالم العياشي في (رحلته) ج 2

(35) ص 64 (36) ص 3ـ4

(37) ج 1 ص 377 (38) ج 2 ص 270 (39) محمـد الطالب ابن الحاج : الازهار الطيبة النشر في ذكـر المبادىء العشر ص 179 (40) محمـد المنوني : مكتبـة الزاوية الحمزاوية ص 31

(المختصر) من شروح وحواش خارج المغرب وتعقبوها هي الاخرى .

فابن غازى اهتم فى كتابه (شفاء الغليل . بحل مقفل خليل) ببيان أغلاط بهرام المصرى فى شرحه على المختصر .

وابن عاشر بالغ فى (حاشيته على الشرح الصغير للتتائى المصرى) فى الانكار عليه .

وقال أبو العباس الهلالى فى (شرحه لخطبة المختصر) : ومن الكتب التى لا يعتمد على ما انفردت به شرح العلامة الشهير .... الشيخ علي الاجهورى على المختصر ، كما ذكره تلميذه العلامة النقاد أبو سالم .... عبد الله العياشى فى تاليفه (القول المحكم ، فى عقود الاصم الابكم) وأشار الى ذلك فى (رحلته) (41) .

ومن مارس الشرح المذكور ، وقف على صحة ما قاله تلميذه المذكور ....

ثم قال الهلالى : وما قيل فيه يقال فى شرح تلامذته واتباعه من المشارقة كالشيخ عبد الباقي الزرقاني ، والشيخ ابراهيم الشبرخيتى والشيخ محمد الخرشى لانهم يقلدونه غالبا .

هذا مع أن الشيخ عليا رحمه الله حرر كثيرا من المسائل أتم تحرير ، وقررها أوضح تقرير ، وحصل كثيرا من النقول أحسن تحصيل ، وفصل مجملات أبين تفصيل ... فشرحه كثير الفوائد لمن ميز حصباءه من دره ، ولا يطويه على غره !

وقد سئلت بالجامع الازهر من القاهرة عن شرح تلميذه الشيخ عبد الباقى الزرقانى فقيل لى : ما رايك فيه ؟ فقلت لهم : لا ينبغي للطالب أن يترك مطالعته لكثرة فوائده ، ولا أن يقلده فى كل ما يقول أو ينقل لكثرة الغلط فى مقاصده (42) انتهى كلام الهلالى مختصرا .

وقد وضع كل من أبى على ابن رحال ، والسلطان المولى سليمان ، والفقيه ابن عبد الرحمن والمهدى ابن سودة ، وبدر الدين الحمومى والمهدى ابن الحاج حواشى على شرح الخرشى .

كما وضع كل من الشيخين التاودى ابن سودة ومحمد بن الحسن بناني حواشي على شرح الزرقاني ، الذى قال عنه : انه كثيرا ما ينزل النقل فى غير محله ، ويلحق الفرع بغير أصله (43) .

ثم وضع الشيخ الرهونى حاشيته على كل من المختصر وشرح الزرقانى وحاشية بنانى.

قال الشيخ الطالب ابن الحاج فى كتاب (الازهار الطيبة النشر) : ولعمري ان كلا من هذه الحواشي الثلاثة قد أتى صاحبها فيها من التحريرات بالعجب العجاب ، وذلك مما لم يسهل للأكابر من المسائل اطلاعاب (44)

وهكذا صار كلام بنانى والرهونى هو القول الفصل فى تحرير المذهب المالكى بحيث اذا نص خليل على حكم فقهى فى مختصره الذى قال انه مبين لما به الفتوى ، ووافقه عليه الزرقانى تبعا لشيخه الاجهورى ، فانه لا يكون فقها مسلما الا اذا أقره بنانى والرهونى ولو بالسكوت ، أما اذا اعترضاه فلا عبرة بكلام خليل والزرقانى !

ولا عجب فى ذلك ، فقد عنى المغاربة بالدراسات الفقهية القانونية عناية فائقة ، قرون عديدة ، اذ كانت فاس تمثل المركز السادس من مراكز الدراسات المالكية ويشمل نفوذها الثقافي المغربين الاوسط والاقصى ، كما عند مؤرخ المذهب المالكى محمد مخلوف التونسى فى (شجرة النور الزكية) (45) ولا يخفى أنه يقصد بالمغرب الاقصى ما يشمل الاقاليم السودانية .

وكلمة فقيه ــ عند المغاربة ــ تطلق على من يعرف القراءة والكتابة ، وعلى المعلم ، والمدرس ، والموثق ، وامام الصلاة ، والمحتسب ، والمفتى ، والقاضى ، والسفير ، والوزير ، ولا يفوقها من الفاظ التعظيم والاحترام عندهم الا كلمة شيخ التى تقال لشيخ الجماعة ولشيخ التربية الصوفية ، وكلمة شريف التى تطلق على من كان من ال البيت النبوى .

ولعل الميدان الفقهى القانونى باقسامه المختلفة ، وفروعه المتعددة ، هو أهم ميدان تفوق فيه الكتاب المغربى تفوقا كبيرا لا من ناحية كثرة المؤلفات التى تفوق الحصر

---

(41) ج 2 ص 373 نقلا عن شيخه أبى بكر السكتانى المراكشى
(42) ص 7 الملزمة 10 طبع حجر بفاس
(43) هامش شرح الزرقانى ج 1 ص 2 .
(44) ص 180 (45) ص 103 .

فقط ، ولكن من ناحية الكيف ايضا .

فقد عرف الكتـاب الفقهي المغربي ـ في الغالب ـ بالتحرى فى النقل ، والتعمق فى البحث ، والاصالة فى التفكير ، والاهتمام بمشاكل الحيـاة الواقعية ومحاولة ايجاد الحلول العملية المناسبة لها .

وذلك فى نطاق المذهب المالكي الذى اختاره المغاربة لانفسهم مذهبا ، والتزموه وتعصبوا له ، وجمدوا عليه . ولم يسمحوا لغيره من المذاهب الفقهية الاسلامية بالوجود معه ، وتأثروا به فى حياتهم وسلوكهم وتفكيرهم ، مما كان له آثاره المختلفة التى لا مجال للحديث عنها الآن .

ولم يكتف المغاربة بهذه الموسوعات الفقهية الكبرى ذات المجلدات الضخمة العديدة والتى يحـاول أصحابها فيها أن يستقصوا أحكام جميع المسائل الفقهية سواء كانت واقعيـة أو مفروضة . مـع ايـراد نصـوص الاقدمين واختلافات الشارحين فى فهمها ، والترجيح بين الفهوم المختلفة .

بل انهم ـ الى جانب ذلك ـ اهتمـوا بالكتب التي تلتزم المسائل العملية الكثيرة الوقوع ، ومن ذلك ـ مثلا ـ شروح رجزية ابن عاصم الاندلسى (تحفة الحكـام) كميارة ، وابن سودة ، والتسولي الفاسيين ، وغيرهم .

ويمتاز شرح ميـارة بالتحريـر وايراد نصـوص الاقدمين ، الامر الذى يكسب الطالب الفة لتعابير الاقدمين واصطلاحاتهم ، ويسهل عليه بالتالى الاستفادة من أمهات الكتب الفقهية .

ويمتاز شرح ابن سـودة بالاختصـار والتحريـر والاعتماد على آخر ما استقر عليه رأي فقهاء المالكية ، مما جعله كتاب دراسة فى القرويين والزيتونة بتونس وغيرهما .

ويمتاز شرح التسولي بالتحرير والاهتمام بالنوازل الواقعية والتوسع فى الموضوع من غير افراط .

ومن الموضوعـات الفقهية التى برز فيهـا الكتاب المغربي تبريزا فائقا موضوع (النوازل) أو (الفتـاوي) أو (الاجوبة) فقد كان ملوك المغرب ـ مع أن الكثير منهم كان من كبار الفقهاء ـ يستفتون الفقهاء فيما يعرض لهم من مشاكل ويلتزمون ما يفتى به الفقهاء .

واستفتاء ملوك الدولة العلويـة الفقهاء في مشاكـل السياسة الداخلية والخارجية واحتجاجهم بفتاوى الفقهاء فى مفاوضاتهم الديبلوماسية مما سارت بحديثه الركبان .

كما كان بجانب القاضى مفت خاص يعين رسميا بظهير سلطاني يستشيره القاضي في النوازل المهمـة ، كما يستفتيه الناس فى شؤونهم الدينية ، وكانت لـه بالقرويين مقصورة خاصة ، كما ان بها مقصورة للقاضى، ومقصورة للخطيب وغريفة للموقت .

وكذلك كان المتداعون يستفتون الفقهاء فى نوازلهم ، ويدلون بهذه الفتاوى للمحكمة لبيان أحقية ما يدعون . ومع مرور الايام يجتمع للفقيه عدد من الاجوبة الصادرة عنه ، فتارة يجمعها بنفسـه فى كتاب خاص ، وتـارة يجمعها غيره من تلامذته او أولاده .

ومن ذلك مثلا كتاب (الدر النثير ، في أجوبة أبي الحسن الصغير) و (الاجوبة الكبرى) و (الصغرى) لابى السعود الفاسى (وأجوبة) المسناوى ، وابن سودة ، والمجاطى ، والعلمى وبردلة ، وابن هلال ، والعباسى ، وجنون ، وغيرهم .

وفى بعض الاحيان لا يقتصر الجامع على أجوبة فرد واحد ، بل يتصدى لجمع أجوبة كثير من الفقهـاء المالكية على اختلاف بلدانهم وعصورهم .

ومن أشهر هذه المجموعات وأهمها وأفيدها كتاب (المعيار) للونشريشى التلمسانى نزيل فاس وعالمهـا ومدرسها ومفتيها ، فقد وقف بفاس فى مكتبة العلامـة القاضى محمد بن الغرديس على فتاوى فاس والاندلس ، وكانت مكتبته محتوية على تصانيف الفنون فاستعان بها الونشريسى فى تأليف (المعيار) . كمـا فى فهرسـة المنجور ، ونقله احمد بابا فى (نيل الابتهاج) (46) .

ومثل (النوازل الصغرى) و (النوازل الكبـرى) المعروفة بالمعيار الجديد . للوزاني مفتي فاس .

هذا الى جانب عدد كبير من مخطوطـات الفتاوي والنوازل ، من القسمين السابقين التى تزخر بها المكتبات المغربية وما زالت لم تطبع بعد .

ولعل الناحية الطريفة للكتاب المغربى فى الميـدان الفقهى التى انفرد بها دون بقية الاقطار الاسلامية الاخرى.

---

(46) ص 87

هي هذه الكتب التى تتضمن ما جرى به العمل فى المغرب ، مرتبا على ابواب المعاملات الفقهية ، مثل (نظم العمل المطلق) وشرحه للسجلماسي الرباطي ، و (نظم العمل الفاسي) لابى زيد الفاسي ، وسروحه للناظم ، والسجلماسي ، والبعمري ، والوزاني ، وجنون ، وغيرهم .

فمنذ سجن فقهاء المسلمين أنفسهم داخل مذهب واحد لا يتعدونه ، واجهتهم مشكلة تعدد الاقوال فى المذهب الواحد ، فحاولوا التغلب عليها باعتماد القول الراجح أو المشهور ولكن هذا الراجح أو المشهور قد يعارضه مرجح آخر ، كأن يكون فيه حرج ومشقة على الناس أو يخالف أعرافهم وما اعتادوه ، فيلجأ الفقهاء لمخالفة المشهور أو الراجح ، ويستندون الى قول آخر ضعيف ، فيصبح بجريان العمل به أقوى من الراجح أو المشهور .

وهي حيلة بارعة للتخفيف من وطأة الحلقة الحديدية الخانقة التى وضعوها فى أعناقهم عندما أغلقوا باب الاجتهاد وسجنوا انفسهم فى قفص تقليد مذهب واحد لا يتعدونه ، كما أنها من أفيد الوسائل فى تطوير الاحكام الاجتهادية .

ومع أن جمهور الفقهاء يأخذون بمبدا الارتباط بين أحكام المعاملات وأعراف الناس ، فانا لا نعرف عن غير المغاربة أنهم توسعوا فى ذلك الى الحد الذى ذكرناه . وذلك مظهر من مظاهر واقعية التفكير الفقهى عند المغاربة، مما جعلهم يجدون الحلول الاسلامية لكثير من المشاكل المستعصية ، كما فعلوا – مثلا – فى مشكلة السلف بدون فائدة ، حيث كانت بقيسارية فاس دراهم موقوفة للسلف . كما عند الشيخ التاودي ابن سودة في (شرح التحفة) (47) وهي سابقة تاريخية تفتح أفقا فسيحا التفكير من جديد فى حل اسلامى صميم لاعوص مشكلة تواجه النظام الاقتصادى الاسلامى فى العصر الحاضر .

على أن الكتاب الفقهى المغربى لم يقتصر على الناحية الواقعية العملية وحدها بل اهتم كذلك بالناحية النظرية أيضا .

ومن ذلك **الفقه المقارن** ، مثل كتاب (الآثار والدلائل) فى الخلاف بين مالك وابى حنيفة والشافعى ، لابى محمد الاصيلى نزيل الاندلس (ت 372هـ)

ومثل كتاب (تهذيب المسالك فى نصرة مذهب مالك) تاليف يوسف ابن دقناس الفندلاوى – من ناحية فاس – نزيل دمشق ودفينها ، الشهيد فى الدفاع عنها عندما هاجمها الصليبيون بسنة 543هـ في قصة رائعة أوردها ياقوت فى معجم البلدان (48) عن ابن عساكر .

وقد أشار الفندلاوي في خطبة كتابه الى طول بعض المؤلفات فى هذا الموضوع ، وعدم انصاف مؤلفيها ، قائلا : « وقلما تجد فى هذا الشأن منصفا ، أو خصما بالحق معترفا » فالف كتابه « موجزا مختصرا ، أودعه أسرارا عجيبة ، وذكر ما لنا وما علينا ، معرا من اللجج ، مؤكدا بواضح الحجج ، على منهج العدل والانصاف فيما بيننا وبين أصحاب الخلاف : أبى حنيفة والشافعى » حسب تعبيره ، ويقع فى 130 ورقة .

ومن ذلك **كتب فقه الحديث** ، مثل كتاب المهد الكبير الجامع لمعانى السنن والاحكام ، وما تضمنه موطأ مالك من الفقه والآثار ، وذكر الرواة البررة الاخيار ، وكل ذلك على سبيل الايجاز والاختصار ، تاليف أبي على بن الزهرا عمر بن علي العثمانى الورياغلى من بنى عمران من أهل القرن الثامن للهجرة .

ويقع فى واحد وخمسين مجلدا كبارا ، لم يبق منها الا عشرة أجزاء مفرقة فى القرويين والخزانة العامة بالرباط ومكتبة القصر الملكى ومكتبة ابن يوسف بمراكش ومكناس والزاوية الحمزاوية .

وذلك مثل آخر من نكبات المكتبة المغربية التى أشرنا اليها فى أول هذا الحديث .

هذا – ولم يكن تفوق الكتاب المغربى فى الميدان الفقهى قاصرا على الفقه الاسلامى وحده ، بل أنه تعداه الى **الفقه اليهودى** أيضا .

فهذا اسحاق بن يعقوب الكوهن المعروف عند فقهاء اليهود بالفاسى ، الذى ولد بقعة سلاس بالقرب من فاس أوائل القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى

---

(47) ج 2 ص 211
(48) ج 6 ص 401 طبع القاهرة

ودرس في القيروان ، ثم رجع الى فاس ، فانكب على دراسة التلمود وشروحه ووضع في فقه التلمود كتابا يقع في عشرين مجلدا استغنى به فقهاء اليهود عن الالتجاء الى مختلف الدراسات الاخرى المتعلقة بالتلمود وشروحه حتى اعتبره بعضهم بمنزلة تلمود ثان .

وخلف الى جانب ذلك مجموعة من الفتاوى باللغة العربية تشتمل على ثلاثمائة وعشرين فتوى .

وقد ترجمها الى العبرانية ابراهيم هاليوى ابو قراط . ولا زال بعضها موجودا بالعربية الى الآن . كما كتب باللغة العربية كتابا مطولا يتعلق بثلاث نقط فقهية موجودة في التلمود .

وفي الربع الاخير من القرن الخامس الهجرى الحادي عشر الميلادي ذهب الفاسي الى الاندلس حيث اقام في قرطبة ثم في غرناطة ، واخيرا استقر في اليوسلنة من اعمال قرطبة حيث أسس هناك معهدا للدراسات العليا التلمودية اشتهر اشتهارا كبيرا ، وامه الطلاب من كل الجهات ، وبقي هناك الى أن توفي أواخر القرن الخامس هـ أوائل الثاني عشر م .

ولا يزال الفاسى الى يومنا هذا معتبرا من أعظم الفقهاء المعتمدين لدى اليهود كما يتجلى ذلك بوضوح في كتاب (المقارنات والمقابلات) لمحمد صبرى ، وهو الذى لفت نظرى اليه . وفي كتاب (العلم عند العرب ، وأثره في تطور العلم العالمي) للعالم الايطالى ألدو ميبلى .

حديث عنه (49) ثم كتب لى بتفصيل خبره أستاذ يهودى من قدماء طلبتي بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط .

وليس معنى هذه الفذلكة المختزلة المبتسرة عن تبريز الكتاب المغربي في الميدان الفقهي القانوني أن الكتاب المغربي كتاب فقه ليس الا ، فمع ما للميدان الفقهى من اهمية بالغة وقيمة كبيرة في تنظيم حياة الامة وحفظ حقوق أفرادها فاننا قد قدمنا أن الكتاب المغربي ساهم في سائر الميادين التي ساهم فيها الكتاب العربي . وقدمنا أسماء طائفة من الكتب المغربية في موضوعات مختلفة تجاوزت في القديم والحديث النطاق المحلى ودخلت في صميم التراث العربي العام . ويكفى أن أشير الى قول صاحب (كشف الظنون) عن (كتاب جامع المبادىء والغايات في علم الميقات) لابى على الحسن المراكشي — وقد قدمنا ذكره — : وهو أعظم ما صنف في هذا الفن ! (50) .

ويوجد الى جانب تلك الكتب كتب مغربية برزت في ميادينا تبريزا فائقا ، ولم تتيسر لها الفرص المناسبة لتنشر خارج المغرب وتقدر هناك التقدير اللائق بها . ولكن المجال الضيق لهذا الحديث لا يسمح بالتوسع في هذا الموضوع .

ولكنا قصدنا الى تجلية هذه الناحية الفقهية بصفة خاصة . لنلفت النظر الى ما امتازت به العقلية المغربية من التبريز في ميدان التفكير القانوني ، وما ينتظر منها من المساهمة المنتجة في نهضة الفقه الاسلامي الحديثة في جامعات مصر وسوريا ولبنان والعراق عندما تتحرر البلاد من احتلال القوانين الاجنبية التى وضعها أعداء البلاد أثناء فترة الاحتلال الاجنبى البغيض ، في نطاق المخطط الاستعماري الاجرامي لقطع صلة الامة بدينها القويم وماضيها المجيد ، وحضارتها وثقافتها وروابطها الفكرية المتينة مع بقية الاقطار العربية ومحو شخصيتها وتمتين الاغلال التى تمسك بخناقها في حضيض الاستعمار الروحي ، وعار الاحتلال الفكرى ، وخزي التبعية الثقافية .

فمع ما في بقاء هذه القوانين الاجنبية من اهانة للامة ودوس لكرامتها الوطنية فان أمة لها هذا التراث الفقهي الضخم والماضي القانوني المجيد ، لا يجوز أن تقطع صلتها بهذا الماضى المشرق الوضاء وتصبح عالة على أعدائها في فقه يرجع في أصله الى الوثنية الرومانية وقد طبعته المسيحية والالحاد اللذان سيطرا على فرنسا في حقبتين مختلفتين بطابعهما الخاص .

هذا الى أنه لا يتصل بحياة الامة وعقليتها وطبيعتها وحضارتها .

وقد سبق لرائد الفكر الاسلامي الحديث الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله أن نبه الى الصلة التى يجب أن تكون بين ما يشرع للامة من قوانين وبين

(49) ص 308

(50) ج 1 ضلع 572 طبع استنبول 1360 هـ 1941 م

احوال الامة وطبائعها وعاداتها واخلاقها ، فرب قانون يلائم مصالح قوم لا يلائم مصالح آخرين فينفع أولئك ويضر بهؤلاء .

ونحن ـ وان كنا من غلاة المتطرفين فى الدعوة الى الاجتهاد والاستقلال فى التفكير ومسايرة التطور والتجديد ، والاستفادة من تجارب الامم المتقدمة فى ميادين التنظيم والتسيير ، ومحاربة الجمود والتقليد والتعصب المذهبى ، ونعتبر ذلك شرطا أساسيا للانبعاث الاسلامى المنشود ، والقضاء على الرجعية والامعية والتخلف الفكرى والكسل العقلى ـ فاننا نريد تجديدا اسلاميا فى نطاق الاسلام وفى دائرته ، لا تقليدا كفريا أجنبيا ، ومعاذ الله أن ننكر الجمود على ما قاله الائمة السابقون ونقبل الجمود على ما شرعه الاعداء الكافرون المستعمرون .

على أنه مما لا مجال للجدال فيه أن فقهنا فى حاجة الى تقنين ، والى كتب جديدة يضعها فقهاء متخصصون في دراسة الشريعة الاسلامية ، متبحرون في معرفة مصادرها وأصولها ومذاهبها ، متعمقون فى أسرارها وحكمها وفلسفتها يعرضونه بلهجة العصر وأسلوبه وعقليته وروحه ويواجهون حاجياته المستجدة ، بعد أن لم تبق الكتب القديمة صالحة لسد هذا الفراغ .

ولنعد الى موضوع الكتاب المغربى فنقول : ان من الحق أن هناك كتبا مغربية لا ينطبق عليها ما قلناه عن الكتاب الفقهى ، من أن الغالب عليه التحرير ، والتحرى فى النقل والتعمق فى البحث والاصالة فى التفكير ومن ذلك مثلا كتب المناقب والفضائل والغيبيات وما اشبهها ، فان الغالب على الكتاب المغربى فيها التساهل وعدم الاهتمام بالتحرى والنقد والتحميص ولو كان مؤلفه من كبار الاعلام .

على ان من الحق كذلك أن نقول أن ذلك ليس من خواص الكتاب المغربى وحده ، بل هي ظاهرة عامة فى الكتاب العربي في هذه الموضوعات ذي الاغلب الاعم .

وقد كان من أثار حفظ الله للمغرب من الاحتلال التركى أن بقيت حالة اللغة العربية فى المغرب سليمة فلم تصب بما أصيبت به فى بقية البلاد العربية الاخرى .

قال الرحالة التونسى الشيخ محمد بيرم فى (صفوة الاعتبار) (51) : ولعمرى ان صناعة الانشاء فى الدولة باللغة العربية كانت الآن ان تكون مقصورة على دولة مراكش . واما غيرها من الدول العربية فقد تذبذبوا، وكانت كتابتهم أن تخرج عن الاسلوب العربى ، بل صاروا لا يتحاشون عن اللحن والكلمات البربرية ، بخلاف كتاب المغرب ، وهذا ديدنهم من قديم .

الزخرفة فى الكتاب المغربى :

وكما اهتم المغاربة بموضوع الكتاب ، فقد اهتموا كذلك بمظهر الكتاب ، فكان لهم فن جميل خاص فيما يتعلق بنسخ الكتب وزخرفتها ، وتزيينها بالصور أحيانا ، وبالاشكال الهندسية والذهب والالوان سواء فى صلب الكتاب ، وهوامشه ، وأطرافه أو فى تسفيره .

ففى مكتبة القصر الملكى بالرباط قطعة من كتاب فى البيطرة لمؤلف مجهول . لا أول لها ولا آخر وهي بخط مغربى جميل ملون . وفيها أربع صور :

1) تمثل فرسا بيضاء ، ملجمة . وسائسها فاتح فمها يقلب أسنانها .

2) تمثل فرسا قهوية اللون بيضاء الاطراف ، مربوطة من حافرها الاول الايمن .

3) تمثل فرسا بها برص

4) تمثل حصانا قد أقفز على حجرة وراسها فى يد سائسها ، وهي مشكلة الاربع ، وقد قبلت الفحل ولم تنفر منه أصلا . ـ والعبارات فى وصف هذه الصورة الرابعة للمؤلف ـ

قال المؤلف : ويكون وراءها فى الورقة التى تلى هذه الورقة ، وهي نتاجها .

ولكن هذه الورقة التى أحال عليها غير موجودة فى هذه القطعة ، وهي تحت رقم 6126م .

ومن هنا الكتاب أيضا قطعة أخرى فيها صورتان ملونتان جميلتان :

تمثل احداهما فرسا دهماء ادخل بيطار في

---

(51) ج 1 ص 21

رحمها متانة وهو ينفخ فيها . ويمسك بلجامها رجل جالس على مصطبة من جلد .

وتمثل الثانية حصانا أبيض يسقيه بيطار دواء في قرن بقرى طويل . وقد ارتفع البيطار فوق دكة ليصل الى فم الحصان والبيطار يرتدى قميصا مغربيا ودراعه مغربية فوقها كساء مخطط ، وفوق رأسه عمامة مغربية ، وهي تحت رقم 1016 .

واخبرنى كتبى أنه كان يملك عدة كراريس من مخطوط مغربى فى البيطرة يرجع تاريخ نسخه الى حوالي أربعة قرون . وفيه صور كثيرة للخيول فى أوضاع واشكال مختلفة .

كما أخبرنى الاستاذ المنونى أنه يملك نسخة من كليلة ودمنة فى حجم كبير بخط مغربى ردىء مجدول ملون كتبت للباشا سعيد بن العياشى ابن عبد السلام ، وبها ثمان صور غير متقنة لحيوانات .

وكان المستعرب الايطالى ليفى دلآفيدا قد أوقفنى فى منزله بروما صيف 1959م على قطعة من قصة مصورة بعنوان (بياض ورياض) قائلا انها المصور المغربى الوحيد بمكتبة الفاتيكان وهي قصة شاب اسمه بياض ، من أسرة كريمة من دمشق ساح فى البلاد وقابل فتاة اسمها رياض على شاطىء نهر يسمى طرطر فهام بها واصابته محن وحرمان ، ويتضمن النص الاشارة الى ثلاث عشرة صورة ، حيث يذكر فى كل موضع عنوان الصورة التى تمثل منظر الحادثة التى يوردها ولكن لا يوجد بالنص الآن الا تسع صور وتعتبر الاربع الاخرى ضائعة .

وقد نشرت الجمعية الاسبانية الامريكية هذه القصة مصورة عن الاصل الموجود بالفاتيكان بخطه المغربى الجميل . فى مطبعة جريدة الهدى اليومية الامريكية فى نيويورك مع ترجمة اسبانية بقلم الدكتور أ.ر. نيكل سنة 1941 .

ثم اننى وقفت فى كتاب (الفن والفنانون المسلمون) لانطونيو غارسيا خاين على ثلاث صور من القصة المذكورة قائلا انها قصة اسبانية (52) .

وتحدث الدكتور جمال محرز فى كتيبه (التصوير الاسلامى ومدارسه) عن هذه القصة على انها أندلسية ، وقال انها من القرن الثامن الهجرى للميلاد (53) .

وفى كتاب (العز والمنافع ، للمجاهدين بالمدافع) الذي الفه بالاسبانية ابراهيم بن احمد بن غانم بن محمد ابن زكرياء الاندلسي وترجمه عن الاسبانية ترجمان السلطان زيدان السعدي وأولاده احمد بن قاسم بن احمد ابن قاسم الحجري . حوالي ثمانين صورة تتضمن جميع أشكال المدافع وآلات الحروب القديمة على اختلاف أنواعها .

ويوجد بخط مؤلفه فى الخزانة العامة بالرباط (54) وفى تركيا ، وفى دار الكتب المصرية ، ومنه نسخة فى مكتبة القصر الملكى بالرباط (55) وكانت توجد منه نسخة بالقرويين ولكنها ضاعت .

وهذا الكتاب هو أول كتاب ترجم للعربية فى الموضوع ومنه تعلم ملوك تونس أعمال المدافع والبارود وآلات الحرب .

وذكر احمد تيمور فى كتاب (التصوير عند العرب) أن عنده (نزهة المشتاق) للشريف الادريسى وبه مصورات كثيرة (56) .

ونبذة فى هول يوم القيامة منقولة من ذخيرة المحتاج) مغربية الخط بها صورة خيالية لجهنم وأوديتها وهي بالحمرة والسواد (57) .

قال : ولا يذهب عن الدهن تصوير الحرمين فى دلائل الخيرات . وما امتازت به بعض نسخها من الاتقان في الزخرفة والتذهيب وقد اطلعنا على نسخ منها مشرقية ومغربية غريبة الصناعة ، بالغة النهاية فى جودة التصوير والنقش (58) .

وفى الخزانة العامة أزيد من خمس نسخ من جزء (ذخيرة المحتاج) عن المعراج الحسى وفيه صورة سدرة المنتهى ، وقلم القدرة النورانى — واللوح المحفوظ الربانى ، وصورة الجنان (59) .

هذا ما يتعلق بالتصوير فى الكتاب المغربى .

وطبيعى فى مجتمع يهتم بالعلم والدرس وليس به مطابع ولا آلات للكتابة ، ان تزدهر النساخة بين الطلبة والعلماء والمثقفين .

---

(52) ص 48—49 (53) ص 43—44 (54) رقم ج 85 (55) رقم 2646 م (56) ص 45 (57) ص 45 (58) ص 59
(59) الارقام ك 2776 ك 2768 ، ك 2764 ، ج 518 ،ج 510

وقد حدثنا على بن ميمون الغمارى دفين لبنان فى (رسالة الاخوان من أهل الفقه وحملة القرآن) التى كتبها بصالحية دمشق سنة 915هـ 1519م . ووجهها لاخوانه بفاس : انه عندما كان بفاس ـ التى قال عنها انه لما أتى إليها من غمارة حوالي 867هـ 1463م وجدها روضة من رياض الجنة . ـ كان مولعا بالنسخ . فنسخ في علم الفقه وفي علم الفرائض والحساب كتبا أمهات وشروحا ، وفى علم الشعر والقوافى أما وشرحا وفى علم التوحيد كذلك أما وشرحا ، وفى علم الهيئة ، وفى علم الوقت والتعديل ، والطلسمات ، وعلم الاوفاق وسر الحرف ، والبسط والكسر ، وشيئا من كتب البونى ، والمساحات ، وتجارب الفرس ، وغير ذلك (60) وقد اهتمت كتب التربية والتعليم المغربية ـ او كتب اداب طالب العلم كما كانوا يسمونها بآداب النساخة وقواعدها مثل (قانون) اليوسى . ومنظومة (سراج طالب العلوم) للعربى المستارى وشرحها (طراز الذهب المرقوم) لوالدي أبى العباس أحمد بن جعفر الكتانى رحمه الله . وشرحها (الابتهاج) لشيخنا أبى العباس البلغيثى رحمه الله .

وفيها يوصى الناسخ : بتجويد المداد وتحسين الحروف ، وتقويم السطور ، وتوفير البياض بين السطرين ، والتفرقة بين خط المتن وخط الشرح ، وان يكتب بالحمرة تراجم الكتاب وما أشبهها وتغليظ الحروف إن اتحد اللون ، وباتخاذ سكين لبري القلم وبشر ما يقع فى الكتابة من زيادة حرف أو تحريف ، ويحذره من المبالغة فى ترقيق القلم ، ومن المحو والاكثار من الضرب أي التشطيب ويامره أن يصلح ما يجده فى الاصل المنتسخ منه من لحن ظاهر اذا كان عند الناسخ من العلم ما يؤهله لذلك ، وأما ما كان غير واضح فليكتب عليه (كذا) أو يترك محله بياضا حتى يعثر على أصل صحيح يعتمد عليه .

واخبرنى الاستاذ العابد الفاسى انه وقف على رسالة من عصر السعديين في موضوع الاصباغ والالوان وأنواع المداد والاقلام التى يكتب بها كل موضوع على حدة .

والى جانب معامل الورق الكثيرة التى قال صاحب (القرطاس) انه كان منها بفاس أواخر القرن 6 وأوائل 7هـ ، أواخر 12 وأوائل 13م أربعمائة حجر (61) فقد كانت صناعة نسخ الكتب صناعة رائجة يتعيش منها أقوام لهم خطوط جيدة ويحسنون تزويق الكتب وتذهيبها وزخرفتها او يكلون التزويق الى من يحسنه . وكان بالقصر الملكى موظفون خاصون بالنسخ والتزويق .

وكان من كبار العلماء من لهم خطوط جميلة ويحترفون صناعة نسخ الكتب يتعيشون منها وكان الناس يتغالون فى شراء ما ينسخه هؤلاء العلماء من كتب ، لانهم عرفوا بتحريهم تصحيح ما ينسخون .

بل كان الملوك والامراء والرؤساء والاغنياء يعتنون بنسخ المصاحف وكتب الحديث والسيرة النبوية ، ويبالغون فى زخرفتها تقربا الى الله ، وتخليدا لاسمهم ومنهم من كان يوقفها على مكتبات المساجد ، وخصوصا الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى كما هو معلوم .

وفى مكتبة ابن يوسف بمراكش شذرات من مصحف على رق الغزال تحت رقم 433 كتبها سنة 604 عمر المرتضى آخر ملوك الموحدين فى عشرة أجزاء ، وفى آخر الجزء الخامس صفحتان مكتوبتان بالذهب محاطتان باطار مذهب ، وبعدها لوحة مذهبة ملونة ، وتوجد منه قطع بمتحف الاوداية بالرباط .

وقد تحدث المؤرخون المغاربة والمشارقة من قدماء ومحدثين ، كابن خلدون والخطيب ابن مرزوق ، والمقريزى وابن نباتة والناصرى ومخلص والمنونى عن مصاحف أبى الحسن المرينى الثلاثية التى كتبها بيده فى رق الغزال ، بمداد من فتيت المسك وعطر الورد ، وربما أضيف اليها فى بعض الاحيان الزعفران الشعرى ، وكل واحد منها فى 30 جزءا ، وجمع الوراقين لتنميقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتهذيبها ، وصنع لها أوعية من الابنوس والعاج والصندل فائقة الصنعة مغشاة بصفائح الذهب مرصعة بالجوهر والياقوت ، واتخذ لها أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم اديمها بخطوط الذهب ، ومن فوقها غلافات الحرير والديباج واغشية الكتان ، وأوقف نسخة منها بالحرم المكى ، ونسخة ثانية

(60) راجع في الخزانة العامة بالرباط الارقام : (1780ق، 95ك، 1052)
(61) ص 49 طبع حجر بفاس

على المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، وثالثة على المسجد الاقصى بالقدس الشريف (62) .

وقد وقفت على ما بقي من أجزاء النسخة الثالثة بالمتحف الاسلامي بالقدس الشريف عندما زرته أول مرة أواخر سنة 1959م .

وفى الاسكوريال مصحف بخط المنصور السعدى كتبه بمحلول العنبر وماء الورد حسبما ذكر فى آخره .

وقد اهتم المغاربة اهتماما فائقا بزخرفة وتذهيب وتزويق المصاحف الكريمة وكتب الحديث النبوى الشريف وخصوصا الصحيحين ، وكتب السيرة النبوية ككتاب الشفا لعياض ، وشمائل الترمذى ، والاكتفا للكلاعى وكتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ككتاب دلائل الخيرات للجزولى وذخيرة المحتاج للمعطى الشرقى البجعدى ، والامداح النبوية ، كبردة البوصيرى وهمزيته، ولامية كعب بن زهير ، ووتريات البغدادى وما أشبه ذلك .

بل ان كتب القصر الملكى تجاوزت ذلك الى زخرفة كتب الطب والصيدلة والهندسة والادب والتاريخ والكيمياء والرحلات وغيرها .

وهكذا تملك المكتبة المغربية ثروة ضخمة جدا من الكتب المزخرفة والمذهبة والملونة الرائعة ، تبلغ آلاف المجلدات ، وتعتبر من أعظم ذخائر الحضارة الانسانية على العموم .

وقد بقيت صناعة النساخة مزدهرة بالمغرب ، وعلى الخصوص بفاس ومكناس الى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وكذلك ازدهرت بالمغرب صناعة زخرفة الجلد ونقشه وتذهيبه وحفره ازدهارا كبيرا ، وكان بفاس – وما زال – سفارون ماهرون ، حتى ألف احمد بن محمد السفياني رسالة فى تسفير الكتب وحل الذهب ، كما كان بالقصر الملكى موظفون خاصون بذلك .

وقد اكتسب جلد الكتاب عند المغاربة الاحترام والتعظيم تبعا للكتاب ، فجاء فى المثل الدارج ، (على وجه الكتاب تباس الجلدة) أي تقبل .

ناهيك أن بعض اللغات الاوربية – كالفرنسية مثلا اشتقت من كلمة (المغرب) (ماروك Maroc) وصف (مغربى) مجردا عن ذكر الموصوف Maroquin مرادا به الجلد المستعمل للتجليد الجميل ثم اشتقت من الكلمة كلمة ماروكينورى Maroquinerie للدلالة على مختلف الصناعات الجلدية وعلى تجارة الجلد، والمكان الذى يصنع فيه ، وصاغت منها وصف (ماروكينيى Maroquinier لصانع الجلد وبائعه .

وتلك احدى مظاهر تاثير الكتاب المغربي خارج المغرب .

ومن أبرز ذلك أيضا هذه الارقام العربية التى علمناها لاهل أوربا فاستبدلوها بارقامهم الرومانية واحتفظوا لها فيما بينهم باسم الارقام العربية .

وقد أشار القلقشندى فى (صبح الاعشى) إلى أن كتابة الامم السودانية مثل مالى والتكرور وغيرهم هي بالخط العربى على طريقة المغاربة (63) .

وذكر عبد الفتاح عبادة فى كتاب (انتشار الخط العربى) أنه تولد من الخط الفاسى خط جديد انتشر فى جميع أنحاء السودان ، وذلك لانتشار الاسلام فى تلك الاصقاع على يد أهل المغرب (64) .

وقال الدكتور حسن احمد يوسف السودانى فى الكلمة التى ألقاها باسم الجمهورية السودانية في المؤتمر الاقليمى الاول بفاس للجان الوطنية العربية لليونسكو سنة 1377هـ 1958م : فاثر المغرب فى السودان واضح فى كل مكان : علمه القديم يدرس فى المساجد وأثره واضح فى الحياة الدينية فى كل نواحيها) (65) وذكر صديقنا المرحوم الدكتور عبد العزيز أمين عبد المجيد فى أطروحته الجامعية (التربية فى السودان من أول القرن السادس عشر الى نهاية القرن الثامن عشر) : أن من كتب الدراسة فى السودان (النيلى) : الاجرومية ، ومتن الخراز ، كما ذكر دلائل الخيرات ، ووظيفة الشاذلى وأحزابه والطرق الناصرية ، والتيجانية والاحمدية

(62) راجع مثلا الناصرى : الاستقصا ج ص 127–131

(63) ج 5 ص 298 (64) ص 76–79 (65) المؤتمر الاقليمى ص 71 طبع الرباط

أو الادريسية المنسوبة لاحمد بن ادريس الميسورى نزيل عسير (66) .

كما تحدث الاستاذ عبد المجيد عابدين المدرس بكلية الخرطوم الجامعية في كتابه (الثقافة العربية بالسودان منذ نشأتها الى العصر الحديث) عن أن المغرب كان منبعا من منابع الثقافة الاسلامية في السودان ، بواسطة القبائل العربية المغربية (ص 40) وبواسطة العلماء المغاربة (ص 55 – 56) والطرق الصوفية : كالشاذلية (ص 64) وطريقة السيد احمد بن ادريس الفاسي بواسطة تلميذه محمد الامير غني الذي أرسله الى السودان فنجحت دعوته نجاحا تاما ، وبواسطة غيره من تلامذته الذين أخذوا عنه بمكة (ص 96–97) والطريقة التيجانية ، والرحمانية التي هي فرع من الدرقاوية ، والطريقة البدوية نسبة لسيدي احمد البدوي الفاسي دفين طنطا (ص 98–99)

ونكر لى صديقنا الاستاذ الصديق ابن العربى : أن المستعرب الفرنسى جان بيرك اخبره أنه لاحظ فى مكتبتى المهدى والمرغينى بالخرطوم أن اغلب كتبها بالخط المغربى .

ومن رجع الى مؤلفات أهل تمبكتو وسوكوتو مثلا ، مثل مؤلفات احمد بابا السودانى ، والشيخ المختار الكنتى ، وولده محمد وحفيده احمد البكاي ، وسلطان سوكوتو محمد بيلو بن السلطان عثمان انفوديو الفلاني ونحوها رأى الى أي مدى بلغ تأثير الكتاب المغربى فى هذه الاقطار .

وفى رسالة (افريقيا الغربية فى ظل الاسلام) ، للاستاذ السورى نعيم قداح الذى عمل مدرسا للغة العربية فى جمهورية غينيا سنة 1960 ، اشارات كثيرة الى أثر الثقافة العربية المغربية فى افريقيا الغربية .

مثل انتقال حب المغاربة للنحو والصرف الى الافريقيين ، لان كثيرا من كتب النحو قد حملها الاساتذة العرب الى أفريقيا الغربية فيما أدخلوه الى تلك الاصقاع (67) .

وأن الدراسات الاسلامية الابتدائية هناك تغذى المراحل العليا فى تمبوكتو وفاس والقاهرة فيما اذا أراد الطالب متابعة تحصيله (68) .

وان التعليم فى أول أمره كان محصورا بالاساتذة العرب القادمين من شمال افريقيا ، وبعد مضي مدة تكونت طبقة مثقفة من الافريقيين تولت مهمة التعليم بعد أن تخرجت من المدامس العربية فى المغرب ومصر (69) .

وان فرنسا وبريطانيا رائدتي الاستعمار فى افريقيا الغربية لم تستطيعا تحويل أنظار الافريقيين عن فاس وتونس والقاهرة ومكة (70) .

– وذكر الشيخ محمد البشير النيفر التونسي : أن تونس ، بعد الحملة الاسبانية عليها ، سنة 981هـ 1573م وحريق مكتبتها الاسلامية أعادت تجديد ثقافتها بالاستمداد من مصر ومن المغرب الاقصى .

وعندما زار جلالة الملك الحسن الثانى جامع الزيتونة المعظم (يوم الاربعاء 4 شعبان 1384هـ 9 ديسامبر 1964م ارتجل بين يدي جلالته عميد كلية الشريعة بها صديقنا الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور خطابا أشاد فيه بالدور العظيم الذى قام به علماء المغرب فى تنوير الرأي العام التونسى ونشر المعرفة والثقافة العربية والعلوم الاسلامية بين التونسيين ، وقال :

أن كل شيء فى هذه الجامعة يذكر بالمغرب فابن عاشر ، وميارة ، وابن آجروم والشيخ المكودى وابن برى والخراز كلهم يذكرون التونسيين بالمغرب وأبو الحسن الصغير ، والتسولى ، والشيخ التاودى ابن سودة، وبنانى والرهونى يذكرون بالمستوى العالى العلمى بالمغرب .

وان خزائن هذا المسجد ومكتباته العلمية المشتملة على الآلاف من الذخائر العلمية لتذكر مطالعها باجتهاد علماء المغرب فى نشر الفكر والثقافة الاسلامية وتوسيع نطاق الثقافة العربية بهذه البلاد .

وقال الشيخ ابن عاشور : اننا مدينون فى هذا الميدان للمغرب بكل شيء ، فنحن نقرأ القرآن بوقف الهبطي الفاسى ، ونصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلاوة دلائل الخيرات للجزولى ، ونتفهم فضائل النبي

(66) ج 1 ص 154،155 ، 156 ، 158 ، 242 ، 245 (67) ص 145 (68) ص 145
(69) ص 143 و 142 ت (70) ص 152

صلى الله عليه وسلم وما خصه الله به من مكارم الاخلاق بواسطة كتاب الشفا للقاضي عياض ، كما ان رواية علماء تونس الحديث كلها تتصل في القديم والحديث بعلماء مغاربة من عهد دراس بن اسماعيل وأبي عمران الفاسيين .

ثم وضع بين يدي جلالته واحدا من عشرات الكتب الدينية والادبية التي يجد علماء تونس في مطالعتها متعة . وفي مراجعتها خير اداة لفهم العلم وتحصيله ، وهو مجموع يضم اربعة من مؤلفات السلطان محمد ابن عبد الله الذي كان صاحب مذهب كبير ومدرسة حديثية ممتازة (71) .

وأما أثر الكتاب المغربي في مصر ، فنكتفي منه بذكر ... واحد يغني عما عداه ، وهو ما حكاه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فيما كتبه من ترجمته الشخصية، عن نفوره من العلم في بدء طلبه له بتلقي شرح الكفراوي على الاجرومية وقضاءه سنة ونصفا لا يفهم شيئا ، لرداءة طريقة التعليم . وفراره الى الشيخ درويش أحد اخوال أبيه الذي جاءه بكتاب وساله ان يقرأ له شيئا منه لضعف بصره ، قال : « فدفعت طلبه بشدة ، ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ، ونفرت منه اشد النفور ، ولما وضع الكتاب بين يدي رميته الى بعيد » لكن الشيخ تبسم ، ولم يزل به حتى اخذ الكتاب وقرأ منه بضعة أسطر . فاندفع الشيخ درويش يفسر له معاني ما قرأ بعبارة واضحة ، تغالب أعراضه فتغلبه وتسبق الى نفسه .

وفعل في اليوم الثاني كما فعل في اليوم الاول ، أما اليوم الثالث فبقي يقرأ له وهو يشرح له معاني ما يقرا نحو ثلاث ساعات .

قال : « ولم يات على اليوم الخامس الا وقد صار أبغض شيء الي ما كنت أحبه من لعب ولهو ، وفخفخة وزهو ، وعاد أحب شيء الى ما كنت ابغضه من مطالعة وفهم » .

وكان الكتاب الذي جاءه به الشيخ درويش ليقرأه له بخط مغربي دقيق (72) .

على أن التعرف بتدقيق على أثر الكتاب المغربي خارج المغرب ، يتوقف على ارسال بعثات ثقافية لمختلف البلاد لتقصى آثار الصلات الثقافية بينها وبين المغرب في مختلف العصور .

هذه نظرة خاطفة عن الكتاب المغربي وقيمته ، ينقصها كثير من التفصيل وضرب الامثلة وايراد الحجج والشواهد مما لا يتسع له الوقت الضيق المحدد لهذا الحديث بينما الموضوع شاسع الاطراف فسيح الجوانب يتسع الكلام فيه للمجلدات الضخمة العديدة .

وختاما نتمنى من صميم افئدتنا أن تتحرر بلادنا في القريب العاجل ، من وطاة الاستعمار الفكري وعار الاحتلال اللغوي ، وخزي التبعية الثقافية ، حتى يستطيع الكتاب المغربي العودة من جديد لمواصلة رسالته الدينية والعلمية والثقافية والحضارية في الداخل والخارج ، كجزء لا يتجزأ من الكتاب العربي ، له طابعه الخاص وشخصيته المتميزة ، فتتحقق من جديد وحدة الكتاب العربي ، وبالتالي وحدة الثقافة العربية ، كما تحققت من قبل في القرون الخالية ، والاجيال الماضية وما ذلك على همة ووطنية الامة المغربية العربية المسلمة المكافحة ببعيد بحول الله .

محمد ابراهيم الكتاني

---

(71) من المؤسف ان كتاب (سبعة ايام في تونس) أهمل تسجيل خطاب الشيخ ابن عاشور والجواب القيم الذي ارتجله جلالته (ص 55)

(72) محمد رشيد رضى : تاريخ الاستاذ الامام ج 1 ص 20–24 .

الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية وأثرها في بلورة النهضة الثقافية

بقلم عبدالله الحصين

مدير التعليم بمنطقة الطائف وممثل المملكة العربية السعودية في موسم الكتاب

اتوجه بالشكر والتقدير الى المكتب الدائم للتعريب حيث أتاح لنا شرف هذا اللقاء على أرض المغرب الشقيق الذي يفتح ذراعيه لاخوانه ويقيم حاضره على دعائم قوية من العلم والمعرفة .

والمملكة العربية السعودية التي تشرف وفدها بحضور الموسم الثقافي وأسبوع الكتاب العربي في المغرب العربي الشقيق ترى في التقاء الاخوة على صعيد المعرفة التقاء للماضي العريق الذي يحتضن تاريخ العروبة منذ ان كان المغرب العربي حامل مشعل الانطلاق ومنذ ان كان المشرق العربي رائد تلك الانطلاقة ، منذ ان حمل العرب في الجزيرة العربية لواء الهداية . ومنذ ان حمل الفاتحون العرب لواء الثقافة ومنذ أن عبر طارق بن زياد امواج البحار يدفع علم الحرية ويرس دعائم الحق وينير للشعوب دروب العزة والكرامة . منذ أن سارت قوافل الزحف العربي الاسلامي على يد موسى بن نصير ورفاقه الابرار وهي انحناءات في التاريخ تعبر بالذهن عبر مسارب الزمن من فترة الى فترة لكي تحقق التقاء المنبع بالمصب ، التقاء المغرب العربي الناهض بالمشرق العربي المنطلق .

لقد حفل التاريخ العربي بصور انتفاضات ضخمة مرت بها البلاد العربية وكل حديث عن العرب هو امتداد للحديث عن قلب الامة العربية — الجزيرة العربية الام — المدرسة الاولى التي حملت عن العرب الى العالم ارتسامات الانطلاق الفكري الاسلامي .

والحديث عن الحركة الادبية او عن التطور الثقافي في المملكة العربية السعودية ، هو حديث عن الروافد الفكرية التي ترسم ملامح الحركة الادبية على رمال المملكة العربية السعودية تعني الحديث عن الانطباعات المتلاحقة التي مرت بها الجزيرة العربية من ماض عريق في القدم الى حاضر يتحضر لمواصلة الانطلاق الفكري على أبعاد يحددها تاريخ المملكة العربية السعودية المعاصر ولكي نحدد بالكلمة مراحل الانطلاق ولو بصورة مقتضبة لابد أن نستلهم الماضي العريق الذي بدأت فيه منافذ الاشعاع تتسرب على هضاب الجزيرة وتخطر على رمالها قصة بعث حافل بالقيم الانسانية واذا كان التاريخ القديم الذي سبق الفترة الاخيرة من وثبة الجزيرة العربية وهي فترة ما قبل البعثة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة وأزكى التسليم ، قد القى ستارا من النسيان على ما سبقها من فترات لم يستطع تاريخ الجزيرة العربية أن يحدد ملامحه عن كثب أو يعطي عنه صورا واضحة للمستوى الثقافي الذي صاحب تلك الفترات لنرى بعد ذلك الى أي حد كانت فعالية القيم الفكرية التي عاشت على أديم الجزيرة العربية .

واذا كان الادب الجاهلي ثم قد حفل بصور

عديدة لمستويات مختلفة تشكل في تقاربها أو تلونها أو تباينها الوانا من الفن العربي شعرا كان أو نثرا فان التاريخ لم يشر الى ما سبق البعثة ـ أقول ، لم يشر التاريخ الى حقائق يمكن أن تمد الباحث بالعديد من الصور والنصوص التي يرجع اليها عن تلكم الفترات . ومن ذلك المنطلق شكلت المعلومات التاريخية التي جمعت من تلك الفترات زادا لم يعن الباحثين طويلا فكانت الصور تهتز دائما تحت مجهر التمحيص والاستقصاء ، واذا كانت تلك الصور رغم امتزازهـا قد دفعت بالباحثين عن التراث العربي القديم الى ايجاز ما قدموه من معلومات استنادا الى الوقفات القصيرة التي لم تملك القدرة على عكس كل الانفعالات التي انصهرت على رمال الجزيرة العربية في تلك الحقبة من الزمن .

ولكي تتصل حلقات الحديث عن ذلكم الماضي المعمن في القدم لا بد أن نقف لحظات أمام الفترة التي سبقت البعثة الاسلامية وهي الفترة التي أجمع مؤرخو الثقافة العربية على انها الفترة الذهبية بالنسبة لنمو الثقافة الجاهلية عند العرب رغم ما في هذين التعبيرين من تضارب اعنى ثقافة وجاهلية ـ فالعرب كانت لهم مقومات مد بياني فطري في جزيرتهم هو تراثهم الادبي الذي ظلت الاجيال تتناقله جيلا بعد جيل وهو الادب الجاهلي الذي صور كل الانطباعات عند العرب في جزيرتهم وعكس واقعية الحياة وصور البيئة القاحلة التي اذا شح فيها الرواة حينا فانها قد تدفقت بكل معطيات الحياة وتحملت مسؤولية التعبير عن ارادة الانسان الحر الذي حمل مع السلاح راية الحرية ومن هنا نلمس ولاول وهلة أن الادب الجاهلي قد حفل بالمصطلحات الضخمة ورسم بالكلمة خطوط الصور الفنية أو ما يعبر عنه « بالكلاسيكية » التي ارتبطت بالذات العربية في تلك الفترة من ماضي العرب .

واذا كانت طبيعة الحياة عند العرب في جزيرتهم حينذاك تتسم بالعفوية في اشكالها وتصل الى مرحلة الانعدام الحضاري في تلك الفترات فقد خلت أيضا من المقومات والامكانيات الاعلامية التي يمكن أن تسهم في نشر تلك الالوان الفكرية والفنية الا ان تلك الاثمار ظلت في مأمن من التسويف والتزييف والنسيان وظلت صور المعلقات العشر لشعراء زهير بن أبي سلمى ، ولامرىء القيس ، والنابغة الذبياني ، والاعشى قيس ، وعمر بن كلثوم ، والحارث بن حلزة الشكرى ، وطرفة بن العبد البكري وغيرهم صورا حية ودلالة يرى فيها القادمون الى مكة الوانا من المعطيات الفنية والادبية وشكلا من الوان المد الثقافي لتلك الفترة وان لم تكن المعلقات هي كل ما يحمله ذلكم العصر من معطيات وما يقال عن دور المعلقات لشعراء الجاهلية يمكن أن يقال عن دور سوق عكاظ الذي كان فعلا بمثابة مؤسسة للنشر والاعلام في تلك الفترة عن تاريخ الجزيرة العربية فلقد حفل كاظ بالعديد من صور البيان فكأن تجربة حرة تملك القدرة كل القدرة على وضع كل القيم الثقافية التي يوضحها سوق عكاظ على محك النقد والتمحيص والتتميم وكانت الخنساء ورابعة وغيرهما تقومان بدور المحكمة أو بدور الناقد الحر المعاصر وكان الشعراء والخطباء يحتكمون اليهما ويتقبلون رأيهما في الحكم على المستويات الفنية للقيم الادبية التي زخر بها العصر الجاهلي .

ثم توقف سير التاريخ قليلا لتشرق شمس الاسلام على رمال الجزيرة وسهولها فكانت البعثة وكان ثم انقلاب ضخم في تاريخ الانسان العربي حفل بالتغييرات الجذرية لكل القيم ومد جزرت دونه كل الامواج التي تلاطمت لتحفر على الرمال الصفراء القاحلة آثار السنين الطوال ولعل من الانصاف للحقيقة ان نسجل هنا الملامح التي اكتملت كارهاصات أدبية لهذه الفترة استطاع بعض الشعراء الجاهلين أن يبرزوها في شعرهم كزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني وكان الاسلام الذيشكل الانطلاقة الضخمة وحسر الظلال التي كانت تحجب على البعاد عن الصحراء العربية كل القيم التي تزخر بها الحياة من حوله حيث شغل طويلا بمصارعة العزلة وعوامل الاستعلاء التي ظلت تتحكم في عزة الظلال الداكنة في مصير الجزيرة العربية مئات السنين .

وكان الانقلاب الاسلامي الشامل يعنى الكم والكيف تصحيحا لكل المفاهيم وصقلا وتهذيبا لكل الامكانيات والاستعدادات الذهنية التي كانت تطفح بها المواهب العربية وكان لا بد للباحث في تاريخ الشعوب وفي حركات نموها الادبي والثقافي ـ كان لابد له أن يقف طويلا أمام الحركة الادبية التي نظمها فجر الاسلام وجسمتها انطلاقته الضخمة وان يستوحي بروح الباحث المتجرد من الفوضى والهوى كل ما استوعبه الاسلام من تغيير في خطوط القابلية الذهنية وما سكبه في الاذهان من صور التوعية الذاتية للمجموعة الانسانية وما حمله القرآن الكريم من قيم فنية وعلمية وما منحه القرآن للطاقة البشرية من شحنات هائلة كانت وما تزال مصدرا

من مصادر الالهام في مختلف الوان الحياة وتنظيمها لكل الروافد الذهنية ودفعا بها الى الخلق والابداع والانتاج .

ومن هذا المنطق ظلت الجزيرة العربية زهاء أربعة قرون من الزمن مصدرا لكل الانطلاقات الفكرية وظلت رمالها تختزن العديد من صور الالتفاتات الثقافية ذات السمات الروحية والفنية الاصيلة فالى جانب الاستعدادات الذهنية الخلابة التي عرف بها العربي كانت معطيات القرآن الكريم وفصاحته وسمو تعبيره ودقة تصويره تركيزا لكل الانطلاقات وارتفاعا بالذهن وتحديدا لدور الكلمة الخلابة ذات الطابع الثقافي الواسع .

ومن الروافد العديدة التي حاولنا أن نسكب عبر فتحاتها وميضا من الشعاع على ما حفلت به الجزيرة العربية والتي تشكل المملكة العربية السعودية قلبها النابض ويخفق علمها على اكبر مساحة منها يمكن أن نلخص ما مر بفترات خمس فترة ما قبل التاريخ وفترة ما قبل البعثة الاسلامية ثم فجر الاسلام فصدره ثم عصر الدولتين الاموية والعباسية فالعصر الحاضر أو عصر حكم آل سعود للجزيرة العربية وهنا نقف قليلا مع سير التاريخ الذي يشهد اليوم على الرمال التي كتبت تاريخ أمة وسجلت انتفاضة شعب ونقف لنلتقط الخيوط الاولى لبداية الانطلاقة الحديثة التي تدفع اليوم بكل المقدمات الثقافية في المملكة العربية السعودية وحينما نلتقط أول خيط سوف لا نهمل بقدر ما يسمح الوقت الاشارة ولو بصورة سريعة ومقتضبة الى فترات التفكك والركود التي مرت بها الجزيرة العربية في فترات الحكم التركي وما تتلاحق اثناء ذلك من ظلال وركام كانت زبد الزحف الذي تطفح لدى الشعوب المتطلعة الى فجر انطلاقة جديدة .

واذا كانت رمال المملكة العربية السعودية قد نامت على فصول من تاريخ الحركة العربية باعتبارها المصدر الاول وشهدت في فترات حياتها تراكم الضباب الذي يحجب المعالم فان هذا القرن وعلى وجه التحديد النصف الثاني منه قد شهد العديد من القفزات الثقافية منذ أن نعمت المملكة العربية السعودية(I) على يد مؤسسها وباني صرح وحدتها المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود بنعمة الاستقرار السياسي والاقتصادي وبعد أن قضى على تراكم الضباب الذي امتزت خلاله الموازين الاقتصادية وانصرمت فيه قيمة الامن وعمت الفوضى ، وكان جلالة الملك عبد العزيز بن سعود الرجل الذي تطلعت اليه انظار العرب في الجزيرة العربية قضى على غمرة الخلافات القبلية وفي قمة الصراع صراع المطامع الفردية في غمرة الضباب الداكن ضباب الانانية ضباب الفوضى كان عبد العزيز يرفع علم الحرية بعد معركة مريرة وكانت الجزيرة العربية على موعد مع البطل الفاتح الموحد الذي أصدر أول بيان يقول فيه ما معناه « ان ما أدعو اليه هو تحكيم الشريعة الاسلامية في كل صغيرة وكبيرة واقامة عدالة اجتماعية ترتكز على ضمان الحريات الشخصية واقامة الامن والطمانينة بين ربوع المملكة » وكانت بمثابة استراحة التقط فيها التاريخ مع البطل انفاسا عميقة ليبدأ دور الانطلاقة الثقافية الكبرى التي ارتكزت أولا وقبل كل شيء على تقدير الحريات الشخصية واقامة عدالة اجتماعية وكان بداية الطريق الى عهد مليء بالانتفاضات مليء بالقفزات الفياضة واذا كانت أعمار الشعب لا تعد بالسنين فان عصر المملكة العربية السعودية في المجال الثقافي والعمراني والاقتصادي قصير وقصير جدا ومع هذا فقد امنت المملكة بالمبدأ القائل تسير حيث وقف الناس ومضى عبد العزيز بعد أن سلم الراية لجلالة الملك فيصل الذي تحمل المسؤولية في عمق وادراك لكل ما تتطلبه المرحلة الحاضرة من نهضة المملكة من سهر وجهد وكفاح وكان جلالة الفيصل رائدا في مستوى مسؤولية التاريخ الذي يتحمل اليوم صناعته في المملكة العربية السعودية .

ومن اجل أن ننير بالكلمة الصادقة الواعية معالم الدور الذي تمر به المملكة العربية السعودية في مدها الادبي وآثاره العميقة وردود فعله في تطور كل القيم الثقافية التي تتحمل مسؤولية تركيز العمل الدائب في مختلف القطاعات والاطارات العاملة في مختلف اجهزة التوجيه من صحافة واذاعة وتاليف ومختلف انواع الاعلام .

من أجل أن ننير بالكلمة المجردة من السير العاطفي الفاتر لابد أن نشير الى أهمية العناية والتشجيع المستمرين الذين تقدمهما الدولة لكل فكرة أدبية تسهم في تكوين الابعاد وتحديد المعالم مع ضمان الحرية

(I) بداية عهد عبد العزيز بن سعود أي من I325 حتى عام I384 .

الشخصية لكل أديب ، فالكلمة الادبية الواعيـة الهادفـة تلقى تشجيعا ادبيا وماديا والدولة تصرف بسخاء عـلى كل حركة ثقافية فالى جانب التعليم وتعميمه والعمل الدائب على تطوير المناهج تعمل الدولة على منح اكبـر طاقة ممكنة في المجالين الادبي والمادي وذلـك بـتهيئـة الفرص أمام الكفايات المثقفة لكي تتحمل المراكز القيادية من وظائف الدولة كما تعمل علىفتح المجال بعقد الدورات الادبية الثقافيـة ، لمناقشـة مختلف القضايا وارسـال البعوث الثقافية للتخصص في مختلف فروع المعرفة العالمية والعربية .

والدولة قبل هذا وبعده ترعى رعاية صادقة كل عمل ثقافي وتعمل على بلورة التيارات الثقافية والفنية بفعالية لرفع مستوى التعليم وبالتالي ارتفاع مستوى الثقافـة في المملكة ومن هذا المنعطف يمكن أن نلمس عن كـثـب الواقع الادبي الذي لا تتكسر أمواج مده في ربوع المملكة العربية السعودية باعتباره عودة بتاريخ الجزيرة العربية الى سابق عهدها يوم أن كانت مصدرا للاشعاع الفكري وتقوم في المملكة العربية السعودية حركة ضخمة للتأليف وعقـد الدراسات الاسلامية وبـلورة الثقافـة العربيـة والاسلامية ، والذي انطلق مع بدايـة العهد السعـودي الزاهر والادب أي أدب هو وليد الاحساس بالقيم والشعور بدور الكلمة وسكب المشاعر والانفعالات وتطوير الكلمة بنقل ما تزخر به العواطف وتحفل به النفوس وما تطفح في الحياة من صور الخير والشر واليأس والامل .

وهو قبل هذا التعريف وبعده صور تلاحـقه مـن المد النفسي والاحساس الوطني القائـم عـلى الواقعيـة المشتركة والنضال الموحد من أجل غد مشرق ومستقبل افضل ولهذا لم يكن الادب السعودي المعاصر وان شكل في بعض ملامحه اكتمالا لوحدة فنية ذات مساحات عالية أقول لم يكن منفعلا لتجربة خاصة وانما كان استيعابـا لكل مفاهيم النضال العربي المشتـرك فـقد أسهم الادب السعودي بابراز ملامح المعارك الثورية في الوطن العربي وأسهم في تخليد نضال المغرب العربي الشقيق كما عاش مع الاشقاء على قمم الاوراس في الجزائر طوال معركـة الاستقلال كما رسم المعالم لـكفاح عمـان . كـان الادب السعودي يردد اسم بنزرت كما كان ينفعل لما يهـم العرب في فلسطين امتدادا لتجربة العرب في كل مـكان . بل لقد صدرت دواوين شعرية خلدت هذه المأساة ، واكتمالا لحركة الزحف الثقافي الذي نجده بالكلمة نضال العرب في كل جزء من أجزاء الوطن العربي الـكبير ومن هنا نلمس بالتجربة الواقعية اهمية بلورة المفاهيم الثقافية التي تشرق اليوم على ربوع المملكة العربية كجزء مـن الوطن العربي ومصدرا من مصادر الاشعاع يلتقي حاضرهـا المشرق بماضيها الحافـل بالمعطيـات الادبيـة والفكرية ومن هنـا يمكـن أن نرى في الالتفاتـات التي أوجزناها في هذا الحديث المعالم الواضحة للطريق التـي تسير فيه الحركة الادبية وبالتالي الشعبية .

الثقافة في المملكة العربية السعودية

ولكي تكتمل هذه الصورة واضحة عن الحـركـة الادبية في المملكة العربية السعودية لا بد أن نقـدم فـي ايجاز نموذجين لمدرستين ادبيتين تشكل الاولى الدعوة للحفاظ على المعالـم الاولى لكل الانفعـالات والتجارب الادبية المحافظة وتنفعل بكل وافد جديد دون أن يطمس الانفعال معالم الاتجاه المحافـظ ويتزعـم هـذه المدرسة الشعراء والادباء محمد حسن عـواد الشاعـر السعودي المعروف والاستاذ أحمد قنديل شحاتة وحسين سرحان والاستاذ عبد الله بن خميس وعبد الله بن ادريس والامير عبد الله الفيصل وطاهر زمخشري الـذي يدرس اليـوم ديوانه الروائي في جامعات المانيـا الغربيـة كنـموذج للشعر العربي المعاصر بينما تنـفرد المـدرسة الادبيـة الحديثـة بتلويـن الروافـد والتيـارات الادبيـة وهـي المدرسة الحديثة التي تأثرت بالتيارات الادبية المهجرية.

ويتزعم هذه المدرسة الشاعر محمد هاشم رشيـد ومحمد الشبل وسعد البوادري وحقيـل العيسي وماجد الحسيني عبد السلام حافظ وغيرهـم من شعراء وأدبـاء الشبـاب الذي هضم مختلف التيارات وبـلـور الـكلمة الادبية المجنحة صياغة وتأثرا وتأثيرا .

دور الوسائل الاعلامية في نشر الثقافة وتركيز الوعي

ولعل من أهـم ما يجب أن نشيـر اليه هنـا دور الوسائل الاعلامية في تعميم الاثر الادبي ونشره وتركيـز الوعي واذا كانت المملكة العربية السعودية قد مرت كما أسلفت بفترة التهمت مسافة كبيرة في حـركـة نهضتها اكتنفتها ظروف توحيد أجزائها وصهرها في نظام واحد فقد بدأت محاولات الوعي فيها منذ نيف وخمسين سنة عن طريق المكتبات المتناثـرة هـنا وهنـاك وعن طريـق المساجد التي شكلت المدرسة الاولى كامتداد للاسلوب

الاسلامي الاول وخاصة المسجدين الخالدين الحرم المكي والحرم النبوي الشريف فقد ظلا وما زالا مصدرا ضخما من مصادر اشاعة المعرفة الاسلامية والحفاظ على اللغة العربية وتجدر بنا الاشارة هنا الى الدور الذي لعبته اجهزة الاعلام في تحديد ملامح الحركة الادبية وتركيز الوعي والدفع بمختلف ألوان الثقافة وأم هذه الوسائل الصحافة والاذاعة فالصحافة في عهدها الحاضر في المملكة العربية السعودية وبعد ان تحولت الى مؤسسات جماعية استطاعت أن تقفز في مادتها وأسلوب اخراجها الى مستوى هو أرقى ألوان الاخراج في العالم العربي شكلا وموضوعا فالصحافة السعودية تعنى الى جانب الخبر والصورة كمادة أساسية في الصحافة اليومية تعنى بالبحوث الادبية وتعنى بالقصة وبالشعر وبالرسم وتقدم أبوابا دورية تعنى عناية تامة بالادب كمادة هادفة من مواد الصحافة . والمملكة العربية السعودية بها الآن ثمان صحف يومية هي البلاد ، عكاظ ، المدينة المنورة ، اليوم، الرياض ، الجزيرة ، اليمامة ، وأربع مجلات دورية تعنى بالفكر والثقافة وهي الاذاعة ، المنهل ، الحج ، الرابطة ، وقد لمسنا في عناوين الجرائد والمجلات نموذجا لحفاظ الحركة الثقافية في المملكة العربية السعودية على تخليد المعالم كالندوة وعكاظ والاعلام الاسلامية كالمدينة والندوة يشهدها الى هذا حماسها للحفاظ على تراثها وللاستفادة من تجارب الاقطار العربية الاخرى وفي المملكة العربية السعودية حماس شديد لتتبع الحركة الثقافية في الاقطار العربية بوجه عام وللحركة الثقافية في المغرب العربي الشقيق على وجه الخصوص وتبين هذه الاهمية من شعور المملكة العربية السعودية بدورها في رعاية كل مد ثقافي اسلامي والتعرف على درجات هذا التقدم الذي وصلت اليه الاقطار العربية الشقيقة وبلورته .

حركة التاليف والنشر

في المملكة العربية السعودية حركة للتاليف والنشر تندفع بسرعة مذهلة وبها حتى الآن عشر دور للنشر تعتبر من احدث دور النشر في العالم وهي :

دار الاصفهاني بجدة ، مطابع الندوة بمكة ، مطابع الثقافة ، مطابع المدينة ومؤسسة الطباعة والنشر، مطابع بالمنطقة الشرقية ، ومطابع الرياض ، مؤسسة قريش للطباعة والنشر ، مطابع الفتح دار مطابع صحف مكة المكرمة الى جانب المؤسسات الحكومية كمطابع ام القرى وتعمل هذه المؤسسات الطباعية الكبيرة على دعم الحركة الثقافية وتشجيع النشاط الفكري .

التاليف

وفي اطار الحركة الادبية من خلال التجربة الذاتية تتحرك الانتفاضة الثقافية في مجال التاليف لتسير سيرا يعد قفزة رائعة فهذه البلاد الواسعة ذات الملامح المتكاملة تركز كل طاقات وعيها في تطور أدبي تسهم فيه الكفايات المثقفة بدورها أسهاما فعالا يحقق مفهوم التطور في بلد يندفع في موكب الحياة بكل طاقات وعيه .

ولهذا كانت حركة التاليف قفزة ضخمة فقد كانت الدولة ولا تزال تسهم في تشجيع التاليف في مختلف ألوان الثقافة ومن هنا أيضا برزت مؤلفات سعودية ناقشت مختلف القضايا الثقافية وانصهرت مع متطلبات الوعي الثقافي الذي تشهده المملكة في عهدها الحاضر وبرزت مع أسماء المؤلفين السعوديين مدرسة نقد أدبية أسهمت هي الاخرى في تركيز القضايا الادبية والثقافية بوجه عام لان النقد هو الوحيد الذي يبرز الاخطاء في كل تجربة . كما يبرز المحاسن من خلال المناقشة ومداولة الرأي وحركة التاليف في المملكة العربية السعودية استهدفت مختلف ألوان الحياة عن طريق الفكرة في الشعر والقصة وفي الجوانب الحياتية الاخرى ولا بد أن نشير الى ان المؤلفات السعودية المعاصرة أعطت دليلا حيا على القيم الادبية التي تعيش اليوم على اديم الجزيرة العربية ومنها :

«دين ودولة » للكاتب الاسلامي احمد محمد جمال الكاتب السعودي المعروف .

ودورنا في الكفاح لمعالي الشيخ حسن بن الشيخ وزير المعارف السعودية .

والاسلام طريقنا الى الحياة للاستاذ امحمد عبد الغفور عطار .

وخواطر مصرحة للاستاذ محمد حسن عواد
وأدب الحجاز للشيخ محمد سرور الصبان
والادب الفني للاستاذ حسن كتبي .
ودعونا نمشي للاستاذ احمد سباعي .
شوك وورود لحسن عبد الله قرشي .
وأجراس للاستاذ سعيد البوادري .

ونظرات جديدة في الادب للاستاذ عبد السلام الساسي .

ومن الدواوين الشعرية التي صدرت خلال عشر سنوات :

وحي الحروف للامير عبد الله الفيصل .

الهوى والشباب للاستاذ القطار .

البراعم للاستاذ محمد حسن عواد .

احلام الربيع للاستاذ طاهر زمخشري

البسمات الملونة للاستاذ حسن قرشي .

اغنية العودة للاستاذ سعد البوادري .

ومن هنا نلمس أيضا ان الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية قد اسهمت اسهاما واضحا في رسم المعالم الواضحة للمستوى الثقافي الذي يعمر شعاب الجزيرة العربية ووهادها .

فهذه لمحات سريعة عن المد الادبي الذي يخطر على رمال المملكة العربية في فجر انطلاقتها تاريخا جديدا تصنعه بسواعد قوية ، قوية بايمانها ، قوية بحفاظها على طابع الاسلام والعروبة ، قوية بفعالية الكلمة التي تدرك انها سلاح من أهم أسلحة العصر الحديث .

عبد الله الحصين

مدير التعليم بمنطقة الطائف

التطور الحي في اللغة العربية

القى الاستاذ عبد الحق فاضل بمناسبة الموسم الثقافي محاضرة قيمة تناولت جانبا طريفا من التطور الحركي الابداعي عاشته اللغة العربية التي تعد اعظم أداة تعبيرية انتجها العقل البشري ، فاذا بها ترتقي من المعاني البدائية الصحراوية الى أوج الثقافة والفن ، مثلما تطور الانسان العربي ، ابن الصحراء نفسه ، فانشأ الحضارات الكبرى بعد ان اصطحب لغته البدوية معه فجعل يطورها بتطوره ويرفعها بارتفاعه حتى صارت أربطة البهائم مثلا تحتل مكانة ثقافية سامية في الفلسفة والعلوم والفنون . ومن ثم اصبحت اللغة أداة استكشافية يمكن بواسطة درسها والتعمق في تفهمها ، استنباط الحقائق التاريخية التي عفى عليها النسيان وأهملها التاريخ .

وعلى هذا اصبح من الواجب اليوم على العلماء اللغويين العرب ان يعاملوا الكلمة العربية كما يعامل المنقبون الاثريون العناصر التي يحتفرونها من التراب ليستنبطوا منها الحقائق المجهولة من حياة الاجيال الغابرة .

والمحاضرة حافلة بالامثلة العربية والنماذج اللغوية المثيرة التي تجعل من البحث اللغوي على الطريقة العصرية المستحدثة حارة شائقة ممتعة اشبه بالقصص البوليسية والغرامية التي تستهوي القراء وتطيب لهم . وسننشرها بحول الله كاملة في العدد المقبل .

الكتاب والثقافة في ليبيا

محمد بن مسعود رئيس اللجنة الليبية
لهيئة موسوعة المغرب العربي

القى الاستاذ محمد بن مسعود رئيس اللجنة الليبية لهيئة موسوعة المغرب العربي ومندوب المملكة الليبية في موسم الكتاب العربي محاضرة في هذا الاطار جاء فيها :

ان ليبيا التي يربطها بالمغرب ، التاريخ المتشابه والتربة المتماثلة واتحاد اللغة والدين والعادات يحدها شرقا مصر ، وشمالا البحر الابيض المتوسط وغربا تونس والجزائر ، وجنوبا النيجر والتشاد والسودان ، ويبلغ عدد نفوسها نحو المليون ونصف المليون نسمة .

وتتكون من ثلاثة أقاليم ، وهي طرابلس وبرقة وفزان وأكبر مدنها النابضة بالحيوية الاجتماعية والاقتصادية طرابلس وبنغازي ومصراته وسبهه والبيضاء، وأهم مدنها الاثرية لبدة وشحات وصبراته وجرما .

وتكسو السهول الخصبة شمالا ، في الاراضي المتقاربة الى ساحل البحر ، وفي وادي الشاطىء والآجال بفزان وبهذه المناطق الزراعية ، تزدحم المدن والقرى ويزداد النشاط العمراني والتجاري .

وفي برقة مرتفع عظيم ، مغطى بالاشجار الطبيعية، يسمى الجبل الاخضر وفيه كثير من الينابيع الجارية بالماء العذب، اشهرها نبع درنة وعيون مارة وفي طرابلس مرتفع آخر يقال له الجبل الغربي ، ويمتاز عن الجبل الأخضر بكونه عامرا بالسكان والفلاحة الشتوية على الأمطار وبأشجار الزيتون وكروم العنب والتين ، ومن مدنه الشهيرة غريان ويفرن وجاد ونالوت .

وأهم ثروة زراعية لليبيا ، االزيتون والنخيل والحبوب الغذائية وأشجار الفواكه والخضروات والحلفاء والاغنام والابل والبقر والدواجن ، وأما الثروة الطبيعية فأهمها البترول والأسماك وملح الطعام والأملاح الكميائية (النطرون) وخامات الحديد والفوسفاط .

وقامت فيها أخيرا حركة كبيرة للتصنيع الآلي وافرة الانتاج ، لعلبات الأسماك والفواكه والخضراوات والوقود (الكبريت) ، وأوعية الدقيق وتخريج الأواني المعدنية ونسيج الاقمشة على اختلاف أنواعها .

والزائر لليبيا الآن ، يجد فيها كل ما تراه العين في المغرب ، من مظاهر الحضارة الحديثة والقديمة ومن مظاهر التقاليد الاسلامية والافرنجية .

وتاريخ ليبيا مكتظ بالحوادث الجسام وبمعالم الفخر والمجد ، لذلك من العسير على بل ومن الظلم له ، أن آتيكم عنه بلمحات مشرقة في بضع دقائق ، اذ ليس لدينا جميعا فسحة من الوقت للاستماع الي في محاضرة خاصة أو محاضرتين ، ومما يخفف عنى هذا العبء الثقيل أننا جئنا لمعرض الكتاب بنماذج من مؤلفاته التي اشتملت عليه اجمالا وتفصيلا ، ومن هذه مثلا «تاريخ ليبيا العام » في جزئين كبيرين .

وغاية ما يمكنني ايجازه من لمحات هذا التاريخ ، أنه استنادا على الاكتشافات الأثرية التي وجدت عندنا بفزان وجبل العوينات ، وما عثرت عليه أخيرا سنة 1962 م. بعثة (فابريتوكوري) الحكومية ، وغير ذلك من النقوش الفرعونية وروايات أبي التاريخ (هيرودوت الاغريقي) ، نستطيع القول مما تقدمت الاشارة اليه ان الليبيين القدماء وجدوا بهذه الأرض منذ العصور

الحجرية ، وفي العصور التالية لها كانت لهم حضارة زاهرة ، ونابعة من صميم بيئتهم ، ومن مظاهرها أنهم :
1 ـ بنوا المنازل وشيدوا القرى واشتغلوا بالزراعة.
2 ـ تعاطوا التجارة وصنعوا باتقان الاشياء الفخارية .

3 ـ استعمل أمراؤهم الأواني من الذهب والفضة.
4 ـ جعلوا للغتهم حروف كتابة وهي التي اشتهرت في التاريخ السحيق للشمال الافريقي باسم « الخط الليبي القديم » .

5 ـ كان لهم حكومات وملوك ومن هؤلاء «كابور» ومرماريو وششنق .

6 ـ كانت لهم فنون جميلة من رسومات الجبس والتصوير والنقش .

7 ـ كانت جيوشهم مجهزة بأنواع الأسلحة القديمة والعربات الحربية ، ولها مخيمات كبيرة وصغيرة من الجلد .

(2) ومنذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، كان لليبيين مع جيرانهم المصريين ، أقوى صلة اجتماعية وسياسية ، وهي اللمحة التاريخية عنهم ، الجديرة بأن نؤثرها بنصيب من الايضاح ، ففي ذلك الحين كانوا كلما تعرضت ليبيا لجفاف كبير ومجاعة ، تتجه قبائلهم شرقا الى وادي النيل المليء بالخيرات الزراعية ، وتنهب قراه المتطرفة نحو الصحراء بغزوات كاسحة متوالية .

ولما حاربهم ملوك الفراعنة بشدة ، وعجزوا عن كف غاراتهم ، أرادوا أن يجدوا لزعمائهم وبعض أفرادهم معيشة ثابتة ، فعينوا كثيرا من هؤلاء في الجيوش المصرية ، ضباطا وجنودا مرتزقة ، ورفعوا شجعانهم الى مراتب القادة والحكام ، وتزوج الملك «خوفو» باني الهرم الأكبر بأميرة ليبية .

(3) وعلى الرغم من هذه الصلات الاجتماعية والسياسية بين الطرفين فان الليبيين الآخرين وهم المقيمون بارضهم ، لم يبطلوا غاراتهم الاولى بتاتا بل بمرور السنين زادوها عنفا وضراوة ، واغتنموا في بعضها اختلال الأمور بمصر لضعف ملوكها الفراعنة ، فجهزوا جيشا كبيرا ، من المشاة والفرسان والعربات الحربية ثم هجموا به سنة 945 قبل الميلاد ، على الجزء الشمالي من وادي النيل المعروف باسم « الدلتا » ، واستولوا عليه بعد معارك دموية مع أهاليه .

ثم اسسوا في هذا الجزء دولة ليبية ، دامت مائتين وعشرين سنة وبنوا هنالك عاصمة جديدة وهي مدينة « بسطة » ، وكان من اشهر الملوك الليبيين بمصر ششنق الأول ، واتسعت فتوحاته شرقا الى فلسطين ، وجنوبا الى بلاد النوبة .

وبعد ششنق تنازع الملوك الليبيون بمصر على السلطة ، فكان كل واحد منهم يريدها لنفسه ، وصاروا لهذه الاسباب يقاتل بعضهم بعضا ، وساءت أحوال وادي النيل بعد ازدهاره أيام ششنق ، لعدم اهتمام اخلافه بمصالح الناس ، فكرههم المصريون وتحالفوا ضدهم مع جيرانهم (النوبيين) ثم حارب الطرفان الليبيين الى أن تغلبوا عليهم ، وازالوا دولتهم من وادي النيل سنة 725 بعد الميلاد .

(4) وعلى اثر انتهاء الليبيين من مصر ، تعرضت بلادهم لاحتلالات أجنبية كثيرة ، اذ استولى عليها نظير الشمال الافريقي ، كل من الاغريق والقرطاجنيين والرومان والبزنطيين .

وفي العهد الروماني بليبيا ، ظهر من بين أبنائها الأفذاذ ، شخصية ذائعة الصيت في التاريخ الروماني ، ألا وهو الامبراطور « سبتيموس سفاروس » ، ولد سنة 146م. بقرية مجاورة لمدينة لبدة ، وتوفي في احدى غزواته لانجلترا سنة 211 م. ويمكن ازائري مدينة طرابلس أن يشاهدوا نصبا لتمثاله أمام سوق المشير .

(5) وفي عهد الخلفاء الراشدين فتح ليبيا عمرو بن العاص سنة 23 هـ. 643 م. وبذلك كانت ليبيا أسبق البلدان المغربية اتباعا للاسلام وتحدثا بلغته، واعتبارا من قيام الدولة الأموية ، الى أواخر حكم بني حفص المنتسبين للموحدين ، فان تاريخ ليبيا غالبا ، متحد مع تاريخ الشمال الافريقي في جميع هذه المراحل ، بل وحتى في تعرضاته لغزوات الصليبيين .

(6) وفي سنة 1551م. انتزع ليبيا من الاسبان الأتراك العثمانيون ، وفي هذا العهد نشأت فيها ، سنة 1711 م. الأمارة الثرقرمانليه ، وكانت على نمط حكم البايات بتونس والدايات بالجزائر ، وامتد نفوذها ، أيام يوسف باشا القره مانللي الى « برنو » بافريقيا الغربية،

وكان لليبيا زمن القره مانليين أسطول عظيم ، فرض الاتاوة على جميع السفن الاجنبية المارة بالبحر الابيض المتوسط ، ومن حسنات هذه الامارة أنها جعلت اللغة العربية لسان البلاد الرسمي ، في جميع المعاملات الحكومية والدولية .

(7) وبقيت الامارة القره مانلية الى سنة 1835 م. ثم رجعت ليبيا بعدها للحكم العثماني مرة ثانية ، ثم انتهى هذا الحكم باحتلال ايطاليا لليبيا سنة 1911 م

ومنذ ما وطئت أقدامها ليبيا لم يفتر أبناؤها الاشاوس ، بقيادة عاهلهم الملك ادريس عن مناضلتها بالحروب الهوجاء ، والثورات المسلحة العنيفة الى قيام الحرب العالمية الثانية وانضمام ايطاليا فيها الى جانب المانيا ، ووجدوا في هذا الانضمام فرصة ثمينة لانقاذ وطنهم منها ، فتسارعوا من داخل ليبيا وخارجها الى مصر ، مكان هجرة قائدهم الأول وزعيمهم الأبي السيد محمد ادريس السنوسي ، فتحالفوا مع الانجليز ضد ايطاليا ، ثم كونوا جيشا فتيا تعداده خمسة عشر ألفا . واشتركوا مع الانجليز بمحاربتها ، منذ سنة 1940 م. الى سنة 1943 م. وفي هذه السنة الأخيرة تم لهم تحرير التراب الليبي العزيز .

(8) وبعد ذلك حاولت الأهواء الاستعمارية، تقسيم ليبيا الى ثلاث جهات باعطاء فزان لفرنسا وطرابلس لايطاليا وبرقة للانجليز ، وقد عرفت هذه الفكرة بالمشروع الثنائي ، اذ أعده كل من وزيري خارجية بريطانيا وايطاليا المستر بيفن والسنيور سيفورزا ، ولما عارضه الوفد الليبي بهيئة الامم المتحدة معارضة شديدة صاخبة، وناصرته هنالك الوفود العربية كلها ، وقامت عليه في البلاد تظاهرات خطيرة ، كادت تنفجر الى مقاومات مسلحة اضطرت هيئة الامم الى الغاء المشروع الثنائي ، وأصدرت يوم 21 نوفمبر سنة 1949 م. قرارها التاريخي الهام ونصه (قيام دولة ليبية ذات سيادة ، في فترة لا تتجاوز أول يناير سنة 1952 م.) وفي يوم 24 ديسمبر سنة 1951 م. اعلنت ليبيا استقلالها الناجز ، بعد أن وضعت له الجمعية التأسيسية دستورا ، أقر نظام الحكم الملكي ، وعين الملك ادريس رئيسا للدولة ، وفي أول يناير سنة 1952 م. تسلمت الحكومة الليبية جميع المصالح الرسمية ، التي كانت تديرها حكومات الحلفاء العسكرية وفي 9 فبراير سنة 1952 م. اجريت في ليبيا أول انتخابات نيابية عامة ، تكون بها للبلاد برلمان باسم مجلس الامة الليبية من فرعين هما النواب والشيوخ .

نهضة الكتاب الليبي

وبعد هذه اللمحات المجملة ، لتاريخ ليبيا قديما وحديثا ، أتحول عنها الى النبذة الاخرى وهي الخاصة بالكتاب الليبي .

(1) ـ فالكتاب بمعناه المطلق ، هو المرآة الصافية، لحضارات الأمم الغابرة والحاضرة ، والمترجم عن امجادها ومفاخرها ، والمعرف بعلومها وآدابها .

والكتاب الليبي ، ونعنى به غير المضمون بين دفتين ، وجد منذ ألفي سنة قبل الميلاد ، اذ كان للغته وقتئذ حروف كتابية سجل بها أجدادنا الأولون أفكارهم، نقشا على الحجارة بمثابة الكتاب المتعارف بيننا الآن ، وما برحت قبائل الطوارق ، بأراضي غات جنوبي فزان تستعمل خط حروفه فيما بينها .

وفي عهدي الاغريق والرومان بليبيا ، افتتح كثير من المدارس بمدن شحات ولبدة وصبراته وغيرها ، وقد عظم فيها شأن الكتاب وتئذ ، لما كان يتضمنه من العلوم والآداب المختلفة ، باللغتين الاغريقية واللاتينية ، ومن مدرسة لبدة وعلى كتبها تخرج الامبراطور سفاروس ، وأتم تحصيله العالي بروما ، حاصلا على شهادة الحقوق

(2) ـ ومن أيام العباسيين الى أواخر بنى حفص، نجد أن الكتاب الليبي العربي كان تصنيفه في مختلف العلوم الاسلامية ، ومن لغة ونحو وحديث وتفسير وتوحيد وفقه وتاريخ وأدب وشعر ، وكان أسلوبه الانشائي نظير أمثاله من المؤلفات الأخرى السائرة في تلك العهود ، فهو ايجاز لكلام المتون وتوضحيها بالحواشي والتعقيب واما اسهاب العمل أو تقصير المخل .

ولكن الكتاب الليبي في وقتنا الحاضر ، وكما ستروں بالمعرض من نماذجه قد تنحى تماما في تاليفه عن طريقة المتون والهوامش وتأثر أصحابه بأساليب التعمير الفنى الحديث ، فالتزموا فيه المأخذ القريب والمعنى الجلى ، هذا ولا تفوتنا الاشارة الى أن كتابنا المدرسى كذلك نعتبره من أمثل أنواعه المنهجية ، أسلوبا وافادة وتركيزا للمعلومات المقررة وأسئلة موجهة وخرائط وصورا .

نهضة ليبيا الثقافية

أ ـ الثقافة التربوية

وبفضل توجيهات عاهل ليبيا العظيم ، سارت حكومتنا خطوات واسعة المدى في جميع الميادين الثقافية المتنوعة ، ولو شئنا هاهنا أن نوفي الكلام حقه عن جميع ما يندرج ، تحت كلمة نهضة ليبيا الثقافية ، أحوجنا الأمر الى كتاب خاص بها ، لا الى صفحات قليلة موجزة .

(1) ـ فحين خرج الاستعمار من ليبيا ، لم يترك فيها غير (150) مدرسة ابتدائية اسما وأولية حقيقة يتردد عليها نحو (3500) تلميذ ، ويقوم بالتدريس لهم من الليبيين نحو (300) معلم ، ولم يكن من بينها في ذلك الحين ولو مدرسة واحدة اعدادية .

(2) ـ أما في هذه السنة المدرسية (64–65) ، (وأرجو الا تنسوا تعداد ليبيا الضئيل بالنفوس) فقد ارتفعت أعمال الحياة الثقافية في قطاعات التربية والتعليم الى :

أ ـ (732) مدرسة ابتدائية للذكور والاناث ، عدد تلاميذها وتلميذاتها (552 168) .

ب ـ 103 مدارس اعدادية فيها (17 927) طالبا وطالبة .

ج ـ (18) مدرسة ثانوية تضم بين جدرانها (4 279) طالبا وطالبة .

د ـ ثم (7) معاهد للمعلمين والمعلمات ، تشتمل على (1 224) طالبا وطالبة .

هـ ـ ومن غير ما تقدم ذكره ، ففي ليبيا أيضا طائفة من المدارس الفنية والمهنية ، وهي : (5) للتجارة والهندسة و (3) صناعية و (3) زراعية .

(3) ـ وتوجت رؤوسها كلها بالجامعة الليبية ، التي تضم (5) كليات للحقوق والتجارة والآداب والعلوم والهندسة .

(4) ـ ثم جامعة السيد محمد بن علي السنوسي ، التي أمر بتاسيسها السيد ادريس ، ملك ليبيا ، احياءا وتخليدا لذكرى جده العظيم التي تحمل اسمه ، وهي تشمل عددا من الكليات في الشريعة واللغة وأصول الدين، ولها في أنحاء ليبيا معاهد ابتدائية وثانوية ، ومناهجها قائمة على رسالة الجامعة الدينية .

كما أن هذه الجامعة ينتسب اليها ، الكثير من طلاب الشعوب الاسلامية ، ومن هؤلاء مثلا طلاب من عمان والجنوب العربي ، وغرب افريقيا ، ويدرسون ويطعمون بالمجان .

(5) ـ وقامت ليبيا بأعمال باهرة لصيانة آثارها الخالدة ، وللكشف عن الذي لا يزال منها تحت الثرى قاصدة بذلك أن تفتح مجالات ثقافية أخرى لتعريف جيلها الحاضر والمستقبل ، بتراثه الحضاري المجيد ومفاخر أجداده وآبائه ، كما يوجد في البلاد طائفة من المتاحف الاثرية ، أهمها متحف القلعة بطرابلس ومتحف صبراتة ومتحف شحات ومتحف جرما .

ب ـ الثقافة الادبية

(1) وقد انتج الكتاب والادباء الليبيون ، عشرات من المؤلفات القيمة ، في التاريخ والجغرافية والقصص والتمثيل المسرحي والقانون والموسيقى واللغة والشعر والعلوم الاجتماعية والزراعة وفي كتب التربية المدرسية ، وبعض هذه المؤلفات باللغة الانجليزية والايطالية .

(2) ـ وبلا مبالغة نستطيع القول أن هذا الانتاج الفكري في جملته ، بلغ من الاجادة في التعبير وسلامة الذوق وافادة البحث والاخراج الفني ، ما يجعله يرتقي الى مصاف أنواعه في البلدان العربية .

غير أنه لحداثة كثير من هؤلاء الادباء في الحياة العلمية الجديدة ، فان قيمة انتاجهم الفكري ، لم تصل بعد الى المستوى العلمي الخصب الذي عهدناه في كتب عباس محمود العقاد وعلال الفاسي مثلا .

(3) ـ ومما ينبغي أن نشير اليه بهذه المناسبة ، أن الحكومة الليبية قد اتجهت الى باكورة هذه النهضة الادبية بالتشجيع الكبير ، فجعلت لها جوائز مالية مغرية ، تمنحها بوساطة لجان رسمية خاصة بها ، لنبغاء الفكر الليبيين ، الذين ينتجون أي مؤلف ممتاز بأبحاثه الثقافية ، أو يترجمونه عن اللغات الاجنبية شريطة أن يكون ذا طابع شخصي لصاحبه ، وله صلة وثيقة بمعالم الحياة الليبية .

(4) ـ ومن العوامل الاخرى للنهضة الثقافية ، انه يوجد في البلاد عدة دور للكتب ، على اختلاف أحجامها وموضوعاتها وحداثتها وقدمها . وتشتمل هذه الدور على

نفس المؤلفات والمخطوطات والوثائق والمستندات الهامة . ومن اكبرها مكتبة الاوقاف ومكتبة الحكومة ودار المحفوظات بمدينة طرابلس ، ثم مكتبات بنغازي والبيضاء وسبها ، والمكتبات الفرعية بمراكز المحافظات الليبية .

جـ ـ ثقافة الاعلام والفنون

(1) ـ وتعتبر وسائل الاعلام أيضا ، وهي الصحافة والاذاعة والفنون الشعبية ، من أبرز المظاهر الثقافية في ليبيا ، ففيها الآن ثلاث جرائد يومية وعشرة أسبوعية وطائفة من المجلات الراقية بابحاثها وصورها الملونة ، وزيادة على هذا فان وزارة الانباء والارشاد الليبية أوجدت منذ السنة الماضية لجنة عليا لرعاية الفنون والآداب ، وشرعت هذه اللجنة تعمل بنشاط ، لاثارة النبوغ الكامن بأذهان الشباب الموهوب المثقف ، في نواحي الرسم والتصوير والتمثيل المسرحي وغير ذلك .

(2) ـ ولليبيا الآن فرقة فنية استعراضية للرقص الشعبي المعروف باسم « فولكلور » تشرف عليها وزارة الانباء والارشاد وهي على نمط أمثالها من فرق المغرب وتونس ومصر ، وقد أحرزت استعراضاتها الرائعة اعجاب كل من شاهدها من الاجانب .

(3) ـ ومن المشروعات الهامة في هذه المجالات الفنية أن الحكومة وافقت أخيرا على انشاء معهد للموسيقى ، ليعزز قيام هذه الفرقة ، وينمي في المجتمع الشعبي الأذواق والاحاسيس الوجدانية .

فضل العربية على الحضارات القديمة

بقلم: عبد الحق فاضل

محاضرة ألقاها الشاعر والكاتب العراقي الاستاذ عبد الحق فاضل في قاعـة الحفلات البلدية بالدار البيضاء في 25 يناير 1965 استجابة لطلب اللجنة الثقافية لعمالة واقليم الدار البيضاء التابعة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب ، ثم تفضل باعادة القائها في كلية الآداب بالرباط في 24 . 2 . 1965 تلبيـة لدعوة اللجنة الثقافية لمدينة الرباط التابعة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب ودعوة اتحاد كتاب المغرب العـربي .

وقد ارتأينا نشرها كما ألقيت من دون حذف ولا تلخيص نظرا للاثر القوى الذى تركتـه في نفوس المستمعـين ورددت أصداءه الصحـف العربيـة والفرنسية الصادرة بالمغرب .

اللسان العربي

أيها الاخوان والاخوات :

السلام عليكم ..

ان بلدكم هذا لقيني عند حلولي فيه ببعض المفاجئات، فقد كان الذى شاقني اليكم فقصدتكم من أقاصي الارض ما كنت أسمع من أن بلدكم جميل ، وان أهله طيبون ، وأن فيه مسحة عربية ما زالت باقية مـن عز الحضارة الاندلسية ، وأن فيه حركة ثقافية وعلماء أفذاذا . ولكنى عندما نزلت دياركم فوجئت بأن وجدت البلد أجمـل كثيرا مما كان يخيل لي ، وان فيه من الاكارم الافاضل ما قدتنسل العرب، وان المغاربة لم يحتفظوا بسيماء الحضارة الاندلسية فقط بل احتفظوا كذلك في لغتهم وأزيائهم وعاداتهم بما هو من صميم العروبة العاربة ، مما ضيعه الكثيرون من اخوانهم في مشارق العـالم العربي على قربهم من الوطن العـربي الاول .. ووجدت أن علماءه الاحبار أكبر عددا أو أعلى درجة مما يعرف عنهم عـرب الشرق الاوسط . هذا عدا الاسماء العلمية اللامعة ذات الشهرة ـ لا أقول العربية ـ بل العالمية .

وكان من جملة هـذه المفاجئات السارة أيضا هـذا **المكتب الدائم** ـ أدامه الله وأدام بركـاته ـ بشقيـه المغربي والعربي ، أعني عمله في التعريب للمغرب وعمله في **تنسيق التعريبات** لجميع أقطار الاعاريب ـ ولقـد أدهشتني وفرة انتـاجه ولم يمض على تأسيسه سوى ثلاث سنيات ، على حين أن بعض الاقطار العربية لـم يتيسر له أن يبلغ هذا المبلغ من الانتاج اللغوى كمـا وكيفا في عشرات السنين . وفوجئت كذلك أن وجدت أحد الدواوين الحكومية البعيدة عن ميـادين اللغـة والثقافة ، وهو **مكتب المراقبة والتصدير** في الدار البيضاء له مصلحة فنية للتعريب يتسـع نشاطهـا لا لتعـريب المصطلحات المصلحية اللازمة لاعمال المراقبة والتصدير

واختصاصاتها فقط وانما تعم فواصلها المغرب كله ، بل تدعم حركة التعريب ومن ثم التثقيف في الوطن العربي أجمع . وأود أن أزيد هنا كلمة صغيرة أقولها استطرادا ، وهي أن المغرب العربي لما يعرفه جيدا بمختلف وجوهه .. وجمالاته .. أبناء المشرق العربي .

مفاجآت لغوية

أفليس من واجبي الآن ، أيها الاخوان والاخوات على تعبير المغاربة ، وايتها الاخوات والاخوان على تعبير المشارقة ــ وتقديم الاناث على الذكور سنة أخذناها عن الغرب . وهي من باب **التعريب** أيضا ــ أفليس من واجبي لقاء هذه المفاجآت المغربية الكريمة ان ازجي اليكم أنا ابن الخليج ، يا أبناء المحيط ، بضع **مفاجئات لغوية** آمل أن تسركم ولو قليلا ، كما سرتني مفاجئاتكم كثيرا ؟

وأول مفاجئاتي هذه ، أيها الاخوة والاخوات ، هو تصحيح عنوان محاضرتنا هذه ، فقد ورد في بطاقة الاستدعاء أنه « **فضل اللغة العربية على الحضارات القديمة** » .... وأنا الذي ادعيت ذلك ظلما وعدوانا ، ولكني أستميحكم المعذرة الآن معترفا أن الذي أردت اليه حقا والذي هو موضوع محاضراتنا فعلا هو « فضل **العربية على بني آدم حتى من قبل عهد الحضارات ، وفضل الطفل العربي .. الرضيع العربي .. على لغات البشر ، بل فضل الفروج العربي .. نعم الفروج .. فرخ الدجاجة العربي .. على اللغات الحضارية الراقية .. قديما .. وحديثا** .

ولكني خفت اذا انا صارحتكم بذلك في بطاقة الاستدعاء ان ترتابوا ، والحق معكم ، فتظنوا بي الظنون ، وتفروا مني ومن محاضرتي فراركم من الاسد .

أما الآن وقد تورطتم بدخول هذه القاعة فما الذي يمنعني ايها الاخوان والاخوات من مصارحتكم بالحقيقة .. لا الحقيقة المرة .. بل الحقيقة الحلوة ؟ نعم سأحدثكم عن فضل تزوج أجدادكم الاشاوس ، وسأحدثكم عن أعاجيب من أسرار الماضي البعيد .. البعيد .. مما لو جرى على لسان القصاصة العالمية الحسناء ــ شهرزاد ــ لوصفته على طريقتها العذبة بقولها انه **لو كتب بالابر .. على آماق البصر .. لكان عبرة لمن اعتبر !**

والفضل في هذا لا يعود الى مقدرتي وحذقي ، ولكن الفضل كل الفضل للموضوعات التي سيتناولها حديثنا ، لان هذه الموضوعات شائقة مثيرة للدهشة والاستغراب بذاتها ، ولعلها ستثير طائفة كبيرة من أهل الاستغراب .. والاستشراق .

وكلمتي هذه جزء صغير في الواقع ، او لمحات خاطفات من كتاب انتويت تأليفه بعند استيفاء البحث وارسائه على أسس علمية مكينة ، اذا تيسرت لي المصادر والامكانيات اللازمة لكل بحث وتفرغ . أما الآن والبحث على حاله هذه فلا استطيع أن أسميه بحثا بالمعنى العلمي ، وانما هو مشروع بحث .. مشروع محاضرة .

طريقة في التنقيب

كان المقدار الذي يعرفه المؤرخون قليلا جدا عن أحقاب التاريخ القديم وحضاراته ، وعما قبل التاريخ من الحضارات . ثم بدأ **التنقيب العلمي** المنظم فاحتفرت أطلال ونبشت قبور وقصور ، واستخرجت دفائن ، واذا بأسرار الماضي البعيد تسفر عن وجهها شيئا فشيئا ، واذا بالمنقبين يكشفون بين حين وحين مصابيح وهاجة من الآثار تضيء زاوية من المجهول هنا وقبوا من المخبآت هناك .

وكان ان وجدت نفسي قبل بضع سنين منهمكا أنا أيضا في الحفر والنبش عن حقائق الماضي ، في بلاد العرب وفي غيرها من أقطار الارض . جعلت أنقب في المكان والزمان ، من (نيبال) في أحضان جبال هملايا الى (ايسلندة) في المحيط المنجمد الشمالي .. ومن فجر التاريخ ، بل من دامس ليل التاريخ ، الى يومنا هذا . أجل ، فعلت كل ذلك بمفردي ودون أن أبارح غرفتي او أزايل مكتبي . ذلك بأن **طريقتي في التنقيب هي نبش المعاجم اللغوية بحثا عن العلاقات البشرية** . وصرت أجد بين حين وآخر لقية أنفس من لؤلؤة .. تومىء الى شيء مجهول ، على أن افتش عنه واستجلي غوامضه .

وجدت في تنقيباتي الكثير من الالفاظ المشتركة بين العربية واللاتينية أول الامر . وتبادر الى ذهني أن العربية هي المقتبسة من اللاتينية بوجه عام ، وان اللاتينية لم تستفد من العربية الا كلمات قليلة مثل **(الجمل** Camelus **و (الفيل** elephas وامثالهما من الفاظ الصحراء او الشرق البعيد التي توسطت العربية في نقلها الى ديار الغرب . أما كلمة سرية جليلة الشأن

مثل **(القلم)** التي وجدتها في اللاتينية بصيغة calamus فلم أتردد في الزعم بأن العربية هي التي اقتبستها من اللاتينية .. والسبب واضح . وهو أن العربية حديثة عهد بالنسبة الى اللاتينية اولا ، وان اللاتين الرومان كانوا هم أهل الحضارة حين كان العرب أمة بداوة وبدائية ثانيا ، ثم علمت بعد ذلك أن أصل الكلمة اغريقي - kalamos - وان اللغويين كافة يرون أن العرب البداة هم الذين اقتبسوا هذه الكلمة الثقافية الشريفة وما زالوا يتوهمون ذلك حتى اليوم .

ولقد أدهشني أن وجدت في أثناء حفرياتي أن للغة العربية علاقات متشابكة مع لغات بني الانسان في التاريخ القديم ، أعني الاغريقية واللاتينية والفارسية : ولكني تذكرت أن لغة **الاكديين** ، أي البابليين ، كانت اللغة العربية ، عربية ذلك الزمان والمكان بطبيعة الحال ، اي قبل اكثر من (5.500) عام ، في أرض الرافدين .. وان كلمة **(بابل)** نفسها عربية لان اصلها البابلي هو **(باب ايلو)** أي باب الاله .. ووجدت مثلا أن نظرية المثلث القائم الزاوية المنسوبة الى اقليدس قد اكتشفت في أرض الرافدين مكتوبة بالعربية البابلية على رقيم من الطين قبل عهد اقليدس بسبعة عشر قرنا ، أي منذ أربعة آلاف سنة . وتذكرت أن شريعة حورابي البابلي العربي أقدم من حضارات الاغريق واللاتين والفرس جميعا . (1)

هنا تغير وجه المسألة ، بل انقلب عقبا على رأس . وأخذ يبدو لي أن الاصح هو أن هؤلاء ، أعني الاغريق واللاتين والفرس ، هم الذين اقتبسوا من أنوار اللغات : **البابلية والآشورية والحميرية والفنيقية والارمية** .. التي حملت مشعل الحضارة بالتعاقب ، مجتمعة ومنفردة . واذا باللغة العربية ليست باللغة الحديثة ولا البدائية ، وانما هي لغة علم وثقافة منذ عهد الاكديين . وبكلمة أخرى **ان العربية أعرق لغة حية على وجه الارض ، فما من لغة غير العربية اليوم تسحب وراءها ماضيا ثقافيا وهاجا ـ مثل ذيل الكوكب المذنب ـ طوله خمسة وخمسون قرنا ، على الاقل .**

ان تحرياتي لم تكن كافية ولا منظمة لكثرة تنقلي في الأمصار ، وبعدي عن المكتبات والمراجع ، وحاجتي الى الاستقرار الذي آمل أن أجد كفايتي منه هنا . الا أن حفرياتي بالرغم من هذا كله عادت على بحصيلة كبيرة من الالفاظ العربية موزعة على الامم القديمة في اوربا وآسيا . وأود هنا أن أنبه الى نقطة مهمة وهي أني لا أقصد ما استفادته لغات الشرق والغرب من العربية في عصور الازدهار الاسلامية ، فهذه الفرائد والالفاظ معروفة يعلم المعجميون الاجانب أنها من العربية ، وقد نقلها ونشرها الكثيرون من اللغويين المحدثين العرب ، وانما أنا أبحث عن الالفاظ التي اقتبستها اللغات الاجنبية من العربية قبل الاسلام ، بل قبل التاريخ ، ولا تدري المعاجم الاجنبية أن أصلها عربي .

العطاء

ومن حقكم أن تسألوني : ما الدليل على أن اللغات الاجنبية هي المقتبسة ؟ ألا يجوز أن تكون اللغة العربية هي التي استفادت هذه الالفاظ المشتركة من هذه اللغات الاجنبية ؟

لا يتسع بنا المقام هنا لاستعراض الكثير من الالفاظ المشتركة **بين اللغات وتحليل معانيها واشتقاقاتها** وردها الى أصولها ، فان هذا من البحوث الجادة المملة . مكانها الكتب والمجلات .. على حين أن المحاضرات بطبيعتها ينبغي أن تكون خفيفة سائغة . فأنا بين نارين : نار الجفاف الذي تتسم به البحوث اللغوية كبحثنا هذا من جهة ونار الطراوة والطلاوة التي تتطلبها طبيعة المحاضرات من جهة أخرى . فلنخفف اذن ونلطف على قدر الامكان . ولنأخذ كلمة واحدة من الكلمات المشتركة وهي **(الاداء)** او **(التادية)** من فعل **(أدى)** . وهي في الفارسية **(داد)** أي أعطى .. وفي اللاتينية addo

(1) وجدوا في اطلال بلدة أشننة Ashnunnah بالعراق قانونا أقدم من شريعة حورابي بمئتي سنة . ومن مزايا قانون اشننة هذا اولا : انه يذكر أقدم مظهر معروف للعملة وهو وزن معين باسم (شقل) من الفضة ـ أي الثقل ـ شبيه بما سماه العرب (المثقال) . ثانيا : تحديد أسعار الضروري من السلع للحياة العامة من معاش وصناعة ونحوها .

و datio و dono ومنهـــا فى الايطالية dato ومن صورهـــا فى الفرنسية donner و donation و date وللكلمة فى كل من هذه اللغات اشتقاقات أخرى . ولهـــا فى الانكليزية ايضا بعض الصور منها الكلمتـــان الفرنسيتان الاخيرتان ، أعنى date و donation

فأية واحدة من هـــذه اللغـــات الست هى **(المعطية)** الاولى لهذه الكلمات الدالة على **(العطاء)** ؟

النظرية الرائجة هى أن اللغات الاوربية أصلها آرى هندى ، لذلك سموها اللغـــات **(الهندية – الاوربية)** . فاذا أخذنا بهذه النظرية الشائعة لاحت الكلمة آريـــة الاصل ، انتقلت من الشرق الى اوربا ، ولعلها مرت فى طريق انتقالها ببعض البلاد العربية فتخلفت فضلة منها للعرب . ونحن لا نريد أن ننكر المادة الآرية فى اللغات الاوربية ولا الدماء الآرية فى شرايين الاوربيين . ولكـــن حفرياتى اللغوية كشفت لى ما للعربية من دور خطـــير فى هذه اللغات الاوربية . بل ما للدم العربى من قسط كبير فى شرايين الاوربيـــين وأوردتهم ، ومـــا للافكار العربية من تفاعل شديد فى رؤوسهم وفى نفوسهم .

اذا وجدنا كلمة مشتركة فى بضع لغـــات فانمـــا نستطيع أن نعرف اللغة الام منهن باحدى طريقتين فيما أظن . اما أن نعرف فى أية واحدة من هذه اللغات كانت الكلمة أقدم عهدا ، واما ان نجد فى احدى هذه اللغات **الجذر البدائى الاصيل الذى نشأت منه الكلمة . أمـــا** من حيث القدم فقد وردت الكلمة فى العربية الاكـــدية وهى **(ندانو)** بمعنى أعطى أيضا .

ويبدو لى أن هذا لا يكفى لاقتنـــاعكم ، ولا سيما أن فيكم من أجلة العلماء من لا يقنعه الا البرهان الحاسم ، وكأنى ببعضكم يقول : ومن يضمن لنا أن الاكدية ليست هى المقتبسة ؟ فان كون الاكدية أقدم من هذه اللغات فى الحضارة لا يدل على أنها أقدم منهـــا فى الوجود ، كما أن كلمة العطاء ليست من الكلمـــات الحضاريـــة الراقية التى لا تعرفها الامم المتخلفة لنقول ان الاكديين هم الذين اخترعوها فنقلها عنهم الآخرون . نعم ، الحق معكم . انه اعتراض معقول ، أنا الذى وجهته الى نفسى فى الحقيقة قبل أن يوجهه الى أحد ، وأنتم شهودى على ذلك . ولكنى مصر مع هذا على ان كلمات العطاء هـــذه الموزعة على عدة لغـــات أصلهـــا عـــربى قـــح ، لانى وجدت النواة الأولى التى انبثقت وأثمـــرت و **(أعطت)** ثمارها الى أهل الارض شرقا وغربا ..

اليـــد وبناتها

وجدتها ايها الاخوة والاخوات ، فى العربية . انهـــا كلمة صغيرة من حرفين اثنين هما اليـــاء .. والدال . نعم ، انها **(اليد)** ، هذا العضو المهم من جسم الانسان .

لقد أكثر العرب من اشتقاق الافعال والاوصاف من أسماء الاعضاء . فمن **(الوجه)** اشتقوا المواجهة والاتجاه والجهة والتوجيه والوجاهة والجاه .. الى آخر ما هناك ومن **(الظهر)** اشتقوا الظهور والمظهر والظاهر والظهير والتظاهر والتظاهرة والمظاهرة .. الى آخر ما هنالك . فلا عجب اذن أن اشتقوا من **(اليد)** فعـــل **(أيد تأييدا)** بمعنى المساعدة ، والمساعدة أيضا من (الساعد) بمعنى المعاضدة وهذه ايضا من **(العضد)** بمعنى المكـــاتفة ، وهذه أيضا من **(الكتف)** بمعنى **المؤازرة ، وهذه ايضا** من **(الازر)** وهو **(الظهر)** الذى تحدثنا عنه توا .

كذلك صاغ العرب من (اليد) فعل **(ودى يدى وديا ودية) بمعنى** أعطى ، **والدية** هى التعويض يدفع عن دم القتيل كما هو معلوم . كذلك صاغوا فعل **(ادى)** بمعنى أعطى باليد . ثم انهم فكوا ادغام الـــدال المشددة فى **(أدى)** بادخال الهاء مرة فقالوا **(أهدى)** ومنها **(الهدية)** ، وبادخال النون مرة فقالوا **(اندى)** بمعنى أعطى وأكثـــر العطاء ، ومنها **(الندى)** اى السخاء . و **(أندى)** هـــذه تطورت فصارت **(انطى)** وأنطى صارت (اعطى) .. ثـــم **آتى .. ثم أتى** .

فهل من شك بعد هذا .. بعد كـــل هذا .. فى أن أصل الكلمة عربى صميم ؟ اننا نرى شجرة النسب هنا كاملة حتى آدم العطاء : **اليد** . أتـــى بنت آتى .. بنت أعطى .. بنت أنطى (1) بنت أنـــدى .. بنت أدى .. بنت **اليد** .

---

(1) هذا نقوله خلافا للقاعدة المشهورة التى تزعم ان (أنطى) لغة متفرعة من (أعطى) نطق بها بعض العرب كسعد وهذيل .. وخلافا لما يقوله بعض المحدثين مصححين لخطأ الاقدمين من أن (أعطى) من (أتى) . فالذى نراه أن العكس هو الصحيح فى كلتا الحالتين .

والسؤال الآن هو كيف استعجمت هـــاته اللفظات اليعربيات ؟

ان فعل الامر من (ودى) هو (د) كما نعلم . مثل (ق) من (وقى) ، و (ع) من (وعى) . وفعل الامر (د) هذا هو الذى اقتبسه الفرس ، فهو نفسه بنفس اللفظ والمعنى فعل الامر عندهم أيضا . ومنه صاغـــوا الماضى (داد) والمصدر (دادن) .

ومن فعل (أيد) تسرب الى الانكليزية والفرنسية فعل aid و aider بنفس المعـــنى العـــربى ، اى المساعدة .

كذلك تناول اللاتين فعل (أدى) فنطقوه على طريقتهم addo بنفس المعنى . ومن فعل (ندانو) فى الاكدية صاغوا فعل dono بمعنى (اهدى) . وعن اللاتينية أخذت اللغات الإوربية الحديثـــة وزادت فى التـــوليد والاشتقاق .

واذا بهذه الكلمة الصغيرة ـ اليد ـ تفرخ تفريـــخ الدجاجة ، وتوزع هبــاتها على العالمين ، منذ الـــوف السنين . ومن الطرائف ان كلمة data وهى تعنـــى (العطايا) باللاتينية وكثير من اللغــات الاوربية ، قـد ترجمها العرب المحدثون (المعطيات) . وها هى data الاوربية ترجع بنسبها عن طريـــق لاتينية الى (اليد) ، وها هى نظيرتها (المعطيات) الاسيوية ترجع بنسبها عن طريق عربية الى (اليد) ايضا ، وقد قرنهما المترجمـون على عهدنا هذا . فسبحان من يجمع الشمل بعد شتات ألوف السنين .

والقلـــم وما يسطرون

ومن المناسب هنا أن نلتفت التفاتة سريعة الى (القلم) الذى هو kalamos فى الاغريقية و calamus فى اللاتينية ، لتطمئنوا على مصيره ، قبـل الخوض فى شؤون أخرى . انى أعلن لكم بصراحة أنه عريق النسب فى العروبة ، وأنه ينتمى الى أسرة عربية ضخمة قـــل مثلها فى اللغات ، وأحسبها تربو على (500) نفس .

ان (القلم) اولا مشتق من فعل (قلم قلما) مثل (قطع قطعا) وزنا ومعنى . ومثلها (جلم جلما) تعنى قطـع أو حلق . ولها أخوات : (جلى ، جلح ، جله ، جلف) . وفعل (قلم) أيضا له اخوات : قلف ، قلغ ، قلع ..

وحرف اللام فى فعل (قلم) مبدل من الطاء فى (قطم) والصاد فى (قصم) والضاد فى (قضم) .. الى آخر مـــا هنـــالك .

وهذه كلها مع كثير غيرها ترجع الى الام الاولى (قط) وهى الام الحوائية لبيئات الافعال الدالة على القطـــع واشباهه . أما فى اللغتين الاوربيتين فنجد الكلمة فـــى المعجم يتيمة ، لا أهل لها ولا أقارب .

ثانيا ان القلم يعنى القصب فى اللغــات الثـــلاث . وصياغة كلمة تعنى القصب من فعل ماض يعنى القطع ليس بدعا فى اللغة العربية . فان كلمة (القصب) أيضا صيغت بنفس الطريقة من الفعل الماضى (قصب) الذى يعنى القطع أيضا . فالظاهر أن القوم الذين صاغوا اسم (القلـــم) من الفعل الماضى هم القـــوم الذين صاغـــوا (القصب) بنفس الاسلوب : أى العرب ، وربما قبيـــل بذاته من العرب فى كلتا الحالتين .

وثالثة تحبونها .. هى أن الكلمة kalamos calamus ليس لها فى هاتـــين اللغتين الحضاريتـــين الراقيتين الاوربيتين الا معناها البـــدائى : القصب .. القصب فقط . وانما اكتسبت معناها الحضارى الثقافى فصارت تعنى آلة الكتابة فى العربية .. فى العـــربيه فقط . ذلك ان العرب لما بدأوا يستعملون اليراع ـ أى القصب ايضا ـ للكتابة اختاروا احدى المترادفات (القلم) للدلالة على هذا القصيب الذى به يسطرون .

ارجعوا الى معاجم اللغات الثلاث لتتأكدوا . ارجعـــوا الى المعجم العربى وحده على الاقل لتروا ان (القلم) يعنى القصب الذى برى رأسه إعدادا للكتابة . فاما قبل بريه فاسمه القصب .

من ثمـــار الحفريات

هذا قليل جدا من كثير جدا من مكاسبنا فى الحفريات المعجمية . واليكم نماذج قليلة أخرى عن اللغات الاوربية الثلاث : الاغريقية واللاتينية والانكليزية :

هاكم من الاغريقية أولا :

sema اى العلامة ، وأصلها العربى : السمة والسيماء، والسومة ايضا .

muthos واصلها العربى المثلة والمثلة ، ومعناها فـــي كلتا اللغتين الاغريقية والعربية هو : ما يروى للعبـــرة

من أخبار الاولين أو أساطيرهم . ومنها mythology في اللغات الاوربية ، أى (علم الاساطير) . ويمكننا فيما أظن أن نسميه في العربية (علم المثلات) .. اذا سمح لنا المكتب الدائم للتعريب . وأود هنا أن أبشركم سلفا بأن logy هذه في mythology هي ايضا عربية مثلكم . وسنعود اليها حين يأتي دورها .

historia اى الخرافة . وأصلها العربي : **اسطورة** ، وهي في العربية من **السطر** أى الكتابة . ومنها في الانكليزية history بمعنى التاريخ ، وفي الفرنسية histoire بمعنى التاريخ أو الحكاية .

aster و astron أى النجم . والصيغة الاولى aster من اسم **(عشتار)** الالهة البابلية التي تعني كوكب الزهرة ، والصيغة الثانية astron يظهر انها من اسم **(عشتاروت)** كما ينطقها الفنيقيون وهي تعني النجم بوجه عام لدى الاغريق . وهي كذلك في اللاتينية ، وتنطق astrum . ومنها صيغ اسم علم الفلك : astrologia بالاغريقية واللاتينية و astronomie, astronomy بالانكليزية والفرنسية. ولو أننا صغنا اسم علم الفلك في العربية على هذه الطريقة من اسم (عشتار) لقلنا ان astronomy هو **(العشترة)** ! (I)

techné أى الفن . ومنه technology في اللغات الاوربية الحديثة . وأصلها العربي (**التقن**) بمعنى الملكة والجبلة . ومنه قالت العرب «ان الفصاحة من **تقنه**» أى من طبعه .

نكتفي بهذه الخمس الكلمات من الاغريقية ، واليكم خمسا أخرى من اللاتينية .

solidus وعربيتها : **الصلب** والصلد والصلود .

capesso وعربيتها : **قبض** .
tabum وعربيتها : **طاعون** .
genius وعربيتها : **جنى**
materia وعربيتها : **مادة** .

وهذه خمس أخرى من الانكليزية :

that من : **ذاك**
cut من : **قط** ، أى قطع .
earth من : **أرض**
tall من : **الطول** بمعنى طويل .
wine (نبيذ) من : **وين** (العنب الاسود) .

الاصل اللغوى المشترك

واني لفي نشوتي أتخبط بين المعاجم ، فرحا بما اكتشف من نفائس التحف اللغوية التي تعزز هذه الفكرة عندى وتزيدها رسوخا في ذهني ـ أعني فكرة **فضل العربية على اللغات الاوربية** ـ واذا بعقبة كالجبل تنتصب امامي ذات يوم لتقلب الاوضاع وتذهب بكل جهودى أدراج الرياح الاربع . وذلك اني وجدت في احدى مطالعاتي ان بعض المستشرقين قد لحظوا الشبه ، لا بين العربية واللغات الاوربية وحسب ، بل بين الساميات والآريات كافة ومنها أمهن السنسكريتية ـ أى الهندية ـ القديمة ، بل ان منهم من طابقوا جميع الكلمات الاصلية في اللغات السامية مع نظيراتها في اللغات الآرية فوجدوا ان جذورها الثنائية مشتركة بين الطائفتين ، أما الكلمات التي لم يجدوا لها جذرا ثنائيا مشتركا فقد أوجدوا لها جذرا ملائما افترضوا انه كان موجودا في غابر الزمان ثم اندثر .

والمقصود **بالجذور الثنائية** للكلمة هو أن الكثيرين من علماء اللغة يعتقدون أن أصل الكلمات كان أول الامر يتألف من حرفين تقليدا لاحد الاصوات الطبيعية ثم زيدت في كل لغة حروف أخرى بمرور الزمن .

وقد إختلفت آراء المستشرقين في تعليل هذه الظاهرة اللغوية ، أى ظاهرة التشابه بين أصول الالفاظ **السامية والآرية** ، فبعضهم استنتج أن الآريين والساميين كانوا يتكلمون لغة واحدة بادت منذ زمن سحيق بعد ان انشعبت شعبتين . وبعضهم قال ان الاصل البشرى الذى انحدر منه الساميون والآريون كان يتكلم لغة بدائية قديمة فلما انسلخت هاتان الطائفتان سلكت كل واحدة منهما طريقها في تطوير لغتها ، وبقيت أثارة من اللغة القديمة الام تظهر في هذه الجذور الثنائية . ولكن

(I) اسم عشتار ما زالت منه بقية في لغة نيبال ، فقداندرس منه النصف الاول وبقي اسم آلهة الحب والجمال عندهم (تارا) .

أكثر علماء اللغة ينكرون المسألة من أساسها ويرفضون فكرة انتماء هاتين المجموعتين من اللغات الى أصل واحد بحجة أن النظرية غير علمية لانها افتراضية ولان أدلتها غير قاطعة ، ومن ثم كان الاخذ بها ضربا من العبث .

والآن ما موقفنا نحن ، اخواني أخواتي ، من هذه المعضلة الجديدة ؟ هل نصدق هذه النظرية فنقول ان الشبه بين العربية والآريات يرجع الى الاساس اللغوى الاول الذى لا نعرف عنه شيئا فلا يبقى فضل للعربية على غيرها وتغدو كل مساعينا فى الحفر والتنقيب هباء منثورا ؟ أم هل ننضم الى خصوم النظرية من علماء اللغة ونهمل هذه الظاهرة الصريحة التى لا يمكن انكارها مهما تغاضى بعضهم عنها وعن النتائج المترتبة عليها .؟

لا هذا ولا ذاك .. فنظريتنا القائلة بفضل العربية على الاوربيات صحيحة ، ونظريتهم القائلة برجوع الطائفتين الى أصل واحد صحيحة ايضا . فكيف كان ذلك .؟

اليكم البيان :

اذا أمعنا النظر فى الالفاظ المشتركة نجدها تتألف من صنفين متمايزين ، أولهما الكلمات البدائية كأسماء الحيوان وأعضاء البدن وما الى ذلك . وثانيهما الالفاظ الحضارية الراقية .

فلنعاود الآن ذكر هذه الالفاظ الحضارية التى مررنا بها منذ قليل :

historia أى **الاسطورة** ، muthos أى **المثلة** ، techné أى **التقن** ، و astrologia أى **علم الفلك** ، وهذه الالفاظ موجودة فى الاغريقية واللاتينية معا . ولنضف اليها alphabetha أى **الالفباء التى نعلم جميعا أن الاغريق اقتبسوها من العرب الفنيقيين** . فهذه تعابير حضارية راقية لا يمكن اعتبارها من الالفاظ البدائية ، لا من حيث القيمة اللغوية ولا من حيث الرقى المعنوى .

وعلى هذا لا يمكن أن تكون هذه الالفاظ الحضارية المشتركة بقية أثرية من لغة قديمة عفى عليها الزمان . ولا أجد حلا للمشكلة الا أن نعترف بفضل العربية على هاتين اللغتين وفضل العرب على هاتين الامتين المتحضرتين فى أوربا فى العصور القديمة . والدليل كما قلنا هو **أولا** قدم الحضارات العربية من أكدية وآشورية وحميرية وفنيقية وأرمية .. **وثانيا** ان أصول هذه الالفاظ موجودة كلها مع تفرعاتها فى العربية ، بينما هى فى هاتين اللغتين الاوربيتين فروع بلا أصول .. مما لا يدع لنا مجالا للريب فى حقيقة نسبها . ولولا ضيق المجال لاتيناكم من الامثلة الكثيرة بما يكفى لاقناعكم .. وامللكم .

اللغة الام

بعد أن اطمأن بالنا على هذه الناحية أى فضل العربية فى العهود الحضارية نعود الى التساؤل عن هذا الشبه الآخر بين جذور الالفاظ البدائية فى العربية والآريات ومنها السنسكريتية ـ الهندية ـ هذه الظاهرة اللغوية العجيبة ما معناها ؟ وكيف نفسرها ؟

سألت نفسى : هل التقت العربية بالهندية ؟ فى أى مكان ؟

هل العرب أصلهم هنود ؟ هل الهنود أصلهم عرب ؟ هل هاجر أحد الطرفين الى بلاد الآخر فى الماضى السحيق ؟ فى أى زمان ؟ هذا هو السؤال الآن ، فى أى زمان .. لا فى أى مكان فقط .

أجل ، لا بد هناك من هجرة .. فى **زمان** .. من **مكان** الى مكان . ثلاثة الفاظ : **هجرة ، زمان ، مكان .**

أيها الاخوان والاخوات ، لقد انحلت المشكلة . مكان المسرحية أو المأساة هو **الجزيرة العربية** . وزمانها قبل **نحو احد عشر الف سنة** . وخاتمتها **هجرة** ، نعم هجرة مروعة .

وجدت المفتاح فى حقيقة تاريخية معروفة ، كثيرا ما مررنا بها وتحدثنا فى شأنها دون أن يخطر لنا أن نتساءل عن نتائجها اللغوية العظيمة .

من المعلوم أن الجزيرة العربية كانت فى الماضى البعيد غابة لفاء كغابات الهند وأواسط افريقيا ، **تخترقها انهار عديدة كبيرة وصغيرة** ، وتغاديها أمطار غزيرة ، فكانت كثيرة السكان وافرة الاثمار والحيوان . وكان هذا فى زمان كان الثلج فيه يغطى شمالى اوربا فلا يترك فيها فرجة لمعيشة ذى روح من انسان أو حيوان . فلما ذاب ذلك الدثار الزمهريرى من الثلج عن اوربا فاسفرت ارضها لترى وجه الشمس كانت

هذه النعمة الاوربية والانسانية الكبرى كارثة على الجزيرة العربية ، لان ذلك سبب تغير اتجاهات الرياح فاذا بالسحب المطارة التى كانت تغدق بركاتها على العرب تتحول الى اوربا ، واذا بتلك الجنة الفيحاء تصوح تحت أشعة الشمس التى أصبحت نارا تلظى على الجزيرة العربية وبردا وسلاما على أوربا .. واذا بالغابة تصبح الصحراء القاحلة المحترقة التى تعرفون .

فما ذا كانت النتيجة ؟ ما ذا يفعل الملايين من أبناء الجزيرة العربية الذين اعتادوا العيش الرخى الهنىء فى تلك الجنة المصوحة ؟ النتيجة الطبيعية انهم صاروا ينزحون عنها بسرعة تتناسب مع سرعة انتشار الجفاف والقحط فيها . فلا بد ان منهم من هاجر شمالا الى الشام والعراق ، وان منهم من هاجر مشرقا الى ايران وما وراءها ، ومنهم من هاجر مغربا الى مصر وما وراءها، ومنهم من عبر البحر المتوسط والبر الاناضولى الى أوربا .

ويظهر أن بعضهم هاجر الى الهند . ولا نعلم الاحوال الارضانية (أعنى الجيولوجية) فى تلك الايام ، فلعلها كانت أكثر مساعدة على السفر الى الهند مما هى عليه اليوم . ومهما يكن فان عبور الخليج العربى لم يكن بالامر العسير ، ولا سيما من أضيق نقاطه عند مضيق هرمز .

ولئن كان الاوربيون قد ساروا فى الاصل من الهند حتى بلغوا السويد والنرويج وايسلندة فان هجرة العرب الى الهند ملاحة عبر الخليج العربى او مسيرة عبر بلاد فارس أمر يغدو طبيعيا هينا لا غرابة فيه . ومهما يكن فان اللغة الفارسية فرع من السنسكريتية ، فاذا استطاعت السنسكريتية أن تاتى من الهند الى ايران ففى استطاعة العربية ايضا أن تقطع نفس المسافة من ايران الى الهند . هذا الى أن وطن السنسكريتية الاول غير معروف بالضبط هل هو الهند أم غيرها . وأرجح ، بناء على مقتضيات نظريتنا فى الهجرة العربية، أن موطن الآرية الاولى بصبغتها العربية الاولى قد كان فى موضع من المنطقة التى تجمع بين ايران وافغان وباكستان . ومن هناك توزعت فيما بعد . وايران هى المحطة الاولى على كل حال .

ولا بد أن العرب كانوا يومئذ ، كما كانوا أبدا ، على جانب عظيم من الحيوية .. العدد القليل منهم يملأ المكان الفسيح ويغمره ، كالذى رأينا فى شمالى افريقيا مثلا على العهد الاسلامى . وكان للغتهم من الحيوية ما كان لاصحابها . ويبدو انهم استقروا وتوطد لهم العيش فى شبه القارة الهندية ، او قريبا منها ، بحيث أن لغتهم التى يظهر أنها كانت على الاغلب فى مرحلتها الثنائية عهدئذ طغت على اللغة او اللغات المحلية التى لعلها كانت ضعيفة جدا بدائية جدا . بل لعلهم نزلوا أرضا خالية نموا وترعرعوا فيها فكانوا أمة وحدهم أول الامر لهم لغتهم وحدها .. ثم كثروا وانتشروا .

وهذا ، اخوانى اخواتى ، هو التفسير الوحيد الذى تتراءى لى فى ظلمات التاريخ لهذه الظاهرة اللغوية ، ظاهرة تشابه الالفاظ السنسكريتية فى جذورها الثنائية مع الالفاظ العربية .

كون الجزيرة العربية جنة غناء قبل أحد عشر الف سنة حقيقة تاريخية لا ينكرها أحد من العلماء . وتحولها الى صحراء مجدبة قاحلة حقيقة تاريخية جغرافية لايمارى فيها أحد من العلماء ولا الجهلاء . وأما أن الجدب يسبب الهجرة وخاصة فى الجزيرة العربية فحقيقة تاريخية جغرافية اجتماعية اقتصادية ثالثة تكررت مرارا ، لا على اثر انكسار سد مأرب وحسب ولكن فى مناسبات كثيرة أخرى . كلما أناخ على الجزيرة العربية بلاء من قحط أو حرب ، أى كلما عصرتها الظروف خرجت منها موجة مهاجرة كما يخرج معجون الاسنان من الانبوبة عندما تعصرها بأصبعيك .

ان المسألة ، ايها الاخوة والاخوات ، **ليست جوازية ، بل وجوبية** . أعنى لا بد ان الهجرة من الجزيرة العربية قد وقعت ، ولا بد أن وقوعها ترك آثاره اللغوية المبينة . وهذا نفسه هو تفسير الشبه بين اللغة العربية واللغات البربرية فى شمال افريقيا مثلا .

الجذور الصوتية

ولكنى مع هذا ، أجل مع كل هذا ، لا أكتم عنكم أنى اعترضت على نفسى فى هذا الاستنتاج الخطير ، وقلت لنفسى : افترض ياصاح ، أن هجرة الاعارب الى الهند او غيرها من الاصقاع وزرع لغتهم فيها لا يعدو أن يكون وجها من وجوه الاحتمال ، ان لم يكن لدينا برهان يفنده فليس لدينا برهان يؤيده . والبحث

العلمي لا يبيح لنا بنـاء الحقائق وخاصة مثل هـذه الحقيقة الضخمة ، على الاحتمالات والافتراضات ، محاباة لفكرة قبلية غازية أو بعدية واهية ، ولا اندفـاعا وراء عاطفة وطنية او عصبية قومية . وانما قصارنا في مثل هذه الحال أن نقول ان الامر يحتمل أن يكـون كذلك ونترك تمحيصه للزمن وللناس . فلنفترض كذلك اذن أنه يحتمل أن يكون العرب هم الذين اقتبسوا لغتهم من الآريـة الاولى في ظروف تاريخية غامضة لا علم لنـا بهـا .

ولكن ما العمل وقد انتصب أمـامي دليلان كبيران يؤيدان فضل العربية بالرغم من اعتراضاتي ؟

أما الدليل الاول فهو أننا في **العربية** وحدها نجـد الأصول التي نشأت منها الكلمات المشتركة بين العربية والآريات على نحو ما رأينا في الالفاظ الدالة على العطاء وكيفية انبثاقها من **(اليد)** . بل أكثر من هذا أننا نجد في العربية النبرة الصوتية التي نبتت منها الكلمة منذ يوم ولادتها . اليكم مثلا فعل (فر) الذي يحكـي صوت أجنحة العصفور عند فراره . وما زالـوا في العراق يقولون في وصف فرار الهارب : عمـل **فررررررر** .. وطار مثل العصفور . ومن هذه الكلمة يقول الانكليز : **(فـلاي** fly**)** بمعنى يطير ، و **(فلايت** flight**)** بمعنى الفرار . ولا يمكننا أن نتبين الاصل الصوتي في هاتين الكلمتين الانكليزيتـين المحرفتين دون استدلال بالاصل العربي **(فـر)** .. الذي يحكي الصوت الطبيعي ويصوره تصويرا دقيقا ، ومن ثم لا يمكن أن تكـون الكلمة الانكليزية flight هي أصل الكلمة العربية **(فـر)** .

الاصـوات العربية

وأما الدليل الثاني فهو الاصوات العربية التي لاوجود لها في اللغات الأعجمية ولا سيمـا الاصوات الحلقية منها . فاذا وجدنا ألفاظا مشتركة منشؤها من هـذه الاصوات الحلقية الطبيعية ورأينا الأعـاجم قد اضطروا الى استبدالها بأصوات يقدرون عليها أفلا يدل ذلك على أصلها العـربي ؟

كثيرا ما سمعنا الاجانب ينتقدون اللغـة العـربية لوجود أصوات **العين والغين والحاء والخاء والصاد والضاد** وغيرها فيها ، مما يجعلها في زعمهم غليظة خشنة يصعب النطق بها . وفاتهم أن هذه الحروف طبيعية ، لأن الطفل في كل بلاد العالم ينطق بها عفوا ، ولكنه حين يكبر لا يجد هذه الاصوات في لغة أهله فيهملها الى أن تتعطل بالتدريج أعضاء النطق المكلفة بأدائها ، كمـا تتعطل اليد أو الرجل أو أي عضو يهمـل استعماله منـذ الصغـر .

فلنضرب بعض الامثلة على كيفية نشوء الكلمات من الاصوات العربية **الصعبة** على غير العرب . لنأخذ صوت **(الحاء)** ، فهو أحد هذه الاصوات الحلقيـة الطبيعية ، ينبعث تلقائيا عند التنحنح فيقول الصغير **(أح)** لمجرد تنقية حنجرته دون أن يريد مخاطبة أحد أو التعبير عن شيء . فمن هذا الصوت صاغ العرب فعل **(أح)** بمعنى سعل ، ثم أصبحت بمرور الزمن (قح) و (كح) وهمـا صيغتان مندثرتان في العربية الفصحى فيمـا يظهر ، ولكنهما ما زالتـا مستعملتين في بعض بـلاد الشرق الاوسط . ومن **(قح)** صاغ العرب الاقدمون فعل **(قحف)** و**(قحب)** ومازال المغاربة يقولون **(الكحبة)** بمعنى السعال ولكننا لا نشك ان الجذر الثنـائي الاصيل هو فعـل **(أح)** لانه هو الذي يصور الصـوت الطبيعي للسعال . وفعل (قحف) يطالعنا في الانكليزية بصيغـة **(كـف)** cough بنفس المعنى . ويقـول المعجم الانكليزي ان هذه الصيغة منحدرة من الانكليزية الوسطى التي ورد فيها بصيغة coghen وهـذا منتهى علمهم . فهـل نستطيع أن يستطيعون ، أن نقول أو يقولـوا ، ان cough أو coghen هما الاصل الـذي أخذ عنه العرب فعل **(قحب)** و **(قحف)** ثم جعلوه **(قح)** ، ثم أعادوه الى الاصل الطبيعي (أح) ؟ ان البذرة يمكن أن تنمو فتصبح شجرة لها فروع ، ولكن الفروع لا يمكـن أن تعود الى شجيرة ثم بذرة .

الطفـل العـربي

واعرض لكم الآن نموذجا رائعا من ثمـار الحفريات اللغوية ، اسمحوا لي هذه المرة أن أعده دليلا قاطعا . وهو فوق ذلك يعود بنا الى أقـدم منابع اللغة وربمـا أجملها أيضا . وسنرى في هذا النموذج كيـف تنبت البذرة وتنمو وتورق وتزهـر تحت سمعنا وبصرنا . وبعبارة أخرى سنرى بأم عيننا كيف انبثقت اللـغة ونمـت .

لقد حان الآن ان ننجز لكم ما وعدناكم به من الحديث عن فضل **الطفل العربي** ـ الرضيع العربي ـ على لغات بني آدم ..

ها هو طفلنا الوليد قد استوفى نصيبه من الرضاع بعد نومة هنيئة ، فشاع في نفسه الجديدة شعور غامر بالسعادة ، فاذا به يرفع عقيرته بالغناء ، كما يفعل الكبار من العرب غالبا في أمثال هذه المناسبات ، ويصيح دون سابق انذار : **غغغغغ** ... وكثيرا ما يستخفه الطرب وتطغى عليه النشوة فيرتقي طبقة أخرى في الغناء ويصيح معلنا رضاه عن الدنيا وعن سير الامور فيها بقوله متحمسا : **لغ لغ لغ لغ لغ لغ لغ لغ لغ ...** وأظننا كلنا قد لحظنا مرارا هذه الاغرودة وطربنا لها . وهذا الصوت الحلقي أعني حرف الغين هنا ، ليس خاصا بالطفل العربي ، بل هو عالمي يترنم به عفويا وفطريا أطفال جميع الشعوب كالذى قلنا أكثر من مرة . وبكلمة أخرى ان الطفل يولد على الفطرة ، عربيا في نطقه .. وأبواه يفرنسانه او يؤغرقانه أو يهندانه ..

فلننظر أيها الاخوة والاخوات .. الاصح هنا تقديم ذكر الاخوات على الاخوة لان الموضوع موضوع أطفال هن أولى به . نعم ايتها الاخوات والاخوة ، ما معنى هذه الظاهرة الانسانية وما قيمتها أو قيمها ؟ انها قبل كل شيء **(كلام)** بالنسبة الى قائلها ـ الطفل ـ لانها **(تعبير)** عن شعوره بالوجود وفرحته بالحياة التي أخذ يستطيبها . وهي ثانيا **(لغو)** بالنسبة الينا لا تعبر عن معان محددة كالفاظنا القاموسية التي اعتدنا التعبير بها . وهي مع هذا وذاك **(غناء)** .. أول غناء يبدأ به الانسان من تلقاء نفسه بدون تعليم . وهي رابعا **(دعوة)** من هذا الصغير للكبار من الآدميين تبتعث اواصر **(التعاطف)** الانساني والشعور بالرحمة في نفوسهم ولا سيما نفوس الامهات .

ثم فلننتظر هل ادرك العرب الاقدمون في تلك العصور الحجرية والعهود الغابرة السحيقة .. هل أدركوا هذه المعاني في **لغلغة الطفل** هذه ؟ العجيب أيتها الاخوات والاخوة انهم أدركوها كلها ادراكا عميقا، وعرفوا قيمتها حق العرفان ، وتركوا لنا ذلك واضحا في لغتهم ـ لغتنا .

أما تقديرا للقيمة **(العبثية)** في هذه اللغلغة فقد صاغوا منها أول الامر فعل **(لغا لغوا)** أي قال الصغير (لغلغلغلغلغ) . ثم عمت الكلمة فاستعملت للكبار والصغار جميعا بمعنى الهذر والتخليط في الكلام . وليعذرنا انصار **(العبثية)** في الفن الحديث ، فان العرب عدوا ما لا يفهم وما لا معنى له **(لغوا)** .

على أن تسمية لغلغة الوليد (عبثا ولغوا) أمر عادى لا براعة خاصة فيه . وأما الذى يستحق التسجيل لما فيه من دلالة على عمق الاحساس وسلامة الفهم فهو أن العرب منذ عهدهم البدائي البعيد ادركوا نفسانيا وعقلانيا ما في هذه اللغلغة من قيمة كلامية ، فاعتبروها تعبيرا وخطابا من هذا الكائن الجاهل الابكم المهذار ، اذ قالوا **(لغا لغوا)** بمعنى تكلم ، أيضا . ولعلكم تستغربون ذلك . فمن انكر هذا فما عليه الا أن يراجع أقرب معجم عربي من محل الحادثة ، ليرى أن **(اللغو)** يعني الكلام كما يعني الهذر والتخليط . ولكن الرغبة في تجنب اللبس أدت الى اهمال أحد المعنيين . وجدير بالتأمل ايضا أنهم من هذا (اللغو) بمعناه الخطابي التعبيري صاغوا لفظة **(اللغة)** .

ثم تحور فعل (لغا لغوا) فاصبح **(نغى نغوا ، ونغى نغيا ، وانغى انغاء)** ـ بالنون ـ بمعنى الكلام أيضا .

ثم ان هذه اللغلغة من رضيعنا الطروب هي ينبوع الغناء الانساني . وما غفل العرب عن معناها الموسيقى هذا بل قدروه كذلك وقيموه ، ومن ذلك استعملوا **(النغو والنغى والانغاء)** بمعنى الغناء أيضا اول الامر وقد بقي في المعاجم دليلا على ذلك انهم صاغوا **(النغية والنغوة)** بمعنى **(النغمة)** الحسنة . ثم تطور فعل **(أنغى انغاء)** فصار **(غنى غناء)** .

ونأتي الى ما في هذه اللغلغة الثمينة من قيمة انسانية عاطفية لايصمد امامها حتى القاسي من القلوب. فمن الذى يلوم قلب الام اذا هو خفق نشوة وذاب رقة عند سماعها ؟ ان الام ما تكاد تسمع هذا الصوت الساحر حتى تقبل على وليدها بكل جوارحها فتجلس اليه وقد هبطت الى مستواه اللغوى ، بل العقلي أيضا . فاذا هو قال لها ضاحكا : **لغلغلغلغلغ ...** شعرت أن الدنيا لم تعد تسعها من فرط السعادة . فتجيبه على البديهة : لغلغلغلغلغ ...

ويظلان على ذلك ، مشتبكين في حوار (عبثي) ليس له معنى قاموسي ، وفيه كل معاني التخاطب والتعاطف بين أعز انسانين . وتراهما مستغرقين في الضحك

كانهما يتبادلان النكات والملح فى حوار يتجاذبانه من وضع موليين . فهذا **اللغو** ، أعنى تبادل **اللغلغة** و **النغنغة** هو أصل **(المناغاة)** بين الام وحشاشتها ، ايتها **الاخوات. ينغى الطفل فتناغيه أمه ، أى تنغى معه** . ومن تطور **(المناغاة)** بين الام ووليدها صيغت كلمة **(المناجاة)** بين الحبيبة وحبيبها .

أفبعد أن رأينا كيف نشأت هذه الالفاظ التى ذكرنا والكثير غيرها مما لم نذكر لضيق المجال .. أفبعد هذا نستطيع أن نخطىء فى معرفة اصلها اذا نحن وجدناها فى لغة أو لغات أجنبية ؟ هل يحق لى بعد كل هذا أن أعترض على نفسى مرة أخرى لافند نظريتى ؟

فلنرحل الآن الى اوربا نبحث فى لغاتها عن عطايا الطفولة العربية . ها هى كلمة **(لغو)** العربية بمعناها الكلامى قد صارت فى الاغريقية logos بمعنى (الكلمة) . وها هى كلمة **(لغة)** قد صاغ اللاتين منها كلمة lingua بمعنى اللسان واللغة ايضا . وهى ما زالت كذلك فى الايطالية معنى ومبنى . ومنهما صيغت langue الفرنسية بمعنى اللسان واللغة ، و langage الفرنسية و language الانكليزية بمعنى اللغة . وقد صاغ اللاتين من **(غنى)** فعل cano بنفس المعنى ، ومصدره عندهم canere و cantare

وما زال هذا المصدر بنفس المعنى والمبنى فى اللغة الايطالية . ومنه صاغ الفرنسيون فعل chanter وعنهم أخذ الانكليز فعل chant بنفس المعنى .

وثمة ما هو أهم من هذا . فلنعد الى logos الاغريقية ، فقد صاغوا منها **(لوغيكا)** : logica فى الاغريقية واللاتينية معا بمعنى **(المنطق)** ، **وهو (لوجيك)** : logique فى الفرنسية و logic فى الانكليزية . ومن كلمة **(اللغة)** صاغوا **(لوغيا)** logia فى الاغريقية واللاتينية أيضا بمعنى (الكلام والمكالمة) والحقوها ببعض الاسماء للدلالة على العلم ، وهى تنطق فى اللغات الحديثة **(لوجى)** فى مثل biologie و psychologie و geologie و technologie وكلمة **(لوجى)** : logie logy هذه شائعة الآن فى اللغات الاوربية وغير الاوربية . بل اننا نحن العرب نستعملها أحيانا ، **مضطرين** فى بعض الكلمات التى لا نجد لها مقابلا عربيا ، ونحن لا ندرى انها عريقة فى العربية . ولو درينا لتسامحنا معها ، بل لاحتضناها وقبلناها فى غرة جبينها بعد اذ اجتمع شملنا بها اليوم . ولئن كانت بعض الكلمات **(الملوغة)** ــ أى الملوجة ، المنتهية بكلمة logy هجينة نصفها عربى ونصفها أعجمى مثل psychologie فان technologie عربية خالصة النسبة ، لان نصفها الاول **(التقن)** عربى كالذى قلنا آنفا ونصفها الثانى (لوجى logy عربى كالذى رأينا توا . ولو ترجمنا الكلمة عن الاغريقية ترجمة دقيقة لقلنا **(كلام التقن)** . وما أحسن التقن اذا تكلم .. كلاما **(لوغويا)** .. اى منطقيا .

الفروج العربى

والآن جاء دور الفروج العربى ، الذى وعدناكم بالتحدث عن عبقريته . هو أيضا سيد الفراريج ، أعنى من الوجهة اللغوية . انه ككل فراريج الامم يكون حين يغادر بيضته من أجمل فراخ الطيور وأقربها الى النفس. وطالما أطربتنا انشودته الجميلة : **صى صى صى صى ...**

فمن نبرة **(صى)** هذه قال العرب **(صاى الفرخ)** بمعنى : صوت . وتطورت كلمة **(صاى)** مع الزمن فصارت **(صاء)** ، ثم تطورت مرة أخرى فصارت **(صات)،** ثم **(صاح)** ، ثم **(صحل)** ، ثم **(صهل)** .. الى آخر ما هنالك .

وعندما نتتبع مآثر فروجنا الغالى فى اوربا نجد فعل (صوت) قد غدا فى اللاتينية sonitum باضافة النون ، و sono بحذف التاء وما بعدها ، بنفس المعنى العربى . وقد تبين لى فى كثير من الحالات أن اقحام النون بغير داع فى وسط الكلمات المقتبسة من العربية هو عادة نطقية عند بعض الاوربيين . ومن هذه sono اشتقت كلمة (سوناتا sonata بالمعنى الموسيقى المشهور فى اللغات الاوربية وغير الاوربية . وكثيرا ما نستعملها نحن أيضا ، **على كره ،** لاننا لا نعرف صلة القربى بيننا وبينها ولا نجد فى لغتنا كلمة تناظرها .

ونجد منها فى الفرنسية sonde و sondage و sonder و sonner وغير ذلك . أما فى الانكليزية فنجد كلمة (الصوت) الفروجية العربية تنطق **(ساوند** sound) بنفس المعنى . وعنا ايضا

أقحموا النون فى الوسط . ولكن توجد فى الانكليزية كلمة أخرى بغير نون وهى (**شاوت**) shout بمعنى (الصوت) العالى ، أى الصياح . كذلك نجد فى الانكليزية كلمة squeal بمعنى (**الصهيل**) .

وقد طال بنا الحديث فلا اريد التوسع فى مناقب فروجنا أكثر من هذا . وهو فى الحقيقة لا فضل له على غيره من فراريج الله سوى أنه عربى ، أعنى ان العرب الذين كان له شرف النشوء بين ظهرانيهم هم الذين لحنوا معزوفته الساذجة العذبة (**صى صى صى صى**) .. ووهبوها الطاقة التعبيرية والغنى اللغوى . فالفروج العربى كسائر الفراريج يولد على الفطرة أيضا ، أبكم فى تصائيه ، وأصحابه يعربونه فيبدعون من نغمته البسيطة ذات النبرة الواحدة أنواعا مختلفة من الاصوات، من صياح الانسان .. الى صهيل الحصان .. الى **سوناتات** فيردى وباخ وشوبان .

تصحيح تسمية

من كل ما تقدم يتضح ان **اللغة العربية لغة عربية** . ولا يمكن أن تكون الا لغة عربية . لا تقولوا لى هذا شأن جميع اللغات ، فهل اللغة الفرنسية مثلا ليست فرنسية ، وهل الانكليزية ليست انكليزية ؟ نعم ان اللغة الفرنسية ليست فرنسية واللغة الانكليزية ليست انكليزية بل كلتاهما كغيرهما من معظم اللغات ان لم نقل كلها ، خليط من لغات أجنبية ومحلية . وهى غير أصيلة . أما اللغة العربية فلغة عربية . العرب هم الذين صنعوها ، فى جزيرتهم العربية نفسها ، وهى الارض المصدرة للعرب والعربية منذ مئة وعشرة قرون على الاقل . ولا يمكن لهذه اللغة أن تكون مستوردة من مكان آخر ، لاننا نراها هنا تصنع من مادتها الطبيعية الفغل الاولى ، تحت سمعنا وبصرنا ، بأفواه كبارهم وصغارهم .. من أصواتهم فى مختلف حالاتهم ، **من قهقهة وغناء وتمطق وسعال، وبمناقير فراريجهم، وفحيح أفاعيهم ، وزقزقة عصافيرهم ، وقعقعة رعودهم . هم** وحدهم الذين ينطقون بكل هذه الاصوات ، حلقية وغير حلقية . وكل أعجمى اقتبس كلمة من لغتهم اضطر الى تغيير هذه الاصوات ان وجدت فيها . هذه الاصوات نستطيع فيما أظن أن نطلق عليها علميا اسم (**الاصوات العربية**) . وان كانت بعض الشعوب تستطيع أن تنطق ببعضها ولا سيما من الشعوب المجاورة للعرب فلا توجد أية أمة على وجه الارض غير العرب تستطيع النطق بها كلها .

واذا كان علماء الاجناس قد قرروا ان الاوربيين كانوا نزحوا فى الاصل من آسيا أو من الهند بالذات مستدلين على ذلك بالتشابه بين اللغات السنسكريتية واللغات الاوربية ، حتى لقد سموها باللغات (الهندية/ الاوربية) ، فليس بوسعهم الآن الا أن يأذنوا لنا ان نستعمل نفس المعيار ونستنتج نفس الاستنتاج فنقول ان الشبه بين العربية والسنسكريتية يمكن أن يكون تفسيره كذلك هجرة العرب على اثر جفاف جزيرتهم الى الهند وغيرها ـ حيث استقروا واستقرت لغتهم .

وعلى هذا يحق لنا بنفس الاسلوب أن نسمى السنسكريتية باللغة (**العربية / الهندية**) . وأما اللغات الاوربية التى سموها (**الهندية / الاوربية**) فلعله قد آن أوان تعديل تسميتها لتطابق واقع التاريخ فيكون اسمها الصحيح منذ اليوم هو اللغات (**العربية / الهندية / الاوربية**) .

وادرك شهرزاد الصباح .. فسكتت عن الكلام المباح

عبد الحق فاضل

ارتسامات حول اللغة العربية وفعاليتها في الحقل العلمي

للدكتور المهدي بن عبود

ليست المسألة لغوية وانما هي مسألة نفسانية تتصل بنظرتنا الى وجودنا وكياننا وعقيدتنا وفلسفتنا في الحياة وايماننا بنفسنا وتحقيقنا للرسالة الملقاة على كاهل البشر الاحرار في موكب الحضارة العام السائر الى تحقيق حكمة الهية في الوجود ، وهو تغلب الحق بعد اظهاره على الباطل ، وفوز النور على ظلمات الجهل المركب في النفوس المتحرقة ، والتقريب بين المرء ونفسه وبين الفرد والكل ... والا لكانت قضية اللغة قضية تافهة لا تستحق هذا الوقت ، وهذا المجهود المكرس لها ، انه لمن اليسير أن تتغلب أي لغة كانت على الصعوبات اللفظية للحصول على مسميات ، مثل الآلات الميكانيكية والمواد الكيميائية والظواهر الفيزيائية والتعابير النظرية ولكن من الصعب جدا أن تقنع رجلا غافلا أن يهب من غفلته ويربح وقتا ثمينا يضيعه سدى ويدافع عموما عن لغة كتب لها أن تكون لغة حضارة ، ولغة رسالة عظيمة ، وثقافة معينة بها يزدهر التراث الانساني ، كما فعل في الماضي في تكوينها التاريخي على أسس الثقافات العظيمة ، والحضارة العميقة المدلول.

[illegible] متعقدا من الوجهة الفنية [illegible] في مرحلة الانتقال التي [illegible] المشاكل [illegible] فلا أشد على الامم [illegible] الانتقال [illegible] القديم على الجديد [illegible] ترثها الاجيال اللاحقة عن الاجيال السابقة ، وبما أن الزمان ليس الا صورة ذهنية لا وجود لها في الواقع ، فان القديم والحديث ليسا سوى مرآة لقيمة الانسان فردا كان أو مجتمعا .

عصر النهضة عبارة عن حالة نور اجتماعية يرتقي اليها الانسان ، وعصور الانحطاط ما هي الا حالة الانتقال ، كصراع طويل ، أنكى ما فيه هو سوء التفاهم بين الناس .

وهذه النظرة الى التاريخ صادقة على الحياة البشرية جملة وتفصيلا ، اذ أن الوعي يشمل الامة في العادات والمعتقدات والصناعات ، والانحطاط أيضا يظهر جليا فيها على صورة الاحوال والاقوال والافعال والمظاهر ومن بينها اللغة .

ولا أدل على هذا من تقدم اللغة أو تأخرها لانها صورة للعقل والنفس ، فلما تقدم العرب تقدمت معهم لغتهم حتى صارت منتشرة الاستعمال في العالم الشرقي والغربي خصوصا في ميدان العلوم والتجارة ، ولما تأخروا وقف تطورها لكن من حسن حظها وحظ العرب أنها كانت سابقة لغة حضارة خلفت لنا تراثا لغويا عظيما ، فلما وصل العالم العربي الى درجة التخلف الذي تركهم فيه الاضمحلال كانت الشعوب العربية أحط مستوى من لغتهم المحفوظة في الذخائر العلمية والادبية والفقهية وخصوصا في القرآن الكريم الذي

جعـــل منها لغـــة سمو عقلي وروحي لا يعـــادله أي انتـــاج بشرى .

ليست هذه المسالة لافي الميدان العلمي ولافي غيره مسالة لغة في واقع الامر وانما هي قضية أم عليهـا أن تنهض بنفسها ، وتستعمل التراث المدفون بين أيديها وتضيف اليها ما يتطلبه تطور كل لغـــة عربية كـــانت أو غير عربية فانه لا يوجد على وجه الارض لغة لا تتطور مـــع شعوبها على مر الزمان .

ولكن نظرا للعوامل المختلفة التى تؤثر على حيـــاة اللغات فان الاتهامات التى تلحق لغـــة الضاد هي في الحقيقة كما سنراه في غير محلها وينبغي بالاحرى أن توجه الى الجهلاء من أبنائها .

وليس هذا الموضوع المقترح من طرف المكتب الدائم لمؤتمر التعريب بالبحث الهين الواضـــح الجوانب ، لا ولا هو فى مأمن من الجدال الطويل ، فالخاص والعام على خبرة من تداوله على رؤوس الألسنة والخوض فيه فى المجامع العلميـــة والدوائر المدرسية ، والهيئات السياسية ، منذ انبثاق الوعى في العالم العربى وقيام النضال ضد الاحتلال الاجنبى ، وخصوصا الاحتـــلال الفكـــرى .

وليست هذه اول مرة نسمع باللغة العربية تشتكى من خصومها الاجانب الذين لا زال جيشهـم الثقافـى يوطد الاحتلال المعنوى حسب الستراتيجية القديمة من عهد بداية الاستعمار والمبنية على قتل الشخصية العربية الاسلامية بمحاربة اللغة ومحاربة الكتاب الحافظ لهـا وهو القرآن ، وذلك لغزو الافكار تسهيلا للاستغـــلال الاقتصادى واستعباد العقول ، وليست هذه أول مرة نشاهد فيها التنكيل باللغة العربية حتى مـــن طـرف أبنائها أنفسهم مبرزين بذلك آمال الاستعمار من جهـة ومخاوف الامة على الثقافة الاصيلة والحضارة العـربية التى بحمد الله استطاعت وحدها ، وبفضل تعـــاليم الاسلام الثابتة أن تميز بين الاحرار والعبيد والسيـد والمسود ، وليست هذه أول مرة نسمع بعض المثقفـين بلغة أجنبية شبـوا عليهـــا حسب تخطيط الاستعمار وجهلوا بذلك لغتهم جهلا يكاد يكون كامـــلا يصدرون حكما قاسيا وزعما جائرا على عجز لغتهم عن أداء رسالتها العلمية وحتى غـــير العلمية فيقعون فى خطـــأ مركب مزدوج خطأ من يحكـــم على الشيء وهـــو لا يتصوره لجهله به وخطأ من يصدر حكما فى حـــد ذاته حكما خاطئا سواء كان له علم بالموضوع ، او لم يكن وذلـك أيضا من اثر نفوذ الاجنبى على العقول .

وأخيرا ليست هذه أول مرة نرى الاحرار من العرب يشمرون عن سواعدهم ويحاولون جمـــع شتات الافكار بهذا الصدد ويطرحون على بساط البحث مسالة اللغـة بالنسبة لحياة المجتمع كوسيلة من وســـائل النهضة العامة لمسايرة الزمان والتطور ، وللمحافظة على شخصية الامة وكيانها وعبقريتهـــا واستمرار رسالتها وتـواتر حضارتها واتساع ثقافتها حتى لا تذوب الامة ومآثرها فى شخصية الغالب وتصبح مـــن الاتباع المغلوبـــين عليهم اقتصاديا ومعنويا .

ولكن هذه أول مرة تنتصب الامة العربية كرجـــل واحد تجمع شملها وتوحد جهودها مـــن أقصى الشرق الى أقصى الغرب مومنة بأن قيمة اللغـه صورة لقيمـة الامة وان حياة اللغة تابعة لوعى الفكر فى المجتمـــع وان موتها نتيجة لموت الامـــة كشخصيـــة معينة ذات رسالة فى الوجود بفضل استقلال العقول منبع حريـة الافراد غير ان هذه النهضة العـــامة التى تبـرز أيضا فى ميدان اللغـة لا زالت تلـــوح عليها بعض عـــلامات التشكك وضعف الثقة بنفسها فى بعض الاحيـــان وفى بعض الدوائر ، لا سيما بعض الحركات السياسية منها بوجه أخص ، ومن جملة تلك الاعراض ، التساؤل عمـا اذا كانت اللغة العربية ذات فعالية فى الحقل العلمى ، وهل هي صالحة لاداء رسالتها فيه والقيـــام بالوظيفة المنتظرة منهـــا فى مختلف العلوم والصناعات ، ومـا يتجدد من نظريات فيزيائية وكميائية وطبيعية ونفسية وطبية واجتماعية الى غير ذلك مـــن أنـــواع المعرفـة والتطبيق الداخلة ضمن مدلول كلمة العلـــوم بالمعنى الحـديث ؟؟

فموضوع فعالية اللغة فى الحقل العلمى مسالة ذات وجهين : وجه مبدئى ووجه علمى .

I الوجه المبدئى معناه هل اللغة العربية قادرة كلغة متمدنة على أن تكون لغـة علـــوم بالمعنى العصرى ؟ فالجواب بسيط وهو أن السؤال هذا ينبغى أن يـوجه للامة لا للغة ، لما كانت اللغة العربية لغة أمـــة ذات رسالة حضارة إستطاعت أن تقـوم بوظيفتها فى سائر الميادين العلمية والطبية وغيرها مثلما نراه فى شخص

أكابر العلماء كالبيروني وابن الهيثم وابن سينا وغيرهم حتى تتلمذ العالم اذ ذاك عليهم ، ولما انهارت الى المستوى الذى تبع تلك العصور الذهبية انحط كذلك قدر اللغة فى نفوس الاعداء والخصوم وأصبح القصور الفكرى وضعف الشخصية الاجتماعية هو مسالة المسائل وصارت اللغة سجينة نطاق ضيق فى استعمالها الادبى والفقهى والتاريخى وفى بعض العلوم كالحساب البسيط والنجوم وهلم جرا ، كما عهدناه فى العصور المتأخرة فى بلادنا .

ففى أيام النهضة والازدهار ترتفع اللغة الى مستوى يوازى رقى الامة وغزارة الفكر والعلوم فيها ، وتكون لسان حال تلك النهضة اذ تبرز كصورة صادقة للدرجة العظيمة التى ارتقت اليها الجماعة فى سلم الحضارة ، فتكون اللغة فى نفس الوقت منبع الافكار ، وترجمان المعرفة ، وسجل الانتاج الثقافى ، وتكون ايضا نتيجة لتلك الافكار ، وتلك الحركة الخصبة الدالة على الحيوية الفكرية للامة وعلى ابتكار القرائح الخلاقة .

وبما أن النهضة يمكن أن تعتبر كائنا حيا ذا وحدة لا تتجزأ فانها عندما تظهر فى عصورها جلية ، فان ذلك يكون فى سائر مرافق الحياة وجزئياتها : تظهر فى الروح الجبارة القادرة على الخلق والابتكار والاستقامة والتضحية والعدل واحترام القانون والشورى وحسن التدبير والنظافة والتعمير ، وازدهار العلوم والصناعات واستقلال النفس ومهابة الدولة والتأثير فى الغير ... الخ ...

واذ ذاك تكون قيمة اللغة وقدرتها او فعاليتها كقيمة الامة ومسيريها سواء بسواء ، فالقول المأثور عن الامام على كرم الله وجهه : «ان المرء مخبوء تحت لسانه» يمكننا أن نطبقه على الامم والحضارات كذلك ، وهذا بالضبط ما وقع للغة العربية فى عصر الازدهار العربى .

جاء فى كتاب (أثر العرب فى الحضارة الاوربية) لعباس محمود العقاد ما يلى : « ... كان شيوع التعليم بالعربية سببا لاهمال اللاتينية والاغريقية وخطوة لابد منها لاحياء اللغات الشعبية وتداول الشعر والبلاغة والعلوم من طريق غير طريق القسوس والرهبان المنقطعين للمباحث الدينية . ويروى لنا دوزى فى كتابه عن (الاسلام الاندلسى) رسالة ذلك الكاتب الاسبانى - الفارو - الذى كان يأسى أشد الاسى لاهمال لغة اللاتين والاغريق والاقبال على لغة المسلمين فيقول (ان أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الادب العربى فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها ، وساء ذلك معاصرا كان على نصيب من النخوة الوطنية أوفى من نصيب معاصريه فأسف لذلك مر الاسف وكتب يقول : ان اخوانى المسيحيين يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم ويدرسون التصانيف التى كتبها الفلاسفة والفقهاء والمسلمون ، ولا يفعلون ذلك لادحاضها والرد عليها بل لاقتباس الاسلوب العربى الفصيح) . فأين اليوم من غير رجال الدين من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والانجيل ؟ وأين اليوم من يقرأ الاناجيل وصحف الرسل والانبياء ؟

وا أسفاه . ان الجيل الناشىء من المسيحيين الاذكياء لا يحسنون أدبا او لغة غير الادب العربى واللغة العربية ، وانهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة بأغلى الاثمان ، ويترنمون فى كل مكان بالثناء على الذخائر العربية فى حين يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون من الاصغاء اليها محتجين بأنها شىء لا يستحق منهم مؤونة الالتفات .

فيا للاسى . ان المسيحيين قد نسوا لغتهم فلن تجد فيهم اليوم واحدا فى كل ألف يكتب بها خطابا الى صديق . أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب ، وقد ينظمون بها شعرا يفوق شعر العرب انفسهم فى الاناقة وصحة الاداء ...) انتهى كلامه .

نرى من هذا الوصف الذى لو طبق فى أيامنا هذه على ظروفنا وأبدلنا فى هذا النص اللغة العربية باللغة الفرنسية والبلاد الاسبانية بالبلاد العربية كان صادق المدلول كامل المطابقة حيث التاريخ يعيد نفسه .

ونرى ايضا من هذا أنه ليست حالتنا الحاضرة حيث يتهافت الجيل الفتى على لغة الغالب وينظر الى لغته بعين الاهمال والتنقيص هى الحالة الاولى من نوعها فى التاريخ ، بل نستخلص مما سبق أن التاريخ يفيدنا ببعض القواعد كدروس لا بد ان نستفيد منها ونعتبر بها كأثمن عبرة فى حياتنا :

1) الاولى هي أن الروح البشرية لا تتجزأ ، فخصائص رقيها او إنحطاطها وخذلانها يتجلى دفعـــة واحدة في سائر مظاهر الحياة وخصوصا في اللغة كما سبق لنـا الكـــلام عنه .

2) الثانية ان اللغـــة العربية كانت ولا زالت لغـة حضارة منذ قرون عديدة فلا يصدق عليها ما يقال عن اللغات البدائية مثـــل اللهجـــات الافريقية أو بعض اللهجات الاسيوية المختلفة أو غيرها . فهي لغة رسالة سماوية ولسان حضارة بفضلها قامت القـارة الاوربية من غفوتها ، وهي احدى اللغات التي تناط بها وتسمو بها الثقـــافات الكبـــرى مثـــل الانجليزيـــة للثقافة الانجلوسكسونية واللغات اللاتينية للثقـــافة اللاتينية وهلم جرا ، فالعربية هي لغة الثقافة العربية الاسلامية وعقلية الامة الاسلامية في سائر القارات لا سيما فـــي الوطن العربي حيث تـــام الدليل علاوة على ذلـــك في سوريا مثلا على أن اللغة حية يجري بها العمل في سائر فروع التعليم والادارة والعمليات العامة .

3) الثالثة ان اللغة روح ووعاء للحضارة فمـــن أراد أن يرتقي سلم الرقي لا بد لـــه أن يحافظ على لغته في الآداب والفنون والعلوم على السواء لان اللغـــة واحدة والازدواج شيء سطحي ومؤقت واصطناعي لا أســـاس له في التاريخ ولا في النفوس عند مجموع الامة .

فاللغة وعاء للحضارة والشخصية وهـــي كبطـــاقة تعريف للثقافة وللامة بحضارتها وثقـــافتها فاذا غلبت عليها لغة أخرى ذابت شخصية الامـــة وذهبت ريحها . وهي كروح أهم مـــن كونها وعاء للحضارة او وسيلـــة تعبـــير .

فانها ما سميت باللسان تقريبا عند كثير من الامـــم الا لانها ترجمان العبقرية الخاصة بالامـــة وبمشاعرها ونظرتها للوجود وهوية نفسها وقيمة الهيكل الاجتماعي باكملـــه .

ثم انها كروح هي اجلى وافصح صورة لبشرية الامة بلطفها وصفائها ونورها حسب مفردات عمر ابن الفارض التي تتميز بهـــا روحانية الاجيال سابقهـــا ولاحقها ، فعبقرية الامة وروحانيتها سر يكشف على الدوام لزخارة الحقائق ومرونتها ورقيـــق معـــانيها ولطفهـــا وتجديد مفاهيمها المستمر في ابتكار متواصل وتطور خـــلاق وحركة لا تنقطع عن طريق الادب والفلسفة .. الخ ...

كل هذا كامن في النفس لا ينقب عنـــه الا ساعـــد اللغة الاصيلة التي تكون وحدها قادرة على التبليـــغ بأمانة ونفوذ وتوافق مع المعنى .

ولهذا نرى الناس يدافعون عن لغتهم بنـــور بصيرة اذا كانوا من زمرة المتبصرين بادراكهم لعظمـــة الدور الذي تنعبه اللغة في هذا المضمار .

فهم يحنون اليها لانها تتكلم وتختلج مـــع نفوسهـــم وأفئدتهم وأرواحهم وبفضلها يلمسون الوجود ذوقـــا وادراكـــا .

فاللغة الاصلية نقطة وصل بـــين الانسان والوجـــود أصدق وأتم من أي لغة أجنبية دخيلة التي تفيد طبعـــا علميا وعمليا ولكن لا تصلح الا لربط العلاقات لا كصلة روح بروح ، ومن جهة أخرى يقول كالينين أحد رؤساء الجمهورية السابقين في الاتحاد السوفياتي في كتـــابه المسمى (حول التربية الشيوعية) متوجها الى التلاميذ في الصف التاسع والعاشر : (يجب قبل كل شيء أن تتقنوا معرفتكم للروسية . انني ارى أن معرفة اللغـــة الروسية عامل مهم لتطور الانسان العـــام وذلـــك لان جميع العلوم التي تستطيعون أن تدرسوها ، ولا سيما اذا دخلتم في المعاهد غير التكنيكية ، وجميـــع نواحي النشاط الاجتماعي تتطلب معرفة جيدة للروسية ..

ان دراسة اللغـــة القـــومية الاصيلة مهمـــة جدا وان أسمى منجزات الفكر البشري وأعمق الافكار وأشد العواطف ستبقى مجهولة اذا لم يعبر عنها تعبيرا واضحا مضبوطا بالكلمات ...) انتهى كلامه .

فهو يوصي أطفال الاتحاد السوفياتي بثلاثة أشياء :

1) قبل كل شيء اتقان اللغة القومية الاصيلة .

2) ثم الرياضيات . 3) ثم الرياضة البدنية ، وهـــو يعلم أن اللغة القومية هي الوسيلة الحية غـــير الدخيلة لجعل الافكار والمشاعر مفرغة في قالب صادق واضح .

4) والفائدة الرابعة التي نجنيها من عبر التاريخ هي تنازع البقاء بين اللغات . كلما احتلت أمة أرض أمـــة أخرى يسعى الغالب في تقويض كيان المغلوب وتحطيم شخصيته تحطيما يفنى معه وجود المغلـــوب فيصبح عبدا منصاعا لسيده الظافر الذي يفرض تدبيره ولغتـــه ونظرته للكـــون .

ولا يألو الغالب جهـــدا لا فـي الحسيـات ولا في المعنويات حتى يستولى عليها كلية .

ففيما يتعلق ببلادنا ، جاء المستعمر فحاول أن يمحو أثر اللغة والدين ، لارغام الناس على نسيان شخصيـة قومهم واندماجهم في شخصية الغالب ، فقر رأيـــه على تكسير وحدة البلاد بهدم الدين الذى لا يتـم هدمه الا بمحاربة القرآن ، وذلك كـــان هـو السبب الاساسى للسياسة البربرية التى ما زال الى يومنا هذا يطمع في نجاحها من وراء الستار .

فاستولى على التعليم بعد أن نشر نفـوذه السياسى والعسكرى على البلاد ، وحارب اللغـــة العربية بنفس الروح التى تأصلت من الحروب الصليبية التى افتضح وجودها لما أجاب وزير الخارجية الفرنسى السابـــق جورج بيدو وبعد أن سئل لما نفى الملك محمد الخامس بقوله : (لن أسمح للهلال أن يتغلب على الصليب) .

والغاية من ذلك هـــو استمرار الاستغلال الاقتصادى واحتلال المراكز الستراتيجية فى العالم ونشر النفوذ المعنوى واللغوى القـــاتل لشخصية المغلوب والمعبد لطريق القوة والتمتع المادى .

وهنا يتميز الرجل الحر ، عن العبد الراضى عـــن سيده الذى يدخل فى زمرة المسخرين الجبناء عمن كان له شعور بكرامته وباستقلال شخصيته وحـــرية روحه وقيمة عقله لا بد أن يثور على القاهر الجائر ويعـــاكس خططه ويحافظ على لغته التى ليست لقيطة مرتجلة بل لغة رسالة عظيمة فى الوجود الكونى .

وبهذا الصدد يقول الحافظ ابـــن حزم فى كتـــابه (الاحكام فى أصـــول الاحكام) : «ان اللغـــة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخـــول غيرهـم عليهم فى مساكنهم او بنقلهم عن ديارهـــم واختلاطهم بغيرهم ، فانما يقيد لغة الامة وعلومها وأخبارها قـوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم . واما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم ونسيان أنسابهـــم واخبارهم وبيود لغتهم ، هذا موجود بالمشاهدة ومعلـــوم بالعقل ضرورة» انتهى كلامه .

كل ما مر بنا يكفى لاقناعنا ان الناحية المبدئية من مسألة اللغة تتلخص فى كلمـة واحدة : الارادة . فاللغة كسائر العوامل الاجتماعية يعادل وزنها وقيمتها وزن الامة وقيمتها فى حظيرة الامم . فان اللغة العربية لا تحتاج الا لشىء واحد لا فى العلـوم ولا فى الفلسفة ولا فى الآداب وهذا الشىء الواحد هو الاستعمال فهى موجودة لكن الامة معنويا مفقودة ، اذا صح هذا التعبير التقـــريبى .

فالاعتزاز باللغة دليل على عمق الفكر وبعد النظر ، ومعرفة حكمة التاريخ ، وصدق النية وروح الغـــيرة ورفض الاستعباد والذل والشعور باستقلال الشخصية وجمال اللغة الاصيلة وسهولة متناولها على النشء مثلما فعل اليابان والصين وروسيا واليونان وشعوب أوربا الوسطى وحتى ما يسمى اليوم باسرائيل حيث الاعتزاز بالنفس والدفاع عن الشخصية التى يرغب فى تكوينها الصهيونيون فيدفعهم الى احياء لغة ميتة من قبرها وهـم يستعملونها فى كل عمل من اعمال الحياة فى الشؤون اليومية والانتاج الفكرى والعلـوم التطبيقية والتدريس فى الجامعات رغم كونهم أقلية ضئيلة لا زال أكثرهـم مقطعين فى الارض ، كل هذا بفضل ارادة اصحابها .

واليابانية رغم صعوبتها وانحصارها ضمن حـــدود بلادها لا غير صارت مع مر الزمان وقطع مراحل التطور الى ما صارت اليه اليوم لغة شعب بلـــغ من التقـدم والرقى ما جعله يزاحم سائر الدول الصناعية الكبـرى بل واصبح من ناحية التدبير والعمران مرجعا من اثمن المراجع يقلده الامريكان وغيرهـــم فى بعض الميادين خصوصا فى التعمير وأساليب التجارة .. الخ .. هذا من الناحية المبدئية .

2) اما الناحية العملية فانهـــا ترتكز ـ اذا امعنـا النظر ـ كلها على الناحية المبدئية ، لان اللغة العربيـة لا تحتاج أول الامر وآخره الا الى شىء واحد كما سلف وهو ايمان أبنائها بها وتشبعهـم بروح الحـــرية التى لا غبار عليها ولا نفاق فيها حتى يعتزوا بشخصيتهـم بواسطتها ويحافظوا بفضلها على معنـــويتهم وثقافتهـم وخصوصا برسالة الحياة التى تضمنها القرآن الكريـــم وعبر عنها ببيان اللغة العربية وعبقريتها .

فالايمان بها يرجع فى الواقع الى الايمان بالنفس ، وهنا يتميز الاحرار من العبيد كما وجدنا هـذا المعنى جليا عبر التاريخ .

وهذا الايمان بدوره يخلق ارادة قوية لإستعمال اللغة في العقل العلمي والعملي على السواء من ارادة ومعاملات كما هو الحال في ليبيا مثلا في المغرب العربي ومنها الى سائر الدول العربية خصوصا سوريا حيث وصل التعريب الى درجة أقامت برهانا على مدى فعالية الارادة والعزم وروح الشرف .

بل لم يضع هذا المجهود العربي وانما جاء رصيدا ثمينا ساعدت على الاحتفاظ به الذخائر الدفينة في التراث القديم من طب وكيمياء وفيزياء ورياضيات وما أضيف الى هذا التراث القديم .

فاللغة العربية لغة حضارة عريقة كانت ولا زالت حية يسهل استعمالها بفضل استمرار العمل بها لانه كما يقول بعض المفكرين : « ان افضل وسيلة لتعلم الضرب على العود هو الضرب على العود نفسه . »

الاستعمال يكشف عن قدرة اللغة وعن حيويتها وغزارة ثروتها المجهولة ، إننا نرى اللغات الاوربية العالمية مثل الانجليزية والفرنسية موضوع اعتناء أبنائهما بهما بكيفية لا تنقطع لا يعرقلها توان ولا هوادة ولا كبرياء بل ان الاصطلاح العلمي في اللغات الغربية كله مستعار تقريبا من اللاتينية واليونانية وبعض اللغات الاخرى ومنها العربية التي لا ينبغي أن يعتبرها الجهلاء محض لهجة ضعيفة .

فلا بد من الاقتباس عندما تدعو الضرورة اليه في الحقل العلمي أما بالتعريب وهو افراغ اللفظ الاجنبي في قالب عربي واما بأخذ الكلمات على ما هي عليه في الاصل وهذا ما قد جرى به العمل وأصبح عاديا في الدول العربية .

ثم ان وفرة المعاجم والكتب المتوفرة الآن في الحقل العلمي والمستعملة في بعض الجامعات العربية لدليل على خصوبة اللغة وقدرتها على أداء رسالة وعلى استعدادها للتطور والتكيف وقبول الاقتباس والاضافة ومسايرة الحركة العلمية العالمية .

وهذه المجهودات في التأليف والترجمة مبادرة مباركة تشجع على مواصلة الاجتهاد والكد والمثابرة . وطبعا لا ينبغي لهذه المجهودات أن تبقى حبرا على ورق كخرافات التسبية ولكن من الواجب أن يجرى بها العمل في التدريس الجامعي .

وكل ثورة من أجل الحرية لا تتم الا اذا ما استأصلت الداء الاستعماري من جذوره الفكرية واللغوية والقضاء على السم في مكامنه الدساسة من وراء الستار بواسطة البعثات والمستشارين وهم ثعابين موظفة ، يهيئون العقول لاعتناق فكرة ضرورة اللغات الاجنبية في الميدان العلمي وعدم صلاحية اللغة العربية التي يضمرون لها كلغة العروبة والدين ما قد صرح به قريبا أحفاد الحروب الصليبية ، فدعاة الازدواج هم في الواقع يساعدون على سياسة الاستعمار الجديد اما عن علم واما عن جهل ، وغفلة ، والنتيجة واحدة مع الاسف ، فمن المستعجل أن يتم تعلم اللغة واتقانها عن طريق استعمالها اذا اقتصر على تدريس نصفها الادبي والكلامي العادي وارغام الناس كرها على اقتناء العلوم بلغة أجنبية ، فان المآل هو طمس القرائح والجرى على عكس مجرى التاريخ .

تصور طفلا ذكيا أهلته طبيعته الى الادب والانتاج فيه ، فانه لا محالة يجد لغته مشلولة عرجاء ناقصة تعوزها الالفاظ والتراكيب العلمية والتكوين الفكري العلمي لاستعمال هذا القسم العلمي من اللغة ، ونحن نرى من الآن الصبيان في البيت ينطقون بجملة عربية ويدخلون فيها ألفاظ الحساب والعلوم بالفرنسية وذلك في أبسط المحادثات اليومية .

وتصور طفلا آخر أهلته طبيعته الى التفوق في العلوم، وأراد أن ينتج فيها ويكتب أو يعد محاضرة علمية للعموم بلغته العربية فانه يجد نفسه عاجزا عن ذلك متألما مجروح النفس كما يعبر عنه بكل صراحة بعض الناس في نوع من الجد والصدق والعمق .

وخلاصة القول ان مسالة اللغة في الحقل العلمي هي مسألة اللغة كلغة بتمام حذافرها وحياتها ، بجانب هذا ان وجوب تعلم اللغات الاجنبية شيء لا جدال فيه وهذا موضوع آخر فقد قيل كل لسان بانسان وان التقدم والتفاهم الدولي لا يتأتى الا باتقان اللغات الاجنبية المهمة ، هذا شيء مفروغ منه ، ان ما يهمنا هو ضرورة استعمال اللغة الاصيلة .

فقد أقام القدماء البرهان على كون اللغة العربية كما أسلفنا قادرة لا على أن تكون لغة علوم مثلما نراه في أمهات الكتب الهندسية والطبية والجغرافية والفلسفية في عصور الازدهار فحسب وانما هي قادرة على أن

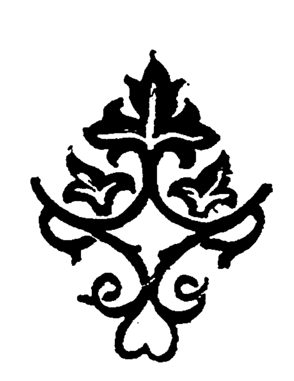
تكون لغة عالمية من جملة لغات الحضارة أيضا .

هى كلسان عربى نزل به القرآن مضمونة المستقبل رغم كيد الجهلاء ، فلقد تولى إلله سبحانه حفظ القرآن وبواسطته حفظ اللغة العربية ولو كره الغافلون . وهى بفضل القرآن لغة رسالة حضارية ثقافية وصل وقتهـا وحان من جديد عصر ازدهارها نظرا لتطور التاريخ الى ترجيح كفة التعارف المعنوى بـين الشعوب على كفـــة الاستغلال الاقتصادى .

ليست اللغة الا لسان العقل الحى ينشد الحقيقـــة والنور ، وهذا اللسان يقارن انتاج القرائح فى العـــالم مع ما ينتجه أبناء اللغة الاصيلة ليتـم سير التاريخ الى نشر النور والحق فى الدنيا .

فالامر جسيم والمهمة جليلة وواجب العقول المستنيرة هو الارتقاء الى هذا المستوى الرفيع الذى تمثله عبقرية اللغـــة الاصيلة .

سلا : الدكتور المهدى بن عبود



الاستاذ حسن فهمي عبد المجيد يتحدث عن :

فلسطين .. والمؤامرة الدولية

أمام جمهور كبير من المثقفين ، ومن الشخصيات العربية والاساتذة والطلبة ، القى الاستاذ حسن فهمي عبد المجيد سفير الجمهورية العربية المتحدة بالمغرب محاضرته عن « فلسطين والمؤامرة الدولية » .

وقد افتتح سيادة السفير محاضرته بتوضيح الفارق بين الاستعمار فى القرن الماضى وأوائل القرن العشرين وفى نصفه الثانى ، حيث أكد انه « اذا كان الاستعمار هو الطابع المميز فى السياسة الدولية فى القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين فقد أصبح ممجوجا ممقوتا فى النصف الثانى من نفس القرن وأخذت الدول الحديثة عهد بالاستقلال والنامية والدول غير المنحازة تحاربه حربا لا هوادة فيها يقينا منها بان فى محاربته ضمانا لاستقلالها وحيلولة دون النكسة والعودة الى الوراء .

واذا كان الاستعمار قد اخذ صورا وأشكالا متعددة في عدة دول وارتكب خلالها من الجرائم والمآسي ما يندى له الجبين الا أن ما حدث فى فلسطين كان اقسى وأمر فقد طرد شعب بأكمله من ارضه وحل محله شرذمة من افاقى الارض ودهمائها واغتصبوا املاكا تقدر باكثر من مليار جنيه استرلينى وأصبح السادة اصحاب البلاد من العرب لاجئين يعيشون فى الخيام ويقتاتون على ما تجود به بعض الدول العربية التى أيدت النكبة وساندتها .

وقد بدأت المشكلة الفلسطينية تظهر الى الوجود حينما تطورت الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر وأصبح لها هدف محدد وهو اقامة وطن قومي لليهود .

ولم تكن الحركة الصهيونية منذ نشأتها فى غابر الازمان تمثل حركة دينية وانما كانت تمثل نزعة سياسية تحلم بالعودة الى صهيون أو أورشليم ثم ذهب الامل فى نجاحها السياسى بمضى الايام فانقطعت العلاقة بينها وبين معناها الجغرافي فتحولت الى فكرة لا تتعلق بمكان معين ولا تتطلب العودة الى فلسطين .

والواقع ان الصهيونية الحديثة كأختها القديمة وليدة السياسة والسياسيين وجملة اسبابها كمايذكرها المؤرخون هى الاضطهاد وظهور الفكرة القومية نتيجة لذلك فى القرن التاسع عشر .

فانتشرت فى شرق أوربا وبعض دول الغرب جمعيات محبى صهيون التى عملت فى بادىء الامر متفرقة الى أن تطورت مع تفشى الاستعمار وعقدت أول مؤتمر عام لها عام 1884 في كاتوتيز وتكون لها اتحاد فيديرالي وكانت أوديسيا مركزا له .

أما فكرة الوطن القومى فلم تنشا قبل عصر النهضات الوطنية ولم يسمع فيه صوت لليهود الا لان هذا العصر كان كذلك عصر الصناعة الكبرى وعصر الاستعمار .

فلا يخفى ان الاستعمار قد بدأ بالتجارة وان طريق الهند كان أهم الطرق التجارية فى العالم القديم ومن ثم كثر الاهتمام بفلسطين ومصر وارتفع فى المجامع الدولية صوت اليهود لاتصالهم في وقت واحد بالتجارة وبهذه البلاد فلم ينظر الاوربيون الى مطالب اليهود كانها مطالب منفصلة تعنيهم وحدهم ولكنهم جعلوها من الوسائل المعول عليها فى خدمة السياسة والاستعمار .

وعلى كل فان انشاء وطن قومي لليهود معناه استعمار أرض فلسطين اليهود ، وعلى ذلك التقت الرغبتان الاستعماريتان لكل منَ الصهاينة والغرب وبدا أن التعاون الكامل بينهما ضروري للوصول الى أغراضهما .

وبعد أن تحدث السيد السفير عن أول مؤتمر صهيوني وعن أهدافه ثم عن الحرب العالمية الأولى ودور السياسة البريطانية ضد الآمال العربية ثم وعد بلفور المشؤوم انتقل الى استعراض تاريخي هام عن الانتداب البريطاني على فلسطين واستغلال عصبة الامم حتى اطبق الاخطبوط الاستعماري الصهيوني البريطاني على فلسطين ، كما أوضح مواقف الدول العربية وثوراتها التي كانت ردود فعل واعية رغم أنها كانت مستعمرة ، وفي هذا الصدد

يقول الاستاذ السفير حسن عبد المجيد :

« كانت جميع الدول العربية أيها السادة في وقت التجهيز للمؤامرة دولا مستعمرة تحاول الخلاص من ربقة المستعمر ورغم أن عواطفها تتجه نحو فلسطين الا انها كانت تقف عاجزة عن القيام باية مساعدة جديدة لايقاف الخطر الزاحف على الارض السليبة .

وقد انشئت الجامعة العربية عام 1945 وكانت صورة من الحكومات التي تمثلها فيغلب عليها الطابع وتكتفي بتقديم المذكرات وعلى كل فقد كانت ما زالت في المهد صبية . وقد اجبرت حكومات الدول العربية تحت ضغط شعوبها على الدخول في حرب لم تكن قد استعدت لها وكانت جميعها اما حديثة العهد بالاستقلال ولا تملك من الجيش ما قد يكفي للامن الداخلي مثل سوريا ولبنان أو خاضعة للحكم البريطاني المباشر مثل شرق الاردن أو بها قواعد بريطانية مثل العراق ومصر وكانت الدول العربية في الشمال الافريقي ما زالت تكافح من أجل الحصول على استقلالها .

الموقف قبل مؤتمر القمة العربي الاول

في يناير 1964

وأضاف السيد السفير يقول :

قد قيل ان الدول العربية لم تحرك القضية الفلسطينية مدة سبعة عشر عاما الا أني أعتقد أن ذلك الرأي مخالف للحقيقة ومجانب للواقع رغم أن الدول العربية المحيطة باسرائيل لم تتخلص نهائيا من القوات العسكرية الاجنبية الا مؤخرا فقد تخلص العراق عام 1958 فقط من حلف بغداد ومن يدورون في فلكه وجابهت مصر عدوانا مسلحا وجلاءين اثنين في عام واحد هو عام 1957 وكانت سوريا مسرحا لعدة انقلابات متتالية الا أن الدول العربية امكنها أن تحقق عدة نجاحات في القضية الفلسطينية فقد حافظت على الشعب الفلسطيني من التبدد وهو العامل المادي الهام في القضية فالمسألة عبارة عن أرض وشعب ويجب المحافظة على الشعب حتى تستمر المطالبة بالارض .

وقد احكمت الدول العربية حصارها الاقتصادي على اسرائيل ومنعت سفنها من المرور في قناة السويس واني أجيب على من يتساءلون عن أهمية تلك المقاطعة بما حدث في قضية اللورد مانكروفت وما حدث للباخرة كليوبترة في نيويورك وما يقوم به من وقت لآخر عن رد فعل في الدول الغربية .

هذا الى أن الدول العربية أمكنها استبعاد اسرائيل من بعض المنظمات والمؤتمرات الدولية والاقليمية كما أمكنها استصدار عدة قرارات بادانة اسرائيل واعتبارها رأس جسر للاستعمار أو باستصدار قرارات تؤيد حق عرب فلسطين في العودة الى ديارهم .

كل هذا أيها السادة توصلت اليه الدول العربية في تلك الفترة الحرجة وبهذه المناسبة أود أن اذكر بأن الصهاينة عملوا واحدا وخمسين عاماً منذ أول مؤتمر صهيوني حتى اعلنت دولة اسرائيل وذلك رغم تنظيماتهم السابق ذكرها في سائر أنحاء العالم ورغم التأييد المطلق لهم من جميع الدول وخاصة الدول العظمى .

ان مشكلة فلسطين أيها السادة اذا كانت تحتاج الى الحل العسكري فقط لكان الامر هينا ولكن مشكلة فلسطين تحتاج الى جميع الجهود في جميع المجالات ولاشك المجهود الحربي من أهمها حتى نتمكن من الوصول الى الحل النهائي المطلوب وهو عودة الفلسطينيين الى بلادهم وتقرير مصيرهم بأنفسهم .

وانا كانت أيها السادة الامكانيات العسكرية لدولة عربية واحدة تكفي للقضاء على اسرائيل لا ان ما وراء اسرائيل من قوى عسكرية واقتصادية ودعائية تؤيد اسرائيل وتدعم كيانها وربما تدافع عنها فانه يجب عليها أن تجند امكانيات الدول العربية جميعها لتقف صفا واحدا واثق من رجحان كفة العرب على كل ما في جعبة اليهود من معونات بما لنا من قوة بشرية ضخمة ومصادر قوة هائلة وأرض استراتيجية تمتد من الخليج الى المحيط وتسيطر

على أربعة بحار وتعتبر عمقا لخطوط الدفاع الغربية عن أوربا وفي الميدان الاقتصادي سوقا كبيرة لهـا امكانيات ضخمة فى التبادل التجارى والمشروعات المتبادلة علاوة على ما لها في بنوك انجلترا ما يمكنها من زعزعة الثقة بالاقتصاد الغربي لو أرادت .

أيها السادة :

ان مؤتمر القمة العربي الاول قد نتجت عنه أولى خطوات فى الطريق المؤدى بنا الى غايتنا المنشودة فقد عمل على تنظيم الشعب الفلسطيني وابرازه ليقوم بواجبه الطبيعى فى استرداد وطنه المغتصب وانشا جبهة التحرير الفلسطينية وهى الجهاز السياسى لذلك الشعب الشقيق وانشا الجيش الفلسطيني وهو الاداة التنفيذية في يد جبهة التحرير وأنشا القيادة العربية الموحدة حتى تتولى حماية الدول العربية من أي اعتداء اسرائيلى او القيام بأية واجبات عسكرية أخرى .

كما قامت بتنفيذ مشروعات تحويل مياه نهر الاردن ليمنع استغلال اسرائيل لتلك المياه وتحويلها الى صحراء النقب وبذلك تزيد مساحتها المزروعة وتتمكن من استجلاب المزيد من المشردين والآفاقين الصهاينة .

وانى اسمع من وقت لآخر عن مدى جدوى اجتماعات القمة ومقرراتها واني ايها السادة بعد اتفاقنا على وجوب توحيد كلمة العرب وتجنيد امكانياتهم لاتساءل عن طريقة خير من اجتماع القمة العربى لاتمام ذلك .

ان كل الدعاوات والآراء والافكار قد وجدت من يناهضها ويهاجمها حتى رسالات السماء المنزلة من عند الخالق لخير البرية والانسانية لم تسلم من ذلك التجريح والتثبيط .

واذا كانت بعض الدول تطالب بالدخول فى الحرب فورا فان قائد المعركة الناجح يجب أن يختار الزمان والمكان المناسبين الذين يضمنان له النجاح والا كانت الكارثة اعظم .

كما أن سياسة المراحل لا يمكن أن تطبق في فلسطين فان الاستعمار الاسرائيلي هو عبارة كما قلنا عن طرد شعب واحلال شعب آخر له الاكثرية العددية فى البلاد وعلى ذلك فان سياسة المراحل تعنى التنازل لهذه الاكثرية عن حقوق عربية والاعتراف لها بأوضاع قانونية أما الاستعمار العادى وهو تحكم اقلية باغية بواسطة القهر العسكرى فانه بانحسار الاستعمار عاجلا أو آجلا يمكن ازاحتها ولو عن طريق سياسة المراحل .

هذا علاوة على أن اسرائيل لا تطمع في اكثر من أن يقبل العرب التفاوض معها لان فى معنى التفاوض الاعتراف أولا ثم الاخذ والعطاء ثانيا .

وكل تنازل من العرب سيقابله كسب لاسرائيل وأما الكسب الاعظم لها فسيكون اعترافا قانونيا لما سرقته بحد السلاح وسيسجل ذلك على مدى الدهر كتفريط العرب فى حقوقهم الثابتة فى فلسطين .

لقد قال بعض الاخوان ان اسرائيل تمثل خلاصة الحضارة في القرن العشرين بينما حضارتنا حضارة عتيقة وستقع الحرب بين هاتين الحضارتين وان الحرب مفروضة علينا وان اسرائيل تصنع القنبلة الذرية واني أؤكد للسادة أن اسرائيل اذا صنعت القنبلة فسيكون لدينا قنبلة ذرية قبل ان تحصل عليها اسرائيل وأما من حيث الحضارات فبفرض موافقتى على هذا الرأي جدلا رغم مجافاته للحقيقة فكم فى التاريخ من أمة همجية غزت أمة متحضرة ودكت حضارتها كما فعل التتار بالعراق وكم فى التاريخ من حضارات زالت على أيدي أمم أقل حضارة واقل شانا .

هنا أيها السادة فى اعتقادى هو بداية الطريق الى النهاية المحتومة لاسرائيل . ان الدول العربية اليوم أيها السادة ليست الدول العربية بالامس — فقد استطاعت الدول العربية اليوم أن تبرز وزنها فى المجال الدولى فاضطرت المانيا الى ايقاف شحنات الاسلحة الى اسرائيل واجتمعت كلمتها وقبلت التحدى عندما قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع المانيا الغربية عندما اعترفت باسرائيل — واسمعت صوتها فى مجال عدم الانحياز والمجال الافريقى والمجال الاسيوى وبعض دول أمريكا اللاتينية وسيأتى اليوم ان شاء الله الذى تتمكن من فرض ارادتها بقوتنا النامية النابعة من صميم الارض العربية — على كل من ساند ويساند اسرائيل .

الاستـاذ هيثـم الكيلاني يتحدث عن :

استراتيجية اسرائيل

ألقى الاستاذ هيثم الكيلاني سفير الجمهورية العربية السورية بالمغرب ، محاضرته القيمة عـن « استراتيجية اسرائيل » بمدرج كلية الآداب بالرباط في اطـار الموسم الثقافي الثاني الذي نظمه المكتب الدائم للتعريب ..

وقد ابتدأ الاستاذ الكيلاني محاضرته بالحديث عـن جغرافية فلسطين المحتلة ، ثم عن مشروع تحويـل نهـر الاردن الذى تحاول به اسرائيل رسم خطتها الثانية بعد « ايجاد الذات » ، ويتضمن المخطط الثانى اجتلاب 5 ملايين يهودى ، وتعمير النقب لاسكانها ، ومد الانابيب لنقل النفط الى حيفا وزيادة الجيش الصهيونى الى مليون ، وحينذاك فان اسرائيل – يقول الاستاذ الكيلانى – ستعتبر نفسها قد أرست ظلالها السوداء فى سماء الوطن العربى .

« استراتيجية اسرائيل اذن – يقول السيد السفير – تقوم على وضع قاعدة ارضية واسعـة أولا ، وقاعـدة اقتصادية زراعية خاصة ، ثم انشاء قاعدة بشرية واسعة وما يتبع ذلك من انشاء جيش ضخم معد للعدوان .

أما هذه الستراتيجية فهى تخضع لعاملين اثنين : ايمان اسرائيل بحتمية الحرب ، ثم هشاشة اسرائيـل وضعف كيانها مما يقطعها عند الضربة الاولى الحاسمـة ويشتت أوصالها .

اذن ، فمختصر الستراتيجية الاسرائيليـة انهـا دفاعية ، وانها لذلك عسكرية .

وبعد أن شرح السيد السفير بشكل ممتاز جميع خطوط اسرائيل واستعداداتها ومذهبها العسكرى ورعبها من الجبهة العربية الواحدة وفزعها من الكيان الفلسطينى الذى أخذ يكمل تنظيماته عسكريا وسياسيا واجتماعيا ، بعـد ذلـك تسـاءل عـن اهميـة الموقـف العربـي ، فقدم أولا تحليلا للوطـن العربي وموقعـه واستراتيجيته الممتازة ، ثم أوضح جوانب من خيرات وثروات الوطـن العربي ، خصوصا البترول . كما قـدم صـورة للقوات العربية العسكرية التي يمكن أن تفوق 15 مليون جندي ، وهي قوة قادرة على أن تفرض ارادتها على العدو ، خاصة بتنظيمها ضمن اطار قيادة عسكرية واحدة .

الكيـان الفلسطينـي

إثر ذلك تحدث الاستاذ هيثم الكيلانى عـن الكيـان الفلسطينى فقال :

« لقد طال العهد على هذا الكيان حتى بدأ يـرى النور اثر قرار مؤتمر الرؤساء والملوك . ففى عام 1948 أودع أهالى فلسطين قضيتهم الى الحكومات العربية يومذاك – وكانت سبعا – ومنذ ذلك الحين خرجت القضية من أيدى أصحابها ، وظل الفلسطينيون مشتتين دون أن يجمعهـم تنظيم سياسى أو عسكرى يساعدهم على مباشرة حـل قضيتهم بانفسهم . وبذلك ظلت القضية باهتة فى بعـض صورها وألوانها ، لان ملامحها تفرض عليهم فرضا ، حسب الزمان والمكان ، ولاننا تخطينا أصحاب القضية انفسهم ، فلم يعودوا يظهرون على حقيقتهم وواقعهم .

« ان الفلسطينيين يشكلون طاقـة ثوريـة هائلـة تستطيع ان تعطى العالم العربى حيوية وتدفقا وديناميكية جديدة ، يمكنها أن تغير معظم علاقات القوى السياسية فى الوطن العربى . ولن يقل شأنها فى ذلك عن التأثيرات التى خلفتها الثورة الجزائرية الظافرة والتى لا تزال تتدافـع متتالية فى جميع انحاء الوطن وبخاصة فى المغرب العربى »

عجز السياسة

« ان جميع العوامل اللازمة لتشكيل قوة ثوريـة

منظمة متوفرة فى المجتمعات الفلسطينية المنتشرة فى البلدان العربية المضيفة . ومن المؤكد ان اسهام هذه القوة فى العمل الايجابى الثورى سيرفع القضية من مستوى الشعارات والمفاهيم الغامضة الى مستوى العمل اليومي الجاد الذى تتحدد المواقف على أساسه . فلقد اثبت تاريخ قضية فلسطين والتجارب التى مرت بها خلال خمسة واربعين عاما ، عجز السياسة والدبلوماسية والاعمال الجانبية والقرارات الهامشية عن حل هذه القضية ، وليس ثمة سبيل غير سبيل الكفاح وتعبئة الشعب الفلسطينى ليقوم بدور الطليعة الواعية الفدائية فى هذا الكفاح .

• ونحن فى محاولتنا الجدية لانشاء الكيان الفلسطينى انما نبدأ مرحلة جديدة ، اثر مرحلة مؤلمة نرجو أن تكون قد انقضت ومضت ، كانت القضية الفلسطينية اثناءها موضوعا سياسيا فى مستوى النزعات والخصومات وأداة للاستغلال السياسى . وبذلك أبعد العقل العلمى فى معالجتها والاعداد لها ، وبخاصة أنها أصبحت مشكلة دولية كبرى تهم القوى الدولية جميعها ، لذا فلن يجدى فيها الا التخطيط العلمى الذى يعبىء الامكانيات العربية كلها ، ليضعها مواضعها المناسبة فى أوقاتها المناسبة فى خلال مرحلة تاريخية بأكملها .

• ان العقل العلمى الموضوعى الذى يواجه بجرأة وصراحة المشكلة بكل ابعادها وحدودها هو وحده المؤهل لايجاد حل لها . ومما لا شك فيه أن مثل هذا التفكير سيتجه ، أول ما يتجه ، الى حشد جميع الطاقات العربية الستراتيجية والبشرية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وتنظيمها وتعبئتها لتدخل جميعها فى المعركة الى جانب الكيان الفلسطينى صاحب الحق وحامل لواء الكفاح . وسيجد هذا التفكير إن منطق التوحيد ، وبخاصة فى الناحية العسكرية ، يفرض نفسه . ويقتضي هذا المنطق فى المعركة الحربية : قيادة عامة موحدة ، وجبهة موحدة ، وخطة موحدة ، وتوزيعا لجميع القوات تبعا لهذه الخطة .

قضية مصير الوطن العربى

• ان المفهوم الاساسى لقضية فلسطين انها ليست قضية منعزلة تمثل موضوعا مستقلا بذاته ، وانما هى قضية مصير الوطن العربي كله ، من خليجه الى محيطه ، بشعبه وحكوماته ومنظماته وثرواته واقتصادياته وأجياله الحالية والقادمة . كما أن هذه القضية هي امتحان مباشر للحركة الثورية العربية التى اشتعلت جذواتها فى بعض أقطار الوطن .

• واستنادا الى هذا المفهوم ، وسعيا وراء بلوغ أهداف الامة بتخطيط علمى موضوعى ، نجد أن تلاقى الكيانات العربية ــ بعضها أو كلها ــ فى الوقت الراهن ــ ولاسبيل غيره ــ لتعبئة طاقات الامة العربية وحشدها وتنظيمها واستخدامها فى المعركة ، سواء فى الميدان السياسى أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو العسكري .

• وعندما يحدد اليهود الساعة لبدء مغامرتهم ، فلن يحمى الكيانات العربية المشتتة جزع الحريصين على هذه الكيانات وثباتهم على استدامة تبعثرها وتفككها وتنازعها.

• ان السبيل الى الحفاظ على الكيان العربي ، هو قوة هذا الكيان ، وقوته فى الوقت الحاضر على الاقل ، هي فى لقاء أجزائه حول هدف وحيد فقط ، هو تحرير فلسطين

ان اعطاء الاولوية لتحرير فلسطين يعنى تكييف سياستنا الدولية والعربية على ضوء موقف الدول الاجنبية من قضية التحرير كما يعنى استعداد الدول العربية لتجميد أية معركة على الصعيد العربى ، بمقدار ما يكون هذا التجميد ، بغية الالتقاء بين الاقطار العربية ، يخدم الستراتيجية الهجومية العربية فى تحرير فلسطين .

ان السياسة العربية ، حتى هذا اليوم ، نظرت الى قضية فلسطين فى المجال الدولى ، من زاوية الاعتراف الضمنى بوجود دولة اسرائيل ، حينما قصرت جهدها وخططها على التمسك بتنفيذ قرارات هيئة الامم المتحدة الخاصة بالتقسيم .

ولابد للسياسة العربية من أن تعيد النظر فى هذا الموقف ، وأن تجعل قضية فلسطين مقياسا لتحديد موقف الدول العربية من جميع الدول الاخرى ، على جميع المستويات السياسية والاقتصادية .

ان ضرورة معالجة العرب لقرار التقسيم ، معالجة جديدة صريحة قانونية انسانية ، تستند الى مبدأ أساسى هو حق الشعوب فى تقرير مصيرها . وقد أسست هيئة الامم المتحدة على عدة مبادىء ، أولها كان هذا المبدأ ، الذى زعزع قواعد الاستعمار فى العالم فانطلقت الشعوب المستعمرة تتحرر ، ولقد جاءت ولادة اسرائيل تحديا لهذا المبدأ الاساسى ، اذ فرضها الاستعمار بالقوة على انقاض شعب فلسطين العربى وعلى اشلائه .

ان الموقف الذى ينتج عن رفض كلى للوجود الصهيونى ، على اعتباره اغتصابا وعدوانا ووسيلة استعمارية جديدة ، يختلف كل الاختلاف ، عن الموقف الذى يناقش الحدود والمساحات التى تحتلها الدولة الجديدة . ومن هنا يتأكد لنا ان كل منطق يلجأ الى حيلة التكتيك والمناورة وما شابه ذلك ، انما هو منطق لا يمس ظاهر القضية فحسب ، كما يظن البعض ، وانما يغير جوهرها ، ويجعلها قضية مساومة واخذ وعطاء . بينما القضية هي قضية وطن سليب وقوة استعمارية غاصبة .

اننا اذ نقول بذلك ، انما نستند الى حقيقتين .

أولاهما هي أن مجرد وجود الكيان الاسرائيلي هو عدوان فى ذاته ، عدوان على حق الشعب العربي الفلسطينى فى تقرير مصيره ، وعدوان على حقه فى وجوده فى وطنه. وان أي قرار ، من اية هيئة أو سلطة أو دولة ، لا يمكن أن يكون سالبا شعب فلسطين حق تقرير مصيره ، ولا يحق له أن يفعل . واذا فعل ، فهو قرار غير عادل .

والحقيقة الثانية ، التى تنتج عن الحقيقة الاولى ، هي ان الحل الوحيد للقضية ، هو تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى ، وان ليس هناك أي حل غير ذلك ، وان على العرب ، يردفهم المسلمون ، ويدعمهم اهل العدل والانسانية فى العالم ، ان يجندوا جميع طاقاتهم العسكرية والاقتصادية والبشرية والسياسية ، لازالة هذا الوجود العدوانى القائم على الاغتصاب والعنصرية .

حتمية الحرب

« ونحن اذ نواجه اسرائيل ، فاننا لا نواجه عدوا يبغى العيش بسلام . وانما لابد له من العدوان علينا ، لان وجوده قام على هذا الاساس . ولن تحيد اسرائيل عن ايمانها بحتمية الحرب . وذلك لان التخطيط الصهيونى العالمى يهدف الى وضع اسرائيل فى وقت من الاوقات فى موقف لابد لها فيه من أن تبدأ الحرب . اذ أن الخطط الصهيونية بتوسيع الطاقة البشرية فى اسرائيل ، وانماء الطاقات الاقتصادية ستجعل تلك البقعة المحتلة من فلسطين لا تكفى لتلك الموجة الزاخرة بهذه الطاقات ، فيغدو العيش عسيرا أو مستحيلا اذا لم تدفع اسرائيل حدودها الى الامام ، وتضم اليها ، أراضي وامكانيات جديدة . وانا لنرى ذلك واضحا فى الخطط التى تطبقها حكومات اسرائيل منذ انشائها حتى اليوم . وما مشروع تحويل مياه نهر الاردن الى النقب لاسكانه وتعميره الا مثالا على هذه الخطط ، ومرحلة توصل العدو الى تحقيق نواياه العدوانية التوسعية .

« ان سرقة مياه نهر الاردن ، واستثمار صحراء النقب ، واجتلاب عدد ضخم من المهاجرين الجدد تشكل اخطارا جسيمة . ولكن الخطر الاعظم والادهى من ذلك كله ، هو تعميق وجود اسرائيل فى أرض فلسطين السليبة ، وتحقيق ذلك الوجود ، وانماء الطاقة العسكرية والاقتصادية ، بغية توفير العناصر اللازمة لقوة مسلحة اقتصادية باغية تطغى على العالم العربى باندفاعات عسكرية محتلة تمهد لانطلاق اقتصادى يهدف - عن طريق الحرب - الى تحقيق حلم اليهود فى انشاء دولتهم من النيل الى الفرات .

أمام الخطر

« وأمام هذا الخطر الساحق ، لا تنفع الحماسة المراهقة ، ولا الدهاء المناور ولا محاولات الكسب والتهدئة. ان ذلك كله هو الذى اجتلب لنا النكبة أول مرة ، وهوكفيل بأن يجلب لنا نكبات أشد وأدهى ، وان ما يجدى هو العمل العلمى الموضوعى ، الذى يواجه المشكلة بكل حدودها

« ان اسرائيل ليست سوى طليعة لقوى الشر والعدوان على الامة العربية فمن ورائها الصهيونية العالمية بكل ثقلها الاقتصادى والمالي والدعائى ، والاستعمار بكل دوله ومصالحه وقواه السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وباستثماره لمصالحه ، وبكل قواعده الثابتة والمتحركة والمتسربة وراء الخطوط والجبهات .

« وأمام اسرائيل العسكرية والصهيونية والاستعمار، لابد من حشد جميع الطاقات العربية ، البشرية والاقتصادية والعسكرية ، لتزج جميعها فى المعركة . لان الاستعمار لن يرتدع عن دعم اسرائيل الا اذا تأكد ان العرب مصممون على الاقدام على كل العمليات ، مهما بلغت خطورتها ، فى سبيل الدفاع عن وجودهم ومصيرهم . أن صدى بعيدا من التاريخ العربى يرن مرددا كلمات خالد بن الوليد « انى أتيتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

لقد وضعت اسرائيل في خططها عدة حلول لبلوغ أغراضها ، أولها الحرب ، وآخرها الحرب ، وبينهما دعوة للسلام فى أحضان الاستعمار والصهيونية .

لقد اصبحنا ، دون أن نأثم جيل النكبة وعلينا أن نجعل من ابنائنا جيل النصر والفخار .

اختم حديثى فأقول : أن قضية فلسطين هي الحرب الصليبية الثانية ، وان قضية فلسطين هى الجزائر الثانية.

وفى كلا المثلين ، كان الحل وحيدا . لقد سكت القلم ونطق المدفع . »

الاستاذ علال الفاسي يحاضر حول :

قضية فلسطين
يجب أن تحل على الصعيد الاسلامي

في كل من مدينتي فاس ، والرباط ، القى الزعيم علال الفاسي محاضرته القيمة عن فلسطين العربية بحضور عدد كبير من المثقفين .

وقد ابتدأ سيادته المحاضرة بالحديث عن يوم 15 مايو يوم الذكرى الاليمة ، فاعلن ان هذا اليوم قد اتخذه لاقامة الذكرى المؤتمر الاسلامي الذى انعقد في القدس سنة 1926 ، كيوم خاص للمسالة الفلسطينية يعلن فيه العرب والمسلمون تضامنهم لهذه القضية كما أعلن اعتبار 26 رجب تذكارا دينيا في فلسطين لتعريف المسلمين بقيمة البلاد المقدسة ، وضرورة الدفاع عنها وقد اصبح هذا اليوم عنوانا لشعب شرد الاستعمار ابناءه وجلب الصهاينة الذين احلوا فيه ليكونوا قنطرة يعبر عليها المستعمرون للاستغلال .

وبعد استعراض تاريخي هام للمراحل التي مرت منها فلسطين قبل الميلاد حتى الفتح الاسلامي تحدث سيادته عن فكرة الاستعمار وراء احتلال فلسطين فقال:

فكرة التوسع الاوربي والمعركة الصليبية

استمرت فلسطين بلادا عربية مسلمة ، انتقلت في السيادة بين الدول العربية الى ان كان الفتح العثماني وكانت في هذه المرحلة جزءا لا يتجزأ من بلاد الشام . ثم بقي الامر على هذه الحالة حتى انبعثت فكرة التوسع الاوربي . اذ ان أحد البابوات هو الذى نادى المسيحين بمحاربة المسلمين . وقد وجه البابا هذا النداء للمسيحية كلها وواعد بالغفران كل من قاتل لتحرير قبر المسيح من المسلمين . وان البواعث الاقتصادية والتجارية من أجل التوصل لبلاد الشرق كان الاسلام فيها حاجزا بين المسيحيين وبين أوربا . وقامت المعركة الصليبية وقد انتصر المسلمون في النهاية في هذه الحرب المقدسة . وانتصر المسلمون في الاستيلاء على الاندلس . واشاد المحاضر العظيم بكل ادوار التحرير التي قام بها البطل صلاح الدين الايوبي الكردي الذى كان يتكلم العربية ومع ذلك تقدم باسم الاسلام وجاهد فانتصر على المسيحيين وطهر البلاد المقدسة بفضل قوة الايمان ، وقوة الحق والدفاع عن النفس من سيطرة الصليبيين المستعمرين ، ولكن الحزازات دفعت الى ان تبقى القضية الاقتصادية قائمة الذات وحاولوا ان يبحثوا عن طريق تبلغهم الى أماكن للاستعمار في اقاصي الشرق الى ان ادت الى اكتشاف أمريكا بيد أنهم اعتبروا ان بلاد الشرق الاوسط ضرورية لتسهيل الوصول الى اغراضهم في الاراضي المقدسة .

التفكير في قسمة العملاق الاسلامي

وان الروح اذا كانت أفادت الغرب فانها دمرتهم وشجعتهم على البحث عن سبيل استعماري آخر ، كما دفعتهم الى التفكير في قسمة العملاق الاسلامي حتى لا يبقى حاجزا بين أوربا وأمريكا . وحتى لا يعوق الاوربيين عن الوصول الى الاماكن التي يريدونها ، وان التاريخ حدث فيه تطور كبير ومظاهر الحياة تبدلت . القنبلة الذرية اكتشفت وأشياء أخرى اكتشفت ايضا ، وأكثر من كل ذلك سيكتشف ، ولكن هذا لم يؤثر ولن يؤثر على حقيقة واقعة وهي : ان الستراتيجية من جهة الطريق والممرات لا تتبدل والقيمة التي كانت لافريقيا والصحراء العربية ما تزال . وأعظم دليل الحرب الكبرى التي

تزعمها هتلر وتغلب فيها في اول الامر واصبح المسيطر على أوربا شرقا وغربا وكاد أن يستولى على روسيا . ومع ذلك لم يبق استيلاء هتلر طويلا وانهزم في المراحل الاخرى من الحرب ، لماذا لان الارض الفاصلة التي هي ارض الاسلام لم تكن في متناول هتلر ولكنها كانت في حكم اعدائه ولذلك كان يطلب تاييد العرب والمسلمين ، وكان كل همه ان يصل عن طريق افريقيا حتى يتمكن من سد الاعانة على أمريكا ، ومع أن هذه البلاد كانت تحت سيطرة الاستعمار فقد استطاعت ان تقلق أمن الدول المستعمرة .

وتعرض السيد المحاضر لوعد بلفور وشرح مشمولاته كلها . وتكلم عن محاولة نابليون الاستيلاء على فلسطين ولكن بخيانة الامانة وقتله 4000 أسير لم يستطع أن يحتلها كلها وبقيت في أيدى العرب ..

كانت قضية فلسطين موضع تآمر من الغرب ، وبالاسف كذلك بتآمر من العرب . ملوك العرب ورؤساؤهم لم يقفوا اذ ذاك موقفا جديا ولم يساعدوا الفلسطينيين على التحرر وتكونت الجامعة العربية قبل المأساة . والواقع ان الامانة العامة للجامعة العربية في عهد الاستاذ عبد الرحمن عزام رفضت الهدنة انها حقيقة يجب ان تسجل ، ولكن النقراشي وبعض الرؤساء قبلوها

وقد تقدم اليوم مجموعة من شباب فلسطين وطلبتها، تقدموا لانفسهم من غير ان ينضووا تحت لواء اية حكومة عربية ، واستطاعوا ان يقتحموا الاماكن المحتلة من لدن اسرائيل وأمكنهم ان يحصلوا على انتصارات لا بأس بها. هذه الحركة التي انبثقت من الشباب اقلقت اليهود . وان «العلم» من الصحف القليلة التي تنشر عن هذه الحركة . لاننا نعتقد انها الطريق التي تنقذ فلسطين من مخالب الصهاينة الآثمين .. انها تعمل في الخفاء ، والدول العربية ليس لديها ما تكافح به حتى على نفسها. من هنا نرى ان قضية فلسطين ما تزال في حالة يرثى لها ، وانه على الرغم من كل الوقائع القائمة فان العرب لم يفكروا بعد تفكيرا جديا في استخلاص فلسطين .. ان تحويل نهر الاردن سيمكن اسرائيل من اسكان خمسة ملايين من اليهود .

قضية فلسطين يجب ان تنقل الى الصعيد الاسلامي

وان الحل الوحيد لفلسطين يكمن في ان تنقل قضيتها من الصعيد العربي الى الصعيد الاسلامي لان بلاد العرب مجزاة وتبلور الوحدة العربية يحتاج الى وقت كبير خصوصا وقد تعقدت .. ان الوحدة لا تتحقق الا من قوم ارادوا ان يتحدوا، وان ارادة الاتحاد هي العقيدة التي لها أثر فعال في تحقيق الوحدات . وسواء كانت الوحدة او لم تكن ، فان المسلمين موحدون في عقيدة واحدة وهي أن الاراضي المقدسة يجب أن تبقى .. يتحتم علينا القيام بحملة دعوة جبارة لتوعية المسلمين بمقاومة الصليبية والرأسمالية ، والشيوعية ، والصهيونية ، ويجب على العرب والمسلمين أن ينهضوا باقتصادهم لان اسرائيل قنطرة الاقتصاد . فاذا صنعنا بلادنا العربية والاسلامية كلها وحققنا لها الاصلاحات الفلاحية سنسد الباب على اسرائيل وستختنق هذا اذا أردنا ان نقوم بالجهاد السلمي البعيد المدى . واذا أردنا ان نستعجل فما على الشعوب العربية والاسلامية الا أن تساعد الفلسطينيين وقد بدأ ابناؤها يعملون . ان عليها ان تساعدهم بكل ما يتوقفون عليه من شروط النضال المسلح الظافر .

حول قرارات المؤتمر الاسلامي

واعطى حضرة المحاضر الكبير الاستاذ علال الفاسي بيانا مطولا عن القرارات التي اتخذها المؤتمر الاسلامي الذي سبق انعقاده أخيرا في مكة المكرمة . فذكر من بينها: اعتبار المؤتمر لقضية فلسطين .. قضية اسلامية أساسية بل هي القضية الاولى للعالم الاسلامي ويجب العمل لانقاذ هذه الاماكن المقدسة . وان الحركة الصهيونية حركة عدوانية وباغتصابها لفلسطين قد أعلنت حربا عدوانية على المسلمين ، ويدعو المؤتمر الى مؤازرة الوطن الفلسطيني ويرفض الاعتراف بالامر الواقع الآن في فلسطين ، ويرفض أيضا قرار هيئة الامم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين ، ويناشد المؤتمر نفسه الدول الاسلامية بسحب موقفها من الاعتراف باسرائيل ويدعو هذه الدول ذاتها الى المبادرة بانشاء قنصليات لها في القدس وتكوين جمعيات خاصة للدفاع عن فلسطين في الاقطار الاسلامية، وتدريس قضية فلسطين في معاهد الدول المسلمة ، وادراج القضية الفلسطينية في كل اذاعات وتلفزات العالم الاسلامي جميعه ودعوة الدول الاسلامية بجعل حصار يمنع التعامل الاقتصادي مع اسرائيل .

ثورة عارمـــة موحدة

تقضي على معالم الاستعمار

واختتم الاستاذ علال الفاسي محاضرته الكبرى التي استغرق في ارتجالها أكثر من ساعتين بالحض على بعث وعي بحقيقة الازمة في فلسطين ، والعمل من أجل محو السيطرة اليهودية منها .. وفي خلال المناقشة قام أستاذ عراقي واثنى كثيرا على نبوغ المحاضر الكـريم واتساع معرفته واطلاعه بالقضايا العربية والاسلامية كلها وقال:

مادام شخص الاستاذ الكبير علال الفاسي في طليعة قـادة الفكر والتحرير فـي دنيـا العـرب والاسـلام ، الا ويرجى الخير لمختلف قضايا العروبة والاســلام ، ونؤمل في العرب والمسلمين الاعلان عن ثورة عارمة موحدة في وسعها ان تقضي على كل معالم الاستعمار وفي أوله الاستعمار الصهيوني الماكر وتطهير أرض فلسطـين من رجسه .

المـرونـة فـــي تقـويـم لحـن الـعـوام

قال ابن هشام في كتابه المدخل الى تقويم اللسان (مخطوط بالاسكوريال — نسخة مصورة في خزانة المكتب الدائم ص ١) :

« أول ما يجب على طالب اللغة تصحيح الالفاظ العربية المستعملـة التي حرفتها العامة عن موضعها وتكلمت بها على ما تكلمت بها العـرب في ناديهـا ومجتمعها فاذا صححها وأزال منها التحريف ونفى عنهـا التصحيف وأقامهـا كالقدح في التثقيف ولفظ بها كما لفظت بها العرب في المشتاة والخريف والمربع والمصيف كان ما وراء ذلك عليه أقرب وأسهل للطلب ولقد شهدت بعض من ينتمي بزعمه الى الادب وينسل اليه من كل حدب وقد استعمل في كلامه الخربز فسأله بعض الحاضرين عنه فقال هو البطيخ بفتح الباء وهذا من أقبح القبيح يستعمل اللغة الغريبة وقد قصر عن تصحيح المستعملة القريبة وألف الزبيدي رحمه الله في لحن عامة زمانه وما تكلمت به في أوانه فتعسف عليهم في بعض الالفاظ وانحى عليهم بالاغلاط وخطأهم فيما استعمل فيه وجهان وللعرب فيه لغتان فاوردت في هذا الكتاب جميع ذلك وما تعسف عليهم هنالك وبينت ما وقع في كلامه مـن السهو والغلط والتعنيف والشطط وأردفته بذكر أوهام ابن مكي في كتابه المسمى بتثقيف اللسان وتلقيح الجنان »

ندوة حول فلسطين العربية

فيما يلي لقطات من الندوة الهامة حول فلسطين التي نظمت في نطاق الموسم الثقافي الثاني للمكتب الدائم لتنسيق التعريب والتي تكلم فيها كل من الرئيس علال الفاسي والحاج احمد بناني والدكتور الحاج مير . وعقب عليها سفيرا الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية وبعض الشبان المغاربة .

فقد افتتح الندوة الرئيس علال بالعودة الى تاريخ الكفاح العربي ضد حكم الاتراك ونضالهم من أجل الوحدة العربية مذكرا بالدسائس الاستعمارية التي قسمت العالم العربي ، وخلقت في داخله قوميات ضيقة، حتي أصبح كل اقليم يبحث عن استقلاله ويتبنى الانقسامات التي خلقها المستعمرون . وقد سارع الاستعمار الانجليزي الى الاعتراف بهذه (الاستقلالات) وايجاد نوع من الاستقرار يؤمن له طريق الوصول الى أقاصي آسيا . وفي الخفاء كان الانجليز يناقضون كل الدعاوي التي كانوا يمنون بها العرب اذ أنهم قدموا لليهود وعد بلفور الخاص بتكوين وطن قومي لهم في فلسطين وهذه المشكلة الاستعمارية وقفت حجر عثرة ولا تزال في سبيل الوحدة العربية .

وقد جاءت النكبة لتنبه العرب الى واقعهم . فحاولوا الثورة ضد الانظمة التي أتت بالنكبة ، وكانت ثورة سوريا ومصر والعراق . وهذه الثورات حاولت ان تنهض بالمجتمع العربي وان تعمل في سبيل الوحدة . وكان الغرض الاساسي هو تحرير فلسطين واستبعاد الاجنبي، وكان وعي الوحدة قد بدأ يعم . بحيث أن تقدم بلد عربي في أي مضمار هو خطوة في القضاء على جرثومة الفساد وتحقيق الوعي الذاتي في الوطن العربي كله .

وعاد الاستعمار ليحاول التفرقة والالهاء وكان حلف بغداد وسيلته هذه المرة لجر فئة من الدول العربية لتشتغل بالشيوعية بدل القضية العربية الملحة ، في وقت عمت فيه الدعوة على اختلاف صيغها لقيام عدالة اجتماعية وتوحيد الصف العربي .

وقد قضى كفاح العرب على حلف بغداد ، وكان نصرا لكل العرب في كل الوطن العربي .. وبدأ التساؤل : ماذا علينا أن نعمل الآن ؟ ولا نزال في هذه المرحلة نخوض صراع الكلمات بين ديمقراطية اجتماعية، واشتراكية عربية ، واشتراكية اسلامية ، وتعادلية ، وكل ذلك غايته التحرر من آثار الرجعية والاستعمار . لقد أصبح طريق الواعين في الامة العربية واضحا وهو أن حركاتهم جميعا هي من ينبوع واحد هو العروبة . تلك امكانياتنا وهذه مشكلتنا ، فما هو الحل ؟

واعطيت الكلمة للدكتور الحاج مير باعتباره واحدا من ابناء فلسطين الجريحة فقال :

الشعوب كلها معرضة للنكبات ، والمهم هو تفهم هذه النكبات وأسبابها كخطوة أولى للعمل على ازالتها ، ومن عوامل النكبة الفلسطينية :

– ان العرب قبل 1914 كانوا ضمن امبراطورية او خلافة عثمانية . وكان لهم في هذه الخلافة مكان مرموق بحيث أنهم حصلوا فيها على درجة الوزير وليس صحيحا انهم كانوا مستعبدين .

– ان العرب لم يومنوا بأنفسهم ، وكانوا يجسمون

الهزيمة او يخلقونها فى أذعانهم حتى ولو لم تكن وحينما خرجوا من الحرب الاولى لم يستفيدوا من ذلك كباقى الشعوب التى كانت فى مستواهم .

– ان العرب كانوا موحدين فى اطار الخلافة العثمانية وعملوا على التخلص من هذه الخلافة ليصبحوا متفرقين . وهذا موطن العجب .

– ان العرب آمنوا بحلفائهم وصدقوهم ، من كل هذه الاسباب جاءت النكبة . واستمرت الغفلة اذ حصل تأخر كبير فى وعى النكبة ، والكتاب والمفكرون لم يقفوا ضد استمرار التحالف مع الغرب .

واستمرت بازاء هذا عملية تشويه الفكر العربى بالثقافة الاجنبية . لقد استسغنا اللغة الانجليزية فأصبح اتجاهنا مضللا .

وتناول الكلمة بعده الحاج احمد بناني فقال :

أهم الحلول القريبة لمشكلة فلسطين هو انارة الطريق لمؤتمر القمة القادم باجتناب الديماغوجية ومـا دامت الحلول المطروحة لحد الآن لم تفد فان ما يبقى لنا هـو أن نرغم الدول باتحادنا وبالعمل فقط فى نطاق الحلول القابلة للتطبيق .

والى هنا فتحت باب المناقشة فطلب الكلمة مصطفى الصباغ وقال :

اذا كان خلاص فلسطين فى الوحدة فليس هناك لحد الآن جهد مخلص فى الوحدة ، فقد فشلت كل محاولات العرب لتوحيد الكلمة وأخيرا انبثقت عبقرية السياسيين على مؤتمر القمة الذى اجتمع أول مرة فى 1963 ووضع أمامه القضية الفلسطينية ليحقق فيها وحدة الرأى .
وكان السؤال الملح : هل وحدة الصف أم وحدة الهدف؟ واتفقوا ان تكون وحدة الصف . ولكن الذى يبدو بعـد سنتين ان العرب كلما حاولوا ان يخرجوا من حالتهـم أعيدوا فيها . وبينما كان مؤتمر القمة حلا للتفرقة أصبح حجر عثرة . وها نحن ذا أمام حالة لا هى بوحدة الصف ولا وحدة الهدف ولم يعد الخلاف بين القادة العرب سرا، بعد أن أعلنت سوريا انها على استعداد لتفضح ملفات المؤتمر ، وفى كل هذا فان الشعوب العربية ليست موجودة فهى مغلوبة على أمرها ومحكومة بغير ارادتها .
وليس يوجد فى الوطن العربى نظام قبله الشعب بالطرق الديمقراطية . وهكذا فان تحرير فلسطين يرتبط حتما بتحرير الشعب العربى ، وانهاء أوضاع التزييف .

وطلب الكلمة على التو السيد حسن فهمى عبـد المجيد سفير الجمهورية العربية المتحدة ، فقال :

لم أكن أرغب فى المشاركة بهذه الندوة ولكن تدخل السيد الصباغ أثار أمامى بعض النقط .

وقد بدأ السيد السفير تدخله بكلمة مختصرة هى محور الفكرة التى قام لعرضها وهى : «ما ذهب بالسلاح، لن يعود الا بالسلاح» ، وأتى السفير على عرض تاريخى للقضية منذ وعد بلفور ثم عن ظروف ما بعد النكبة طوال 17 سنة . والتقاء الاستعمار الغربي بالاستعمار الصهيونى وتعاونهما متحدثا عن القوى الاقتصادية العالمية المركزة فى يد اليهود . وفى هذا العرض ذكر بالوعدين المتناقضين للذين أعطتهما بريطانيا للعرب واليهود الاول للشريف حسين بمساعدته على قيام الدولة العربية الواحدة 1915 والثانى وعد بلفور 1917 ومما قاله السيد السفير ان من جملة مؤامرات الصهيونية والاستعمار عصبة الامم التى كانت خطة لتمكين بريطانيا من السلطة المناسبة للتأثير فى الاحداث وتسليم فلسطين لليهود فى وقت لم تكن فيه الدول العربية موجودة . وكان الوضع (كما قال السفير) أكبر من العرب وامكانياتهم .

وهنا تطرق السفير الى الرد فقال : ان اتهام العرب بقسوة فيه كثير من التجنى فالدول العربية قامت بجهود طيبة لصالح القضية الفلسطينية منها :

1 – المحافظة على الشعب الفلسطينى فى كيانه المستقل .

2 – الحصار الاقتصادى ضد (اسرائيل) وهو ناجح جدا .

3 – رفع الجهل العالمى بقضية فلسطين وتوضيح صبغتها الاستعمارية .

ويبقى الحل النهائى وهو السلاح والجيش وما ذهب بالسلاح لا يعود الا بالسلاح .

وتكلم السيد عبد الحميد عواد ليقول :

ان أجدى أنواع الوحدة العربية هو الوحدة الاقتصادية معددا امكانيات العـرب فى المشرق والمغـرب . ثم دعـا الى وضع القضية الفلسطينية فى اطار أوسع وأشمل وهو الاطار الاسلامى . لان نداء الصهاينة كان موجها لكـل

يهود العالم . ورد على قضية المقاطعة الاقتصادية فقال انها لا تؤثر كثيرا .

ومن الذين تكلموا السيد الهلالي الذى ألح على تجنيد الشباب الفلسطيني والاتجاه به لمعركة التحرير قبل الدراسة هنا وهناك .

أما السيد عبد القادر القادرى فقال : ان حل قضية فلسطين يكمن فى جعلها قضية المسلمين جميعا .

وكان ختام من تكلم فى الندوة الاستاذ هيثم كيلانى سفير الجمهورية العربية السورية فقال ان الشعارات المنبثقة عن مؤتمر القمة لم تتحقق .

فقد تجاوز المؤتمر وحدة الهدف الى وحدة الصف ولكن هذه الاخيرة أيضا لم تكن ، ونحن الآن فى عز خرابها . وهذا هو الواقع . أما القضية الفلسطينية فانها قضية حرب حتمية على العرب سيكون عليهم ان يخوضوها عاجلا أو آجلا واسرائيل منكبة الآن على اعداد القنبلة الذرية وقبل ثلاث سنوات سيمكنها أن تواجهنا بهذه القنبلة وهكذا فان الصراع بين العرب واسرائيل هو صراع بين حضارتين حضارة قديمة شائخة وحضارة عصرية وبين الحضارتين ستقع الحرب لا محالة ، فليس علينا والحالة هذه ان ننتظر تحرير الشعوب العربية أو ننتظر الوحدة الاقتصادية أو أي جهد آخر يحتاج الى مزيد من الوقت فالمعركة الحاسمة تفرض نفسها فى أقرب الآجال .

وأخذ الكلمة — فى الختام — الرئيس علال ليلخص نتائج الندوة . وهى السلاح . والاعتماد على الشعب العربى الفلسطينى . ووضع القضية فى نطاق أوسع من العالم العربى .

كما أبرز الرئيس علال ان التحدى الحضارى سيجعل العرب رغم تخلفهم ينتصرون على حضارة القرن العشرين، الاستعمارية

معجم حديث للمعاني

لآلئ العرب

للمحقق المرحوم سالم رزق

هذا المخطوط النفيس قال عنه الدكتور ابراهيم كيلاني مدير التاليف والترجمة والنشر في وزارة الثقافة والارشاد القومي في سوريا لمراسل جريدة « الثورة » : «استطيع ان اتصور صدور مثل هذا العمل عن مجمع علمي كامل تتضافر فيه جهود جمهرة كبيرة من العلماء والباحثين يعمل كل منهم في حقل معين ثم يعمد الى جمع هذه الأعمال كلها وادماجها في مؤلف كامل – أي عمل شبيه بما قام به الموسوعيون في فرنسا في القرن الثامن عشر – أما أن يقوم شخص واحد بكل ذلك فهذا في الواقع ما يفوق التصور . فكم صرف من الوقت في حياته وهو يتتبع الالفاظ وياخذها من مصادرها القديمة والحديثة ؟ ان ذلك يتطلب في الواقع مزية كبرى لايتمتع بها الا العلماء المنصرفون الى العلم انصرافا كليا والمخلصون له اخلاصا جعلهم يفضلون مثل هذا العمل على كل ما في الحياة من لذات ومسرات » .

كتاب « لآلىء العرب »

معرفتنا لهذا الكتاب القيم الذي ما زال في انتظار الطبع يتحين الفرصة لدخول المكتبة العربية تنحصر فيما كتبته عنه جريدة « الثورة » ، ومجلة « المعرفة » السوريتان وفيما وصلنا من ابن المؤلف السيد سامي رزق من وصف للكتاب وصور لصفحات من فصل « الحمل والولادة » ومن فصل « صناعة المراكب » .

ولقد تبين لنا من مقارنة فصل « الحمل والولادة » الواردة صوره علينا بفصل « الحمل والولادة » الوارد في المخصص أن مؤلف « لآلىء العرب » انتهج في تصنيف كتابه وتبويبه منهاجا يختلف عن منهاج ابن سيده وعن منهاج الثعالبي في فقه اللغة . فأسلوب المرحوم السيد سالم رزق اكثر تركيزا من أسلوب ابن سيده واحسن اتساقا وتسلسلا وأوفى دلالة .

واذا كان يتعذر علينا تحليل هذا الكتاب الضخم الذي لم نطلع منه الا على بضع صفحات فقد اتضح لنا مما كتب عنه أنه جدير بأن يسد جانبا كبيرا من حاجة اللغة العربية التي اعلنها مؤتمر التعريب المنعقد بالرباط في ابريل 1961 في توصيته بوضع « معجم معان يستعين به ابناء العربية في العثور على الألفاظ الدقيقة لما يجول في اذهانهم من المعاني والصور » .

وانه ليؤسفنا أننا مع رغبتنا الشديدة في تقديم هذا المعجم الثمين الى قراء (اللسان العربي) لا نستطيع تعريفهم عليه الا من خلال ما كتبه عنه الذين قدر لهم الاطلاع عليه بتصفح المخطوط الموجود لدى ابن المؤلف السيد سامي رزق بمديرية الجمارك العامة في دمشق .

وفي رسالة موجهة الى السيد الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب وصف السيد سامي رزق كتاب المرحوم والده بما يلي :

« يتألف معجم (لآلىء العرب) من سبعة مجلدات ومجلد ثامن يشكل ملخصا للمجلدات السبعة الأولى . ثم أضاف له مجلدين شعريين غير متممين له من الناحية اللغوية وانما هما ملحقان شعريان يحتويان على 1600 صفحة جمعت فيها أبيات الشعر المختلفة ولشعراء مختلفين من العصر الجاهلي حتى اليوم وصنفت في أبواب وتحت موضوعات متشابهة مع موضوعات المعجم تحلية وتفكهة للأبحاث اللفظية المجردة الجافة . وبذا لا يمكن اعتبارهما جزءا اساسيا من المعجم .

أما المجلدات الثمانية ففيما يلي موجز لها .

الجزء الأول : عدد صفحاته 486 صفحة ويتالف من 193 فصلا . جمع فيه كل ما يتعلق بالانسان من الفاظ وقد صدره بكلمة الجلالة (الله) والخلق والخالق ومنه انتقل الى الحمل والولادة والأمومة والطفولة والتربية وتطور الانسان من الطفولة الى المراهقة والبلوغ والشباب والكهولة والشيخوخة فالعجز . وانتقل في الفصلين 13 و 14 الى الفاظ الأصل والنسب في بحثين . وابتدأ في الفصل 15 الى بحث القامة والجسم والدم والجلد والشعر والاسنان الى آخر ما هنالك من أجزاء جسم الانسان وحواسه حتى ابتدأ في الفصل 88 في سرد الصفات البدنية لجسم الانسان من الجمال والحسن والقبح والسمن والهزال والطول والقصر والقوة والضعف الخ .. ثم في الفصل 128 وما يليه بحث في الفاظ الصحة والمرض وما اليها من مواضيع كالتطبيب والأكل والجوع والعطش .

الجزء الثاني : عدد صفحاته 478 ص ويتالف من 236 فصلا .

في هذا الجزء جمعت فيه كل الالفاظ التي تعطي فعلا حركيا في الحياة سواء كانت الحركة هذه منبثقة من حركة الانسان كفرد كالكتابة والنقش والسباحة والنزهة والرياضة والدخول والخروج والقيام والنهوض والجلوس والاضطجاع والاستلقاء الخ .. وسواء كانت هذه الألفاظ تمثل حركة الانسان في المجتمع وما يقوم به من المهن كالخياطة والبناء والتجارة والزراعة والغزل والصياغة الخ .. وسواء كانت هذه الألفاظ متولدة عن الآلة التى أبدعها الانسان كالمركب والسيارة والقطار والطيارة والتلفون والراديو وآلات القطع وأدوات المطبخ الخ ..

الجزء الثالث : يتالف من 485 صفحة ويقع في 229 فصلا .

وقد جمع فيه الألفاظ الدالة على السياسة والاجتماع والادارة :
كالامارة والجيش والحرب والخلافة والدفاع والدولة والرهن والشكوى والشهادة والضيافة والوراثة والوصاية الخ ..

الجزء الرابع : فيه 485 صفحة و 102 فصل .

جمعت فيه الفاظ الطبيعة والحيوان : كالشمس والقمر والنجوم والسماء والصاعقة والرعد والريح والبحر والأرض وجواهر الأرض ، وكذلك الألفاظ الدالة على الحيوانات البرية والطيور والأسماك والزواحف .

الجزء الخامس : يحتوى على 502 صفحة و 221 فصلا .

نضدت فيه الألفاظ الدالة على المعاني الفكرية المجردة كالامل والانس والامانة والبغض والبكاء والجنون والحب والحزن والاحسان والحقد والحكمة والحق والحلم والحيرة والحياة والخداع والدهاء والذكاء والشجاعة والشوق والضحك والصبر والطمع والظلم والعقل والاغراء والكبرياء والفطنة والفهم واللطف واللوم والانتباه والوداعة الخ ...

كما وردت فيه بعض أبحاث لغوية ذات صفة خاصة كالأضداد في اللغة والمثنيات ومصادر اللغة على وزن تفعال والحروف التى تضمن للكلمات معاني خاصة وقد ختم بالأمثال المعروفة عن العرب .

أما الجزءان السادس والسابع : فيقع أولهما في 820 صفحة وثانيهما في 446 صفحة يحتويان على مواضيع مختلفة ومتشعبة وفي الجزء الأخير فصول يجب الحاقها بفصول سابقة في بقية الأجزاء . وختم الجزء الأخير بفهرس عام مطول للأجزاء كلها ويقع في 55 صفحة .

ويتبع ذلك مجلد مستقل اضافي دعاه (مختصر لآلىء العرب) وهو تلخيص للأجزاء السابقة ويضم الالفاظ العربية الاكثر استعمالا وشيوعا ، ويشكل بمفرده معجما صغيرا قائما في ذاته ويحتوي على 929 فصلا ويقع في 733 صفحة كبيرة .

وزيادة في الايضاح أقول ان مواضيع الكتاب كله تنيف عن 7200 موضوع أو مادة جمعت فيها ألفاظ لغة عدنان ورتبت حسب ما سبقت الاشارة اليه باقتضاب . والصفحات المنوه بها كلها صفحات من القياس

الكبير وتقدر كلمات هذا المعجم بحوالي مليوني كلمة .

وقد اتبع المؤلف كل جزء من الاجزاء الثمانية المذكورة أعلاه فضلا عن الفهرس العام للاجزاء كلها بفهرسين خاصين لكل منها . فهرس دعاه (فهرس الفصول) ، وقد رتبت الفصول في هذا الفهرس حسب ورودها في تضاعيف الكتاب . وفهرس آخر دعاه (فهرس المواد) وقد رتبها حسب الأبجدية . وهو فهرس مطول يحتوى على كل المواد المبحوث عنها في الفصول . بحيث يسهل على المرء أن يراجع مئات المواد الواردة في ثنايا الفصول بالقاء نظرة سريعة على ابجدية هذا الفهرس وأن يقف على المادة المطلوبة من قبله وموقعها في الكتاب » .

وللمزيد من الاطلاع نحيل القراء على كلمة السيد منير العمادي المنشورة في العدد السادس والثلاثين من مجلة « المعرفة » التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي للجمهورية العربية السورية .

مؤلف (لآلىء العرب)

ولد سالم خليل رزق في بلدة « النبك » عام 1889 ودخل المدرسة الكاثوليكية التى غادرها في سنة 1905 لينصرف الى القراءة والبحث في بيته ثم هاجر الى الولايات المتحدة في سنة 1907 لمتابعة دراسته لكنه ما لبث أن اشتغل مع أخيه بالتجارة التى حصل منها على ثروة لا باس بها عاد بها الى وطنه عام 1923 فمكنته من التفرغ الى البحث والتأليف . وفي هذه الفترة صنف معجم (لآلىء العرب) وموسوعة سماها « المعلمة » تتألف من ستة مجلدات ضخمة . وكان رحمه الله ينظم الشعر وله ديوانان كبيران كما له « مؤلف في الخطابة » وترجمة لكتاب « قوة الارادة » للعالم الانجليزي فرانك شان هانوك وكان ينشر بين الفينة والأخرى أبحاثا في « مجلة المجمع العلمى الدمشقي » وفي مجلتي « العرفان » و « المشرق » وفي مجلة « لغة العرب » التى كان يصدرها في العراق الأب انستاس الكرملي .

وبعد صدور بحث له في موضوع البعد في اللغة كتب عنه الاب انستاس الكرملي ما يلي :

«... لابن سيده (من العصر الاندلسي) كتاب جليل اسمه المخصص لم يؤلف مثله من سبقه ولا من تلاه . أفاض عليه شيئا من ذوب دماغه فجاء سفرا بديعا يشهد له بعلو الكعب في لغة عدنان ... ومن الغريب أنك اذا فتشت فيه عن معنى البعد وما يتصل به لا ترى له أثرا .

وقد اتحفنا حضرة اللغوي السيد سالم خليل رزق المشهور بمباحثه العربية الدقيقة بمقالة بديعة تراب هذا الصدع في ديوان ابن سيده المذكور .

واننا نشهد لصاحب المقال بتضلعه من اللغة واحاطته بالموضوع اذ لم نجد فيما بايدينا من التآليف من تعرض لهذا الموضوع في اللغة العربية قاطبة . فنشكر له هذه الهدية اللغوية باسم جميع المحققين المدققين من الناطقين بالضاد .. »

هذه المعلومات اقتبسناها من جريدة « الثورة » .

+ + +

وبعد هذا فانه ليؤلمنا كثيرا أن تبقى هذه اللآلىء مكنوزة رغما عن خصاصة المكتبة العربية وافتقارها الشديد اليها وان الأسى ليملأ قلوبنا لأن المكتب الدائم لتنسيق التعريب لا يتوفر له من المال ما يكفي لطبع هذا المعجم النفيس وانه لا يسعنا الا أن نضم أصواتنا الى صوت السيد منير العمادي والى صوت مراسل جريدة « الثورة » والى أصوات غيرهما من المعجبين للاهابة بالهيئات والمؤسسات الثقافية العربية أن تخرج الى أبناء العروبة هذا الكنز الدفين .

(اللسان العربي)

معاجمنا العلمية

بعد الملاحظات التي توصل بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي على معاجم الرياضيات والفيزياء والكيمياء التي وضعها بتعاون مع خبراء الشعبة الوطنية المغربية (المركز الوطني للتعريب)، تلك الملاحظات التي ابدتها شخصيات وهيئات علمية مرموقة وخصوصا بعض وزارات التربية في البلاد العربية ولجنة الكيمياء والصيدلة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجلس الاعلى للعلوم بسوريا الشقيقة وقسم التعريب بوزارة التربية بتونس .

وبعد تأجيل ندوة الرياضيات التي كان من المقرر أن تنعقد في أواخر شهر دجنبر (بناء على مصادقة معالي وزير التربية بالجمهورية التونسية وندوة علم الاحياء بالقاهرة أوائل سنة 1965 (بناء على اقتراح معالي وزير البحث العلمي بالجمهورية العربية المتحدة) وذلك تلبية لطلب الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية التي اقترحت تأخيرها حتى تقوم المنظمة العربية التي ستخلفها بناء على توصيات مؤتمر وزراء التربية العرب أواخر يبراير الفارط ، أما معجم علم الاحياء فان المكتب الدائم قد جرد جميع الكتب العلمية في الاسلاك الثلاثة وتوصل الى 300 14 لمة بالفرنسية احالها على مجامعنا الموقرة وعلى الاتحاد العلمي العربي لوضع المقابل العربي لها اعدادا لتنسيق مناسب بين هذه المصطلحات وقد توصلنا باجوبة من هذه المجامع تؤكد أنها أحالت الألفاظ المذكورة على لجان مختصة لوضع مقابلها العربي ، وقد سبق لجامعة الدول العربية ان نظمت بعاصمة الجزائر مؤتمرا لتوحيد المصطلحات المعربة بين 12 و 15 يبراير 1964 وقدم المكتب الدائم معاجمه بما أدخل عليها من الملاحظات التي نسقتها تنسيقا أوليا بالرباط حلقة علمية ضمت كثيرا من أساتذة التعليم الجامعي العرب غير أن مشكل التوحيد لم يدرس في الجزائر ووصى المؤتمرون بترك ذلك للمكتب الدائم لاندراجه في اختصاصاته وعزز وزراء التربية العرب ببغداد هذا الاقتراح .

وان المكتب الدائم - نظرا لحالة الاستعجال التي عليها أقطار المغرب العربي فيما يخص تعريب مواد العلوم والرياضيات والفيزياء والكيمياء الذى دخل في حيز التطبيق وللصلاحية المخولة له من لدن مؤتمرات الرباط والجزائر وبغداد ونظرا للطلبات الكثيرة الواردة عليه من الاقطار العربية الاخرى التي تطالبنا بنسخ وافرة من المعاجم العلمية التي لا يمكن توزيعها من جديد الا في طبعة منقحة مصادق على كثير من عناصرها (ومن جملة من طلب ذلك المجلس الاهلي للتعليم الثانوى بلبنان وقسم التخطيط بالقاهرة ووزارة التربية في المملكة السعودية) . قد كون لجانا للخبراء العرب في شعب العلوم لتقوم بمهمة تنسيق المشاريع المعجمية مع الملاحظات التي نتوصل بها من الهيئات والشخصيات العلمية من أجل اعداد طبعة أولى لهاته المعاجم تكون نواة أولى لكتب علمية موحدة يسهل استعمالها من طرف الاساتذة والطلبة والتلاميذ على السواء .

وستكون هاته الطبعة الاولى قابلة للتنقيح والتعديل وتشير اللجنة في أسفل كل صفحة من المعجم الى الدول العربية التي تنفرد بوضع مصطلح يخالف ما ارتأته هذه اللجنة على أمل أن يتم نهائيا وضع المعاجم الموحدة في العلوم والرياضيات والفيزياء والكيمياء في أقرب وقت ممكن حتى تكتمل وحدة المصطلح العلمي في كافة أنحاء العالم العربي ، وتنتفي تلك البلبلة التي طالما تذرع بها اعداء التعريب الداعين الى ابطاله او تأجيله الى عشرات من السنين حيث تزداد اللغة الأجنبية تمكنا من نفوس الأقطار التي ما زالت مبتلاة بها ويعسر اذ ذاك أى علاج لرد الحق الى نصابه والمياه الى مجاريها الطبيعية .

ومعلوم أن المكتب الدائم يعمل في نفس الوقت على استكمال الاداة العربية حتى يكون المصطلح العربي موحدا من جهة وموازيا لمجموع ما توصل اليه الفكر العلمي الحديث من جهة أخرى .

تقرير المجلس الأعلى السورى للعلوم حول معجم مصطلحات الطحانة والخبازة والفرانة

درست اللجنة التى ألفها المجلس الاعلى للعلوم بالجمهورية العربية السورية لبحث معجم « مصطلحات الطحانة والخبازة والفرانة بالعربية والفرنسية» الذى جمعته مصلحة التعريب التابعة للمكتب المغربى للمراقبة والتصدير ، واستغرقت دراستها هذه عدة جلسات انتهت الى وضع الملاحظات الآتية :

آ ـ تثنى اللجنة على الجهود القيمة التى بذلها مكتب التعريب خاصة فى هذا المعجم لان الذين اشتركوا فى وضع المصطلحات دلوا على تفهم عميق لسعة اللغة العربية ولطواعيتها وغزارة مادتها واستفاضة هذه المادة عن حدود الالفاظ الاجنبية . فقد رجعوا الى الاصول اللغوية المشهورة مثل المخصص لابن سيده وأمثاله وبذلك وجدوا ألفاظا لجميع المصطلحات الاجنبية وزادوا عليها ما انفردت به اللغة العربية . وحبذا لو عمدت لجان المكتب الاخرى الى مثل هذا الصنيع فرجعت كل لجنة الى جميع المراجع العلمية والفنية القديمة وهى كثيرة .

ب ـ ومع ذلك فاننا نقدم الاقتراحات التالية :

الصفحة	رقم المصطلح	الاصل	الاقتراح والشرح
3	13	ريع القمح من الطحين	ريع الطحين من القمح (مادة ريع فى لسان العرب)
9	51	العنفة الطاردة	العنفة النابذة
9	52	العنفة الجاذبة	العنفة الجابذة

وذلك لان الجذب فى اللغة والجبذ بمعنى واحد وهو يقابل النبذ وعندنا جرى الباحثون فى علوم الطبيعة على استعمال القوة النابذة والقوة الجابذة . وفى ذلك مع الصحة جمال واتساق .

10	60	القطب	لا حاجة الى الشكل أى فتح القاف لان القاف مثلثة هنا .
10	61	الخر	الخر والخرى واللهوه

ويضاف لفظ اللهوة أيضا بضم اللام وفتحها وهى ما ألقيته فى فم الرحى .

18	106	مغسلة	مصولة
	107	الغسل	التصويل

وهو لفظ شائع فى سورية وله ما يسوغه فى كتب اللغة (المصول ما ينقع فيه الحنظل) .

الحوالة		22 124	المحــول
25	138	السفسافة الطائرة	السفسافة النابذة
28	151	الجهاز المكنى	الجهاز المكنى او الآلى او الميكانيكى
	153	هـــرى	هرى ونبر مفرد أنبار وأنابير لانهـا شائعة قديما كالهرى مفرد أهراء .
30	264	الزحـــالة	ترجمت فى المعجم العسكرى بالمرفاع
170		التبطيق الوسم	الاكتفاء بالوسم
31	175	النـــاقلة	المطيـــة
38	206		
	206 مكرر		نقترح زيادة الجرين المطحون
40	213	رنوع الحبوب	يمكن ان يضاف أيضا حبوب ملفوحة للتي اصابها الحر وحبوب منموحه للتي اصابها البرد . واضافة لفظ تصـــوح وصـــوح للدلالة على جفاف البقول .
41	218	حبوب منخوبة	استعملت مجازا بمعنى انتزع لبهـا ونؤثر عليها ملبوبة أى منتزعة اللب (هكذا فى المعـــاجم اللغوية) ولان المنخـــوب يفيـــد أيضا المنتخب فيستدعى اللبس .
42	228	الفراشية السوس	فراشية السوس
43	233	حبوب شقراء	حبوب مشقرة
46	247	حبوب شمطانة	حبوب قرحاء أيضا مستعملة فـــى سورية
48	253	القضض والقضة	جاء في الشرح أنه للحصى الصغار القضض والقض والقضة هذا صحيح ومن المستحسن زيـادة القضيض للحصى الكبار .
52	289	النقـــاة	النقاة والنقاية بفتح النون فيهمـا وضمها (المحيط)
57	310	المعجـن	ثمة تفاوت بين البلدان فى نسبـة الماء المضاف وربما كان مـن المناسب أن يكون الشرح أعم من هذا التعيين
61	339	ذر اللواث	جاء مشكولا على وزن اسم الآلــة واللفظ الاجنبى يدل على اسم مكان فالانسب أن نقول معجن ومعجن لان الفعل من باب ضرب وباب نصـر كما فى المحيط .
67	371		لاحاجة لتشديد الواو فالـوارد فـى

اللغة التخفيف .

67	272		الملاحظة نفسها .
71	398	المـــلاط	لزوم التنبيه على أن الميم هنا زائدة وهي بالفتح لتمييزها مـن الملاط بكسر الميم الاصلية فيها وهي تفيد الطين ويمكن اقتراح ملصق أيضـا لمكان اللصوق .
76	427 427 مكرر		نقترح اضافة خبز الاباذير مقابـل Pain de seigle وقد أخذ الاجانب هذا اللفظ عـن العرب لان العرب استعملوا خبز الاباذير فـى أشعارهم ، انظر شعر ابن الحجاج في يتيمة الدهر للثعالبى (وقـد نبه على ذلك الاستاذ عبد الكـريم اليافى فى كتابه «دراسات فنيـة في الادب العربي») .
80	457	الخبيص والخبيصة	نقترح المـريس والمريث والمريت مكان الخبيص والخبيصة لانهمـا حلواء خاصة معروفة في سورية .
81	461	مقياس القشدة	يضاف ايضا المقشاد للخفة .
82		الذيـل	لا حاجة للحاشية لاننـا نظـن أن الاستاذ الشهابى كان يريـد التفريق بين معجن ومعجنة بكسر الميـم على وزن اسم الآلـة وهما تقابـلان Malaxeur وبـين المعجـن والمعجنة على وزن اسم المكان وهما يقابلان Pétrin بفتح الميم وفتح الجيم أو كسر الجيم (أنظر رقم 339 صفحة 61 من هذا التعليق)

جـ ـ ان التعليقات على المصطلحات اشتملت على بعض الاخطاء اللغوية التى نشأت من النسخ أو سرعـة الكتابة . ونرى أنه لا بد من تحامي هـذه الهفوات عنـد النشـر الاخيـر ونضرب أمثلة على هذه الاخطاء دون استقصائها :

جاء في الفهرس مسرد الفبـائى وينبغى أن نقول أبجدى أو الفبائى

جاء فـى الصفحة 22 اسطوانته ملساوتـان وينبـغى أن نقـول اسطوانتاه ملساوان

جاء في الصفحة 30 رقم 165 لفظ الاحجام وهو جمع لم يرد في اللغة وانما ورد حجوم فيحتاج شـرح المصطلحـات اذن الى مـراجعـة اختصاصي باللغة دفعا لامثال هذه الهفوات التـى تشـوه المعجم المتقن الجيـد .

حول تقرير لجنة دراسة مصطلحات "الطحانة والخبازة والفرانة" التابعة للمجلس الأعلى للعلوم بالجمهورية العربية السورية

بقلم مصلحة التعريب التابعة للمكتب المغربي
للمراقبة و التصدير

نشكر للمجلس الاعلى للعلوم بالجمهورية العربية السورية حفاوته الكريمة بمعجم «مصطلحات الطحانة والخبازة والفرانة» الذي ألفته مصلحتنا . ونشكر اللجنة المقررة على العناية البالغة التي أولتها لدراسة هذا المعجم وعلى حسن تقديرها للمنهاج المتبع في تأليفه وعلى عبارات الثناء والتشجيع التي وجهتها لمصلحتنا ، ونتمنى أن نكون دائما عند حسن ظن أعضائها الافاضل .

واننا مدينون للجنة على الاخص بالاقتراحات القيمة التي تفضلت بها وقد استفدنا منها كثيرا ووافقنا على جلها . أما البقية فاننا نرجو من اللجنة أن تتفضل مرة أخرى باعادة النظر فيها على ضوء الملاحظات التي نقدمها فيما يلي بعد عرض الاقتراحات الموافق عليها .

I – الاقتراحات الموافق عليها

تنقسم الى ثلاث فئات :

أ – ألفاظ مقترحة لتحل محل ألفاظ أخرى في المعجم .

ب – ألفاظ يقترح اضافتها لترادف في الغالب ألفاظا أخرى في المعجم .

ت – ملاحظات على أخطاء نسخية ولغوية .

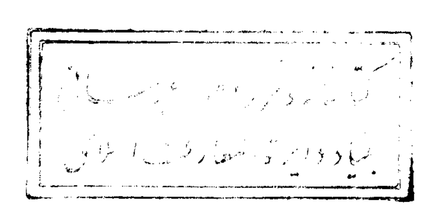
أ – من الفئة الاولى كلمة « **نابذة** » بدلا من «**طاردة**» لمقابلة الكلمة الفرنسية « Centrifuge » وكلمة «**جابذة**» بدلا من «**جاذبة**» لمقابلة الكلمة Centripète (الصفحة 9) .

مع موافقتنا على اقتراح اللجنة نلفت أنظارها الى أن الكلمة Centrifuge يقابلها في مصطلحات الطبيعة التي نشرها المؤتمر العلمي العربي الثاني مايلي :

1) **مركزية** (مصر)
2) **قوة الجذب المركزي** (سوريا)
3) **آلة طاردة مركزية ، النابذة** (لبنان)
4) **قوة طاردة عن المركز** (الاردن)

وتقابلها «**الطاردة ، النابذة**» في مصطلحات علم الكيميا، التي نشرتها الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية .

واننا لنرجو أن تعمل جميع الدول العربية باقتراح اللجنة السورية فتتفق على تعريب « Force centrifuge » بـ «**قوة نابذة**» وتعريب « Force centripète » بـ «**قوة جابذة**» فزيادة على الصحة والجمال والانسياق التي نلمسها مع اللجنة في هذين المصطلحين المقترحين اننا نراهما الوحيدين البعيدين عن كل التباس . فالكلمة «**الطرد**» تستعمل في جميع البلاد العربية لمقابلة الكلمة الفرنسية « **Chasse** » و «صندوق الطرد» هو الاسم العربي الذي اتخذته الآلة المسماة بالفرنسية « Chasse d'eau » عندما دخلت «المعجم الوسيط» . أما الكلمة «**مركزية**» فتقابل الكلمة الفرنسية « Centralisation » وهي أبعد المصطلحات المذكورة عن القصد . هذا فيما يخص



المقابل العربي للكلمة « Centrifuge » أما فيما يرجع لمقابل « Centripète » فاننا نفضل «**جابذة**» **المقترحة** من طرف اللجنة على «**جاذبة**» لان مادة «**جذب**» شاع استعمالها لمقابلة مادة « Attraction » ولا سيما في عبارة «**جاذبية الارض**» .

ومن مقترحات اللجنة «**مصولة**» لمقابلة « Laveur » بدلا من «**مغسلة**» (الصفحة 18) التي كنا نقلناها عن «معجم الالفاظ الزراعية» ونحن نوثر «**مصولة**» لمقابلة « Laveur » على «**مغسلة**» التي شاع اطلاقها على ما يسمى بـ « **Lavabo** » واننا على مضض كنا استعملنا «**مغسلة**» لمقابلة « Laveur » اذ لم نكن نعرف الكلمة «**مصولة**» رغما عن شيوعها في سوريا قبل أن تتفضل اللجنة بها . وبهذه المناسبة نقترح على الامير مصطفى الشهابي أن يعدل معنا عن «**مغسلة**» الى «**مصولة**» لمقابلة « **Laveur** » في الطبعة المقبلة لمعجم الالفاظ الزراعية ومن المقترحات الداخلة في هذه الفئة أيضا «**المحول**» بدلا من «**الحوالة**» لمقابلة « **Convertisseur** » (الصفحة 22) و «**السفسافة النابلة**» بدلا من «**السفسافة الطاردة**» لمقابلة « Bluterie centrifuge » (الصفحة 25) و «**حبوب ملبوبة**» بدلا من «**حبوب منخوبة**» لمقابلة « grains punaisés » (الصفحة 41) و «**حبوب مشقرة**» بدلا من «**حبوب شقراء**» **لمقابلة** « grains roux »

ب ـ من مقترحات الفئة الثانية التي نوافق عليها اضافة الكلمتين «**الغرى**» و «**اللهوة**» (المفتوحة السلام) لترادفا الكلمة «**الغر**» الدالة على فم الرحى واضافة الكلمة «**اللهوة**» (المضمومة اللام) للدلالة على ما يلقى في فم الرحى ، (الصفحة 10) واضافة «**نبر**» لترادف «**هرى**» في مقابلتها للمصطلحين الفرنسيين « Silo » و « **Boisseau à blé** » (الصفحة 28) واضافة «**الجرين**» للدلالة على المطحون طحنا شديدا (الصفحة 38) واضافة «**حبوب ملفوحة**» لترادف «**حبوب رانعة**» في مقابلتها للمصطلح الفرنسي « Grains échaudés » **الدال** على الحبوب التي أصابها الحر ، واضافة «**حبوب منفوحة**» لترادف «**حبوب مجلودة**» في مقابلتها للمصطلح « Grains givrés » الدال على الحبوب التي أصابها البرد (الصفحة 40) كما نوافق على اضافة لفظ «تصوح» و «صوح» للدلالة على جفاف الحبوب لكن في الصيغتين «**صوحانة**» و «**مصوحة**» لمرادفة «**قاحلة**» فنقول «حبوب **صوحانة**» أو «**مصوحة**»» و «**قاحلة** لمقابلة المصطلح « Grains desséchés » (الصفحة 44) ونوافق كذلك على اضافة «**حبوب قرحاء**» لترادف «**حبوب شمطانة**» في مقابلتها للمصطلح « Grains mitadinés » (الصفحة 46) واضافة «**خبز الابازير**» مع مقابلة الفرنسي « Pain d'épices » (الصفحة 76) ونشكر اللجنة كثيرا على التعليق . ونوافق على اضافة «**المقشاد**» ليرادف «**مقياس القشدة**» الذي نقلناه عن الشهابي في مقابلة « Crémomètre » (الصفحة 81) وعلى اضافة «**النقاية**» الى «**النقاة**» (الصفحة 52) .

ت ـ من مقترحات الفئة الثالثة التي نوافق عليها تثليث شكل قاف «**القطب**» (الصفحة 10) وتخفيف واو «**اللواث**» (الصفحة 67) المشدد خطأ عند النسخ واثبات ألف التثنية المغفل عند نسخ كلمة «أسطوانتاه» وحذف التاء المزيدة سهوا عند نسخ الكلمة « **الملساوتن** » (الصفحة 22) وجمع «**حجم**» على «**حجوم**» لا على «**أحجام**» (الصفحة 30) وهو خطأ لغوي وقعنا فيه ونخاله شائعا في المغرب .

2 ـ الاقتراحات التي نرجو من اللجنة اعادة النظر فيها

أ ـ «**ربع الطحين من القمح**» بدلا من «**ربع القمح من الطحين**» التي قابلنا بها « Rendement de blé en farine » (في الصفحة 3) والاختلاف بيننا في اضافة «الريع الى الطحين» أم الى «القمح» وقد رجعنا الى مادة «ريع» في (لسان العرب) كما أشار بذلك تقرير اللجنة فوجدنا هذا المعجم يؤيدنا في اضافة الريع الى القمح ونجتزىء من الشرح الطويل بما يلي :

«... وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في «كفارة اليمين : لكل مسكين **مد حنطة ريعه ادامه** أي «لا يلزمه مع المد ادام وان الزيادة التي تحصل من «دقيق المد اذا طحنه يشتري بها الادام ... وريع البذر «فضل ما يخرج من البزر على أصله» . فمن الواضح «أن الضمير في «**ريعه**» يعود على مد الحنطة أي القمح «لا على الطحين .

هذا مع التذكير بأن كلمة «**ريع**» لا تختص بـ «**القمح**» ولا بـ «**الطحين**» «ففي اللسان أيضا : **راع الطعام وغيره** : زكا وزاد » ... وكل زيادة : ريع ... وقال أبو حنيفة : أراعت الشجرة : كثر حملها وأراعت الابل كثر ولدها» . وقد شاع استعمال «ريع» في أيامنا

للدلالة على «الدخل» اذ نقول مثلا : «ريـــع الحفلـة يخصص للجمعيات الخيرية » .

ونلفت أنظار اللجنة كذلك الى أننا لم نذكر «الطحين» فى العبارة «ريع القمح من الطحين» الا للتخصيص لانه قد يكون للقمح وغيره أكثر من ريع واحد . فريع القمح المزروع هو القمح المحصود وريع القمح المطحون هـــو الدقيق او الطحين وريع القمح المبيع هو النقد المقبوض ثمنا لبيعـــه .

ب ـ تقتـــرح اللجنـــة اضافـة الكلمتـين «الآلى» و «**الميكانيكى**» «لترادفا الكلمة» «**المكنى**» ضمن عبـارة «**الجهاز المكنى**» التى قابلنا بها المصطلح « Installation mécanique » (فى الصفحة 28) ونرى الاقتصار على «**المكنى**» لتعريب « mécanique » و « mécanicien » مشاركين رغبة الاستاذ محمود تيمور ومجمـع اللغـــة العربية فى الرجوع بهذا المقابل الى اصل عـــربى . (انظر ألفاظ الحضارة لعام 1963 ـ تيمور ومادة «مكن» فى المعجم الوسيط) .

ت ـ نفضل الكلمة «**الزحالة**» لمقابلة الكلمة « Grue » (الصفحة 30) على الكلمة «**مرفاع**» التى ترجمت بها فى «المعجم العسكرى» كما أشار الى ذلك التقرير ، وذلـك لان «**مرفع**» (بلامد) ترجمت بهـــا الكلمـة الفرنسية « Elévateur » فى «المعجـــم العسكرى» نفسه وفـى (معجم الالفاظ الزراعية) واجتنابـــا للالتباس ارتأينا الابتعاد عن مادة «**رفع**» التى اشتقت منهــا زيادة على ذلك الكلمة «**رافعة**» **لترجمة** (Levier) وترجمـــة **« Elévatoire »**

ث ـ لا نستحسن ترجمـــة « Véhicule » بـ «**المطية**» المقترحة من طرف اللجنة بدلا مـــن «الناقلة» (الصفحة 31) لان «**المطيـــة**» تقـــابل فى الفرنسيـــة « monture » وتختص مثلها بما يركب من الحيوان . أما فيما يخص ترجمة « Véhicule » بـ «**ناقلة**» فقـد بسطنا وجهة نظرنا بشأنها فى كتـابنا (المستدرك فى التعـــريب) .

ج ـ تستحسن اللجنة اضافـــة «**القض**» لتـرادف «**القضيض**» و «**القضة**» (الصفحة 48) للدلالة على الحصى الصغار مع زيادة «**القضيض**» للحصى الكبار .

ونفضل اجتناب هاتين الكلمتين «القض» و«القضيض» نظرا لاختلاف المعاجم فى ايتهما تـــدل على الصغار أو الكبار من الحصى فنحن نلاحظ ان الكلمـة « القـض » لم تأخذ مكانها كمفردة فى جميـــع المعاجم التى بـين أيدينا الا باعتبارها صفة لا اسما اذ ورد شرحها كمـا يلى : «**طعام قض**» وقع فى حصى او تراب فوجد ذلـك فى طعمه . **ومكان قض** : فيه تقضض . ولم يـرد ذكـر «**القض**» اسما الا عند شرح العبارة المجازية التالية : «جاء قضهم بقضيضهم» . وهنا اختلفت الآراء فذهـب « القامـــوس المحيط » الى أن « **القض** » يعنى «**الحصى الصغار**» و «**القضيض**» **الحصى الكبار** ونقـــل (أقـرب الموارد) هذا الشرح الذى به أخذت اللجنة فى اقتراحها. لكن التاج عقب على شرح (القاموس) بقوله : «وهو غلط والصواب فى قوله كما نقله صاحب (اللسان» وابـــن الاثير والصاغانى «**القض**» : **الحصى الكبار** و «**القضيض**» : **الحصى الصغار** وهذا الشرح الاخير هـو الذى اعتمده (المعجم الوسيط) فى تعليقه على شرح العبارة المذكورة بقوله : «**لان القض الحصى الكبـــار والقضيض الحصى الصغار**» وأكده عند تناوله المفردة «**القضيض**» بقولـــه «**صغار الحصى**» وبذلك شرح هذه المفردة أيضا (متن اللغة) فقال : «**القضيض : صغار العظام والحصى**»

ح ـ ترى اللجنة أن اللفظ الفرنسى « Pétrin » (الصفحة 61) **يدل على اسم مكان وان الانسب ان نصوغ مقابله العربى صيغة اسم مكان فنفتح ميم «المعجن» بدلا** من كسرها ولكن الذى يبدو لنا مـــن شرح (لاروس) **لهذا اللفظ الاجنبى أنه لا يدل على اسم الشكل القديم المعهود عند الافرنج وهو الشبيه بالجفنة عنـد العرب والشكل الحديث وهو الآلة المكنية التى اورد صورتهـا** (لاروس) **ازاء اللفظ المذكور فى طبعته الخامسة لسنة** 1961 **ولذلك نوافق الامير مصطفى الشهابى فى صياغته المقابل العربى للفظ الفرنسى Pétrin صيغة اسم الآلة ولا نرى مـــع اللجنة أن ورود هـــذا المقابل فى** (معجم الالفاظ الزراعية) على صيغة اسم الآلة بدلا من اسم المكان خطأ مطبعى لكننا نخـــالف الامير الشهابى فى استعمال الكلمة «المعجن» لمقـابلة اللفظ الفرنسى « Pétrin » زيادة على مقابلتها للفظ « Malaxeur » ونرى من الضرورى التفريق فى التسمية بين هـاتين الاداتين المختلفتين (الصفحة 82) .

خ ـ تقترح اللجنة «**المريس**» و «**المريث**» و «**المريت**» مكان «**الخبيص**» و «**الخبيصة**» لمقابلة « Marmelade »

(الصفحة 80) لانهما حلواء خاصة معروفة في سورية . وقد نقلنا المقابلة الملاحظ عليهـا عن معجم الالفـاظ الزراعية للشهـابي رئيس المجمـع العلمي العـربي السوري وبما أننا نجهل هذه الحلواء المعروفة في سورية ونجهل الاعتبارات التي حدت بالشهـابي الى اختيـار المقابل العربي الملاحظ عليه دون غيره فالاولى الحصول على موافقة مؤلف معجم الالفاظ الزراعية قبل كل شيء وفي حالة قبول اقتراح اللجنة فاننا نرى الاقتصار على الكلمة « **المـريث** » .

د ـ لا حظت اللجنة على الكلمة «الفباتي» التي جاءت في الفهرس وهي ترى أنه ينبغي أن نقول «أبجدي» أو

الفبائي »

وكلمة «الفباتي» نحتناها من « الف ، باء ، تاء » تمييزا لهذا الترتيب المتبع لحروف الهجاء العربية في جـل المعاجم قديمها وحديثها وهو **أ ـ ب ـ ت ـ ث ـ ج ـ ح ـ خ ـ د ـ ذ ـ ر** الخ ... عـن الترتيب الابجدي الجاري به العمل فيما عدا المعاجم من الكتب والمنشورات الشرقية التي ترتب الحروف الهجائية على النحو التالي : **أ ـ ب ـ ج ـ د ـ هـ ـ و ـ ز ـ ح** الخ ... وقد عمدنا الى هذا النحت بعد ما تبين لنـا أن الكلمـة **«ألفبائي»** لا تتضمن التمييز بـين الترتيبين المذكورين لانهمـا يبتدئان معا بالالف ويتليانها بالباء فلم نجد مندوحـة عن اضافة التـاء .

ونحن لا نرى وجها للخطأ في هـذه الكلمة التي وضعناها فان النحت قد أجازه مجمع اللغـة العربية بالقرار التالي : «يجوز النحت عندما تلجىء اليه الضرورة العلمية» (أنظر مجموعة القرارات العلمية المنشورة فـي هذا العدد من اللسان العربي بعنـوان «مجمع اللغـة العربية في ثلاثين سنة» ولـم نخرج فـي النحت على القاعدة التي استخلصتها اللجنة المكلفة ببحث موضوع «النحت ومدى الاستفادة منه» في تقريرها المعروض على مؤتمر المجمع .

ونقتبس من هذا التقرير المنشور في الجزء السابـع من مجلة المجمـع القاعدة المشار اليها مـع مقـدمتها فيمـا يلي :

« النحت ضرب من الاختصار وهـو أخذ كلمـة مـن « كلمتين فأكثر . وقد نحتوا على منهاج الافعال الرباعية « في الافعال والخماسية في الاسماء ، فنحتـوا مـن « الجملة فقالوا : «**سبحل** ، **سبحلة**» في النحت مـن « **سبحان الله** » و «**حمدل** ، **حمدلة** » من «**الحمد لله** » « و بسمل من «**بسم الله**» و «**مشكن**» من «**ما شاء الله** «كان» و «حسبل» مـن «حسبي الله» و (**دمعز**) مـن « أدام الله عـزه» و «**كبتع**» مـن «**كبت الله عدوك**» « «وجعفد» من «جعلت فداك» و « حوقل » من (لاحـول « **ولا قوة الا بالله**) و «**طلبق**» من «**أطال الله بقاءك**» الى « آخر ما جاء عنهم ويؤخذ من النحت المتقدم :

« اولا ـ انه لا يجب في النحت الاخذ من كل كلمـة « من المنحوت منه فان الدمعزة والكبتعة لم يؤخذ فيهما « حرف من حروف لفظ الجلالة .

« ثانيا ـ انه لا يجب أن تؤخذ الكلمة الاولى بتمامها « كما هو واضـح .

« ثالثا ـ انه لا تجب المحافظة على حركـات الحروف « وسكناتها في النحت فان الشين في «مشكنة» ساكنة « وهي في المنحوت منه متحركة .»

ومن النحت النسبي نورد من التقرير الامثلة التالية: قالـوا «**عبقسي**» فـي النسب الى «**عبـد القيس**» و «**عبشمي**» الى «**عبد شمس**» و «**عبدري**» الى «**عبد الدار**» والشاعر «**مرقسي**» الى «**امـرؤ القيس**» و «**دربخي**» الى «**دار البطيخ**» (محلة ببغـداد) و «**سقزني**» الى «**سوق مـازن**» .

ولنا بعد هذا أن نسأل اللجنة لما ذا تجيز **«ألفبائي»** ولا تجيز **«ألفباتي»** ؟

هذا واننا لنرجو أن يجد القراء في تقرير اللجنة القيم الفوائد الجليلة التي استفدناها منـه وندعو الله أن يجازي عنا وعن اللغة العربية أعضاء اللجنة الكرام والمجلس الاعلى للعلوم خير الجزاء .

الدار البيضاء — م. م. ت.

معجم اللغة العامية بتطوان

لمحمد داود

الاستاذ بكلية أصول الدين (تطوان)

الالـــف

(أ) الهمزة مفتوحة ، هي حرف نداء للقريب ، مثل أمحمد ، في نداء شخص اسمه محمد .

(آ) الهمزة ممدودة ، وهي لنداء البعيد مثل آعبد الله والجبليون عندنا ينادون بحرف وا — أما حرف يا ، فلا يكـــاد ينادى به عندنـــا . وحرف آ يستعمل أيضا فيما تستعمل فيه كلمـــة نعم ، ينادي الشخص آخر بقوله آفـــلان ، فيجيبه بقوله آ ، أي نعم ما ذا تريد .

(الاب) هو الوالد ، ويقال له عندنا — بـــابا — وعندما يضاف الى الضمائر المتصلة ، يقال فيه هكذا :

بـــابا ، أي أبي

بـــابانـــا ، أبونا

بابـــاك ، أبوك ، للمذكر والمؤنث

باباكم ، أبوكم للمثنى وجمع الذكور والاناث

بابـــاه ، أبوه

بابـــاها ، أبوها

باباهم ، أبوهما ، أبوهم ، أبوهن

فالوالد يقال له بابا ، والجد يقال له بابا سيدي ووالد علي مثلا ، يقال له باباه د علي .

أما الآباء — جمع أب — فتستعمل بدلها ، كلمة الوالدين ، فيقال الله يرحم والدينا أجمعـــين هذا هو الغالب ، ومن النـــادر إستعمال كلمة ، بونا وذلك كقولهم في المثل : «الدار دار بونا ، والكلاب يطاردونا »

وفي تطوان عائلات (أسر) عديـــدة يبتـــدىء اسمها بكلمة أبو وتحذف همزتها فيقال : (بو) مثل بوجنة وبوخبزة وبوهلال الخ .

وأبو بكر (بوبكر) من أسماء الاشخاص ، ولكنه نادر الاستعمال .

وأبو المواريث (بوموارث) هو الشخص الـــذي ينوب عن بيت مـــال المسلمين في ارث الموتى الذين لا عاصب لهم .

(أبجد) كلمة أبجد ، بفتح الهمـــزة والباء والجيم هي الكلمة الاولى من ثمان كلمات جمعت فيها الحروف الثمانية والعشرون المستعملة في اللغة العربية وهذه الكلمات هي : «أبجـــد ، هوز ، حطي ، كلمن ، صعفض ، قرست ، ثخـــذ ، ظغش» . وهذا الترتيب روعي فيه حساب الجمل ، وهو أن الالف تدل على واحـــد ، والباء على اثنين ، والجيم على ثلاثة ، الى الياء التي تدل على عشرة، ثم الكاف تدل على عشرين ، الى حـــرف الضاد الذي يدل على تسعين ، ثم القاف يدل على مائة والراء على مائتين الى الشين التي تدل على ألف . هذا هو اصطلاحنا ، أمـــا الشرقيون فيرتبون الحروف الابجدية كما يلي : «أبجد ، هوز ، حطي كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ» . ولا مشاحاة في الاصطلاح كما قيل من قديم .

(أبـــدا) بفتح الالف والباء ، تستعمل لتأكيد النفي في في مختلف الازمان ، فالماضي كقـــول المسلم المستقيم ، أنا عمري ما شربت الخمر أبـــدا ، أي لم أشرب الخمر في حياتي قط .

وفي الحاضر والمستقبل مثـــل قولنا ، المسلم الحقيقي لا يخون أبدا .

ويقال هذا الشيء مؤبد ، أي خالد دائم .

(الابرة) يقال لها عندنا اليبرة وتجمع على اليبارى ، آلة الخياطة . أى الآلة التى يجعل فيها الخيط وتخاط بها الثياب وغيرها . ويقال ، فلانا . ما كتعرفشى تشرئل الخيط فى اليبرا ، كناية على كونها بليدة لا تحسن القيام باى عمل مفيد ومن أمثال تطوان قول الولد الذى سرق وقبض عليه وطيف به فى الاسواق مخاطبا لامه :

«لو كنت ضربتنى يايما على اليبرا . ما كنت شى تشوف فيا هاد العبرا»

(أبريل) اسم عائلة أندلسية تطوانية قد انقرضت وهو اسم الشهر الرابع من شهور السنة الشمسية. ومما قيل فيه من أمثال تطوان :

« أبريل الشاط الطويل ، ما كيخلى تينا ف برميل ، ولا لقما ف منديل»

(الابريق) هو البريق . وهو إناء من معدن له عروة اى يد يحمل منها ، وفى أعلاه فم واسع يصب فيه الماء ليمتلىء ، وفى جنبه فم ضيق يسمى البلبلة، يصب منه الماء .

والغالب عندنا اطلاقه على الكفاطيرة التى تكون مع الطاس . وهى التى يصب منها الماء على الايد لغسلها قبل الاكل وبعده .

(الابزيم) هو البزيم . ويجمع على بزايم ، وهو قطعة من معدن أو ما يقوم مقامه ، تجعل فى المضمات ونحوها كعروة متصل احدى طرفيها بالاخرى عندما يحزم بها .

والمضمة هى النطاق . أى ما يشد به وسط الانسان لجمع ثيابه .

(ابط) الابط هو باطن الكتف والمنكب ، ويستعمل منه عندنا الجمع فقط . يقال : عملو تحت يبطو أى تحت ابطه ومنهم قولهم فى المثل :

«خبزتى تحت يباطى ، ما يسمع حد عياطى» .

(الابل) الابل . بكسر الهمزة والباء ، تستعمل عندنا بدلها كلمة : الجمال . والواحد جمل .

(ابليس) هو الشيطان الرجيم ويجمع على أبالسة ، ويقال له عندنا يبليس ، ومؤنثه يبليسة . ويجمع على يبالس .

ويطلق على الشخص الذكى النشيط ، وعلى الشخص الذى فيه شيطانة وخداع ودس ونفاق . وكثير من الناس عندنا ، اذا وقع شىء مكروه يقولون. الله ينعل (يلعن) يبليس .

(الابان) يقال هذا الشى جا ف الابان ديالو اى جاء فى ابانه اى فى وقته المناسب .

(الابهة) بضم الهمزة وتشديد الباء المفتوحة ، يقال فلان فيه الابهة ، أى فيه وجاهة ونخوة وعظمة . ويقال فلان كيعمل الابهة ، أى يتيه ويتفاخر .

(الاترج) والاترنج ، والترنج — هو الطرونج ولا يعرف عندنا بغير هذا الاسم . وبعض الشرقيين يسمونه الكباد . وهو ثمر كبير من جنس الليمون ، ورائحة قشره وأوراق شجره طيبة ذكية ، ويوجد فى غراسى تطوان ونواحيها .

(الاتاى) بفتح االهمزة والتاء . هو الذى يسميه الشرقيون «الشاى» وهو المشروب اليومى فى جميع الطبقات عندنا فى الحواضر والبوادى .

(أتى) من الاتيان . تستعمل بدلها كلمة جا — اى جاء، من المجيء . يقال : فلان جاتو واحد الهدية من الشرق ، أى أتته هدية من الشرق ، وتقول: أنا ماجى دابا أى انبى آت الآن . وفى المثل : «كل من جا من الصحرا . يقول أنا بن عمك يازهرا » .

وكلمة — تاتى — بفتح التاء والهمزة ، تستعمل بمعنى تيسر وتهيأ . يقال : اذا يتاتى لك تزورنا غدا ينشاء الله ، بارك الله فيك . أى اذا تيسر لك أن تزورنا غدا ان شاء الله فشكرا لك .

وكلمة — واتى — تستعمل بمعنى ناسب والمواتية . هى المناسبة والموافقة . يقال فلان واتاتو الكسيوة الجديدة وجات معاه — أى واتته وناسبته .

ويقال : هذا اللون كيواتى هذاك ، أى هذا اللون يتناسب مع ذلك ...

(أثث) الاثاث — يقال له الاتات ، على عادة جل الناس عندنا فى ابدال الثاء تاء . وأثاث الدار . هو ما

تحتوى عليه من فراش وأوانى ، يقال : فـلان أتت دارو ، أى جعل فيها ما يلزم لسكناها .
ويقال : الدار د فلان مؤثثة كما ينبغى ، أى فيها من الاثاث الضرورى والكمالى .

(أثـر) من التاثير ، يقال : فلان أثرت فيـه القايلا ، أى فلان أثرت فيـه الشمس ، أى تركت فى وجهه أثرا ، وفلان متأثر بفـلان ، أى يقلـده ويحذو حذوه ، وفلان كيأثر فيه الكلام المليح ، وكيليان ، أى يؤثر فيه الكلام الطيب فيلـين ويذعـن .

ويقال ، أنا ماجى فى الأثر ، أى آت فى الحـين والقرية الفلانية ما خلا شى منـاه (أى منها) الزلزال ، لا عين ولا اثر ، أى لم يترك منهـا شيئـا .

وفلان مشى وما خلاش موراه حتى شى أثر ، أى لم يترك من ورائه أى شىء يدل عليه .

(اثـم) الاثم ، بكسر الهمزة ، هو فعل ما لا يجوز فى الشرع ، والمستعمل عندنا بدله ، هو الذنوب .

(اثنين) يوم الاثنين ، هو اليوم الذى بين يومى الاحـد والثلاثاء ، والهمزة فيه همزة وصل ، وكلمات، اثنان واثنتان ، واثنين واثنتين ، انما تستعمل منها كلمة اثنين ، فى العدد يقال : واحد ، اثنين، تلاتا ، أربعا ، أى واحد اثنان ، ثلاثة ، اربعـة الخ ... وجل الناس عندنـا يستعملن بـدل (اثنين) كلمة جوج (بضم الجيم الاولى وسكون الثانية ، فيقولون ، واحد ، جوج ، تلاتا الخ) .. وأنا عندى جوج دا لكتب ، وهو عندو جـوج د الريال ، أى كتابان وريالان .

وقد يبدلون نون اثنين باللام فيقولون اليـوم تلاين وعشرين ف الشهر ، أى اثنان وعشرون .

(أجـر) الاجر بفتح الهمـزة وسكون الجيم بمعنـى الثواب ينطق به عندنا بفتح الجيـم ، يقـال : الآجر ديالك عند الله .

والاجرة ـ بضم الهمزة وسكون الجيم ، مبلـغ من مال أو غيره يدفع فى مقابل شغل أو عمل وتستعمل فى ذلك المعنى أيضا كلمة (ايجارا) اى الاجارة . يقال : المعلم عبا اليجارا ديالو أى المعلم أخذ أجرته .

والاجير ، أى الخادم بعوض ، يقال له المكرى ويجمع على مكارا .

والآجر (اللبن) ، هو الاجور ، والواحدة لاجورة، وهو الطين المطبـوخ أى انشوى فى الكوشة ، وتبنى به الجدران ونحوها ، أما القرمود فهـو غير الاجور ويستعمل فى السقف ونحوها .
وجملة : الله ياجركم ـ بفتح الجيم وسكـون الراء ، يجيب بها أهل الميت مـن يعزيهم فى فقيدهم بقوله : الله يعظم أجركم ـ بفتح الجيم وسكون الراء .

(أجـل) بفتح الهمزة والجيم ، هـو الوقت المحود ، يقال : ضربت لو واحد الاجـل باش يحضر ، أى ضربت له أجلا وحددت له وقتا ليحضر فيه.
وفلان وصل لو الاجل ، أى وصل أجله أى مات.
والاجل ، بفتح الهمزة وسكون الجيم ، هـو السبب ، يقال : من أجلك بقيت هنا هاد المدا كلها ، أى من أجلك لبثت هنا هذه المدة كلها .
ويذكر اسم الرجل الفاضل ، فيقول المعترف بفضله ـ وأجل ـ بفتح الهمزة والجيم وسكون اللام المشددة ، أى ونعم الرجل .

(اجاص) الاجاص ، بكسر الهمـزة وتشديد الجيم ، والواحدة اجاصة ، هو الكمثرى ، ويقـال له عندنا اللنكاص بتشديد اللام المكسورة وسكون النون وفتح الكاف المعقودة ، أو الجيم المصرية (اللنجاص) والواحدة لنكاصة .

(أجى) كلمة أجى ، بفتح الهمـزة وسكـون الجيم ، تستعمل فعل أمر بمعنى تعال وأقبل ، من جاء يجيء يقال : أجى نقول لك الحقيقة ، أى تعال أقل لك الحقيقة . وفى المثل التطوانى : «أجي يايما نورى لك ف دار اخوالى» اى تعال يا أماه لاعرفك بما فى دار أخوالى .

(أح) أح ، بفتح الهمزة وسكـون الحاء المشددة التى قد تمدد ، كلمة تقال عنـد الشعور بالالم أو أو الوجع ، من ضرب أو جرح ، أو جـوع أو تناول دواء زعيق أى مر لا يطاق شربه .

(احاح) بفتح الهمزة وتشديد الحاء ، كلمة تقـال عنـد

التوجع والتألم الحسي أو المعنوى وقد تقال عند الاسف أو الحنق . وفي المثل : « أحاح على غدا ، أما اليوم عدا» أي الاسف على ما يقع غدا ، أما اليوم فقد مر وانقضى .

(أحد) كلمة أحد بفتح الهمزة والحاء ، بمعنى واحد وتستعمل بمعنى شخص ، وتحذف منها الهمزة فيقال : حد . بفتح الحاء وتشديد الدال . وفي المثل ، حتى حد ما كيعطي مغروف نهار العيد ، أي لا أحد يعير مغرفته يوم العيد .

ويوم الاحد . يقال له نهار الحد . بفتح الحاء وتشديد الدال . وهو أحد أيام الاسبوع ، وفي المثل : «الميت السبت ، الحد يصبح لو» أي من مات يوم السبت فانه يجهز لقبره وينتهي أمره يوم الاحد . كناية عن أنه لا مفر مما هو لازم محتم .

(أحلاس) أحلاسات ، جمع أحلاس . بفتح الهمزة وسكون الحاء ، وهو اسم البردعة المستطيلة التي كان الحماررن يضعونها على ظهور البغال الكبيرة التي تقوى على تحمل الاثقال في الاسفار الطويلة . أما «البردع» وهي البردعة المربعة . فهي وحدها التي تستعملها القبائل الجبلية المحيطة بتطوان لبغالها وحميرها ، دون أحلاسات ، فالاحلاسات للبغال والبرادع للحمير . بمنزلة السروج للخيل . وكلمة أحلاس عربية وهي جمع حلس لحمل وأحمال ومعناه التلبيس .

(أحنا) أحنا . بتحريك الهمزة وسكون الحاء ، أي نحن الدالة على المتكلم ومعه غيره ، وفي المثل : «احنا كنغوتو . والسراق كينزادو» أي نحن نصيح ونستغيث ، وعدد اللصوص يتزايد علينا .

(احي) احي بكسر الحاء المشددة . كلمة تقال للنكاية والتشفي ، يقول الولد لآخر . احي فيك أي انه يستحق ما وقع له من ضرب او عقاب او ما أصيب به من مكروه .

ويقال : احي فيه ، أو احي فيهم حتى هما ما حبوشي يحشمو ولا كيوقروا حتى شي واحد . اى انهم يستحقون ما نزل بهم مما يكرهون . لانهم لا يستحيون ولا يحترمون أحدا ...

(أخ) الاخ ، أخو الانسان ، هو من جمعه معه صلب أو بطن . أى أبوهما واحد أو أمهما واحدة ويجمع عندنا على خوت . بضم الخاء ، أو خوات بسكون الخاء ، أى اخوة . يقال : خوتك كلهم ناس طيبين ، أى اخوتك كلهم أناس طيبون . وأنا عندى اربعا د الخوت . واحد ذكر وتلاتا د لانتاوات ، أى عندى أربعة اخوة . ذكر واحد وثلاث اناث .

وعند اضافة الاخ الى الضمائر يقال :

خاى ، أى أخي

خانا . أى أخانا

خاك . أخوك ، للمذكر والمؤنث

خاكم ، أخوكم للمثنى ولجماعة الذكور والاناث وفي الغالب يقال : خاه . خاها ، خاهم . ولا يقال في التثنية أخان ، بل جوج د الخوت . وفلان وفلان خوت . ويقال هذا خاى في الاسلام أى أخي في التدين بدين الاسلام الحنيف ويطلق الاخ على من يعتبر كالاخ من الاصدقاء والرفقاء . ويجمع على اخوان . وفي النداء يقال أخاى بدل يا أخي .

(أخت) الاخت مؤنث الاخ . وتجمع على أخوات وتحذف الهمزة فيقال خواتي بسكون الخاء . أى أخواتي وتصغر كلمة أختي على «ختيتي» بسكون الخاء وكسر التاءين .

(اخ) بكسر الهمزة ، واخي واخو بتشديد الخاء مسكنة او مكسورة او مضمومة . تقال عند استقباح شيء غير محبوب كما اذا شم الانسان رائحة كريهة ، أو ذاق شيئا طعمه غير طيب . أو عافت نفسه شيئا قبيحا كالنجاسة الخ .

ويقال : اخو من فلان أى انه شخص غير مستساغ ولا مقبول . وفي المثل :

« اخو منك ، لا غنا عنك » يقال في الشخص الذى لا يحب . ولكنه لا يستغنى عنه .

(أخذ) أخذ الشيء . تناوله ، وعندنا يقال خاذ بمعنى أخذ ، يقال : فلان دفع لفلان ألف ريال وخاذ منو جوج د الحوالا . أى دفع له ألف ريال وأخذ منه كبشين .

وكلمة ـ عبا ـ بفتح العين وتشديد البـاء تستعمل عندنا بدل أخذ ، يقال : فلان مشى يحج وعبا معاه يماه ، أى ذهب للحج واخذ معه والدته . وهمزة آخذ ـ بالمد ـ تقلب واوا ـ على لغة اليمن فيقال واخذ وكثيرا ما يدعو النـاس عندنا بقولهم : الله لا يواخذنا .
ويقال : فلان مسكـين مـا تواخذوشى ، أى لا تؤاخذه لانه ضعيف لا ينبغى أن يحاسب .
ويقال : الله ياخذ بيدك ، أى يعينك ويساعدك .

(آخر) الآخر ، بكسر الخـاء ، والاخير ضد الاول ، فقولنا :
الاول والاخير ، يقال فيه (اللولى واللخرى)
والاولى والاخيرة ، يقال فيه (اللوليا واللخريا)
والاولين والاخرين ، يقـال فيـه (اللوليـين واللخرين)
وخرج رجل وتبعه آخر ، يقال فيه (خرج واحد الرجل وتبعو واحد آخور)
وخرجت الجماعة الاولى وتبعها أناس آخرون ، (خرجت الجماعا اللوليا ، وتبعوها ناس آخرين)
ومؤنث آخر بفتح الخاء ، هو أخرى ، وتحذف الهمزة عندنا فيقال : (خرجت عايشا وتبعاتاه واحد المرا خرا) وفى طنجة يقولون يخرا .
والآخرة ، باشباع الهمزة وكسر الخاء ، هى ما يقابل الدنيا ، وهى دار الخلود اما فى الجنـة للمومنين ، واما فى النار للكافرين .

(اخيار) كلمة أخيار بتحريك الهمـزة وسكون الخـاء ـ بصيغة الجمع ـ تستعمل أحيانا فى الجواب ويكون معناها ، اما نعم ، واما سمعا وطاعة ، اى ان قائلها موافق على ما يقال له أو ما يومر به وتستعمل أيضا مكررة ـ أخيار ، اخيار ، لينته من يعمل أو يقول شيئا غير مرض ويعرف أن الناس منتبهون له ليكف عن قوله أو عمله .

مع المعجم الوسيط "2"

بقلم : مصلحة التعريب
التابعة للمكتب المغربي للمراقبة والتصدير

فى العدد الاول من «اللسان العربى» ضمن بحثنا الاول بهذا العنوان التزمنا لقرائنا الكرام بنشر ما يجد لنا من ملاحظات على «المعجم الوسيط» . ونحن اذ نوالى **نشر الجديد من ملاحظاتنا على هذا المعجم القيم نحرص** على تجديد تقديرنا له وتأكيد اعتبارنا لخطورة مكانته مصرحين فى اخلاص بأن هذه الملاحظات ما كانت لتغمطه ولا لتغض منه ولا لتغير شيئا مما قلناه فى الاشادة به من كونه يسد جانبا كبيرا من الفراغ الذى يواجه الباحث فى معاجم اللغة العربية . فهو سيبقى عملا جليلا يحق لمجمع القاهرة أن يعتز به كما يحق له أن يعتز بمجموعة قراراته العلمية وبمجموعة مصطلحاته العلمية والفنية . وغايتنا الاولى والاخيرة من هذه الملاحظات هى أن تكون عونا للمجمع على أن يتدارك فى طبعة ثانية ما فاته فى الطبعة الاولى وبالله التوفيق .

* * *

— فى مادة **«ثخن»** اغفل «المعجم الوسيط» ما يلى :

1) **الفعل «ثخن»** الوارد شرحه فى (لسان العرب) كما يلى :

«ثخن الشىء ثخونة وثخانة وثخنا فهو ثخين : كثف وغلظ وصلب» هذا مع أن المعجم نفسه فى مادة «سمك» شرح الكلمة «السمك» بقوله : «سمك الشىء : غلظه و «ثخانته» .

2) **الصفة « ثخين » بمعانيها التالية :**

أ) غليظ ، صلب . — ب) ثوب ثخين : جيد النسج والسدى كثير اللحمة —

ت) رجل ثخين : حليم رزين ثقيل فى مجلسه . —

ث) رجل ثخين السلاح : شاك (لسان العرب)

— ففى شرح **«كف» بمعنى «منع»** اورد المعجم الفعل اللازم واغفل الفعل «المتعدى» مقتصرا على ما يلى : **كف** عن الامر كفا : انصرف وامتنع . ولم يذكر : «**كفه** عن الامر : صرفه ومنعه» . ففى (أقرب الموارد) : «**كفه عنه فكف هو** : أى دفعه وصرفه ومنعه فاندفع وانصرف وامتنع : لازم ومتعد » . وفى (لسان العرب) : « **كف** الرجل عن الامر **يكفه** كفا وكفكفه فكف واكتف وتكفف ... الجوهرى : «كففت الرجل عن الشىء فكف ، يتعدى ولا يتعدى والمصدر واحد وكفكفت الرجل مثل كففته» . «وفى (أساس البلاغة) : «كففته عن الشر فكف عنه فهو كاف ومكفوف» .

— أغفل المعجم مادتى «ذوف» و «ذيف» وتشتملان على الكلمات والمعانى التالية التى ننقلها عن (لسان العرب) :

1) — **الذوف** : مشية فى تقارب وتفحج . «الفعل : ذاف ، يذوف .

قال :

رأيت رجالا حين يمشون فحجوا
وذافوا كما كانوا يذوفون من قبل

2) « **الذوفان** : السم المنقع ، وقيل هو القاتل وسنذكره فى الياء لان الذيفان لغة فيه» .

3) «**الذواف** : الذوفان» .

4) **الذئفان** ، بالهمزة ، و **الذيفان** ، بالياء ، والذيفان بكسر الذال وفتحها والذواف : كله السم الناقع وقيل

القاتل يهمز ولا يهمز ... وأنشد ابن السكيت لابي وجـــزة :

« واذا قطعتهم قطعت عــلاقتا

* وقواضي الذيفان ممن تقطم»

« .... ابن الاثير في حديث عبد الرحمن بن عوف :

« يفديهم ، وودوا لـو سقوه

* من الذيفان ، مترعة ملايا »

« .... وحكى اللحياني سقــاه الله كأس الذيفان بفتح أوله وهو الموت ...»

— أغفل المعجم مادة « طفن » ومادة «طفو»

— في مادة « بزغ » شرح المعجم الكلمة « المبزغ » بالكلمة «المشرط» ثم شرح الكلمة «المشرط» هذه فـي مادة «شرط» بالكلمة «المبضع» ثم شرح هذه الكلمـــة الاخيرة في مادة «بضع» بالكلمة «المشرط» وبالكلمـــة «المبضع» غير المشروحة فسر كذلك الكلمتين : «المبط» و «المفصد» . وهو شرح من قبيـــل تفسير «الماء» بـ « المـــاء » .

وزيادة على هذا الفراغ في الشرح نلاحظ أن الكلمات «المبزغ» و «المشرط» و «المبضع» و «المبط» لا يحق لهـا أن تبقى مترادفة في هذا العصر الذي تعددت فيه أنواع هذه الاداة الجـــراحية فاختلفت أسماؤها باختـــلاف أشكالها ولا يحسن بمعجم حديث أن يقر لها هذه الصفة لا سيما وقد جردها منها الاستعمال الحديث بدافـــع الضرورة عندما قابل كلا مـــن هذه الكلمات العربيـة الاربع بكلمة افرنجية تدل على أداة خاصة مغايرة لمـا تدل عليه الأخريات كما يتبين مما يلي :

1 — **المبـــزغ :** « Lancette »

هذه المقابلـة واردة في «**معجـــم المصطلحات الطبية الكثير اللغات**» للدكتور أ. ل. كليرفيل وهـــو المعجم الذي نقلته من الفرنسية الى العربية « لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من الجامعة السورية» .

فاذا كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة موافقا على هذه المقابلة فاننا نقترح عليه أن يخص في الطبعة الثانية للمعجم الوسيط الكلمة «المبـــزغ» بشرح قريب مـــن الشرح الذي أورده معجم لاروس لكلمة Lancette وهو كما يلي : «**المبزغ : أداة الطب الجراحي لفصد عرق أو دمل الخ ....**»

2 — «**المبضـــع**» Bistouri

هذه المقابلة كذلك من نفس المصدر . فان أقـــرها المجمع فاننا نقترح عليه الشرح التالي للكلمـــة المبضع المنقول عن شرح لاروس لكلمة Bistouri

« **المبضع : آلة الطب الجراحي لشق اللحم وقطعه .**»

3 — **المشـــرط** Scarificateur

المقابلة عن كازيميرسكي . فان أجازها المجمع فاننا نقترح عليه أن يورد الشرح التـــالي للكلمة الفرنسية المنقول عن لاروس :

« المشرط : أداة الطب الجراحي لشق الجلد شقـــا سطحيا تتركب من 10 الى 12 سن مبزغ تحدث بقـــدر عددها من الشقات » .

4 — **المبط** Scalpel

المقابلة عن كازيميرسكي كذلك .

وشرح الكلمة الفرنسية في لاروس كما يلي :

« أداة المشرح للتقطيع والسلخ » .

أما اذا كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة لا يقر هذه المقابلات فانه سيبقى عليه أن يجد ألفاظا عربية غيرها لمقابلة الالفاظ الفرنسية الاربع المذكورة .

— أغفل المعجم الوسيط «مرهم» وقد ورد شرحهـــا في « لسان العرب » وفي «تاج العروس» كمـــا يلي : « المرهم : طلاء يطلى به الجرح وهو الين ما يكون مـــن «الدواء» مشتق من الرهمة للينه وقيل هو معرب» .

ويعز علينا أن تغفل هذه الكلمة ونحن في حاجـــة اليها لتعريب الكلمتين Pommade و Onguent كما يشهد على ذلك «معجم المصطلحات الطبية الكثيـــر اللغات» السابق الذكر .

— أغفل المعجم الكلمة «تمزر» مـــع ذكره للكلمة «مزر» وهما معا تعنيان «الحسو للذوق» . واللغة العربية في حاجة اليها لمقابلة الكلمة الفرنسية Dégustation حسب الامير مصطفى الشهابي في «معجـــم الالفـــاظ الزراعية» .

ففي (تاج العروس) : «... والتمزر : التمصر وهو التتبع . والتمزر : التمصص والشرب القليـــل . يقـــال تمززت الشراب : اذا شربته قليلا ومثله التمزز وهـــو أقل من التمزر كالمـــزر (بالفتـــح) ...» وفي (أســـاس البلاغة) : تمزز المزر وهو السكركـــة : نبيذ الذرة .

تذوقه شيئا بعد شيء . قال :

« تكون بعد الحسو والتمزز

* في فمه مثل عصير السكر »

وقال النابغة :

« تمززتها والديك يدعو صاحبه

* اذاما بنو نعش دنوا فتصوبوا »

– في شرحه للكلمة «حرج» أغفل المعنى الوارد في (تاج العروس) بالنص التالي : «سرير يحمل عليه المريض أو الميت . وقيل هو خشب يشد بعضهم الى بعض يحمل فيه الموتى وربما وضع «فوق نعش النساء» كذا في الصحاح قال امرؤ القيس :

« فاما تريني في رحالة جابر

* على حرج كالقر تخفق اكفاني

« ... وفي التهذيب وحرج النعش شجار من خشب جعل فوق نعش الميت وهو سريره . قال واما » قول عنترة يصف ظليما وقلصه :

يتبعن قلة رأسه وكأنه * حرج على نعش لهن فحيم

« هذا يصف نعامة يتبعها رئالها وهو يبسط جناحيه ويجعلهما تحته .

« قال ابن سيدة والحرج مركب للنساء والرجال ليس له رأس» .

ويتبين من هذا الشرح أن المقصود هو ما يسمى اليوم في اللغة الفرنسية بـ« brancard » أو « civière » وبكلمة «حرج» قوبلت هاتان الكلمتان في الترجمة العربية لـ «معجم المصطلحات الطبية» لكليرفيل الذى نقلته الى العربية لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب السورية .

ومما يلاحظ على المعجم أنه أورد كلمة مولدة وهي «نقالة» لاداء هذا المعنى القديم الذى أغفله لكلمة « حرج » الاصلية .

– أغفل المعجم كلمة «صن» (بفتح الصاد) التي شرحها «تاج العروس» بما يلي :

« شبه السلة المطبقة يجعل فيها الطعام أو الخبز » وقد ورد ذكرها كذلك في (أقرب الموارد) وفي (المنجد) وفي (متن اللغة) .

وأبناء اللغة العربية يفتقرون الى هذه الكلمة في عصرنا الحاضر لتسمية الاداة المعدنية التي تحمل فيها أصناف مختلفة من الطعام داخل اطباق متراكبة وذلك في الاسفار ، وفي النزهات الخ ... وهي ما تعرف عند الفرنسيين باسم porte-manger

الدار البيضاء — م. م. ت

المعجم الحضاري

تأليف الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب

يشتمل هذا المعجم

الناجز للطبع على عدة أبواب مفصلة نكتفي منها بنشر ثلاثة فصول من باب « البيت » هي « المطبخ » و « المطعم » و « حجرة النوم »

الباب الاول

« البيت »

1 ـ المطبخ

أ ـ الطهو : Autoclave

القدر الكاتمة : Cocotte-minute

Pressure cooker

قدر محكمة الغطاء تطهى فيها اللحوم بسرعة بضغط البخار

الجئاوة :

والجياء : Bain-marie

والجياءة : Double boiler

وعاء توضع فيه القدر . ومعلوم أن وضع وعاء داخل وعاء آخر من أجل التحميم هو العملية المسماة Bain-marie Double boiler لذلك يمكن تسميتها جياء التحميم أو التحميم بالجياء وقد استعمل الاستاذ تيمور « الانضاج بالتحميم » وهي عبارة لا تفي بمدلول الجملة الفرنسية التى قابلها بها .

الوئية : Chaudière

والوأية : Boiler

القدرة الكبيرة .

المطفحة : Ecumoire

Skimmer

مغرفة تنزع بها الطفاحة أي ما طفح فوق القدر كزبدها ورغوتها .

المرغاة : Ecumoire

آلة يؤخذ بها الرغوة (ج) : مراغ . Skimmer

المنذنب : Cuiller à pot

المغرفة . Spoon

المقصوصة :

مغرفة مسطحة مثقبة ينشل بها اللحم من القدر .

المنشال : Cuiller à pot

Fourchette de cuisine

Fourchette de viande

قطعة من معدن في رأسها عقافة ينشل بها اللحم من القدر .

القزح : (بفتح القاف وكسرها) Condiments

ما يوضع في القدر كالكمون والكزبرة ... (ج) أقزاح .

التقازيح : Aromates

Aromatic substances

الأبازير والتوابل (لا واحد له) .

---

(1) أهم مراجع هذا الكتاب هى المعجم الوسيط ومتن اللغة واللسان والمخصص ومعجم الحضارة للاستاذ تيمور

الجساد : Safran
Saffron

ما احمر أو اصفر من الأصباغ كالزعفران والعصفر .

المدوام :
ما يسكن به غليان القدر . (tout ce qui apaise l'ébullition d'une marmite)

الجعال :
« chiffon à l'aide duquel on ôte la marmite du feu pour ne pas se brûler la main »
الخرقة توضع بها القدر على الأرض بعد رفعها عن الموقد .

الشواية : (بتشديد الشين والواو وفتحهما) Gril :
آلة الشي أو المشواة Rôtissoire :
Dutch owen :

سفود : Broche
Skewer

قضيب من حديد ينظم فيه اللحم ليشوى .

الغلاية : Bouilloire
Kettle
اناء يغلي فيه السائل .

غلاية صغيرة : Bouillotte
Hot-water bottle
اناء يغلي فيه السائل .

المسعار : Attisoir
والمسعر : Poker
ما تحرك به النار من حديد أو خشب .

المحضأ : Tisonnier
Poker
المحضب : Attisoir
ما تحرك به النار .

الداخنة : Cheminée
Fireplace
منفذ يتخذ على المقلى والأتون ليخرج منه الدخان .

عود الكبريت : Allumette
عود الثقاب أي ما تشعل به النار .

ب ـ أدوات السوائل :

العصارة : (بتشديد الصاد) Pressoir
آلة تعصر بها الفواكه وقصب السكر ونحوه .

قنينة : (بتشديد القاف وكسرها) Bouteille
Bottle
القارورة وهي وعاء من زجاج يجعل فيه الشراب .. (ج) قناني وقنان .

القمع : Entonnoir
Funnel
اناء مخروطي يوضع في فم الوعاء ثم يصب فيه السائل .

الشدام : (بكسر الشاء) Filtre
Filter
المصفاة .

المخوض : Mélangeur
Mixer
ما تحرك به الأشربة .

المدلجة : Bidon
Can
العلبة الكبيرة ينقل فيها اللبن .

الممخضة : Baratte
أو المخاضة : Churn
الأداة المنزلية التى يستخرج بها الزبد من اللبن .

المروب : Vase de caillage
Lurdling pot
وعاء يروب فيه اللبن (ج) مراوب .

الروبة : (بفتح الراء) Caille-lait
Renet
خميرة من الحامض تلقى في اللبن ليروب .

الدبة : (بتشديد الدال والباء وفتحهما) Bonbonne
Demi john
قارورة الزيت ونحوه .

الدسام : Bouchon,
Tampon.
Plug
ما يسد به راس القارورة ونحوها .

المزملة : Cruchon (pour rafraîchir l'eau)
(بضم الميم الاولى وفتح الثانية وتشديدها)
pig
جرة يبرد فيها الماء كالبرادة .

البالوعة : Draining
والبلوعة : Conduit
والبلاعة : Egout,
Evier Sink
بلوعة المطبخ .

ت ـ أدوات مختلفة : Articles de ménage

الماعون :
كل ما ينتفع به من الأدوات المنزلية كالقدر والصحن والكاس والصينية والابريق والمكواة والموقد وغير ذلك .

العلبة : Boîte (à concerves par exemple)
Tin, can

وعاء من خشب أو ورق أو صفيح معدنى يحفظ فيه الشيء .

الفتاحة : **Ouvre-boîtes**
Can-opener
أداة لفتح العلب المعدنية .

البريمة : **Vrille,**
Tire-bouchon
Corkscrew
أداة ذات لولب معدني تستعمل في الثقب وفي نزع السدادة .

الكسارة :
أداة يكسر بها الجوز ونحوه .

المرضاخ : **Casse-noix**
والمرضخة : Casse-noisettes
Nut - crackers
ما يرضخ به الشيء اليابس كالجوز أي يرض ويكسر .

المغورة : Sorte de **découpoir** ou **découpeuse**
(instrument pour découper en rond melon, aubergine, etc.)
آلة لتغوير الباذنجان ونحوه أي جعل خرق مستدير في وسطه .

المبشر : **Eplucheur :**
Peeler
آلة البشر (من بشر الأديم قشر وجهه) وبشر الخضر ازال قشرتها .

ساطور : **Couperet**
Coutelas
Butcher's knife
سكين عريض ثقيل ذو حد واحد يكسر به العظم .. (ج) سواطير .

النصاب : **Manche de couteau :**
Handle of a knife
مقبض السكين .

جلبة السكين : (بضم الجيم)
Attache-manche de couteau :
التى تضم النصاب على الحديدة .

الملطاط : **Moulin à bras** (pour les aromates)
Hand-mill
رحى البزر .

المدق (بكسر الميم وضمها) **:** **Pilon :**
والمدقة : Drumstick
ما يدق به .

الجدلة (فتح الجيم) **:** **Pilon :**
Drumstick

مدقة المهراس الضخم وخصصت المدقة للهاوون أي المهراس الصغير .

المطبقة : **Dressoir**
أداة في المطبخ ذات فرج رأسية توضع فيها الاطباق .

النملية : **Garde-manger**
Meat-safe
صوان للأطعمة يمنع النمل والحشرات من الوصول اليها ويصنع من الخشب أو المعدن وله ابواب من السلك الضيق الثقوب .

الثلاجة : **Réfrigérateur**
Refrigerator
جهاز للتبريد وحفظ الطعام ونحوه .

2 ـ المطعم

أ ـ الطعام :

المصحنة : **Plat**
Dish
آنية من أواني المائدة اكبر وأقعر من الصحن ذات أشكال مختلفة .

السلطانية : **Soupière**
Soup-tureen
الوعاء القصير يتخذ للحساء ونحوه .

الزبدية : **Bol**
Boul
السلطانية الصغيرة .

حساء : **Bouillon**
Gruel
طعام رقيق يصنع من الدقيق والماء .

المغرفة : **Cuiller à pot**
Soup-ladle
ما يغرف به الطعام .

الصحيفة : **Soucoupe**
Saucer
صغير الاطباق تستعمل للمربيات والكوامخ أو تحت فنجان القهوة والشاي .

السكرجة : **Ecuelle**
Boul
اناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الادم .

المشنة :
وعاء من خوص او أعواد يوضع فيه الخبز ونحوه .

الثبنة : (بضم الثاء) . **Panier ou corbeille de fruits**
Fruit-basket
وعاء تحفظ فيه الفاكهة .

المقزحة : **Poivrière**
ما يوضع فيه القزح ، كالمملحة .

الشوكة : **Fourchette**
Fork

شعب الشوكة : Dents de la fourchette
أو شعب السفود : Dents de la broche
Prongs of a fook
Frongs of a spit

الصن : (بفتح الصاد وتشديدها) Porte-manger
(gamelles)

شبه السلة المطبقة يجعل فيها الطعام تلامذة المدارس أو المسافرون .

المكسرات : (Noix : nom donné aux fruits ayant une enveloppe ligneuse)

الجوز واللوز والبندق ونحوها .

الضبيبة : Mets d'enfant

طعام الصبية .

اللخاء : Repas de bébé

غذاء الصبي سوى الرضاع .

المرضعة : Biberon

آلة يرضع منها الطفل .

المسعور : Insatiable

الحريص على الاكل وان ملىء بطنه .

ب ـ الشراب والتبغ :

ابريق : Aiguière
Ewer

وعاء له أذن وخرطوم ينصب منه السائل .

الفدام : Passoire ou filtre
d'une aiguière, d'une cafetière, etc...
Strainet
Percolator

ما يشد على فم الابريق ونحوه لتصفية ما فيه .

ابريق مفدم : Aiguière à filtre

الملبنة : Verseuse de lait

وعاء صغير يقدم فيه اللبن حين تناوله مع الشاي .

المصحاة : Vase d'argent
Silver plate - Silver vase

اناء للشراب من الفضة .

المرشف : Suçoir
Sucker

آلة للرشف أي الامتصاص .

الكوب : Coupe
Cup

قدح يكون في الغالب قليل التجوف .
ما يؤخذ به اللحم وغيره

الفنجال : (بكسر الفاء) Tasse à café
أو الفنجان : Caffee-cup

قدح صغير تشرب فيه القهوة .

الصينية : Plateau
Tray

ماعون تقدم عليه كؤوس الشاي أو غيرها من اواني الشراب والطعام اصله من الخزف الصيني ويصنع من النحاس أو الفضة أو غير ذلك من الفلزات .

الملقطة : Pince à sucre
(sucrier) الاداة يلتقط بها السكر من السكرية أو قطع الحلوى .

المنفضة : Cendrier
Ash-tray

وعاء يوضع فيه تراب أو رمل ينفض فيه ما يحترق من السجائر .

الشبك : (بضمتين) Pipe
Pipe

اداة يوضع فيها التبغ ليدخن .

المبسم : (بفتح الميم وكسر السين) Fume-cigarette,
Fume-cigare

انبوبة توضع فيها لفافة التدخين أو تدخن بها النارجيلة (ج) مباسم .

القداحة : Briquet

(البريكي) اداة من المعدن ذات حجر وزناد وشريط وتشتعل بالبنزين ونحوه .

اللفافة : Cigarette

سيجارة التبغ .

السيجار : Cigare
Cigar

لفافة غليظة طويلة من التبغ الخالص غير المفروم .

المنشقة : Boîte à tabac
Tabatière ما يجعل فيه النشوق

المسعط : (بضم الميم والعين) Tabatière

الاناء يجعل فيه السعوط ويصب في الأنف .

العاطوس : Sternutatoire

ما يثير العطاس من نشوق وغيره .

3 ـ حجرة النوم

البساط : Tapis

الفراش من الصوف

كل ما يبسط كالزربية والحصير والملاءة.

الحشية : (بكسر الشين) — **Matelas**
Mattress

الفراش المحشو (ج) حشايا .

المحبس : — Sac à matelats
Sac à lit

الثوب الذي يخاط على شكل كيس يحشى صوفا ليفترش .

اللحاف : — **Couverture de lit**
Bed-cover

غطاء منجد يتدثر به النائم .

البطانية : — **Couverture**

غطاء الراقد .

القطيفة : — **Couvre-lit**

غطاء فراش النوم له عادة أهداب كأهداب الطنافس.

المصدغة : — **Oreiller**
والمخدة : — Pilow

وسادة للرأس .

صوانة السرير : (بضم الصاد) — **Commode**
Chest of fawers

خزانة ذات أدراج لحفظ ما يحتاج اليه النائم في الغالب كالمنامة والمناديل ونحوها .

المنامة : — **Pyjama**

ثوب ينام فيه .

مدفاة الفراش : — **Bassinoire**
Warming-pan

مدفاة الرجلين : — **Chauffe-pied**
Chaufferette ou couvert
Foot-warmer

الكلة : (بكسر الكاف) : — **Cousinière**

الناموسية : — **Moustiquaire**

ستر رقيق مثقب يتوقى به البعوض وغيره .

المشجب : — **Porte-manteau**

ما يعلق عليه الثياب ونحوها .

الشجاب : — **Porte-manteau fixe**

المشجب ذو النواتىء الذي يثبت بالحيطان .

السهارة : — **Veilleuse**
والساهرة : — Nigh-light

مصباح ضئيل النور ينير البيت ليلا بعد نوم أهله .

المنبه : — **Réveil**
(ou réveil-matin)
Alarm-clock

ساعة ذات جرس يضبط لتنبيه النائم .

الفراش : — **Valet de chambre**
Valet

من يتولى أمر الفراش وخدمته في المنازل ونحوها .

المعجم المصور

هذا المعجم تتبلور فيه جهود سنوات جردت خلالها الكتب الدراسية للسلك الابتدائي (المطالعة ، الحساب ودروس الاشياء) في جميع أقطار العالم العربي وفي كل من فرنسا وايطاليا فتوحدت المصطلحات المعبرة عن المفاهيم والمدلولات متناسقة بين الشرق والغرب في اطار انساني عالمي .

بزغت مع النهضة العربية الحديثة فكرة توحيد الكتاب المدرسي العربي ، وقد أخذت هذه الفكرة تكتسب لها أنصارا من المثقفين ورجال الفكر في مختلف الاقطار العربية ، خاصة وانها تشكل حلقة هامة في الوحدة العربية الشاملة على الصعيد السياسي والاقتصادي والفكري .

فلقد بذلت في مختلف الاقطار العربية جهود محمودة لجعل الكتاب المدرسي متمشيا مع حاجة المدارس التي يتزايد عدد تلامذتها عاما بعد عام ، ولجعلها منسجمة مع العقلية العربية ، ووافية بالغرض العلمي والتربوي المطلوب ، حيث اضطلع بهذا مجموعة من المثقفين ورجال الفكر العرب ، الا أن هذا المجهود كاد يكون اقليميا بالنسبة لكل بلد ، الشيء الذي جعل دعاة الوحدة يلحون في عقد مؤتمرات لتوحيد المناهج الدراسية سعيا وراء تحقيق وحدة الكتاب المدرسي العربي ، خاصة وأن هذا الكتاب هو الوسيلة الفعالة لتجديد شباب اللغة العربية الذي أراد المستعمر القضاء عليه . ولان هذا الكتاب هو الادلة المباشرة للاتصال بقلوب وعقول الجيل العربي الموحد الاتجاه والمطامح ، وهو أيضا المعيار الكبير للتقدم العلمي والتربوي والادبي في البلاد العربية جمعاء .

وبالفعل ، فان مؤتمر وزراء التربية الاول المنعقد سنة 1955 بالقاهرة قد أثار قضية توحيد الكتاب المدرسي العربي واولاها ماتستحق من اهتمام وعناية وافترض لها حلولا كثيرة ، وأوصى بالعمل على تحقيق هذه الرغبة ، ولكن صعوبات كثيرة حالت دونها خاصة وأن البلاد العربية لم تكن مكتملة الاستقلال والسيادة .

وانعقد مؤتمر التعريب بالرباط سنة 1961 ، حيث أبدى نفس الرغبة ، ولكنه زاد على ذلك فأحصى الصعوبات التي ستحول دون تحقيقها . واولى هذه الصعوبات ، اللغة العربية ، لغة الكتاب المدرسي الكثيرة المفردات ، والكثيرة المترادفات ، والاشتقاقات ،

فتبين من خلال جلسات المؤتمر أن هناك مجهودا كبيرا يبذل في البلاد العربية من أجل تطعيم فكر الطفل العربي بالمصطلح العلمي الصحيح الصادر عن المجامع اللغوية ، والاتحادات العلمية العربية . الا أن اختلافات هذه المجامع والاتحادات في وضع المصطلحات ، وتعريبها ، وكذا اختلاف المؤلفين في تحديد المفاهيم

الحضارية والعلمية . قد شكل اضطرابا خطيرا في لغة التعليم بالعالم العربي ، كما احدث فروقا اقليمية في ذهنية الطفل العربي .

فلو اخذنا بتجريد مصطلح واحد من مجموعة من الكتب المدرسية من مختلف البلاد العربية ، لوجدنا مؤلفيها يختلفون في تحديد مفاهيمها . فبينما يروق لواحد منهم أن يستعمل ينبغي ، مثلا : يروق لآخر (نريد) ، أو (نقصد) أو (نروم) كذلك بالنسبة لحجرة ، وفصل ، وقاعة درس ، وطبقة ، وقسم ، وصف ، وغير ذلك من المترادفات (1) التي أصبحت الطبقات الشعبية بواسطتها لا تستطيع التفاهم .

والحقيقة أن هذه المترادفات الكثيرة في اللغة العربية هي أكبر مظهر لرونق وجمال وغنى هذه اللغة ، وأكبر دليل على اتساعها لكل المعاني ، الا أن غناها ، ووفرة مترادفاتها يجب أن لا يكون مشكلة في طريق تحقيق أهداف الوحدة في التعليم ، أو حجرة عثرة في هذا السبيل .

ولهذا اتخذ مؤتمر التعريب بعد مناقشات كثيرة توصية في هذا الصدد دعا فيها الى توحيد لغة التعليم بين البلاد العربية كمرحلة اولى ، لتنسيق مناهج التعليم وتوحيده بين البلاد العربية .

وبمجرد ما تشكل المكتب الدائم للتعريب ، وعقد مجلسه التنفيذي أول اجتماع له اقترح المرحوم الدكتور محمد سعيد العريان ممثل الجمهورية العربية المتحدة السابق في هذا المجلس — بناء على التوصية المذكورة — أن يشترك العالم العربي في استخلاص حصيلة الالفاظ والمفاهيم التي يتلقنها التلميذ العربي أثناء دراسته في الطورين الابتدائي والثانوي ليتمكن من التنسيق بينها في كتاب مدرسي موحد .

وتسهيلا لهذا العمل الضخم المتشعب توجه اهتمام المكتب الدائم الى المرحلة الاولى المتعلقة بالتعليم الابتدائي بموادها الاساسية ، اللغة ، التاريخ ، الجغرافيا ، الاشياء ، الحساب ، التربية الوطنية ، الرياضة . ودعا في نفس الوقت الى عقد ندوة اولى بين المهتمين بالتربية والتعليم في العالم العربي (2) لتنسيق الجهود العربية في اعداد الكتاب المدرسي في السلك الابتدائي في كامل المواد ، وقد طلب المكتب اعدادا لهذه الندوة ، من كل شعبة وطنية للتعريب وضع لوائح لجميع المفردات المستعملة في الكتب الابتدائية كما شرع من جهته في وضع أضلاع بعدد الدول العربية أثبت فيها بعد تجريده للكتب المدرسية في جل الاقطار العربية ، ألفاظا متقابلة مع مثيلاتها في كل دولة مضيفا اليها الفرنسية هادفا من وراء ذلك الى المقارنة بين المستويات اللغوية في العربية وفي باقي اللغات الحية .

الا أن هذه الندوة ، لم تعقد مع كامل الاسف لعدد من الاسباب، كما أن جل الشعب الوطنية للتعريب لم تواف المكتب الدائم للتعريب بما طلب منها اذا استثنينا وزارة التعليم بالجمهورية العربية المتحدة التي بادرت بتكوين لجنة خاصة لهذا الغرض ، والتي بعثت الى المكتب بلائحة وافية لمصطلحات التعليم الابتدائي في مصر وبالرغم من ذلك فان المكتب الدائم للتعريب قد اصدر معجما وافيا للغرض المطلوب ، بنفس الطريقة التي تقررت من طرف المجلس التنفيذي للمكتب الدائم للتعريب في اجتماعه الاول .

* * *

ولقد اعتمد المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي في وضع هذا المعجم على المصطلحات التي تم الاتفاق عليها بين الدول العربية خلال المؤتمرات (3) التي انعقدت لهذا الغرض في بعض الميادين العلمية والفنية والادبية ، مرتكزا في ذلك على نماذج كثيرة من الكتاب المدرسي العربي ، حيث شكل لجانا خاصة سهرت على تهييء حصيلة الالفاظ والمفاهيم الخاصة بتلاميذ المرحلة الابتدائية على ضوء المناهج والكتب المقررة للمواد المختلفة لجميع الصفوف في البلاد العربية وقد استخلص من مجموع الحصيلة التي توصل اليها عن طريق عمليات التجريد الكثيرة الى :

1) مصطلحات في اللغة ، وما يتعلق بالمحادثة ،

---

(1) راجع محاضرة الدكتور خير الدين حقي في مجلة اللسان العربي العدد الثاني ص 29 .
(2) أنظر مشاريع ومنجزات المكتب الدائم للتعريب في العدد الاول من اللسان العربي
(3) راجع مشاريع ومنجزات المركز الوطني للتعريب (من وثائق المكتب الدائم)

والمطالعة التي يتصل التلميذ من خلالها بالمظاهر الجوهرية في الحضارة بكيفية تدريجية وقد راعي المكتب الدائم للتعريب في هذه المصطلحات المفاهيم التي تتناسب مع مقتضيات العصر الحديث ، وتشمل كل ما يتصل بالحياة اليومية في محيط التلميذ العربي .

2) مصطلحات في الحساب ، والجغرافيا ، والاشياء والتربية الوطنية ، والرياضة التي من شأنها أن تفتح ذهن التلميذ العربي على العالم العلمي بعمق ، ودقة وتجعل مستواه متوازيا مع مستوى أي تلميذ في الدول الراقية ، هادفا من وراء كل هذا الى تحقيق رغبة الشعوب العربية التي تتطلع الى وحدة الجيل العربي الحالي ، في ميادين الفكر والثقافة من جهة ، والى جعل اللغة العربية أداة علمية موازية للغات الحديثة في الحقل التقني بحيث يكون للمدلول الواحد لفظ عربي موحد يساير المصطلح العلمي الحديث والمتطور مع الركب العلمي في العالم من جهة ثانية .

وقد عزز المركز الوطني للتعريب في المغرب ، هذا المعجم بمائة لوحة ايضاحية في خصوص المحسوسات والمجسمات (من طبيعيات ورياضيات ومحادثة الخ) ليسهل على التلميذ العربي هضم المفاهيم ، واستعمالها بسرعة ، وهي ناجزة الآن لم نتمكن من نشرها لعدم توفر الوسائل المادية .

* * *

اذن بهذا تكون قضية توحيد الكتاب المدرسي العربي قد دخلت في طورها الثاني .

فالمكتب الدائم للتعريب الذي من مهامه توحيد المصطلح العلمي قد بذل مجهوده ليكون هذا المعجم وافيا بالغرض المطلوب ، فوضع معجما يحوي جل ما اتفق عليه من مصطلحات في التعليم الابتدائي مراعيا الجوانب الاقليمية لكل بلد ، والمكتب على الرغم من هذا لا زال راغبا في عقد ندوة للخبراء العرب للنظر في هذا المعجم ، والموافقة عليه ، حتى يتسنى للمؤلف العربي أن يركز تأليفه المدرسي على ما في المعجم من مصطلحات موحدة .

والمعجم يشتمل في البداية على جزءين ، الاول لقسم المفاهيم المحسوسة التي رسمنا لها صورا حية ، وقد وزعنا هذا القسم في العالم العربي ، ولم نتوصل الى الآن بملاحظات في شأنه الا من المجمع العلمي العربي بدمشق ، حيث تفضل رئيسه البحاثة الكبير الاستاذ

مصطفى الشهابي فنبه المكتب على اغلاط تداركناها في هذا القسم ، وقد طلب سيادته ان نشكل مفردات هذا المعجم تسهيلا على التلاميذ ، وقد رحبنا بالفكرة وعملنا على تحقيقها .

أما الجزء الثاني من الكتاب فهو يشمل المفاهيم غير المحسوسة ، وسيصدر القسمان في جزء واحد يحمل اسم المعجم المصور ، ويحتوي على كل المفردات المستعملة في السلك الابتدائي بالدول العربية مطعمة بالمفاهيم الجديدة التي يشتمل عليها الكتاب المدرسي في بقية العالم المتمدن . وسنشرح كل كلمة مع اثبات مقابلها باللغة الفرنسية وحتى الانجليزية ان أمكن ذلك .

مصطلحات تشريع العمل الموحدة

(مرتبة ترتيب الحروف الهجائية
حسب الالفاظ الفرنسية)

توصل المكتب الدائم لمؤتمر التعريب من نقابة المحامين بالجمهورية العربية السورية بنشرة من مصطلحات تشريع العمل الموحدة التي أقرها اتحاد المحامين العرب خلال مؤتمره الثالث بدمشق عام 1957 وقد أعاد المكتب طبعها قصد تعميمها بين الدول العربية وذلك في نطاق المهمة التي أسس من اجلها ولكنها نفدت وتلبية لكثير من الطلبات نجدد نشرها اليوم في « اللسان العربي » :

عملاً بقرار المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب المنعقد في عمان بتاريخ 30/1/1957 القاضي بتكليف نقابة المحامين بدمشق بوصفها مكلفة بتشكيل لجنة تنسيق التشريع وتوحيده ؛ باعداد مشروع قانون موحد للعمل في البلاد العربية ، وبوضع مصطلحات موحدة لتشريع العمل في الاقطار العربية ، وعملاً بقرار المكتب الدائم المنعقد في دمشق من 15-16 تموز 1957 المتضمن التاكيد على النقابات القيام بما تعهدت به من اعداد المصطلحات القانونية الموحدة .

فقد سمت نقابة دمشق برئاسة لجنة النقيب الاستاذ عدنان القوتلي وعضوية الاساتذة ابراهيم البطل ونصوح الغفري وفؤاد دهمان وجورج انطاكي وروبير ملكي وعمر الفرا والقاضي الاستاذ سامي شاتيلا والعميد الدكتور احمد السمان والدكتور احسان الجو خدار والاستاذ زهير الشطي ، للقيام بالمهمة المذكورة .

وقد عقدت اللجنة عددا من الاجتماعات وقامت بجمع المراجع اللازمة لعملها وحصلت على بعض تشريعات العمل في البلاد العربية ، ولم تتمكن من الحصول على البعض الآخر ، ثم وضعت الاسس الاولية لتشريع موحد للعمل ، وكلفت لجنة فرعية مؤلفة من أساتذة جورج أنطاكي وروبير ملكي وزهير الشطي وعمر الفرا لوضع مصطلحات تشريع العمل ، وقد تابعت اللجنة العامة عملها فانجزت جزءا مما كلفت به ، الا أنها وجدت في طريقها بعض الصعوبات التي يحتاج تذليلها الى فسحة من الوقت لم تتوفر لها بسبب قرب انعقاد المؤتمر ، فقررت أن تصرف جهودها الى انجاز العمل الذي كلفت به اللجنة الفرعية ، ونعني به وضع المصطلحات ، التي هي أساس من أسس توحيد التشريع ، على أن تواصل عملها الاصلي وتنجز وضع تشريع العمل الموحد ليعرض على المؤتمر القادم .

وقد اطلعت اللجنة على المصطلحات التي جمعتها اللجنة الفرعية من المراجع الحقوقية العربية ، فاشارت الى ما يقابلها من مصطلحات باللغتين الفرنسية والانكليزية ، والتي جمعتها من المراجع الاجنبية وترجمتها الى اللغة العربية ، واختارت ان يكون التصنيف الهجائي لهذه المصطلحات على اساس الابجدية الفرنسية .

وقد وجدت اللجنة العامة ان اللجنة الفرعية بذلت جهودا كبيرة في انتقاء أفضل الالفاظ والتعابير التي يمكن بعد اعادة النظر والتنقيح الضروريين من قبل المختصين من رجال القانون محامين أو قضاة أو أساتذة الجامعات أو المنصرفين الى قضايا العمل ، أن تصبح مع الاستعمال مصطلحات ثابتة تتبناها المؤسسات الحقوقيــة والسلطات التشريعية .

وبعد الدراسة والتدقيق اقرت مشروع مصطلحات تشريع العمل المرفقة .

وان نقابة المحامين بدمشق اذ تشيد بالجهود التي بذلتها اللجنة في انجاز مهمتها على أكمل وجه ممكن ، تتذكر في هذه المناسبة الى الضرورة الملحة التي دفعتها الى الاكتفاء بالمصطلحات الاساسية الشائعة التي تتـردد في مراجع تشريع العمل ، وتدعـو الى استكمـال النقص وتصحيح الخطأ وهما امران ما يـزال مجالهما رحبـا فسيحا أمام النقابات اعضاء الاتحاد والسادة اعضاء المؤتمر ولجانهما المختصة .

وان نقابة المحامين بدمشق التي لا تنكر دقة البحث وجسامة المهمة ، وصعوبة ايجاد تعابير عربية تمثل تماما مفاهيم الالفاظ والتعابير الاجنبية ، لترى أن العمل الذي قامت به اللجنة انما هو جزء من الرسالة السامية الملقاة على عاتق اتحاد المحامين العرب في سبيل ايجاد وحدة تشريعية في الاقطار العربية ، تعكس وحدة الامة العربية الخالدة في المجالات الاخرى .

نقابة المحامين بدمشق

مصطلحات تشريــع العمل الموحــدة

المصطلــح العربــي	المصطلح الفرنسي	المصطلح الانجليزي
	- A -	
الغيــاب	Absence	Absence
الوقاية من الطوارىء	Accidents (prévention des)	Precaution against accident
طارىء عمــل	Accident de travail	Labour Accident
سلف على الاجرة	Acomptes, avances sur salaire	Advances on salary
اعمال تخريبية	Activités subversives	Subversives activity
مدير ، رئيس نقابة	Administrateur de syndicat	Director of syndicate (Union)
اعلان عرض ، وطلب استخدام	Affiche d'offre et demande d'emploi	Announcement of offer or demand of employment
زراعــة	Agriculture	Agriculture
الادمان على الكحول	Alcoolisme	Alcoholism
الصناعات الغذائية	Alimentation (industries de l')	Food industries
تعويضات عائلية	Allocations familiales	Family allowances
غرامــات	Amendes	Fines
غرامات الاخلال بالنظام الداخلي	Amendes pour manquement au réglement intérieur	Fines for contravening internal regulations
المتدرجون	Apprentis	Apprentices
التدرج	Apprentissage	Apprenticeship
التحكيــم	Arbitrage	Arbitration
توقف العمــل	Arrêt du travail	Cessation (stoppage) of work
الصناعة الصغيرة	Artisanat	Minor industry
الصانــع	Artisan	Artisan
المصانع العائلية	Artisanats familiaux	Family workshops
حق العمال في تشكيل النقابات	Association (droit des travailleurs)	Syndicates, (right of workers to form)
جمعيات زراعية	Associations agricoles	Agricultural societies
الاعتداء على حرية العمل	Atteinte à la liberté du travail	Infringement of freedom of work

المصطلح الانجليزي	المصطلح الفرنسي	المصطلح العربي
Infringement of syndicate (union) liberties	Atteinte à la liberté syndicale	الاعتداء على الحرية النقابية
Trade union	Association ouvrière	جمعيات عمالية
Insurance agents	Assurance (agents des compagnies d')	وكلاء شركات التامين
Social security	Assurance sociale	التأمين الاجتماعي
Compulsory insurance against labour accidents	Assurance obligatoire contre les accidents de travail	الضمان الاجباري ضد طوارىء العمل
Workshop	Atelier	مصنـــع
Family workshop	Atelier de famille	مصنع عائلي
Notice, worning	Avertissement	تنبيه ـ انذار
	- B -	
Cooperative workers bank	Banques coopératives ouvrières	المصارف التعاونية العمالية
Charitable institutions	Bienfaisance (Etablissements de)	المؤسسات الخيرية (المبرات)
Payroll	Bordereau de salaire	جدول الاجور
Patents	Brevets d'invention	براءات الاختراع
Private employment bureaus	Bureaux d'embauche, de placement privé	مكاتب الاستخدام الخاصة
Employment bureaus	Bureau de placement	مكاتب الاستخدام
Free information bureaus for workers	Bureaux de renseignements gratuits	مكتب استعلامات مجاني
	- C -	
Co-operative fund	Caisse de secours mutuel	صندوق العون المتبادل
Retirement fund	Caisse de retraite	صندوق التقاعد
Quarries	Carriers	مقالـــع
Provinent fund	Caisse d'épargne	صندوق التوفير
Reserve fund	Caisse de prévoyance	صندوق الاحتياط
Identity Card	Carte d'identité	بطاقة الهوية (بطاقة تحقيق الشخصية)
Bond	Cautionnement	كفالـــة
Vocational training centres	Centres de formation professionnelle	مراكز التأهيل المهني
Professional Orientation centres	Centres d'orientation	مراكز التوجيه المهني
Work certificate	Certificat de travail	شهادة العمل
Assignment of undertaking	Cession d'entreprise	احالـــة المشروع
Assignment of salaries	Cession de salaires	حوالة الاجور
Workshop	Chantier	ورشـــة
Worskshop supervisor	Chef d'atelier	رئيس ورشة
Syndicate chiefs, trade (union) leaders	Chefs syndicalistes	القادة النقابيون
Chemical industries	Chimiques (industries)	صناعات كيماوية
Unemployment	Chômage	البطالـــة
Condition in restraint of competition, in rectraint of trade	Clause de non-concurrence	شرط عدم المزاحمة (المنافسة)
Compensation for loss of clients.	Clientèle (indemnité de)	مجموعة الزبائن (العملاء) التعويض عنهـــا

المصطلح الانجليزي	المصطلح الفرنسي	المصطلح العربي
	- C -	
House committee	Comité d'entreprise	لجنة العمل
Committee for health and security	Comité d'hygiène et de sécurité	لجنة الصحة والسلامة
Directorate of syndicate	Comité de Direction de Syndicat	مكتب ادارة النقابة
Retail trade	Commerce de détail	تجارة المفرق
(1) Commission (2) Committee	Commission	(1) عمولة (2) لجنة
Mixed professional Committees	Commissions professionnelles mixtes	لجان المهن المختلطة
Minimum wage fixing Board	Commission de fixation de salaire minimum	لجنة تحديد الحد الادنى للاجور
Conciliation Committees	Commissions de Conciliation	لجان التوفيق (المصالحة)
Commissions and discounts	Commissions et remises	العمولات والربيات
Local Professional Commissions	Commissions locales professionnelles	اللجان المهنية المحلية
Set-off funds	Compensation (Caisse de)	صناديق التقاص (التعادل)
Additions to salary	Complément du salaire	ضمائم — ضميمة
Collective disputes	Conflits collectifs	خلافات جماعية
Collective labour disputes	Conflits collectifs du travail	خلافات العمل الجماعية
Individual disputes	Conflits individuels	خلافات فردية
Paid yearly vacation	Congé annuel payé	الاجازة السنوية المأجورة
Sick leave	Congé de maladie	اجازة مرض
Special leave	Congés spéciaux	اجازات خاصة
Maternity leave	Congé de maternité	اجازة أمومة
Labour arbitration councils	Conseils de Prud'hommes	المجالس التحكيمية العمالية
Written contract	Contrat écrit	عقد كتابي
Contract for life	Contrat à vie	عقد لمدة الحياة
Contract for definite period	Contrat à durée déterminée	عقد لمدة معينة
Contract for indefinite period	Contrat à durée indéterminée	عقد لمدة غير معينة
Labour contract made definite by its nature	Contrat à durée déterminée par sa nature	عقد العمل المعين المدة بطبيعته
Contract of apprenticeship	Contrat d'apprentissage	عقد التدرج
Contracting agreement	Contrat d'entreprise	عقد المقاولة
Employment contract	Contrat de travail	عقد العمل
Private labour contract	Contrat de travail privé	عقد عمل خاص
Deferred wages labour contract	Contrat de travail à salaire différé	عقد عمل مؤجل الاجرة
General labour contract	Contrat de travail général	عقد عمل عام
Oral contract	Contrat verbal	عقد شفهي
Collective labour contract	Contrat collectif de travail	عقد عمل مشترك
Supervision of employment organisation	Contrôle de réglementation du travail	مراقبة تنظيم العمل
Collective labour contract	Convention collective	اتفاق العمل الجماعي
Foreman	Contremaître	ناظر — عريف
Labour co-operatives	Coopérations ouvrières	تعاونية عمالية

المصطلح الانجليزي	المصطلح الفرنسي	المصطلح العربي
	- C -	
Guilds	Corporations professionnelles	فرق المهن
Supreme Board of arbitration	Conseil supérieur d'arbitrage	المجلس التحكيمي الاعلى
Cumulation of leaves	Cumul des congés	تراكم الاجازات ، جمع الاجازات
	- D -	
Application for employment	Demande d'emploi	طلب استخدام
Notice of termination	Délai-congé (préavis)	مهلة الإنذار بالتسريح
Employer's agent	Délégué de l'employeur	وكيل رب العمل
Delegation of power to receive wage	Délégation de salaire	التفويض بقبض الاجرة
Delegate	Délégué	مندوب ـ مفوض
Contravention breach	Dérogation	اخلال ـ مخالفة
Labour disputes	Différends de travail	خلافات العمل
Resignation	Démission	استقالـة
Domestic servants	Domestiques	خدم المنازل
Payment in kind	Don en nature	العطاء العيني
Lien	Droit de rétention	حق الحبس (الاحتباس)
Syndicate rights	Droit syndical	حق العمل النقابي
Duration of work	Durée du travail	مدة العمل
	- E -	
Shops-canteens	Economats	مخازن البيع
Professional Education	Education professionnelle	التربية المهنية
Employee	Employé	مستخـدم
Employer	Employeur	رب العمل
Minors	Enfants mineurs	الاولاد القصر
Manual or professional education	Enseignement manuel ou professionnel	التعليم اليدوي أو المهني
Project	Entreprise	مشروع
Exploitation	Entreprise d'exploitation	مشروع إستثماري
Party	Equipe	فـوج
Probation, trial	Essai	التجربـة
Establishment	Etablissement	مؤسسـة
Commercial and industrial establishments	Etablissements industriels et commerciaux	مؤسسات صناعية وتجارية
Foreigners	Etrangers	اجانـب
Medical examination	Examen médical	فحص طبي
Agricultural exploitation project	Exploitations agricoles	مشاريع الاستثمار الزراعي
	- F -	
Factory	Fabrique	معمـل
Grave fault, gross breach of duty	Faute grave, lourde	ذنب خطير (خطا جسيم)
Inexcusable fault (guilt)	Faute inexcusable	ذنب لا عذر له

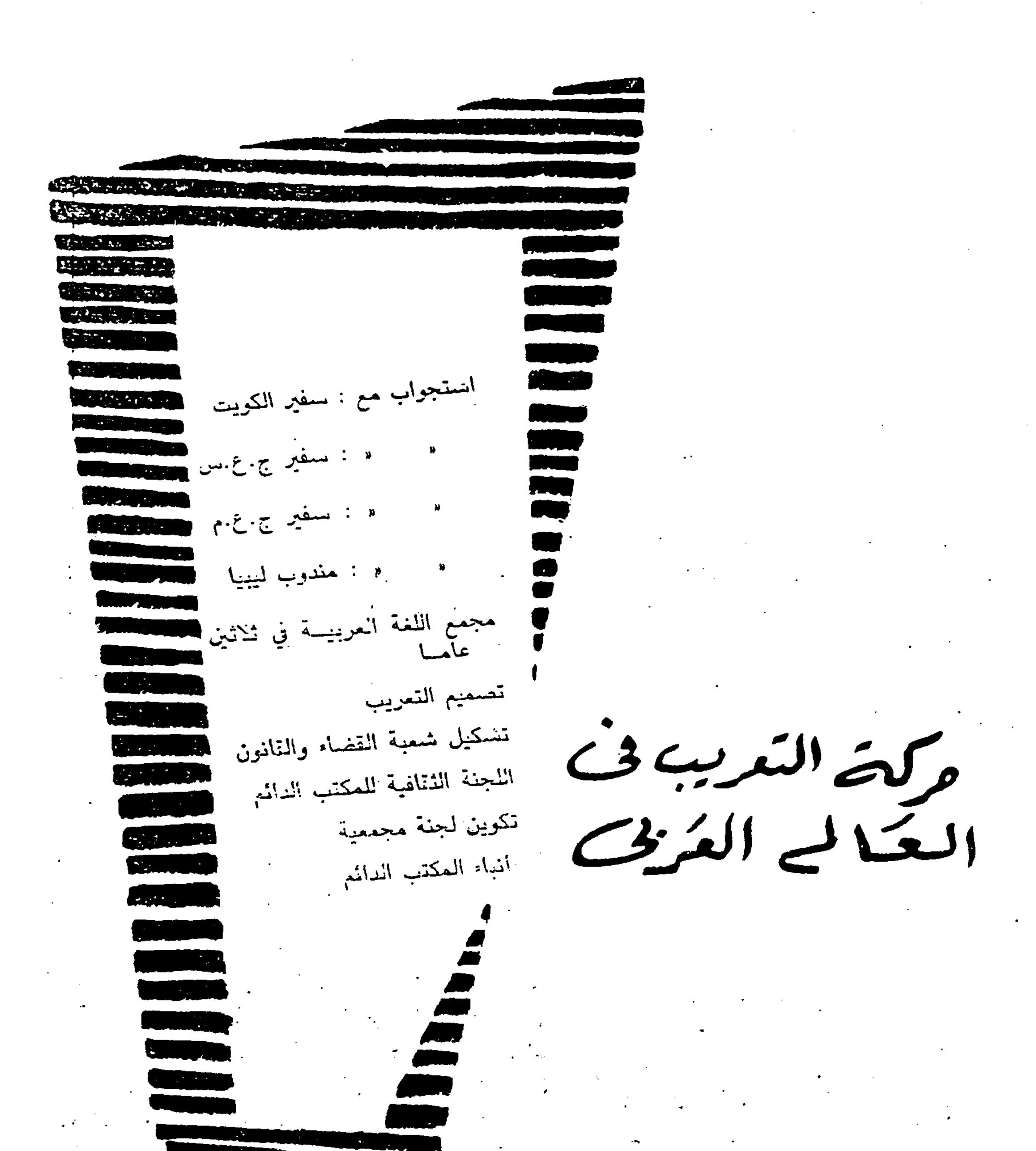
المصطلح الانجليزي	المصطلح الفرنسي	المصطلح العربي
	- F -	
Official holidays	Fêtes légales	الاعياد الرسمية
Federation	Fédération, confédération	اتحـاد
Wages fixing	Fixation des salaires	تحديد الاجور
Co-operative fund for aid of unemployed	Fonds coopératifs de secours aux chômeurs	صندوق تعاون لمساعدة العاطلين
Force majeure	Force majeure	قوة قاهرة
Occupational filtness	Formation professionnelle	التاهيل المهني
Funeral expenses	Frais d'enterrement	نفقات الدفن
(Medical treatment expenses	Frais médicaux	نفقات المعالجة
(Medical expenses		نفقات التطبيب
	- G -	
Gratuity (ex-gratia payment	Gratification	إكرامية ــ منحة
Strike	Grève	اضراب
Occupational groups	Groupements professionnels	التجمعات المهنية
	- H -	
Popular housing scheme	Habitation à bon marché	المساكن الشعبية
Overtime hours	Heures supplémentaires	الساعات الاضافية
Working hours, office hours	Horaires du travail	مواعيد العمل
Health and safety of workers	Hygiène et sécurité des travailleurs	صحة العمال وسلامتهم
	- I -	
Compensation, indemnity	Indemnité	التعويض
Payment in lieu of yearly vacation	Indemnité de congé payé	بدل الاجازة السنوية
High cost of living allowance	Indemnité de vie chère	تعويض غلاء المعيشة
Family allowances	Indemnité pour charges familiales	تعويضات الاعباء العائلية
Termination indemnity	Indemnité pour licenciement	تعويض التسريح
Indemnity for arbitrary termination	Indemnité de licenciement abusif	تعويض التسريح التعسفي
Permanent disability	Incapacité permanente	عجز دائم
Total disability	Incapacité totale	عجز كلي
Partial disability	Incapacité partielle	عجز جزئي
Temporary disability	Incapacité temporaire	عجز موقت
Contraventions	Infractions	مخالفـات
Inspection of labour	Inspection du travail	تفتيش العمل
Non - attachement of wages	Insaisissabilité du salaire	عدم جواز حجز الاجرة
Non - assignment of wages	Incessibilité du salaire	عدم جواز حوالة الاجرة
	- J -	
Feasts (holidays)	Jours féries	أيام الاعياد

المصطلح الانجليزي	المصطلح الفرنسي	المصطلح العربي
Labour tribunals	Juridiction du travail	القضاء العمالي
	- L -	
Syndicate signs (labels)	Labels	العلامات النقابية
Trade union liberties	Liberté syndicale	حرية العمل النقابي
Termination	Licenciement	تسريح
Wage book	Livre de paie	دفتر الأجور
Work book	Livret de travail	دفتر الخدمة
Work sites	Locaux du travail	اماكن العمل
Lockout	Lock-out	اغلاق المعمل
Hire of service	Louage de service	اجارة الخدمات
Contracting	Louage d'industrie	المقاولة
Relationship of (master and servant)	Lien de subordination	رابطة التبعية
	- M -	
Labour	Main (d'œuvre)	اليد العاملة
Agency contract	Mandat (contrat de)	عقد الوكالة
Contravention of discipline	Manquement à la discipline	الاخلال بالانضباط
Unskilled Worker	Manœuvre	العامل البسيط
Occupational diseases	Maladies professionnelles	أمراض المهنة
Ministry of labour and Social Affairs	Ministère du Travail et des Affaires Sociales	وزارة العمل والشؤون الاجتماعية
Handicraft undertakings	Manufactures	معامل الصناعة اليدوية
Bargaining on wages	Marchandage	(استثمار العمال من قبل المقاول الثانوي) المساومة على أجور العمال
Contract for specific job	Marché d'ouvrage	عقد لعمل معين
Syndicate badges (signs)	Marques syndicales	العلامات النقابية
Pauperism	Mendicité	تسول
Mines	Mines, Minières	مناجم
Minimum pay sufficieut forliving	Minimum vital	الحد الادنى المعاشي
Notice	Mise en demeure	اعذار
Public morality, Public policy	Mœurs publiques	الآداب العامة
	- O -	
Educational duties	Obligations scolaires	واجبات الدراسة
Obsetacles in supervision of work	Obstacles au contrôle du travail	اعاقة مراقبة العمل
Lock-in strike	Occupation des locaux	الاعتصاب في أماكن العمل (احتلال)
Occuptional directive	Orientation professionnelle	التوجيه المهني
Labourer	Ouvrier	فاعل
	- P -	
Payment of wages	Paiement de salaires	اداء الاجور
Share in profits	Part sur les bénéfices	حصة من الارباح

المصطلـح الانجليـزي	المصطلـح الفرنسـي	المصطلـح العربـي
	- P -	
Sharing of profits	Participation aux bénéfices	الاشتراك بالارباح
Penalties	Pénalités	عقوبـات
Period of leaves	Période des vacances	فترة الاجازات
Probation period	Période d'essai	مدة التجربة
Posting of workers	Placement des travailleurs	توظيف العمال
Travelling agent	Placier	المندوب الجواب
Tip	Pourboire	وهبة اكرامية
Notice of termination	Préavis	الانذار بالتسريح
Daily rest period	Période de repos journalier	فترة الاستراحة اليومية
Pension salaries	Pensions de retraite	راتب التقاعد
Notice of dismissal	Préavis	مهلة الانذار بالتسريح
Prescription	Prescription	التقـادم
Evidence	Preuves	بينـات
Allowancos, bonuses	Primes	مكافآت علاوات
Travelling occupations	Professions ambulantes	المهن الجوابة الطوافة المتجولة
Liberal professions	Professions libérales	المهن الحرة
Extension.	Prorogation	تمـديـد
	- R -	
Call to Military service	Rappel sous les drapeaux	خدمة العلم
Work register	Registre du travail	سجل العمل
Regulation of work	Réglementation du travail	تنظيم العمل
Apprentieship regulations	Réglement d'apprentissage	نظام التدرج
Internal regulation	Réglement intérieur	النظام الداخلي
House rules (factory regulations)	Réglement d'atelier	نظام العمل
Regulations of working shifts	Relais (organisation du travail par)	نظام تناوب العمل
Renewal	Renouvellement	تجديـد
Rest	Repos	راحـة
weekly rest	Repos hebdomadaire	الراحة الاسبوعية
Commercial representative	Représentant Commercial de Commerce	الممثل التجاري
Occupational representative	Représentation professionnelle	التمثيل المهني
Rescision of contract of service	Résiliation du contrat du travail	فسخ تعسفي
Rotation of weekly rest	Roulement (repos hebdomadaire par)	التناوب (بالراحة الاسبوعية)
Abritrary rescission C	Rupture abusive	فسخ عقد العمل .
	- S -	
Attachment (seizure) of debtor's wages	Saisie, arrêt des salaires	حجز أجور المدين
Wage, salary	Salaire	أجرة (راتب)
Sanction	Sanction	مؤيـد
Daily Wages	Salaire journalier	أجرة يومية

المصطلــح الانجليــزي	المصطلــح الفرنســي	المصطلــح العربــي
Monthly salary	Salaire mensuel	أجرة شهرية
Wage by piece rate (per production)	Salaire sur rendement	الاجرة بالنسبة الى الانتاج
Minimum wage	Salaire minimum	الحد الادنى للاجور
W age-earner	Salarié	أجير
Continuous service	Service continu	الخدمة المستمرة
Houses of entertainment	Spectacles	ملاهــي
Personnel regulations	Statut du personnel	نظام المستخدمين
Legal subordination	Subordination juridique	التبعية الحقوقية
Financial subordination	Subordination économique	التبعية الاقتصادية
Trade unions	Syndicats professionnels	نقابات مهنية
	- T -	
wage scale	Tarif de salaires	تعرفة الاجور
Transport	Transports (industries des)	صناعات النقل
Actual work	Travail effectif	العمل الفعلي
Worker	Travailleur	عامــل
Night work	Travail de nuit	العمل الليلي
Seasonal work	Travail saisonnier	عمل موسمي
	- T -	
Home Workers	Travailleurs à domicile	العمال المنزليون
Temporary Workers	Travailleurs provisoires	عمال موقتون
Classified Workers	Travailleurs cadrés	عمال مصنفون
Daily paid Workers	Travailleurs journaliers	عمال مياوميون
Workers un-employed temporarily	Travailleurs sans emploi	العمال العاطلون موقتا عن العمل
Qualified worker	Travailleur qualifié	العامل الجدير
Technical experts	Travailleurs spécialistes techniciens	الاختصاصيون الفنيون
Worker's guardian	Tuteur du travailleur	ولي العامل
	- U -	
Syndicates Union	Union des Syndicats	الاتحاد النقابي
Factory.	Usine	المعمل
Industries of continuous running	Usines à feu continu.	الصناعات ذات الطبيعة المستمرة
	- V -	
Vacations	Vacances	العطــل
Cloakroom	Vestiaire	المشجــب
Working clothes	Vétements de travail	ملابس العمل
Travelling agent, commercial traveller	Voyageur de commerce	المندوب الجواب التجاري

حركة التعريب في العالم العربي



استجواب مع : سفير الكويت

" " : سفير ج.ع.س

" " : سفير ج.ع.م

" " : مندوب ليبيا

مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما

تصميم التعريب

تشكيل شعبة القضاء والقانون

اللجنة الثقافية للمكتب الدائم

تكوين لجنة مجمعية

أنباء المكتب الدائم

استجواب مع معالي سفير دولة الكويت بالمغرب

س ـ تواجه اللغة العربية اليوم قضية توحيد المصطلح العلمي العربي فما هو رأى سيادتكم في المجهودات التى يبذلها المكتب الدائم للتعريب في هذا الصدد ؟

ج ـ ان المكتب الدائم للتعريب يبذل جهودا تستحق التقدير فى مجال التعريب وان موضوع ايجاد مصطلح علمي واحد لابناء الشعب العربي فى مختلف نواحى الوطن يحقق ولا شك خطوة هامة من خطوات توحيد الثقافة العربية التى هى من أهم السبل للوحدة العربية المنشودة ... كما أن ايجاد هذا المصطلح العربي يدحض آراء أولئك الذين يحاولون التشكيك فى امكانية اللغة العربية وقدرتها على استيعاب العلوم الحديثة .

س ـ كيف ترى سيادتكم مهمة المجلس التنفيذى الذى اقترح المكتب الدائم تشكيله من اصحاب المعالى سفراء الدول العربية بالرباط ؟

ج ـ إن مهمة المجلس التنفيذى الذى اقترحه المكتب الدائم مهمة ليست سهلة ولكننى مدرك تماما انه خطوة موفقة فى سبيل تبادل وجهات النظر والخبرات بين المكتب الدائم والدول العربية الاخرى ممثلة فى سفرائها ... ولا شك ان هذا المجلس سيكون حريصا على خدمة اللغة العربية وسوف لا يدخر وسعا لانجاز مهمته ، كما أن يقينى ان هؤلاء السفراء العرب سيعطون من الحماس لخدمة اللغة العربية ما يوازى الخدمات التى يقدمونها لبلادهم التى يمثلونها لان خدمة اللغة العربية تهم العرب جميعا وتعنيهم جميعا لانها لغتهم ورمز وحدتهم .

س ـ ان المكتب الدائم كان أول من اقترح تاليف موسوعة عربية . فما هى نوع المساهمات التى يمكن لدولة الكويت الحبيبة ان تساهم بها فى انجاز هذه الموسوعة ؟

ج ـ لاشك ان المكتب الدائم باقتراحه تأليف موسوعة عربية انما يخدم العروبة خدمة جليلة وحكومة الكويت سوف لا تدخر وسعا فى سبيل انجاز مثل هذه الموسوعة وتقديم كافة المساعدات فى هذا الميدان على ان تكون هذه الموسوعة جديرة فعلا بمكانة المكتب ومكانة الجامعة العربية التى تشرف عليه .

س ـ كيف تواجه دولة الكويت الحبيبة قضية استعمال المصطلح العلمى وتطور اللغة العربية فى مرحلتها الحالية ؟

ج ـ ان الكويت تستخدم المصطلحات العلمية التى انجزتها المجامع العربية وهى تتوق الى أن توحد هذه المصطلحات بحيث ان المصطلح العلمى الواحد يستخدم فى جميع أرجاء الوطن العربي .

أما اللغة العربية فهى تدرس حاليا فى المدارس كلغة قومية للبلاد طبعا ، والطالب العربي فى الكويت يتكلم اللغة العربية ويستعملها فى مدرسته وفى منزله وتدريس اللغة العربية فى المرحلة الحالية يسير حسب أحدث الطرق ومستوى الطالب فى الكويت من ناحية اللغة العربية عال جدا ، ومن ثم فان الكويت لا تكاد تواجه مشكلة ما بصدد اللغة العربية .

ومما يجدر ذكره أن اللغة العربية فى الكويت هى لغة التعليم وتدرس اللغات الاخرى كالانجليزية والفرنسية كلغات فقط .

استجواب مع معالي سفير الجمهورية العربية السورية

حول قضايا التعريب بسوريا

س : هل يمكن لسيادتكم أن تحدثونا عن حركة التعريب في الجمهورية العربية السورية ؟

ج : حين جلا الاتراك عن بلاد الشام فى نهاية الحرب العالمية الاولى عام 1918 ، كانت سورية على نحو شبيه بما كانت عليه حال المغرب فى سنة 1956 ، مع بعض الفروق ولا شك ـ فلم يكن هناك موظفون يحسنون العربية ولا اطارات ـ على حد التعبير الشائع فى هذا البلد الكريم ـ تنهض بعبء الادارة ، ولا مؤهلون أكفاء يمكن ان يسدوا هذا الفراغ الذى نشأ عن أمرين: انسحاب تركية ، وقيام الدولة العربية الجديدة ، باتجاهاتها ولغتها ومطامحها وآمالها .

ولكن الذين كانوا يبنون الدولة آنذاك ، لم يركنوا الى دعة او قنوط ، بل انطلقوا كعمال بنائين فى أرض قفر ، يشيدون فى كل جزء من البناء فى آن واحد . أنشأوا مجمع اللغة العربية ، والقوا بين يديه حركة التعريب والتاليف والترجمة والنظر فى الكتب المدرسية وفى لغة الدواوين . فانكب أعضاؤه يعملون بصبر وجد ، مندفعين بايمان عميق بأن الكلمة العربية هى الكلمة التى يجب أن تسود ، وان الحرف العربى هو الحرف الذى يجب أن يعلو .

وكان الفرق ـ فيما أجد ـ بين الوضع فى سورية آنذاك ، وبين الوضع فى المغرب عام 1956 ، يتمثل فى ثلاثة أشياء :

أولها انه لم يكن هناك بقايا من الاتراك تعرقل حركة التعريب .

والثانى انه لم يكن هناك هذا التأرجح بين اتجاهين أو عدد من الاتجاهات .

وثالثها ان الذين كانوا قد تثقفوا بالثقافة التركية لم يتعصبوا لثقافتهم التى عاشوها واللغة التى عرفوها، ولم يجعلوا منها ركيزة لهم او درءا يستظلون بظله .

وهكذا مضت حركة التعريب في غير تعثر ومضت سريعة ومثمرة ، فأخذت دوائر الدولة تنقل القوانين والانظمة من التركية الى العربية ، وتبعث الى مجمع اللغة العربية بقوائم الالفاظ التركية ، فيضع الالفاظ العربية المقابلة لها ، ويعيدها الى مرسليها . وقد عاشت تلك الالفاظ التى نشرها المجمع ، فارتقت لغة الدوائر الحكومية فى سورية منذ ذلك الزمن ، وغدت أصلح من أشباهها فى سائر الدول العربية .

والتفت المجمع الى الاجيال الصاعدة يوليها اهتمامه فراقب لغة الكتب المدرسية . فما كان يطبع منها كتاب ما لم يوافق المجمع على لغته وعلى موضوعه .

فاذا انتقلنا من الميدان المجمعى الى الميدان الجامعى ، نجد أن الجامعة السورية انطلقت فى هذا الموكب ، تعرب دروسها ومحاضراتها ، وكانت آنذاك لا تجاوز كلية الحقوق وكلية الطب . وكان الاساتذة اذا حاضروا

أو ألفوا تحدثوا وكتبوا بالعربية . واذا تكلموا عن المصطلحات وضعوا لها المصطلحات العربية المماثلة .

وسرعان ما اعطى الجهد المؤمن الصابر ثمراته ، فاذا الجامعة السورية فى دراسة الحقوق والطب والفيزيا ، والكيمياء ، والرياضيات ، والجيولوجيا ، والهندسة ، والزراعة ، والفنون ، والفلسفة ، وعلم النفس ، والتربية ، والاخلاق ، وغير ذلك من فروع الجامعة ، لا يند عنها مصطلح لا ترجمة له ، وبحث لا تاليف فيه ، وباب من أبواب العلم لا كتب تنشر عنه .

س : ما هى النتائج الايجابية التى أعطاها مجمع اللغة العربية بدمشق بالنسبة لاعداد الاطارات العربية فى الشرق العربى ؟

لقد كان فى الاجابة عن السؤال الاول الذى طرحتموه ، بعض العلم بالنتائج الايجابية التى أعطاها مجمع اللغة العربية فى دمشق ، بالنسبة لاعداد الاطارات العربية فى المشرق . فلقد ذكرت أن المجمع كان الموئل الذى يشع منه نور العربية ، وله الفضل الاكبر حين وضع أسس هذا البنيان الشامخ الذى أزال تلك الاسطورة التى كان يتساءل أصحابها ، عما اذا كانت اللغة العربية قادرة على أن تسايرالعصر الحديث ، وان تستوعب جميع العلوم والمعارف المعاصرة .

لقد استطاع المجمع ان يجمع جهود الكتاب والادباء والعلماء من عرب ومستشرقين ، فى مختلف مجالات العمل والحياة ، لينسق بينها ويوجهها نحو غاية واحدة ، وهى جعل اللغة العربية لغة عصرية ، قادرة على أن تكون كبقية اللغات الحية الكبرى فى العالم .

ومن حول هذه الغاية السامية ، تحلق العلماء والادباء ، وتشكلت اطارات مرادفة فى مختلف المجالات تسهم فى الجهد وتندفع فى العمل نحو الغاية التى يسعى المجمع الى بلوغها ، بالتعاون مع المجامع والمنظمات المماثلة له فى الدول العربية الشقيقة .

س : بما أنكم شاركتم فى وضع المعجم العسكرى السورى ، هل هذا المعجم تلافى قضية الاختلاف اللغوى فى قضية المصطلح العسكرى العربى ؟

ج : تعتبر الجيوش العربية من أحدث المؤسسات التى نشأت ـ بشكلها الوطنى المستقل ـ فى الدول العربية بعد نوالها الاستقلال . ولهذا ، فان تعريب اللغة العسكرية جاء متأخرا بالنسبة لبقية المجالات . سوى أن من الجدير ، أن نذكر فى هذه المناسبة ، أن مجمع اللغة العربية فى دمشق قد وضع جملة من المصطلحات العربية للجيش العربى فى سورية فى عام 1918 ، أى على اثر قيام الدولة السورية المستقلة آنذاك . الا ان الجهد قد توقف ، حينما احتل الجيش الفرنسى سورية فى عام 1930 ، فنقلت هذه المصطلحات الى العراق ، وغدت نواة للقاموس العسكرى الذى وضع بعدئذ للجيش العراقى .

وما أن استقلت سورية فى عام 1942 ، حتى شرعت فى تعريب جيشها ، بشكل سريع . فالغيت اللغة الفرنسية من الجيش منذ اليوم الاول للإستقلال . وغدت اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى مكاتب الجيش ووحداته وثكناته وفى حياة الجنود اليومية . ولم يمض سوى عدة أشهر ، حتى كانت لدى القيادة حصيلة كبيرة من المصطلحات العسكرية العربية ، فالفت اللجان لتنسيق هذه المصطلحات وتوحيدها . وانتهت الى احداث عدة معاجم ، معجم لكل سلاح من الاسلحة . فكانت هناك معاجم للمشاة والطيران والبحرية والهندسة والصحة العسكرية والمخابرات والمدفعية والمدرعات والفرسان والامداد والتموين وغيرها .

وحينما قامت الوحدة بين سورية ومصر ، واجه الجيش العربى الموحد مشكلة توحيد اللغة العسكرية بين الجيشين . وأذكر انى قدمت الى القيادة العامة مشروع ترجمة المعجم العسكرى الكندى ، على أن تقوم بالترجمة لجنة من مجمع اللغة العربية فى دمشق ، تعاونها لجان عسكرية من الاقليمين .

ويتميز المعجم العسكرى الكندى ، بانه أكبر معجم عسكرى باللغتين الفرنسية والانجليزية . وذلك لان هاتين اللغتين هما اللغتان الرسميتان فى كندا .

ولقد تالفت اللجنة برئاسة الامير مصطفى الشهابى ، رئيس المجمع ، أمد الله فى عمره ، وعاونه عدد من أعضاء المجمع ، منهم الاستاذ عز الدين التنوخى والاستاذ عارف النكدى .

وقد إنكبت اللجنة على عملها بحماسة وصبر نادرين، وكان الرئيس الامير الشهابي يدير هذه الخلية الكبيرة التى كان يعمل فيها عشرات الضباط فى كلا الاقليمين. وقد انتهت اللجنة من عملها بعد نحو سنتين من العمل المستمر الدائب ، وخرجت على الناس بمعجم يعتبر مفخرة من مفاخر المجمع . وطبع المعجم فى دمشق ، على قسمين ، اولهما للغة الفرنسية ، والثانى للغة الانجليزية ويضم كل منهما نحو ستين الف كلمة .

س : ما هو راى سيادتكم فى المكتب الدائم للتعريب وفعاليته فى توحيد حركة التعريب ، وكذا قضايا المصطلح العربى بين البلاد العربية ؟

ج : انى لانظر الى مكتب التعريب ، فى هذه المرحلة الراهنة فى المغرب الشقيق ، على أنه صنو مجمع اللغة العربية فى دمشق ، من ناحية اسهامه فى تعريب الالفاظ وتقديم المصطلحات ، فى مختلف مجالات العمل والحياة فى المغرب ، ملاحظا تلك الفروق بين ذلك العهد وهذا اليوم .

ومن وجهة النظر هذه ، لا بد لكل مواطن عربى من أن يكبر هذا الجهد السريع العميق لدائب الصابر ، الذى يقوم به المكتب . ومما لا شك فيه . أن الفضل فى هذا كله يعود الى نشاط الامين العام الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله والى نشاط معاونيه ورجال المكتب ، والى دعم المسؤولين فى الحكومة المغربية واسهامهم فى انجاح مشاريع المكتب وتوسيع دائرة فعاليته .

وفى هذه المناسبة أود أن أشير الى أن المكتب لا بد له من أن يستفيد من تجارب بعض دول المشرق . وحسبنا هذه التجربة الرائدة فى سورية ، فقد اتخذت طريقها الى جامعات القاهرة والجزائر . وحسبنا تلك التجربة الرائدة فى مصر التى كانت أقدم البلاد العربية التى مارست التعليم الجامعى باللغة العربية .

ان أفضل ما نفعله هو أن يفيد بعض بلادنا من تجارب بعض . ولو اراد كل قطر أن تكون له تجربته الخاصة فى مجال التعريب ، لينتهى منها بعد ذلك الى رسم خطته ، لكان لنا من ذلك عنا. أى عناء ، ولكان لنا من ذلك ما تورثه التجربة المتكررة من بط. واضاعة للوقت ، فى زمن يوشك أن يكون الوقت فيه هو أضخم رأسمال لدينا .

وانى لا أشك ، فى أن مكتب التعريب ، بجهود رجاله ودعم المسؤولين له ، سيبلغ غايته ، وبخاصة اذا ما فتحت الابواب في المغرب الشقيق أمام الكتاب العربى ، ليجد مجاله ويحتل مكانته فى عالم المكتبات ، وفى نفس المواطن المغربى الكريم .

حية لمكتب التعريب . وشكرا لرجاله .

استجواب مع معالي سفير الجمهورية العربية المتحدة

بمناسبة الموسم الثقافي الثاني الذي نظمه المكتب الدائم للتعريب في شهر ماي الاخير ، أجرينا الاستجواب التالي مع معالي سفير الجمهورية العربية المتحدة الاستاذ حسن فهمي عبد المجيد حول سير الثقافة والتعليم والكثير من القضايا اللغوية والعلمية في العربية المتحدة الشقيقة . وقد اذيع هذا الاستجواب في اذاعة المملكة المغربية بهذه المناسبة .

س : 1) معالي السفير هل يمكن لسيادتكم أن تحدثونا عن حركة التعريب في الجمهورية العربية المتحدة؟

ج : 1) للاجابة على هذا السؤال نحدد أولا ماذا نعني « بحركة التعريب » اذا كان المقصود بحركة التعريب طابع المشكلة أي وجود كيان ثقافي أجنبي يعبر بلغة غير اللغة القومية في حاجة الى اذابة في بوتقة هذه اللغة القومية ، نعم . اذا كان هذا هو المقصود بحركة التعريب. نقول ان حركة التعريب كمشكلة وطنية لا وجود لها في الجمهورية العربية المتحدة . فالجمهورية لم يعرف كيانها الوطني ثقافة أجنبية مستقلة في داخله ، بل كانت اللغة العربية دائما هي المسيطرة على الصعيد الشعبي أو الصعيد الفكري ، بل كانت اكثر من هذا ، كانت مصدر اشعاع وافتخار وعز ، في أحلك وأعنف لحظات الاستعمار . اذ شاهدنا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (أقسى فترات الاستعمار الانجليزي الدخيل) نهضة فكرية عربية خلاقة تقاوم الاستعمار متمسكة باللغة القومية . فنبغ الادباء والشعراء والمفكرون نذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر : أميرالشعراء احمد شوقي ، حافظ ابراهيم ، مصطفى صادق الرافعي البارودي واسهم في هذه النهضة كثير من الادباء العرب النازحين الى ارض الكنانة خصوصا من الشام وبقية الاراضي العربية الاخرى ...

أما اذا كان المقصود « بحركة التعريب » ليس طابع المشكلة ، ولكن عملية الترجمة وتعريب النتاج الفكري العالمي أي الاحتكاك الفكري بالحضارات المعاصرة خارج اطار لغة الضاد . فالحديث عن حركة التعريب وبدايتها بالنسبة للعصر الحديث (لان الحضارة العربية شهدت سابقا نوعا من هذا التعريب للحضارات الاجنبية خصوصا الفكر الاغريقي أيام العباسيين)، نعم بالنسبة للعصر الحديث اذن ، نعود به الى النصف الاول من القرن التاسع عشر حينما بدات البعثات الثقافية المصرية تحتك بأوربا ، وتعكف بعد ذلك على الترجمة والتعريب لكل ما هو نافع بناء في كل ميادين المعرفة العلمية ، ويعتبر الشيخ رفاعة الطحطاوي وهو من أبناء الازهر ، لاشك رائد هذا النوع من التعريب للنتاج الاجنبي ، بما نقل هو وتلاميذه من بعده من أبحاث ومؤلفات سواء على صفحات « جريدة الوقائع المصرية » ، منذ سنة 1844 حينما آل اليه تحريرها أو ما عرب لمدرسة الطب من الكتب الطبية ، والمدرسة المدفعية من الكتب الحربية ، ولمدرسة الالسن من الكتب الادبية والانسانية حيث كان يعمل استاذا في هذه المدارس

آنذاك . ولقد كون جيلا سهر على تطوير هذا النوع من التعريب ، وتفهم الحضارات المقارنة ، وهو ما يمكن ان نسميه بالاحتكاك الفكرى مع الحضارات الاجنبية . ولقد أكد هذا الجيل بما قدم من كتب علمية بحت عربها ، ان اللغة العربية فى إمكانها ان تكون كما كانت من قبل لغة علوم بحت ، وتستوعب بما فيها من ثروة لغوية أضخم المصطلحات العلمية ذات التعابير الفنية المحددة . ولقد نمت بعد ذلك ، حركة التعريب ، حسب المقصود الثانى أي الرغبة فى الاحتكاك بالتراث الفكرى الانسانى العالمى وتضاعف أثرها فى نهاية القرن التاسع عشر وتوسع فيها مع نشأة الجامعات المصرية في مطلع القرن العشرين .

2) ما هي نسبة الكتب المنشورة في الجمهورية العربية المتحدة فى خصوص العلوم التى تتبلور فيها فعالية اللغة العربية ؟

ج : 2) نسبة الكتب المنشورة في الجمهورية العربية المتحدة بخصوص العلوم التى تتبلور فيها اصالة اللغة العربية وفعاليتها عالية للغاية . بل يمكن القول الآن أن اللغة العربية من حيث الفعالية والاصالة في الميدان العلمي برهنت بحق أنها مازالت هى اللغة الخالدة ، لغة الحضارات العريقة فى العصور الوسطى . اللغة التى استطاعت أن تجدد ليس فقط فى ميدان العلوم الانسانية التجريدية وتحدد أفكار ارسطو وأفلاطون مثلا ، أكثر مما حدث في لغتهما الاغريقية . ولكن أيضا فى ميدان العلوم الطبيعية مثل الكيمياء ، والطبيعة ، وعلم الفلك ، والجبر وبقية الرياضيات الى غير ذلك والتاريخ اكبر برهان على أن اللغة العربية ، لغة ذات فعالية رائعة لغة تحضر وتمدن .

3) هل استكمل التعريب فى الجمهورية العربية المتحدة جميع المرافق الحيوية فى البلاد ، وما هى الصعوبات التى اعترضت ذلك .

3) الاجابة على هذا السؤال تعيدنا الى السؤال الاول وهو تحديد المقصود بحركة التعريب اذ أن حركة التعريب كما قلنا ، لم يكن لها طابع حل مشكلة قائمة فى الكيان الثقافى القومى للدولة فى مصر وانما طابع التعرف على الحضارات الاخرى ، وتعريب النافع منها ، وبالتالى فمرافق الجمهورية العربية المتحدة ، ما كانت أبدا فى حاجة الى تعريب ، لانها عربية وحرصت على ذلك حتى فى أشد لحظات الاستعمار كما أشرنا من قبل . الا اننا بهذه المناسبة نشير الى نقطة تتعلق بالجامعات ، والكليات العلمية خصوصا في ميدان العلوم البحت ، اذ هي من حيث تكوينها تقوم بتدريس النظريات العلمية المقارنة .. هذه الجامعات عملت على أن تؤقلم الاجيال المثقفة مع التراث الفكري العالمي ، والتقدم العلمي داخل اطار اللغة العربية القومية ، وفي نفس الوقت تشجع الطلاب على معرفة اللغات الاجنبية لتوسيع المدارك الفكرية ، والتعمق فى تفهم النظريات العلمية المقارنة (ومن عرف لغة قوم أمن شرهم ، وكما يذكر أيضا ، (من عرف لغة ازداد عقلا) وبالتالى كان الهدف الاسمى للاتجاه الفكرى فى الجمهورية العربية المتحدة هو السير باللغة العربية كي تتكشف كنوزها ، وتعيد اليها مكانتها السابقة فى عصورها المزدهرة عبر التاريخ ، كلغة حضارة وعلم وتقدم ...

4) هل المجتمع المصرى ما زال متأثرا بالدخيل الاجنبى فى عاميته ، وما هو اسلوب الاستئصال لهذا الداء في الجمهورية العربية والعالم العربي ؟

ج : المجتمع العربى فى مصر أو بعبارة ادق مصر برمتها لم تتأثر بالدخيل الاجنبى فى عاميتها اللهم بعض الالفاظ استوعبتها العامية عبر العصور نتيجة للاحتكاك بالشعوب الاخرى وهذه ظاهرة اجتماعية طبيعية لدى جميع الشعوب ، الا اننا مع هذا نلاحظ ان هناك ناحية تستحق التسجيل ، وهى ان بعض مناطق الجمهورية العربية المتحدة ، خصوصا فى جنوب الصعيد ، وفى جهات من الوجه البحري ، تكاد تكون العامية لغة عربية فصحى ، تمتاز بقوة مخارج الحروف وبالتلقائية فى التعبير العربي السليم ، حسب أدق قواعد اللغة والنحو . كما يلاحظ أيضا ان العامية حاليا ـ كي تنقى من الالفاظ الدخيلة ـ اتجه بها بعض الكتاب والادباء تدريجيا نحو العربية الفصحى كما نشاهد فيما كتب أخيرا من قصص أدبية تعالج الحياة الشعبية وتصورها . ونعتقد أن هذه تجربة لا بأس بها ، أي ان يجعل الهدف الاسمى فى استعمال العامية سواء في الجمهورية العربية المتحدة ، أو العالم العربى ، الاتجاه بها نحو العربية الفصحى ، أي تفصيحها وبذلك تستأصل الالفاظ الدخيلة منها باحلال الفاظ عربية سليمة محلها سلسلة سهلة التداول .

5) وما هو رأيكم فى الحملة التى نظمها المكتب الدائم فى كل من المغرب والجزائر لمحاربة الدخيل الاجنبى على أساس كلمة في كل يوم خلال سنتي 1963 ـ 1964 ؟

ج) : لاشك أننا نحيي بافتخار المجهودات الطيبة ،

والحملة المثمرة للمكتب الدائم للتعريب في كل من الدولتين الشقيقتين المغرب والجزائر ، ، لمحاربة الدخيل الاجنبي على أساس كلمة في كل يوم خلال سنة 1962 ـ 1964 واننا لنأمل لهذا المكتب الفتي مزيدا من النشاط البناء ، ومزيدا من التشجيع بما يليق برسالته الخالدة في هذين القطرين العزيزين .

6) نحن نعلم ان خبراء الجمهورية العربية في الحقل الدولي يعملون على ابراز فعالية اللغة العربية في المجالات التقنية فهل يمكنكم الادلاء ببعض الامثلة الحية عن ذلك ؟

ج) : نعم هذا هدف خبرائنا الاسمى ، انهم في طريقهم الى القضاء ، ان لم يكونوا قد قضوا فعلا على الزعم القائل بأن لغتنا غير تقنية ، لان هذا تجاهل لحقيقة الماضي الحر . فالعرب عبر لغتهم قد طوروا العلوم البحت وجددوا فيها كما قلنا سابقا ، فقد عرفت اللغة العربية كيف تجدد في ميدان الكيمياء ، والطبيعة والجبر والرياضيات الاخرى ، ولنضرب مثالا واحدا بين كثير من الامثلة ، الجبر والكحول اللذين احتفظا بتسميتهما الاولى العربية ، ونقلهما عنا الاوربيون . اذن حينما يؤكد خبراء الجمهورية العربية المتحدة رصانة اللغة العربية في الميدان التقني . هم في الواقع انما يعيدون لهذه اللغة مكانتها الاولى ، بمعنى انها ليست فقط لغة شعر وأدب وفلسفة وعلوم انسانية وانما لغة تقنية وأكبر مثال حي يضرب على ذلك الابحاث المتعددة لاساتذة الجامعات في الجمهورية العربية وما أكثرها ، والتي كتبت بلغة عربية واضحة وشملت أهم المجالات التقنية .

7) تعلم سيادتكم الدور الذي يقوم به المكتب الدائم وخاصة الاستفادة من تجربة الشرق العربي لصالح المغرب العربي فما هي في نظركم وسائل تركيز هاته الرسالة ماديا وأدبيا تلك الرسالة المقدسة التي أناطها مؤتمر التعريب وجامعة الدول العربية بالمكتب الدائم ؟

ج) : الدور البناء الذي يقوم به المكتب الدائم في غنى عن التعريف ، والجمهورية العربية المتحدة تقدر تماما هذا الدور وتشجعه ، وتزكيه بتجاربها . أما وسائل تركيز هذه الرسالة فنعتقد ان المكتب الدائم بوسائله النيرة قد حقق جانبا كبيرا من النجاح في رسالته ، وفي طريقه الى تحقيق مزيد من النجاح ، باذن الله ، ولاشك ان تحقيق هذه الرسالة على الوجه الاسمى ، يتطلب مضاعفة المجهودات والتشجيع المادي للنشر والتوعية الثقافية العربية ، فالاقبال على مطبوعات المكتب ، والمساهمة الواسعة في اخراجها من لدن رجال الفكر والكتاب ، والادباء ، كل في ميدان تخصصه ، والاهتمام بالمؤسسات العريقة التي سهرت على استمرار الثقافة . (وهنا نشير الى دور الازهر في المشرق ، والقرويين في المغرب) وتعريف المشرق بالمغرب ، بالنشاط القيم للمكتب والاسهام فيه ما أمكن ، من قبل أدبائه ، وكتابه . ومفكريه. حتى يتضاعف التقارب ، ويكمل اللقاء بين المشرق والمغرب العربيين ، وما أعزه من لقاء ، لقاء في الله ، ولقاء في نبيه العربي الامين ، ولقاء في الدم الواحد ، ولقاء في المشاعر ، وفي كل القيم القومية العربية ، لقاء مودة خالصة وعز دائم ، وأخوة صادقة ، وتعاون مثمر في سبيل الخير والازدهار والتقدم للجميع .

س : معالي السفير إن الجمهورية العربية المتحدة تبذل مجهودات كبيرة في رفع مستوى الابحاث العلمية العربية . فهل يمكنكم اعطاء القارىء العربي نظرة عن هذه المجهودات ؟

ج) : إن الجمهورية العربية المتحدة في نضالها من أجل حياة افضل لكافة أفراد الشعب جعلت التخطيط العلمي أساسا لتقدم البلاد يقينا منها أن التصنيع هو العمل الاول للوصول الى الهدف المنشود .

وقد السيد الرئيس جمال عبد الناصر في احدى خطبه « ولئن فاتنا عصر البخار فلن يفوتنا عصر الذرة » فانشئت وزارة البحث العلمي عام 1960 لتنسيق ومتابعة ابحاث العلماء العرب في شتى المجالات وانشىء المعهد القومي للبحوث يضم 180 وحدة كل منها متخصصة في نوع واحد من الابحاث تقوم بدراسة احدث النظريات العلمية وتطبيقها في ميادين الهندسة والطب والصناعة والعلوم بكافة فروعها واستنباط نظريات جديدة مع الاستفادة بالخامات المحلية المتوفرة وخصصت لها الدولة الاموال الكافية بسخاء حتى تقوم بمهمتها على أكمل وجه .

وانشئت مؤسسة الطاقة الذرية ومهمتها استخدام الذرة من أجل السلام في حقول العلم والمعرفة المختلفة كما انشىء بها المركز الاقليمي للذرة ويقوم بتدريب علماء الذرة في كافة الدول العربية وتطبيق استخدامها في مجالات الطب والزراعة وغير ذلك وأقيم مفاعل ذري لتوفير الامكانيات اللازمة للمؤسسة والمركز لمتابعة أبحاثها كما أن

الجمهورية العربية المتحدة تقوم حاليا باقامة مفاعل نوى آخر لتحويل المياه الملوحة الى مياه عذبة لقهر الصحراء وزيادة الارض المزروعة بالجمهورية التى لا تمثل فى واقع الامر الا 3٪ فى المائة من جملة الاراضى .

هذا وايمانا منا بفضل العلم على الشعوب ورقيها تقوم الجمهورية بالاحتفال بعيد العلم سنويا وتخصص له جوائز تشجيعية وتقديرية تربو قيمتها على مليوني جنيه يسلمها السيد الرئيس شخصيا الى العلماء والنابهين فى شتى مجالات العلوم .

س : ان قضية المصطلح العلمي كانت تعتبر من العوائق الاساسية التي تعرقل البحث العلمي في البلاد العربية . فهل تغلبت الجمهورية العربية المتحدة على هذا العائق ؟

ج) : فى الواقع ان تعريب المصطلحات العلمية فى الجمهورية العربية المتحدة لم يشكل فى يوم من الايام عقبة فى سبيل التقدم العلمى ونشر الثقافة العلمية بين الشباب العربي وذلك لان دراسة العلوم اثنى عشر عاما فى المراحل الثلاث الابتدائية والاعدادية والثانوية باللغة العربية تشكل قاعدة وطيدة للغة البلاد الوطنية . لا يخشى بعدها من الاستعمار الفكرى للشباب العربى .

على أن الدراسة فى المرحلة الجامعية تتم باللغة العربية مع معرفة المرادفات للمصطلحات باللغة الاجنبية حتى يتمكن الطلبة من متابعة دروسهم وأبحاثهم في شتى المراجع الاجنبية وتمكينا لهم من الالمام بأحدث الابحاث والاكتشافات العلمية في النطاق الدولي .

هذا الى انى أود أن اوضح ان التطور التقدمي العلمي في شتى انحاء العالم يستتبعه استنباط مصطلحات مستحدثة فى اللغات الاجنبية نفسها ويقوم مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذى يضم نخبة من رجال العلم والادب من كافة البلاد العربية بمتابعة تلك المصطلحات واستنباط المرادف لها .

وان تكوين مجمع اللغة العربية السابق ذكره من علماء المشرق العربى ومغربه ليسهم مساهمة فعالة فى ربط حركة التعريب في العالم العربي بعضها ببعض كما يدفع بها نحو ملاحقة التطور العلمى العالمى .

وفى واقع الامر فاننى أرى ضرورة محاربة الاستعمار الفكرى والسيطرة الثقافية الاجنبية من مراحل الدراسة الاولى للطلبة لتأكيد الشخصية العربية واعادة الثقة باللغة العربية كلغة علمية وعندئذ ستختفى مشكلة التعريب من الوجود .

وانه ليحز فى نفسى أن أرى ذلك الالحاح فى التساؤل عن مدى جدوى اللغة العربية فى مجال العلوم مع ما لها من صولات وجولات واكتشافات فى ذلك المبدأ منذ فجر النهضة بينما أرى بنى اسرائيل يحيون اللغة العبرية تلك اللغة التى ماتت منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف عام واقتصر وجودها فى تلك الفترة على بعض الخاصة من العلماء والاحبار وبطون بعض الكتب فجعلوا منها لغة عصرية لغة علوم وحضارة وتقدم .

استجواب مع مندوب ليبيا في معرض الكتاب

في نطاق الاستجواب مع الهيآت الممثلة للدول العربية في موسم الكتاب العربي أجرى مندوبنا استجوابا مع الاستاذ اسماعيل السويح المستشار الثقافي وعضو الوفد الليبي في معرض الكتاب العربي .

س) ما هي ارتساماتكم حول اقامة موسم للكتاب العربي بالمغرب ؟

ج) ان اقامة موسم الكتاب العربي ظاهرة ادبية جيدة ولا بد بعون الله أن تؤتي أكلها وتظهر نتائجها النافعة .

وقد احسن صنعا المكتب الدائم للتعريب في عاصمة المملكة المغربية بتنظيم هذا المهرجان الادبي وقد بذلت كل دولة عربية ممثلة فيه ما في وسعها . فشكرا خالصا لكل من ساهم في انجاح هذا الموسم الادبي الكبير .

س) أي شيء استرعى انتباهكم في معرض الكتاب العربي .؟

ج) استرعى انتباهي تنظيم العرض في جميع الاركان المخصصة للعارضين وكذلك راقني حسن التنسيق وعينات الكتب والنشرات ولفت نظري اكثر فاكثر جناح مكتب التعريب الدائم ، فقد حوى ما لذ وطاب من مائدة الفكر .

س) سيادة الاستاذ ان قراء «اللسان العربي» يرجون أن تتحدثوا لهم عن حركة التاليف والنشر بليبيا الشقيقة

ج) أما عن حركة التاليف والنشر في المملكة الليبية، فيمكن القول اذا رجعنا الى ما قبل قرن من الزمان بانه كانت هناك حركة تأليف في العلوم العربية والفقهية . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مؤلفات الامام محمد ابن علي السنوسي صاحب الطريقة السنوسية وجد ملك ليبيا . فله مؤلفات في التربية الاسلامية الحق ، وفعلا فان مبادىء الطريقة السنوسية هي الجد والعمل وعدم التواكل ضمن اطار من الاستقامة والاخلاص الديني على نهج السلف الصالح . وكان هناك غيره ممن ساهم في التأليف اللغوي والديني .

وجاءت فترة الاحتلال البغيض وفي وسط ذلك الضيق والكبت الفكري استطاع بعض من أيده الله بروح من عنده أن يؤلف كتبا مدرسية للناشئة في مدارس حرة وعلى نفقة أهل البر والاحسان ، فألفوا في قواعد اللغة والتاريخ والجغرافيا وعلم الدين .

وجاءت فترة الاستقلال فنشطت حركة التاليف الادبي والمدرسي ، وقد قدمنا بعض ما ألف في هذا الصدد في معرض الكتاب العربي الذي نظمته الامانة العامة لمكتب التعريب الدائم في عاصمة المغرب العامر .

واختم هذه الكلمة العابرة بالشكر الجزيل للسيد عبد العزيز بنعبد الله ومساعديه على اتاحتهم فرصة اللقاء مع اخواننا في العالم العربي .

مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً

1932 - 1962

مجموع القرارات العلمية

خلال ثلاثين سنة من نشاط دائب صدرت عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أثناء دوراته الثماني والعشرين قرارات علمية هامة تتصل بأقيسة اللغة وأوضاعها وقد نشرت هذه القرارات العلمية مع غيرها من قرارات المجمع متفرقة في أعداد مجلته .

ونظرا الى أن هذه القرارات تتضمن توجيها قويما في ميدان التعريب والترجمة حيث توفر على الاخص أداة صالحة للاشتقاق والوضع ونظرا الى أنها نالت تقدير كثير من الشخصيات المجمعية والجامعية في العالم العربي ارتأى المكتب الدائم أن ينشرها تعميما للفائدة . فعمد في أول الامر الى جمع ما تيسر له منها في مختلف أعداد مجلة المجمع وقبل الاقدام على طبعها أرسلها مرقونة في كراسة الى السيد رئيس مجمع اللغة العربية رفقة رسالة يطلب منه فيها مراجعتها واكمالها وتصحيحها ان اقتضى الحال . لكن السيد الامين العام للمجمع الدكتور ابراهيم مدكور تفضل بموافاتنا بقرارات المجمع العلمية مطبوعة في كتاب قال عنه ان نشره محدود يكاد يكون مقصورا على المجمعيين ومن اليهم من خبراء المجمع والمتصلين به . وعبر عن سروره باعتزامنا نشر هذه القرارات على صفحات مجلة (اللسان العربي) .

فعن هذا الكتاب نقلنا القرارات التي ننشرها فيما يلي كما وردت فيه مبوبة ومرتبة . ولم نحذف منها سوى الاشارات الى الجلسات التي اتخذت فيها والى أجزاء المجلة الصادرة فيها . وقد حرصنا على اثبات جميع القرارات حتى ما كان يتصل منها بالتنظيمات الداخلية للمجمع كقرار تأليف لجنة لوضع كتاب النحو والصرف وقرار استخدام الاذاعة للاعلام بأعمال المجمع وغيرهما كما حرصنا على اثبات كلمتي التصدير والتقديم وذلك مساهمة منا في التعريف بأعمال المجمع .

وبهذه المناسبة يطيب للمكتب الدائم لتنسيق التعريب أن يجدد الشكر لسيادة الدكتور ابراهيم مدكور على هديته القيمة وأن يعبر مرة أخرى لأعضاء مجمع اللغة العربية على خالص تقديره لمنجزاتهم العلمية ولأعمالهم الجليلة .

مقدمة

أنشىء « مجمع اللغة العربية » سنة 1932 ، وبدأ انعقاده سنة 1934 ، ومنذ السنة الاولى من حياته ظل يعمل على تحقيق الاغراض التى أنشىء من أجلها وأهمها المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر .

واتسعت أعمال المجمع سنة بعد أخرى ، وتنوعت نواحى نشاطه : فمنها القرارات العلمية التى تنصب على ظواهر اللغة ، كالقياس والتضمين والنحت والتوليد والتعريب وترجمة المصطلحات وما اليها ، والقرارات التنظيمية التي توجه سير العمل في لجانه وهيئاته ، وتعين على تنفيذ خططه ومشروعاته ، والبحوث التي يلقيها أعضاء المجمع فى مجلسه أو فى مؤتمره السنوى أو التى تعد للنشر فى المجلة ، والمصطلحات العلمية والفنية والفاظ الحضارة التى تقترحها لجانه ، أو تعرضها عليه الهيئات العلمية والثقافية المختلفة فى الجمهورية العربية المتحدة – أو فى غيرها من البلاد العربية – للمراجعة والاقرار ، ثم منها المشروعات المختلفة التى وجدت طريقها الى التجربة والتنفيذ : كتيسير النحو والصرف ، وتيسير الكتابة العربية ، واختصار حروف الطباعة فيها ، ووضع المعاجم المختلفة وانشاء الجوائز اللغوية والأدبية وما اليها .

وقد والت مجلة المجمع نشر كثير من هذه الاعمال ، وصدرت مجموعات خاصة بما تم اقراره من ألوف المصطلحات العلمية والفنية ، وأخرجت مجموعات بحوثه ومحاضراته فى المؤتمرات الاخيرة ومعجمه الوسيط بجزأيه ، وثلاثة أجزاء من معجم الفاظ القرآن ، وجزء يعد نموذجا من المعجم الكبير .

غير أن قرارات المجمع العلمية وما يتصل بتنفيذها خلال الثلاثين سنة الماضية وهي التى انعقد المجمع فيها ثمانيا وعشرين دورة ، بين سنة 1934 وسنة 1962 ، ظلت حتى الآن مفرقة فى أجزاء المجلة ، وفى محاضر الجلسات ، واصبحت الحاجة تدعو الى جمعها معا فى تصنيف يضم شتاتها ، وينظم موضوعاتها ، ويسهل الانتفاع بها والرجوع اليها ، ويرشد الى ما ألقي فى شانها من بحوث ، وما دار حولها من مناقشات مجمعية .

× ×

وها نحن أولاء نقدم مجموعة القرارات العلمية فى تلك الدورات مصنفة فى ابواب وهذا التصنيف لا يعنى الفصل القاطع بين كل باب منها والأبواب الاخرى ، لانها فى حقيقة الامر متشابكة ، متلاقية فى كثير من نواحيها ، ولكن روعي فيه ما يغلب على طبيعة كل مجموعة منها وتقارب أغراضها : فالباب الاول منها يجمع القرارات التى وصل اليها المجمع فى شأن أقيسة اللغة وأوضاعها العامة والثانى يتناول ما كان خاصا بالترجمة والتعريب وكتابة الاعلام الاجنبية ، والثالث ما كان متعلقا بوضع المعجمات وتنظيم اختيار المصطلحات ، والرابع يعالج مشكلات تيسير النحو والصرف ، وتيسير الكتابة العربية .

وقد جاءت هذه القرارات المصنفة هنا ثمرة حركة دائبة فى دورات متفرقة وجرى عليها من التمحيص واعادة النظر ، ما عدل فى بعضها وأضاف جديدا الى بعضها الآخر ، على هدى من الترجمة أو وجهات النظر المختلفة ومن المرغوب فيه للمعنيين بهذه القرارات ومجالات تطبيقها ان يرجعوا الى البحوث المستفيضة التي ألقيت فى شانها والنقاش الذى دار حولها ، ما أثبتته مضابط المجمع من الاحتجاج لها . وسيجد المتتبع لها أن المجمع لم يبتدع فيها قواعد جديدة ، ولم يخرج بها عن طبيعة اللغة العربية ونظامها الموروث ، بل كانت وجهة الاجتهاد فى تفسير ظواهر اللغة والمواءمة بين طبيعة اللغة ومقتضيات الحياة الجديدة ، على أساس

من الآراء والنظريات التى خلفها علماء ومؤلفون لهم مكانهم فى التراث العلمى العربى .

(١)

وأوسع أبواب تلك القرارات - وأهمها - الباب الاول الذى عنونا له بعنوان « فى أقيسة اللغة وأوضاعها العامة » ، وهو الذي اتجه فيه المجمع الى زيادة ثروة اللغة ، وتطويعها لمسايرة الحياة العربية الحديثة في علومها وفنونها وشؤون معيشتها اليومية ، واغنائها - ما أمكن عن الاستعانة بالدخيل : وذلك بالتوسع فى صيغتها ، والاخذ بمبدأ القياس فى اشتقاقاتها ، استنادا الى ما قرره بعض الاقدمين من كبار علماء العربية من أن ما قيس على الوارد الكثير من كلام العرب فهو من كلام العرب .

كان من أوائل ظواهر هذه القرارات التى عالجها المجمع فى دوراته الاولى ظاهرة « التضمين » ، وهو باب من أبواب التصرف في اللغة ، مؤداه التوسع في استعمال لفظ مكان لفظ آخر مناسب له لتحقيق فائدة بلاغية - على مثال ما كان يفعل العرب - فيعطى الاول حكم الثاني في التعدي واللزوم . وقد قصد المجمع بالتنبيه الى هذا التصرف اللغوى الحد من ولوع بعض المعجميين المحدثين منذ مطلع القرن الحاضر - ولاسيما فى مصر والشام - بتعقب ما زعموه أخطاء لغوية في كتابات كبار المؤلفين والكتاب والشعراء ، مما يدور فى معظمه حول مسائل لزوم الفعل ، أو بحرف جر خاص دون حرف وكان النقاد فى هذا يعتمدون الاعتماد كله على ما يجدون مثبتا فيما بين أيديهم من معاجم اللغة . ومن الواضح - كما جاء فى الاحتجاج لهذا القرار - أن فى قياسية التضمين - بشروطها التي استخلصها المجمع من كلام علماء النحو والبلاغة - توسيعا على المشتغلين بالتأليف والكتابة ، وتخفيفا من غلواء الاقتصار على ما ورد فى المعاجم .

والناحية الثانية المهمة من نواحى هذا الباب محاولة التغلب على العقبات التى كانت تعترض سبيل العاملين على ايجاد أسماء عربية للمسميات الحديثة ، ومن بين تلك العقبات الخلاف بين العلماء فى القياسى والسماعى من المشتقات والمصادر . لذلك رأى المجمع ضرورة البت في هذه الناحية واجازة القياس فيها قبل الشروع فى وضع مصطلحات العلوم وأسماء الآلات والأدوات الحديثة واسماء الحرف والصناعات التى لم تكن تعرفها العرب ولا الدول الاسلامية الاولى ، أو عرفتها ولم يضع علماؤها لها أسماء فكان من ذلك القرارات الخاصة بقياسية بعض الصيغ : مثل مصدر فعالة (بكسر الفاء) - من فعل اللازم المفتوح العين - للدلالة على الحرفة أو شبهها ، وصيغة فعال (بضم الفاء) - من فعل اللازم المفتوح العين - للدلالة على المرض ، وغيرهما مما جاء في القرارات . وقد أوضح الاحتجاج لهذا القياس أن ما قرر فى هذه الصيغ وأمثالها يوسع ابواب الوضع اللغوى ، ويعين اللغة على الاستجابة الناجحة لمطالب العلم والحياة الحديثة ، فيمكن مثلا أن يصاغ على وزن « الفعالة » للحرفة : الدلاكة (لصناعة الدلك) ، والشعاعة (لصناعة التصوير بالاشعة) ، والوساطة (لصناعة القومسيونية)، والصحافة ، والطباعة ... الخ . وصيغة « فعلان » - بما تدل عليه من التقلب والاضطراب - تعين على استحداث مصطلحات لما يستلزمه كثير من الظواهر الطبيعية والكيميائية من أحداث يصحبها زعزعة واهتزاز واضطراب ، كالجيشان والغليان والخفقان وكالموجان (لتتالى الموجات الكهربية فى الاثير) والطرفان (لعمل من يطرف بعينيه كثيرا لمرض أو خوف) . وصيغتا « فعال » و « فعيل » للصوت تساعدان فى سد حاجات مبحث من أهم مباحث علم الطبيعة وأكثرها تفريعا وهو الصوت ، والمصدر الصناعي - الذي يصاغ باضافة ياء والتاء الى اسم الجنس - يفيد فى التعبير عن الهيئات والأحوال الدقيقة التى تتصل بحقائق الأجناس : كالحرية والانسانية والحيوانية والمفهومية والخصوصية وما اليها .

(٤)

ومثل هذا يقال فى قياسية الاشتقاق - فى لغة العلم - من أسماء الأعيان ، ففيها سد للحاجة الشديدة الى ايجاد أفعال وصفات من غير المصادر : كأسماء الأعيان والجواهر المحسوسة فى علوم الطبيعة والكيمياء والطب ، وفى الصناعات المختلفة ، فيقال مثلا : مبلر (من البلور) ، ومكهرب ممغطس ... وهكذا . وقد نبه المجمع فى احتجاجه لهذا القرار الى أنه لم تقم عقبة فى سبيل وضع اصطلاحات العلوم الكيميائية الطبيعية والطبية والحيوية أصعب من منع الاشتقاق من الأعيان وأنه - بقراره هذا - قد صان العربية عن العجز والاستخذاء أمام المعاني العلمية الحديثة .

ومن القرارات الكبيرة المغزى فى هذا الباب قرار قياسية تعدية الفعل الثلاثي بالهمزة فالفعل الثلاثي هو معظم أفعال اللغة العربية ، وبه وبمصدره وبمشتقاته يؤدى كثير من أغراض المتكلمين باللغة ، وبخاصة أهل العلوم والصناعات واختلاف معانى الفعل من حيث اللزوم والتعدى من أهم العوارض التى تعرض له . لهذا اتجه المجمع الى صيغة مختصرة تكفل تعدى الفعل فلم يجد أقيس ولا أخصر من التعدية بالهمزة .

ومما عنى به المجمع في هذه القرارات احياء ما اهملت ذكره كتب اللغة من مصادر أو أفعال أو مشتقات غير الأفعال ، وذلك بقراره فى تكملة فروع مادة لغوية ثم تعيين ما أهملت المعاجم النص عليه من جموع التكسير ، وذلك باقرار قياسية الغالب منها ، وتطبيق ذلك فى وضع معجمات لغوية تمتاز بذكر جمع لكل مفرد لم يمنع من جمعه نص قديم ، حتى تصبح معجماتنا غاية فى الصحة والابانة ، ومراجع صادقة للعربية .

وكان من الطبيعى — والضرورى — ان يعرض المجمع فى دراساته وقراراته لموضوع الفصيح والمولد . وأن يبت فيما دار من النقاش قديما وحديثا حول المولدين ، وما يمكن أن يحتج به من الألفاظ التى استعملوها ، فوضع فى هذا قرار فصل فيه بين ما يسوغ وما لا يسوغ من استعمالات المولدين .

ومن قرارات هذا الباب المهمة — وقد وضعناه فاتحة لها فى التصنيف — قرار الاستشهاد بالحديث فى اللغة ، وهو قرار له أثره البالغ فى افساح مجال البحث فى علوم اللغة ، وفى حسن الافادة من الثروة الضخمة التى تضمنتها كتب الحديث وغريبه ، فقد استند القدماء من علماء العربية — فى اثبات الألفاظ اللغوية وتقرير الاصول النحوية — الى القرآن المجيد وكلام العرب الخلص ، وجرى بينهم الخلاف فى الاحتجاج بما يروى من الأحاديث النبوية : ففريق لم يجيزوا الاستشهاد بها محتجين بأن الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، وبأن اللحن قد وقع كثيرا فيما يروى من الأحاديث . وفريق جوزوه محتجين بما انعقد عليه الاجماع من أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لهجة وأن الأحاديث أصح سندا مما ينقل من أشعار العرب ، وأن الأصل فى الحديث روايته على نحو ما سمع ، وأن أهم العلماء قد شددوا في ضبط الفاظ الحديث وتحرى نقله ، وقد عنى المجمع بأن يكون قراره فى هذا شاملا مفصلا قائما على تعرف الأوضاع الصحيحة لتراثنا الدينى واللغوى .

(2)

أما الباب الثانى من هذا التصنيف فقد ضم قرارات المجمع حول الترجمة والتعريب وكتابة الأعلام الأجنبية . وموضوع الترجمة والتعريب يتضمن جهازا من أجهزة اللغة فى زيادة ثروتها وتمكينها من التطور المخصب فى وسائل تعبيرها . ولهذا الموضوع جوانب متعددة ناقشها المجمع وفصل فيها : فهناك مصطلحات وضع لها العرب قديما ألفاظا عربية ، وأخرى عربوها ونطقوا بها على صورة حنفتها الكتب ومصطلحات جدت على المعرفة فى العصور الحديثة ، وهناك الطرق المختلفة بين البلاد العربية المعاصرة فى التعريب أو الترجمة ، ثم هناك طرائق اللغات الغربية فيما تضيف للألفاظ من صدور أو تلحق بها من كاسعات أو لواحق — تستمدها غالبا من اللغتين اليونانية واللاتينية — للدلالة على شبه أو مبالغة أو نقص أو سلب أو توليد أو قياس أو كشف أو امتزاج ، أو غير ذلك مما تحفل به مصطلحات العلوم فى العصر الحاضر . وقد أصدر المجمع فى كل هذا قرارات يسرت مهمة رجال العلم من العرب وهيات اللغة القومية للاضطلاع بوظيفتها فى تدريس العلوم فى الكليات والمعاهد العربية .

ان تعريب التعليم فى الجامعات قد ألقى على « مجمع اللغة العربية » عبئا كبيرا وأوحى اليه أن يخصص الشطر الأكبر من جهده ووقته فى لجانه وفى مجلسه ومؤتمره لاقرار مصطلحات العلم — من مترجم ومعرب وموضوع — والتنسيق فيها بين جهود الهيئات العلمية ، والعمل على توحيدها فى البلاد العربية جميعا . ولا يزال أمام المجمع فى هذا الباب مجال فسيح للعمل ، فالعلم الحديث يعدو عدوا فى تقدمه ، والمعارف والمخترعات فى ازدياد مطرد والامة العربية ماضية في نهضتها ، متطلعة الى أن تستعيد سابق مكانتها فى رقي المعارف البشرية مصممة على أن تعود لغتها — كما كانت فى القديم — فى طليعة اللغات الكبرى وفاء بمطالب العلم والفن والحياة .

(س)

ويتصل بموضوع التعريب كتابة الأعلام الأجنبية من تاريخية وجغرافية وغيرها ، وهذا الموضوع يثير جملة من المشكلات والمسائل : فللأمم المختلفة طرائقها في نطق

الأصوات والألفـاظ ، وقـد احتـك العرب فى القديـم بحضارات تأثروا فيها ودخل فى استعمالهم الكثير من الأعلام الأجنبية من يونانية ولاتينية وفارسية وغيرها ، وهم في حياتهم الحديثة دائبو الاحتكاك بالأمم المعاصرة من شرقية وغربية ، وحاجتهم اليوم الى تنظيم كتابـة الأعلام الاجنبية فى لغتهم تفوق حاجة أسلافهم فيها . لذلك عنى المجمع بأن يضع قواعد تسهل على المعربيـن تعريب الاعلام الأجنبيـة بما يقرب جرسهـا في اللغـة العربية من نطقها فى لغاتها الأصلية القديمة أو الحديثة وأقر ادخال حروف جديدة فى الأبجدية العربية يشـار بها الى الأصوات غير الموجودة فى لغة العرب .

(3)

والباب الثالث يحتوي شقه الاول على القرارات التي أراد بها المجمع اصدار معاجم حديثة متنوعة تسد حاجة مختلف طوائف النـاس والمثقفيـن ، كالمعجـم الوسيط والمعجم الكبير ومعجم ألفاظ القـرآن الكريـم ، ومعجم الثياب ، والمعجم العامى الصغير لتعليم الثانوى .

والشق الآخر من هذا البـاب يجمـع طائفة مـن التوجيهات الخاصة باختيار المصطلحات ، أو وضعهـا وتعريفها ، وتهيئتها للاستعمال العام . وهذه التوجيهات تدور كلها حول الربط بين قديم اللغة وجديدها ، والافادة مما ضمنته الكتب العربية القديمة من مصطلحات علمية وفنية وحضارية ، واستقاء العناصر المعبرة من ألفـاظ الحياة اليومية من البيئات التى تستعملهـا ، وعـرض الألفاظ والمصطلحات المختارة على البيئات العلمية وجمهرة الناس لترى فيها رأيها وتنقدها ، واشاعة الالفاظ التى يتم تمحيصها والموافقة عليها في دوائـر التعليم ، ومـن طريق الصحافة والاذاعة وغيرهما من وسائل الاعلام . وكثير من قرارات هذا الباب ينحو التوجيه للجان المجمع وخبرائه فيما يقومون به من جمع المصطلحات واختيارها وتعريفها وعرضها واعدادها لأن تأخذ أمكنتها فى مختلف المعاجم .

(4)

وتيسير النحو والصرف ، وتيسير الكتابة ، همـا موضوع الباب الرابع .

ففي تيسير النحو والصرف وجه المجمع عنايته الى الزاوية التعليمية ، وحدد لنفسه الهدف بأنه تيسير القواعد على صغار المتعلمين ، لا احداث أي تغيير فى جوهر اللغة وأوضاعها العامة .

(ق)

فكان مما أقره الاستغناء عن الصيـغ المألوفـة في أعراب المبنيات وفي اعـراب الاسـم الذي تقـدر عليه الحركات ، وكذلك الصيغ المألوفة فى الدلالة على العلامات التى تنوب عن الحركات الأصلية ، وعدم تكليف المبتدئين تقدير المتعلق العام للظرف وللجار والمجرور ، وعد كـل ما يذكر في الجملة غير المسند اليـه تكملة منصوبة (لا اذا كان مضافا اليه أو مسبوقا بحرف جر أو تابعا من التوابع) ، ورأي الاكتفاء فى اعراب المفاعيل (غيـر المفعول به) بذكر أغراضها جملة ، واختصار اعراب أساليب التعجيب والتحذير والاغراء ، مع توجيه العناية فى دراستها الى بيان معانيها وطرق استعمالها ، ثـم اختصار القدر الذى يدرس للمبتدئين من مسائـل علـم الصرف ، اذ أن أكثرها من بحوث فقـه اللغـة التى لا يحتاجها البادىء بل لا يصل اليها فهمه . وعلى ضوء من هذه المفاهيم أقر المجمع منهجا لأبواب النحو والصرف لتعليم تلاميذ المدارس ، ودعـا الى تأليف كتـاب على أساسه يعرض على مجلس المجمع لمواجهة واستكمال ما قد ينقصه .

وأما تيسير الكتابة فقد عالجه المجمع فى نـواح ثلاث :

الأولى : قواعد ضبط الهمزة وتنظيـم كتابتهـا . وطالما كانت الهمزة وكيف تكتب باختلاف مواقعها فى الكلمة مثار حيرة واضطراب بين المعلميـن والمتعلميـن وحملة الأقلام . وقد استقر رأي المجمع بعد محاولات متعددة على قواعد ميسرة لا تخرج على ما انتهى اليه أئمة العربية من رسوم في شأنها ، ولكنها تستخلص مما انتهوا اليه أقربه تناولا ، وأبعده عن تكليف الكاتبين ما يشق عليهم ملاحظته فى رسم الهمزة .

والناحية الثانية ناحية وضع الشكـل ، أو ضبط الكلمات بالحركات وقد كان هذا أيضا مدار اختلاف فيما تخرج المطابع من كتب التعليم ، فبينما يخلو بعضها من الشكل خلوا تاما ، يشكل بعضها شكلا كاملا ، ومـن الكتب ما يتفاوت فيه الشكل على غير نظام مرسوم تقتضى به الحاجة ويتحقق النفع . وفي علاج المجمع لهذه المشكلة وضع قواعد تنظيم ادخال الشكل فى الكتب المدرسيـة

مبينا ما يتبع فى كل مرحلة من مراحل التعليم . وقد أبلغت هذه القواعد وزارة التربية والتعليم فاقرت وضعها موضع التنفيذ .

والناحية الثالثة ناحية تيسير الكتابة ، وقد عنى المجمع بهذه الناحيــة عناية متصلــة منذ 1938 حتــى آتت ثمرتها بعد جهود مستمرة ومحاولات مختلفة والطريقة التى انتهى اليها المجمع أخيرا تقوم على أساس اختصار صور الحروف فى صندوق الطباعة مــع تنظيم صــور الهمزات وتعديل بعض صور الأرقام ، وهي طريقة تهبط بعد صور الحروف الى ما يقرب

(د)

من عدد الصور فى صندوق الحــروف الطباعيــة اللاتينية . ولم يكتف المجمع برسم الطريقة ، بل اتخــذ الوسائل لتجربتها ، فصنعت أصول الحروف المعدلة ، وألف كتابة بعنوان « تيسير الكتابة العربيــة » أخرجت المطبعة الأميرية مجموعا بهذه الطريقــة المختصــرة ، مادته مراحل دراسة الموضوع وبيان الطريقــة وصورته تطبيق لتلك الطريقة تطبيقا طباعيا تاما . والمنتظر الآن أن تعمد وزارة التربية والتعليم الى اخراج بعض الكتب المدرسية على هذا الأساس ، تمهيدا لتعليــم اختصــار الحروف فى الطباعة العربية على وجه عام .

وبعد ، فان هذا الكتاب بما ضم من قرارات علمية تربى على المائتين ، لا يمثل الا جانبا واحدا من جوانب مختلفة للأعمال المجمعية .

وقد حرصنا على أن نذيل كل قرار بتعيين موضعه من جلسات المجمع ودوراته ، رامزين للجلسة بحرف (ج) وللدورة بحرف (د) ثم نشير الى كل ما يتصل بالموضوع فى السابق واللاحق داخل المجمع ، على مدى الدورات الثماني والعشرين .

وقد اقتضى هذا العمل أن نطوف بأجزاء المجلــة الأربعة عشر ، ومجموعات محاضر الجلسات للمؤتمر والمجلس ، وهي تقارب خمسين مجلدا .

وسيرى القارىء اننا اقتصرنا على اثبات نصوص القرارات ، دون شرح وتمثيل . ولو أننا شرحنا كــل قرار ومثلنا له ، لبلغ حجم هذه المجموعة أضعافا مضاعفة، فما من قرار الا دار حوله من البحوث والمناقشات والأمثلة ما يستغرق الكثير من الصفحات ، ومــن القرارات مــا نوقش فى جلسات متعددة ، ومنها ما روجع فى غيــر دورة ومنها ما اتصلت به دراسات شتى فهذه القرارات وليدة اختمار الرأي ، وبما سبقه من نقاش ومراجعــة واستخلاص وترجيح .

وربما كان فى نص القرار اجمال واقتضاب ، ولكن ما ذيلناه به من الاشارة الى كل ما يناول موضوعه جدير أن يهدي الباحث الى ما يروي ظمأه من بيان وتفصيل .

ومبلغ رجائنا أن تتحقق بهذا الكتاب الغاية المرجوة منه ، وبالله التوفيق .

محمــد خلف اللــه احمــد
عضــو المجمــع

محمــد شوقــى أميــن
المحــرر الاول بالمجمــع

تصدير

بقلم الدكتور مدكور
الأمين العام للمجمع

درج المجمعيون على أن يعملوا في صمت ، وأن يتابعوا السير فى هدوء وروية مؤمنين بضرورة تطوير اللغة ومسايرتها لحاجات العصر ومقتضياته وموقنين بأن للزمن يدا كبرى فى هذا التطوير ويرون أنه لابد له من أن يحاط بقيود وضوابط خشية أن يعدى على تراث خالد أو أن تؤدى العجلة الى بلبلة واضطراب وهم فيما يضعون من قاعدة أو يتخذون من قرار انما ينشدون التيسير ، دون خروج على الأصول الثابتة ولا تجىء قراراتهم الا بعد بحث ودرس وأخذ ورد ، وتحرير وتمحيص على أنهم لا يترددون فى أن يعيدوا النظر فيها ان اقتضى الامر وكثيرا ما يقنعون بالحل الوسط والخطوة الهادئة لأن طبيعة اللغة تابى الطفرة وعامة الناطقين بها أميل الى المحافظة وأكثر استمساكا بالقديم والمألوف ولا جدوى من حل لا يعمل به .

وقد تنزع المناقشات اللغوية منزعا نظريا وتسمى عن قصد أكاديمية ولكن المجمعيين فى آرائهم واقتراحاتهم انما يعبرون عن صعاب عانوها وتجارب مروا بها ، فقراراتهم تواجه حاجة وتسد ضرورة . وكل همهم أن يلائموا بين الماضى والحاضر وأن ينهضوا باللغة نهضة حقة فهم يقيسون كما قاس الأوائل ويشتقون وينحتون ويضعون ألفاظا جديدة ويعربون ويحاولون ما في وسعهم أن يقيموا ذلك كله على أصول ومبادىء ، فيقعدون القواعد ويحكمون الشروط والضوابط .

ولقد توافر لمجمع اللغة العربية فى ثلاثين سنة الماضية جملة صالحة من القرارات التي تزيد على المائتين وهي تمس متن اللغة وتراكيبها وتتصل بنحوها وصرفها وتعالج مشكلات املائها وكتابتها ولا يكاد يعرفها الا القليل لانها لم تجمع ولم تنشر جملة واحدة وانما وزعت على مر السنين بين مجلة المجمع ومحاضره . وأبديت الرغبة غير فى جمعها ونشرها .

ل

وفى مرور ثلاثين عاما على قيام المجمع فرصة مواتية لاخراجها وأملنا كبير فى أن تلى هذه المجموعة مجموعات أخرى تسير على الدرب وتتابع ما يجد .

ونحن على يقين من أن فى نشرها ما يعين المؤلفين والمترجمين ويفتح آفاقا جديدة أمام الباحثين والدارسين وما أحوجنا فى نهضتنا اللغوية الحاضرة الى معالم نهتدى بها وحدود نقف عندها لاسيما وهي متشبعة الأطراف متعددة الجوانب يغذيها نشاط جم وانتاج متواصل وترعاها بيئات علمية فى مختلف العواصم العربية ولكل منها طابعه وشاريه وان التقت عند غاية واحدة وهدف مشترك ففى الرباط مثلا ترجمة وتعريب وفى دمشق نشر وتحقيق وفى بغداد عناية بالمصطلحات فى أحدث الصناعات والفنون وتحاول كلها أن تسير مع القاهرة جنبا لجنب فى سبيل تطويع اللغة وجعلها وافية بحاجات العلم والحضارة فى القرن العشرين .

وقد اضطلع باخراج هذه المجموعة الزميل الاستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع والاستاذ محمد شوقى أمين من قدامى المحررين . عكفا معا منذ عام تقريبا على مجلة المجمع ومحاضره وملفاته واخرجا منها القرارات العلمية التى اتخذت فى ثمان وعشرين دورة وما أدخل عليها من تعديل أخرجاها فى دقة وجمعاها فى عناية وعرضاها فى وضوح علقا عليها واشارا الى مظانها وصنفاها فى أربعة أبواب وقدما لها بمقدمة ايضاحية مستفيضة فجاءت محكمة الترتيب والتبويب سهلة المأخذ مستوفية لأدوات البحث العلمى .

وأنه لمجهود يذكر فيشكر وعمل نفعه كبير .

ابراهيم مدكور

الباب الأول فى :

أقيسة اللغة وأوضاعها العامة

الاحتجاج بلفظ الحديث

اختلف علماء العربية فى الاحتجاج بالأحاديث النبوية لجواز روايتها بالمعنى ولكثرة الأعاجم فى روايتها .

وقد رأى المجمع الاحتجاج ببعضها فى أحوال خاصة ، مبينة فيما يأتى :

1 ـ لا يحتج فى العربية بحديث لا يوجد فى الكتب المدونة فى الصدر الأول كالكتب الصحاح الست فما قبلها .

2 ـ يحتج بالحديث المدون فى هذه الكتب الآنفة الذكر ، على الوجه الآتى :

(أ) الأحاديث المتواترة والمشهورة .

(ب) الأحاديث التى تستعمل ألفاظها فى العبادات .

(ج) الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم .

(د) كتب النبي (صلى الله عليه وسلم) .

(هـ) الأحاديث المروية لبيان أنه كان (صلى الله عليه وسلم) يخاطب كل قوم بلغتهم .

(و) الأحاديث التى دونها من نشأ بين العرب الفصحاء .

(ز) الأحاديث التى عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل القاسم بن محمد ورجاء ابن حيوة وابن سيرين .

(ح) الأحاديث المروية من طرق متعددة ، وألفاظها واحدة .

التضمين

التضمين أن يؤدى فعل أو ما فى معناه فى التعبير مؤدى فعل آخر أو ما فى معناه فيعطى حكمه فى التعدية واللزوم .

و « مجمع اللغة العربية » يرى أنه قياسى لا سماعى ، بشروط ثلاثة :

الأولى ـ تحقق المناسبة بين الفعلين .

الثانى ـ وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس .

الثالث ـ ملائمة التضمين للذوق العربى .

ويوصى المجمع ألا يلجأ الى التضمين الا لغرض بلاغى .

المولد

المولد هو اللفظ الذى استعمله المولدون على غير استعمال العرب . وهو قسمان :

1 ـ قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز ، أو اشتقاق ، أو نحوهما كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك . وحكمه أنه عربى سائغ .

2 ـ وقسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب ، أما باستعمال لفظ أعجمى لم تعربه العرب . وقد أصدر المجمع فى شأن هذا النوع قراره (واما بتحريف فى اللفظ أو فى الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح . واما بوضع اللفظ ارتجالا) .

والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين فى فصيح الكلام .

الاشتقاق من أسماء الأعيان

اشتق العرب كثيرا من أسماء الأعيان

والمجمع يجيز هذا الاشتقاق ـ للضرورة ـ فى لغة العلوم .

ما يراعى عند الاشتقـاق من أسماء الاعيـان

يراعى عند الاشتقاق من أسماء الأعيان القواعـد التى سار عليها العرب .

النـحـت

يجوز النحت عندما تلجىء اليه الضرورة العلمية .

توهـم أصـالـة الحـرف

جرت بعض الكلمات العربية على مبدا توهم أصالة الحرف .

الأخذ بالقيـاس فى اللغـة

يؤخذ بمبدا القياس فى اللغة ، على نحو ما اقره المجمع سلفا مـن قواعد ، ويجـوز الاجتهاد فيهـا حتى توافرت شروطه .

تتبـع الالفـاظ والأساليب الشائعـة

(قرر المجمع) تتبع الالفاظ والأساليب الشائعـة ان فى الصحف والمجلات ، أو المسرح والاذاعة أو الرسائل والكتب واتخاذ قرارات فيها على الجمهور طبقا لقانـون المجمع ، فتسـد حاجة وتحقـق قسطا مـن التهذيب والاصلاح .

دراسـة الكلمـات الشائعـة

تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على السنة الناس ، على أن يراعى في هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ، ولم يعرف لها مرادف عربى سابق صالح للاستعمال .

قبـول السمـاع من المحدثيـن

يقبل السماع من المحدثين بشرط أن تدرس كـل كلمة حدتها قبل اقرارها .

دراسة الأصـوات والهجـات وتقييدهـا

نظرا الى أن من مهمات المجمع المنصوص عليهـا فى قانونه تنظيم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية ، ينشأ فى المجمع نظام لدراسة الأصوات واللهجات المختلفة وتقييدها بواسطـة « الأسطوانات » ونحوها مما أخرجته المخترعات الحديثة

دراسة اللهجات العربيـة واللهجات العامية

تدرس اللهجات العربية ، وتطبق عليها (القراءات) وفى أثناء هذه الدراسة تدرس اللهجات العامية ، ويـرد الصحيح منها الى أصوله فى اللغة العربية ، ويبين ما لا يمكن رده الى لهجة من اللهجات العربية .

تكملة فروع مادة لغوية لم تذكـر بقيتها

اذا لم تذكر من مادة لغوية في المعجمات ونحوهـا الا بعض الفاظها ، كالمصدر أو الفعل أو أحـد المشتقات الأخرى ، فلذلك حالان :

الأولى : أن تكون المادة غيـر ثلاثيـة الحروف ، وحينئذ يجوز لنا ان نصوغ منها ما لم يذكر على حسب قياس كل باب من أبواب مزيـد الثلاثى وبـاب الرباعى وملحقه ومزيده .

الثانية : أن تكون المادة ثلاثية ، والمذكور حينئـذ اما فعل ، واما مصدر ، واما مشتق من الفعل .

(ا) فان كان المذكور فعلا فهو اما متعد أو لازم ، فالمتعدى نصوغ لـه مصدرا على وزن « فعـل » بفتح فسكون ما لم يدل على حرفة .

واللازم أربع حالات :

1 ــ اما أن يكون على وزن (فعل) مكسور العين فنصوغ له مصدرا على (فعل) مفتوح العين ما لم يدل على لون ، فيصاغ مصدره حينئذ على وزن (فعلة) بضم فسكون .

2 ــ واما ان يكون على وزن (فعل) مضموم العين فنصوغ له مصدرا على (فعالة) أو (فعولة) بالضم .

3 ــ واما أن يكون على وزن (فعل) بفتح العين ، فنصوغ له مصدرا على (فعول) بالضم ما لم يدل على حرفة أو اضطراب أو صوت أو مرض ، فنصوغ مصدر كل منها على الوزن الذى قرر المجمع قياسيته فى دورته الأولى . وما لم يدل أيضا على سير أو امتناع فاننـا نصوغ للأول مصدرا (فعيـل) وللثانى مصدرا على (فعال) بالكسر ، وما لم يكـن معتـل العين ، فيكون قياسه (الفعل) بفتح فسكون .

4 ــ وأما أن يكون مجهول الباب فنرجعه بحسب ما يدل عليه من المعنى أو التعدية أو اللزوم الى باب من الأبواب المتقدمة ، ونصوغ له مصدرا مناسبا لهذا الباب .

(ب) واذا كـان المذكـور فى المعجمات ونحوهـا مصدرا .

1 ـ فاما الا يدل على سجية او حزن او فرح أو لون او عيب أو حلية او خلو او امتلاء أو خوف أو مرض على وزن (فعل) فيصاغ له من باب نصر او ضرب ، ما لم تكن عينه أو لامه حرف حلق فان بابه (فعل يفعل) .

2 ـ واما ان يدل المصدر على معنى من المعانى السابقة .

فان دل على سجية كان فعله على (فعل يفعل) والا كان الفعل من باب (فعل يفعل) .

(ج) واذا كان المذكور فى المعجمات ونحوها مشتقا غير فعل ، استدللنا على مصدره أو فعله بمعرفة ما يدل عليه هذا المشتق من المعانى والتعدية واللزوم .

وكل ما تقدم جائز ، ما لم ينص على أن الفعل ممات أو محظور ، وما لم يسمع عن العرب ما يخالفه فان سمع علمنا بالمسموع فقط ، أو علمنا بالمسموع أو القياس .

المصــدر الصناعــى

اذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء .

مصدر (فعالـة) للحرفة

يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثى مصدر على وزن (فعالة) بالكسر .

مصدر (فعـلان) للتقلب والاضطراب

يقاس المصدر على وزن (فعلان) لفعل اللازم مفتوح العين ، اذا دل على تقلب واضطراب .

مصدر (فعـال) للمـرض

يقاس من (فعل) اللازم المفتوح العين مصدر على وزن (فعال) للدلالة على المرض .

مصــدر (فعل) و (فعال للداء)

بما أن الضرورة العلمية فى وضـع المصطلحـات تقتضى استعمال صيغة (فعل) للـداء يجاز اشتقـاق (فعال) و (فعل) للدلالة على الداء سواء أورد له فعل أم لم يرد .

مصدر (فعال و (فعيل) للصوت

ان لم يرد فى اللغة مصدر (لفعل) اللازم مفتوح العين ، الدال على صوت يجوز أن يصاغ له قياسا مصدر على وزن (فعال) أو (فعيل) .

أخذ (تفعــال) للتكثير والمبالغة

يصح أخذ المصدر الذى على وزن (تفعال) مـن الفعل للدلالة على الكثرة والمبالغة .

أخذ (تفعال) مما ورد له فعل وما لم يرد

تصح صياغة (التفعال) للمبالغة والتكثير مما ورد فيه فعل ، طوعا لما أقره المجمع فى دورته العاشرة ، من قياسية صوغ مصدر من الفعـل على وزن (التفعـال) للدلالة على الكثرة والمبالغة وكذلك تصح صياغته مما لم يرد فيه فعل ، طوعا لما أقره المجمع فى دورته الأولى من جواز الاشتقاق من اسماء الأعيان للضرورة فى لغة العلوم .

أخذ (الافتعــال) للالتهاب

لا مانع من أن تكون صيغة (الافتعال) مشتقة من العضو قياسية معنى المطاوعة للاصابة بالالتهاب . وقد ورد قول الصرفيين (وافتعل للمطاوعة غالبا) وقد جعلها المجمع قياسية فيما كانت فيه فاء الفعل أحـد حـروف قولهم (ولنمر) ويرد فى اللغة (فعل) من العضو بمعنى أصابه فيقال كبده وعانه ورأسه .

أخذ التفاعل للمساواة والاشتراك والتماثـل

تتخذ صيغة (التفاعل) للدلالة على الاشتراك مع المساوة أو التماثل لتؤدى المصطلحات العلمية التى تتطلب هذا التعبير وقد نص الصرفيون على أن التفاعل قد يجيء للمشاركة والاتفاق على أصل الفعـل ، لا على معاملـة بعضهم بعضا بذلك كقول (علي) : (تعايا أهله بصفة ذاته) .

قياسية (مفعلة للمكان الذى يكثر فيه الشيء

تصاغ (مفعلة) قياسا من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذى تكثر فيه هذه الأعيان سواء أكانت من الحيوان أم من النبات أم من الجماد .

فى صوغ (مفعلة) من أسماء الأعيان

تصاغ (مفعلة) مما وسطه حرف علة من أسماء الأعيان باجازة التصحيح ، كما فى (متوتة) و (مخوخة) من التوت والخوخ .

جواز (مفعلة) للدلالة على الفاعلية

فى قواعد اللغة صيغ للدلالة على (الفاعلية) الى جانب اسم الفاعل ، فهناك اسم الآلة وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واذ عرض من المصطلحات ما لا تغنى فيه احدى هذه الصيغ لمعنى الفاعلية ورئى أن صيغة (مفعلة) ادق من الدلالة عليه بخصوصه ، فلا مانع من نظر المجمع فى المصطلح المقترح بهذه الصيغة . أما اتخاذ صوغ (مفعلة) قاعدة عامة الدلالة على الفاعلية ، فلا ضرورة لاطلاقه .

صيغ اسم الآلة

يصاغ قياسا من الفعل الثلاثى على وزن (مفعل) و (مفعلة) للدلالة على الآلة التى يعالج بها الشيء .

ويوصى المجمع باتباع صيغ المسموع من أسماء الآلات ، فاذا لم يسمع وزن منها الفعل جاز ان يصاغ من أي وزن من الأوزان الثلاثة المتقدمة .

صحه صوغ (فعالة) اسما للآلة

صيغة (فعال) فى العربية من صيغ المبالغة ، واستعملت ايضا بمعنى النسب او صاحب الحدث ، وعلى الأخص الحرف فقالوا نجار و خباز و نساك .

ومن أسلوب العرب اسناد الفعل الى ما يلابس الفاعل . زمانه أو مكانه أو آلته فقالوا . نهر جار ويوم صائم وليل ساهر وعيشة راضية .

وعلى ذلك يكون استعمال صيغة (فعالة) اسما استعمالا عربيا صحيحا .

صوغ (فعال) للصانع ، والنسبة بالياء لغيره

يصاغ (فعال) قياسا للدلالة على الاحتراف ، أو ملازمة الشيء .

فاذا خيف لبس بين صانع الشيء وملازمه ، كانت صيغة (فعال) للصانع وكان النسب بالياء لغيره ، فيقال (زجاج) لصانع الزجاج (زجاجى) لبائعه .

صوغ (فعال) للمبالغة من اللازم والمعتدى

يصاغ (فعال) للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثى اللازم والمعتدى .

زيادة الميم للضخامة

زيادة الميم للمبالغة سماعية ، كما يستظهر مما قاله الصرفيون . ولا بأس بزيادة الميم عند الضرورة لافادة الضخامة أو السعة .

مطاوع (فعل) الثلاثى

كل فعل ثلاثى ممتد دال على معالجة حسية فمطاوعة القياسى (انفعل) ما لم تكن فاء الفعل واوا أو لاما أو نونا أو ميما أو راء ويجمعها قولك : (ولنمر) فالقياسى فيه (افتعل) .

مطاوع (فعل) بالتشديد

قياس المطاوعة (لفعل) مضعف العين (تفعل) والأغلب فيما ضعف للتعدية فقط أن يكون مطاوعة ثلاثية .

مطاوع (فاعل)

(فاعل) الذى اريد به وصف مفعوله باصل مصدره مثل : باعدته يكون قياس مطاوعه : (تفاعل) كتباعد .

مطاوع (فعلل)

(فعلل) وما ألحق به قياس المطاوعة منه على (تفعلل) نحو : دحرجته فتدحرج وجلببته فتجلبب .

قياسية (استفعل) للطلب والصيرورة

يرى المجمع ان صيغة (استفعل) قياسية لافادة الطلب أو الصيرورة .

قياسية الغالب من جموع التكسير

1 ـ الألفاظ الدالة على الاطراد :

يرى المجمع ان الكلمات التى يستعملها قدامى النحويين والصرفيين ، وهي القياس ، والاصل والمطرد والغالب والأكثر والكثير والباب والقاعدة ـ الفاظ متساوية فى الدلالة على ما ينقاس ، وأن استعمال كلمة منها فى كتبهم يسوغ للمحدثين من المؤلفين وغيرهم قياس ما لم يسمع على ما سمع وأن المقيس على كلام العرب هو من كلام العرب .

2 ـ جمع الكلمات التى لم تسمع جموعها

يرى المجمع ان الكلمة التى لم يسمع لها جمع فى اللغة يختار لها صيغة جمع القلة الذى يطرد فى وزنها واذا وجد لها صيغتان لجمع الكثرة مع التساوي في القوة ، اختيرا معا . وعند التفاوت فى القوة يختار جمع واحد هو اقواها ، ويكفى بجمع واحد فى المصطلحات العلمية أيا كان .

1	2
3 – قياس جمع الاسم الثلاثى المجرد من تاء التانيث : ق	ك
يجمع (فعل) الصحيح العين مثل : كلب وكعب على : أفعل	فعال أو فعول
يجمع (فعل) المعتل العين كعين ، وفعل كجسم وفعل كبرد ، على : أفعال	فعول
يجمع فعل كجبل وأسد ، على : أفعال	فعال
يجمع فعل كعضد ، وفعل ككتف ، وفعل كعنب ، وفعل كابل ، وفعل كعنق ، على : افعال مطلقا	
يجمع فعل كصرد على : فعلان مطلقا	

تنبيه – يكثر فى باب تاج وعود : فعلان وفى باب خص : فعال ويلزم باب مدد وعدد (افعال) فقط ولا يجمع نحو : ثوب وريح على (فعول) ، ولا نحو : سيل على (فعال) .

1	2
4 – قياس جمع الاسم الثلاثى المزيد بتاء التأنيث : ق	ك
تجمع فعلة كقصعة وجفنة وروضة وضيعة وفعلة كرقبة على :	
تجمع فعلة كغرفة ، وفعلة كتخمة وتهمة على : فعلات	فعل
تجمع ككسرة وفعلة كمعدة على : فعلات	فعل

تنبيهان :

(1) المعتل اللازم مثل : قناة وقطاة لا يجمع الا بالتجرد من التاء أو جمع سلامة :

(2) لا يجمع يائى اللام من نحو كلية بالضم ، ولا واويهن من نحو رشوة بالكسر جمع سلامة الا مع تسكين العين .

5 – قياس الوصف الثلاثى :

تكسير الصفة الثلاثية ضعيف : فاذا احتيج الى جمع صفة ثلاثية لم يذكر لها جمع فى المعجمات اقتصر على جمعها جمع سلامة بالواو والنون أو الياء والنون للمذكر العاقل ، وبالألف والتاء للمؤنث مطلقا وللمذكر غير العاقل .

6 – جمع الاسم الرباعي الذي ثالثه حرف مد زائد :

يجمع فعال كزمان ، وفعال كحمار وازار وفعيل كتضيب ورغيف على (ق) أفعلة (ك) وفعل (فعلان ايضا في باب فعيل) .

يجمع فعول كعمود (مذكرا) على (ق) افعلة (ك) فعل وفعلان .

يجمع المؤنث المعنوى منها (كعناق وذراع) على أفعل .

يجمع المؤنث منها بالتاء بالألف والتاء ، وعلى فعائل أيضا .

تنبيهان :

(1) لم يجىء (فعل) فى المضاعف ، ولا فى المعتل اللام واقتصروا فيهما على بناء القلة كاعنة واكسية وأخونة .

(2) يقلب مد المؤنث الزائد الثالث همزة فى فعائل ، والأصلى يبقى .

7 – جمع الصفة الرباعية التى ثالثها حرف زائد :

يجمع فعيل – الذى بمعنى فاعل – ككريم ، وفعال كشجاع ، على فعلاء وفعال .

تجميع فعيلة : التى بمعنى فاعل – على : فعال وفعائل .

يجمع فعيل بمعنى فاعل المضاعف كشديد ، والمعتل اللام ، كنبي وزكي ، على افعلاء .

يجمع فعيل المعتل العين كطويل وطويلة على فعال ، وفعائل أيضا للمؤنث فقط .

يجمع فعيل كجريح بمعنى مفعول من كل حي مصاب بمكروه ، على : فعلي

يجمع فعول كعطوف بمعنى فاعل (مذكرا ومؤنثا) على فعل وأيضا فعائل للمؤنث فقط .

يجمع فعال كجبان ورداح بمعنى فاعل (مذكرا ومؤنثا) على فعل وفعلاء .

يجمع فعال كهجان وكناز بمعنى فاعل (مذكرا

ومؤنثا) على فعل وأيضا فعائل للمؤنث فقط .

تنبيه ـ لا تلحق التاء الفارقة فعيلا بمعنى مفعول ، ولا فعول بمعنى فاعل ، ولا فعالا بمعنى فاعل ، ولا تجمع هذه الصيغ جمع سلامة وجبانة شاذ .

8 ـ جمع الرباعي بزيادة الف فاعل وفاعلاء :

يجمع فاعل اسما ككامل وحاجب ، وفاعل كخاتم وطابع ، على : فواعل

يجمع فاعل وصفا غير المعتل اللام على : فعل

يجمع فاعل وصفا معتل اللام على : فعلة وفعال

يجمع فاعل وفاعلة للمؤنث والمذكر ما لا يعقل على : فواعل وفعل

تنبيه ـ تجمع فاعلاء على : فواعل

9 ـ جمع المؤنث بالألف رابعة أو خامسة مقصورة أو ممدودة :

فعلاء مؤنث أفعل كحمراء وفعلى مؤنث أفعل مثل : الكبرى ، تجمع الاولى باطراد على فعل والثانية على فعل . أما ما عدا ذلك من الاسماء أو الصفات المختومة بالف التأنيث رابعة أو خامسة مقصورة أو ممدودة ـ فيجمع جمع سلامة .

10 ـ جمع فعلان

يجمع فعلان اسما (غير علم مر بحل) مطلق الفاء على (فعالين) كسلطان وسلاطين .

يجمع فعلان فعلى ، وفعلان فعلانة على فعالى وفعال ولا يجمع أولهما جمع سلامة .

11 ـ الصيغ التى يرجع بها جمع السلامة .

هي : فيعل (المعتل العين) كبيع وسيد وقيم . وصيغ المبالغة التى لا يستوى فيها المذكر والمؤنث ـ كفعال وفعيل ، واسم الفاعل واسم المفعول المبدوءان بميم (مذكرات ومؤنثات) .

12 ـ جمع الرباعي غير ما تقدم

يجمع الرباعي هو والملحق به على صيغة منتهى الجموع (فعلل وشبهه) وتلحق آخره التاء اذا كان اعجميا أو منسوبا .

واذا لحقه حرف لين رابع مع أربعة أصول ، جمع على (فعاليل) وشبهه .

13 ـ جمع الخماسي

كل خماسي اسما او صفة ، جمع للمذكر والمؤنث .

14 ـ اسم الجنس الجمعي .

يجمع الاسم المفرد الدال على الجنس المختوم بتاء الوحدة ، على أي وزن بالألف والتاء ويجمع أيضا بتجريده من التاء ، بشرط أن يكون من المخلوقات لا المصنوعات بيد الانسان . فيعتبره نحويو البصرة اسم جنس جمعي وليس بجمع . ويعتبره نحويو الكوفيين واللغويون جمعا .

تنبيه ـ ظاهر كلام الزمخشري في المفصل وصريح كلام شيخ الاسلام زكريا الانصاري أنه قياسي وصريح كلام ابن الحاجب في الشافية انه غالب وصريح كلام الجار بردي أنه قريب من المطرد .

جواز النسبة الى جمع التكسير

المذهب البصري في النسب الى جمع التكسير ان يرد الى واحده ، ثم ينسب الى هذا الواحد . ويرى المجمع أن ينسب الى لفظ الجمع عند الحاجة ، كارادة التمييز أو نحو ذلك .

قياسية جمع الجمع

جمع الجمع مقيس عند الحاجة

جواز جمع المصدر

يجوز جمع المصدر ، عندما تختلف أنواعه .

قياسية (فعل) للتكثير والمبالغة

فعل المضعف مقيس للتكثير والمبالغة .

قياسية التعدية بالهمزة

يرى المجمع أن تعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة قياسية .

وصف (جمع) غير العاقل بفعلاء

يجوز وصف غير العاقل بصيغة (فعلاء) الى جانب الصيغ الأخرى التى يستسيغها الذوق العربي .

جواز دخول (أل) على حرف النفي

يجوز دخول (أل) على حرف النفي المتصل بالاسم ، واستعماله في لغة العلم مثل « اللا هوائي »

اباحة المد عند التقاء الساكنين أو زيادة موضع الاغتفار التقاء الساكنين

لا حرج على من يدفع اللبس بمد عند التقاء

الساكنين فى مثل قولهم :
اجتمع مندوبو العراق بمندوبى الأردن .

قراءة الأعداد المركبة

فى قراءة الأعداد المركبة مع المائة يجوز الأمران على السواء . عطف الأقل على الأكثر نحو أحد ومائة وعطف الأكثر على الأقل نحو مائة واحد ، وان كان الأرجح عطف الأكثر على الأقل بالقراءة من اليمين الى اليسار ، اتباعا لما ورد فى كتب النحو .

جواز موافقة العدد لمعدوده

من اراد فى الكتابة العلمية أن يتلافى الصعوبة فى مراعاة قواعد العدد من ناحية مخالفة العدد لمعدوده تنكيرا وتأنيثا ، جاز له استعمال كلتا الصورتين اذا قدم المعدود على العدد ، وكان اسم العدد صفة .

فى استعمال أسماء الشهور

1 ـ فى (مصر) يذكر رقم اليوم ويليه اسم الشهور الرومي مصحوبا باسم الشهور السرياني بين حاصرتين ، وفى (سورية يذكر رقم اليوم ويليه اسم الشهر السريانى مصحوبا باسم الشهور الرومي بين حاصرتين .

2 ـ يحتفظ باستعمال التقويم الهجرى لارتباطه بالمناسبات الدينية .

3 ـ يحتفظ فى (مصر) بالتقويم القبطى لارتباطه بمواسم الزراعة فيه .

الباب الثانى

أ ـ فى الترجمة والتعريب وكتابة الأعلام الأجنبية .

تفضيل الكلمة على الكلمتين

تفضل الكلمة الواحدة على كلمتين فاكثر ، عند وضع اصطلاح جديد اذا أمكن ذلك واذا لم يمكن ذلك تفضل الترجمة الحرفية .

ترجمة صيغ الكشف والقياس والرسم

تلتزم صيغة واحدة تجرى عليها كلمات الجنس الواحد ، فما يراد به الكشف وضعنا له صيغة (مفعال) Scope وما يراد به القياس وضعنا له صيغة (مفعل) Meter وما يراد به الرسم وضعنا له صيغة (مفعلة) .

ترجمة الصدر a or an بـ (لا)

فى ترجمة الصدر a or an الذى يدل على معنى النفي هل يترجم بكلمة (عدم) أو (لا) تقرر وضع كلمة (لا) النافية مركبة مع الكلمة المطلوبة فيقال مثلا :

اللاجفن ، مقابلا لـ ablepharia
واللامقلة ، مقابلا لـ Anophthalmus

ترجمة الصدر Hyper بـ (فرط)

تقرر أن يترجم الصدر hyper بكلمة (فرط) فيقال مثلا (فرط الحاسية) مقابلا لـ Hypersensitivebess

ترجمة الصدر Hyper بـ (فرط)

ترجمة الصدر Hypo بـ (هبط)

فى ترجمة المصطلحات الأجنبية المبدوءة بالصدر hyper تستعمل كلمة (فرط) مقابل له ، والمبدوءة بالصدر Hypo تستعمل فى مقابلة كلمة (هبط) .

ترجمة الكلمات المنتهية بالكاسعة (Scope)

الكلمات الاجنبية المنتهية بالكاسعة (Scope) ينظر في معناها فان استطعنا أن نشتق منه اسم آلة على وزن (مفعال) فعلنا ، وتضاف ياء النسب الى المشتقات منه ، وان لم يمكن اشتقاق اسم آلة من المعنى أو حالت دون ذلك صعوبات اخرى ، وضع لاسم الآلة لفظ (مكشاف) مضافا الى عمل الآية وتكون المشتقات بالنسب الى المضاف اليه اولا ، ثم المضاف .

ترجمة الكلمات المنتهية بالكاسعة (Able)

تترجم الكلمات المنتهية بـ (Able) الفعل المضارع المبنى للمجهول ، ويترجم الاسم منها بالمصدر الصناعى ، فيقال (يذاب) و (يؤكل) و (لا يذاب) و (يؤكل) ، ويقال (المذوبية و المأكولية) .

ترجمة الكاسعة GEN بكلمة (مولدة)

تقرر ترجمة الكاسعة Gen بكلمة (مولدة) فيقال (مولدة المرسب) . و (مولدة المضاد) مقابلا بهما (Antigen) (precipitinogen)

ترجمة الكاسعة Oid بكلمة (شبه)

تترجم الكاسعة oid بكلمة (شبه) فيقال (شبه غرائى) و (شبه مخاطى) و (شبه ظهارى) مقابلا بها : (Epithelioid) (mucoid) (Colooid)

ترجمة الكاسعة oid بالنسب مع الألف والنون

كل كلمة أجنبية فيها الكاسعة oid التى تدل على التشبيه والتنظير تترجم فى الاصطلاحات العلمية بالنسب مع الألف والنون مثل : غروانى ، وسمسمانى ، فيما يشبه الغراء والسمسم .

ترجمة الكواسع oid و form و like بالنسب مع الألف والنون

تستعمل صيغة النسب مع الألف والنون فى كل

الاصطلاحات الطبية التى تنتهى الكلمة الافرنجية منها بحروف : (oid) form او أو like ما لم يتناف هذا الاستعمال مع الذوق العربى

الحروف العربية لرموز العناصر الكيمائية

تتخذ الحروف العربية أساسا لترجمة رموز العناصر الكيمائية على أن يترك للمختصين اختيار الحروف التى ترمز لكل عنصر ، و (للمؤتمر العلمى العربى) أن يبت فيها برأيه .

ب ـ فى التعريب

يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية ـ عند الضرورة ـ على طريقة العرب فى تعريبهم .

تفضيل العربى على المعرب

يفضل اللفظ العربى على المعرب القديم ، الا اذا اشتهر المعرب .

النطق بالمعرب كما عربته العرب

ينطق بالاسم المعرب على الصورة التى نطقت بها العرب .

الموسيقا

تذكيرها وتانيثها ، وكتابتها بالألف أو الياء

من حيث تذكيرلفظ الموسيقا وتانيثه يجوز الوجهان : التذكير على معنى العلم أو الفن والتانيث على معنى الصناعة .

ومن حيث كتابتها ، تكتب مفتوحة القاف بالألف ومكسورة القاف بالياء .

الكهربا والكهربية ، والنسبة اليهما

تطلق كهربا بالقصر على الجسم وتسمى القوة المتولدة أو القوة الكامنة بالكهربية ، وتكون النسبة الى الكهربية كهربيا كما يقال فى النسبة الى الشافعى شافعى .

فى النسب الى كيمياء

يقال فى النسب الى كلمة كيمياء : كيمياوى ، وكيماوى .

فى تعريب أسماء العناصر الكيميائية

عند تعريب اسماء العناصر الكيميائية التى تنتهى بالمقطع (ium) يعرب هذا المقطع بـ (يوم) ما لم يكن لاسم العنصر تعريب أو ترجمة شائعة ، فيعرب منتهيا بالمقطع (يوم) الى جانب تعريبه الشائع .

فى تعريب أصناف المواليد

1 ـ ترجمة الألفاظ العلمية بمعانيها هو المجال الأوسع فى حلقات التصنيف وهي الشعب phylum (Embranchement fr.) والطواف Class (Classe) والرتب (Order) (Ordre)

2 ـ اسماء الفصائل (famille fr.) والقبائل Tribe (tribu fr.) تكون عربية أو معربة على حسب اسم النبات الذى تنسب اليه .

3 ـ أجناس المواليد التى ليس لها أسماء عربية تعرب أسماؤها العلمية ، اذا كانت منسوبة الى اعلام ، وتترجم بمعانيها اذا أمكنت ترجمتها فى كلمة عربية واحدة سائغة ، وان لم يكن ذلك ممكنا رجح تعريبها .

4 ـ لا مجال للتعريب في الألفاظ العلمية الدالة على أنواع النبات لأن جميع هذه الألفاظ او معظمها نعوت أو صفات أو منسوبات الى اعلام تترجم فى جميع اللغات الحية .

5 ـ يوجد مجال للترجمة وللتعريب جميعا فى الألفاظ الدالة على السلالات : Strain (souche fr.) وعلى الأصناف (الضروب) Variety (Variètè)

6 ـ لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجى فى تصنيف المواليد ، ولا حاجة اليهما .

7 ـ تجمع أسماء الشعب (Phylum) (embranchement) والطوائف class (classe) والرتب Order ordre جمعا مؤنثا سالما (بالالف والتاء) وتجمع أسماء الفصائل famille (family) والقبائل Tribu fr. بالتاء المربوطة .

فى رسم الألفاظ المعربة

1 ـ يرجح أسهل نطق فى رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها فى اللغات الأجنبية .

2 ـ يرسم حرف اللاتينى فى الكلمات التى يعربها المجمع جيما وغينا .

3 ـ ترجح كتابة الكلمات الأجنبية التى يعربها المجمع مما ينتهى بالحرف A أو بالكاسعة (Gie) الدالة على العلم بتاء فى آخرها .

4 ـ الكلمات العربية التى نقلت الى اللغات الأجنبية

وحرفت تعود الى أصلها العربى اذا ما نقلت الى العربية مرة أخرى .

ت ـ في كتابة الأعلام الأجنبية
قرارات كتابة الأعلام الأعجمية بحروف عربية

(1) يكتب العلم الافرنجي الذي يكتب في الأصل بحروف لاطينية بحسب نطقه في اللغة الافرنجية ومعه اللفظ الافرنجي لاطينية بين قوسين في البحوث والكتب العلمية ، على حسب ما يقره المجمع في شأن كتابة الأصوات اللاطينية التي لا نظير لها في العربية ، مثل : بوردو Bordeaux

(2) تكتب الأعلام الأخرى التي ترسم بغير الحروف اللاطينية والعربية بحسب النطق بها في لغتها الأصلية ، أي كما ينطق بها أهلها لا كما تكتب ، مع مراعاة ما يأتي من القواعد ، مثل : روتم Wrotham

3 ـ جميع المعربات القديمة من أسماء البلدان والممالك والأشخاص المشهورين في التاريخ التي ذكرت في الكتب العرب يحافظ عليها كما نطق بها قديما . ويجوز أن تذكر الأسماء الحديثة التي شاعت بين قوسين واذا اختلف العرب في نطقين رجح اشهرهما .

4 ـ أسماء البلدان والأعلام الأجنبية التي اشتهرت حديثا بنطق خاص وصيغة خاصة مثل باريس والانجليز وانجلترا وفرنسا وغير ذلك . تبقى كما اشتهرت نطقا وكتابة .

5 ـ الأعلام القديمة ، يونانية ولاطينية ينظر في وضع قواعد خاصة بها .

6 ـ الأعلام السامية القديمة التي تكتب بحروف الهجاء الخاصة بها ينظر في وضع قواعد خاصة بها .

7 ـ بعض القبائل والبلاد الاسلامية لها لغة خاصة لا يستعملونها غالبا في الكتابة وانما يكتبون باللغة العربية ولكن لهم أعلاما بعض أصواتها لا يطابق الحروف العربية ، وقد وضعوا لها اشارات لتأدية هذا النطق وفي بعض الأحيان تكون الاشارات متعددة للصوت الواحد ، فرأى المجمع أن يختار أحد هذه الاصطلاحات في كتابة هذه الأعلام .

وقد وافق المجمع على كتابة الحرف (جاف) كافا بثلاث فقط .

8 ـ الأعلام الأجنبية النصرانية الواردة في كتب التاريخ تكتب كما عربها نصارى الشرق فمثلا يقال بطرس في Peter ويقطر Victor وبولس في Paul ويعقوب في Jacob وأيوب في Job وهكذا .

9 ـ قبل المجمع ادخال الحروف الآتية :

پ ليقابل (P) وچ وينطق تش ليقابل الحرف المركب CH[1] و ژ وينطق جى ليقابل الحرف (J) و گ وينطق (جاف) ليقابل الحرف (G)[2] ليشار به الى الأصوات غير الموجودة في اللغة العربية وانما اختيرت هذه الحروف لتداولها في اللغات الفارسية والتركية والهندية والملاوية .

10 ـ قبل المجمع ان يكتب الحرف V ڤ فاء بثلاث نقط .

11 ـ اللغات التي لا تزال تكتب بالحروف العربية ولكن فيها أصواتا ليس لها حروف عربية ولهذه الأصوات في كتابتها حروف خاصة اصطلح عليها كالفارسية والملاوية والهندية والتركية في الحكم العثماني ، رأى المجمع بشأنها أن تدرس هذه المصطلحات وتتخذ لها الحروف التي وضعها لها أهلها ويستثنى من هذا القرار ما يأتي :

(أ) أن الحرف انج في لغة الملايو يرسم في العربية نونا وجافا (نگ) وهو يرسم في لغة الملايو (ڠ) فمثلا فلمبنج أسم مدينة ملاوية يرسم في العربية هكذا : بنمبنك .

(ب) الحرف الهندى المرسوم دالا بأربع نقط فوقها وينطق به بين الراء والضاد يكتفى بكتابته دالا عربية . وكذلك الراء التي فوقها طاء أو أربع نقط يكتفى بكتابتها راء عربية .

(ج) في بلاد الصحراء الغربية وبلاد الملايو :
الأعلام الجغرافية المنتهية بحرف مفتوح تختتم بالتاء المربوطة اذا عربها العرب كذلك ، مثل ولات فيقال ولاته ، ويقال مندره أما الأعلام التي لم يعربها العرب فتبدل فيها الفتحة ألفا .

12 ـ يكتب الصوت المقابل الحرف (o) وما يشابهه واوا اذا كان الصوت ممدودا مثل (Hood) (Wood)

أما اذا كانت الواو مائلة الى الألف مثل (Rome) (Home) (Slaughter) فانها تكتب واوا

ايضا وتوضع علامة قصيرة كالألف على الحرف السابق للواو .

13 ـ حرف الانجليزى يكتب الفا واذا كان فى أول الكلمة كتب ألفا عليها همزة والحروف الانجليزية yle وكل ما أشبهها فى النطق تكتب بالعربية ياء ، واذا كان الحرف ممالا فى اللغة الأجنبية ، وضعت الف قصيرة قبل الياء لتدل على انه ممال . ويكتب الحرف المشم فى الفرنسية أو غيرها واوا ، ويرسم على حرف العلة علامة كالرقم 8 مثل كوته

14 ـ فيما يتعلق بالامالة رأى المجمع ان توضع علامة أشبه بالمدة الرأسية للدلالة على هذا الصوت كما فى Seine مثلا فيكتب (سين) .

15 ـ يكتب الحرف ou كما ينطق به اهل كل لغة فانه فى الألمانية ينطق ياء كما فى يينا jema وفى الأسبانية خاء كما فى موخاكار mojacar وهكذا

16 ـ رأى المجمع أن توضع علامتان للدلالة على حرف ou المخففين والمثل على الأول العلم Jean de فيكتب فى العربية (ران ده لوس) وعلى حرف العلة ما يشبه الرقم 7 للدلالة على هذا الصوت والثانية كما في gœthe فيكتب في العربية (كوتـه) وعلى الـواو علامة تشبه الرقم 8 .

قرارات كتابة الأعـلام اليونانية واللاطينيـة بحـروف عربيـة

القاعـدة الأولـى
فى الابتداء بالساكـن

1 ـ الأسماء اليونانية واللاطينية التى تبدأ بحرف ساكن يزاد همزة قطع مكسورة في أولها الا ما عرب قديما فيحافظ عليه كما نطق به العرب .

أما اذا كان المقطع الثانى من الاسم المراد تعريبه محركا بالضم مقصورا كان أو ممدودا فيحـرك الحرف الأول بالضمة .

1) عدل المجمع عن هذا فى دور الانعقاد الخامس وقرر أن يكتب (ch) تاء وشينا (تش) فى الأسماء الأوربية (ج) جيما بثلاث نقط فى أسماء البلاد الاسلامية التى تستعمـل هـذا الحرف وفـق مـا ورد فى الكتب الجغرافية القديمة (جلسة 19 : دورة 5) .

2) عدل المجمع عن هذا فى دور الانعقاد الخامس وقرر أن يكتب الحرف (G) جيما عربية أي معطشة (جلسة 19 : دورة 5) .

القـاعـدة الثـانيـة

2 ـ فى الحرف A وما يتركب معه ويقابل فى اليونانية الحرف ألفا A

1) اذا كان الحـرف A فى أول الاسـم يرسم همزة .

2) واذا كان فى وسط الاسم وبعده حرف ساكن يفتح ما قبله .

3) أما اذا كانت الياء مشددة ، فيرسم ما بعدهـا تاء مربوطة .

4) واذا كان ما بعده متحركا او في نهاية الاسم ، يرسم الفا لينة .

أمـا الحرفـان AE أو AI (فـى اليونانية) .

(أ) يرسمان فى أول الاسم همزة مكسـورة أو همزة بعدها ياء فى أول الاسم .

ب) ويرسمان (ياء) فى وسط الاسم ، والفا فى آخره ، الا فيما عربه العرب .

اما الحرفان AO و AJ (ويقابلهمـا فى اليونانية ao و av او aw فيرسمان الفا مضمومة فقط ، او ألفا مفتوحة بعدها واو سواء كانا فى أول الاسم أم فى وسطه .

استثناءات مـن القاعدة الثانيـة

لهذه القاعدة استثناءات مبنية على عرف العرب فيما مضى فمثلا رسم العرب الحرفييـن AO الفـا للتخفيف مثل laodicea فقالوا اللاذقية ، ورسموا الحرف A عينا مثل عسقلان Ascalon وهذا يسمع فقط ولكن لا يقاس عليه .

القـاعـدة الثـالثـة :

3 ـ فى الحرف G أو K ويقابله فى اليونانية الحرف كيا X يكتب هذا الحرف سواء أورد فى اسم يونانى أم لاطينى ، قافا فى التعريب .

القـاعـدة الـرابعـة :

4 ـ فى الحرف ch ويقابله فى اليونانية الحرف

خى (X) يكتب هذا الحرف ، سواء أورد فى اسم يونانى أم لاطينى ، خاء فى التعريب .

القاعدة الخامسة :

5 ــ فى الحرف D ويقابله فى اليونانية حرف دلتا . (O) يرسم هذا الحرف دالا مهملة فى الأسماء اليونانية واللاطينية الأصل ، الا فيما عربه العرب بالذال المعجمة قديما .

القاعدة السادسة :

فى الحرف E) حين يقابله فى اليونانية حرف أبسلون (44) .

(1) يرسم همزة مفتوحة ، اذا كان فى أول الكلمة .

(2) ويرسم ألفا لينة اذا ورد فى وسط الاسم وعليه نبرة نطقية .

(3) ويفتح ما قبله . فقط ، اذا كان بغير نبرة .

أما حرف e فى الأعلام اللاطينية حين يقابلها فى اليونانية حرف اتيا Rl فقد يرسم هذا الحرف فى آخر الاسم (ية) فى العربية .

القاعدة السابعة :

7 ــ فى الحرف المركب (EU)

(1) يرسم هذا الحرف همزة مضمونة فقط أو همزة بعدها واو ، اذا ورد فى أول الاسم ويرسم واوا اذا ورد فى وسط الاسم ، أو فى آخره .

القاعدة الثامنة :

8 ــ فى الحرف (F) ويقابله فى اليونانية فى (O) هذا الحرف يقابله فى العربية (ف) .

القاعدة التاسعة :

9 ــ فى الحرف (G) ويقابله فى اليونانية الحرف غما (V)

يرسم هذا الحرف غينا الا فيما عربه العرب بالجيم .

واذا كان مشددا قلبت الجيم الأولى (نونا) وكذلك اذا جاء بعده حرف كبا (K) او حرف خى (X)

القاعدة العاشرة :

10 ــ فى الحرف H اللاطينى وما يقابله فى اليونانية وهي علامة توضع أمام حرف العلة يرسم هذا الحرف هاء عربية اذا ورد فى أول الاسم ، الا فيما عربه العرب بالألف .

القاعدة الحادية عشرة :

11 ــ فى الحرف (I) ويقابله حرف يوتا اليونانى (I)

(1) فى أول الاسم ، يرسم همزة مكسورة فقط أو همزة بعدها ياء .

(2) وفى وسط الاسم يمثل له بكسرة تحت الحرف الذى قبله ، أو بياء .

القاعدة الثانية عشرة :

12 ــ فى حرف (J)

وهو حديث فى اللغات الأوربية أضيف اليها فى القرن الرابع عشر ، ولم يعم استعماله فيها قبل أواسط القرن السابع عشر ، ولم يكن فرق بينه وبين الحرف (I) فى أول الأمر ، ثم تحول لفظه فى الفرنسية والانجليزية الى ما نعهده فيهما الآن وبقي بعض الكتاب يرسمونه فى الألفاظ اللاطينية بدلا من الحرف (I) فى بعض مواضعه متى كان لفظه كالياء العربية .

وأكثر المؤلفين الى أيامنا هذه يكتبون هذا الحرف فيقولون (Lulius) (Lupiter) فيجب أن يرسم متى ورد فى الفاظ لاطينية بالياء اطلاقا لأنه حرف (I) لا (J) فرنسيا أو انجليزيا .

القاعدة الثالثة عشر :

13 ــ فى الحرف (O) ويقابله فى اليونانية حرف أو مكرون (O) او حرف أو ميغا (O)

(1) فى أول الاسم ، يرسم همزة مضمونة اذا أعقبه حرف ساكن .

(2) وهمزة واو اذا أعقبه حرف متحرك .

(3) وفى وسط الاسم يرسم واوا فى الغالب الا فى الأسماء اللاطينية فيرسم واوا ونونا اذا ورد فى آخر الاسم .

القاعدة الرابعة عشرة :

14 ــ فى الحرف P ويقابله فى اليونانية بى

يرسم هذا الحرف باء واذا كان مشددا pp أو سبقه حرف ساكن وفيما عدا ذلك يرسم فاء الا فيما عربه العرب بالباء .

القاعدة الخامسة عشرة :

15 ـ الحرف Q اللاطيني

هذا الحرف يوجد فقط فى اللغة اللاطينية ويتبعه الحرف U اللاطينى فيرسم قافا بعدها واو .

القاعدة السادسة عشرة :

الحرف (S) ويقابله في اليونانية الحرف سينا (O) سيرسم هذا الحرف سينا الا اذا غلب عند العرب رسمه صادا أو شينا معجمة وفى القرن الأول والقرن الثانى والقرن الثالث ، غلب عند العرب نطق هذا الحرف سينا .

القاعدة السابعة عشرة :

فى الحرف T ويقابله فى اليونانية الحرف تو يرسم طاء لغلبة استعماله كذلك عند العرب .

القاعدة الثامنة عشرة :

فى الحرف TH اللاطينى ويقابله فى اليونانية حرف ثيتا (O)

ينقل فى العربية ثاء .

القاعدة التاسعة عشرة :

فى الحرف U ويقابله فى اليونانية أو مكرون (O) فى الغالب ينقل هذا الحرف واوا ، ويأتى أحيانا بضم الحرف السابق .

القاعدة العشرون :

فى الحرف (V)

ينقل الى العربية واوا

القاعدة الحادية والعشرون :

فى الحرف X ويقابله فى اليونانية الحرف اكس يرسم فى العربية كما ينطق ، أي (كس) بسكون الكاف .

القاعدة الثانية والعشرون :

فى الحرف (Y) ويقابله الحرف ابسلون اليونانى (V)

ينقل الى العربية واوا .

القاعدة الثالثة والعشرون :

الحرف (Z) ويقابله فى اليونانية الحرف زيتا يثبت (زايا) .

قواعد كتابة الأعلام الجغرافية

1 ـ كتابة الجيم اللينة

الاكتفاء بالجيم المعروفة ذات النقطة الواحدة فى كتابة الجيم اللينة ، فان في ذلك تسهيلا وتوحيدا للطريقة ولاسيما أن الجيم اللينة مما يأتى فى كلمات قليلة ، فليس ثمة ضرورة تحتم وضع حرفين متغايرين .

2 ـ كتابة CH بحروف عربية

تكتب ch كما فى churchil جيما ذات ثلاث نقط فى أسماء البلاد الاسلامية التى تستعمل هذا الحرف، وتكتب فى الأسماء الأوربية وغيرها وشينا . تش.

3 ـ ضبط الأعلام الجغرافية :

الاعلام الجغرافية التى لها أصل عربى صحيح والأعلام الأعجمية الشهيرة التى ذكرت فى كتب العرب على صورة خاصة تضبط بالشكل .

4 ـ بحث كل علم جغرافي نطق به العرب لكتابة فى المصورات وبجانبه المستعمل الآن .

(يبحث كل علم جغرافى نطق به العرب ، حتى تعرف صحته وطريقة النطق به ، ويكتب فى المصورات الجغرافية وبجانبه العلم المستعمل كما ينطق به أهله اذا كان بين الأصل والمستعمل خلاف فى الحروف) .

5 ـ الأعلام الجغرافية التى جاءت على صيغة المثنى أو جمع المذكر السالم :

الأعلام الجغرافية التى جاءت على صيغة أو جمع المذكر السالم فى حالة اعراب خاصة واشتهرت بذلك ، تحكى كما هي .

6 ـ اتباع ما جرى عليه العرب فى استعمال أداة التعريب :

(لم يدخل العرب اداة التعريب على الأعلام المعربة الا اذا كان العلم اسم شعب أو كان له صيغة عربية لذلك يجب اتباع ما جرى عليه العرب وعدم ادخال أداة التعريف على الأعلام الجغرافية الأعجمية .

7 ـ كتابة الأعلام التركية بالحروف العربية :

تكتب الأعلام التركية بالحروف العربية كما كان يكتبها الترك قبل الكتابة بالحروف اللاطينية ويضاف اليها بين قوسين العلم مكتوبا بحروف لاطينية على طريقتهم الحديثة أما الأعلام الجغرافية التى جدت بعد ذلك فتجرى عليها قاعدة كتابة الأعلام (الافرنجية) .

8 – تصويز الحروف المتحركة ى الأعلام الأجنبية بحروف العلة اذا اقتضت الحال ذلك :

تصور الحروف المتحركة فى الأعلام الأجنبية بحروف العلة عند كتابتها بالحروف العربية كلما اقتضت الحال وبخاصة في مواطن النبر مثل : (ميلانو Milanc) و (بنارو Panaro) و (نابلى Napoli) و (تانرو Tanoro) وعند طول الحرف المتحرك مثل (هور Hoare) او عند التباس علم جغرافى بآخر مثل بريمين Bremen و (برمن Barmen)

9 – كتابة بعض الحروف الاجنبية بالحروف العربية ونطقها :

(اولا) تكتب (S و Z) بحرف السين كما كان النطق بهما سينا او قريبا منها واذا كان هذا النوع من Z مشددا تكتب (تس) تقريبا للنطق الصحيح أما (S و Z) فاذا كان النطق بهما زايا أو قريبا منها تكتبان زايا (S .Z)

10 – فى اللغة الايطالية يتعاقب احيانا الحرفان ZZ فتارة ينطقان زايين كما فى مزو Mezzo مزو بمعنى الوسط وتارة ينطقان سينين كما فى Mezzo مسو بمعنى الثمرة التى زاد نضجها أما Mazzolini فالنطق الصحيح (ماتسوليني) لا (تزوليني) .

11 – هناك حروف اخرى يختلف نطقها فى بعض الكلمات فى اللغات الافرنجية مثل N, GN, LL, GL ينطق فى الايطالية كل اذا كان بعده U.O.A. اما فى غير هذه الحالات فينطق (لي) كما فى Cagliari (كليرى) (الاكجليرى) كما ورد فى أحد الأطالس العربية الحديثة .

وكذلك نطق فى الاسبانية LL تنطق (ليانو) لا (لانو) أما GN بالايطالية والفرنسية و FN بالاسبانية فتنطق (ني) .

12 – توجد أسماء كثيرة لبلاد الحبشة تنتهى (è) بحرف مثل takkzè اسم نهر مشهور فى الحبشة (تكزاي) ، لهذا استحسن كتابة هذه النهاية ياء قبلها الف مستقيمة .

تقسيم البلاد بين أعضاء المجمع لتصحيح أعلامها الجغرافية

يحصل المجمع على عشر نسخ من المصور الجغرافى الحديث المسمى (ريكورد أطلس) طبع فيليب وشركاه بلدان ويحصل من مصلحة المساحة على عدة نسخ من المصورات الجغرافية التى طبعت باللغة العربية لاستعمال المدارس والكليات .

وتقسم الممالك على خمسة من اعضاء المجمع ليتولوا تصحيح الأعلام الجغرافية ورسمها بالحروف العربية على حسب القواعد التى اقرها المجمع .

فيعهد الى الأستاذ جب بتصحيح رسم الأعلام التى ترد فى أنحاء القيصرية البريطانية ما عدا بلاد الهند والولايات المتحدة الامريكية والى الأستاذ ليتمان بتصحيح رسم الأعلام التى ترد فى البلاد الجرمانية والصقلبية ، والى الأستاذ نلينو والاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب والأستاذ ماسينيون بتصحيح رسم الأعلام فى البلاد اللاتينية بأوربا ماعدا فرنسا وأميركة الجنوبية . وكذلك البلدان الاسلامية بافريقية وبلاد الملايو والهند . والى الأستاذ ماسينيون بتحقيق رسم الأعلام التى ترد فى فرنسا ومستعمراتها . والى الأستاذ الأب انستاس مارى الكرملى بتحقيق رسم الأعلام التى ترد فى بلاد فارس وتركيا والعراق وفلسطين وبلاد التبت والصين .

الباب الثالث فى وضع المعجمات والمصطلحات

١ – فى وضع المعجمات

وضع معجم لألفاظ القرآن الكريم

يوضع معجم لغوى لألفاظ القرآن الكريم وتكلف لجنة المعجم البدء فى هذا المعجم على أن تؤلف لجنة فرعية من بين اعضائها فكلما اتمت جزءا عرضته على اللجنة الأصلية وكلما اقرت اللجنة الأصلية قسما عرضته على المجمع .

وضع معجم لغوى وسيط

نظرا الى حاجة طلاب التعليم الثانوى ، ومن فى مرتبتهم وجمهرة المثقفين من أبناء اللغة العربية الى معجم لغوى وسيط سهل التناول ، ميسر الترتيب بحيث يتناول من المصطلحات العلمية الصحيحة ما يتعلق بالأسباب الدائرة بين الناس يقرر المجمع الشروع فى اتخاذ الأسباب للقيام بهذا العمل ، وأن يعهد الى لجنة بالشروع فى تحقيقه مع رجاء اعضاء المجمع أن يقدموا اقتراحاتهم فى وضع مشروعهم على اكمل وجه ممكن .

وضع معجم علمى للتعليم الثانوى

قرر المجمع البدء فى عمل معجم علمي صغير للتعليم الثانوى فى الأقطار العربية ، وذلك بأن يعين

الرئيس موظفين مختصين فى العلوم الطبيعية والكيمائية والرياضية وعلوم الأحياء مع اجادة اللغة العربية للقيام بعمل هذا المعجم وما يحتاج اليه من رسوم ويرى المجمع بعد تعيين هؤلاء الموظفين أن يراجعوا معجما علميا صغيرا أوربيا ، وأن يستخرجوا منه جميع الكلمات العلمية الضرورية لطلاب التعليم الثانوى وأن يشرعوا فى تقسيم العمل بينهم ، ثم ترجمة الاصطلاحات والتعريفات مع وضع الكلمات اللاتينية واليونانية اذا كان الاصطلاح من هاتين اللغتين ، أو الانجليزية والفرنسية معا ويضاف الى كل مادة الاصطلاح المستعمل فى بلاد الشرق الأخرى كسورية والعراق والمغرب وكلما انجز الموظفون قسما ارسل الى كل عضو من أعضاء المجمع بالخارج ومصر. ليبدى ما يعن له من الملحوظات أو الاصطلاحات أفرادا ولجانا ويرسل بها الى المجمع ، ثم تطبع هذه الملحوظات جميعا ، وتعرض على المجمع عند انعقاده لاصدار قراراته فيها .

طبع معجم (فيشر)

يطبع معجم الأستاذ فيشر ، ويتولى هو تصحيحه بمصر على أن يخل ما يرد اليه من استدراكات الأعضاء محل النظر والتقدير وان يعاونه من أعضاء المجمع من يتفق الرئيس معهم ، ومعهم المراقب الادارى الذى يكون له مع الاستاذ فيشر الاشراف على من يعين من الموظفين لذلك العمل .

فى اعداد مواد المعجم

تقوم لجنة المعجم بتحضير مادة وتهذب المختصين فى اللغات السامية لمعاونتها ، ثم تعرض هذه المادة على المجمع واللجنة تتولى تنظيم الاتصال بالخبراء أو الهيئات التى لديها الفاظ ، وتتخذ الوسائل التى تراها كفيلة باعداد المواد اللغوية للمعجم المنشود على أن يعرض ذلك على المجمع .

موقف المعاجم من الالفاظ

المعجمات الكبيرة ، وبخاصة المعجم التاريخى يجب أن تذكر فيها كل كلمة قالتها العرب ، لا مكان المراجعة .

اما المعاجم الوسطى فترى اللجنة أن يكتفى فيها بذكر المانوس فى الاستعمال والدائر على السنة الكتاب والشعراء . ومرجع الأمر فى هذا كله الى اذواق القائمين على وضع هذه المعاجم ومراجعتها .

استكمال المادة فى المعجم

يوضع فى كل مادة لغوية فى معجم المجمع جميع الفاظها ومشتقاتها ومصادرها وافعالها تنفيذا لقرار المجمع فى تكملة فروع مادة لغوية ورد بعضها فى المعجمات ولم ترد بقيتها .

تاليف معجم الثياب

يقوم المجمع بتاليف معجم للثياب يتناول هذا الموضوع فى الحضارة العربية الى العصر الحاضر .

رموز المراجع اللغوية

تتخذ الحروف الآتية رموزا للمراجع اللغوية والأدبية المشار اليها :

1 ـ القاموس المحيط	ق
2 ـ تاج العروس	ت
3 ـ لسان العرب	ل
4 ـ المصباح	ح
5 ـ أساس البلاغة	س
6 ـ المخصص	م
7 ـ الصحاح	ص
8 ـ التهذيب	ته
9 ـ الجمهرة	جم
10 ـ المحكم لابن سيده	حك
11 ـ المغرب للمطرزى	مط
12 ـ المجمل لابن فارس	مف
13 ـ الفائق للزمخشرى	فق
14 ـ معيار اللغة	مع
15 ـ الاشتقاق لابن دريد	شق
16 ـ الافعال لابن القوطية	فع
17 ـ الأزمة والأمكنة للمرزوقى	مك
18 ـ المعرب للجواليقى	مج
19 ـ شفاء الغليل للخفاجى	شغ
20 ـ معجم البلدان لياقوت	مى
21 ـ معجم ما استعجم للبكرى	مس
22 ـ كشاف اصطلاحات الفنون	كص
23 ـ مفتاح دار السعادة	مد
24 ـ فصيح ثعلب	فث
25 ـ مثلثات قطرب	ثق
26 ـ الأضداد لابن الأنبارى	ضد
27 ـ الأضداد للسجستانى	ضس
28 ـ الأضداد لقطرب	ضق
29 ـ المزهر للسيوطى	مه
30 ـ فقه اللغة للثعالبى	فغ

31 ـ درة الغواص للحريرى وشرحه دغ
32 ـ أمالى القالى والنوادر وملحقاته مق
33 ـ أمالى ابن الشجرى مش
34 ـ أمالى المرتضى مم
35 ـ تهذيب المنطق تم
36 ـ الكامل للمبرد كم
37 ـ الالفاظ الكتابية للهمدانى فك
38 ـ أدب الكتاب للصولى دك
39 ـ غريب القرآن للاصفهاني غق
40 ـ النهاية لابن الأثير نث
41 ـ كليات أبى البقاء كب
42 ـ تعريفات الجرجانى تج
43 ـ البيان والتبيين للجاحظ بج
44 ـ الاغانى للاصفهانى غص
45 ـ أدب الكاتب لابن قتيبة بك
46 ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووى تس
47 ـ المرصع لابن الأثير مث
48 ـ الأنساب للسمعانى نس
49 ـ مقامات الحريرى وشروحها مر
50 ـ حواشي ابن بري بر
51 ـ المغنى لابن هشام هش
52 ـ تعليقات على القاموس لمحمد ابنطيب الفاسى تق
53 ـ الأمثال لميدانى من
54 ـ العباب للصاغانى عب
55 ـ الروض الأنف للسهيلى سه
56 ـ مختصر العين للزبيدى مز
57 ـ ألف باء للمسهيلى فب
58 ـ كتاب العين ع

ب ـ فى وضع المصطلحات

استخراج المصطلحات من الكتب العربية القديمة

ينظر المجمع فى اختيار مختصين بشؤون العلوم العربية لاخراج المصطلحات العلمية القديمة من الكتب العربية وعرض كل فرع على اللجنة المختصة واذا لم تكن لجنة مختصة تشكل لجنة جديدة .

وضع معاجم للمصطلحات المستخرجة من الكتب العربية القديمة

تدرس كتب العرب القديمة المتصلة بالمصطلحات العلمية ويعمل لكل كتاب منها معجم بالمصطلحات التى وردت فيه بحيث تكون هذه المعاجم فى متناول الأيدى عند التعريب .

بعثة لدراسة الشجر والنبات

التوصية بايفاد بعثة الى جزيرة العرب وبادية سينا. والصحراء الغربية بمصر لدراسة الشجر والنبات ، وتحقيق ما ورد منها فى معاجم اللغة والنبات .

تفضيل المصطلح العربى القديم على الجديد

تفضل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة. الا اذا شاعت .

الاقتصار على اسم واحد لكل معنى

الاصطلاحات العلمية والفنية والصناعية يجب أن تقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى .

فى ألفاظ شؤون الحياة العامة

فى شؤون الحياة العامة يختار اللفظ الخاص فاذا لم يكن هناك لفظ خاص اتى بالعام ويخصص بالوصف أو الاضافة .

ترتيب وضع ألفاظ الشؤون العامة

فى ترتيب كلمات الشؤون العامة توضع على درجات للمعنى المراد فاذا كان المعنى عاما وضع له أسم فاذا أريد التوزيع فيه والتخصيص جعل لكل معنى خاص اسم بعد ذلك فمثلا يمكن جعل كلمة (البساط) اسما لم تخصص (الطنفسة) لذى الخمل الرقيق او الكثيف من البسط .

ايثار السهولة فى اختيار ألفاظ العامة

تدقق لجنة الشؤون العامة فى اختيار الكلمات بحيث تكون سهلة خفيفة على اللسان بقدر الامكان يمكن أن يستسيغها الجمهور .

جمع المصطلحات الفنية

يعنى المجمع بجمع المصطلحات الفنية التى يستخدمها العمال فى مصانعهم والتجار فى متجرهم وأسواقهم والزراع فى مزارعهم حتى اذا اجتمعت له طائفة صالحة من هذه المصطلحات نظر فى وضعها فى معجمه بعد صياغتها وفق الأوزان العربية .

تخريج كلمات المجمع ومقابلها العامى والاجنبى

عند شرح كل كلمة بعد قبولها تكتب النصوص

الواردة فى المعجمات القديمة ويبين تخريج الكلمة والاتصال فى استعمالها بين المعنى القديم والحديث العامى أو الافرنجى وتدون الكلمة العامية أو الافرنجية باللغة الأصلية (الانجليزية أو الفرنسية) .

شرح المصطلحات قبل عرضها على المجمع

لا تعرض على المجمع مصطلحات علمية الا أن تكون مشروحة بقلم الخبير المختص فان ذلك مما يساعد على النظر فى صحة وضع هذه المصطلحات مع تجنب بعض أسباب البطء فى العمل ، وعلى زيادة الاطمئنان الى ان اللفظ الاصطلاحى وقع موقعه .

تعريف المصطلحات قبل دخولها فى المعجم

فى شأن المصطلحات التى يقرها المجمع لا تعتبر صالحة للدخول فى المعجم قبل أن توضع لها التعاريف وتعرض على المجمع حتى يطمئن الى دلالة المصطلح على موضوعه .

الاكتفاء بالشرح الشفوى فى نظر المصطلحات

ناقش المؤتمر فى اقتراح ألا تعرض المصطلحات العلمية على المجلس أو المؤتمر الا بعد أن تعرفها اللجان المختصة حتى يتسنى لغير الفنيين من الأعضاء فهم معانيها واختيار أصلح الألفاظ لهذه المعانى وانتهى المؤتمر الى الموافقة على المضي فى نظر المصطلحات اكتفاء بالشرح الشفوى الذى يتولاه مقرر اللجنة المختصة .

طريقة النظر فى المصطلحات وتسجيلها ونشرها

تفرز اللجان ما تضعه من مصطلحات فما كان منها شائعا عرفته تعريفا معجميا موجزا وعرضته على مجلس المجمع ومؤتمره ، وما كان منها غير شائع حفظته فى جزازات ونشرته بين الهيئات العلمية وفى مجلة المجمع وتلقت ملاحظات هذه الهيئات وأهل الاختصاص فتولت تمحيصها وانتهت الى قرار على أن تكون المصطلحات الشائعة التى يقرها المجمع بتعريفاتها مادة تدخل فى المعجم . وأما المصطلحات غير الشائعة فتظل فى المجمع حتى يتسنى لها اخراجها فى معجمات علمية . وكلما وجد المجلس والمؤتمر لديهما وقت فراغ كان لهما أن ينظرا فى هذه المصطلحات غير الشائعة .

تعريف المصطلحات قبل عرضها على المجلس والمؤتمر

لا يعرض على مجلس المجمع ولا على المؤتمر من الكلمات الا ما تم تعريفه . فاذا ما أقر المجمع كلمة وتعريفها سجلت فى جزازات وأعدت للمعجم .

تعريف المصطلحات بعد نشرها مبدئيا بلا تعريف

المصطلحات التى أقرها المجلس والمؤتمر بدون تعاريف والتى لم تنشر بعد تعاد الى اللجان المختصة لتعريفها وعرضها على المؤتمر ، ولا مانع من نشرها بدون تعريف نشرا مبدئيا ، لتلقى ملاحظات المختصين ، مع الاشارة الى ذلك .

طريقة اعداد المصطلحات وعرضها وتسجيلها

فيما يتعلق بالمصطلحات الجديدة يتبع ما يأتى :

1 ـ يطلب من الخبير أن يتقدم للجنة المصطلح مشروحا شرحا كتابيا مقبولا .

2 ـ على السكرتير الموظف لكل لجنة أن يدون ما يدور حول المصطلح من المناقشات والشرح والتوضيح ويلخص ذلك ويعرضه على كاتب سر اللجنة .

3 ـ يعرض على المجلس المصطلحات التى أقرتها اللجان مصحوبة بهذه الملخصات يزيدها الخبير فى الجلسة عند الحاجة شرحا وتوضيحا وعلى سكرتيرية المجلس أن تسجل هذا الشرح مع ما يدور فى المجلس من مناقشات وهذا لا يمنع أن تعرض على المجلس المصطلحات المستكملة للتعاريف الفنية .

4 ـ اذا أقر المجلس هذه المصطلحات نشرت فى الأوساط العلمية بمختلف البلاد العربية مع ملخص لما دار حولهما من شرح وبيان .

5 ـ تعاد المصطلحات التى أقرها المجلس الى اللجان المختصة وما أبدى عليها من ملاحظات لتعريفها وصياغتها صياغة نهائية تعرض على المؤتمر .

6 ـ تعد لكل مصطلح جزازة خاصة يثبت فيها ما دار حوله من مناقشات من أول اقتراحه الى ان يتم اقراره من المؤتمر وتنظيم هذه الجزازات تنظيما فنيا .

البحث فى الألفاظ والعبارات المستعملة والمصالح وغيرها

الاتصال بالوزارات والمصالح وغرف التجارة لارسال مندوب للبحث معه فيما يستعمل من العبارات والكلمات الصحيحة فى هذه الوزارة أو المصلحة .

طلب قوائم المصطلحات من الجامعات والمعاهد والهيئات

يطلب الى الجامعتين الأزهرية وجامعة القاهرة وجامعة والى المعاهد العلمية والفنية التابعة لوزارة المعارف والى الهيئات العلمية والفنية الأخرى وضع قوائم بالمصطلحات المستعملة بها فى جميع العلوم والفنون والآداب وأن تحدد معانيها تحديدا دقيقا وأن يتردها الى اللغة العربية اذا استطاعت وأن تذكر مقابلها من اللغات الافرنجية التى أخذت منها هذه المصطلحات وأن ترسل تلك الى المجمع .

اضافة مصطلحات البلاد العربية

تضاف كل لفظة سرت فى البلاد العربية الى جانب ما وضعته المجمعية .

عرض كلمات المجمع على الجمهور

تعرض الكلمات والمصطلحات التى يقرها المجمع سنة على الجمهور بعد اقرارها . ويتقبل المجمع فى خلال تلك السنة الانتقادات التى يعترض بها العلماء .

عرض المصطلحات على الوزارات والهيئات فى البلاد العربية

يكون من وسائل النشر التى يتخذها المجمع ارسال المصطلحات قبل عرضها على المجمع الى وزارات المعارف والهيئات العلمية فى مصر والبلاد العربية وغيرها والانتظار بها مدة كافية لتبدى هذه الوزارات والهيئات رأيها ، وتوافى المجمع به .

عرض المصطلحات على الهيئات فى البلاد العربية

يكلف حضرات الأعضاء الممثلين للبلاد العربية عرض مصطلحات المجمع فى كل علم وفن على الهيئات العلمية ويكتب الى حكومات هذه البلاد لتوافى المجمع بما ينتهى اليه المختصين فيما وضعه المجمع من مصطلحات .

نشر المصطلحات قبل عرضها على المؤتمر

تنشر المصطلحات التى أقرها المجلس لتكون موضوعا للبحث والدرس فى دورة المؤتمر المقبلة .

عرض المصطلحات على الأعضاء والهيئات قبل نظرها

كلما فرغت اللجان الفنية من النظر فى المصطلحات العلمية فرئيس المجمع يرسل هذه المصطلحات الى الجهات العلمية العربية والى حضرات أعضاء المؤتمر فى الخارج . ويطلب الى المجمع ابداء ملاحظاتهم فى مدة معقولة ومتى وردت هذه الملاحظات فمراقبة المجمع تحرر بها قوائم متضمنة للأصل الذى أقرته اللجان ولما ورد على هذا الأصل من مقترحات الجهات العلمية الخارجية وحضرات أعضاء المؤتمر ، وتعرض هذه القوائم على مجلس المجمع للنظر فيها استعدادا لعرضها على المؤتمر مع ما يراه من الملاحظات .

عرض مصطلحات اللجان على الهيئات والمعاهد

يستمر عمل اللجان فى وضع الترجمة العربية للمصطلحات العلمية والفنية فاذا أقرتها اللجان جاز لها أن ترسلها الى الهيئات والمعاهد التى تحتاج اليها بوصفها مشروعا .

نشر مصطلحات كل علم مستقلة قبل نشرها فى المجلة

ينشر المجمع المصطلحات التى وضعتها اللجان وأقرها المجلس بحيث تنشر مصطلحات ويتبع هذا فيها يقر من المصطلحات بعد ذلك وما أقره المؤتمر من هذه المصطلحات يعاد نشره بعد ذلك فى مجلة المجمع .

استعمال مصطلحات المجمع فى التدريس

يقدم المجمع رجاء الى وزارة المعارف أن يراعى مدرسوها ألفاظ المجمع ومصطلحاته فى التدريس اذ المدارس خير بيئة تنشر فيها الألفاظ الجديدة والمصطلحات الحديثة .

ارسال المصطلحات الى وزارة المعارف لطبعها وتوزيعها

ترسل المصطلحات التى أقرها المجمع فى هذه الدورة الى وزارة المعارف لطبعها وتوزيعها على المدارس والمؤلفين والمترجمين والصحف .

تنبيه الصحف الى استعمال كلمات الشؤون العامة

(تقرر) نشر القوائم التى أقرها المجمع (من

كلمات الشؤون العامة) بالجرائد والمجلات قليلا قليلا .

استخدام الاذاعة للاعلام بأعمال المجمع

(لتنظيم وسائل الاتصال بالجمهور ، لنشر كلمات الشؤون العامة التى يقرها المجمع – تقرر) استخدام الاذاعة على أن تتولى ذلك لجنة من بينها مراقب المجمع .

الباب الرابع فى تيسير النحو والصرف والكتابة العربية

أ – فى تيسير النحو والصرف
تيسير قواعد النحو والصرف

1 – كل رأي يؤدى الى تغيير فى جوهر اللغة وأوضاعها العامة لا تنظر اليه اللجنة لأن مهمتها تيسير القواعد .

2 – يبقى التقسيم القديم للكلمة وهو أنها اسم أو فعل أو حرف ويتناول كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بالتقسيم المعروف فى كتب النحو .

3 – يتخذ المشروع الذى وضعته لجنة وزارة المعارف أساسا للمناقشة والمراجعة . على ضوء ما وجه اليه من نقد وما كتب من بحوث حول مسائله .

4 – يستغنى عن الصيغ المألوفة فى اعراب المبينات وفى اعراب الاسم الذى تقدر عليه الحركات فيقال فى اعراب (من) فى قولك (جاء من أكرمنى) من : اسم موصول مبنى مسند اليه محله الرفع .

وفى نحو (جاء الفتى والقاضى) اسمان مسند اليهما محلهما الرفع .

5 – يستغنى عن الصيغ المألوفة في الدلالة على العلامات التى تنوب عن الحركة الأصلية ففى نحو (جاء الزيدان) (الزيدان) مسند اليه مرفوع بالألف . وفى (جاء أبوك) (أبوك) مسند اليه مرفوع بالواو . وفى (مررت بأحمد) مجرور بالفتحة . وهكذا .

6 – يقتصر على القاب الاعراب ولا يكلف الناشىء بيان حركة المبنى او سكونه سواء أكان له محل أم لم يكن ، اكتفاء بأن المبنى يلزم آخره حالة واحدة ولا يكلف الطالب عند تحليل جملة بها مبينة ذات محل الا أن يقول انها مبنية وان محلها كذا .

7 – يسمى ركنا الجملة بالمسند اليه والمسند ، كما اختار علماء البيان .

8 – يجب ارشاد المبتدئين الى أن المتعلق العام الظروف والجار والمجرور فى نحو : (زيد فى الدار) و (زيد عندك) محذوف وان كانوا لا يكلفون كل مرة تقديره عند الاعراب بل يقبل منها تخفيفا عنهم أن يقولوا فى اعراب (زيد فى الدار) جار ومجرور ومسند .

9 – ضمائر الرفع المتصلة بارزة أو مستترة مثل قمت وأخواتها وأقوم ويقوم وقم ولا تقم وقاموا ويقومان ويقومون ويقمن . كلها لا محل لاعتبارها ضمائر عند الاعراب وانما هي فى الضمائر البارزة حروف دالة على نوع المسند اليه أو عدده . أما الضمائر المستترة وجوبا أو جوازاً فمصروف عنها النظر .

يقال فى اعراب (قمت) صيغة لماضى المتكلم .
وفى اعراب (لا تقم) صيغة نهي للمخاطب .
وفى اعراب (قم) صيغة أمر للمخاطب
وفى اعراب (أقوم) مضارع للمتكلم .
وفى اعراب (قاموا) ماضى الغائبين .
وفى اعراب (يقومان) مضارع الغائبين .
وفى اعراب (يقومون) مضارع الغائبين .
وفى اعراب (تقومين) مضارع المخاطبة .
وفى اعراب (يقمن) مضارع الغائبات .
ويقال فى اعراب (أنا قمت) أنا مسند اليه وقمت لماضى المتكلم مسند .

وفى اعراب (المحمدون قاموا) المحمدون مسند اليه مرفوع بالواو وقاموا صيغة ماضى الغائبين مسند . وهكذا .

10 – يستغنى عن النص على العائد فى نحو (الذى اجتهد يكافأ) فيقال فى اعرابه (الذى) اسم موصول مسند اليه (اجتهد) ماضى الغائب صلة (يكافأ) صيغة مضارع مبنى للمجهول للغائب مسند .

11 – كل ما ذكر فى الجملة غير المسند اليه فهو تكملة منصوب على اختلاف علامات النصب الا اذا كان مضافا اليه مسبوقا بحرف أو تابعا من التوابع .

12 – يستبقى اسم المفعول به للكلمة الدالة على ما وقع عليه الفعل ويقال عند اعرابها انها مفعول به تكملة أما بقية التكملات من المفاعيل الأخرى والحال والتمييز والمستثنى فيكتفى فيها بذكر أغراضها اجمالا مع وجوب ذكر اللفظ المكملة له فيقال مثلا فى اعراب (قمت اجلالا لك) قمت صيغة ماضى المتكلم واجلالا تكملة الفعل لبيان السبب وفى نحو (ضربته ضربا شديدا)

يقال ان ضربا تكملة مصدرية للفعل و (شديدا) وصف مكمل لـ (ضربا) .

وفي نحو (سرت والنيل) ، (النيل) تكملة للفعل ، لبيان المصاحبة .

وفي نحو (جاء زيد راكبا) ، (راكبا) تكملة لزيد مبينة للحال .

وفي نحو مثل (شربت البن ساخنا) ، (ساخنا) تكملة للمفعول به مبينة للحال .

وفي مثل (اشتريت عشرين كتابا) ، (كتابا) تكملة مميزة للمفعول به .

13 — فى حالة الاستثناء التام وهو ما ذكر فيه المستثنى يكون المستثنى بالا وخلا وعدا وحاشا وما خلا وما عدا وما حاشا ، تكملة للمستثنى منه منصوبا دائما .

واذا كانت اداة الاستثناء (غير) أو (سوى) كان هذان اللفظان منصوبين وجر ما بعدهما بالاضافة .

وأما الاستثناء المفترغ فهو في الحقيقة قصر لا استثناء تتبع القواعد العامة فى تحليله واعرابه .

التراكيب :

14 — فى العربية أنواع من العبارات تعب النحاة فى اعرابها وفى تخريجها على قواعدهم مثل : التعجب فله صيغتان مثل : (ما اجمل بزيدا) اجمل بزيد .

ومعروف خلاف النحاة فى اعرابها وعناء المعلمين والمتعلمين فى شرحها وفهمها وقد رئى أن تدرس هذه العبارات على أنها تراكيب يبين معناها واستعمالها ويقاس عليها أما أعرابها فيقال فيه : (ما أحسن) صيغة تعجب والاسم بعدها المتعجب منه منصوب .

وفى اعراب (أجمل بزيد) يقال أجمل صيغة تعجب والاسم بعدها مجرور بحرف جر .

ويقال مثل هذا فى التحذير والاغراء ، كما فى النار أو (اياك والنار) أو (النار النار) هو تركيب والاسم فيه منصوب والاسمان منصوبان أيضا .

وانما توجه العناية فى درس هذه التراكيب الى طرق الاستعمال لا بتحليل الصيغ وفلسفة تخريجها وقد جمعت أمثال تلك العبارات لتدرس على هذا الوجه .

الصرف :

15 — وافق المؤتمر على ان اكثر مسائل علم الصرف من بحوث فقه اللغة التى لا يحتاجه البادىء بل لا يصل اليها فهمه كالاعلال والابدال والقلب وتنقل الكلمة فى موازين مختلفة حتى تصل الى هيئتها فى النطق وقد رئى أن يقتصر على تصريف الفعل وصوغ مشتقاته وتثنية الاسم وجمعه على أن يعلم التلميذ الصيغ المختارة بالأمثلة الكثيرة والا يكلف معرفة شيء مما يراه الصرفيون فى الأصول الكلمات وتقلبها فى الهيئات المختلفة .

أبواب النحو والصرف

وافق المؤتمر على المنهج الآتى لأبواب النحو والصرف :

أحكام الكلمة .

تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف .

الاسم

تقسيمة الى مذكر ومؤنث وعلامات التأنيث .

تقسيمة الى ما آخره حرف صحيح وما آخره حرف لين (ألف أو ياء) .

تقسيمة الى مفرد ومثنى وجمع — طرق التثنية (ما آخره ألف تقلب ياء دائما الا فى كلمات لا تتجاوز العشرين المشهور منها : الجدا — الحجا — الحفا — الخنا — الرضا — العصا — الصبا — الفرا — القفا .

وما آخره همزة قبلها ألف كبناء تبقى همزة الا اذا كانت للتأنيث فتقلب واوا .

طريقة جمع الاسم بالألف والتاء وبالواو والنون أو الياء والنون .

أمثلة من جمع التكسير .

تقسيم الاسم الى منكر ومعروف .

أنواع المعارف .

الاسم المصغر (الثلاثى والرباعى فقط) .

المنسوب اليه (أكثر أحكام النسب دورانا فى الكلام) .

المعرب والمبني — أنواع الاعراب (كما تقدم)

المبنيات — أسماء الاشارة والموصول والاستفهام والشرط .

الفعل — تقسيمة الى ماض ومضارع وأمر .

تمرين فى تصريف الأفعال — اشارة الى الأفعال القليلة التى لا تصرف المجرد والمزيد (الحرف المزيد والحرف الأصلى) .

تقسيم الافعال الى صحيح معتل (تذكر أمثلة تبين أنواع المعتل ولا تذكر الأسماء الاصطلاحية لكل نوع)

تمرين فى اتصال الفعل على اختلاف أنواعه بما

يدل على نوعه أو عدده .
المبنى للمجهول ومعناه وطريق صوغه .
الناقص والتام واللازم والمتعدى .
المبنى والمعرب ـ اعراب المضارع .
المشتقـات
اسم الفاعل . صوغه واستعماله (قد يجيء على غير الأمثلة القياسية ليدل على المبالغة أو الصفة الثابتة)
وبهذا تدمج الصفة المشبهة وصيغة المبالغـة فى باب اسم الفاعل .

اسم المفعول ـ امثلته وطرق صوغه واستعماله هو ما يجرى مجراه من الصفات .

أسماء الزمان والمكان والآلة .
المصدر أمثلته من الثلاثى ـ صوغ المصدر من غير الثلاثى ـ طرق استعمال .
2 ـ أحكام الجملة .
المسند اليه والمسند ـ واعرابهما ـ الترتيب بينهما ـ المطابقة بينهما .

المسند ظاهر وضميرا بارزا .
المسند ـ اسم وفعل وظرف وجار ومجرور وجملة .
تكملة الجملة اعرابها أغراضها .
التوابـع .
أحكام العدد .
التراكيب .
التوكيد ـ القسم ـ التعجب ـ صوغ اسم التفضيل ـ نعم وبئس ـ النداء ـ الاستغاثة والندبة ـ الاختصاص ـ التحذير والاغراء .

الجملتان
الشرط وجوابه ـ ادوات الشرط ومعانيها واستعمالها مع الجزم وبدونه .
القسم وجوابه ـ تأكيد الفعال بالنون .
الجملة الفرعية
قد تكون مسندة ـ تكملة ـ نعتا ـ صلة .
(يجب أن يفرق هنا بين الجملة والفعل وحده لأنه قد عد من المفرد .

الرغبة الى الوزارة فى وضع كتاب فى النحـو والصـرف

تؤلف الوزارات كتابا على أساس هـذا التقريـر يعرض على مجلس المجمع لمراجعته واستكمال ما قـد ينقصه .

تاليف لجنة فى المجمع لوضع كتاب النحـو والصـرف

قرر المؤتمر .
أولا ـ تاليف لجنة لوضع كتـاب فى النحـو على أساس قواعد التيسير التي أقرها مؤتمر المجمع على أن يعرض على المؤتمر قبل اذاعته .
ثانيا ـ تاليف اللجنة من حضرات الاعضاء المحترمين الدكتور طه حسين ، والأستاذ أحمد أمين والأستاذ على الجارم وندب الاستاذ ابراهيم مصطفى عميد دار العلوم للانضمام اليهم .
ثالثا ـ استعانة اللجنة بمن ترى ممن لهم دراسة خاصة للنحو .

ب ـ فى تيسير الكتابة العربية
1 ـ قواعد ضبط الهمـزة وتنظيم كتابتهـا

أولا ـ الهمزة فى أول الكلمة .
1 ـ ترسم الهمزة فى أول الكلمة الفا توضع فوقها قطعة (ء) اذا كانت مفتوحة أو مضمومة وتوضع تحتها القطعة اذا كانت مكسورة مثـل (ان أكرمنى فسـوف أكرمه اكراما)
2 ـ وكذلك ترسم الهمزة الفا اذا دخل على الكلمة حرف نحو فان ولأن ولان ولالا وأ اذا .

ثانيا ـ الهمزة فى وسط الكلمة .
1 ـ اذا كانت ساكنة رسمت على حرف مجانس لحركة ما قبلها مثل فأس وبئر وسؤل .

2 ـ اذا كانت مكسورة رسمت على ياء مثل رئى وبئس ومئين .
3 ـ اذا كانت مضمومـة رسمت على واو مثـل (قرؤوا وشؤون) الا اذا سبقتها كسرة قصيرة أو طويلة فترسم على ىء مثلا يستنبئونك ويستهزئون وبريئـون ومئون .
4 ـ اذا كانت مفتوحة رسمت على حرف من جنس حركة ما قبلها فان كان ما قبلها ساكنا غير حرف مـد رسمت على ألف مثل وييأس وجيأة وهيأة وآن كان هذا الساكن حرف مد رسمت مفردة مثل : (تساءل وتفاءل ، ولن سوءه ، وان وضوءه) الا اذا وصل ما قبلها بما بعدها

فترسم على نبرة مثل مشيئة وخطيئة وبريئة وان مجيئك).
5 – تعتبر الهمزة متوسطة اذا لحق بالكلمة ما يتصل بها رسما كالضمائر وعلامات التثنية والجمع مثل جزأين وجزاؤه ويبدؤون وشيوه) .
ثالثا – الهمزة فى آخر الكلمة :
1 – اذا سبقت بحركة رسمت على حرف مجانس لحركة ما قبلها مثل : يجرؤ ويبدأ ويستهزىء .
2 – اذا سبقت بحرف ساكن رسمت مفردة مثل : جزء ، وهدوء ، وجزاء ، وشيء .
3 – اذا سبقت بحرف ساكن وكانت منونة فى حالة النصب رسمت على نبرة بين الف التنوين والحرف السابق لها اذا كانا يوصلان نحو : بطئا وشيئا فاذا كان ما قبلها حرفا لا يوصل بما بعده رسمت الهمزة مفردة مثل . (بدءا) .

قواعد الشكل فى الكتب المدرسية

تتبع هذه القواعد فى شكل الكتب المدرسية جميعا على النحو الآتى :
أولا – فى جميع مراحل التعليم .
تضبط الآيات والاحاديث النبوية ، بالشكل الكامل .
ثانيا – فى المرحلة الابتدائية :
لا يترك من الشكل الا ما لا مجال لخطا التلميذ فيه بحسب مستويات الصفوف .

ثالثا – فى المرحلة الاعدادية :
1 – يلتزم شكل أواخر الكلمات على حسب قواعد اللغة .

2 – فيما عدا شكل أواخر الكلمات يراعى ما يأتى :
(ا) يهمل الشكل بالفتحة الا حين تكون الفتحة حركة للواو أو الياء فى مثل صور وحيل .

(ب) فيما عدا الفتحة يلزم الشكل .
(ج) تعتبر حروف العلة مدا ، ما لم تضبط بالشكل .
(د) يلتزم وضع الشدة والمدة وهمزة القطع .
(ه) تضبط الأعلام غير الشائعة بالشكل .
رابعا – فى المرحلة الثانوية .
1 – يتخفف من شكل أواخر الكلمات ، متى كان واضحا .

2 – لا يشكل من بقية الحروف الا ما يتوقع خطأ التلميذ فيه .

3 – تضبط الأعلام غير الشائعة بالشكل .

تسهيل كتابة الحروف العربية

تعمل لجنة بحث الحروف العربية بجمع الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار فى ذلك لتيسير القراءة العربية الصحيحة على ألا يخرج هذا التحسين والابتكار الكتابة عن أصول أوضاعها العامة .

طبع ما قيل حول تيسير الكتابة

يطبع كل ما قيل حول تيسير الكتابة فى هذا المؤتمر ويذاع بالطرق المعروفة ويرسل الى الهيئات المختصة وتتلقى لجنة الأصول ما يرد اليها من ملاحظات وتعرض تقريرها على المؤتمر المقبل .

أسس تيسير الكتابة

وافق المؤتمر على اتخاذ هذه القرارات أساسا .
أولا – يلتزم الآن الشكل الضرورى فى الطباعة وخاصة فى كتب المراحل الاولى للتعليم .
ثانيا – يترك الآن موضوع البحث فى الكتابة اليدوية فتبقى على ما هي عليه فهي موجزة مختزلة ويمكن تشكيلها عند الضرورة .
ثالثا – الاقتصار الآن على تيسير حروف الطباعة والآلات الكتابة باختصار صور الحروف والاستغناء عن المتداخل منها والمقنطر .
رابعا – يوضع النقط فى موضع ثابت نفيا للاشتباه .
خامسا – يلتزم الشكل فى الطباعة ويلتزم ذلك فى كتب التعليم فى مراحل التعليم العام .
سادسا – يوضع الشكل فى موضع ثابت وأيضا يراعى فيه الفن الخطى لا يطول السطر أفقيا ولا بأس بأن يمتد فى الطول قليلا .

سابعا – توضع علامات للدلالة على أصوات الحروف التى لا مقابل لها فى العربية ويطلب الى لجنة اللهجات بالمجمع دراسة هذا الموضوع وتقديم مقترحات فيه .
ثامنا – يدبر ما يلزم من التكاليف لتطبيق الطريقة المقترحة لتيسير الكتابة واجراء تجاربها الفنية لادخال التعديلات عليها تمهيدا لوضعها فى الصيغة المقبولة .

تاسعا – تتولى لجنة تيسير الكتابة بالمجمع تطبيق

الطريقة المقترحة فى القرارات السابقة وتجربتها وعرضها على المجلس لأخذ رأيه تمهيدا للعرض على المؤتمر .

عاشرا – يضم الى اللجنة من ترى وزارة التربية والتعليم ضمهم اليها للمشاركة فى عملهـا والاستعانـة بالخبراء الفنيين فى الخط والطباعة .

فـى كتابـة رقـم 2

وافق المجلس على كتابة رقم 2 مستقيم الرأس أفقيا هكذا نفيا للاشتباه بينه وبين الرقم 3 .

طريقة لتيسير الكتابة

1 – الموافقة على الطريقة التى انتهت اليها لجنة تيسير الكتابة لاختصار صور الحروف .

2 – الموافقة على قرارات اللجنـة فيمـا يتعلـق بالهمزات والشكل والأرقام والترقيم .

3 – الموافقة على أن تتولى اللجنة وضع الطريقة المقترحة موضع التجربة والتنفيذ .

4 – الموافقة على أن تواصل اللجنـة العمـل على تمثيل أصوات الحروف الأجنبية فى الكتابة العربية .

5 – يفوض المؤتمر الى المجلس الرأي فيما تتخذ لجنة التيسير من خطوات واجراءات لوضـع الطريقـة المقترحة موضع التجربة والتنفيذ العملى وفيما يعرض على المجلس مما يتصل بهذا الموضوع .

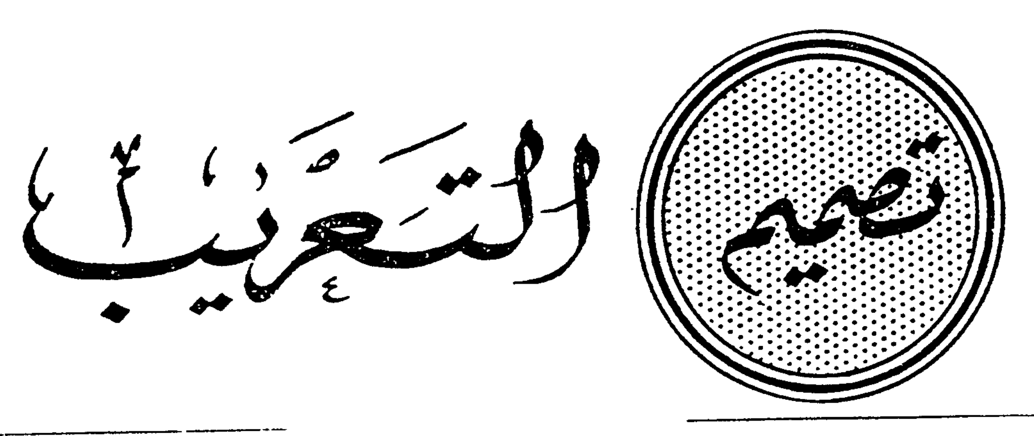
وضع نموذج اختصار صور لحروف الطباعة موضع التنفيذ

يوصى المؤتمر بأن تتولى سلطات التعليم وضـع النموذج الذى عرضته لجنة تيسير الكتابة موضع التنفيذ في بعض الكتب لاجراء تجربته على نطاق علمي واسع .

وقد بذلت اللجنة فى هذا النموذج جهدا كبيرا فى تطبيق القرارات التى انتهى اليهما المؤتمر من قبل لاختصار صور الحروف العربية .

أخرجت اللجنة كتيبا عنوانـه (تيسير الكتابـة العربية مراحل دراسة الموضوع وقواعد الشكل فى الكتب المدرسية ، وطريقة لاختصار صور الحروف) تم طبعه في 27 نوفمبر سنة 1961 بالمطبعـة الأميرية وقـد أخرج الكتيب مجموعا بحروف على الطريقة التى انتهت اليها اللجنة فى اختصار صور الحروف وأشكالها فجاء الكتيب شرحا للطريقة ونموذجا لها .

> **قل أياك وأن تفعل كذا ولا تقل أياك أن تفعل بلا واو لان لكل واحد من الاسمين فعلا ينصبه فالتقديـر احفـظ نفسك واتق الشر ..**
>
> (شرح أدب الكاتب لابى منصور الجواليقى ص 303)
>
> **قل كاد فلان يفعل ولا تقل كاد أن يفعـل ، وتقـول** عيرتني كذا ولا تقول عيرتني بكذا
>
> (ص 304)



بعد ان وضع المكتب الدائم للتعريب الخطوط الرئيسية لتصميمه الثلاثي المتعلق باعداد الاداة الكفيلة بتوحيد تعريب التعليم والادارة ومظاهر الحضارة وقام بتنفيذ أجزاء منه حيث وضع معاجم في الرياضيات والكيميا والفيزياء والاشغال العمومية والسياحة والخبازة والطحانة والفرانة وهو بصدد اتمام اعداد معاجم المصطلحات الحضارية وعلم الاحياء والادارة العامة يسره أن يضع هذا المخطط الذى يتضمن مشروع طويل النفس يهم توحيد المصطلحات العربية فى جميع أقطار العالم العربى استنادا الى الجهود التى ما فتىء مجامعنا الموقرة تبذلها فى حقل المصطلحات العلمية .

الغـــاية

تعميم مكاسب اللغة العربية مـــن عمـــل التعريب بتنسيق ونشر :

1) المصطلحات والقرارات العلمية التى تم الاتفاق عليها فـى المؤتمرات او المجالس العـــربية المختصة أو تبين اجماع الشعوب العربية عليها من واقع الحال . (1)

2) معربات المجامـــع والهيئات والشخصيات الـتى تعتبر حجة فى التعريب نظرا لتواتر النقل عنها فـى مختلف أقطار العالم العربى . (2)

المـــادة

تنقسيم السلسلة الى فرعين :

1) ــ «الموحد فى التعريب»

يشتمل على :

أ ــ «مجموعة المصطلحات الموحدة»

ب ــ « مجموعة القرارات العلميـــة »(مجمع اللغـــة العربية) .

2) «معاجم التعريب»

تشتمل على :

أ ــ معجم للمعربات المجمعية

يتضمن جميع ما أقرته المجامع العربية من مصطلحات متقابلة ألفاظها العربية والفرنسية والانجليزية ومرتبة ترتيبا ألفبائيا حسب كل لغة .

ب ــ معجم للمعربات المتفرقة

يتضمن جميع ما تم تعريبه مـــن مصطلحات علمية وفنية وحضارية مما عدا المصطلحات الموحدة والمعربات المجمعية متقابلة الفاظ المعجـــم العربيـــة والفرنسية والانجليزية ومرتبة ترتيبا ألفبائيا حسب كل لغة مع اثبات جميع الالفاظ العربية المقترحة لمقابلة كل مصطلح أجنبى .

ت ــ معجم «المعرب»

يشمل جميع ما تم تعريبه من المصطلحات الموحد منها وغير الموحد متقابلة ألفـــاظها العربية والفرنسية والانجليزية ومرتبة ترتيبا الفاتيا حسب حروف كـل لغة مع الاشارة الى موضوع كل مصطلح ازاءه والى كونه موحدا أو شبه موحد أو مختلفا عليه والى مصدر التعريب ازاء كل مقابل عربى . (3)

الطـــريقة

1 ــ « الموحد فى التعريب» :

أ ــ «مجموعة المصطلحات الموحدة»

ــ تجميع المصطلحات الموحدة فى مختلف العلـــوم والفنـــون وشعب الحضارة باستقصائها فى نشـــرات الادارة الثقافية للجامعة العربية وفى النشرات الصادرة

عن مختلف المؤتمرات والاتحادات العربية وتجريدها في جزازات ثم في قائمة تشتمل على ثلاثة ضلوع : 1) اللفظ العربي . 2) المقابل الفرنسي . 3) المقابل الانجليزي .

– افراد اللفظ العربي بشرح يكون ترجمة لشرح مقابله الفرنسي في معجم لاروس أو في غيره من المعاجم الفرنسية او الانجليزية العلمية او التقنية وذلك تدقيقا لمدلول المصطلح العربي حتى لا يحرفه قراء اللغة العربية الذين لا يعرفون سواها والذين لم يتعودوا الدقة والقصد في التعبير . وينبغي أن يتحرى في هذا الشرح الوضوح والسلاسة حتى يسهل ادراج المصطلح العربي بشرحه فيما يستحدث من معاجم عربية وخصوصا في الطبعة المقبلة للمعجم الوسيط .

– تبويب المصطلحات حسب علومها وفنونها وترقيمها بأرقام ترتيبية متسلسلة .

– تذييل المجموعة بثلاثة أثبات :

1) ثبت يشمل الالفاظ العربية مرتبة ترتيبا ألفبائيا بدون اعتبار لمواضيعها مع الاشارة الى الرقم الترتيبي ازاء كل مصطلح .

2) ثبت مماثل للالفاظ الفرنسية .

3) ثبت مماثل للالفاظ الانجليزية .

ويمكن اصدار هذه المجموعة في أربعة معاجم :

1) معجم موضوعي . 2) معجم مرتب ترتيبا ألفبائيا حسب الالفاظ الفرنسية مثلما ياتي شرح ذلك بصدد الكلام على «معاجم التعريب» . 3) معجم مرتب حسب الالفاظ الانجليزية . 4) معجم مرتب حسب الالفاظ العربية .

ب) – مجموعة القرارات العلمية

نشر مجموعة القرارات العلمية المنتظر ورودها من مجمع اللغة العربية مع التزيات الجديرة بأن تضفي على هذه القرارات صبغة التوحيد مثل عبارات التقدير الصادرة عن الشخصيات العلمية المجمعية غير المصرية من أمثال مصطفى الشهابي في كتابه «المصطلحات العلمية في اللغة العربية» .

2 – «معاجم التعريب»

أ – المعربات المجمعية

تجرد من جزازات «مجموعة المصطلحات العلمية والفنية» (5 مجلدات) التي أقرها مجمع اللغة العربية بعد اضافة ما ينقصها من الالفاظ الفرنسية أو الانجليزية ؛ لذلك المصطلحات التي أقرها المجمعان العلمي العراقي والعلمي العربي المنشورة في أجزاء مجلتيهما ومطبوعاتهما ، وترتب الجزازات ترتيبا ألبائيا حسب ألفاظها ثم تثبت مصطلحاتها في قائمة مرتبة نفس الترتيب ومرقمة بأرقام متسلسلة وتذيل القائمة بثبت ترتيبي للالفاظ الانجليزية يتضمن الاشارة الى رقم كل لفظ انجليزي ازاءه وبثبت آخر للالفاظ العربية ومن القائمة والثبتين يتكون المعجم الاول للمعربات المعجمية

ثم يعاد ترتيب الجزازات ترتيبا ألفبائيا حسب الالفاظ الانجليزية وتثبت في قائمة وتذيل القائمة بثبت للالفاظ الفرنسية وثبت للالفاظ العربية على غرار المعجم الاول ويصدر بذلك المعجم الثاني للمعربات المجمعية .

ثم يعاد ترتيب الجزازات مرة ثالثة حسب الالفاظ العربية وتذيل القائمة بثبت للالفاظ الفرنسية وآخر للالفاظ الانجليزية ويتكون من ذلك المعجم الثالث للمعربات المجمعية .

ب – المعربات المتفرقة

يتضمن جميع ما تم تعريبه من مصطلحات علمية وفنية وحضارية ما عدا المصطلحات الموحدة والمعربات المجمعية متقابلة ألفاظ المعجم العربية والفرنسية والانجليزية ومرتبة ترتيبا ألفائيا حسب كل لغة ويثبت ازاء كل مقابل عربي مصدر تعريبه . ويسلك في اعداد هذا المعجم نفس الطريقة المتبعة في اعداد المعاجم الثلاثة للمعربات المجمعية .

ت – المعرب

يشمل المصطلحات الواردة في المعاجم السابقة كلها ولذلك لا يمكن التفكير في اعداده الا بعد صدور هذه المعاجم وتسلك فيه نفس الطريقة ، ومن شأن هذا السجل الشامل للمصطلحات الموحدة وغير الموحدة والمعجمية وغير المعجمية أن يكون خير معين على مهمة تنسيق المعربات وتوحيدها بما يجمعه ازاء كل مصطلح أجنبي من الالفاظ العربية المختلفة المرشحة لمقابلته .

في إطار اللجنة العليا للخبراء العرب
تشكيل شعبة القضاء والقانون

في يوم الخميس 20-5-65 تجددت شعبة القضاء والقانون في اللجنة العليا للخبراء العرب التابعة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، فانتخب الاستاذ عبد الكريم بنجلون وزير العدل سابقا ونقيب المحامين بفاس كاتبا عاما لها والاستاذ عبد الواحد العلوي العضو المستشار في المجلس الاعلى نائبا له والاستاذ حماد العراقي رئيس رابطة القضاة مقررا عاما كما كونت لجنتان احداهما للقانون العام يتولى التقرير العام فيها الاستاذ عبد الرحمان بنعبد النبي المستشار في المجلس الاعلى ونائب عميد كلية الحقوق والثانية للقانون الخاص ويتولى مهمة التقرير العام فيها الاستاذ موسى عبود المستشار الملحق بوزارة العدل .

وقد وقعت المصادقة من طرف الجمع العام على مشروع التصميم الذي قدمه السيد الامين العام للمكتب الدائم للتعريب في عرض موجز وهذا نص المشروع :

ان تأسيس الشعبة القضائية ضمن اللجنة العليا للخبراء العرب يندرج في التصميم العام الذي يركز به المكتب الدائم تنسيق جميع مظاهر التعريب في العالم العربي .

– ونظرا لما تقرر في مؤتمر وزراء التربية العرب ببغداد في أواخر يبراير سنة 1964 من ضرورة العمل على تكوين هيئة عليا تضم المجامع الثلاثة بالقاهرة ودمشق وبغداد مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي تقوم بتنسيق المصطلحات العربية وتوحيدها في حقل التعريب طبقا لمقررات مؤتمر التعريب الاول ومؤتمر المصطلحات المعربة بالجزائر – فان المكتب الدائم قد عزز لجنة الخبراء العرب بهيئة مجمعية مركزية تضم أعضاء المجامع الثلاثة الموجودين بالرباط وذلك علاوة على مجلس تنفيذي يتركب من رؤساء البعثات العربية بالمغرب. لهذا تتسم رسالة الشعبة القضائية والقانونية بأهمية كبرى ضمن هذا التصميم العام . ونقترح على هذا الجمع المقر العناصر الآتية في المشروع راجين دراستها :

1) بعد ما يتشكل المجلس العام لشعبة القضاء والقانون ينتخب كاتبه ومقرره العامان وتنبثق عنه لجان فرعية تسند الى كل منها بعض المشاريع المختلفة وينتخب لكل لجنة مقرر كما تتأسس لجنة تضم مقرري جميع اللجان تحت اشراف المقرر العام من أجل تنسيق الاعمال.

2) يعد المكتب الدائم الآن جميع المصطلحات القانونية والفقهية والقضائية الجاري بها العمل في كل قطر من اقطار العالم العربي وسيجعلها رهن اشارة اللجان المختلفة لتختص كل منها في تنسيق وتوحيد ما اختلف منها بين أقطار العالم العربي وذلك مع رعاية ما جرى به العمل لحد الآن في المغرب من المصطلحات التي يجب استكمال تنسيقها في مرحلة أولية .

3) تنظيم موسم قضائي بين خامس عشر مايه وخامس عشر يونيه 1966 في المغرب بتعاون بين المكتب الدائم للتعريب ورابطة القضاة المغاربة ونقابات المحامين وكلية الحقوق ، ويشتمل برنامج هذا الاسبوع على محاضرات وندوات ومعرض للكتاب العربي في الفقه والقانون ينظم بالرباط على أساس نقله دوريا الى كبريات المدن المغربية وذلك في نطاق معارض من نفس الاطار تقام في عواصم عربية أخرى .

4) اعداد تصميم سنوي لمحاضرات وندوات حول الفقه والقانون تهدف الى تنوير الفكر العام المغربي في هذا المجال وتبسيط المصطلحات الفقهية والقانونية وابراز مثالية الفقه الاسلامي واعطاء الاسبقية للتشريع الاسلامي في القانون المقارن .

5) اعداد قائمة بالمخطوطات المغربية في الفقه تعمل الشعبة على تحقيقها ونشرها حسب اهميتها .

اللجان الثقافية للمكتب الدائم للتعريب

(تشكلت بالدار البيضاء ، والرباط ، وفاس ، وتطوان، لجان ثقافية تابعة للمكتب الدائم للتعريب ، للاشراف على تنظيم محاضرات فى الثقافة ، واللغة ، والفكر ،وعلى تنسيق أعماله فى الاقاليم المغربية .

والغاية من تشكيل هذه اللجان نشر الثقافة العربية الاسلامية داخل العمالات وأقاليمها على أوسع نطاق والاستفادة من منشورات المكتب الدائم العلمية والادبية ، وتمكين اللغة العربية من ان تحتل مكانتها فى المجتمع المغربى ، وهذه المهمة الوطنية السامية مع ضخامتها واتساعها وتشعب ميادينها ليست سوى جانب صغير من الرسالة الكبرى التى يضطلع بها المكتب الدائم للتعريب على الصعيد العربى .

وفيما يلى تقارير عن نشاط اللجان حتى أواخر شهر يونيه 1965 :

لجنة الدار البيضاء

انعقد الاجتماع التأسيسى للجنة الثقافة لعمالة واقليم الدار البيضاء يوم الاحد 10 يناير 1965 تكون خلاله مكتب اللجنة الذى يضم أحد عشر عضوا هم السادة محمد الكتانى الاستاذ بثانوية فاطمة الزهراء الذى انتخب كاتبا عاما للجنة واحمد العبدى مفتش التعليم الابتدائى الذى انتخب نائبا للكاتب العام والتباع ابن احمد الاستاذ بثانوية مولاى عبد الله مساعد الكاتب العام وجعفر العلمى صاحب مطبعة الجامعة أمين الصندوق وعبد القادر خيزانى الاستاذ بثانوية مولاى عبد الله مساعد أمين الصندوق ومحمد سعديدى معلم بمدرسة حى الفرح وكيل ، وعبد السلام ياسين مفتش التعليم الثانوى واحمد بوخريص مدير الاذاعة الوطنية بالبيضاء والبحاثة العراقى الكبير عبد الحق فاضل وعبد المجيد حسن الاستاذ بمدرسة المعلمات الاقليمية .

وقد قامت هذه اللجنة لحد الآن بنشاط ثقافى ظهر أثره فى الصحف والاذاعة والدوائر الرسمية والاوساط الطلابية حيث نظمت عدة محاضرات للسادة : الاستاذ ادريس الكتانى حول «حضارة الاسلام وحضارة الغرب» والاستاذ علال الفاسى حول «الفكر الاسلامى والعصر الحديث» والاستاذ العراقى عبد الحق فاضل فى موضوع «فضل اللغة العربية على الحضارات القديمة» والاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام للمكتب الدائم فى موضوع «الفكر الاسلامى والعصر الحديث» والاستاذ علال الفاسى فى موضوع الساعة وهو «المجتمع الاسلامى المثالى فى العصر الحديث» .

وهذه المحاضرات هى حلقات من سلسلة ستستمر ان شاء الله الى نهاية السنة الحالية .

وليست سوى عنصر من عناصر المخطط الذى رسمه أعضاء المكتب للنشاط الثقافى العام والذى يشتمل على ندوات ومسرحيات ومباريات واذاعيات ونشرات وغيرها.

وقد أعد المكتب كذلك مشروع موسم ثقافى بأنواع متعددة من النشاط أطلق عليه «أسبوع الطالب» يمتد من 2 الى 8 مايو 1965 .

هذا عن النشاط الثقافى لاعضاء المكتب اما عن نشاطهم الادارى فقد اتصلوا بعامل الدار البيضاء وعامل الاقليم ورئيس المجلسين البلديين للعمالة والاقليم حيث أكدوا له استعدادهم للتعاون فى شأن تعريب المظاهر الحضارية لعمالة واقليم البيضاء فوجدوا تحمسا كبيرا عند المسئولين .

وقد تفضلت الإمانة العامة للمكتب الدائم فجعلت تحت تصرف اللجنة زهاء 4.000 كتاب في مختلف العلوم الحديثة مما لا يوجد في غير خزائنها من المكتاب العمومية منها والخاصة في سائر بلاد المغرب العربي . وذلك لتأسيس مكتبة اقليمية لتعزيز حركة التعريب الاداري والجامعي في مدينة الدار البيضاء .

لجنة الربـاط

بعد تكوين اللجنة الثقافية بالبيضاء للسهر على تنظيم نشاط ثقافي منظم استجابة للطلبات التي قدمها الجمهور العربي بالمغرب تكونت لجنة ثقافية بالرباط تحت اشراف الملحق الصحفي للمكتب الدائم للتعريب وقد كان اليوم العاشر من شهر فبراير الماضي موعدا لاجتماع عدد من الشخصيات العلمية بمقر المكتب الدائم للتعريب حيث تدارسوا برنامج المكتب وأعماله على الصعيدين العربي والوطني وما قام به هذا المكتب من انجازات في الحقول العلمية والتقنية .

وقد أسفر الاجتماع عن انتخاب مكتب للجنة الثقافية على الشكل الآتي :

الرئيس : محمد العلمي الملحق الصحفي للمكتب .

الكاتب العام : محمد المحلجي خبير اليونيسكو بالمغرب .

نائبه : نادر النابلسي ، أستاذ بالمدرسة العليا للاساتذة .

الامين : بلقاسم بنعمرو بقسم الصحافة بوزارة الداخلية .

نائبه : احمد بنعبد الله الشاوني من المركز الوطني للتعريب .

المستشار الفني : عبد الحميد ابن المحجوب من الادارة الثقافية بوزارة التربية .

المستشارون : احمد البشري مدير ثانوية الحسن الثاني . جمال المهياوي مدير ثانوية مولاى يوسف . ج مير – خبير بالمكتب الدائم للتعريب .

وتعتبر لجنة الرباط الثقافية اللجنة الثانية التي كونت بعد لجنة البيضاء ، وقد قامت في نطاق اختصاصاتها بتنظيم سلسلة من المحاضرات والندوات بكلية الآداب وقاعة الشبيبة والرياضة ودار الفكر والنادي الثقافي والمدرسة الادارية ومدارس محمد الخامس ومدرسة النهضة بسلا والجدير بالذكر انه شارك في الاشراف على هذا النشاط الثقافي عدة شخصيات علمية من الاطار الجامعي كما تعاونت على تنظيمها مع اللجنة عدة منظمات ثقافية مثل كلية الآداب وقدماء طلبة المدرسة الادارية واتحاد كتاب المغرب العربي وجمعية الثقافة الطلابية وغيرها من المؤسسات المغربية .

ومن الشخصيات المحاضرة أو المشاركة في الندوات الاساتذة : الدكتور المهدي بنعبود ، علال الفاسي ، عبد العزيز بنعبد الله ، محمد ابن البشير ، فاضل عبد الحق ، محمد المحلجي ، نادر النابلسي ، ابوبكر القادري ، محمد العلمي ، محمد حجي ، وقد كانت موضوعات المحاضرات والندوات حول الاسلام والفكر الحديث وحول فضل اللغة العربية على الحضارات القديمة وتدريس الفيزياء والرياضيات الحديثة بالعربية .

وقد وضعت قانونا داخليا لها وبرنامجا ثقافيا تسير على هديه ووفق ما يهدف اليه .

لجنة فاس

انعقد في غضون شهر ابريل الماضي بالغرفة التجارية بفاس اجتماع حضره مجموعة من المثقفين والاساتذة الجامعيين ، ورجال الصناعة والتجارة بفاس تحت رئاسة المندوب الاقليمي للمكتب الدائم لمؤتمر التعريب بفاس الاستاذ محمد بن الحاج التهامي السلاوي حيث تحدث للحاضرين الذين يمثلون مختلف الاتجاهات الفكرية عن مشاريع المكتب الدائم للتعريب الرامية الى خلق توازن فكرى في اللغة والثقافة بين البلاد العربية وعن امكانية تشكيل لجنة ثقافية اقليمية تابعة لهذا المكتب بفاس على غرار لجانه الاخرى بالبيضاء ، والرباط.

كما تحدث للحاضرين الاستاذان محمد السرغيني أستاذ بكلية الاداب وعبد الوهاب التازي عميد كلية الاداب ، العضوان في هيئة الموسوعة المغربية ، عن أهمية مشاريع المكتب الدائم من الناحية الثقافية البحت وعن النشاط الشامل لهيئة الموسوعة المغربية .

وبعد مناقشة طويلة في موضوع تأسيس هذه اللجنة انتخب المكتب على الشكل التالي :

الرئيس : محمد السرغيني - أستاذ بكلية الاداب بفاس .

نائب الرئيس : محمد بوطالب - أستاذ بكلية الاداب بفاس .

الكاتب العام : محمد السلاوى - صحافى محترف.

نائبه : عبد الحى عمور - أستاذ بثانوية مولاى سليمان .

الامين : احمد بلمليح - الكاتب العام لغرفةالتجارية بفاس .

نائبه : عبد القادر البوزجى - أستاذ بجامعةالقرويين

المستشارون :

عبد الوهاب التازى عميد كلية الاداب بفاس

ج̃ عبد الكريم الداودى أستاذ بجامعة القرويين

محمد الشغروشنى محامى

الانسة خناثة بنونة أستاذة بثانوية ابن كيران بفاس

ابراهيم الصقلى ثانوية مولاى رشيد بفاس

عبد السلام السلاوى أستاذ

عبد الوهاب ابن جلون أستاذ بثانوية مولاى ادريس

عبد اللطيف برادة أستاذ

محمد العلمى بكلية الاداب بفاس

هذا ، وبمجرد الانتهاء من تشكيل مكتب اللجنة ، عقد هذا المكتب اجتماعا اوليا درس فيه امكانية البدء فى النشاط العام لهذه اللجنة بمدينة فاس .

وعلمنا أن هذا المكتب سيعمل على تشكيل هيئة شرفية من الشخصيات البرلمانية ، والثقافية والرسمية سيعلن عن أسماء أعضائها فى القريب .

على غرار لجان الرباط والبيضاء وفاس تكونت لجنة ثقافية رابعة بتطوان تهدف للتعاون مع المكتب الدائم للتعريب في احياء معالم النهضة العربية والتعريف بنشاطه في حقل تنسيق الجهود العربية وتوحيدها وذلك بتنظيم محاضرات وندوات ومعارض علمية وفنية .

وقد انتخب الاستاذ ج̃ محمد عزيمان كاتبا عاما لها ومحمد مشبال نائبا له وعبد الله العمراني كاتبا اداريا واتخذت مقرا لها فرع المدرسة الادارية بتطوان وساهمت مع المكتب في تنظيم موسم للكتاب العربي بمحاضرة للاستاذ صالح الاشتر واخرى للاستاذ علال الفاسي وهي بصدد اعداد برامج ثقافية حافلة للسنة المقبلة .

تكوين لجنة محلية للتعريب بالجديدة

بعد زيارة السيد محمد العلمي الملحق الصحافي للمكتب الدائم للتعريب والسيد ادريس العلمي المندوب بالبيضاء واقليمها للجديدة لتنظيم مباريات أسبوع الطالب الاقصائية تم تكوين لجنة محلية للتعريب وتشكل مكتبها كما يلي :

الرئيس : السفياني احمد مفتش مساعد

خليفة أول : غربال احمد رئيس المحكمة بالجديدة

خليفة ثان : العدوي احمد مدير المعهد الاسلامي بالجديدة

خليفة ثالث : بوطالب بوشعيب معلم بمجموعة أحد أولاد فرج

الكاتب : الخطاب احمد مدير ثانوية أبي شعيب الدكالي

خليفة : الهنيوي محمد مدير ثانوية ابن خلدون

أمين : الناصري محمد

خليفة : العبادي مصطفى مدير مجموعة مدارس التكني

محافظ : عياش عبد السلام موظف بالبلدية

مكلف بشؤون الصحافة : مبخوت محمد ، معلم بثانوية ابن خلدون

مستشارون : الشاعر محمود - غومسي محمد - خشلاعة محمد - وادجيني احمد : أساتذة بثانوية ابن خلدون . بنبوزيد محمد : مفتش مساعد . القاسمي احمد مدير مدرسة الحسن الثاني . رزقي عبد الله : بالمعهد الاسلامي . موميزينة الجيلالي - الخطيب احمد .

× ×

كان يوم 28 مايو من أيام النشاط الثقافي الرائعة حيث توجت أعمال المكتب الدائم للتعريب بتنظيم مهرجان ثقافي بالمسرح البلدي كان من الذين حضروه عامل الاقليم ورجال السلطة المحلية وشخصيات أخرى وأعضاء لجنة التعريب المحلية ، والسيد محمد العلمي الملحق الصحافي بالمكتب الدائم للتعريب الذي ألقى كلمة قيمة في الافتتاح والسيد ادريس العلمي الذي ألقى هو الآخر كلمة تحدث فيها عن تنظيم أسبوع الطالب والدوافع التي حدت اليه والمشروعات التي تنوي اللجنة الاقليمية تحقيقها وتحدث عن المساعدات التي تتلقاها اللجنة والصعوبات التي

تعترضها وبعد ذلك تقدم الى المنصة الاستاذ الكبير والكاتب الشاعر السيد عبد الحق فاضل العراقي الذي ألقى محاضرة تحت عنوان : « فضل اللغة العربية على الحضارة القديمة » والاستاذ فاضل حائز على الاجازة في الحقوق ويعرف عدة لغات ، وقد شغل مناصب ديبلوماسية وكان سفيرا لبلاده في الصين ونال وسام الشرف من المغفور له محمد الخامس ، وله قصص منها : حائرون ، ومجنونان وطواغيت المزاح .... وله كتاب ثورة الخيام وهو ترجمة لعمر الخيام عن اللغة الفارسية وهو شاعر مجيد وأصدر مجلة « المجلة » وكتب في مجلات متعددة نذكر منها : « المعرفة » وهو الآن مقرر عام لهيئة موسوعة المغرب العربي .

وبعد الفراغ أجاب عن الاسئلة ، وبعده شرع الاستاذ خزاني عبد القادر ، في اعطاء بيانات حول تنظيم أسبوع الطالب ونتائجه التي كانت كما يلي :

المباراة الخطابية : فاز بلقب خطيب الثانوية التي ينتمي اليها :

- الآنسة جميلة الصديقي في ثانوية ابن خلدون بالجديدة
- الطالب حسن الشرحبيلي بالمعهد الاسلامي بالجديدة
- حسن أبو عبد المجيد في ثانوية ابن ياسين بخريبقة
- الآنسة خديجة الشرقاوي بمدرسة المعلمات بالدار البيضاء

- الآنسة زبيدة قاسي بالمعهد البلدي للبنات بالبيضاء
- الآنسة خديجة الحنفي بثانوية فاطمة الزهراء بالدار البيضاء
- فاضل محمد بثانوية محمد الخامس بالدار البيضاء
- عبد ربه انزاعي بثانوية مولاي عبد الله بالدار البيضاء
- صابر ابراهيم بكلية الحقوق بالدار البيضاء

وكانت النتائج النهائية للمباراة الخطابية على الشكل التالي :

1 ـ خطيب طلبة اقليم وعمالة الدار البيضاء فاز بها الشرحبيلي حسن من المعهد الاسلامي بالجديدة ونال الجائزة المالية وقدرها 400 درهم .

2 ـ الفائز الثاني بجائزة قدرها 300 درهم صابر ابراهيم بكلية الحقوق بالبيضاء

3 ـ الفائز بالجائزة الثالثة وقدرها 200 درهم الآنسة خديجة الحنفي بثانوية فاطمة الزهراء بالدار البيضاء .

2) **المباراة الكتابية :** نتائجها :

1) الفائز بالجائزة الاولى وقدرها 500 درهم هو حسن أوكيل بمعهد فوش بالدار البيضاء ، واستحق معها لقب كاتب طلبة عمالة اقليم البيضاء .

2) الفائز بالجائزة الثانية وقدرها 400 درهم محمد الضامني بثانوية ادريس الازهر بالبيضاء .

3) الفائز بالجائزة الثالثة زهير عبد السلام الشياظمي بالمعهد الاسلامي بالجديدة وقدرها 300 درهم .

4) فاز بالجائزة الرابعة وقدرها 200 درهم الآنسة خديجة الحنفي بثانوية فاطمة الزهراء بالبيضاء .

5) الجائزة الخامسة وقدرها 100 درهم فاز بها محمد المجدوبي بثانوية الخوارزمي بالبيضاء .

3) **المباراة الادبية :** نتائجها الاولية ، فاز بلقب أديب طلبة الثانوية التي ينتمي اليها :

- محمد الماحي بثانوية ابن ياسين بخريبقة
- حسن الشرحبيلي في المعهد الاسلامي بالجديدة
- عبد الكبير أولاد زروال في ثانوية ابن خلدون بالجديدة
- ناجي جمال الدين بثانوية مولا عبد الله بالبيضاء
- الآنسة راضية النعيمي بثانوية محمد الخامس بالبيضاء
- الآنسة فاطمة السرحاني بثانوية فاطمة الزهراء بالبيضاء

- الآنسة زبيدة قاسي في المعهد البلدي للبنات بالبيضاء
- الآنسة فاطمة أسقي حلوقة بمدرسة المعلمات بالبيضاء
- مديح الادريسي في كلية الحقوق بالدار البيضاء
- بشار كردي بثانوية مولاي ادريس الازهر بالبيضاء

النتائج النهائية كما يلي :

1 ـ الفائز بلقب أديب الطلبة باقليم وعمالة البيضاء عبد الكبير أولاد زروال الطالب بثانوية ابن خلدون بالجديدة ، وبذلك استحق الجائزة الاولى في المباراة الادبية وقدرها 400 درهم .

2 ـ الجائزة الثانية ومبلغها 300 درهم للآنسة راضية النعيمي الطالبة بثانوية محمد الخامس بالبيضاء .

3 ـ الجائزة الثالثة ومبلغها 200 درهم للطالب حسن الشرحبيلي أديب المعهد الاسلامي بالجديدة .

4) **المباراة التعريبية :** فاز بلقب معرب الثانوية التي ينتمي اليها :

- محمد الصيباري بالمعهد الاسلامي بالجديدة
- خالد يحيى عبد الرحيم بثانوية ابن خلدون
- الآنسة فاطمة الشتوكي بثانوية ابن ياسين بخريبقة
- الآنسة زبيدة قاسي بالمعهد البلدي للبنات بالبيضاء

- بشار كردي بثانوية الازهر بالبيضاء
- احمد الزروالي بكلية الحقوق بالبيضاء
- الآنسة حليمة الراحمي بثانوية فاطمة الزهراء بالبيضاء
- المحرري بثانوية محمد الخامس بالبيضاء
- عبد ربه الزاغي بثانوية الامير عبد الله بالبيضاء

والنتائج النهائية كما يلي :

1 ـ الفائز بلقب « معرب » طلبة عمالة واقليم البيضاء عبد ربه انزاعي الطالب بثانوية مولاي عبد الله بالبيضاء وبذلك استحق الجائزة الاولى ومبلغها 300 درهم .

2 ـ الفائز بالجائزة الثانية ومبلغها 200 درهم محمد الصيباري بالمعهد الاسلامي بالجديدة .

3ـ الفائز بالجائزة الثالثة وقدرها 100 درهم الآنسة فاطمة اشتوكي بثانوية ابن ياسين بخريبقة

الفائز من طلبة الاقليم بالجوائز المالية والادبية

1 ـ حسن الشرحبيلي الطالب بالمعهد الاسلامي بالجديدة الفائز بالجائزة الاولى في المباراة الخطابية وبالجائزة الثالثة في المباراة الادبية وبشهادة حصوله على لقب خطيب طلبة اقليم وعمالة البيضاء .

2 ـ عبد الكبير أولاد زروال الطالب بثانوية ابن خلدون بالجديدة الفائز بالجائزة الاولى في المباراة الادبية وبحصوله على لقب أديب طلبة الاقليم وعمالته بالبيضاء .

3 ـ محمد الصيباري الطالب بالمعهد الاسلامي بالجديدة الفائز بالجائزة الثانية في المباراة التعريبية وبشهادة حصوله على لقب « معرب » طلبة المعهد الاسلامي .

4 ـ الآنسة الشتوكي الطالبة بثانوية ابن ياسين بخريبقة الفائزة بالجائزة الثالثة في المباراة التعريبية وبشهادة حصولها على لقب معربة طلبة ثانوية ابن ياسين.

5 ـ زهير عبد السلام بن محمد الشياظمي الطالب بالمعهد الاسلامي بالجديدة الفائز بالجائزة الثالثة في المباراة الكتابية المنظمة بالتعاون مع دار أمريكا .

الفائزون بالجوائز الادبية وحدها من طلبة الاقليم

1 ـ الآنسة جميلة الصديقي الفائزة بشهادة حصولها على لقب « خطيبة طلبة ثانوية ابن خلدون بالجديدة » .

2 ـ حسن ابو عبد المجيد الفائز بشهادة حصوله على لقب « خطيب طلبة ثانوية ابن ياسين بخريبقة » .

3 ـ محمد الماحي الفائز بشهادة حصوله على لقب « اديب طلبة ثانوية ابن ياسين بخريبقة » .

4 ـ خالد يحيى عبد الرحي الفائز بشهادة حصوله على لقب « معرب طلبة ثانوية ابن خلدون بالجديدة » .

ومن المعلوم أن لجان المكتب الاربعة قد تعاونت مع الامانة العامة في تنظيم الموسم الثاني للكتاب العربي الذي تجدون وصفا له في غير هذا المكان حيث قامت لجنة الدار البيضاء بتنظيم أسبوع الطالب وتنظيم عدة محاضرات ولجنة الرباط تعاونت مع المكتب في تنظيم عدة محاضرات وندوات واستجوابات علمية ومعرض للكتاب العربي وآخر فني اشتمل على آخر ما توصل اليه العلماء في أبحاث الفضاء ولجنة فاس نظمت بعض المحاضرات الثقافية ورواقا ثقافيا بمعرض فاس اختتم بحفلة شيقة تكلم فيها كل من رئيس المعرض السيد محمد بنشقرون والكاتب العام ورئيس اللجنة والمكلف الصحفي للمكتب الدائم للتعريب حيث ابرزوا جميعا أهمية مساهمة المكتب برواق في المعرض الاقتصادي ومشاريع ومنجزات المكتب واللجنة الثقافية التابعة له بفاس .

في طريق انشاء المجمع العربي الموحد: تكوين لجنة مجمعية

في إطار المكتب الدائم للتعريب

ان فكرة انشاء مجمع موحد ليست وليدة مؤتمر التعريب الاول الذى انعقد بالرباط فيما بين 3 و 7 ابريل 1961 ولا هي من الامور الجديدة على المؤتمر الثاني لوزراء التربية العرب بل ان فكرة توحيد المجامع اللغوية والعلمية في مجمع عربي واحد يكون له وحده القول الفصل في وضع مصطلح موحد يعم استعماله جميع الدول الناطقة بالضاد نشأت بالقاهرة وعند انعقاد مؤتمر وزراء المعارف العرب بها في ديسمبر 1953 حيث قدم اليه اقتراح « بانشاء مجمع علمي عربي موحد يهتم بجميع العلوم على السواء ، ويحل محل المجامع الاقليمية فى القاهرة ودمشق وبغداد وتكون مهمته بعث التراث العربى وتوحيد المصطلحات العلمية » فأحالته اللجنة المختصة فى هذا المؤتمر على المكتب الدائم للجنة الثقافية لجامعة الدول العربية لدراسته والتقدم بنتيجة بحثه الى اللجنة الثقافية فى دورتها الثالثة ووافق عليه مجلس الجامعة العربية فى اجتماعه العشرين بتاريخ 26 ــ 1 ــ 54

وعند عرضه على المكتب الدائم للجنة الثقافية المذكورة في جلسته المنعقدة بتاريخ 20 ــ 2 ــ 54 قرر ما ياتي : « يجب صرف النظر عن هذا الاقتراح نظرا لان المجامع العلمية الموجودة فى القاهرة ودمشق وبغداد متعاونة مع بعضها ، ولان بعض اعضائها يشترك فى اكثر من مجمع واحد منها ، كما ان الجامعة العربية بصدد انشاء اتحاد علمي عربي يهدف الى جمع شمل العلماء والهيئات العلمية فى البلاد العربية بما يؤدى الى تنشيط الحركة العلمية فيها » ثم وافق مجلس الجامعة العربية على هذا القرار فى دورته الثالثة والعشرين فى مارس 1955 مضافا اليه اقتراح اللجنة الثقافية أيضا الرامى الى عقد مؤتمرات دورية لتوحيد اعمال المجامع الثلاثة ، وهكذا دعي الى دمشق في سبتمبر 1956 ثلاثة أعضاء مجامع القاهرة ودمشق وبغداد لمشاركة الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية فى تنظيم أول مؤتمر للمجامع العلمية واللغوية بالعالم العربى يعنى بالنظر فى تنظيم الاتصال وتنسيق الاعمال بين المجامع اللغوية العربية ، وبحث ما وصلت اليه المجامع الثلاثة من دراسة وسائل ترقية اللغة العربية ، وتبسيط قواعدها ، وتيسير كتابتها وامكانية

انشاء مجمع لغوى عربى واحد وغير ذلك مما يتعلق بتوحيد الخطة فى ميادين الترجمة والتأليف والنشر ووسائل التربية والاعلام ، وقد كان من أهم ما توصل اليه هذا المؤتمر انشاء اتحاد للمجامع اللغوية والعلمية العربية ينظم اتصالاتها وينسق اعمالها فيما يتعلق بترقية اللغة العربية والمحافظة على سلامتها ، وتيسير تعليم قاعدها وسبل مسايرتها للحياة العصرية والتقدم العلمى كما ينظم الصلات بينها وبين الوزارات والادارات والهيئات التى تعنى بمثل ما تعنى به المجامع المذكورة من أعمال ومهام . الا ان هذا الاتحاد لم يحظ بانخراط جميع الدول العربية حيث لم يتجاوز عدد اعضائه من الدول العربية أربعا كما دلت على ذلك رسالة رئيس الاتحادالعلمى نفسه المنشورة بالعدد الاول من مجلة اللسان العربى وقد أصبح الامر بعد استقلال ليبيا وتونس والمغربالعربى وفى ضمنه الجزائر التى استقلت بعد ذلك يدعو الى البحث فى تحقيق التعريب بالمغرب ، كما يتطلب تنسيق الجهود العربية فى وضع المصطلحات العلمية التى تغزو الحياة اليومية بالآلاف ، لذلك دعت الحكومة المغربية والامانة العامة لجامعة الدول العربية جميع اعضاء هذه المنظمة العربية لعقد مؤتمر للتعريب فى ابريل 1961 يهتم بالقضايا العربية والتعريب ويعمل على تحقيق توحيد اعمال المجامع العلمية واللغوية وتنسيقها حتى يسهل تعريب التعليم والادارة وجميع مظاهر الحضارة فى العالم العربى على شكل منطقى موحد لا يجحف بمستوى التعليم فى هاته الاقطار ويجعل الحياة العلمية تسير على نمط موازلها عند الدول

المتقدمة ، ولقد كان من نتائج مؤتمر التعريب المذكور ، التوصية بأن يكون هيئة فى مكتب دائم بالرباط عاصمة المملكة المغربية وانشاء مجمع عربي موحد ، حيث جاء فى التوصية الثالثة المتعلقة بموضوع التنسيق وتوحيد الجهود ما يأتى « د » ويتطلع المؤتمر الى وقت قريب يتحقق فيه للامة العربية مجمع موحد الى مجمع لكل قطر »

وقد عملت الامانة العامة للمكتب الدائم المنبثق عن مؤتمر التعريب منذ تأسيس هذا المكتب فى يناير 1962 على تطبيق هاته التوصية حيث كاتبت جميع الدول العربية التى ليس بها مجمع تحثها على التعجيل بتكوينه وقد أجابت كل من تونس والمملكة العربية السعودية والسودان وليبيا تستوضح عن مسطرة انجاز هذا المشروع فزودها المكتب بما يلزم فى الموضوع وأعد فى المغرب الاقصى مشروع لهاته الغاية ما زال تحت الدرس وقد أوصى المؤتمر الثانى لوزراء التربية العرب المنعقد ببغداد فى يبراير 1964 تعزيزا لعمل المكتب فى ذلك بتأليف لجنة عليا من المجامع الثلاثة والمكتب الدائم للتعريب يعهد اليها بتنسيق جهود المجامع وتوحيدها طبقا لقررات المؤتمرات العربية السابقة فى الموضوع .

وفى انتظار تكوين مجمع لغوى وطنى لكل دولة عربية وتكوين اتحاد مجمعى للعالم العربى رأي المكتب انه نظرا لحالة الاستعجال التى يتطلبها تنسيق الجهودالعربية المبذولة فى حقل وضع المصطلح العلمى ان تتكون لجنة مجمعية تضم جميع الاساتذة الموجودين بالمغرب والمنتمين لاحد المجامع العربية الثلاثة فى القاهرة ودمشق وبغداد وذلك من أجل تنسيق بين جهود المجامع العربية فى خصوص المصطلحات العلمية بالنظر فيما يرد على المكتب الدائم من توجيهات وملاحظات من طرف المجامع والمجانس العليا تهدف الى اصدار مجموعة موحدة من المصطلحات العلمية والتقنية .

وقد تكونت اللجنة المذكورة من الاساتذة : محمد الفاسى — علال الفاسى — عبد الله جنون — حكمت هاشم سامى الدهان — شكرى فيصل — امجد الطرابلسى وكلهم أعضاء في المجامع الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد .

تقويم لسان العامة

- لا تقل نفاخات بضم النون بل بفتحها
- لا تقل فلان من طبقة فلان بل من طبق فلان أي من جماعته والطبق الجماعة من الناس وكذلك يقولون للخزانة ثلاث طبقات والصواب ثلاث أطباق .
- لا تقل للنهر خاصة الوادي اذ الوادي كل بطن من الارض مطمئن وربما استقر فيه الماء والجمع أودية على غير قياس .
- لا تقل لبائع الدقيق دقاق بل دقيقي وقد أكد ذلك ابن سيده في المحكم .
- لا تقل رواه الكافة عن الكافة بل رواه الناس كافة قال تعالى ادخلوا في السلم كافة .
- لا تقل ببطير للخرقة التي تجعل في عنق الصبي لتصون ثيابه وانما تسميها العرب المخنق (بضم الميم) .
- يقولون لخلاف السدى الطعمة والصواب اللحمة اذ الطعمة الماكلة أو الدعوة الى الطعام
- يقولون لدغته العقرب والاختيار أن يقال لكل ما يضرب بمؤخره كالعقرب والزنبور لسع ولما يقبض بأسنانه كالكلب والسباع نهش ونهس ولما يضرب بفيه كالحية لدغ .

(من كتاب لحن العوام لابن هشام
مخطوط مصور بالمكتب الدائم)

أنباء التعريب

– اجرى فى بداية شهر مارس الصحفى سيفان هوغ ممثل وكالة (رويتر للانباء) حديثا صحفيا مع الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله حول تطور الاسلام فى المغرب للصحافة الامريكية .

– نظمت اللجنة الثقافية التابعة للمكتب الدائم للتعريب بالدار البيضاء ندوة فى موضوع الاسلام والفكر الحديث وذلك يوم 24 مايو 1965 كانت على شكل حوار حي بين الامين العام للمكتب الدائم للتعريب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله وجمهور طلبة ثانوية محمد الخامس الذين تقدموا اليه بأسئلة تتضمن صورا من الشبه الموجهة الى الاسلام وموقف الاسلام من المذاهب العقلية والاقتصادية الحديثة ، وقد لوحظ تطلع طلبتنا الى معرفة الاسلام على حقيقته ليخرجوا من الحيرة التى أوقعهم فيه جمود المسلمين من جهة وطغيان الفلسفات الغربية الملحدة من جهة أخرى كما لوحظ تجاوب تام بين الاستاذ وجميع الحاضرين الذين كان أغلبهم من رواد الثقافة الجديدة ومن بين النقط العديدة التي وقع حولها الاستجواب :

1) قضية المرأة فى الاسلام .
2) موقف الاسلام من المذاهب الاقتصادية الحديثة .
3) تأييد الاسلام للعلوم الحديثة .
4) الاجتهاد فى الاسلام .
5) تعدد الزوجات بالنسبة للنبى وعامة المسلمين.

وقد استغرق الاستجواب أكثر من ساعة ونصف .

– زار السيد سيشاو الكاتب الاول لسفارة الجمهورية الصينية الشعبية الامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب فى غضون شهر يونيه واجرى مع السيد الامين العام حديثا طويلا استغرق ساعة ونصف ساعة حول مسطرة التعريب فى العالم العربى وجهود المغرب فى هذا الباب وأبدى اعجابه بمنجزات المكتب الدائم والمركز الوطنى للتعريب .

– أقام المكتب الدائم للتعريب يوم الاثنين 18–I–1965 حفلة لتدشين خزانته العلمية التى أصبحت مفتوحة فى وجه الباحثين من الطلبة والاساتذة والمثقفين .

وقد حضر هذه الحفلة بعض ممثلى السفارات العربية وكثير من الشخصيات البارزة فى وزارة التربية الوطنية ومن أساتذة التعليم الثانوى والجامعى وقد ارتجل الملحق الصحفى للمكتب بهذه المناسبة خطابا رحب فيه بالحاضرين وعبر عن الفراغ الموجود فى الحقل الثقافى وتفكير المكتب الدائم فى تعميم الثقافة العربية بكل الوسائل ، طبقا لتوصيات مؤتمر التعريب الاول ولا سيما بتنظيم المحاضرات والندوات وعرض الاشرطة العلمية وفتح الخزائن فى مدن المغرب ، وقد فتح هذه الخزانة بالرباط وسيعمل على فتح خزانة أخرى فى الدار البيضاء ثم يتابع هذا العمل كلما وجد الامكانيات وتوفر على الكتب عن طريق المبادلات الثقافية المعمول بها والتى تضمنتها توصيات المؤتمر المذكور .

– قام الملحق الصحفى للمكتب الدائم للتعريب ومندوب المكتب فى الدار البيضاء بجولة عبر اقليم هاته المدينة اتصلا خلالها بعدة شخصيات علمية وادارية وعقدا عدة اجتماعات أسفرت عن تعين ممثلين للمكتب فى كل من سطات والجديدة وبرشيد وخريبكة وذلك بناء على اتصالات واجتماعات سابقة مع عامل الاقليم الاستاذ محمد العزوزى وتكونت فروع للجنة الثقافية بالدار البيضاء يمثلها فى سطات مدير ثانوية سطات الاستاذ عبد الله معنينو وفى برشيد الاستاذ المعروفى الحارس العام بثانوية برشيد وفى الجديدة الاستاذ محمد العلوى مدير المعهد الاسلامى وفى خريبكة الاستاذ

سعد زغلول وهؤلاء يعتبرون ممثلين مساعدين لمندوبنا بالبيضاء .

ـ عقد سفير المملكة المغربية بطرابلس جلسة عمل مع معالي وزير التربية والتعليم الليبي في شأن هيئة المغرب العربي للموسوعة تعين خلالها الاستاذ محمد بن مسعود الوكيل المساعد بوزارة التربية رئيسا لهيئة ليبيا في موسوعة المغرب العربي ، تلبية لرغبة المكتب الدائم للتعريب والسيد بن مسعود مؤرخ كبير متخصص في دراسة التاريخ الليبي قديما وحديثا . وله مجموعة مؤلفات قيمة في هذا الصدد .

ـ قام الاستاذ محمد بن مسعود وكيل وزارة المعارف الليبية ورئيس هيئة ليبيا في موسوعة المغرب العربي بزيارة للامانة العامة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي حيث أجرى مذاكرة ودية مع الامين العام للمكتب الدائم للتعريب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في قضايا التعريب في العالم العربي عموما وفي المغرب العربي على الخصوص .

هذا وقد انتهز السيد ابن مسعود وجود الاستاذ علال الفاسي رئيس هيئة المغرب لموسوعة المغرب العربي بالمكتب الدائم للتعريب فأجرى معه حديثا طويلا حول موسوعة المغرب العربي وحول مسطرتها وبرنامجها .

وبهذه المناسبة أكد السيد ابن مسعود رغبة ليبيا الشقيقة في اجتماع رؤساء الهيئات المغربية والتونسية والجزائرية على أرض ليبيا في القريب للتباحث حول امكانيات التنسيق بين الدول المعنية .

ـ عقد سفير المغرب في الجزائر جلسة عمل مع الاستاذ الجزائري مالك بن نبي تلبية لدعوة المكتب الدائم للتعريب في شأن رئاسة هيئة الجزائر لموسوعة المغرب العربي وقد قبل الاستاذ مالك هذا الاقتراح حيث شرع في اتصاله بأساتذة جامعة الجزائر وبالادباء والمؤرخين الجزائريين .

ـ انعقد اجتماع يوم 17 يونيه 1965 ضم الى جانب السيد رئيس هيئة المغرب الاقصى في موسوعة المغرب العربي الاستاذ علال الفاسي السيد الامين العام للمكتب الدائم ومساعديه فتبين ما يلي :

ان شعبة موسوعة المغرب العربي التابعة للمكتب الدائم للتعريب منكبة الآن على اعداد قائمة كاملة بالمواضيع التي ستدرج في حرف الالف من سلسلة المغرب الاقصى في موسوعة المغرب العربي وستوزع هاته القائمة على أعضاء اللجان المختلفة وغيرهم من الخبراء في الداخل والخارج ليتكفل كل عضو حسب اختصاصه باعداد بحث في موضوع يحدد باتفاق معه . ويجب ان لا يتجاوز انجاز هذا العمل أكثر من تسعة أشهر ابتداء من السنة الدراسية المقبلة (1965 ـ 1966) ليشرع في طبع الجزء الاول من الموسوعة في بداية السنة الدراسية (66 ـ 1967) .

ويكون ذلك انطلاقة لصدور الاجزاء المتوالية تباعا وذلك ان قوائم جديدة ستستخلص عن كل حرف وتوزع بنفس الطريقة على الاعضاء لاعداد بحوثها على مهل .

ـ عقدت لجنة المقررين في شعبة القضاء والقانون التابعة للجنة العليا للخبراء العرب بمقر الامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب يوم 5 مايو 1965 اجتماعا اتفقت فيه على مسطرة العمل وقررت ان تعقد كل من لجنتي القانون العام والخاص جلسات دورية تحت رئاسة مقرريها العاملين لتطبيق هاته المسطرة وانجاز المشاريع الخاصة بتنسيق جهود التعريب القضائي والقانوني على الصعيدين الوطني والعربي بتعاون مع الامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب وخبرائه في الشعبة القضائية القانونية .

ـ كان يوم السبت 12 مايو يوم الكتاب العربي بالمعرض الاقتصادي بفاس وقد أقيمت حفلة في رواق المكتب الدائم للتعريب حضرها أعضاء لجنة المعرض والغرفة التجارية بفاس وعدد كبير من رجال الثقافة والتعليم ونائب فاس الاستاذ الكبير علال الفاسي وبعض الاساتذة العرب الجامعيين وقد تقدم الى المنصة كل من رئيس المعرض الاستاذ الصيدلي محمد بنشقرون والكاتب العام للجنة الثقافية باقليم فاس السيد محمد السلوى ورئيسها الاستاذ محمد السرغيني وفي الاخير ارتجل الاستاذ محمد العلمي ممثل المكتب الدائم للتعريب خطابا شكر فيه جميع من ساهموا في انجاح تنظيم هذا الرواق الثقافي كما تحدث عن منجزات المكتب ومشاريعه العلمية والثقافية وختمت الحفلة بمأدبة العشاء التي أقامها السيد عمر الدويري رئيس الغرفة التجارية على شرف الحاضرين .

– عقدت لجنة المقررين في شعبة القضاء والقانون التابعة للجنة العليا للخبراء العرب بمقر الامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب اجتماعا اتفقت فيه على مسطرة العمل وقررت ان تعقد كل من لجنتي القانون العام والخاص جلسات دورية تحت رئاسة مقرريها العامين لتطبيق هاته المسطرة وانجاز المشاريع الخاصة بتنسيق جهود التعريب القضائي والقانوني على الصعيدين الوطني والعربي بتعاون مع الامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب وخبرائه في الشعبة القضائية القانونية .

– اجتمعت لجنة مقرري لجان الموسوعة المغربية في بداية شهر يونيه برئاسة رئيس الهيئة الاستاذ علال الفاسي وبحضور السيد الامين العام للمكتب الدائم للتعريب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله والسيد المقرر العام للموسوعة الاستاذ عبد الحق فاضل .

وقد استعرض مقررو اللجان أعمال لجانهم بتفصيل وناقشوا مع السيد رئيس الهيئة ما توصلوا اليه من ابحاث ودراسات في مجالات الحضارة والتاريخ والاقتصاد والجغرافية وغير ذلك .

وبهذه المناسبة قدم الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله عرضا ضافيا عن الهيئات المماثلة لهيئة المغرب في تونس والجزائر وليبيا ، كما تحدث عن التعيينات الاخيرة لرؤساء الهيئات في بلدان المغرب العربي وعن المهمة التي سيقوم بها رئيس هيئة ليبيا أثناء زيارته لكل من المغرب أو الجزائر وتونس وأكد أن الاجتماع الاول لرؤساء الهيئات ربما ينعقد في ليبيا ، وسيخطو بموسوعة المغرب العربي خطوة هامة الى الامام . وقبل رفع الجلسة قدم الاستاذ عبد الحق فاضل المقرر العام لهيئة المغرب عرضا عن المسطرة التلمية التي تقرر السير على منهجها في تدوين الابحاث العلمية المنوطة بأعضاء اللجان .

وقد رفعت الجلسة بعدما اتفق مقررو اللجان على الاجتماع بأعضاء لجانهم مرتين في الشهر في مرحلة أولى لتتبع تطور الابحاث التي يقوم بها أعضاء الهيئة المحترمون .

– انعقد عشية الاثنين 1965/6/14 – اجتماع ضم الاساتذة المجمعيين السادة : محمد الفاسي علال الفاسي عبد الله جنون حكمت هاشم – سامي الدهان – شكري فيصل بالاضافة الى الامين العام للمكتب الدائم للتعريب عبد العزيز بنعبد الله ومساعده للبحث في تكوين هيئة مجمعية تعمل في اطار المكتب المذكور من اجل تنسيق الجهود العربية المبذولة في حقل التعريب وتساعده على العمل لتكوين مجمع موحد على صعيد المغرب العربي يكون النواة الاولى لتكوين المجمع العربي الموحد بناء على توصية مؤتمر التعريب الاول المنعقد بدعوة من الحكومة المغربية في أبريل 1961 والمؤتمر الثاني لوزراء التربية العرب المنعقد ببغداد في أواخر يبراير 1964 حيث أوصى بتكوين هيأة عليا لهذا الغرض من المجامع الثلاثة والمكتب الدائم للتعريب وقد اتفق على تكوين لجنة مجمعية تضم الاساتذة العرب المنتمين لاحد المجامع الثلاثة في القاهرة – ودمشق – وبغداد والموجودين بالمغرب .

– كون المجلس الاعلى للعلوم بالجمهورية العربية السورية لجنة لدراسة معجم الطحانة والفرانة والخبازة الذي الفه خبراء المكتب الدائم للتعريب بتعاون مع المركز الوطني للتعريب وقد استغرقت هذه الدراسة عدة شهور أسفرت عن الملاحظات التي توصل بها المكتب اخيرا والتي سيعمل على اضافتها للملاحظات التي سبق للهيئات العلمية واللغوية ان تقدمت بها أيضا وستصدر طبعة اولى لهذا المعجم منقحة من طرف لجنة التنسيق التي كونها المكتب لهذا الغرض .

– كون مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة لدراسة معجم الرياضيات الذي توصل به من المكتب الدائم للتعريب وقد درسته هاته اللجنة دراسة وافية وبعثت بملاحظاتها التي ستضاف الى ملاحظات المجامع والبيئات العربية الاخرى من أجل اصدار طبعة أولى منقحة ومهيأة من طرف لجنة من الخبراء العرب كونها المكتب الدائم للتعريب لهذا الغرض .

كما تفضل المجلس الاعلى للعلوم بسوريا بموافاة المكتب الدائم بتقرير عن المصطلحات الخاصة بالسيارة والتي سبق للمكتب ان أدرجها ضمن معجم صغير ووزعها في العالم العربي بلغات ثلاث (العربية والانجليزية والفرنسية) .

– استجوب الملحق الصحفي للمكتب الدائم للتعريب معالي وزير البريد والبرق والهاتف في الحكومة المغربية حول سير التعريب بوزارته وقد تضمن الاستجواب المذكور عرضا مفصلا عن المراحل التي قطعتها وزارة البريد في حقل التعريب من الناحيتين الادارية والفنية .

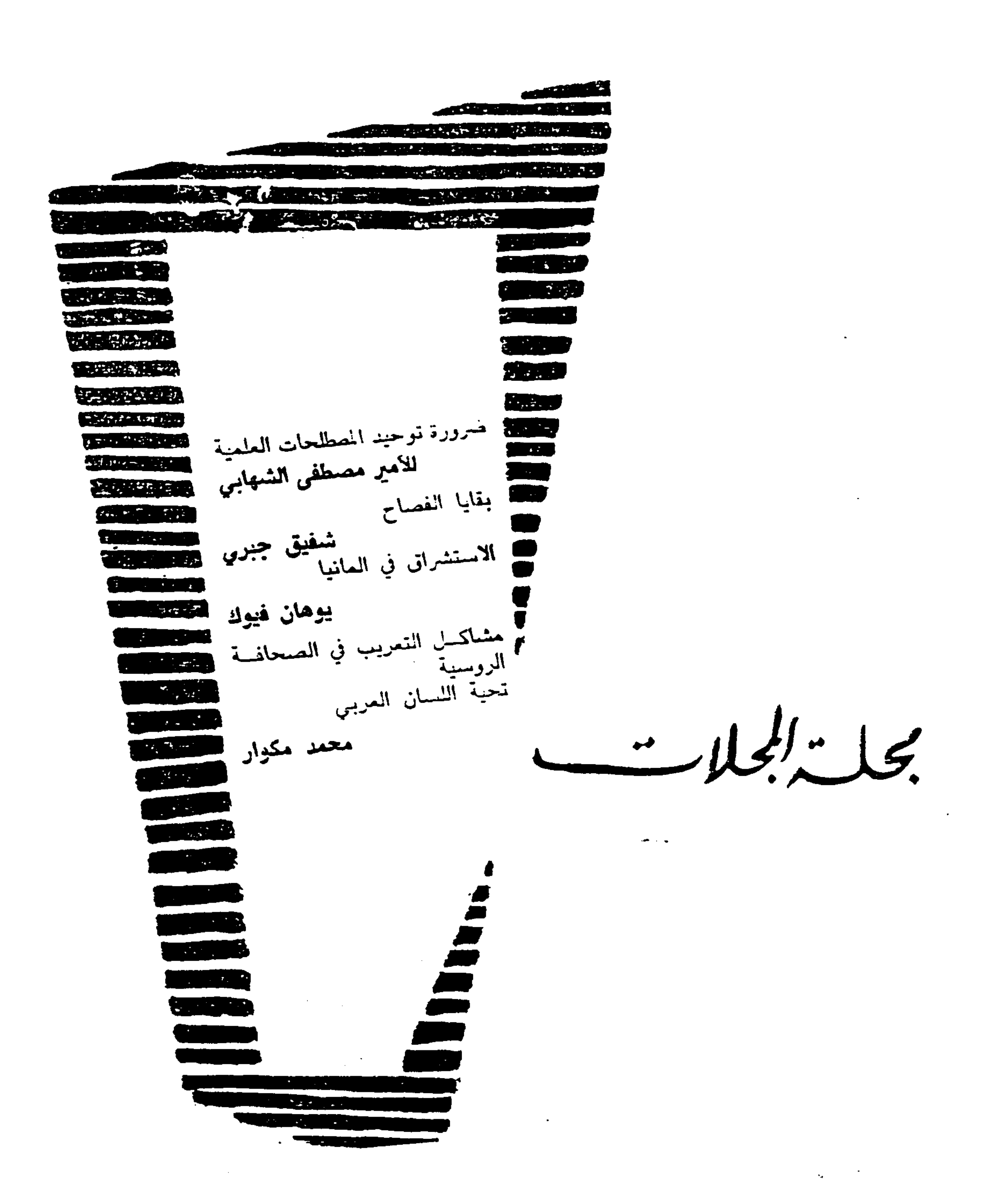
كما استجوب معالى وزير العدل عن مراحل تطبيق قانون تعريب القضا. وتوحيده ومغربته.

ـ اقام المكتب الدائم الدائم للتعريب حفلة استقبال على شرف وفد من الاساتذة والطلبة المستشرقين بجامعة مدريد الاسبانية وقد تخللت هاته الحفلة أحاديث ومناقشات حول العلاقات الموجودة بين الثقافتين العربية والاسبانية وتأثر هاته الاخيرة بمجهود الاعلام العرب وقد رحب بهم باسم المكتب ملحقة الصحافي في خطاب مرتجل تضمن الغاية التى من أجلها أسس المكتب والاهداف العربية الكبرى التى يعمل لتحقيقها ودور الامم العربية وخبرائها فى تحقيق تقدم حضارى وانسانى كامل ، فاجابه رئيس الوفد الاستاذ الاسبانى بكلية الآداب بيدرو مارتينيز Pedro Martinez بخطاب مماثل بعد ان ترجم خطاب ممثل المكتب الى اللغة الاسبانية ثم طاف أعضاء الوفد الصديق على مختلف أقسام المكتب الدائم والمركز الوطنى للتعريب وتعرفوا على نشاطها واحدا واحدا .

قل ولا تقل

(من كتاب الرد على الزبيدي في لحن العوام لابن هشام ـ مخطوط مصور في خزانة المكتب الدائم)

- يقولون جبس والصواب كلس فأما الجبس بكسر الجيم فهو الثقيل من الناس
- يقولون ابن المديني اذا نسبوه الى المدينة والصواب المدني لانك اذا نسبت رجلا أو ثوبا الى المدينة قلت مدني وان نسبت طيرا أو نحوه قلت مديني .
- يقولون لموضع قريب من فاس القلعة باسكان اللام وكذلك يقولون قلعة رباح لموضع آخر من قرطبة والصواب القلعة بفتح اللام فيهما .
- يقولون هذا يوم عروبة يعنون الجمعة والصواب العروبة بالالف واللام قال سيبويه : « من قال عروبة فقد أخطأ » .
- يقولون لمدبر السفينة رائس والصواب رئيس فأما الرائس عند العرب فرأس الوادي والرائس أيضا كبير الكلاب الذي لا تتقدمه في القنص .
- يقولون امرأة شهوانية والصواب شهوى ورجل شهي وشهوان وشهواني .
- يقولون الطاجين والصواب الطيجن وهو الطاجن بالفارسية والمقلى بالعربية .
- يقولون للطنفسة زربية (بالفتح) والصواب زربية بكسر الزاي .
- يقولون لصانع السفن نشاء والاحسن سفان .
- يقولون لضرب من العصافير براطيل والبراطيل حجارة مستطيلة واحدها برطيل .


مجلة المجلات
ضرورة توحيد المصطلحات العلمية
للأمير مصطفى الشهابي
بقايا الفصاح
شفيق جبري
الاستشراق في المانيا
يوهان فيوك
مشاكل التعريب في الصحافة الروسية
تحية اللسان العربي
محمد مكوار

ضرورة توحيد المصطلحات العربية

بقلم: الأمير مصطفى الشهابي
رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

ذكرت غير مرة في هذه المجلة(1) وفي غيرها أن عدد المتصدين لوضع المصطلحات العلمية في اللغة العربية أصبح كبيرا ، وان اختلاف المصطلحات التي يضعـونها للمعنى الواحد أمسى داء من أدواء لساننـا . فانفصال الاقطار العربية بعضها عن بعض سياسيا جعل الاساتذة والمؤلفين والمترجمين في بعض الاقطار العربية يضعون في العلوم الحديثة مصطلحات تختلف عما يضعه غيرهم في الاقطار الاخرى . وكل استاذ أو مدرس أو مثقـف يدرك ما يكون في هذا التباين من بلبلة يحدثها عدم معرفة ما تدل عليـه الاصطلاحات العربية المتباينـة باللغات الاعجمية المشهورة .

ووضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها مـن أشـق الامور وأدعاها الى الجلـد والصبر والاناة والتخصص الواسع بعلم واحد حتى يفرع من علم واحد . ورب كلمة علمية أعجمية واحدة تحتاج أحيانا في وضع مقابـل عربي لها الى الدرس والتنقير ساعات من الزمن او أياما تمـر في التفتيش عـن معناها الاصلي باليونانية او اللاتينية وعن وضعها وما ذا أراد من وضعها ، وعـن مرادفها اذا كان لها مرادف الخ . أما الكلمة العربيـة التي ستوضع أمام الاعجمية فليس من السهل ايجادها أو اختيارها . فهناك تراث علمي قديم لنا يجب مراجعته بغية العثور على لفظ عربي سائغ له معنى اللفظ الاعجمي او له معنى مقارب لمعناه ، وهناك مادة لغوية واسعـة يجب الاطلاع عليها في معجمات اللغة وكتبها المشهورة .

لانتقاء الصالح من الفاظها ، وهناك التمرس بوضـع المصطلحات او تحقيقها مدة طـويلة لاكتساب الخبرة اللازمة ، وهناك ذوق أدبي خاص . مضافا الى تلـك الخبرة الواسعة ، يجعل واضع المصطلحات العربية مطلعا على الاطلاع على مدى الاشتقاق ، ومدى التضمين والمجاز ، ومدى النحت ، ومدى التعريب ، ويجعله أيضـا قادرا

---

(1) مجلة المجمع العلمي العربي ج 2 عدد 37 .

(2) أنظر في مقومات الترجمة الصحيحة مقالاماتعا هذه المجلة السابع والثلاثين .

للاديب البحاثة وديع فلسطين نشر في الجزء الاول من

على معرفة أصلح وسيلة من هذه الوسائل يجب الرجوع اليها في وضع كل مصطلح عربى جديد .

واذا كانت الترجمة الصحيحة أمرا صعبا يفوق في صعوبته التأليف أحيانا (2) ، فوضع المصطلحات العلمية للعلوم الحديثة هو أشق الاعمال التى تؤتى في نقل تلك العلوم الى لغتنا الضادية . وعند ما يكون النقلة عرضة لهذه الصعوبات الجمة فكيف تكون حال الذين يتصدون لوضع معجمات أعجمية عربية في مصطلحات علم أو فن من العلوم او الفنون الحديثة ؟ بل ما ذا تكون حال اولئك الذين لا يكتفون بعلم واحد أو بفن واحد ، بل يسول لهم غرورهم تناول مصطلحات جملة علوم وجملة فنون في معجمات كبيرة او صغيرة يضعونها ويلقونها على الناس وكـانها سلعة صالحة للتجارة ؟

ومهما يكن من أمر هؤلاء الناس فالعلوم والفنون الحديثة تدهمنا من جميع جوانبنا ومجامعنا اللغوية والعلمية بطيئة في وضع المصطلحات العربية ، ولذلك سيظل هذا العمل في أيدى الصالحين والطالحين من الافراد ، الى أن يفتح المسؤولون في الاقطار العربية عيونهم ، ويأخذوا بالطريقة التى ذكرتها منذ سنة 1954 في المؤتمر الحادى والعشرين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والتى أشرت اليها في مناسبات شتى . وهى الطريقة التى تؤدى بنا الى وضع معجم انكليزى عربى ومعجم افرنسى ، عربى لاهم المصطلحات العلمية والفنية والمخترعات الحديثة ، وتقضى بأن يتم هذا العمل في أقل من أربع سنوات ، وأن تتفق عليه دول الجامعة العربية ، وتعتمده في مدارسها ومؤسساتها . (3)

---

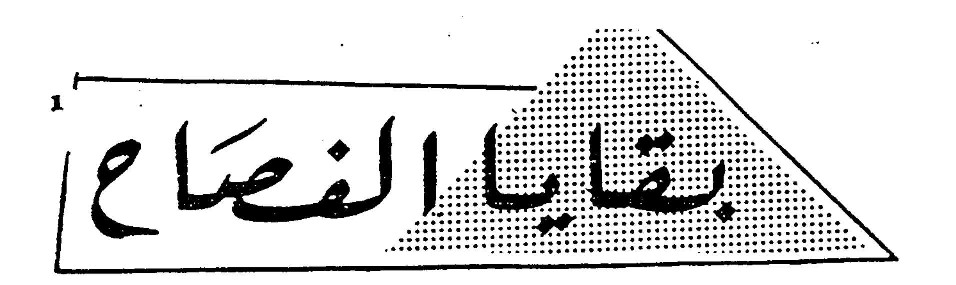
(3) أنظر بحثى في «توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية» المنشور في الجزء الحادى عشر من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وبحثى في «تصنيف معجم انكليزى افرنسى عربى في المصطلحات العلمية» ، وقرار مؤتمر المجامع اللغوية والعلمية العربية في هذا الموضوع (الجزء الاول من المجلد 32 من هـذه المجلة) . وانظر أيضا ما ذكرته في خاتمة كتاب «المصطلحات العلمية في اللغة العربية» .

الفصيح

تقول امرأة طاهر (اذا انقطع عنها دم الحيض) وكف خضيب وعين كحيل ولحية دهين وعنز رمى (أى مرمية بسهم) وامرأة صبور وشكور (ولجوج وخؤون وبغى الا ما شذ مثل عدوة الله (ذيل الفصيح لثعلب ـ املاء عبد اللطيف البغدادى ص 117) وامرأة معطار (كثيرة استعمال الطيب) ومذكار (تلد الذكور كثيرا) ومئناث (تلد الاناث) ومطفل (معها طفل) وملحفة جديد (اذا فرغ النساج من نسجها) .

وتقول رجل راوية ونسابة ومحذامة (السريع القطع للشىء) ومطرابة (كثير الطرب) ولحانة (أى مخطىء في كلامه) وصخابة (الاحمق الكثير الصياح) .

ورجل ملولة وامرأة ملولة (كثيرة الملل) ورجل فروقة (أى جبان) ورجل صرورة (لم يحجج) (عن فصيح ثعلب ص 71) .



بقلم : شفيق جبرى

جاءتني نسخة من معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية ، وهو من مطبوعات وزارة التربية في المملكة المغربية . ولما كنت مولعا بتتبع الفاظ العامة التي ترجع الى أصل فصيح تصفحت هذا المعجم الذي صدر بمقدمة للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله (2) أستاذ الحضارة والفن في جامعة القرويين وجامعة محمد الخامس ، أشار فيها صاحبها الى اشتراك اللغتين العامية والفصحى في بلاد المغرب في اكثر الأصول والقواعد ، حتى في القلب والابدال والتسهيل والترخيم والنحت وغير ذلك ، وضرب الأمثال لهذه الوحدة الاصيلة فدلت المقدمة على سعة الاطلاع في هذا الباب .

لقد مررت في المعجم بألفاظ تقع على ألسن العامة في بلادنا ، في جملتها : البهدلة والتشليح والكورجة ونظائرها ، ورجعت الى الفيروزابادى للوقوف على معاني البهدلة والتشليح ، فوجدت أن البهدلة انما هي الخفة والاسراع في المشي ، الا أن صاحب المعجم الذي نقلت عنه هاتين المادتين قال في معنى البهدلة : التنقص للاعراض والتحرش ، وقد استند في ذلك الى التاج ، ثم قال : والمعروف عند عامة المغرب والشام أن المبهدل هو المستقذر لعدم انتظام لبسه أو مشيه أو عمله ، وقد اعتمد في ذلك على المتن ، وقال : بهدله، احتقره ، في المغرب وبعض أقطار الشرق كمصر .

من عادتي اذا وقعت على أمثال هذه الالفاظ العامية أن أفتش عن نص في كتبنا القديمة وردت فيه لأن الاستشهاد بالنص أقوى . الا انني لا أعرف حتى هذه الساعة نصا جاء فيه كلمة البهدلة بمعناها العامي (3)

وهذا لا يمنعني من الاعتراف بقوة هذا اللفظ وأثره في لغتنا العامية .

لا نجد في أحاديثنا العامة للفظ البهدلة المعنى الذى ذكره الفيروزابادى ، أى الخفة والاسراع في المشى ، وكذلك لا نجد له المعنى الذى أشار اليه التاج ، أى التنقص من الاعراض والتحرش ، وانما معناه ما ذكره صاحب معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية اذ قال : والمعروف عند عامة المغرب والشام أن المبهدل هو المستقذر لعدم انتظام لبسه أو مشيه أو عمله ، وبهدله : احتقره ، في المغرب وبعض أقطار الشرق كمصر .

هذه المعاني الاخيرة هي التي ثبتت في لغة العامة لهاتين المادتين : البهدلة وبهدله ، وليس من الضروري أن تحافظ الألفاظ على معانيها القديمة ، ففي لغتنا ألفاظ كثيرة انتقلت من معنى الى معنى على ترادف

---

(1) مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الرابع ـ المجلد التاسع والثلاثون) .

(2) الكتاب كله من تأليف الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

(3) وردت لفظة بهدلة في لطائف المنن للشعراني (ج 1 ص 175) مما يدل على أنها كانت مستعملة بمصر في القرن العاشر الهجري (المؤلف) .

السنين . فالعامة تتصرف فى الألفاظ تصرفا غريبا . فقد تنقل معنى المادة من وجه خاص الى وجه عام أو من وجه عام الى وجه خاص ، أو تقضى على بعض المصادر وتبقى على بعض الى غير ذلك من الامور التى لا يغفل عن الاشارة اليها علماء اللغة ، ففى مضارع فرغ وجهان ذكرهما المبرد فى كامله . تميم تقول يفرغ بفتح الراء والمصدر فراغ ، وأهل العالية وهم قريش ومن والاها يقولون يفرغ بضم الراء والمصدر فروغ : فمادة : فرغ واحدة فى أصلها ، الا أن العامة جعلت لكل مصدر من المضارعين معنى خاصا ، فالفراغ معروف معناه ، فانا نقول فى أحاديثنا : أوقات الفراغ أما الفروغ فقد نقلته العامة فى لغتها الى وجه خاص . من اصطلاحها فى هذا الباب : فروغ يد ، ومعنى هذه العبارة ما يدفعه الرجل الى صاحب دكان اذا طلب إليه أن يخرج من دكانه ليحل محله . فهم يقولون فى هذا الوجه : فروغ يد ولا يقولون : فراغ يد ، كما أنا لا نقول : أوقات الفروغ ، من ذلك يتبين لنا أن مصدر يفرغ بفتح الراء حل محلا وان مصدر يفرغ بضم الراء حل محلا آخر . وكل واحد منهما يختلف عن الآخر فى معناه والأصل واحد .

لنرجع بعد هذا الاستطراد الى أصل الموضوع ، فالبهدلة انما هى من جملة الألفاظ التى نقلت العامة معانيها من وجه الى وجه وأكاد لا أعرف لفظا آخر يقوم مقامها فى قوة التأثير . فالرجل المبهدل هو المحتقر فى كل شىء ، ولا يسد لفظ المحتقر مسده ، وكذلك لفظ : بهدله أى حقره ، فهو أقوى فى التأثير فى لغة العامة ، حتى فى لغة الخاصة من لفظ حقره ، ولا يمر بنا يوم دون أن نسمع فيه هاتين المادتين : رجل مبهدل حكومة مبهدلة دولة مبهدلة . فالبهدلة غاية فى التحقير فى كل مظاهره .

أما المادة الثانية التى ذكرتها فى مقدمة المقال فهى : التشليح ، وقد قال الفيروزابادى فى شرحها :

التشليح ، التعرية ، سوادية . فهو يريد بذلك أنها من لغة سواد العراق . وكأنه يعنى بذلك انها عامية ، وقد توسع صاحب معجم الأصول العربية والأجنبية بعض التوسع فى شرح التشليح فقال : شلحه عراه ، والتشليح هو لصوصية قطاع الطريق وان كان هذا اللفظ ليس بعربية صحيحة حسب الازهرى ، وانما غلب فى بادية العراق ، وقد روى خبر موقوف عن على عليه السلام فى شأن اللصوص المشلحين ولا ندرى ما وجه تسمية بعض برابرة الاطلس بالشلوح ، اللهم الا اذا كان أهل الحواضر اعتبروهم قطاع طريق فسموهم بذلك .

وكيف ما كان الأمر فقد وردت مادة التشليح بمعنى التعرية ، وسواء أكانت هذه المادة لغة أهل القرى أم كانت لغة الحواضر ، انها قوية فى معناها ، خصبة فى دلالتها ، فانا اذا قلنا اليوم ان قطاع الطريق خرجوا على فلان فعروه ، فان قولنا هذا أضعف من قولنا : خرجوا عليه فشلحوه . فالتشليح أصبح لها فى لغة العامة حتى والخاصة معنى لا يقوم به لفظ آخر ، فما أكثر ما نسمع فى مجالسنا : التجار يشلحون فى بيعهم والحكومات تشلح الناس وغير ذلك فلو استعملنا التعرية ، بدلا من التشليح لما كان لاستعمالنا الاثر الذى نريده .

بقيت المادة الثالثة التى أتيت على ذكرها فى الصدر وهى : كورجة وقد شرحها صاحب المعجم الذى نقلتها عنه فقال : باع كورجة . أى بلا وزن ولا كيل ولا عد ، هى تركية معناها : العمى ، ووجه الشبه ظاهر بين هذه الآفة والبيع الأعمى بدون تبصر . وهو البيع بالجزاف .

انى أهتم بالألفاظ العامية التى ترجع الى أصل فصيح ، أما الألفاظ الأجنبية فهى ليست موضع اهتمامى ، على أن الكورجة دارجة على الألسن فى دمشق . ولها معنيان : حقيقى ومجازى ، أما المعنى الحقيقى فهو ما دل عليه صاحب المعجم : البيع بلا وزن ولا كيل ولا عد ، وقد يراد بذلك أيضا فى لغتنا العامية بدمشق : النهب والتشليح فى البيع ، وأما المعنى المجازى فهو فى قولنا : أصبح الحكم كورجة أى لا نظام ولا قانون ، كل واحد يعمل بما يريد .

انى آسف على أن لا تكون هذه المادة من أصل عربى فصيح يمكن استعمالها فى المخاطبات والمكاتبات لأن لها فى أذهان العامة من القوة ما ليس لغيرها .

صفحة من تاريخ
الاستشراق فى المانيا

بقلم الدكتور يوهان فيوك

قام الاستاذ الشهير يوهان فيوك J. Fück فى سنة 1943 بوضع مؤلف ذي أهمية فائقة عن تاريخ الاستشراق والمستشرقين فى أوربا من أوائل دراسات اللغة العربية الى القرن التاسع عشر ، ثم أتم هذه الرسالة فيما بعد ونشرها فى كتاب عنوانه:

Die arabischen Studien in Europa, Leipzig 1955

نود أن نورد هنا بابا من هذا الكتاب عن أول من جعل علم اللغة العربية علما ودرسا مستقلا . وهو (يوهان يعقوب رايسكه J. J. Reiske) الالمانى (1716 الى 1774) منقولا عن مجلة «فكروفن».

كان أول من اعتنى باللغة العربية علماء الكنيسة المسيحية الذين بذلوا جهدهم فى درس لغة المسلمين غير أن هدفهم لم يكن هدفا علميا بل انهم أرادوا الرد على الاسلام على أساس تراجم لاتينية للقرآن و « اهداء » المسلمين بواسطة تراجم عربية للانجيل والكتب الاخرى ، أي ان غرضهم كان بعيدا عن تحقيق عادل ودراسة علمية . ولم يتغير هذا الوضع فى بلاد الغرب كلها حتى القرن السادس عشر تقريبا عندما اشتدت الرغبة لدى أهل الغرب في ارسال المبشرين الى البلاد الاسلامية بعد أن فتح الاتراك مدينة استانبول سنة 1453. ثم أخذ بعض أهل العلم يؤمون الشرق ليحصلوا على مخطوطات عربية من استانبول ودمشق وغيرهما من مدن الشرق ولتعلم اللغة العربية فى هذه المنطقة . وكان أول هؤلاء المستشرقين ويليلم بوستل W. Postel الفرنسي الاصل الذى أرسله ملك فرنسا فرانسوا الاول ، سنة 1534 الى مصر ثم الى استانبول حيث تعلم العربية والتركية والعبرانية وقليلا من اللغة الحبشية . ولما رجع بوستل الى وطنه عينه الملك أستاذا للغات الشرقية فى جامعة باريس سنة 1537 فألف فى تلك السنين كتابا فى النحو العربى أشار فيه الى أهمية اللغة العربية وأدبها ولكن أمله فى درس هذه اللغة كان فتح باب جديد للمبشرين النصارى فى بلاد الاسلام . ونجد فى كتابه هذا اخطاء بلا عدد ونستدل منه على أن معرفته بالعربية كانت ضعيفة غير كافية مع نشره في آخر كتابه ترجمة لاتينية لسورة الفاتحة .

أما المخطوطات التى كان بوستل قد اتى بها الى أوربا فقد باعها الى مكتبة جامعة هايدلبرج عندما وقع فى ضيق مالي وجرى عليه ما جرى من الحوادث الغريبة ، وأصبحت هذه المخطوطات أساسا مهما بنيت عليه دراسة اللغات الشرقية فى المانيا فى مهدها. فقام بعض اللاهوتيين بدراسة تراجم الانجيل العربية التى وجدت فى المخطوطات المذكورة ، وكان يعقوب كريستمان Christmann (1554 الى 1613) الذى تعلم اللغة العربية من كتاب النحو لبوستل أول من عرض على الامير يوهان قاسيمير تشكيل كرسي خاص للدراسات الشرقية وبخاصة العربية في جامعة هايدلبرج وكان ذلك في عام 1590 غير أن هذا الاقتراح لم ينفذ قبل سنة 1609 .

مع أن كريستمان ومن تبعه في المانيا في ذلك الزمان جعل من دراسته للعربية وسيلة لنشر النصرانية فـــي الشرق فقد قام في فرنسا عالم بمنهاج آخر ، وهو يوسف سكاليجر Scaliger (1540 الى 1609) ، احد تلامذة بوستل . وكان هذا أول من الم بعلم عميق عن مختلف مناهج ضبط التواريخ في الشرق والغرب وقام بجمع أخبار التقاويم لدى الملل والنحل كما سبقه في ذلك العالم المتبحر البيروني في « كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية » من نحو ستة قرون مضت ، وقارن سكاليجربين هذه التقاويم حتى انه ألم بخصوصية التاريخ الهجرى وكان هذا غير معروف عند أهل الغرب ، ووقف أيضـا علـى التاريـخ الجلالي الذى أبدعه الرياضيون في دولة السلطان ملكشاه السلجوقي (المتوفى 1072) . ومن هنا تبـدأ الدراسـة الحقيقية لتاريخ الاسلام .

وفي هذا العصر ظهرت لاول مرة الحروف العربية في الطبع في أوربا مع كونها غير حسنة الشكل . وازدادت معرفة العلماء بالطب العربي وارتباطهم بهـذا العلم الذي كان مشهورا في الغرب منذ القرون الوسطى على يـد التراجم اللاتينية .

أما المملكة التى لعبت دورا كبيرا في تطور الدراسة الشرقية فهي هولاندا ، وكان تومس اربنيوس Erpenius (1584 الى 1624) أول من قام بنشر متن مأخوذ من الادب العربى في أوربا عندما طبع في سنة 1615 « كتاب الامثال» للميدانى ، وألف ايضا كتاب النحو العربى الـذى كـان يستعمله كل من أراد درس العربية في الغرب نحو قرنين أي الى أن نشر سيلفستر دى ساسى S. de Sacy كتابه المشهور في النحو العربي في عام 1810 . واعتنى اربنيوس أيضا بطبع سورة يوسف . ان ما ابتدأ به هذا العالم اتمه خليفته في جامعة لايدن ، يعقوب جوليوس Golius (1596 الى 1667) الذي نشر عددا من الآثار العربية المشهورة ، منها « لامية العجم » للطغرائـي و « عجائب المقـدور » لابـن عربشاه ، وتوج آثاره بتأليف قاموس عربي – لاتيني . زد على هذا انه اشترى في اثناء سياحته في سوريا وتركيا نحو 250 مخطوطة عربية ما زالت محفوظة في مكتبة لايدن الى الآن ، وأضاف اليها فيما بعد وارنر Warner ، أحد تلامذة جوليوس ، ما يقارب الف مخطوط ذات قيمـة . فأصبحت مدينة لايدن مركزا لتحصيل العربية في أوربا . ومما يدعو للاسف اننا نجد بعد ذلك في الجامعة نفسها أستاذا آخر أي البرشت شولتنز Schultens (1686 الى 1750) الذي يعتبر مثالا حيا لهؤلاء العلمـاء الذين لـم يدرسوا اللغة العربية لقيمتها الادبية أو للتعمق في تاريخ الاسلام أو لدرس تطور الادب عند المسلمين بل لاستعمالها وسيلة لدرس العهد القديم واللغة العبرانية . وعاش في أيام هذا المستشرق الفلمنكى عالم الماني اسمـه يوهـان يعقوب رايسكه يستحق بأن يدعى اول مستشرق حقيقي في عهد غير ملائم للدراسـات العربيـة ومـن المدهـش والجدير بالذكر انه قام بهذه الدراسة وأدام عليها على الرغم من المصاعب التى أصابته في أبان حياته .

ولد رايسكه في عائلة دباغ فقير في 25 كانون الاول سنة 1716 في قرية تسوربج Zörbig في مملكـة ساكسونيا ، وحصل على تربيته الثانوية في الميتم المشهور في مدينة هاله (وكان هذا الميتم الذى أسس سنة 1695 مدرسة ذات شهرة في ذلك العهد) وبقى فيه من سنـة 1728 الى سنة 1732 ، وأخذه « شوق لا يوصف وغير قابل القمع لتعلم اللغة العربية » لم يدر الشاب ما سببه، وعندما ابتدأ بدراسته في جامعة لايبزج عام 1733 اختار مواضيع تحصيله مستبدا برأيه وشرع في دراسة اللغة العربيـة بنشاط كبير وتوفق في درس النحو العربى دون الاخذ بمعونة أي معلم ما مستندا الى موهبته الخاصة لتعلم اللغات فقط . وسعى أن يشتري كل ما وجد اذ ذاك في أوربا من الكتب العربية المطبوعة رغم فقره المدقع وكونه في حاجة الى ضروريات الحياة لان والديه الفقيرين لم يستطيعا ان يعطياه اكثر من 200 تالر في مـدة خمس سنوات (وكان التالر يساوى الدينار أو اقل منه) . وفي سنة 1735 بدا له ان يتجرأ على مطالعة « عجائب المقدور» لابن عربشاه ، وهذا كتاب مسجع صعب الاسلوب ، ولعلمه بنقائص الكتاب المنشور على يد جوليوس وأغلاطه سافر في شتاء ذلك العام الى مدينة دريسدن ، وكان معلوما لديه ان أحد مأمورى المكتبة الملكية هناك يملك نسخة مصححة مستندة الى نسختي هذا المؤلف المحفوظتين في مكتبـة باريس ، فاستنسخها رايسكه باذن صاحبها . وقد اكمل الشاب مطالعة كل ما كان موجودا مـن الكتـب العربيـة المطبوعة في سنة 1736 – أي لما اتم من عمـره عشريـن سنة ! – وفي هذه السنة ترجم الى اللاتينية رسالة هرمس المثلث بالحكمة التى كان مخطوطها محفوظا فـى مكتبـة لايبزج ، فقال المستشرق الكبير ه.ل. فلايشر Fleischer عن هذه الترجمة سنة 1870 ، اكثر من قرن بعد وفـاة المؤلف : « انه لم يعد يوجد الآن شاب ابن عشرين سنة

يستطيع القيام بترجمة أحسن منها حتى ولو كان حاصلا على افضل التعليم ومتلقنا أصح الوسائل » وعبر كذلك عن زغبة واحدة يقول : « ليتني اجتنبت غلطات رايسكه، ولا ارغب فى فضل آخر » . بعد ذلك كان على رايسكه أن يحصل على مخطوطات عربية فبعث اليه المؤلف الشهير لكتاب Biblia Hebraica وهو يوهان كريستوف فولف فى مدينة هامبورج (من 1683 الى 1739) بنسخة مـن مقامات الحريرى من مجموعته الخاصة ، ونشر رايسكه المقامة السادسة والعشرين بمتنها العربى وترجمتها الى اللاتينية استنادا الى هذه المخطوطة وان سمى هذا التأليف فيما بعد eine elende Schülerprobe وسريعا ما تحسنت ترجماته وتفوق الاولية . وأقرضه فولف المذكور مخطوطات أخرى لكي يتصرف بها فكان رايسكه منونا له لفضله هذا طول عمره . وكان كلما ازداد تعمقا فى الادب العربى ازداد شغفا به ، وأصبحت أمنيته الكبرى ان يكرس حياته لهذا العلم يبذل كل وقته لهذا الهدف . ولم يكن ذلك ممكنا الا بدخوله مكتبة لايدن المشهورة وخزينـة المخطوطـات المحفوظة بها المسماة « بوقف وارنر » . عزم رايسكه على السفر الى هولاندا رغم المشكلات العظيمة ، فرحل فى شهر مايو سنة 1738 متوجها أولا الى همبـورج حيث قابلـه المؤلف فولف المذكور بكل لطف وقدمه أيضا لرايماروس Reimarus ، عالم واسع الصيت . ثم تبع رايسكه سفره الى مدينة امستردام وزار هناك الدكتور دورفيل d'Orville أحد اساتذة اللغات القديمة وكان الاستاذ فولف قد كتب له خطاب توصية ، فود الاستاذ دورفيل أن يتخذ رايسكه معاونا له، ولكن الشاب الذي كان شغوفا بمطالعة المخطوطات العربية لم يرد قبول الارتباط بوظيفة ما ورد هذا العرض مع انه لو كان قبله لحسنت وضعيته المالية تحسنا ملحوظا، ولكنه رفض القبول حتما كيلا يضيع الوقت اللازم لمطالعـة الكتب الشرقية . ومع ذلك فقد قدم الاستاذ دورفيل له خدمات جميلة طوال اقامته في هولاندا وكان يوكله بقراءة التصحيحات لبعض كتبه وما يشبه ذلك مـن الاعمـال الادبية والعلمية ومن التراجم كما كان يقوم بتسديد بعض مصاريفه فى أواخر اقامته بلايدن .

وصل رايسكه مدينة لايدن فى 6 حزيران 1738 وقام فى الحال بزيارة المستشرق شولتنس فعرف منه انه لا توجد هناك منح دراسية للطلبة الاجانب وان عطلة الصيف ستبدأ عن قريب . وقد زاد من غمه انه لم يسمح له بدخول المكتبة لعجزه عن ايفاء الرسوم . فصار مصححا عند أحد الكتبيين ، وهو يوهان لوزاك ، الذي أعطاه بدلا لخدمتـه غرفة وطعاما فقط ، وكان يحصل القليل من المال باعطـاء دروس خصوصية باللغة اليونانيـة والمكالمـة باللاتينيـة للطلاب الهولانديين . وعندما تابع شولتنس التدريس بعد التعطيل الصيفى أصبح رايسكـه تلميـذا لـه وحصـل بمساعدته على الاذن بمطالعة المخطوطات التى طالما اشتاق لرؤيتها . وكانت رغبته الاولى التعمق فى آثار المؤرخين وكتب الجغرافيا ، ولكن شولتنس أوصاه بدرس الشعـر العربى . فنسخ الشاب سنة 1739 ديوان جرير ، ولاميـة العرب للشنفرى ، وديوان الطهمان ، وفى السنة التاليـة الحماسة للبحترى ، واما معظم أوقاته فصرفها فى مطالعة أشعار الجاهلية الاكثر شهرة ، أي المعلقات ، ودرسها في مخطوطين « وارنر 292 ووارنر 628 » مع شرح التبريزى وشرح النحاس ، واختار أطولها ، وهى معلقـة طرفـة ، للتهذيب والتصحيح ، وأتم هذا العمل أوالقسم الاكبر منه، عام 1740 ، ولكن الطباعة لم تتم الا بعد سنتين أي فى عام 1742 ، ويحتوى كتابه هذا على المتن العربى بلا حركات مع ترجمته اللاتينية وحواش له ، وشرح النحاس ، وبعد أن يعلق المؤلف على الترجمة والحواشي وبعض الملاحظات يظهر كيف تطورت افكار الشاعر ويوضح موضوعـات القصيدة واحدا بواحد كما يفسر ايضا الاشكال الشعرية وطرز البلاغة بمعونة كثير من الابيات والعبارات المأخوذة عن المعلقات الاخرى وعن ديوان الهذيليـة والحماستيـن واشعار المتنبى وأبى العلاء المعرى وسائـر الشعـراء ، وتعالج المقدمة أنواع مخطوطات المعلقـات وحواشيهـا وشروحها والاسماء التى تعرف بها، ويقدم للقراء محتويات كل واحدة منها ويزيد المعلومات عن مجرى حياة مؤلفيها ، ويبحث فيما بعد حياة طرفة بالتفصيل كما انـه يضيـف ايضا جدولا للانساب تبدو منه علاقة القرابة بين طرفـة وسائر الشعراء فى جزيرة العرب ويمكننا بواسطة ضبط التواريخ التى اقترحها رايسكه فى مقدمة تأليفه هذا . وكان رايسكه بهذا العمل أول مـن سلك الطريق الـذي يسلك الى الآن في الغرب عند شرح آثار الشعراء العرب ، ومن المسلم به ان هذا الطريق هو أحسن طريـق يهـدى بالشارح الى غايته العلمية .

ومع ذلك فان المنهاج الجديد كان بعيدا جدا عـن الطرق التى بحث فيها الاستاذ شولتنس عن أصول اللغات السامية فى غمائم خياله ، ولم يقم رايسكه فى تأليفـه بانكار مثل هذه المخيلات غيـر المعقولة : أن من اقتطـع ببراهين رايسكه على أن المعلقات من شعر القرن السادس

الميلادي فهو يعرف بأن لا ثقة بما زعمه شولتنس عن الشعر العربي القديم العهد . أما شولتنس فلم يعرف كيف يفهم كتابا في العربية موضوعه لا علاقة له بتفسير التوراة ولا بنظريات اللاهوتيين . ووقعت لذلك ولسبب آخر مناقشة شديدة بين هذين الرجلين المختلفي الاخلاق غاية الاختلاف . أما رايسكه فلم يبال بما قاله الكثيرون وثابر على سلك الطريق الذي عرفه صحيحا وطيدا ، ولم يكن له علاقة ما بعلم اللاهوت ، ولم يكترث بالسؤال هل لتعلم التوراة ودرس اللغة العبرية أي فائدة من جراء درس العربية أو لا . ولم يكن باستطاعة الاستاذ شولتنس اقناع تلميذه هذا بأن يتعلم اللغات السامية الاخرى غير العربية لان رايسكه كان قد ادرك ان هذا لن يجلب اثمارا مرضية لدرس علم اللغة العربية وأدبها ، وعرف أن درس مشتقات الكلمات تلاعب على اساس جذور فرضية وان التسعي لمعرفة المعنى الابتدائي للكلمات المشتركة في اللغات السامية ما هو الا خرافات باطلة . حتى انه اعلن « ان أراد المرء أن يساعد على رواج دراسة العربية فعليه أن لا يدرسها كلاهوتي » . وثار ضميره كفقيه في اللغة على طريقة شولتنس الهوائية في معالجة النصوص العربية وكيف كان يتفادى الصعوبات اما باهمال الكلمات التي لم يفهم معناها دون ذكر ذلك او بتغييرها تعسفا . لقد كان على علم بانه لا يكفي لاصدار نشرة صحيحة كون المخطوط قائما على اسس سليمة فحسب بل القدرة على النقد ومعرفة اخطاء النقل وتكهن المعنى الذي يقصده المؤلف من القرينة واصلاح مواضع فساد المخطوطة بتصحيحات تناسب اصطلاحات المؤلف .

كلفته ادارة المكتبة في لايدن بتبويب وتنسيق المخطوطات العربية ، ورحب رايسكه بهذه الفرصة التي مكنته من تدقيقها كلها فنسخ ما علق بها من الآثار ، مثلا المعارف لابن قتيبة ، والتاريخ والجغرافيا لابي الفداء ، وتاريخ حمزة الاصفهاني ومقتطفات من طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة وغيره . ولكنه لم يمكنه الحصول على درجة الدكتوراة في كلية الاداب في جامعة لايدن لان شولتنس أبى ذلك عليه اذ انه كان يريد أن يعين ابنه خليفة له على كرسي الدراسات الشرقية ، وود لو رايسكه ترك دراسة العربية تماما . لذلك افهم العالم الالماني ان وضعيته بائسة بلا أمل وأقنعه بان يدرس قليلا من الطب ، فدرس رايسكه الطب لمدة بضعة أشهر وحصل على درجة دكتور طب في شهر ماي سنة 1746 استنادا الى ما كان قد جمع من معلومات طبية من المؤلفات العربية مع ان اللاهوتيين في لايدن اقاموا مشكلات جديدة مدعين انه كان ماديا لما عرفه من الابحاث العلمية في امتحانه . سافر رايسكه في 10 حزيران 1746 من هولاندا ووصل مدينة لايبزج في أوائل شهر تموز . ولما لم يرغب في اجراء الطب فعلا وجب عليه أن يكسب يوميته بتصحيحاته الكتب وباعطاء دروس خصوصية وبتراجم وما شابه ذلك من الاشغال غير المجدية . ولكن المهم انه بقي لديه وقت لمتابعة العربية ، وألف في شهر آب 1747 كتابا لاتينيا عنوانه :

Prodidagmata ad Hagji Chalifae librum memorialem rerum a Muhammedanis gestarum exhibentia introductionem generalem in historiam sic dictam orientalem

وهو رسالة في التاريخ الاسلامي ، نشرها تلميذ له ، يدعى ي.ب. كولر Köhler سنة 1766 في كتابه عن أبي الفداء في شكل ملحق (ص 215 — 240) وفيه يرفض رايسكه في مستهل مقدمته استعمال التعبير (شرقي » لانه غير مضبوط ، ويستعمل بدلا منه تعبير « محمدي » أو « مسلم » لان هذا العلم يبحث عن تاريخ المسلمين لا في الشرق فحسب بل ايضا في افريقيا وأوربا ، ويريد المؤلف كما قال ، معالجة مادته في ثلاثة أبواب : أولها البحث عن الملل والسلالات ، ثانيها عن البلدان التي وقعت فيها هذه الحوادث التاريخية ، وثالثها عن المصادر التي تخبرنا عن هذه الوقائع . ويلي هذا التمهيد الصريح بيان واضح حسن النظام .

الباب الاول (ص 218 — 221) يعدد العناصر الخمسة التي لعبت دورا في تاريخ الاسلام ، وهم العرب، والايرانيون ، والاتراك والتراكمة ، والمغول والتتر ، والبربر ويبين موجزا السلالات التي اخرجتها كل امة ، ويشير في ملحق للباب الاول مرة اخرى الى أماكن هؤلاء السلالات وكيف انتشرت من الاندلس الى الشرق الاوسط . وفي الباب الثاني يذكر المؤلف استنادا الى آثار أبي الفداء ، الممالك الاسلامية ومدنها المهمة ويبحث ايضا بواسطة مقدمة العالم العربي نفسه عن البحور والانهار والجبال وينجز الباب مشيرا الى ما يجب ان يلم به من المعلومات على مدرسي الجغرافيا التاريخية . ويحتوي الباب الثالث — وموضوعه المنابع التاريخية — على فهارس الكتب النقدية مبتدئا بتاليف ديربلو d'Herbelot المسمى ب Bibliothèque Orientale

(المكتبة الشرقية ، وهي قاموس شامل على كل ما كان معروفا فى أوائل القرن الثامن عشر عن المواضيع الشرقية)، ويقدر رايسكه هذا التاليف غاية التقدير ، ويذكر فيما بعد المطبوعات المعدودة التى يمكن ذكرها بهذا الخصوص وهي: E. Pocock :

وتآليف جرجيس المكين (المتوفى 1273) ، وأبي العباس احمد الفرغاني المنجم المشهور فى أوربا منذالقرون الوسطى ، والاقسام المطبوعة من تاريخ أبى الفداء (وليس في رايه ابن عربشاه بمؤرخ حقيقي) ، وما يسمى الجغرافي النوبى Geographus nubiensis ثم يشير بالايجاز الى كتب الرحلة وما ألف فى أوربا من الكتب حول التاريخ الاسلامى (مثلا فانتمر ، Pétis de la Croix وغيرهما) وبعد ذلك يبحث عن المصادر المخطوطة ، أي عن تآليف أبى الفداء بأجمعها ، عن ابن الشحنة ، حمزة الاصفهانى ، كتاب المعارف لابن قتيبة ، كتاب الاشتقاق لابن دريد ، كتاب الامثال للميدانى الذى قدره غاية التقدير . ثم يضيف بعض ملاحظاته فى فهرست المخطوطات الشرقية فى لايدن الذى اعتنى باحضاره هايمان Heymann ، ويتم مقالته مشيرا الى مجموعات المخطوطات الموجودة فى اوكسفورد، باريس وفلورانسا التى كانت اقل اهمية من مجموعةمكتبة لايدن . بعد ان عالج رايسكه موضوعه فى هذه الابواب الثلاثة ختم كتابه — على عادة عصره — بمديح يستحق المطالعة حتى فى أيامنا هذه ، يمدح فيه التاريخ الاسلامى ويوصى مواطنيه بمتعدد الاسباب على درس هذا التاريخ الذى كان يهمل كثيرا فى أوربا . ومع أن هذه التصريحات كانت مخاطبة لطبقة القراء غير الاختصاصيين فى هذا الحيز والذين لا علاقة خاصة لهم بتفرعات هذا العلم فقد أراد المؤلف استرعاء اهتمامهم لهذا الموضوع الجديد ، وبالرغم عن ذلك فان هذا المديح دليل صريح لادراك تصورات رايسكه ونظرياته العامة وان نقصه أحيانا ارتباط منطقى ، تدل هذه السطور على أن العالم رأى تاريخ الشرق كقسم لتاريخ العالم العام ، وانه ظن أن درس هذا التاريخ كان واجبا على الانسان لاجل التواتر التاريخى ، كما اعتبر أيضا درس تاريخ اليونان والرومانيين القديمين واجبا على كل رجل مثقف وقد اجمع العلماء فى العالم على ذلك اجماعا كاملا ولا ينكر أحد اهمية التاريخ القديم . لقد تحقق لرايسكه من وصف ايران فى اثناء القرون الوسطى بقلم أبى الفداء انه كانت هناك عين الامم والاقاليم ، وعين العادات وأنواع الحكومة التى تحققت له من مطالعته تاريخ هرودوت اليونانى ووصفه لايران

القديمة . لذلك يطلب العالم من المؤرخ ان يعقب ما حدث فى مدى العصور لتلك المماليك والولايات فى الشرق وفى افريقيا التى فتحها اليونان أو كانت من توابع الامبراطورية الرومانية ، ويراعى أيضا العلاقات المتبادلة والحوادث المشتركة بين الغرب والعالم الاسلامى التى كانت موجودة منذ أيام شارلمان الامبراطور الالمانى فى أيام هارون الرشيد ومنذ تأسيس دولة الروم ، من عهد النورمان فى صيقيليا والصليبيين الى فتوحات الاتراك العثمانية ، ويشير الى الفائدة التى سيحصلها مؤرخ الغرب من درس الشرقيات وكثيرا ما أكد لقرائه بأن التاريخ الشرقى لا يقصر عن تاريخ الغرب معنى أو قيمة أو محتويات ، وصرح بأن المتخصص بالتاريخ كثيرا ما يرى الكفر والظلم ظافرين بلا عقاب يعيشان فى سعادة فانية بينما يرى أيضا التقوى وبساطة الخلق مهملين على سطح الارض أو مداسين فى التراب ، فيبدو للناظر المتحير كأن كل شيء دائر فى دور عظيم مهول تحركه قوة عمياء مجهولة ، ومع ذلك لا يشك بأن الثمر الاحلى والمحصول الاهم الذى انتجه درس التاريخ هو ادراك القوى التى تسيّر الافعال البشرية كما كشف عنها تاريخ بنى آدم . ومن أراد ان يتعلم من درس التاريخ مناهج السياسة ، ومن رغب فى تبصر الحكمة الالهية أو طرق القضاء الاعمى ، أو من ود ان يتفحص الاخلاق والشيم البشرية فانه يجد لذلك فى تاريخ الشرق امثلة بارزة عين البروز كما يجدها فى تاريخ أوربا . ولا يتردد رايسكه بأن يعطف على أعمال طغرل السلجوقى ، جنكزخان ، تيمور ومحمد الفاتح أهمية وقيمة اكبر من قيمة فتوحات اسكندر الاكبر ، ويلغ اعجابه بملوك ايران القديمة حدا انه شبه انتصار اليونان على الايرانيين بتصلف برغش يزعج الافيال ، ونظر الى تاريخ الاسلام بعين طويلة النظر ، وإن اعتبر ظهور محمد والفتوحات الدينية من الحوادث التاريخية التى لا يفهم معناها العقل الانسانى بل يرى فيها حكم القدرة الالهية ، ويرى فى قبض بنى أمية عنان الدولة وفى الآلام التى قاساها آل علي بن أبى طالب قضاء الهيا . وتمسك ، « تشيع حسن » كما وجد هذا التشيع فى مصادره التاريخية غير القديمة العهد : أي انه اعتبر عليا الخليفة الحقيقى للرسول وقد منعه احيال الشورى ودسائسه من حقه الموروث لمدة 24 سنة ، ويرى فيه احسن ملك ظهر فى العالم الاسلامى ، ملكا شجاعا ، عادلا محاه القضاء والقدر ، وأباده بغض عائشة الطموح . ويرى رايسكه في مجادلة علي ومعاوية مثالا امثل لظفر الحيلة على القوة ، لفوز الرداءة على الامانة ،

حتى انه لا يكتفى بذلك المديح بل يقارن بين علي بن أبي طالب ومارك أورل ، الامبراطور الروماني الذى يسمى « الفيلسوف على السرير » . وتدعوه أحيانا هذه الرغبة فى التشبيه الى أن يكشف كثيرا من المشابهات بين التطور التاريخى فى ممالك الاسلام وفى أوربا لكي يثبت لقرائه انه قد وقع على مسرح الشرق من المشاهد السامية المهذبة مثلما جرى فى الغرب .

وفى ابان هذه السنوات كتب رايسكه كتابا آخر عنوانه :
de Principibus Muhammedanis literarum laude claris

فانعم عليه ملك ساكسونيا في مدينة دريسدن بلقب « الاستاذ » وخصص له معاشا سنويا مقداره 100 تالر ، بيد ان الحكومة لم توف هذا المعاش الا بين الحين والآخر حتى انقطع تماما بعد سنة 1755 . وسرعان ما تدهورت وضعيته الاقتصادية ويقرض للفاقة والحرمان كما كانت حالته من قبل ، ولم يرق أحدا اذ اتهمه اللاهوتيون بالزندقة لانه لم يتراجع عن اصراره أن لا يسمي محمدا « نبيا كاذبا » و « خداعا » وأن لا يصف دينه خرافة مضحكة ولانه لم يقسم تاريخ العالم الى قسمين ، أحدهما التاريخ المقدس ، والآخر التاريخ الدنيوى ، بل كان يحصل لتاريخ الاسلام منصبا فى وسط التاريخ العام .

زد على ذلك أن رايسكه لم يتردد باظهار رأيه بكل صراحة غير مبال بالنتيجة ، واحدث ذلك خصومات شديدة ، فمثلا قام الاستاذ شولتنس الفلمنكي فى سنة 1748 بنشر طبعة جديدة لكتاب النحو الذى ألفه اربنيوس (سنة 1613) وما كان ذلك الا تكرار طبع المؤلف الاصلى كما كان اعتنى به جوليوس ، خليفة اربنيوس ، دون ان يغير فيه شولتنس كلمة واحدة بل أبقى على ما فيه من أساطير لقمان ومن الامثال الا انه أضاف الى هذه المادة الموروثة اشعارا منتخبة من الحماسة ولم يخل هذا المقتطف من الغلطات ، ثم ألف شولتنس مقدمة طويلة لهذا الكتاب رد فيها نظريات بعض شارحى التوراة من اليهود ومن يقول قولهم من النصارى في مسالة قدسية اللغة العبرانية . واعترض رايسكه على المقدمة قائلا بانه لا يليق ذكر هذه المسائل المتعلقة بتفسير التوراة فى كتاب يبحث عن النحو العربى ، ولا جدال فى أن مطالعة اشعار الحماسة ليست بمناسبة للمبتدئين بدرس العربية .

وفى العام نفسه نشر شولتنس ترجمة لكتاب امثال سليمان مع شرح له مستعملا فيه منهاج البحث عن مشتقات الكلمات بلا حرج . وقام رايسكه بمراجعة هذين الكتابين في Nova Acta Eruditorum وهي مجلة علمية من نشر السيد منكن . وألزمه ضميره فى هذا النقد الادبى أن يصرح عن الحقيقة بشأن الكتابين . ومع انه حافظ على الاحترام اللائق تجاه شولتنس فانه أدرك من الوقع الذى سببه فقط أنه كان من الافضل لو كان قد قام أحد غيره بهذه المهمة . ولكن شولتنس الذى كان معتادا على المشاجرات الادبية والذي لم يجترىء أحد حتى ذلك الوقت على الشك في كونه معلم عصره في العربية قام بالدفاع عن نفسه ببعث تحريرين الى « منكن » طالبا منه ان ينشرهما ويوزعهما الى جميع الجهات . وفيها خرج بالنزاع الى المضمار الشخصى وافترى على رايسكه غاية الافتراء بحيث لم يبق ذلك دون نتيجة . وكان لهذين المكتوبين تاثير كبير فى المانيا — وكان شولتنس قد ارسلهما الى جميع اساتذة الكلية بلايبزج — فلم يستطيعوا تقدير ما عرضه رايسكه من الاسباب الواقعية ولم يتمكن أحدهم من المقارنة بين الرأيين مقارنة علمية كما لو كانوا اختصاصيين فى الموضوع . ولم يمد أحد يد المساعدة لرايسكه ومضت عليه سنة بعد سنة دون ان يعينه معهد ما فى المانيا أو فى خارجها أستاذا ولم يفده اثباته فى نشرياته انه كان متبحرا فى اللغة اليونانية أيضا لان خصيمه فى هذا المضمار كان الاستاذ ارنستى Ernesti ، استاذ اللغات القديمة واللاهوت معا ، . — فى سنة 1753 حاول الاستاذ بوبوويتش Popowitsch فى جامعة فيينا ان يجد منصبا لرايسكه لدى السفير النمساوى فون شواختايم الذى سافر الى استانبول سفيرا عند الباب العالى ، وفشل هذا الترتيب لان رايسكه أبى ان يتكثلك . واستمرت أحواله المالية تملى عليه الضيق والحرمان ، وخاصة عندما توقف الملك الساكسونى عن أداء معاشه فى عام 1755 .

ولما يئس رايسكه من حاله توجه فى أواخر سنة 1756 الى الاستاذ ي.د. ميخائليس Michaelis (1717 الى 1791) فى مدينة جوتنكن الذى كان زميله فى المدرسة . ولم يشعر العالم الساذج الذى لم يكن له دراية لا بالناس وأخلاقهم ولا بالدنيا ودنياها أنه وضع حياته في يدي أناني مدبر للمكائد . روى له رايسكه ما جرى له من تصرفات الدهر ومن الضيق وأفهمه انه لو عينه استاذا فى معهد جوتنكن لاجبرت الحكومة الساكسونية على معونته حتى ولو كان هذا التعيين المفروض ظاهرا وغير حقيقى ، وأضاف الى هذه الكلمات — وكان مخلصا غاية الاخلاص

مستقيما – ان ضيقه وفقره قد منعاه من أن يخدم ركاب الادب العربي اكثر مما خدمه حتى الآن ، ولو تحسنت أحواله فانه سياخذ في طبع كتب عربية ويعتني خاصة بطبع قاموس صغير للعربية ، وان لم يساعده الله بالقريب العاجل فيصبح لا فائدة منه للادب العربي . ورغم انه كان لميخائيليس تأثير واسع ونفوذ كبير بين أهل العلم في ألمانيا فانه لم يرغب في التوسط لأجل عالم فاقه بكثير في اتقان اللغة العربية ... وكان وقوفه هو على العربية ناقصا لا يعتد به ، وظن مثلا ان الاعراب كان من مخترعات النحويين العرب ولعلهم ادخلوه متبعين المثال الاوربي ، وكان يعترف نفسه بأنه يجهل تطبيق العروض ومع ذلك تجرأ ان يترجم ويشرح المقتطف من الحماسة الذي نشره شولتنس ، وكان عظيم الافتخار بطريق تعليمه للغة العربية ومنهاج تدريسه . ولما كان عليه من الاعتداد بالنفس وحب الظهور والاستبداد لم يرد أن يشتغل أحد سواه في هذا المضمار . ولذلك تظاهر بالغيظ لما جاءه طلب رايسكه ، حتى انه حول مكتوبه الذي لا يشك في ماهيته الخاصة الشخصية الى وزير المعارف في مملكته مشيراً اليه بالرد، ثم قدم لرايسكه الرد الوزاري ضمن خطاب رسمي صارم .

وأطاح ذلك المكتوب بآمال رايسكه كلها ، فادرك انه لن يعين أستاذا في معهد ما بعد ذلك ، فاخذ في السعي الى وظيفة في مدرسة ، فاصبح عميد مدرسة نيكولاي في لايبزج بيد أن صديقا مرائيا أراد منع هذا التعيين بدسائسه وكاد أن يوفق بذلك ، ولكن رايسكه كان قد وجه اهتمام الوزير كونت واكربارت الساكسوني الى شخصه عندما عرف السكك العربية في مخزن متحف مدينة دريسدن سنة 1756 ، وكفت شفاعة هذا الوزير لتبديد كل ما اظهر أهل الكنيسة من الشكوك عندما اختير رايسكه عميدا للمدرسة .

وبهذا وجد رايسكه بعد سنوات الضيق والفاقه الطويلة ملجأ أمينا ، فاستمر في العمل في ميدان الادبين العربي واليوناني في أوقات فراغه من المدرسة . ولكنه لم يجد ناشرا لهذه المؤلفات فكان عليه أن يقوم بمصارف الطبع بنفسه . وكان قد نشر في عام 1754 المجلد الاول من ترجمته اللاتينية لتاريخ أبي الفداء ولكنه لم يتمكن من بيع أكثر من 30 نسخة منها ، ولذلك أجبر على الكف عن الطبع . ومن ذلك الحين اقتصر على النشريات الصغيرة ، وفي عام 1755 اعتنى بنشر رسالة ذات أهمية كبرى لما تحتوي عليه من تلميحات واشارات تاريخية أرسلها ابن زيدون الى ابن عبدوس . وهناك رسالة صغيرة ألفها ردا على تهنئة صديق له قدمها له بمناسبة تعيينه في وظيفته الجديدة ، وكان صديقه قد ذكر في شعر لاتيني عصا يعقوب والصولجان المذكور في الادب اليوناني ، فشكره رايسكه برسالة صغيرة بحث فيها عن سبعة امثال عربية تعالج العصاة وقد أخذها عن كتاب الامثال للميداني الذي كان مغرما به جدا . أما في السنة التالية فقد عالج في برنامج المدرسة اكثم بن صيفي أحد « حكماء » الجاهلية استنادا الى كتاب الميداني المذكور ولم يفهم أحد من الناس مقصد هذا المقال واقتصروا عن ادراك أهميته العلمية حتى ان رايسكه كف عن تدوين برنامج آخر في المستقبل .

وكان المتن العربي الاخير الذي قدمه للعالم منتخبات من ديوان المتنبي كمثال للشعر العربي ، ونشر نحو اثني عشر بيتا عشقيا ومرثيتين في سنة 1765 ، وأهدى هذه الباقة الشعرية الغرامية لزوجته التي زفت بعد انتظار طويل في سنة 1864 ، وحبا لها اجتنب في شرح هذه الغزليات الايضاحات العلمية واكتفى بالتعريف بكلمات الشاعر وايضاح عالم شعوره للقارئ الغربي الذي كثيرا ما وقف مكتوف اليدين تجاه بعض التعابير الشرقية ، وحاول تقدير قيمة اشعار المتنبي من وجهة نظر علم الجمال

وتحقق مرامه الذي عبر عنه في اهداء هذا الكتاب وهو : ليت شعري أن يبقى اسم زوجي مقرونا باسمي ، معروفا عند الناس ! لان ما دام اسم رايسكه يذكر سيذكر أيضاً اسم رفيقته التي رافقته بوفاء تام وشجاعة مثيلة . لما توفي رايسكه في 14 آب 1774 على اثر مرضه بالسل – ولم يكن قد اتم العام الثامن والخمسين من عمره – اهتمت هي بتركته القيمة حتى لا تقع في يدي خصمه ارنستي ، واستودعتها لسنيك Lessing المؤلف الالماني الشهير الذي كان من القليلين الذين قدروا قيمة رايسكه اثناء حياته ، وحفظ لسينك هذه التركة الى أن اشتراها حاجب الملك الدانماركي السيد فون سوم، ووصلت المكتبة في كوبنهاجن بعد وفاة هذا الرجل الشريف .

نشرت زوجة رايسكه تاريخ حياة زوجها الراحل كما دونه نفسه قبل وفاته ، وهذا كتاب يمزق القلب . ولم تخف من مجادلة اولئك الذين ظهرت سفالتهم وحقارتهم في هذا التأليف ونشرت أيضا سنة 1779 « نظريات في كتاب أيوب » و « امثال سليمان » التي دونها رايسكه سنة 1749، مضيفة اليها متن خطابه الافتتاحي الذي ألقاه في 31 آب 1748 في كلية لايبزج ، وسادها شعور بالرضى عندما رأت ان العالم المتوفى حصل على التقدير الذي أنكروه عليه في حياته . ونشر جرونر Gruner في 1776 للمرة الثانية

رايسكه ، وأما ي.ج. ايشهورن Eichhorn ، وهو أيضا من المستشرقين ، فنشر سنة 1781 المكاتيب التي بعث بها رايسكه عام 1757 بخصوص مسألة السكك العربية الى مدير الخزينة في متحف مدينة دريسدن .

وقد رفع رايسكه من شأن علم اللغة العربية وأدبها وجعله علما مستقلا . ولم ينتبه أحد من معاصريه الى استقلال هذا العلم وعدم ارتباطه بغيره من العلوم اللغوية واللاهوتية مثلما أدرك ذلك رايسكه ، ولم يتوجه أحد بهذه اليقظة ضد فقه اللغة المقدسة philologia sacra الذى كان مسيطرا على عقول العلماء فى ذلك العصر ، وكان مقصد هذا النوع من علم اللغة ان صاحبه لم يهتم بالعربية الا من حيث اسداؤها لـه فوائد جمـة في تفسـير العهـد القديـم ، وكـان يكتفـي بالبحث عـن أصول كلمـات عربية فى القاموس العربى لجوليوس ويقابلها بكلمـات عبرانية مختارا له من المعانى المختلفة لكل كلمة المعنى الذى يوافق اغراضه . ورغم ان احدى مميزات عصره كان نوع العلم المدعو بـ Polyhistorismus أي ان العالم تخيل انه بامكانه لا بل من واجبه تحصيل العلوم كلها والوقوف على التطور التاريخي بأجمعه فقد عرف رايسكه أن للطبيعـة الانسانية وللعقل الانسانى حدا ونهاية ، لذلك كف مرة عن تحصيل آثار المؤرخ الرومانى سيسرو « لاجل لا نهائيـة الاعمال لنقص في الوسائط وليل عظيـم لليونانيين وقـد كرس وقته للعربية فقط فرفض اضاعة وقتـه وقوتـه في تحصيل اللغات المتجانسة . وكان غرض رايسكه اثبات الوحدة الباطنية الروحية لعلومـه اللغويـة والتاريخيـة والادبية ، ولم يهتم بالعلاقة الظاهرة بين اللغات السامية . مما لا شك فيه انه كفقيه في اللغة رأى أصل العلم وأساسه في درس عميق للغـة نفسهـا وكان معلومـا عنـده ان لا يهدى الى وقوف حقيقى على اللغة العربية الا طول الاناة والصبر في مطالعة آثار المؤلفين العرب سنة بعـد سنـة بلا انقطاع وتحقق له بأن مؤلفات العرب المسلمين افضل من كل ناحية من مؤلفات العرب النصارى بكثير . ولـم يكن يخفى على فراسته ان طبعات التوراة والانجيل العربية ترجمها اما نصارى شرقيون ممن لم يكن لهم علم باليونانية أو العبرانية أو العربية ، أو انها كانت تراجم عجمية على أيدى اليسوعيين الذين لم يعرفوا الا الفلجاتا (أي الترجمة اللاتينية للتوراة والانجيل من القرن الخامس م) . ولذلك اجتهد رايسكه فى فتح طريق الى خزائـن آداب العـرب المسلمين وتوفق فى ذلك وأصبح هاديا للآخرين . ولكـن درس اللغة لديه ليس غرضا بنفسه بل رأى فيه أساسا للكشف عن التاريخ . ونظرته هذه أدت بـه الـى ادراك أهمية الدور الذى لعبه الاسلام فى تاريخ الشرق . فانه لم ينظر الى المتون العربية نظرة اللغوى الصرف الذى لا يكترث الا لفهم معانى الكلمات كما قصدها المؤلف نفسه بل نظر اليها نظرة المؤرخ الذى جعل لتاريخ الاسلام مقامه من تاريخ العالم العام وكان يشرح هذه التنوعات مثلما يشرح المشاهد في دار التمثيل عند تأملـه في الوقائـع الجارية على المسرح اذ يقوم بالفحص عن بواعث الاشخاص الممثلين وعن مراد الشاعر . ورغم ان رايسكه لم يتوفق بتأليف « تاريخ الاسلام » كما أراده فان هذا العالم البعيد النظر وضع أساسا للعلوم الاسلامية العصرية التى تبنى كعلم تاريخى على أساس علم اللغة العربية . أما معاصروه فلم يستطيعوا فهم افكاره الجسورة ولا تأملاته الجليلـة فصار «شهيد الادب العربي» كما سمى نفسه وأصبح تاريخ حياته تاريخ الآلام والظلم كما تشهد به مذكراته المؤثرة . وكما ان للجرأة التى سار بها دون اكتراث على الطريق الذى اعتبره مرة صحيحا أثرا ساميا فانه من المخجل انه لم يكتشف أحد من أولى الامر في جامعات أوربا أهمية هذا الرجل العبقرى العظمى ، هذا الرجل الفذ الذى كان مـن أعظم علماء الآداب العربية ، ومن المخجل كذلك ان هذه الآداب التى أراد تشييد بيت لها لم تحصل فى ألمانيا القبول الذي استحقته . ولكنه من الطريف أن نذكر أنه أسس في القرن التالى فى لايبزج أي فى عين المدينة التى قاسى فيها ما قاسى معهد لدراسة اللغة العربية يفتخر بأن يعتبـر رايسكه من أجداده الروحانيين .

مشاكل التعريب في الصحافة الروسية

كتبت مجلة شعوب آسيا وافريقيا الصادرة عن أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي بحثا يتعلق بقضايا التعريب في بلدان المغرب العربي كتبه المستشرق الروسي (سعيد كامليف) (1) وقد اعتمد هذا المستشرق في بحثه على مجموعة الدراسات والابحاث التي نشرت بالصحافة العربية والفرنسية بالمغرب في موضوع مشاكل اللغة العربية والتعريب.

وقد جاء في هذا البحث، « ان اقرار اللغة القومية هو احدى المشاكل التي تعترض النهضة الثقافية وتطورها في بلدان آسيا وافريقيا التي منيت بالاستعمار حقبة غير قصيرة من الزمن، وقد تكون هذه المشاكل متبلورة في البلاد الناطقة بالضاد اكثر من غيرها ».

وفي اطار ابراز هذه الفكرة استند الباحث الى ما ورد في بعض خطب ومقالات المسؤولين عن التعليم والثقافة مؤكدا « ان استخدام اللغة العربية في المدارس ونشرها على المستوى الحضاري هو الحل الوحيد للمشاكل التي تتخبط فيها الثقافة العربية في هذه البلاد اليوم » وقد أورد الكاتب جملة من المشاكل التي تعترض نشر اللغة العربية على النطاق الاوسع في بلاد المغرب العربي ملاحظا أن الازدواجية المفروضة على التعليم الابتدائي ووجود مدارس للبعثات الاجنبية الفرنسية. وفرنسة التعليم العالي في بعض الاقسام والمواد جملة لا يمكن معه بحال من الاحوال ان تكون للغة العربية في هذه البلاد أية شخصية.

واذا ألقينا نظرة بسيطة على مستوى المعلمين الذين يقومون بتدريس اللغة العربية في بلاد المغرب العربي نجد ان كثيرا من الذين يقومون بهذه المهمة هم من الذين لم يستكملوا ثقافتهم بعد، ولهذا تأثيره القوي في عرقلة نشر اللغة القومية.

وقد أشار الباحث الى دراسات الاساتذة عبد العزيز بنعبد الله مدير المركز الوطني للتعريب ومحمد الفاسي رئيس الجامعة المغربية واحمد الاخضر كاتبها العام فبين مدى التباين الموجود بين التعليم في المغرب، ونظيره في الشرق الذي امسى منذ وقت طويل معربا في كثير من شعبه العالية.

* * *

ومن هنا تطرق الباحث الى القضية التي تشغل بال الرأي العام العالمي العربي وهي قضية المصطلح العلمي غير الموحد، حيث أبرز عن طريق ما كتبته الصحف والمجلات العربية خطورة هذا الاختلاف مؤكدا أن التغيير من شانه ان يحدث عوائق أقوى في طريق تقدم لغة الضاد، ومسايرتها الحضارة الحديثة، وقد اقترح الكاتب في هذا الصدد تأليف قاموس علمي عربي موحد تشارك في وضعه لجنة عليا للخبراء في اللغة العربية واللغات الاجنبية، مذكرا بالتوصيات التي اسفرت عنها المؤتمرات العلمية واللغوية في هذا الموضوع كمؤتمر اليونسكو، ومؤتمر الآثار، ومؤتمر التعريب الذي انبثق عنه المكتب الدائم لتنسيق التعريب.

وفي صدد هذا المكتب أورد الكاتب ما اقترحه السيد أحمد الاخضر في مؤتمر التعريب الرامي لانشاء معهد المغرب العربي للتعليم، يكون مختصا بتحضير الكتاب المدرسي وتوحيد مناهج التعليم الشيء الذي من شانه أن يسهل مهمة المكتب الدائم لمؤتمر التعريب بخصوص بلدان المغرب العربي والذي لاشك - يقول الكاتب - سيرفع مستوى مشاكل التعريب في المغرب العربي الى ما توجد عليه في الشرق العربي اليوم.

وختم الاستاذ سعيد كامليف بحثه هذا باثارة الصراع القائم اليوم في العالم العربي بين الفصحى والعامية وتشكك بعض العلماء في قدرة لغة الضاد على مسايرتها لتقنية العالم الحديث. وقد أورد رأي أحد المستشرقين السوفيات في حل هذه القضية التي لا تعدو أن تكون مشكلة لغوية بسيطة لا تحتاج الى هذه الضجة القائمة اليوم ولا تحتاج الا الى تبسيط الفصحى للرفع من العامية.

---

(1) عرب لنا هذا البحث الاستاذ ماليشفسكى منسفارة روسيا بالرباط

تحية اللسان العربي

بقلم: محمد مكوار
أستاذ في جامعة القرويين

كنت في مامن من الحدثان | واقمت الدهور في عنفوان
تتغنى بعزة ابنة عدنا | ن مشيدا بما لها من شان
بين قوم حللت منهم محلا | دونه الحب والفدا والتفاني
ان يروموا تفاخرا كنت مرما | ه ابتداء وكان غيرك ثاني
فكاين من منتدى قد أرانا | لك ما في النفوس من سلطان
كم تبارت فيك القرائح وانسا | قت اليك العقول خيل رهان
فاخو النظم في الطموح شبيه | باخي النثر اذ هما توأمان
تخذ الكل منك خير سلاح | هو أمضى من الحسام اليماني
ألفوا من صفاتك الغر ما استغنوا به عن حرابة وطعان
فانزوت عن عقولهم ظلم الجهل وضاءت كواكب العرفان
قد أزحت الشكوك عن سنن الحق فبان اليقين رأي عيان
وكشفت الحجاب عن سر آيا | ت هدتهم حقيقة البيان
ورفعت الغطاء عن منبع التنزيل فانهل كالحيا الهتان
كان غيثا على القلوب فآتت | ثمرات التوحيد والايمان

* * * *

ايهذا (اللسان) قدست فيك الترجمان الصدوق للقرآن
انه المنطق الذى الجم الأفواه من يعرب ومن قحطان
انه المنطق الذي أعجز اللسن وقاد الكماة دون سنان
ويل من أنكروا اقتدارك في كل مجال يحتاج للتبيان

جهلوا شأوك البعيد وما أسديت للغرب من أياد حسان
كم فنون لولا بنو الشرق دام الغرب من جهلها شبيه أتان
يوم عاشت سماؤه في ظلام قمراها الدهور منكسفان
رافق الغرب جهله حين كان الشرق والعلم ليس يفترقان
آه فصحى الألى تتلمذت الدنيا لهم عبر سالف الأزمان
أي أمر دهى بنيك فكالوا لك صنع الجميل بالكفران
أورثتهم من الجدود فخارا بذلوه بأبخس الأثمان
أرضعتهم ألبانها فسقوها من زعاف السموم ملء دنان
لقنتهم من الفضائل درسا ضيعوه مغبة النسيان
بوأتهم من السمو مكانا بوأوها به وضيع مكان
وكستهم من صنعها ثوب عز فكسوها به ثياب هوان
وأرادت منهم ضراغم يخشى بأسها كل كائن حيواني
فأرادوا بجهلهم أن يكونوا كخراف فريسة الذؤبان
كان فيها للسابقين انتصار رده اللاحقون بالخذلان
هكذا هكذا يكون عقوق الولد في كل ما له من معان

* * * *

أبني قومي الأعزاء اني لشفوق عليكمو ذو حنان
لا تهينوا لسانكم فتهونوا عيشة الهون والردى سيان
لغة المرء كالجنان وهل عا ش امرؤ في الورى بغير جنان
ولسان الفتى جنان وهل خا ض المنايا الفتى بدون جنان
أيروم البنون هدم بناء قد بناه الجدود منذ زمان
شيدوه للمجد للفخر للتا ريخ ما جال في الفضا القمران
فمن العار أن نراه وقد آ ل الينا مزلزل الأركان

* * * *

أبني قومي الأعزاء : أبنا ئي ، صحابي ، احبتي ، جيراني
منيتي أن أراكمو بين واع لعظاتي وسامع لبياني
وغيور يرى الدفاع عن الفصحى دفاعا عن حوزة الأوطان

الفهرس

تصحيح أخطاء

الخطأ	الصواب	الصفحة
الدّثاء	الدثاء	95
لم تكلفهم	لم تكفهم	95
كشفقا	كشفا	130
و Poeni	و Poeni	130
ق ر ي ا ت ح د ي ش ا ت	ق ر ي ا ت ح د ي ش ا ت	131
ب ن ي ك ن ع ا ن	ب ن ي ك ن ع ا ن	131
الانسياق	الاتساق	158
« خبز الأبازير » مع مقابلة الفرنسي	« خبز الأبازير » مع مقابله الفرنسي	159
لا يدل على اسم الشكل القديم المعهود عند الافرنج	لا يدل على اسم مكان بل على الوعاء الذي يعجن فيه أي على الأداة وان هذه الأداة على شكلها الشكل القديم المعهود عند الافرنج	260
« الفبائي »	« الفبائي »	261
يدعو صاحبه	يدعو صاحبه	269
القدرة الكبيرة	القدر الكبيرة	270
الأشرية	الأشربة	271
د ـ أدوات مختلفة Articles de ménage	د ـ أدوات مختلفة	271
الماعون :	الماعون : Articles de ménage	271
المغورة	المقورة	272
آلة لتغوير	آلة لتقوير	272
الكوب Coupe Cup	الكرب Coupe Cup	
قدح يكون في الغالب قليل التجوف ما يؤخذ به اللحم وغيره	قدح يكون في الغالب قليل التجوف	273
اللفاقة Cigarette	اللفافة Cigarette	
استجواب مع معالي سفير دولة الكويت بالمغرب	استجواب معالي سفير دولة الكويت بالمغرب	288
استجواب مع معالي سفير الجمهورية العربية السورية	استجواب معالي سفير الجمهورية العربية السورية	289
استجواب مع سفير الجمهورية العربية المتحدة	استجواب معالي سفير الجمهورية العربية المتحدة	292
استجواب مع مندوب ليبيا	استجواب مندوب ليبيا	296